

موسى وعيسى

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَى

فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

كل حقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

رقم الإيداع: ٨٠٩٦ / ٢٠٢٢م  
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٩٩٧-٣٥٤٨

جوال المؤلف

٠٥٠٨٠١٣٢٢٢

٠٥٠٤٩٥٣٣٣٢

بريد إلكتروني: mb\_twj@hotmail.com

دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع

Twitter Facebook @DarElollaa

WhatsApp Dar\_Elollaa@hotmail.com

الأزهر : شارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

01050144505 - 0225117747

المنصورة : عزبة عقل - بجوار جامعة الأزهر .

01007868983 - 0502357979

موسى وعترته

أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

للفقير إلى مولاه

محمد بن إبراهيم بن عبد الله التومجني

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

الجزء الرابع

دار اللؤلؤة

للنشر والتوزيع  
المصوّرة - مصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب الثالث عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنی الآتية :

- |  |                                 |
|--|---------------------------------|
| ٦١-٦٢ - اسم الله الشكور.. الشاكر.        | ٦٨ - اسم الله البر.             |
| التعبد لله عز وجل باسمه الشكور.. الشاكر. | التعبد لله عز وجل باسمه البر.   |
| ٦٣ - اسم الله الحليم.                    | ٦٩ - اسم الله الرؤوف.           |
| التعبد لله عز وجل باسمه الحليم.          | التعبد لله عز وجل باسمه الرؤوف. |
| ٦٤ - اسم الله العفو.                     |                                 |
| التعبد لله عز وجل باسمه العفو.           |                                 |
| ٦٥-٦٦ - اسم الله الغفور.. الغفار.        |                                 |
| التعبد لله عز وجل باسمه الغفور.. الغفار. |                                 |
| ٦٧ - اسم الله الودود.                    |                                 |
| التعبد لله عز وجل باسمه الودود.          |                                 |

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الشكور.. الشاكر

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الشكور.. الشاكر

الله ﷻ هو الملك الغني الشكور الشاكر، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، وأسمائه جل جلاله كلها تدل على كماله وجلاله وجماله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨].

• وأسماء الله الحسنى تنقسم إلى أربعة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على غاية الكمال والجلال والجمال، الكمال الذي لا نقص فيه أبداً. فهذه أسماء حسنى يُسمى الله بها، ويوصف بها، وسائر أسماء الله الحسنى ثابتة في القرآن والسنة، مثل: السميع، البصير، الكريم، القادر، القدير، الخالق، وغيرها من الأسماء الحسنى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

الثاني: الأسماء الدالة على كمال؛ لكن مع احتمال نقص بالتقدير.

فهذه لا يُسمى الله بها، لكن يُخبر عنه بها؛ لأن باب الإخبار عن الله أوسع من باب الأسماء، مثل: المتكلم، الكاتب، الفاعل، المريد، الشائي، وأمثالها، فهذه لا يُسمى الله بها؛ لكن يُخبر عنه بها، فيقال: الله فعال، الله يشاء، الله يريد؛ لأن ذلك من باب الإخبار عنه، لا من باب التسمية به.

الثالث: الأسماء التي تحتمل نقصاً وكمالاً؛ مثل: المكر، الكيد، الخداع، الاستهزاء. فهذه الأسماء وأمثالها لا تُطلق على الله مطلقاً، وإنما تُذكر مُقيدة، فلا نقول: الله مكر، أو كائد أو خادع؛ وإنما نقول: الله مكر بمن يمكر، كائد بمن يكيد، وهكذا؛ لأن المكر والكيد والخداع ينقسم إلى قسمين: محمود ومذموم؛ فالله المحمود منه جل جلاله: ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ ﴿٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

الرابع: الأسماء التي هي نقص محض، مثل: العمى، والصمم، والعجز.

فهذه لا يُسمى الله بها ولا يُوصف؛ لأنها نقص محض فلا تُطلق على الله أبداً، لا خبراً ولا اسماً ولا صفة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وأسماء الله ﷻ أعلام وأوصاف؛ فكلها تدل على ذات الله، فهي أعلام على ذات الله ﷻ، وكلها أسماء تدل على ذات الله.

وكل اسم يدل على صفة لله ﷻ، فالسميع اسمه، ويسمع صفته، والعليم اسمه، ويعلم صفته، وهكذا.

وأما أسماء غير الله فهي أعلام فقط، إلا أسماء الأنبياء والرسل والقرآن فهي أعلام وأوصاف، أما أسماء البشر فهي أعلام مجردة، فقد يسمى الإنسان كريماً وهو من أبخل الناس، أو حليماً وهو من أسفه الناس، وهكذا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

واسم الشكور من الأسماء العظيمة، والأسماء التي من الله ﷻ علينا بها، فبيننا لنا، وبين أنه شكور؛ حتى نتعبد لله ﷻ بهذا الاسم بعد معرفته، فإذا عرفنا أن الله شكور سارعنا إلى طاعته بأنواع الطاعات، وتسابقتنا في الفرائض والواجبات والسنن إلى طاعته؛ لأنه يجزي على الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، إلى أجر عظيم بغير حساب: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فله الحمد والشكر أن عرفنا في كتابه باسمه الشكور، واسمه الشاكر، ولنتعرف على هذا الاسم العظيم، فإنه من أعظم الأسماء الحسنى التي يجب على العبد أن يتعرف عليه، وأن يعرف معناه، وكيف يتعبد لله ﷻ به.

الله ﷻ هو الشاكر الشكور الذي يثيب على العمل القليل بالأجر الكثير، ويقبل اليسير من العمل، ويعطي الجزيل من الأجر.

وقد ورد اسم الله الشكور في القرآن أربع مرات؛ منها: قوله سبحانه: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن/ ١٧].



• أما اسم الله الشاكر فقد ورد في القرآن مرتين:

في قوله سبحانه: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء/ ١٤٧].

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّافِيَ وَالْمُرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٥٨].

والشكور صيغة مبالغة في الكم والكيف، فالله جل جلاله شكور عظيم الشكر، إذا أعطى أعطى عطاءً عظيماً على قدر شأنه، وكثير الشكر، فهو يشكر على كل حسنة، وكل عمل مهما صغر وقل، فالشكور صيغة مبالغة في الكم عدداً، وفي الكيف عظمةً. فهو عظيم الشكر، فهو يعطي على الحسنة عشر أمثالها، ويعطي على العمل القليل جنة عرضها السماوات والأرض.

وهو كثير الشكر، فكل حسنة من العبد مقرونة بشكر من الرب، والشكر هو الزيادة، العدل هو المساواة: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦].

فالله سبحانه عظيم الشكر، وكثير الشكر، مأخوذ من شكر يشكر فهو شكور، والشكور الميثب للشاكر على شكره، فمن العبد العمل، ومن الله ﷻ الشكر على العمل، وله الحمد والشكر أن بين لنا الدين، ورغبنا فيه، وأعاننا عليه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرحمن الرحيم ٢] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [إياك نعبد وإياك نستعبد ٥] [الفاتحة: ٢-٥].

ثم ضاعف لنا الأجر عليه، فالشكور هو الميثب للشاكر على شكره، المجازي على الحسنة بأضعافها: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

والشاكر اسم فاعل من شكر يشكر فهو شاكر، فالحمد مني إلى ربي، والشكر منه على عملي، فأنا أحمده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة/ ٢].

وأحمده على نعمه المادية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام/ ١].  
وأحمده على نعمه الروحية الإيمانية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: ١].

فأنا أحمده، وهو يشكر لي هذا الحمد، فالحمد صادر مني إليه، والشكر منه جل جلاله لي على ما عملته، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضعفة، إلى أجر عظيم من لدنه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثِيئًا﴾ (٦٦) وَإِذَا لَا تَتَيْنَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٧].

وإذا قال الله ﷻ عن الأجر أنه عظيم؛ فهذا عطاء عظيم، ولا يعطي العظيم إلا العظيم؛ لأنه يعطي على قدر شأنه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) [غافر: ٦٥].

والله شكور وشاكر، وشاكر وشكور صفة ذاتية لله لا تنفك عنه، فلا يمكن لأي عبد أن يعمل أي عمل إلا ويشكره الله عليه، ولا يعطيه على الحسنة مثلها بل عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى أضعاف مضاعفة فهذا هو اللائق بجلاله سبحانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) [طه: ٨].

والشكر: مجازاة الإحسان بالإحسان: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٦١) [يونس: ٢٦].

ومقابلة المنعم على فعله بالثناء عليه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وَ لَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجناب: ٣٦ - ٣٧].

هو سبحانه الشاكر الشكور الذي يشكر القليل من العمل الصالح الخالص المنقطع بالأجر العظيم الدائم، ويعفو عن الكثير من الزلل من أخطاء اللسان والجوارح، ولا يضيع أجر من أحسن عملاً، بل يقبله ويضاعفه أضعافاً كثيرة بغير عد ولا حساب: ﴿قُلْ يٰعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (١٠) [الزمر: ١٠].

وذلك فضل من الله ورحمة، ليس حقاً واجباً عليه، وإنما هو الذي أوجب الحق على نفسه؛ كرمًا منه وجوداً: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥٤) [الأنعام: ٥٤].

فسبحانه ما أكرمه لعباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦٠) [يونس: ٦٠].

هو جل جلاله الشكور الذي يعطي العبد، ويوفقه لشكره عليه، ويشكر القليل من

العمل فلا يستقله، بل يشكره ويضاعفه؛ لكمال رحمته وحبه لعباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج/ ٦٥].

هو الشكور الذي إذا ترك العبد شيئاً محرماً من أجله أعطاه خيراً منه، وإذا فعل شيئاً أو بذل شيئاً من أجله؛ رده عليه أضعافاً مضاعفة، وهو سبحانه الذي وفقه للبذل والترك، ووفقه للشكر على هذا وهذا: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

هو سبحانه الشكور الذي يعطي على العمل القليل الأجر العظيم: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٤].

فسبحان ربنا الكريم الشاكر الشكور الذي يجازي بقليل الطاعات أكبر الدرجات، وعظيم الحسنات، ويعطي على العمل الصالح القليل في الدنيا نعيماً في الآخرة غير محدود ولا مقطوع! ﴿إِنَّ هَذَا الرَّزْقُ مَا لَهُ مِنْ نَّفَادٍ﴾ [ص/ ٥٤].

والفرق بين الشاكر والشكور: أن اسم الله الشاكر اسم فاعل؛ لأنه موصوف بالشكر، فهو يشكر على الأقوال، وعلى الأعمال، وعلى الأخلاق، وعلى كل حسنة مهما كانت، الله يشكر كل عبد على طاعته، ويثيبه ويجزيه عليه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل/ ٩٧].

أما اسم الله الشكور فهو من صيغ المبالغة التي تدل على الكثرة وعظيم الأجر، فالله يشكر الطاعة اليسيرة، ويثيب عليها الثواب العظيم، فمن في قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ الله يعطيه مثل هذه الدنيا عشر مرات في الآخرة.

فالله يشكر الطاعة اليسيرة، ويثيب عليها الثواب العظيم، والأجر الجزيل مرة بعد مرة: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم/ ٧].

فالشكور من تكرر منه الشكر الجزيل، والشاكر من وقع منه الشكر، والله شاكر وشكور، والعبد الذي لا يشكر إلا نوعاً واحداً من الطاعات أو النعم أو يشكر لمرة واحدة لا يُقال له: شكور.

والنصر على الأعداء أحد أوجه شكر الله لأوليائه، فالله شكور، يشكر من أطاعه،  
وجاهد في سبيله، ونصر دينه، فإنه ينصره ويؤيده ويعززه: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثِّبْ  
أَقْدَامَكُمْ﴾ ﴿٧﴾ [محمد: ٧].

فمقابل طاعتكم وعبادتكم لله وتوحيدكم له ينصركم على عدوكم: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ  
مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ  
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾  
[الحج: ٤٠-٤١].

والصفة المشتقة من اسم الله الشاكر والشكور هي صفة الشكر، وهي من صفات الله  
الفعلية، فالله يشكر كل طاعة من العباد، ويثيب عليها بالثواب الجزيل: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ  
بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ﴿١٤٧﴾ [النساء: ١٤٧].  
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظِلُّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا  
عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

واسم الله ﷻ الشاكر والشكور قد اقترنت بها أسماء أخرى.

فقد اقترن اسم الله العليم بالشاكر مرتين في القرآن، منها قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا  
فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٥٨﴾ [البقرة: ١٥٨].  
وسر ذلك والله أعلم أن الله سبحانه عليم بمن يستحق الثواب والشكر على عمله،  
ومقدار الشكر، فليس كل عامل ومتطوع بالخير يقبل الله سعيه ويشكره عليه:  
﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ  
بِالشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣].

فيشكرهم على طاعتهم وحسانتهم، لأن الإنسان قد يعمل العمل، ويكون غير خالص  
لوجه الله ﷻ، وقد يعمل العمل خالصًا لله ﷻ؛ لكن على خلاف السنة: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا  
لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١﴾ [الكهف: ١١].

والله سبحانه شاكر لا يضيع أجر محسن، عليم لا يخفى عليه إحسان: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ  
أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾  
[الملك: ١٣-١٤].

وكذلك قد اقترن اسم الله الحليم مع الشكور مرة واحدة في القرآن الكريم في قوله

سبحانه: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن/ ١٧].

وسر ذلك والله أعلم أن الله خلق الإنسان، ثم رزقه، ثم طلب منه أن ينفق مما أعطاه الله من قول حسن، وعمل صالح، ومال مكتسب، فالإنسان لسانه ماعون للكلام بالذكر والدعاء، والتحميد والتقديس، والدعوة والتعليم.

وأذنه ماعون للسمع، ويده ماعون للإنفاق، وقدمه وسائر جوارحه ماعون للركوع والسجود، والجهاد في سبيل الله، فالإنسان قد يشكر لكن يقصر، والله ﷻ يشكر لعبده هذا العطاء، ويعامله بالحلم في تقصيره عن شكر مولاه، وتقصيره في الإنفاق؛ لأنه شكور حلیم، يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل، مع اقترانه بالمعاصي، ويقابل كل إساءة وتقصير من العبد بالحلم والعفو والصفح؛ لأنه شكور حلیم.

هو سبحانه الشكور الذي يشكر عباده على شكرهم له، ويزيدهم من خيره وفضله، ويثني عليهم في الملاء الأعلى بين ملائكته، ويرضى عنهم، لما قاموا به من العبادات التي شرعها الله ﷻ على لسان رسوله ﷺ: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة/ ١٠٠].

فسبحان ربنا الشاكر لعباده على كل عمل عملوه، الشكور الذي يعطي العبد من الخير والفضل، ويوفقه للشكر عليه، ثم يزيده من فضله؛ فله الحمد والشكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وله الحمد والشكر على دينه العظيم، وعلى ثوابه الجزيل: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

﴿وَمَنْ يَفْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى/ ٢٣].

فسبحانه يضاعف الحسنات، ويغفر السيئات؛ فلا إله إلا الله! ما أرحمه بخلقه! وما أعظم إحسانه إلى عباده! وما أجمل شكره لهم! من بذل من أجله شيئاً رده الله عليه أضعافاً مضاعفة، ومن ترك شيئاً من أجله؛ عوضه أفضل منه، وهو الذي وفق لهذا وهذا، وحببه إلى عبده، وأعاناه عليه، وقبله منه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

وقد اقترن اسم الله الشكور بالغفور ثلاث مرات في القرآن الكريم منها قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ (٣٥) [فاطر/ ٣٤-٣٥].

فالله شكور يغفر الذنوب لعباده إذا تابوا وأنبأوا، ويشكرهم على طاعتهم له، ويغفر للمؤمنين تقصيرهم في شكره، فله الحمد والشكر؛ الذي يجمع لعبده المؤمن بين شكره لإحسانه، ومغفرته لإساءته.

وسر اقتران الشكور بالغفور أن في هذا الاقتران كمال الوقاية والعناية والسلامة، والغنيمة، ففي المغفرة الوقاية والسلامة من الذنوب التي تهلك العبد، وفي الشكر العناية والغنيمة: ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٠) [فاطر: ٣٠] غفور للذنوب، شكور للحسنات.

ومن جلال شكر الله أنه غفر لرجل من أجل تنحية غصن شوك عن الطريق. قال النبي ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ؛ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخْرَهُ؛ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ؛ فَغَفَرَ لَهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ومن جلال شكره سبحانه لعباده أنه «غفر لامرأة بغى سقت كلباً من الماء، فشكر الله لها، فغفر لها، فأدخلها الجنة»، متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

ومن جلال شكره جل جلاله لعباده أنه لا يعذب المؤمن الشكور، ولا يضيع أجر محسن، ولا يعذب غير مسيء: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ (١٤٧) [النساء: ١٤٧].

الله ﷻ لا يريد أن يعذب عباده؛ إنما يتلهم ليقلبهم في حال السراء والضراء، ليستخرج العبوديات المتنوعة منهم؛ فيزيد أجورهم: ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٠) [فاطر: ٣٠].

ومن جلال شكره سبحانه أنه يعطي عباده الصالحين ما لا يحظر على باهم في الجنة: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة/ ١٧]. أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، وقليل منهم من يجاوز ذلك، ولكن الله ﷻ

متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٩١٤).  
(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٤٦٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٤٥).

يعطي المؤمن على هذا العمر القليل جنة عرضها السماوات والأرض، ويعطي الحياة الأبدية والنعيم الأبدي، فهذا شكره جل جلاله، فهو شكور يعطي العطاء العظيم، ويعطي العطاء المتنوع: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

وفي الحديث القدسي: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

الله أكبر! ما أعظم رحمته! وما أعظم كرمه! وما أعظم شكره لعباده! ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج/ ٦٥].

سبحان الله ما أوسع ملكه! وما أعظم عطاءه وإحسانه جل جلاله! كل ما نراه ورأيناه بالنسبة لما لم نره كالذرة بالنسبة للجبل، وقد رأينا أشياء كثيرة من عالم الجهاد والنبات والحيوان، ومخلوقات كثيرة متنوعة.

كل ما رأيته وتراه بالنسبة لما لم تره أيها العبد كالذرة بالنسبة إلى الجبل، وكالقطرة بالنسبة للبحر، وما تشاهد من المخلوقات بالنسبة لما تسمعه عن المخلوقات كالذرة بالنسبة للجبل.

وما سمعته وما لم تسمعه بالنسبة للخاطر كالذرة بالنسبة للجبل، فكل ما رأيته وما سمعته وما خطر على قلبك عطاء الشكور الشاكر لك أعظم من كل ذلك.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [القمان: ٢٠].

فسبحان من هذا عطاؤه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/ ١٧].

فدائرة ما تراه من المخلوقات إلى ما تسمعه لا شيء، ودائرة ما تسمعه عن المخلوقات إلى دائرة ما تتخيله لا شيء، فسبحان الخلاق العليم بكل ذرة في ملكه العظيم! ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

ومن هذه صفاته هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١١٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فسبحان ربنا العظيم! سبحان ربنا الشكور، الذي يشكر على ما أنعم على العبد به، يشكر على العمل القليل بالأجر الجزيل، هو الشكور الذي لا يطالب بالشكر الكثير على النعم الكثيرة، بل يطالب بالشكر على قدر الطاقة، ولو كان شكراً قليلاً: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [سبأ: ١٣].

قليل من عبادي الشكور مع أن عظمة الله وجلاله، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة دينه وشرعه، تستوجب الشكر الكثير للرب الذي هو أهل أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ ﴿٣١﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

وإن المؤمن إذا تأمل الشريعة؛ وجد أن الله يعطي الأجر العظيم على العمل اليسير، فتبسمك في وجه أخيك صدقة، والله يرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة، والكلمة الطيبة صدقة: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [فاطر/ ٣٤].

فيا عبد الشكور، اشكر ربك الشكور على نعمة الإيجاد، وعلى نعمة الحياة، وعلى نعمة الإمداد، وعلى نعمة الهداية، وعلى نعمة العافية، وعلى جميع النعم: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

والله ﷻ شاكِرٌ وشكورٌ، فهو الشكور الحق، عظيم الكرم، جزيل العطاء، كثير المكافأة، الذي يعطي الثواب الكثير على العمل القليل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أضعافاً كثيرةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة/ ٢٤٥]. وهو سبحانه الشكور الذي يشكر اليسير من الطاعة، ويثيب عليها الكثير من الثواب والأجر، ويعطي الجزيل من النعم، ويرضى باليسر من الشكر على ذلك.



والله عَزَّ وَجَلَّ مَنْ عَلَيْنَا وَأَعْطَانَا آيَاتِ الشُّكْرِ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

هو سبحانه الشكور الذي يقبل اليسير الذي لا ينفعه من الطاعة، ويعطي العظيم الذي ينتفع به كل من أطاعه: ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

هو الشكور الذي يعطي أحسن الثواب على أقل عمل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وهو الشكور الذي يعطي من آمن به وأطاعه عطاءً لا نهاية له، ولا حد له: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

فسبحان الرب العظيم الشكور الذي يعطي قبل السؤال، ويعطي على قدر شأنه، لا على قدر العمل والسؤال، ويعطي على العمل القليل الثواب الجزيل، ويقبل اليسير من العمل والطاعات، ويعطي الكثير من الحسنات والدرجات: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فمعرفة اسم الله الشاكر والشكور تولد الطاقة الإيانية للتعبد لله بأنواع الطاعات؛ طمعاً في ثوابه، وخوفاً من عقابه، وأنساً ومحبة لربنا العظيم الذي يُعطي على قدر شأنه على كل عمل يعمله الإنسان، مما شرعه الله عَزَّ وَجَلَّ على لسان رسوله ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

هو سبحانه الشاكر الحق الذي يشكر لعباده إيمانهم وأعمالهم الصالحة، فيقبلها على ما فيها من نقص، ويشكرها لهم، ويشبههم عليها بأحسن ما كانوا يعملون، ويضاعف لهم الحسنات، ويعفو عن السيئات: ﴿إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

حليم على من عصاه، لا يعاجله بالعقوبة؛ وإنما يمهلها لعله يتوب، ولا يمهله، فيصيبه بالبلايا والمصائب لعله يتوب إليه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

إن النعم والمصائب والمكروهات رسائل من رب العالمين رحمةً بعباده، لماذا؟ لصرف

الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذب النفوس إلى الملك القدوس، وصرف القلوب عن دار الغرور إلى دار السرور في الجنة.

فقضاء الله كله حكمة ورحمة، وعدل وإحسان، يستحق الشكر لله ﷻ: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام: ١٠٢].

وقليل منا من يقرأ قضاء الله وقدره في عباده قراءة إيمانية تثمر الحب والشكر لله ﷻ. فنسأل الله ﷻ أن يعلمنا العلم النافع، ويرزقنا العمل الصالح، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، واجعلنا هداة مهتدين: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) [النساء: ٨٢].

هو سبحانه الشاكر الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر الكثير من الزلل، ويشكر الشاكرين، ويجب الشاكرين، ويذكر من ذكره، ويزيد من شكره، ويرحم من استرحمه، ويغفر لمن استغفره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ (٢٩) ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٠) [فاطر/ ٢٩ - ٣٠].

فالحمد لله رب العالمين أن ربنا غفور شكور، ومن عظيم شكر الله لعباده وفضله عليهم أنه يضاعف لهم ثواب جميع الأعمال الصالحة أضعافاً مضاعفة، وأضعافاً كثيرة: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤٥) [البقرة/ ٢٤٥].

لماذا يقبض ويبسط؟ لأن الله على كل عبد عبوديةً في حال السراء والضراء، في حال القبض، في حال البسط، يستخرج العبودية؛ لأنه يجب الصابرين، ويجب الشاكرين. فالله يقلب الأحوال لاستخراج العبودية من الناس في حال السراء والضراء، في حال الغنى والفقر، في حال العافية والبلاء.

أما السيئات فإن الحليم الرحيم يكتبها واحدة كما هي، ولا تضاعف، ويمحوها بالتوبة والاستغفار، ثم يبدها حسنة، ثم يضاعفها؛ لأنه وحده الغفور الشكور الرحيم بعباده.

ومن كفر بالله أو فعل الكبائر من قتل أو زنا، ثم مات ولم يتب؛ ضاعف الله له العذاب

يوم القيامة بحسب كثرة ذنوبه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْلَدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

فتبدل السيئات مع التوبة بالحسنات، ثم تضاعف الحسنات إلى عشر أمثالها، إلى سبعائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فاطر: ٣٤].

فالله عظيم، ودينه عظيم، وكتابه عظيم، وثوابه عظيم، ونعيمه عظيم، وعقوبته عظيمة: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

والله سبحانه واحد لا شريك له في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، هو الواحد الأحد الذي له الملك وحده، وله الخلق وحده، وله الأمر وحده، وجميع النعم التي يتنعم بها الخلق في الدنيا والآخرة من رزق وعافية، وأمن وسرور، وعلم وعمل، ومال وولد؛ كلها من رب العالمين وحده لا شريك له: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرَاهُمْ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْشَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

جميع النعم منه، مفاتيح الخزائن بيده، مفاتيح الغيب بيده: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

وواجب الجميع أن يشكروا ربهم على كل نعمة باستعمالها في طاعته، والتقرب بها إليه، فإن كفروها ولم يشكروها؛ تعرضوا لعقابه وعذابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ وَلَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

والله سبحانه هو الشاكر الذي يمدح من يطيعه، ويثني عليه، ويثبته على طاعته، ويزيده من فضله ونعمه في الدنيا والآخرة، ويرضى عنه ويرضيه، كما قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

والله سبحانه شكور يشكر لعباده حسن الأداء والعمل، أفلا يشكرون له حسن الكرم والعتاء العظيم الذي من به على عباده من نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية؟! ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

فسبحان ربنا الشكور الذي له الحمد كله، وله الشكر كله، وبيده الخير كله، وله الخلق والأمر كله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو الشاكر الذي لا أحد أشكر منه، الشكور الذي يملك خزائن النعم، والرحمة، والهداية، والثواب، ويشكر بها من أطاعه، ويثيبه عليها في الدنيا والآخرة.

هو الشكور الذي يجب عباده، ويرحمهم، ولا يجب عقابهم: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/١٤٧].

والعابد حقاً من أدى عبودية الشكر لربه في كل حال؛ لما يرى من عظمة جلاله، وعظمة جماله، وعظمة خلقه وآلائه، وعظمة ملكه وسلطانه، وكريم عطائه وإحسانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

فسبحان الكريم الذي أكرم عباده بكل شيء، وأعطاهم كل شيء، ورزقهم من فضله، وأطعمهم من رزقه، وأسكنهم في أرضه، وأكمل لهم دينه، وأنعم عليهم بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣].

فلم لا تشكروه؟ ولم لا تعبدوه؟ ولم لا توحدوه؟ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ما أعظم نعمه على عباده! وما أعظم شكره لمن أطاعه! وما أحلمه على من عصاه! ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

والله ﷻ غني كريم، استقرض عباده القليل مما أعطاهم؛ لنفع أنفسهم، ومواساة بعضهم، ثم ضاعف لهم ثواب ذلك أضعافاً كثيرة، وخبأ لهم إلى يوم القيامة، يوم فقرهم الذي ينسون به كل فقر؛ لأنه الغفور الشكور: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيَضَعْفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

فسبحان ربنا الكريم، الشكور الشاكر لعباده، الذي لا يضيع عنده عمل عامل، بل يضاعف الأجر بلا حساب، الملك الحق الذي يشكر الشاكرين، ويحب الشاكرين، ويذكر الذاكرين، ويتقرب إلى المتقربين: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَجَرِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران/ ١٤٥].

وقال النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِي؛ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

والشكور سبحانه إذا بذل العبد شيئاً من أجله؛ رده عليه أضعافاً مضاعفة، وهو الذي أنعم به عليه، وأعاناه على إنفاقه في سبيل مرضاته، وإن ترك العبد شيئاً من أجله؛ أعطاه أفضل منه، واستعمله في طاعته: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّلُعَاتِ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وكل من عبد الله فهو العاقل حقاً، وكل من ترك عبادة الله ﷻ فهو سفیه حقاً، كل كافر، وكل مشرك، وكل منافق؛ كل هؤلاء سفهاء: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣١].

فالسفیه عنده جهل بنفسه، وجهل بربه، وجهل بعظمة ملكه وسلطانه، وجهل بنعمه وإحسانه، وجهل بدينه وشرعه؛ لهذا فهو في عداد السفهاء. والسفیه لا بد من الجهد عليه؛ حتى يكون حكيماً وعاقلاً، يكبر من يستحق التكبير،

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

ويشكر من يستحق الشكر، ويعود إلى رشده، وذلك بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

والله سبحانه شكور حلیم، وشكور عليم، هو الحكيم العليم الكريم الذي أنعم على عباده بكل نعمة: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

ووقفهم للبذل والترك من أجله، وشكرهم وأثابهم على هذا وذاك، فمن جاء بالحسنة فله من ربه عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ويجزى الشكور سبحانه على الإيثار والعمل القليل جنات النعيم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [١٠٧] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [١٠٨] [الكهف/١٠٧-١٠٨].

فسبحان الكريم الذي يعطي الجنة الأبدية على عمر قليل؛ فعمر الإنسان إذا قدرنا أنه ستون سنة مثلاً، ثلثه ذهب في النوم، وربعه لم يبلغ الحلم، فلم يبق منه تقريباً إلا بضعة عشر عاماً، يُعطي المؤمن مقابل هذا حياة أبدية، في نعيم أبدي، وخلود أبدي، لأن ربه شكور غفور، شكور يعطي على قدر شأنه، لا على قدر سؤال العبد، فالعظيم لا يعطي إلا العظيم، أما الحقير فهو لا يعطي إلا الحقير.

فمن ترك الكفر والشرك والمعاصي؛ عوضه الكريم بالتوحيد والإيمان والعمل الصالح الذي به سعادته في الدنيا والآخرة، فحين بذل رسل الله وأوليائه أنفسهم وأموالهم في سبيل الله؛ أعاضهم الله بأن حب إليهم الإيمان، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وصلى هو عليهم وملائكته، وجعل لهم أطيب الثناء في السماء والأرض: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٤٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [٤٣] [الأحزاب/٤١-٤٣].

فرحمته عامة، جميع الخلائق تعيش في رحمته، ولولا رحمته العامة لما عاش الناس كلهم في هذا الهواء، وفي هذا النور، وأكلوا من هذا الطعام، وشربوا من هذا الشراب، وهذه

رحمته الواسعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

أما رحمته الخاصة فهي للمؤمنين، فهو رحيم رحمة عامة لجميع الخلق، ورحيم بالمؤمنين خاصة رحمة خاصة.

و حين ترك رسل الله وأولياؤه ديارهم وأموالهم من أجل إعلاء كلمة الله، وخرجوا منها ابتغاء مرضاة الله؛ أعاضهم الله عنها أن فتح لهم البلاد، وملكهم الدنيا، وجعلهم خلفاء الأرض؛ شكراً منه جل جلاله لعباده: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور/ ٥٥].

الفاسقون هم الذين خرجوا من الطاعة إلى المعصية، ومن التوحيد إلى الشرك، ومن الإيمان إلى الكفر.

فسبحان الله! ما أصدق وعده! وما أعظم شكره لمن أطاعه! ما أسرع إجابته ونصره لمن دعاه، وأطاعه، وتاب إليه!: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ ١٠ ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ ١١ ﴿وَيُمَدِّدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ ١٢ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ١٣ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ ١٤ ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ ١٥ ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ ١٦ ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ ١٧ ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ ١٨ ﴿[نوح: ١٠-١٨].

والله سبحانه هو الشكور الذي يشكر العبد المؤمن على إحسانه لنفسه بعظيم الثواب، ويجازي عدوه بما يفعله من الخير بالإحسان إليه في الدنيا، ويخفف عنه العذاب في الآخرة بما عمله من الخير، وهو أبغض الخلق إليه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ ١٨ ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾ ١٩ ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَهُنَا وَهَهُنَا مِنْ عَطَايَ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ ٢٠ ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ ٢١ ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ ٢٢ ﴿[الإسراء/ ١٨-٢٢].

مذمومًا لا حامد لك، مخذولًا لا ناصر لك، وحين ذلك تقع الحسرة حين لا تنفع الحسرة

والندم: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾<sup>(١٥)</sup> لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَجْعَدُونَ فَأَنْقُوتُوا ﴿١٦﴾ [الزمر: ١٥-١٦].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتٍ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن شكره سبحانه: أنه يخرج المؤمن من النار بأدنى مثقال ذرة من خير أو إيمان. ومن شكره سبحانه أنه في الآخرة يعطي أقل المؤمنين إيماناً وعملاً مثل هذه الدنيا عشر مرات. ومن شكره سبحانه أن العبد المؤمن من عباده يقوم له مقاماً يرضيه بين الناس، فيشكره له، وينوه بذكره بين ملائكته وعباده، كما شكر لصاحب يس حين قال: ﴿إِنِّي ءَأَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ﴾<sup>(٢٥)</sup> قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ [يس: ٢٥-٢٧].

فسبحانه من رب غفور شكور، يعطي من خزائنه ما يصلح عباده، ويرغبهم في العطاء لغيره، ثم يضاعف أجر المعطي؛ لأنه كريم، العطاء أحب إليه من المنع، شكور يغفر الكثير من الزلل، ويشكر القليل من العمل! ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ الْقُرْآنَ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾<sup>(٦١)</sup> [غافر/ ٦١].

ولما علم الله ﷻ عجز عباده وخلقه عن كمال حمده وشكره؛ حمد نفسه قبل أن يخلقهم، وقبل أن يحمده أحد، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر/ ١].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف/ ١].

والحمد والشكر لله من أعظم العبادات، بل الدين كله حمد وشكر للرب. أركان الإسلام، وأركان الإيمان، وجميع العبادات والطاعات كلها حمد وشكر للرب ﷻ على عظمة أسمائه وصفاته، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة دينه وشرعه، وجزيل نعمه وإحسانه.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨).



والفرق بين الحمد والشكر أن الحمد أعم من وجهه، فالحمد يكون على النعم والمصائب، أما الشكر فلا يكون إلا على النعم، وكذا الشكر أعم من وجهه، حيث يكون بالقلب واللسان والجوارح، أما الحمد فلا يكون إلا باللسان.

ويطلق كل من الحمد والشكر على الآخر، فإذا اجتمعا كان لكل منهما معناه الخاص به. والله شكور يشكر عباده على أعمالهم الصالحة، وشكر الله لعباده على قدر شأنه وعظمته، وعلى قدر حسن العبادة.

هو الشكور الذي لا أشكر منه، يشكر عباده على كل طاعة ولو قلت، حتى إنه ليشكر للكافر حسناته، لكن في الدنيا؛ لأنه لا حظ له في الآخرة لعدم إيمانه، وكل عبادة تصدر من العبد فهي شكر لله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَسُجِدُوا وَعَبَدُوا رَبَّهُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج / ٧٧].

فصلاتك شكر الله، وزكاتك شكر الله، وصيامك شكر الله، وحجك شكر الله، وذكرك شكر الله ﷻ، وإحسانك شكر الله، وصلة الرحم شكر الله، كل ذلك شكر لله.

وكلما زادت معرفة الإنسان بربه؛ أحبه، ثم أطاعه، وزاد شكره لربه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

فكلما زادت معرفة الإنسان بربه؛ زاد شكره لربه بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

وقد مدح الله رسله وأنبياؤه بكثرة الشكر، فقال عن نوح ﷺ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء / ٣].

وقال عن إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل / ١٢٠-١٢١].

والعبد الشكور هو المجتهد في العبادة بأنواعها، خالصة لله ﷻ، موافقة لسنة رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف / ١١٠].

اللهم: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥].

ومن شكره لعبده أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، وأبدله حلاوةً في قلبه إلى يوم يلقاه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۚ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ

حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ [الطلاق / ٢ - ٣].

وسليمان ﷺ لما ترك الخيل من أجل الله؛ أعطاه الله الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب.  
ويوسف ﷺ لما ترك امرأة العزيز من أجل الله؛ أعطاه الله ملك مصر، وأخرجه من السجن إلى القصر.

والشهيد لما قدم نفسه في سبيل الله؛ عوضه الله بالحياة، وطير خضر تسرح به في الجنة حيث شاء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٦﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠].

هذا التكريم للذين بادروا إلى طاعة ربهم، وبذلوا أنفسهم من أجل مرضاته، هم عند ربهم يرزقون، أحياء غير أموات؛ ولهذا فالشهداء لا يصلى عليهم.  
والصحابة لما تركوا مكة، وهاجروا من أجل مرضاة الله؛ ملكهم الله الدنيا، وجعلهم رعاة الأمم بعد أن كانوا رعاة الغنم.

ولما تركوا كل شيء من أجل دين الله ﷻ؛ أعطاهم الله ﷻ التوحيد بدل الشرك، والعلم بدل الجهل، والوحدة بدل الفرقة، والرحمة والإحسان بدل الظلم والعدوان الذي كان في الجاهلية: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة / ٢].

ومن بكى من خشية الله في الدنيا؛ شكر الله له ذلك، ولقاه يوم القيامة نصرَةً وسرورًا.  
ومن شكره أنه يمهلك أيها العبد بعد المعصية لتتوب إليه: ﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].  
إن معرفة الله الشكور تقتضي معرفة أسمائه وصفاته وأفعاله، ومن عرف ذلك أحب ربه، وحمده وشكره، وكبره وعظمه، وأطاعه وعبده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد / ١٩].

واعلم أيها العبد وأيتها الأمة أن شكر الخالق كما يجب مستحيل؛ لأنه مترتب على معرفة النعم، ومعرفة النعم كلها مستحيلة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨].

وشكر الله على النعمة نعمة تحتاج إلى شكر؛ ولهذا نقول: سبحانك لا نحصي ثناءً عليك،

أشكرك بقدر ما أعلم، وبقدر ما أستطيع، ولا أحصي ثناءً عليك .  
 فإذا جاءك خير من جماد أو نبات أو حيوان فاشكر الله وحده؛ لأنه الذي أوصله إليك .  
 وإن جاءك الخير من إنسان فاشكر الله الذي خلقه، ثم اشكر الإنسان الذي أوصله  
 إليك، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله .

وحقيقة الشكر أن تتجاوز النعم إلى المنعم، فتشكر الله على ما أنعم به عليك وعلى  
 غيرك: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر/ ٦٦].

اشكر ربك بقلبك بالتوحيد والإيمان، والحمد والتمجيد والثناء، والافتقار والانكسار  
 بين يديه، واشكره بجوارحك تعبدًا لربك ﷻ بأداء ما فرض عليك، اشكره بلسانك  
 حمدًا وتمجيدًا، ودعوةً وتعليمًا لخلق الله ﷻ: ﴿اعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ  
 الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

أعظم العلوم على الإطلاق هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة ملكه  
 وسلطانه، ومعرفة نعمه وإحسانه، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه، هذا هو  
 العلم الإلهي الذي نزل على النبي ﷺ، فإذا قام هذا العلم في القلوب؛ تحركت به الجوارح،  
 ونطقت به الألسنة؛ حمدًا وتعظيمًا للرب، وشكرًا له، ودعوة إليه، وتعليمًا لشرعه: ﴿اللَّهُ  
 الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَنَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ  
 اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

## التعبد لله ﷻ باسمه الشكور.. الشاكر

بعد أن عرفنا اسم الله الشكور، وعرفنا آثاره في الكون، فماذا يجب علينا نحو هذا الاسم

العظيم؟ وكيف نتصف بهذا الاسم بعد معرفة الشاكر والشكور سبحانه؟

الله ﷻ شاكر وشكور، شكور يضاعف الأجر بلا حساب، ويشكر الشاكرين له، ويذكر

الذاكرين له، ويعطي على العمل الصالح القليل الأجر الكريم، والثواب الجزيل: ﴿إِنَّ

اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يَّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

[النساء: ٤٠].

من جاء بالحسنة زاد له فيها حسناً، وآتاه من لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ

ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل/ ٩٧].

ومن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، وعرف صفات جلاله

من الكبرياء والعظمة، والعزة والجبروت، وعرف صفات جماله من الإحسان والرحمة،

والعفو والصفح، واللطف والكرم، من عرف صفات جلاله، وصفات جماله؛ أحبه

وهابه، وحمده وشكره، وسعى في مرضاته.

من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه، ومن أطاعه أسعده الله في الدنيا والآخرة.

فمن عرف الله بصفات الجلال والجمال أحبه؛ لأنه عرف عظمة ربه، وعظمة إحسانه،

وسعى في مرضاته، وداوم على ذكره وشكره؛ لعلمه بعظيم نعمه، ومعرفته بجميل فضله

وكرمه، وإحسانه إلى عباده: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا

وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَا فِي جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ

خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

هو سبحانه الكريم المنعم على العباد جميعاً بكل نعمة؛ أنعم عليهم بنعمة الإيجاد، ونعمة

الإعداد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية.

الله ﷻ هو الذي خلق الخلق، وهو الذي أنعم عليهم جميعاً بكل نعمة؛ نعمة الإيجاد،

ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية والرشاد، ومع ذلك فالكريم يشكرهم على العمل القليل الذي هو بمنه وتوفيقه، ويضاعف لهم الأجور من حسنة إلى عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن: ١٧-١٨].

ومن عرف نعم الله شكرها بقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ النَّاسُ فَوَاوِنَكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

هو سبحانه الشاكر الشكور الذي يشكر العباد على العمل القليل، الذي هو بمنه وتوفيقه: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا مَنِ اسْلَمَ إِلَيَّ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/ ١٧].

وأعظم النعم التي تستحق الشكر نعمة الهداية إلى الإسلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فلهذا نعمة يجب أن نشكر الله عليها، وتسال الله الثبات عليها، ولهذا كل يوم نردد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٧].

نردها كل يوم أكثر من أربعين مرة في الصلوات الخمس، وفي السنن الرواتب، وفي غيرها من الصلوات.

فسبحان الشكور الذي يشكر العباد على العمل القليل الذي هو بمنه وتوفيقه، ويضاعف لهم الأجور، ويغفر لهم الذنوب: ﴿إِنْ يَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء/ ٣١].

ومن عرف ربه باسم الشكور؛ عبده وحده لا شريك له؛ لأنه الذي أحسن إلى الخلق، وأعطى كل عبد ما يحسن به إلى نفسه، وإلى غيره.

هو الذي أعطى كل عبد من الأعضاء من السمع والبصر والعقل، والجوارح ما يحسن به إلى نفسه، وإلى غيره، ويشكر ربه على ما يحسن به: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

فربنا شكور، العطاء أحب إليه من المنع، وإذا أعطى لا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة؛ لأنه لو نقص مثقال ذرة لكان فقيراً إلى هذه الذرة، والله غني، وغناه مطلق غير محدود: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٣٦﴾﴾ [لقمان: ٢٦]. أما أنا فقد أكون غنياً، ولكن إذا أعطيت مما عندي نقص من ملكي، فدخلت صفة النقص عليّ، أما الله فغناه لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

والمؤمن إذا عرف ربه باسمه الشكور؛ استحيا منه؛ لأنه يعرف عظمة نعمه وكثرتها، وأكثر من شكره على نعمه، وجزيل إحسانه وثوابه، وأكثر من الشكر والحمد بقلبه ولسانه وجوارحه لربه الذي خلقه، واستحيا منه أن يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويتنعم بنعمه، ويعرض عنه: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْكُ الْإِنْسَانُ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فمتى يؤوب الإنسان إلى ربه؟ ومتى يعرف عظمة نعمه؟ ومتى يشكر ربه؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَحْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

فله الحمد والشكر على ما أعطانا من عقول نعرفه بها، وأعطانا من الجوارح والألسنة ما نكثر به من الحمد والشكر له: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

فيا عبد الشكور، ويا أمة الشكور، كونوا من الشاكرين لربكم على نعمه الظاهرة

والباطنة، فقد سخر كل شيء لكم؛ من أجل أن تعبدوه وتوحدوه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].

وقد وصف الله ﷻ خواص خلقه من الأنبياء والرسل بأنهم من الشاكرين لربهم، كما قال سبحانه عن نوح: ﴿ذُرِّيَّةَ مَن حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء/ ٣]. لما يراه من عظمة الله وكبريائه، ومن عظيم نعمه وإحسانه.

وقال عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجَبَّهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل/ ١٢٠-١٢١].

وقال ﷻ لعائشة رضي الله عنها حينما أشفقت عليه من طول القيام في العبادة، فقالت له: أليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أَفَلَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ومن علم أن ربه سميع بصير، عليم شكور؛ اطمأن قلبه بذكره، ووثق بكفايته: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر/ ٣٦].

وتوكل عليه وحده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣].

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد/ ٢٨].

هذه القلوب تطمئن بذكر الله ﷻ والقرآنكما تطمئن الأرض بالماء فتنبت من كل زوج بهيج، ومن جميع الثمرات: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

والله سبحانه شكور، يحب الشاكرين له، الشاكرين لعباده، المحسنين إلى عباده بأنواع الإحسان.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٧)، ومسلم برقم (٢٨١٩).

• فالدين ركنان:

الأول: عبادة الحق؛ لأنه أهل أن يعبد، وأن يكبر، وأن يعظم، وأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

الثاني: الإحسان إلى الخلق؛ وأعظم الإحسان إلى الخلق هو دعوتهم إلى الله، وتعريفهم بالرب المعبود؛ حتى يستفيدوا من خزائنه، ومن نعمه في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

• وحظ العبد من هذا الاسم الكريم الشاكر والشكور:

أن يشكر ربه على جمال ذاته، وأسمائه، وصفاته، وجميل أفعاله، وإحسانه. وأن يشكر كل محسن من الخلق، وكل من أسدى إليه معروفًا.

قال النبي ﷺ: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ» أخرجه الترمذي وأحمد<sup>(١)</sup>.

وأن يجب المؤمنين بقدر ما في كل واحد منهم من الصفات التي يحبها الله؛ من الشكر والإحسان والإيمان والتوحيد: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

إن الله يحب المؤمنين، ويجب التوايين، ويجب المتطهرين؛ هذه الصفات يحبها الله، وشكر الله لعباده، ومجازاته لهم بالثواب الجزيل، متعلق بالصفات التي يحبها من الإيمان والطاعات، وعظيم شكرهم له بألستهم وجوارحهم وقلوبهم: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء/ ١٤٧].

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٧] [إبراهيم/ ٧].

وإذا غفل العبد عن شكر ربه؛ أرسل الله ﷻ عليه النعم تترأ، نعمة بعد نعمة، صحة وعافية، أرزاق، أموال، أولاد، ليذكره بالنعمة؛ لعله يشكر ويتوب إلى ربه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (١٩٥٤)، وأخرجه أحمد برقم (٧٤٩٥) وهذا لفظه.



بَنَىٰ آدَمَ وَمَحَلَّتْهُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

وإذا نقص صبر المسلم ابتلاه الله بالمصائب؛ ليخرج عبودية الصبر منه، لماذا؟ لأن للأول الشاكر مقامًا عند الله، ودرجة عالية في الجنة لا ينالها إلا بكثرة الشكر، وفلان أو فلانة من الناس له مقام عند الله ودرجة في الجنة، لا يمكن أن ينالها إلا بالصبر، والصبر لا بد فيه من الابتلاء، فيبتليه ليرقيه ويربيه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

وهذا السر في كون بعض الناس فقيرًا، وبعضهم غنيًا، فالله ﷻ يبتلي بالنعم، لينظر من يشكر، ويبتلي بالمصائب، لينظر من يصبر، والله حكيم عليم: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣].

### فالإيمان نصفان:

نصفه شكر.. ونصفه صبر.

فاللهم أعنا على ذكرك، وعلى شكرك، وعلى حسن عبادتك: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٩﴾ [النمل/ ١٩].

واعلم يا عبد الشكور ويا أمة الشكور أن التحدث بنعم الله شكر، وتركه كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ﴿١١﴾ [الضحى/ ١١].

حدث الناس بنعمة الله، النعم المادية التي ملأ الله ﷻ بها هذا الكون من أجلك، وسخرها لك، ومن عليك بالنعمة الكبرى وهي نعمة الإسلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

واعلم يا عبد الشكور أنك إذا لم تجد لعملك الصالح حلاوة في قلبك فاتهم نفسك؛ فإن القلب يتحرك والقلب غافل عن مولاه، والأصل عبودية القلب، وفرعها عبودية

الجوارح: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾

[الأُنْفَال: ٢ - ٤].

فاعلم يا عبد الشكور أنك إذا لم تجد لعملك الصالح من صلاة وصيام وصدقات من حلاوة في قلبك؛ فاتهم نفسك، فقد يكون الإخلاص ناقصًا، وقد تكون المتابعة ليست موجودة، فإن ربك شكور؛ يثيب العامل على عمله في الدنيا قبل الآخرة قرة العين، وحلاوة الطاعة، فإذا لم تجد ذلك؛ فعملك مدخول للشيطان منه حظ، وللنفس حظ، وللهوى حظ: ﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُتْرَكْ بَعَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾

[الكهف/ ١١٠].

يعمل عملاً صالحًا لائقًا بجلال الله، عملاً صالحًا يكون الإنسان به صالحًا للسكن في الجنة، وصالحًا أن يكون مع المؤمنين: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد/ ٢٨].

المطلوب صلاح القلب والقلب، والقلب إذا تحرك بدون القلب فهذا هو النفاق، المنافقون كانوا مع الرسول ﷺ وكانوا يصلون الصلوات الخمس، ويصلون الوتر، ويصلون الضحى، ولكنهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأن قلوبهم وجوارحهم خاضعة، وقلوبهم كافرة: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].

واعلم يا عبد الشكور ويا أمة الشكور أن أعظم الشكر لربك الشكور جل جلاله هو توحيد عبادته، وإخلاص العمل له، وامثال أوامره، واجتناب نواهيه، واتباع رسوله ﷺ في أقواله وأفعاله وأخلاقه: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ/ ١٣].

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان: ١٢].

ومن عرف ربه العظيم باسمه الشكور؛ لازم شكره في ليله ونهاره، فهو ﷻ الذي أعطى النعم، وهو الذي يشكر العبد على إحسانه، ويعطي على قدر شأنه، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَلِكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

فمن عرف ربه باسمه الشكور لازم شكره في ليله ونهاره، في جميع أوقاته، وفي سره وعلايته، وفي قلبه وجوارحه، لماذا؟ لما يراه من عظيم إحسانه ونعمه عليه وعلى غيره، وأعظمها نعمة الإسلام: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فالدين كله شكر، فله الحمد رب العالمين، أنعم عليّ وأنعم على غيري، وأعطاني خيراً، وصرف عني شرّاً؛ وخلقني في أحسن تقويم، واستضافني في بطن الأم، وكمل أعضائي وجوارحي، وأنعم عليّ في الدنيا بنعم مادية لجسدي؛ من طعام، وشراب، ومسكن، وماء، وهواء، وأنعم عليّ بالنعم الروحية؛ وهي الدين، واستضافني في القبر في روضة من رياض الجنة؛ إذا آمنت به وأطعته وشكرته، ويستضيفني يوم القيامة في الجنة وفي أكمل نعيم وسرور: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة/ ١٧].

والعمل كله شكر للمُنعم على نعمه المادية والروحية، شكر لمن يستحق الشكر، لجلاله وجماله وجمال ذاته وأسائه وصفاته.

كثير من الناس يمدح الشيء الجميل المصنوع، ويثني عليه، والله ﷻ هو أحق من عبد، وأعظم من شكر على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

واعلم أيها العبد أن على كل جارحة من الجوارح في بدنك شكراً يخصها. وشكر كل جارحة من لسان، أو عين، أو أذن، أو يد، أو رجل، أو قلب إنما يكون

باستعمالها بتقوى الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوْا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِتِيَاءَهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فهذا الإنسان الله خلقه وهدهد واشترهه، فالجسد بها يحمل من الأعضاء الخارجية، والأعضاء الداخلية، كله مكان للشكر والحمد، والتمجيد والتعظيم للرب الذي يستحق التكبير والتعظيم، والحمد والشكر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فكل جارحة من جوارح الإنسان من لسان أو عين أو أذن أو يد أو رجل أو قلب إنما يكون استعمالها بتقوى الله ﷻ: ﴿فَأَنْقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦-١٧].

وذلك بفعل ما يخص هذه الجوارح من الطاعات، فلكل جارحة عبودية تخصصها، فالعبودية لهذه الجوارح لتكون شاكرة؛ بفعل ما يخصها من الطاعات، واجتناب ما نهيت عنه من المعاصي: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل / ٧٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وأساس الشكر لله هو كمال العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بإحسانه وإنعامه، والعلم بدينه وشرعه، وعبادة الله بموجب ذلك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢].

وإذا عرفتم ذلك أمتتم به، وشكرتموه على نعمه المادية، ونعمه الروحية، وسلمتم من

عذابه، وفرتهم بثوابه: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ﴿١٤٧﴾ [النساء: ١٤٧].

فنحن نحمده ونشكره على نعمه المادية ونعمه الروحية، فالدين كله شكر لله ﷻ. ولهذا الله ﷻ دائماً يُذكرنا بهذه النعم؛ حتى نشكره عليها، فيقول عن نفسه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأُمُورَ مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس / ٣]. ويقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥﴾ [يونس / ٥]. يعرفون ربهم؛ فيشكرونه لعظمته وجلاله، ولنعمه وإحسانه.

هو الملك الذي يستحق الشكر كله، والحمد كله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

هو يغار على عبده أن يتوجه إلى غيره لطلب حاجاته، يريد منه أن يسأله هو: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

لأن السؤال مذلة، والذلة للعزيز عزة، والذلة للحقير مزيد مذلة.

خلق الله الإنسان وأقدره على صنع الطائرات، والسيارات، والقطارات، وغير ذلك من أنواع المصنوعات، وهو الذي خلق الإنسان، وهو الذي خلق فيه العقل، وهو الذي خلق المادة التي تُصنع منها هذه الأشياء: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الصافات / ٩٦]. فله الحمد والشكر كما ينعم كثيراً، وكما يعطي كثيراً: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ﴿١٠﴾ [النحل / ١٠].

والصلاة أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، عبارة عن تعظيم لله وشكر لله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ [الفاتحة / ٢].

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» أخرجه الترمذي وابن ماجه (١).

وبعد الركوع: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، مُحَمَّدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ مَلَأَ السَّمَاءَ، وَمَلَأَ الْأَرْضَ» أخرجه البخاري (٢).

وفي الصلاة: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ» متفق عليه (٣).

فالدين كله شكر للرب ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/ ١٠-١١].

والله ﷻ أشكر من الإنسان، يعطي على الحسنة عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [النحل/ ١٢].

سخر لنا الليل والنهار، والشمس والقمر، لنذكره ونحمده ونشكره كيف تكون الحياة بدون نور؟.

فسبحان من هذا خلقه: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل/ ١٣].

فله الحمد والشكر، خلق البحار وملاها بأنواع النعم: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل/ ١٤].

كم عدد المحيطات؟ المحيط الأطلسي، المحيط الهندي، المحيط المتجمد الشمالي، المحيط المتجمد الجنوبي وغيرها، وكم عدد البحار؟ البحر الأحمر، والبحر الأبيض المتوسط وغيرها، وكم عدد الأنهار؟ وكم فيها من المخلوقات؟ وخلق الجبال، وخلق في بطنها

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣)، وأخرجه وابن ماجه برقم (٨٠٤) وهذا لفظه.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٣٤٦).

(٣) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٢٣٠)، ومسلم برقم (٤٠٢).

مئات المعادن، كل ذلك دلالة على قدرته، وسخره لنا في هذه الحياة؛ لنذكر المُنعم، ونعبده ونشكره، ونمتثل أمره: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل/ ١٥-١٨].

هذه سورة النحل، وتسمى سورة النعم؛ لما فيها من تعداد النعم على الخلق، الله أكبر! ما أجهل الإنسان بربه! وما أقل شكره لربه الشكور! ولهذا نستغفر الله من قلة المعرفة، ومن قلة الشكر، ومن قلة الذكر، ومن قلة العمل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].  
والله ﷻ هو الإله الذي يستحق أن يُعبد، ويستحق أن يُكبر، وأن يُعظم، وأن يُشكر: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الروم/ ١٧-١٨].

ففي كل آن نحن نرى النعم التي خلقها المُنعم، وبها نعرف ذاته وأسماءه وصفاته، نرى الخلق ونذكر الخالق، نرى الأرزاق ونذكر الرزاق، نرى الصور ونذكر المصور.  
فأفعاله العظيمة تستوجب منا الشكر الدائم، والذكر الدائم: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم/ ١٩-٢١].

وجميع المخلوقات خلقها الله ذكراً وأنثى، إلا الإنسان؛ فإنه خلق الأنثى حواء من ضلع آدم؛ دلالة على أن هذا الإنسان لا يسكن إلا إلى زوجه، والزوجة لا تسكن إلا إلى زوج، وإلا حصل الفساد في الأرض.

ومن أفعاله التي يستحق الشكر عليها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَاللُّغَمَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم/ ٢٢].

في الهند أكثر من خمسة آلاف لغة، كم عدد اللغات في العالم؟ وكم عدد اللهجات؟  
واللسان واحد، والفم واحد، فإذا عرفوا الخالق شكروه على جمال الصنع، وعلى  
الإبداع، وعلى عظمة الجلال والجمال: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِّنْ  
فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم/ ٢٣].

ومن أفعاله العظيمة: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
فِيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم/ ٢٤].  
هذه أفعاله في ملكه، تتطلب منا الشكر المستمر: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ  
بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم/ ٢٥].

فسبحان من بيده ملكوت كل شيء: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٍ قَانِتُونَ  
﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٦-٢٧].

فصوص القرآن والسنة تبين عظمة الرب جلّ جلاله، وتبين نعمه وإحسانه؛ ليشكره  
العباد، ويكبروه، ويطيعوه فالخلق كلهم عبيد لملك الملوك، كل ما سوى الله عبد  
لله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك/ ١].

هو الملك القدوس، وكل ما سواه هو عبد له، من العرش العظيم، إلى الكرسي الكريم،  
إلى السماوات السبع وما فيها، إلى الأرضين السبع وما فيها.

فعلينا أن نحسن إلى جميع عبيده من الحيوان أو الإنسان، وأحب الخلق إلى الله أنفعهم  
لعبيده: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ  
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

ومن شكر الله إفراده بالعبادة، وتوحيده، وامثال أوامره، واجتناب نواهيه، والإحسان  
إلى خلقه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي  
لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم/ ٧].

ومما يقوي العبد على الشكر لربه أن يتذكر عظمة ربه العظيم، و يعرف شدة حاجته إلى



ربه، ورؤية نعم الرب عليه، ومعرفة كثرة النعم التي يتقلب فيها الإنسان في كل وقت؛ من ليل ونهار، وحر وبرد، ومطعومات، ومشروبات، ومركوبات، ومسكونات، ومنكوحات: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

فلا بد أن نتعرف على الله، ونعرف أسماؤه وصفاته؛ حتى نُعظمه ونُكبره، ونحمده ونشكره، ونخافه ونهابه: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

ومن أراد أن يزيد شكره لربه؛ فليُنظر إلى من هو أقل منه في النعمة؛ الأعمى والمريض، والفقير والمبتلى، وبذلك نشكر نعمة الله التي نحن فيها، ولا نزدري ما أنعم الله به علينا من نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٨﴾ [النحل/ ١٨].

وشكر العبد لربه لا يكافئ نعمة واحدة؛ كنعمة البصر، ونعمة السمع، ولكن الله كريم، أعطى عبده النعمة والعافية، وحبب إليهم الطاعات، وأعانهم عليها، ثم قبلها منهم، وضاعف لهم أجورها، وقبل منهم الشكر القليل؛ لأنه شكور حلِيم: ﴿إِنْ تُقْرَضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ [التغابن/ ١٧].

مهما عصى الناس فالله عَزَّ وَجَلَّ حلِيم غفور، والعبد الشكور هو كثير الصلاة التي جُلِّها شكر للرب، وتعظيم للرب، وتكبير للرب: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩].

فالعبد الشكور كثير الصلاة، كثير السجود، كثير الذكر لربه عَزَّ وَجَلَّ، كثير الاستغفار، كثير الشكر، كثير الحمد، كثير الصيام، كثير الدعاء، فهل أنا عبد شكور؟ وهل أنا من الشاكرين؟ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَأْمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ [الحشر: ١٨].

إن أجل عبادة تعبد الله ﷻ بها هي عبادة الشكر لله ﷻ، فكن شاكراً لأنعم ربك، وكن من الشاكرين، وإذا رأيت مرضك لم يذهب، ودَيْنك لم يُقَص، ومشاكلك لم تحل، وكربك لم يزل، فاعلم أن شكري ناقص: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝۳﴾ [الطلاق/ ۲- ۳].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝۱۶﴾ [الأعراف/ ۹۶].

فإذا حلت بك هذه المصائب، ودعوت الله ولم يستجب؛ فاعلم أن شكري ناقص، فأكثر من الحمد والشكر لربك الكريم: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ۝۷﴾ [الانفطار/ ۷]. فافعل ما تستطيع من الخير، فإنك لا تدري بأي عمل يُدخلك الله الجنة.

والشكر يكون من العبد بالأقوال والأفعال للإنسان والحيوان، ففي كل كبد رطبة أجر، والله رب هذا المخلوق؛ فأحسن إليه بالعمل الصالح مع كل مخلوق؛ من مسلم أو كافر، حيوان أو إنسان، غني أو فقير، عدو أو صديق: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝۳۰﴾ [الكهف: ۳۰].

فالعمل بعمله لله، وهو الذي يثيبك عليه، فإن لم يصادف محله؛ فالله هو محل الثواب والأجر العظيم جل جلاله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝۱۳۳﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿۱۳۴﴾ [آل عمران: ۱۳۳- ۱۳۴]. المحسنين لمن؟

لكل أحد، والإحسان والشكر من صفات الله ﷻ وقد دعانا للتعبد لله بأسمائه الحسنی فقال: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝۱۸۰﴾ [الأعراف/ ۱۸۰].

وشكر الناس من شكر الله، ولم يشكر الله من لم يشكر الناس: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ۝۱۳﴾ [سبأ/ ۱۳].

لجهله بالله وأسمائه وصفاته، وجهله بملكه وسلطانه، وجهله بنعمه وإحسانه، وجهله

بدينه وشرعه؛ وجهله بوعده ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ  
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فمن أراد السعادة الأبدية؛ فليُسعد الآخرين، بأن يطعم الجائع، ويعلم الجاهل، ويساعد  
الفقير، ويواسي المسكين، ويهدي الضال، ويعين العاجز، ويرحم الصغير، ويغيث  
الملهوف، ويخدم المريض: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ  
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ  
وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

والثناء على الله شكر له: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾  
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ [الفاطحة: ٢-٤].

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء/ ٨٧].  
فكل هذا شكر لله ﷻ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ؛ هذا أحب  
الكلام إلى الله، وهذا كله حمد وشكر للرب ﷻ، وثناء عليه.  
«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا  
اسْتَطَعْتُ...» أخرجه البخاري (١).

فكل هذا حمد وشكر، وثناء على الرب ﷻ.  
«اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ، وَالسَّلَامَةَ  
مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ» أخرجه الترمذي وابن ماجه (١).  
فأبواب السؤال مفتوحة للسائلين، وأبواب الشكر مفتوحة للشاكرين.

وإذا أثنى العبد على ربه فقد شكره، ومن شكره أكرمه، ومن أكرمه الله استعمله في هداه،  
فوصل إلى ربه وهو راضٍ عنه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ  
مُّقَدَّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

وثناء الله عليك، وثناء الناس عليك، كل ذلك فضل من الله عليك: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٤٧٩) وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (١٣٨٤).

فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ [النحل: ٥٣].

لهذا يجب علينا في كل آن الحمد والشكر لله لرب العالمين، لعظمة جلاله، وعظيم إحسانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجنائفة/ ٣٦-٣٧].

فهو المحمود على عظمته وجلاله وكبريائه، وهو المحمود على نعمه وإحسانه. ونعم الله على الناس لا تعد ولا تحصى؛ نعمة الخلق والخلق، ونعمة الصحة والعافية، ونعمة الإيثار والتوحيد، ونعمة المال، ونعمة الطعام والشراب، ونعمة النوم والراحة، ونعمة النور والهواء، ونعمة تسخير الليل والنهار، ونعمة الزوجة والأولاد، ونعمة تسخير الجماد والنبات والحيوان: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَآسَأْتَمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].  
فيجب علينا شكر المنعم بهذه النعم العظيمة، وشكر من يستحق الشكر: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل/ ١١٤].

ومن عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان/ ١٣].

وشكر النعم استعمالها في طاعة الله، حسب أمر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقَكُمُ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة: ١٧٣].

• وشكر العبد لربه يقوم على خمسة أصول:

الأول: خضوع العبد الشاكر للمشكور سبحانه؛ أخضع لربي بقلبي وقلبي، بامثال أوامره واجتناب نواهيه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الثاني: حبه لله ﷻ؛ لما له من صفات الجلال والجمال، أن أحب الذي خلقتني، وأنعم عليّ

بكل نعمة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

الثالث: اعترافه بنعم الله ﷻ عليه؛ فالنعمة تأتينا من واحد، فالمتفاح بيد واحد، والنعمة بيد واحد، والملك بيد واحد، الخير بيد واحد: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

الرابع: الثناء عليه بها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

الخامس: استعمالها في طاعته لا في معصيته: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/٧٨].

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ٥-١١].

حدث بنعم الله عليك، وعلى غيرك، نعمه المادية، ونعمه الروحية.

والنعم تبقى وتزيد مع دوام الشكر لله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن شكر ربه على نعمه؛ شكره الله بالحياة الطيبة في الدنيا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرَ أَوْ أُنتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/٩٧].

ويجزيه يوم القيامة بالجنة والرضوان: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران/١٤٤].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/٧٢].

هذا شكر الله لعبده، وإثابته على عمله الصالح.

ومن لم يشكر النعم، فأساء استعماها؛ عاقبه الله في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٥-١٩].

وقد من الله علينا أن زرنا مملكة سبأ، ورأينا هناك هذه المملكة العظيمة، ورأينا آثارهم هناك، ورأينا السد الذي يجبس سيل العرم، ورأينا الأشجار الخضراء التي تكاد تمد يدها بالثمرات الطيبة، ولكنهم كفروا هذه النعمة؛ فأرسل الله ﷻ عليهم سيل العرم، وهكذا كل من أُعطي نعمة ولم يشكرها؛ إلا ويعاقبه الله في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء/ ١٢٣].

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل/ ١١٢].

وهذا كما هو حاصل في هذه الحروب في لبنان، في فلسطين، في العراق، في سوريا في دول العالم: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

وعباداة الله كلها شكر للمُنعم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِلَّا لَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش/ ١-٤].

فليشكروا الله بتوحيده، والإيمان به، وطاعته، وعبادته، وعدم عبادة ما سواه، ليسعدوا

في الدنيا والآخرة: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء/ ١٤٧].

فهو نعم المولى، ونعم النصير، ونعم الشاكر؛ فالكريم يعطي على قدر شأنه، والعظيم يعطي على قدر شأنه، لا يرضى أن يعطي على الحسنة مثلها؛ بل يعطي عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف؛ لأنه شاكر وشكور، عظيم الشكر، كثير الشكر: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

ونعمة الهداية أعظم نعمة، وشكرها بعبادة الله وحده، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات/ ١٧].

فلنشكر الله بقلوبنا وجوارحنا، ونسارع إلى طاعة ربنا؛ شكرًا له على ما أنعم به علينا: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج/ ٧٧].

وندعو خلقه إليه: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

ليكون كل من دخل في هذا الدين بسببك، أو تعلم بسببك، في صحيفتك، الله يريد منك عطاءً من نفسك لنفسك بالعبادة، وعطاءً منك لغيرك، بالدعوة إلى الله، وتعليم شرعه: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

والله أمر كل مؤمن أن يأكل من الطيبات، ويشكر الله عليها بعبادته، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وكلما زاد إيمان العبد زاد شكره لربه، وكلما زاد شكره زاد حب الله له، وزاد إكرامه له، وزاد توفيقه له: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

فكلما زاد إيمان العبد زاد شكره لربه بقلبه ولسانه وجوارحه، وإذا نقص الإيمان نقص الحمد والشكر، وقل الاستغفار والتوبة.

ولهذا أمرنا الله بذكره كثيرًا؛ حتى نذكر أسماءه وصفاته، ونعمه وإحسانه، فنزداد له شكرًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۗ﴾ (٤٣) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

فاتصفوا بهذه الصفات التي يجبها ربكم، ولا يشعر بقيمة النعمة إلا من فقدتها: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وِمَقَوِّنِكُمْ ۗ﴾ (محمد/ ١٩).

كلما ازددت معرفة بالله ازددت شكرًا له، وكلما شكرت ربك أحبك، وإذا أحبك أسعدك في الدنيا والآخرة.

ومن أسباب قلة الشكر نسيان الماضي بما فيه من فقر وقلة، وبلاء وشدة، أن ينسى الإنسان ماضيه حيث كان فقيرًا فأغناه الله، ومريضًا فشفاه الله، وذليلًا فأعزه الله، وضالًا فهداه الله، وجاهلًا فعلمه الله وعلاج التقصير يكون بتذكر نعم الله ﷻ التي لا تعد ولا تحصى، ورؤية نعم الله عليه، وسؤال الله أن يعينه على ذكره وشكره وحسن عبادته.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» أخرجه أحمد وأبو داود<sup>(١)</sup>. ومن علاج التقصير في الشكر: تذكر أنك مسئول عن شكر نعم الله عليك، وأنت سوف تسأل عنه يوم القيامة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

وأن ينظر العبد إلى نعم الله بالإجلال والإكبار؛ حيث ساقها الله إليه، ومكّنه من الانتفاع بها، ونفع الناس بها، وأن ينظر إلى من هو دونه في النعمة فيشكر الله، والإكثار من ذكر الله وشكره وحمده.

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٢١٧٢)، وأخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢) وهذا لفظه.



والإنسان دائماً بين نعمة وذنوب، فالنعمة لا تبقى إلا بالشكر، والذنوب لا تزول إلا بالاستغفار.

واعلم بأن شكر العينين: أن تنظر بها في الآيات الكونية والآيات القرآنية؛ فتزداد تعظيماً وتكبيراً للرب، وتزداد شكراً وحمداً للرب.

وإن رأيت بعينيك خيراً نشرته، وإن رأيت شراً سترته: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق: ٦-٨].

وشكر الأذنين: أن تسمع بها القرآن، والعلم الشرعي الوارد في السنة النبوية، إن سمعت بها خيراً أذعته، وإن سمعت بها شراً دفتته: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

وشكر اليدين: البذل والعطاء في الشدة والرخاء، والضرب بالسيف عند مواجهة الأعداء، وألا تأخذ بها ما ليس لك، ولا تمنع بها حقاً ليس لك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

فاليد أمانة، والعين أمانة، والأذن أمانة، فنستعمل هذه الأمانات التي أعطانا الله إياها فيما يحبه ويرضاه، لا فيما يسخطه ويكرهه: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٣﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢-١١٣].

وشكر الفرج: أن نستعمله في إكثار النسل وقضاء الوطر، وإعفاف النفس عن الحرام حسب شرع الله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون/ ٥-٧].

ولا يجوز مباشرة الرجل للمرأة إلا من طريقين:  
إما بالنكاح الشرعي .. أو ملك اليمين.  
وما سوى ذلك فهو اعتداء.

وشكر الرجلين: أن تمشي بهما إلى الطاعات؛ من صلاة، وحج، وعمرة، ودعوة، وتعليم،  
وجهاد، وإحسان إلى الخلق، وألا تمشي بهما إلى أماكن الفساد، والمحرمات، والقبائح:  
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا  
﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٤].

وشكر اللسان: أن تذكّر الله به، وتحمده به، وتتلو كتابه به، وتستغفر الله به: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ  
وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾  
[الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

#### • فعبودية اللسان شكرها في أمرين:

أحدهما أن تتكلم مع الله في العبادة: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُرْسَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ  
مِنَهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: ١ - ٤].  
تحمّد الله على النعم، وتمجّده لأنه هو المجدد، وتكبره لأنه الكبير، وتسأله حاجتك،  
وتستغفره من ذنبك.

الثاني أن تتكلم عن الله بين يدي الخلق بالدعوة إلى الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمُدْتِرُّ ﴿١﴾ قُرْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾  
وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَيُبَايِعُكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾  
[المدثر: ١ - ٧].

فشكر اللسان أن تذكّر الله به، وتحمده به، وتتلو به القرآن، وتدعو به إلى الله، وتعلّم به  
العلم الشرعي، وتمجّد به الرب، وتقول به الحق: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ  
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].  
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾﴾ [الإخلاص/ ١ - ٢].

وتسكت عن الغيبة والنميمة، وقول الزور، وإذاعة ما يفتن الناس، والدعوة إلى الرذيلة،

ونشر الباطل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ [الحج / ٣٠-٣١].

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل / ١١٦-١١٧].

وشكر الفكر والعقل: أن تستعمله لإصلاح نفسك، وإصلاح غيرك، وأن تكون مفتاحاً لكل خير، ومغلقاً لكل شر، ولا تستعمله في ضد ذلك فتخسر: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلْأَنفَالِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف / ١٧٩].

وشكر نعمة الوقت والفراغ: أن تملأه بأنواع الطاعات الانفرادية والاجتماعية؛ من قراءة قرآن، وصلاة، ودعوة، وتعليم، وإحسان إلى الخلق: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام / ١٦٢-١٦٣].

ومن أحسن إليك من الخلق فاشكره، وأول من تشكر بعد الله والديك اللذين هما سبب وجودك: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء / ٢٣-٢٤].

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان / ١٤].

وأحسن إلى كل الخلق كما أحسن الله إليك: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

وقال الرسول ﷺ: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تَكْفُوتُوهُ؛ فَادْعُوا لَهُ

حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ» أخرجه أبو داود والنسائي (١).

والذي يريد أن يكافئ من أعطاه؛ أن يعطيه أكثر مما أعطاه، فكان الرسول ﷺ يُهدى إليه، فمقابل الهدية، وشت عليها بأكثر منها، والمئة من يعطي الناس من خيره، ولا يطلب منهم أن يشكروه، وإنما يطلب الثواب من الله: ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨) ﴿إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ (٩) [الإنسان/ ٨-٩].

وبقدر الإخلاص تكون عظمة الثواب: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤) [النساء/ ١١٤].

لهذا من الله ﷻ علينا بمعرفة أسمائه وصفاته، وعرفنا بأنه الشاكر، الشكور، الكريم، الرحيم، الغفور، لتتعبد لله بموجب هذه المعرفة. ولما كان الله ﷻ هو الشكور الحق؛ كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر، وأبغض خلقه إليه من عطلها، واتصف بضدها.

فهو سبحانه مؤمن يحب المؤمنين، شكور يحب الشاكرين، تواب يحب التوابين، رحمن يحب الراحمين، عفو يحب العافين، جميل يحب أهل الجمال، كريم يحب أهل الكرم: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) [الأعراف: ١٨٠].

أي: تخلقوا بها واتصفوا بها على شاكلة العبودية، والله يحب أسماءه وصفاته، ويجب من تخلق بها واتصف بها، ويبغض سبحانه الكافرين، والمشركين، والخائنين، والحاسدين، والفاسقين، وغيرهم مما يتنافى مع مقتضى أسمائه الحسنی، وصفاته العلی: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨) [الحج/ ٣٨].

الله لا يحب الظالمين، ولا يحب الكافرين، ولا الظالمين، ولا المعتدين، ولا الملحددين.

والتعبد لله بهذا الاسم الكريم يكون بدوام شكر الله على نعمه التي ابتدأها، والنعم التي يجددها في كل آن؛ وذلك باستعمالها في طاعته، والعمل بما يرضيه، واجتناب ما

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٦٧٢)، وأخرجه النسائي برقم (٢٥٦٧) وهذا لفظه.

يسخطه: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رُجُومُكَ لَيْنِ شَكَرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنِ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

والله شكور يحب الشاكرين؛ ولهذا أكرم جميع بني آدم بأصناف النعم؛ ليشكروه: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رِزْقًا لَهُمْ مِمَّنَّ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم، وزوده بالأعضاء الظاهرة والباطنة؛ كالسمع، والبصر، والعقل، والقلب، وغيرها؛ ليتذكر هذه النعم، ويشكر من أنعم عليه بها. فكن من الذاكرين الشاكرين، وقم بذكر ربك وشكره دوماً بلسانك وقلبك وجوارحك؛ ليذكرك ربك، ويزيدك من فضله، ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿ فَأذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة/ ١٥٢].

واذكر ربك كثيراً، وسبح بحمده كثيراً، واشكره كثيراً، وكبره تكبيراً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

واحمد ربك العظيم على كل خلق خلقه، وعلى كل أمر أمره، وعلى كل رزق يرزقه، وعلى كل نعمة أنعم بها عليك وعلى غيرك، وعلى كل بلية دفعها: ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [٣٦] وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

وأكثر الناس عن شكر نعم الله الكثيرة غافلون، وهم في نعم الله يتقلبون: ﴿ إِنِ اتَّخَذْتُمُ اللَّهَ لَدُوًّا فَلْيَأْتِكُم بِآيَاتِنَا وَلْيَصْغُرْ عَلَيْكُمُ الْمَقَاسُ ﴾ [البقرة/ ٢٤٣]. واعلم أنه لا يحلو الليل إلا بمناجاة الكريم الشكور: ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٤].

ولا يحلو النهار إلا بخدمة العباد والإحسان إليهم: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَالْكٰظِمِيْنَ الْغَيْظِ وَالْعَافِيْنَ عَنِ النَّاسِ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿١٣٤﴾

[آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

فقم بالليل مع الشكور تحمده وتشكره، وتمجده وتعظمه، وتسأله وتستغفره، واشكره على النعم التي لا تعد ولا تحصى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ ﴿٦﴾ [المزمل: ٦].

وكن في النهار مع الخلق، وأحسن إليهم، وذكّرهم بشكر ربهم، واشكر لهم إحسانهم، وعلمهم شرع الله، واقض حوائجهم: ﴿كُونُوا رِبٰنِيْنَ يٰمَآ كُنْتُمْ تُعَلِّمُوْنَ الْكِتٰبَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُوْنَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

واعلم أنه إذا جاء الإنسان خير مباشر؛ فإننا ساقه إليه ربه، فليشكر ربه على ما خصه به من هذا الخير، وليقل: ﴿هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيْ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيْمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [النمل/ ٤٠].

أما إذا جاءك الخير من إنسان؛ فيجب عليك أن تشكر الله أولاً؛ لأنه هو الذي خلق هذا الخير، وخلق من جاء به، وألهمه، وسمح له، ومكّنه، أن يوصله إليك، تشكر من أجرى الله الخير والنعمة على يديه، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

واعلم أن الله شكور يحب الشاكرين، ومن تجاوز النعمة إلى المنعم؛ فهو الشكور الذي يشكر ربه على نعمه، ويسدي خيره إلى خلقه: ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيْمٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [النمل/ ٤٠].

فسبحان ربنا الشكور الشاكر الذي خلقنا وهدانا، وأمدنا بالنعم، وخلق لنا ما نشكره عليه، وخلق فينا ما نشكره به من الأعضاء والجوارح والقلوب: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيْشَةً قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ [الأعراف/ ١٠].

﴿وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُوْنٍ أَمْهَتِكُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

واشكر مولاك على ما أعطاك من نعمه، وأحسن إلى الخلق كما أحسن الله إليك، وهذه هي حقيقة العبودية: ﴿يَتَّأَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوْا لِلّٰهِ إِنَّ

كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ [البقرة/ ١٧٢].

وقد أغوى الشيطان أكثر الخلق حتى أطاعوه عبوده، ونسبوا له الضر والنفع، وتصريف الأرزاق، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مَتَيْتَهُمْ وَلَا مَتَيْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَنَّ إِذَا نَعِمَ وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [النساء: ١١٨-١٢١].

فعبدوا الشيطان وأولياؤه من دون الله، مع ظهور البرهان: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

فلا إله إلا الله! كم أضل الشيطان من الخلق! وكم غر منهم! وصر فهم لعبادته من دون الله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبا/ ٢٠].

فاشكر ربك العظيم بحسن عبادته، ولزوم طاعته، والعمل بشرعه، والدعوة إليه، والصبر على ما يأتيك من الأذى في سبيله، فلن ينجيك من العذاب والخسار إلا ذلك: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر/ ١-٣].

واعبد ربك بما يحبه ويرضاه، لا بما تحبه وتمواه، ولا تشتغل عنه بنعمه، ولا تبع هداه بهواك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لِيَجْزِيََنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي لِي نَبْتَ إِلَيْكَ يَا رَبِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف/ ١٥].

﴿رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص/ ١٧].  
«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ.»

أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.

اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ «متفق عليه»<sup>(١)</sup>.

اللهم يا من له خزائن السموات والأرض، يا واسع العطاء، يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا رب العالمين، يا غفور يا شكور، يا ذا الجلال والإكرام، اللهم أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ، اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يا قوي يا عزيز، اللهم لك الملك كله، ومنك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، ولك الحمد كله، ولك الشكر كله، نسألك العفو والعافية، والفوز بالجنة، والنجاة من النار يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الحليم

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الحليم

الله ﷻ خلق هذا الإنسان في أحسن تقويم، وأحسن خلقه ظاهراً وباطناً، وجعل له غذاءين يسعد بهما في دنياه وأخراه .

غذاء الأبدان يكون بالطعام والشراب الطيب، واجتناب الطعام والشراب الخبيث.

• أما غذاء القلوب فيكون بمعرفة سبعة أمور هي:

١- معرفة الرب الذي نعبده. ٥- ومعرفة عدو الإنسان وهو إبليس.

٢- ومعرفة القرآن الذي نسير على هديه. ٦- ومعرفة الدنيا التي نعيش فيها.

٣- ومعرفة الرسول الذي نتبعه. ٧- ومعرفة الآخرة التي سوف نصير إليها.

٤- ومعرفة الإنسان المطلوب منه العبادة.

فهذا جماع العلوم والمعارف التي تغذي القلوب، ومن عرف هذه العلوم فقد دخل جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة ، وأعلى العلوم على الإطلاق هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة خزائنه ووعدته ووعيده، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة ثوابه وعقابه: ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتُونَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

ومفاتيح أبواب معرفة الله بأسمائه وصفاته ستة أقسام .

لا بد من معرفة هذه الأبواب، وكيف نفتح على هذه الأبواب، فإن الله ﷻ عظيم، وله الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض، وأسمائه وصفاته كلها حسنى، وهي بالغة في الحسن والجمال كماله ومنتهاه، فلا أحسن بوجه من الوجوه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨].

فأسماء الله ﷻ أحسن الأسماء، وصفاته أحسن الصفات، وأقواله أحسن الأقوال، وأفعاله أحسن الأفعال، ومخلوقاته أحسن المخلوقات، وأحكامه أحسن الأحكام، وشرائعه أحسن الشرائع، وكتبه أحسن الكتب، ورسله أحسن الرسل، وأوامره أحسن الأوامر، وثوابه أحسن الثواب، فأسماء الله ﷻ كلها حسنى، ومعرفتها أغذية للقلوب،

لأنها تدل على صفات الكمال والجلال والجمال لله ﷻ، فهي أسماء مدح وحمد وثناء، وأسماء تمجيد وتعظيم وإجلال، وأسماء رحمة ولطف وإحسان: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء/ ١١٠].

ومفاتيح أبواب معرفة الله بأسمائه وصفاته ستة أقسام، لا بد من ضبط هذه الأقسام، حتى يسهل علينا معرفة الله بأسمائه، وصفاته وأفعاله، ثم التعبد لله بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

• وأسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:

الأول: معرفة الأسماء الدالة على ذات الله ووحديته: مثل: الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، وأمثالها.

الثاني: معرفة الأسماء الدالة على الملك والقدرة: مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، وأمثالها.

الثالث: معرفة الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد: مثل: اسم الرب الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، وأمثالها.

الرابع: معرفة الأسماء الدالة على العلم والإحاطة لله ﷻ: مثل: السميع، البصير، والعليم، والخبير، والرقيب والشهيد، والحفيظ، والمحيط، وأمثالها.

الخامس: معرفة الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة: مثل: اسم الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحلیم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، وأمثالها.

السادس: معرفة الأسماء الدالة على الهداية والبيان: مثل: الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل، وأمثالها.

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، لهذا لا بد قبل العبادة من معرفة المعبود، ثم معرفة ما نعبده به من أوامره الشرعية، لتتوجه إلى رب معروف ومعلوم لدينا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

فكما أن الأغذية من طعام وشراب تنفع الأبدان؛ فكذلك القلوب تحتاج إلى الغذاء، وهو

معرفة الله، ومعرفة أسماؤه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعيده .

هذه سبعة أمور مغذية للقلوب، تحرك الجوارح بأنواع العبادات ، وتحرك اللسان بالذكر والشكر، والحمد والثناء على الرب ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] .

ولله ﷻ من أسماؤه الحسنى الحليم، هو الحليم الذي يدر على خلقه صنوف النعم الظاهرة والباطنة، مع كثرة معاصيهم، وتكرار زلاتهم وأخطائهم؛ لأنه الحليم الرحيم بعباده، يمهلهم كي يتوبوا وينبوا، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم: ﴿ تَسِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِيحُ بِحِمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

هو سبحانه الحليم ذو الصفح والأناة، الذي لا يعجل على من أذنب بالعقوبة .

الحليم على من كفر به، وأشرك من خلقه، يمهله ويرزقه كأنه لم يعصه؛ لعله يتوب وينيب إلى ربه، ويستغفر من ذنبه: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة/ ٢٣٥] .

هو سبحانه الحليم العظيم الذي وسع حلمه جميع خلقه من مؤمن وكافر، وبر وفاجر . هو الحليم الذي خزائن كل شيء عنده، ويعطي منها من شاء من خلقه في كل آن، وفي كل مكان .

خزائن العلم عنده، خزائن الرحمة عنده، خزائن الأخلاق عنده، خزائن الأموال عنده، خزائن الأرزاق عنده، خزائن الأمن عنده، خزائن الطعام عنده، خزائن المعادن عنده : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١١﴾ ﴾ [الحجر/ ٢١] .

فبيده خزائن كل شيء، خزائن الهداية والضلالة، خزائن العزة والذلة، خزائن الأمن والخوف ، خزائن العافية والمرض .

هو جل جلاله الملك الحليم، الذي إذا أحب عبداً حبب إليه الإيمان، وأعانه على طاعته، وكره إليه معصيته، وأعطاه خلقاً حسناً: ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنْ

الْأَمْرِ لَعْنَتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

هو سبحانه الحليم الذي يمهل العاصي إذا عصاه، ويقبله إذا تاب إليه، فإن أصر على معصيته؛ أصر العقاب عنه؛ لعلمه بأنه لا يخرج عن ملكه، وأنه لا يضر بمعصيته إلا نفسه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة/ ٥٥].

فسبحان الحليم الرحيم الذي يمهل ولا يهمل من عصي: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

فاتق الله أيها العبد، ولا يغرنك تقلب الكفار في نعيم الدنيا الجسدي مع حلم الله عليهم، فسيعقبه عذاب أليم: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١١٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآبِرَارِ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١١٦-١١٨].

هو سبحانه الحكيم في تدييره، الحليم الذي يضع الأمور في مواضعها، ولا يؤخرها عن وقتها، ولا يعجلها قبل أوانها: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةً بَّالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

فسبحان الحليم الغفور الذي يرى ويبصر عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم ويؤخر عنهم العقوبة؛ لعلمهم يتوبون إليه، ويستتر على آخرين ويغفر لهم، ويفرح أشد الفرح بتوبة التائبين ويحبهم، فسبحانه ما أحلمه على خلقه! ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر/ ٤٥].

وحلم الله جل جلاله على الكفار والعصاة والطغاة ليس لعجزه عنهم، فإنه قوي جبار، قادر قاهر لا يعجزه شيء، وإنما حلمه وعفوه عنهم رحمة بهم؛ لعلمهم يتوبون إليه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء/ ٢٧-٢٨].

وحلم الرب جل جلاله ليس عن عدم علم بما يعمل العباد من الطاعات والمعاصي؛ بل

هو العليم الحليم الذي يعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، من خير وشر : ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ (٥١) [الأحزاب / ٥١].

فهو عليم بكل قول أو فعل، حسناً كان أو سيئاً، ولكنه حليم يثيب الطائعين على طاعاتهم، ويمهل العصاة لعلمهم يتوبون إليه؛ لكمال رحمته وحلمه : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ بِالنَّكَاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٤٣) [البقرة: ١٤٣] .

وحلم الجبار على العصاة ليس لحاجته إليهم، أو عجزه عنهم؛ بل هو الغني الذي يحلم عليهم، ويصفح عنهم؛ رحمة بهم، مع استغنائه عنهم، وشدة حاجتهم إليه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (١٥) [فاطر: ١٥].

وهو جل جلاله الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، القادر على كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد؛ من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في الكون : ﴿ سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٦٨) [يونس: ٦٨] .

فسبحان ربنا الحليم الذي يصبر على أذى خلقه ومعاصيهم! الحليم الذي لا يجبس ويمنع إحسانه وإنعامه وأرزاقه عن عباده الذين كفروا به وعصوه ، لكنه كريم رحيم، يرزق العاصي كما يرزق المطيع، ويبقي الفاجر وهو منهمك في معاصيه، كما يبقي البر التقي .

وقد يقيه بل وقاه جل جلاله الآفات والبلايا وهو غافل لا يذكره! كما يقني الناسك الذي يؤمن به ويعبده؛ لكمال رحمته: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢٢) [الحشر / ٢٢].

ووسع حلمه البر والفاجر، والمؤمن والكافر والمطيع والعاصي .

فسبحانه ما أوسع حلمه! وما أعظم رحمته بعباده! ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٦٥) [الحج / ٦٥].

وقال النبي ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ؛ إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩)، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

فسبحانه ما أعظم حلمه على عباده! خلقهم في أحسن تقويم، وأمدهم بالأرزاق، وأسكنهم في ملكه، وتابع عليهم النعم، وهم يعصونه بالجوارح التي خلقها لطاعته، والألسنة التي خلقها الله لذكره وشكره، ولكن لسعة حلم الله ورحمته بعباده يمهلهم ولا يمهلهم، لأنه الرحمن الرحيم الذي يؤخر العذاب عنهم رحمةً بهم؛ لعلهم يتوبون، ولكن الناس يغترون بالإمهال وحلم الله عليهم، فيزيدون في الإعراض والمعاصي والفسوق؛ اغتراراً بهذا الإمهال: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار/ ٦- ٨].

بل الأجلاف والجهال من البشر يرفضون تلك الرحمة والإمهال، ويسألون الله أن يعجل لهم العذاب والنقمة؛ لجهلهم بالله ﷻ وأسمائه وصفاته، كما قال الله ﷻ عن كفار قريش: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٢) وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانِ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَفُونُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ [الأفقال: ٣٢- ٣٤].

فسبحان الله! ما أظلم الإنسان لنفسه! وما أجهله بربه! وما أعظم حلم الله عليه! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٤٣) [البقرة: ٢٤٣].

والله ﷻ غني حليم، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، وتأخير العذاب عن الكفار والفسقار إنما هو في الدنيا فقط، لعلهم يتوبون أما في الآخرة فهم مخلدون في النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكِئَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١٢﴾ [البقرة/ ١٦١- ١٦٢].  
والله غفور حليم، ولولا حلمه على الجناة، ومغفرته للعصاة؛ ما ترك على ظهر الأرض من دابة: ﴿وَلَوْ يُوَاسِخُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (٤٥) [فاطر/ ٤٥].

بل من عظمة جرم وكفر أهل الأرض؛ تستأذن السماء أن تقع على الأرض، وتكاد السماوات والأرض أن تزولا من شدة ما يأتي به العباد من المعاصي والكبائر والمحرمات، والكفر والفسوق والعصيان، وتكاد تنفطر من ذلك، ولكن الحليم يمسكها لئلا تزول وتقع على من عصى الله ﷻ في أقواله وأفعاله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان الرب الحليم الذي جعل في مقابل هذا الكفر والفساد أسبابًا يجبها ويرضاها من الإيمان والتقوى، تقابل تلك الأسباب التي هي سبب زوال العالم وخرابه لولا حلم الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال/ ٣٣].

فدفع الحق سبحانه تلك بتلك؛ لأنه الحليم الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه، وسبق حلمه عقوبته: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا ابْجَهَلَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام/ ٥٤].  
وقال النبي ﷺ: قال الله ﷻ «سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
فسبحان الله العظيم! ما أعظم حلمه ورحمته بعباده!

هو الذي خلق ما يرضيه وما يسخطه، فإذا أغضبه كفر الخلق ومعاصيهم، وظلمهم وفسادهم؛ أرضاه تسبيح الملائكة في السماوات، وتسبيح عباده المؤمنين في الأرض، وحمدهم له، وعبادتهم له، لهذا لا بد من تغذية القلوب بمعرفة أسماء الله وصفاته؛ ومعرفة حكمة الحكيم في خلقه وأمره، حتى نعرف الرب المعبود، فنحن محتاجون إليه في كل حال، محتاجون إلى الغني لأننا فقراء، وإلى القوي لأننا ضعفاء، وإلى القادر لأننا عاجزون، وإلى الشافي لأننا نحتاج إلى شفائه، وهكذا، نتعبد لله بأسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والله ﷻ هو الحليم الذي يسمع ويرى جميع مخلوقاته، ولا يخفى عليه شيء في الأرض

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٥٥٣)، ومسلم برقم (٢٧٥١).



ولا في السماء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وسع حلمه جميع خلقه .

هو الحليم الذي وسع حلمه أهل الكفر والشرك، وأهل الفسوق والعصيان، وأهل الصغائر والكبائر، هو الحليم الذي لكمال حلمه منع عقوبته أن تحل بأهل الظلم عاجلاً؛ لأنه الحليم الذي يمهل من عصاه ليتوب، ويذكره لينيب إلى ربه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر/ ٤١].

ولكن الله ﷻ لا يهمل من أصر على الكفر، واستمر في الطغيان والإجرام والإفساد: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخَذَ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود/ ١٠٢]. وأخذ كل أمة بما أذنت لما أصرت على الذنب: ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

هو سبحانه الحليم بالصفح والأناة، الحليم القادر الذي لا يستفزه غضب، ولا يستخفه جهل جاهل، ولا عصيان عاصي، ولا سفه سفيه: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ولكمال حلمه جل جلاله يدر نعمه الظاهرة والباطنة على الكفار والعصاة، كما يدر نعمه على المؤمنين والمطيعين له؛ لأنه لا رازق إلا هو، والأمر كلها بيده .

فسبحان الحليم الذي يمهل عباده الطائعين ، ليزدادوا من الخير والطاعة، ويزدادوا من الحسنات، ويزدادوا من الثواب والأجر: ﴿ إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [التغابن/ ١٧].

هو الحليم الذي يمهل العصاة الذين يتقلبون في الكفر والشرك والمحرمات، لعلهم يرجعون إلى الحق والصواب، ولو عجل لهم الجزاء؛ لما نجى أحد من العقاب؛ ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ

إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ  
بَصِيرًا ﴿٤٥﴾ [فاطر/ ٤٥].

هو الرب الحليم الذي من سعة حلمه أنه لا يعاجل أهل الظلم والطغيان بالعقوبة والانتقام، ولا يجبس عنهم بذنوبهم الخير والإنعام والإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لِرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فلا إله إلا الله! لولا حلمه على الجناة، ومغفرته للعصاة؛ لما استقرت السماوات والأرض في أماكنهما: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١].

وسبحانه الحليم الذي لا بداية ولا نهاية لحلمه، ولا أحد أستر وأحلم منه، حليم كريم رحيم، يؤخر العقوبة عن الكفار والفجار والعصاة، وهم في نعمه يتقبلون.  
قال النبي ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبِرُ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ؛ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدَاءً، وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فسبحان الله العظيم! ما أوسع حلمه على من عصاه! فهو ملك الملوك والأملأك، الملك الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، الذي يفعل ما يشاء، وكل خلقه مضطر إليه في كل حال، وإذا بهم يبارزونه بالمعاصي والعظائم، وهو الحليم الذي يتحجب إليهم بالنعم، ويصرف عنهم النقم، ويعافيهم ويرزقهم كأنهم لم يعصوه، ويوالي عليهم نعمه وإحسانه كأنهم لم يزالوا يشكرونها: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لِرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

هو سبحانه الحليم الذي عرف عباده بسعة حلمه وعفوه وكرمه، وإمهاله للعصاة؛ لينبئوا إليه، ويرجعوا إليه، وهو القادر الذي لو شاء لعاجل بالعقوبة على الذنوب فور وقوعها: ﴿وَكَلَّيْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ عَنَّا عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَدَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ [٨] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا﴾ [٩] [الطلاق: ٨-٩].

فسبحان الحليم الذي يشاهد العاصي، ويسمع العاصي، ويرى العاصي وهو يبارزه بالمعاصي والآثام، ومع ذلك يطعمه ويسقيه، ويحرسه بعينه التي لا تنام: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٤).

إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْعَيْبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ [الحشر/ ٢٢].

هو سبحانه الحليم على كل من عصاه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

والحلم صفة ذاتية للرب ﷻ، وحلمه لا ينفك عنه أبداً، وكذا الحلم صفة فعلية، وحلمه على الخلائق يتجدد في كل زمان ومكان، وفي كل حال: ﴿تَسِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِيحُ بِحِمِّهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الحليم الغني الذي لا يغفل، الحليم الذي لا يعجل، الحليم الذي يتجاوز عن الزلات والهفوات، ويعفو عن السيئات .

هو الحليم الذي خلق الإنسان واستخلفه في ملكه، واستبقاه إلى أجل معلوم، فأجل بحلمه عقاب الكافرين: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

وعجل بفضله ثواب المؤمنين: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].  
هو سبحانه الحليم ذو الصفح والأناة الذي يتحبب إلى من عصاه بالنعيم، ولا يعاجلهم بالعقوبة؛ لعلهم يتوبون إليه .

هو الحليم الذي من قصر في حقه لم يقطع عنه رزقه، وأمد كل إنسان بنعمة الخلق والإيجاد، ونعمة العطاء والإمداد، ونعمة الهداية والإسعاد، فله الحمد كثيراً كما ينعم كثيراً، ويحلم كثيراً، فمن قصر في حقه لم يقطع عنه رزقه؛ لأن مفتاح باب الرزق عنده وحده، لا يخرج إلا من جهة واحدة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

فهو سبحانه الحليم، ولولا كلمة سبقت من الله بالرحمة، لكن لزاماً عقاب الكفار والعصاة، وتعجيل عقوبتهم، ولكن الله أمهلهم لعلهم يتوبون إلى ربهم، لأنه حليم غفور جل جلاله، الله خلق الناس لرحمته وجنته، ولكنهم يعصونه، فيمهلهم

ليتوبوا: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزِمَامِ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [طه/ ١٢٩].  
 لأن الله ﷻ جعل للناس أجلاً مسمى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [١١] ﴿المنافقون/ ١١﴾.

هو سبحانه الحليم على كل من سكن بأرضه، وعصاه بنعمه، فيمهله لعله يتوب إلى ربه:  
 ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٥٣] ﴿الزمر: ٥٣﴾.

فسبحان الله! ما أعظم حلمه على عباده!: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقد ورد اسم الله الحليم في القرآن إحدى عشرة مرة؛ منها قوله سبحانه: ﴿إِنْ نُقِرْ صُوا اللَّهُ فَرَضًا حَسَنًا يَضَعْفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن/ ١٧].  
 وقوله ﷻ: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٦٣].

وورد في السنة في دعاء الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
 فالله ﷻ غفور حليم، وشكور حليم، وغني حليم، وعليم حليم.  
 • وحلم الله جل جلاله أنواع:

الأول: حلمه على من آمن به إذا قصر في طاعته، أو فعل ما حرمه.  
 الثاني: حلمه على من كفر به، وأشرك به، وعبد غيره، فالحليم يمهله، ويدر عليه نعمه، لعله يتوب إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران/ ١٥٥].

الثالث: حلمه على من آذى رسله وأولياءه، والدعاة إليه، والمجاهدين في سبيله.  
 الرابع: حلمه وصبره على الأذى والسفه الصادر من العباد تجاه ربه قال ﷻ: «لَا أَحَدٌ أَضْرَبُ عَلَىٰ أَذَى سَمِعَهُ مِنْ اللَّهِ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وما أعظم ظلم العباد الذين قالوا على الله غير الحق! ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلِجُنُوبِهِمْ قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة/ ٦٤].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٥)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (٢٧٣٠).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٨)، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا  
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ  
وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة/ ٧٣-٧٤].

يتودد الحليم إليهم مع مقاتلهم الشنيعة العظيمة؛ ليتوبوا إليه.

الخامس : من حلمه العظيم أنه أبقى السماوات والأرض مع شدة معاصي الخلق في  
الأرض: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ  
إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

فستغفر الله وتوب إليه من كل معصية نعلمها أو نجهلها، نستغفر الله من التقصير،  
نستغفر الله من الغفلة، نستغفر الله من الإعراض .

هو سبحانه الحليم الذي يدر على عباده صنوف النعم الظاهرة والباطنة ، مع كثرة  
معاصيهم الظاهرة والباطنة؛ لأنه الحليم ذو الحلم الكامل، العفو ذو العفو الشامل،  
الرحيم ذو الرحمة الواسعة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ  
الْكَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

هو سبحانه الملك العزيز الحليم، العزيز الرحيم، القوي القادر الذي لا يستغزىه غضب  
فيعاجل بالعقوبة؛ لأنه الملك القادر على كل شيء، ولا يستخفه جهل الجاهلين، ولا  
عصيان العصاة، ولا إعراض المعرضين؛ لأن الخلق خلقه، والأمر أمره، والملك ملكه،  
يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ذَلِكُمْ  
اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا  
تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الحليم الذي له الحلم الكامل، الذي وسع حلمه أهل الكفر والشرك، وأهل  
الفسوق والعصيان، وأهل الظلم والطغيان: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن  
مِنْ شَيْءٍ إِلَّا لَيْسَ بِحِجَابٍ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

هو سبحانه الرب الحليم الحبي السثير، فلكمال حلمه يمهل من كفر به أو عصاه، ويستره  
ولا يعاجله بالعقوبة؛ لعله يتوب إليه، ثم يقبل توبته: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ  
وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الشورى/ ٢٥].

فكل إنسان مكشوف عريان أمام ربه بأقواله وأعماله، وحرركاته وسكناته ، وسره وعلانيته ، وظاهره وباطنه .

فليستح العبد من ربه ومن سعة حلمه أن يبارزه بالمعاصي، ولا يغير بحلمه جل جلاله على عباده : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَنَسُوا ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد: ١٦-١٧] .

فاعلموا أن الله غفور حلیم ، وأن الله شديد العقاب : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٨﴾ [المائدة: ٩٨] .

فكل عاص لله محتاج إلى حلیم كي يتقي عقوبة معصيته، وإلى ستير يستر عليه سواته ولا يفضحه، وإلى حيي يقبل عذره إذا رفع إليه يديه بالدعاء، مفتقراً إليه، متذلاً بين يديه، فالله يناديه ليتوب إليه، ويخبر أن من أقبل عليه غفر له ورحمه : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ [النساء/ ١١٠] .

والله ﷻ هو الحلیم الذي لكمال حلمه يظن العاصي أنه يعبد بأحسن عبادة، لكمال حلمه جل جلاله ، ويدر نعمه على العصاة كما يدر نعمه على أهل الطاعة ، لكمال كرمه وإحسانه .

واسم الله الحلیم لم يرد في القرآن إلا مقرونًا باسم من أسماء الله الحسنی، كما قال سبحانه : ﴿ تَسْبِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤] .

وقد اقترن اسم الله الغفور باسمه الحلیم، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ [فاطر/ ٤١] .

وسر ذلك والله أعلم أن الحلیم ليس من شأنه المعاجلة بالعقوبة لمن عصاه؛ لأنه لا يستعجل إلا من يخاف فوت الفرصة، والله سبحانه قادر لا يعجزه شيء .

وكلُّ أحد متصاغر لكبريائه، ومتذلل لعزته، وخاضع لأمره ، ومسرع إلى إرادته .

فحلّم الله صفة كمال، ومغفرته صفة كمال، واقتران الحلیم بالغفور كمال ثالث .

فهو سبحانه يرى العباد وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم عليهم، فيؤخر ويؤجل

عقوبتهم لعلمهم يتوبون، ويستر آخرين من عباده ويغفر لهم، فما أعظم رحمة الله وحلمه على عباده! .

فهو سبحانه حلیم على الكفار، يسقيهم من هذا الماء العذب، ويطعمهم من الطعام الطيب، ويسكنهم في أرضه، ولا يعاجلهم بالعقوبة على غفلتهم ومعاصيهم، غفور لمن تاب منهم، حلیم على من لم يتب منهم: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

هو سبحانه الغفور الذي يغفر الذنوب ولا يفضح الخلق؛ ولولا مغفرة الله وحلمه على عباده، لعنتوا أشد العنت؛ لأنه يعلم ما في قلوبهم من خير أوشر، فليبادروا إليه بالتوبة، فإنه غفور حلیم: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

فكل ما أضمره العبد الله ﷻ يعلمه ويغفره ويستره، ولا يعاجل صاحبه بالعقوبة، لكمال حلمه ورحمته بعباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

• وهو رب رحيم يقابل عصيان العباد له بكاملين:

الأول: أنه يمهلهم، ويؤخر العذاب عنهم؛ ليستغفروا ويتوبوا: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥].

الثاني: أنه يتجاوز عنهم ويسترهم، ويدر عليهم نعمه، مع كثرة معاصيهم له، ليتوبوا إليه: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

واقترن اسم الله الحليم بالشكور في القرآن مرة واحدة، كما قال سبحانه: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن/ ١٧].

وسر ذلك والله أعلم أن الله كريم، خلق العبد، ثم رزقه، ثم سأله مما أعطاه قرصًا يضاعفه له، ثم يشكر له ما أعطاه، وهو يعامله بالحلم في تقصيره عن شكر مولاه .

واقترن اسم الله الحليم باسم الله الغني في القرآن مرة واحدة، كما قال سبحانه: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَدَىٰ ۖ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٦٣].

وسر ذلك -والله أعلم- أن الله غني عن كل أحد، بل يحتاج إليه كل أحد، فهو غني عن صدقات الناس، ونفعها وثوابها عائد عليهم لا عليه، فلا يليق بالغني من البشر أن يمن

بصدقته التي وهب الله له، ويتبعها بالأذى من قول أو فعل .

والله حلِيم لا يعاجل بالعقوبة من فعل ذلك؛ لكمال رحمته وحلمه، وينبغي للعباد أن يقتدوا به ويتصفوا بصفاته، وفي هذا تعليم للعبد من ربه الحلِيم، بأن لا يعاجل بالغضب والأذى حين يعطي خيراً، ويقابل من الناس بالأذى ، وعدم الشكر، فإن الله مع كمال غناه؛ حلِيم يتجاوز عن عصاه، ويوالي عليه نعمه، كأنه لم يعصه، لأن الله رؤوف بالعباد: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحج/ ٦٥).

واقترن اسم الله الحلِيم بالعلِيم في القرآن ثلاث مرات، كما قال سبحانه: ﴿وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَلِيمٌ﴾ (النساء/ ١٢).

وسر ذلك والله أعلم بيان سعة حلم الله ﷻ، ولسعة حلمه سبحانه قرنه باسمه العليم الذي وسع علمه كل شيء: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر/ ٧).

فسبحان الرب العظيم الذي وسع حلمه ما وسعه علمه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر/ ٢٢).

وكذا اقترن اسم الله الحلِيم بالعظيم في دعاء الكرب، كما قال ﷻ في دعاء الكرب: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فالعظمة صفة كمال، والحلم صفة كمال، واقترانهما مع بعض كمال ثالث، وسر هذا الاقتران -والله أعلم- هو أن حلم الله وسبحانه على عباده عن كمال العظمة والقوة والقدرة، لا عن ضعف وعجز وحاجة، فعظمته سبحانه يزينها الحلم، فهو الرحمن الرحيم ، القوي القادر، وحلمه على الكفار والعصاة والطغاة عن قوة واقتدار؛ لأنه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (هود: ٦٦).

وهو الحكيم الحلِيم العليم بظواهر الأمور وبواطنها، وهذا هو الحلم الكامل الذي لا يكون إلا لله وحده: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٥)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).



﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص / ١ - ٤]

هو الحليم الذي ليس كمثلته أحد في الحلم، هو العليم الذي ليس كمثلته شيء في العلم، وهو القوي الذي ليس كمثلته أحد في القوة، وهكذا .  
فسبحان الحليم الذي لا يعاجل العصاة والكفار بالعقوبة، مع أنهم أجرموا وأذنبوا؛ لعلمهم يتوبون .

وهو الحليم الذي يصبر على أذى خلقه له، بسبهم له، وإشراكهم به، ونسبتهم إليه الصاحبة والولد، وقولهم: إن الله فقير ونحن أغنياء، وقولهم: إن الله ثالث ثلاثة: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران / ١٨١].

الله أكبر! ما أعظم حلمه! وما أعظم رحمته بعباده جل جلاله! وما أعظم جهل الناس برهم ، وما أعظم كذبهم عليه : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤] .

واعلم أيها العبد أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميدة ، وحده لا شريك له، ولا مثيل له، ولا شبيه له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى / ١١].

هو الحليم الذي ليس كمثلته شيء في الحلم، وهو السميع الذي ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير الذي ليس كمثلته شيء في البصر، القوي الذي ليس كمثلته شيء في القوة. والمخلوق قد يسميه ربه جل جلاله باسم من أسمائه؛ كالعزيز والحليم، كما سمي إبراهيم: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾ [هود / ٧٥].

لكن على المعلوم من نقص البشرية ، والمعهود من فقر الخليقة، والمعروف من ضعف الآدميين، فالله حليم، والإنسان قد يكون حليماً، ولكن على شاكلة العبودية، وحلم الله مطلق، ليس له أول ولا آخر، أما حلم العباد فهو محدود حادث، وهو من عطاء الله، ومن لم يشكره سلبه الله منه : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم: ٧] .

والحلم من الصفات الجمالية، وهو نور في باطن العبد، وزين في ظاهره، وبه يكون جمال

الصفات، وبه تكون الأفعال على ما ينبغي ، في الوقت الذي ينبغي ، للشخص الذي ينبغي ، بالقدر الذي ينبغي، وهذه هي الحكمة التي ظهرت في أكمل البشر محمد ﷺ الذي جَمَعَ اللهُ فيه جميع صفات الأنبياء، وقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [الفلم/ ٤].

ولا تكون حكمة إلا بنور الحلم والعلم، ولا يتصور ذلك على التمام كله إلا في الحليم الحق جل جلاله، وكلُّ يُوْتِيهِ اللهُ منها بقدر نور الحلم والعلم: ﴿قُلْ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُطِيبُوا شَيْئًا مِمَّا بَدَدْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَفِيكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْيُنُكُمْ وَاللَّهُ يُبْصِرُ الْغُيُوبَ﴾ ﴿٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

فيجب على العبد أن يطلب من الله الحكمة والهداية كما يطلب العافية والرزق، ويطلب منه الصفات الحميدة؛ لأن الله ﷻ يحب أسماءه وصفاته، ويجب من تخلق بها . فالله مؤمن يحب المؤمنين، والله محسن يحب المحسنين، والله تواب يحب التوابين ، والله شكور يحب الشاكرين.

ولنعلم أن كفر الخلق وشركهم وظلمهم عظيم، ولكن حلم الله على عباده لا يحيط به أحد، ورحمته لهم وسعت كل شيء، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٧﴾ [غافر/ ٧].

هذه القلوب إذا تغذت بمعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ صارت قلوباً ملكية، والملائكة من طبيعتهم أنهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ [التحريم/ ٦].

ويعبدون الله ﷻ بذاته وجلاله، وكمال إنعامه وإحسانه، وبقدر معرفة الرب تكون عبادة العبد: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وِمُتَوَلِّكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

فسبحان الرب العظيم الرحيم الحليم! ألا تراه جل جلاله يتحنن إلى من كفر به ، وأشرك به، لعله يتوب إليه ويستغفره من ذنبه، فيقول: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ رَبَّ اللَّهِ تَالِثُ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ

كُفِرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ [المائدة/ ٧٣ - ٧٤].

يدعوهم للاستغفار والتوبة، فيغفر لهم لكمال حلمه ورحمته على من كفر به وعصاه .

وقد جعل الله ﷻ في ملكه العظيم ، وتدبيره الحكيم ما لا يفقهه إلا العالمون الربانيون، وما لا يعرفه إلا المؤمنون المتقون : ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَكُرُ أُولَئِذَا أَتَى الْأَلْبَابَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقِضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ [الرعد/ ١٩ - ٢١] .

والله حكيم عليم، خلق في مقابلة ما يحبه ما يكرهه، وفي مقابلة ما يرضيه ما يسخطه، وفي مقابلة طاعته معصيته، وفي مقابلة ما يشكره ما يعاقب عليه ، خلق الملائكة وخلق الشياطين، وخلق من يعصيه ومن يطيعه، والكل خلق الله، ليعبد بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠] .

الله تواب يتوب على من كفر وعلى من عصى، والله غفور يغفر لمن عصى، والله رؤوف بالعباد، فخلق جل جلاله في ملكه ما يحبه وما يكرهه، وابتلى العباد بذلك، الله ﷻ ابتلى عباده بثلاثة أمور : الأوامر الكونية ليعرفوا قدرته وعظمته، وبالأوامر الشرعية ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، وبالمصائب القدرية ليعلم من يتوجه إليه عند المصيبة ممن يتوجه إلى غيره : ﴿ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ [العنكبوت: ٢ - ٣] .

فستغفر الله من جهلنا ومعاصينا وتقصيرنا، خاصة في معرفة أسماء ربنا، ونسأله أن يغفر لنا ويعلمنا ما ينفعنا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣] .

فسبحان ذي الجبروت والملكوت! لا إله غيره، ولا رب سواه، له الكبرياء والعظمة، ما أوسع حلمه! وما أرحمه بعباده! .

يرى ما يحبه وما يكرهه، ويرى من يطيعه ومن يعصيه، ويرى من يشكره ومن يكفره، ويسمع ما يرضيه وما يسخطه، ويسمع من يسبحه ومن يسبه، ويسمع من يوحدده ومن

يشرك به، لا تضره معصية العاصين، ولا تنفعه طاعة الطائعين: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤٣) تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤) [الإسراء: ٤٣ - ٤٤].

وكل الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي ملكه، والكل في قبضته، والكل تحت قهره، والكل عبيده، وله وحده الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٤٤) [الحشر/ ٢٢ - ٢٤].

فسبحان الله! ما أعظم أسمائه وصفاته! وما أعظم ملكه وسلطانه! وما أعظم حلمه وعفوه! وما أعظم صبره على من كفر به وعصاه! ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) [غافر: ٦٥].

وعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: يُؤَذِّنِي ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو جل جلاله الملك القادر القاهر، الذي لا يعجزه شيء، ولا يفر منه شيء، ولا يغيب عنه شيء، ولا يفوته شيء، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

هو الملك الحق الذي خلق السماوات والأرض بالحق، ودينه الحق، وكتبه حق، ورسله حق، بيده الملك والخلق والأمر كله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام/ ١٠٢].

هو الملك الغني القوي الذي تفرد بالملك والملكوت، القادر الذي لا يعبأ بها سواه، ولا يطيع من خالفه وعصاه: ﴿وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٧١) [المؤمنون/ ٧١].

فسبحان العليم الحليم الذي جعل في السماء من خلقه من يؤمن به ويعبده، ويطيع أمره! ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩)

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٩١)، ومسلم برقم (٢٢٤٦).

يُسَبِّحُونَ آتِلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩ - ٢٠].

فهؤلاء هم الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، هذا في العالم العلوي .

وجعل سبحانه في العالم السفلي في الأرض من يؤمن به ويسبح به ويعبده، ويطيع أمره، كما جعل فيها من يكفر به ويكذب رسله: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن/ ١ - ٢].

وكل أهل الأرض أرسل الله إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ورجبهم في الإيمان والطاعات، وحذرهم من الكفر والمعاصي، وبين لهم العاقبة، وترك للمكلفين من الإنس والجن أمر الاختيار: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ٢ - ٣].

﴿ وَقِيلَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٢٩ - ٣٠].

فخلق الله الإنسان مختارًا، ولم يكرهه على عمل، بل الله حبيب إليه الإيمان وبين له ثوابه، وحذره من الكفر وبين له عقابه، وكل يختار ما يشاء، فلا إكراه في الدين، ولا يخرج أحد عن مشيئته، لا بالكفر ولا بالإيمان، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبدًا، والله عالم بما كان وما يكون وما سيكون: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٧ - ٢٩].

وكل واحد من بني آدم بعد تحمل الأمانة حر يفعل ما يشاء، وسوف يحاسب على ما عمل من خير أشر: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢ - ٧٣].

فمتى يفقه من حبسه الشيطان ، أو الهوى ، أو حب الدنيا والشهوات عن هذه الأسماء العظيمة ، وهذا الثواب العظيم؟ : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

• والكلام على اسم الله الحليم ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن نتكلم عن اتصاف الله ﷻ بهذا الاسم العظيم، وعن آثاره في الكون.

الثاني: التبعد لله بالتخلق بهذا الاسم والتجمل به، بعد معرفة عظمة حلم الله على عباده .  
معرفة الله ﷻ ، ومعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ومعرفة وعده ووعدته؛ هذه الأمور السبعة هي مغذيات القلوب بالتوحيد والإيمان ، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته توجه العباد إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتقواه وخشيته ، والاستعانة به، والتوكل عليه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

فالله ﷻ هو الملك الحق ، العزيز الجبار ، الرحمن الرحيم ، وحتى نعبد الله كما يجب ويرضى، فلا بد لنا من معرفة أسمائه وصفاته، ومعرفة أفعاله في ملكه العظيم، ومعرفة أفعاله بأعدائه، ومعرفة أفعاله بعباده المؤمنين، ومعرفة أفعاله في خلقه: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩]

[محمد: ١٩] .

فالله ﷻ ملك عظيم، الملك ملكه، والخلق خلقه، والأمر أمره، هو الواحد القهار العزيز الغفار، هو العالی فوق خلقه، وهو القاهر فوق عباده: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] .

أما أفعاله في ملكه العظيم، فهي خلقه العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] .

• وخلق الله في السموات والأرض ستة عوالم:

عالم الجهاد .. وعالم النبات .. وعالم الحيوان .. وعالم الإنسان .. وعالم الملائكة .. وعالم الجن .

فهذه العوالم الكبرى كلها تسبح بحمده، وتشهد بوحدانيته بفطرتها، وكل ذرة في كل جرم منها تسبح بحمده وتقدس له: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].  
 ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٣] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

أما أفعاله جل جلاله في عباده فقد خلقهم في أحسن تقويم، وسخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، وأكرمهم بأنواع الكرامات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [٧٠].  
 [الإسراء: ٧٠].

وزودهم بالآيات العليم: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل/ ٧٨].  
 ﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عِلْمَ الْقُرْآنِ ٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣﴾ عِلْمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن/ ١ - ٤].

وأمد خلقه بأنواع الأقوات: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

وأمر من اختارهم وخيرهم من الجن والإنس بالإيمان والعمل الصالح، وأجزل لهم الأجر والثوبة، وحذرهم من الشرك والمعاصي فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

وأما أفعاله جل جلاله في أعدائه: فهو الجبار على الظالمين والمجرمين والمعتدين. هو القوي العزيز الذي يفعل بأعدائه ما يستحقون إذا أصروا على كفرهم، كما قال ﷻ: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا

أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت/ ٤٠].

فهو جل جلاله العزيز الجبار الذي يفعل بأعدائه الذين حاربوا رسله وكذبوهم ما يشاء . وهو العزيز الرحيم الذي يفعل بأوليائه ويكرمهم بما يشاء، فهو الحفيظ الذي يحفظ أوليائه مما يكره لهم، لا مما يكره العبد، فالله يحفظ العبد بما يجب وبما يكره، لا بما يحبونه هم أو يكرهونه هم .

فأفعال الرب جل جلاله مع أعدائه عظيمة ، كما يرحم أوليائه فهو كذلك يبطش بأعدائه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفِسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ ﴿١٤﴾ [الفجر/ ٦- ١٤].  
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ [الفيل/ ١- ٥].

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ [هود/ ١٠٢].

وأما أفعاله جل جلاله في ملكه العظيم فكما قال سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ [نوح: ١٥- ٢٠].

وقال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ [ق/ ٦- ٧].

وقال ﷻ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَنَا ﴿١٧﴾ [النبا: ٦- ١٧].

وقال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ [فاطر/ ٤١].



وقال ﷻ: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية/ ١٧ - ٢٠].

فسبحان العظيم الحليم الذي هذه أسماؤه وصفاته ، وهذه أفعاله في ملكه العظيم ، وهذا خلقه وتدبيره ، وهذا حكمه وإحسانه : ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣].

والله ﷻ كريم خلقنا وأمدنا بالأسعاع، والأبصار والعقول، وأعطانا العقل لنعقل به أعظم شيء وهو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه ، والعلم بثوابه وعقابه : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتُونَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

فالله ﷻ له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، وليس كمثلها شيء وهو السميع البصير . هو السميع الذي أعطانا السمع لنسمع به أحسن شيء : ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧ - ١٨].

وأعطانا الأبصار للنظر في الآيات الكونية ، والآيات القرآنية : ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].  
وأعطانا اللسان ، لتكلم به بأعظم شيء ، وأحسن شيء : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

ونذكر الله ونحمده ونشكره ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١ - ٤٢].

وندعو الناس إلى توحيدهِ وعبادته : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١ - ٢٢].

وأعطانا الجوارح وجعلها أمانات في أيدينا، فالعقل أمانة، والقلوب أمانة، والأبصار

أمانة، والأسماع أمانة، والبدن أمانة، وأمرنا بأداء هذه الأمانة العظيمة في المسارعة والمسابقة إلى الخيرات، وإلى ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

هو السميع الذي خلقنا وخلق فينا السمع، فماذا نسمع؟ وماذا نسمع؟ ومن نسمع؟ الواجب علينا أن نسمع بهذا السمع الذي أعطانا الله أحسن شيء ، وهو كلام الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف/ ٢٠٤]. ونُسمع أنفسنا ، ونُسمع ربنا ذكره وحمده وتكبيره، ونُسمع الناس ما يحبه الله ويرضاه من الدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٣].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي يجب منا أن نتخلق بالأخلاق التي يحبها جل جلاله . والله جل جلاله هو الملك الحق الذي تجب علينا عبادته ، لأنه الذي تفرد بالملك والملكوت ، والعزة والجبروت، وله الملك والخلق والأمر وحده لا شريك له: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ إِلَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ؕ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

ومن فضل الله ﷻ علينا أن عرفنا بأسمائه وصفاته حتى نتوجه إليه، إن كنا فقراء سألنا الغني، وإن كنا مرضى سألنا الشافي ، وإن كنا ضالين سألنا الهادي ، وإن احتجنا إلى الرحمة سألنا الرحمن الرحيم، وإن احتجنا إلى القوة سألنا القوي فأعطانا من قوته ما نتقوى به على طاعته، والعمل بشرعه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].  
ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي غذاء القلوب، وبها يتم التوحيد .

ويتحقق الإيمان الذي يثمر قوة الطاعة، وقوة العبادة، ودوام الذكر والشكر لرب العالمين .

فالله ﷻ يرضى لكذا، ويغضب من كذا، ويصبر على كذا، ويعجل العقوبة لهذا، ويلعن هذا، ويهلك هذا، ويغرق هؤلاء، ويدمر هؤلاء، ونحو ذلك من الأفعال؛ فذلك كله من أفعاله سبحانه، وفعله جل جلاله منفصل عن صفاته، موجود في معاني أسماؤه، يفعله جل جلاله عند وجود سببه، فهو ينتقم عند وجود السبب، ويضحك عند وجود السبب؛ ليظهر لعباده كمال قدرته ، وعز ربوبيته، ليعلم العباد ذلك، فيرهبوه ويخافوه ويتقوه، ويسرعوا إلى طاعته ، وامثال أوامره ، واجتناب نواهيه : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة/ ٧٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَلْهَدُوا مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة/ ١٥٩].

جاء اللعن بسبب الكتمان: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [١٥٩] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَثُوبٌ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ١٥٩ - ١٦٠]. تابوا من بعد ما ظلموا، وأصلحوا ما أفسدوا، وبينوا ما كتموا، فصفاة اللعن والانتقام من معاني أسماؤه جل جلاله، وليست من صفاته الدائمة .

أما أسماؤه الحسنی ، وصفاته العلی ، فهي من لوازم ذاته، ومن لوازم كماله لا تنفك عنه أبداً، فهو رحمن ورحيم، وكريم وعفو، وعزيز وغفار، هذه أسماء ثابتة له لا تنفك عنه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢ - ٢٤]. هذه أسماؤه التي هي من لوازم كماله، لا تنفك عنه أبداً .

وحلم الله ﷻ على عباده الظالمين يراه كل إنسان في سبل عفوه ومغفرته ورحمته وإمهاله، وترك معالجة الظالمين بالعقوبة مع جحدهم الحق ، وعنادهم له، ووصفهم الرب ما لا

يليق بجلاله وتكذيب كتبه ورسله، وهذا الجرم العظيم من الخلق تكاد السموات يتفطرن منه، وتكاد منه السموات والأرض أن تزولا كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر/ ٤١].

حليماً بعباده ، غفوراً لهم، يصبر على ما صدر منهم من المعاصي والمنكرات ، لعلهم يتوبون .

فما أعظم حلم الحليم الحق بعباده! يعافيههم ويرزقهم، وهم يعصونه بنعمه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٧٤].

وما أوسع حلم الجبار على عباده الظالمين لأنفسهم وغيرهم! ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ [الكهف/ ٥٨].

وإذا أمعن العاقل النظر، وبالع في الاعتبار والتدبر، رأى أن عيش جميع الخلائق بعظيم حلم الله وإحسانه، وعفوه، وسعة رحمته ومغفرته: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].

فالله ﷻ سخر لجميع الخلق من مسلم وكافر، بر وفاجر، سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض، من هذا النور، وهذا الهواء، وهذا الماء العذب، وهذا الطعام الشهي، وأسكنهم في ملكه، وأطعمهم من رزقه، وألبسهم مما خلق لهم، فكل الخلائق قعود على موائد نعمه ، ومع ذلك الإنعام أكثرهم يعصونه : ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٧٤].

يتوبون من ظلمهم وشركهم، ويعودون إلى ربهم : ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات/ ١١].

ألا ترى أيها المسلم وأيتها المسلمة، الرب ﷻ ذا العزة والجلال ، والجبروت والملكوت ، والكبرياء القوي القادر على كل شيء ، يحلم على العصاة ، ويؤخر العقوبة عن

المستحقين لها؛ لعلهم يرجعون إليه؛ لسعة حلمه ورحمته! ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج/ ٦٥].

ورحمته جل جلاله وسعت كل شيء، وحلمه وسع كل شيء، ويحلم الله ﷻ على العصاة؛ حتى يظن المعتز أنه ليس يعلم، ويمهل حتى يتوهم الجاهل أنه يهمل، ويستر حتى كأنه ليس يبصر، وينعم على العصاة حتى كأنهم بالمعاصي يرضونه، وبإيذاء أوليائه وسب أنبيائه يسرونه، فلا إله إلا الله! ما أوسع حلمه! ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣] [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان ربنا الواسع الكريم الحليم، الذي وسع كل شيء رحمةً وعلماً، ومغفرةً وحلماً. اللهم ارحمنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ولا تهلكنا بما فعل السفهاء منا: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيْنَا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ حَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [١٥٥] [الأعراف/ ١٥٥].

فهذا ما يجب لله ﷻ من معرفة أسائه وصفاته حتى يأتي اليقين وتأتي التقوى في القلب، ثم يأتي التبعيد لله ﷻ بأسائه وصفاته، وفعل ما يحبه ويرضاه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٨٠] [الأعراف: ١٨٠].

## التعبد لله ﷻ باسمه الحليم

الله جل جلاله مع كمال أسمائه وصفاته ، وعظمته وكبريائه، وعظمة أفعاله في ملكه ، ومع أعدائه ومع أوليائه، وكمال قدرته وقوته، وكمال وعزته ، حليم على من عصاه، يتحجب إلى العصاة بالنعم ، لعلهم يتوبون إليه، فمن باب أولى العبد الضعيف العاجز أن يعفو على من سفه من الناس عليه : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

والتعبد لله بهذا الاسم الكريم أن يحلم الإنسان على من عصاه، ولا يعاجله بالعقوبة، فإنه إما جاهل ، أو سفيه ، أو متعجل ، فيصبر على من آذاه، ولا يعاجله بالعقوبة، ويتعود الصفح حتى يكون الحلم سجية له، فيصبر على من آذاه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه، ويحسن إلى من أساء إليه، وهذه هي أمهات الأخلاق، والأنبياء والرسل في الذروة العليا من هذه الأخلاق العظيمة ، وذلك كله ثمرة الحلم والعلم ، والإيمان والتقوى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التغابن/ ١٤] .

### • والحلم درجتان:

فمنه ما يكون سجيةً وجبلةً وعطاءً من الرب، فالله كما خلق الإنسان خلق فيه الصفات، كما قال النبي ﷺ لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن الحلم ما يكون بالتعلم والاكتساب، وإنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، والصبر بالتصبر .

والحلم في البشر هو سيد الأخلاق، فمن عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز مالت إليه القلوب، وفاز بمغفرة علام الغيوب: ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [النور/ ٢٢] .

والحلم في بني آدم هو حبس النفس عن السخط عند الغضب، عند سماع ما يكره، أو

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧).

رؤية ما يسوؤه، وقد وصف الله خليله ﷺ إبراهيم بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ [٧٥] [هود/ ٧٥].

فهو حلیم لا يعاجل أحدًا بالعقوبة فورًا، ومنيب رجاء إلى الله بالتوبة والاستغفار، وأواه كثير التأوه، يتوجع من أمور كثيرة، يتوجع من غشيان الناس للمعاصي، وجرأتهم على الكبائر، ومن تأخرهم عن الإيمان بالله ﷻ، ويتوجع من رؤية المعاصي، ويتوجع من مكر الكفار بالمؤمنين، ويتوجع من عدم إيمان أبيه، وعدم قبوله دعوته، وذلك لكمال معرفته بربه، وصفاء قلبه، وشدة رحمته للناس: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٣٠] شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَّهُ وَهَدَنُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [١٣١] [النحل/ ١٢٠-١٢١].

والمؤمن إذا عرف أن ربه حلیم أحبه، وحمده على سعة حلمه، وعظيم عفوه، وجميل إحسانه، واستحيا منه أن يعصيه .

فهذه المعرفة بحلم الله ﷻ تولد عند العبد محبة الله، وحمد الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [١٩] [محمد: ١٩].

فالعبد يستحيي من ربه أن يعصيه إذا عرف أن ربه حلیم على من عصاه من المخلوقات، أو تكررت منه معصيته، وهو يحلم عليه ويمهله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] [الحشر/ ٢٢].

هو سبحانه الحلیم الذي نعمه لا تحصى مع كثرة ما يعصى من المعاصي القولية والفعلية: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٥٣] [الزمر/ ٥٣].

وسع حلمه المؤمن والكافر: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [٣٨] [الأنفال/ ٣٨].

ويتودد الله ﷻ إلى عباده بعظمة حلمه ورحمته فيقول: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [١١٠] [النساء/ ١١٠].

فالله سبحانه حلیم يجب من اتصف بهذه الصفة، فالله يجب أساءه وصفاته، ويجب من

اتصف بها، فالله مؤمن يجب المؤمنين، والله سلام يجب المسلمين، والله شكور يجب الشاكرين، والله تواب يجب التوابين .

والإيمان باسم الله الحليم يثمر ثمرات عظيمة، فيثمر حب الله ﷻ، والحياء منه، ويثمر حمده وشكره، والمبادرة إلى التوبة من معصية الله، فلا يعقل أن يسكن الإنسان في أرض الله ، ويعصي الله بنعم الله، فليستح العبد من ربه، لأنه يدر عليه النعم، وهو يواجه ربه بالمعاصي والمنكرات: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾﴾ [الانفطار: ٦] .

والله ﷻ يتودد إلى عباده، ويأمر نبيه أن يخبر المؤمنين أنه الغفور الرحيم، فيقول ﷻ: ﴿نَجِيَّ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/٤٩-٥٠] .

فاحذر سخط الحليم وعقوبته، فإنه الذي قال: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزخرف/٥٥] .  
فأغرق فرعون بعد ملكه وجبروته في البحر، لأنه أسخط الله، وأصر على كفره ، فالله ﷻ دمره تدميراً .

فإذا زاد طغيان البشر فلا بد من الانتقام، لإزالة الباطل الذي فيه ظلم الناس : ﴿وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود/١٠٢] .  
فمن لم يتب إلى الله ﷻ من ظلمه وطغيانه؛ فلن يفلت من العقوبة في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت/٤٠] .

والله ﷻ يمهمل ولا يهمل ، ورحمته سبقت غضبه، ولكنه شديد الانتقام لمن عصاه وطغى وتجبر: ﴿وَكَايَنَ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾ [الطلاق: ٨-٩] .

ومن عرف الله باسمه الحليم تخلق بهذا الاسم ، وتعبد لله به، فحلم على من سفه عليه، وصبر على من آذاه، لينال رضا مولاه، ويدخل جنته جل جلاله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ



وَالصَّرَّاءِ وَالْكُظَيْمِ الْعَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ  
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وأكمل الناس خلقاً وخلقاً وحلماً سيد الأولين والآخرين؛ محمد ﷺ الذي قال عنه ربه:  
 ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۗ فَاعْفُ عَنْهُمْ  
 وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

وأخبر عنه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤].

فإنه ﷺ فرق الأخلاق العالية، والأخلاق الكريمة، في الأنبياء، ثم جمعها في سيد  
 الأنبياء، ثم فرقها في أمة سيد الأنبياء: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ  
 خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠].

فنعم الراكب ونعم المركوب، فالراكب محمد ﷺ، ركب على بساط الأخلاق العالية،  
 وهو الذي يقول ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ الصَّالِحَ الْأَخْلَاقَ» أخرجه أحمد (١).  
 فاللهم إنا نسألك العمل الصالح، والخلق الحسن، والحلم حسنه وأحسنه .  
 وأحسن حلم حلم الأنبياء والرسل الذين رباهم الله واصطفاهم، وأرسلهم بأحسن  
 الصفات إلى خلقه، وأمرنا بالاعتداء بهم، فقد أكملهم الله بالتوحيد والإيمان، وحسن  
 الأخلاق، وأمرنا بالاعتداء بهم .

والإنسان لا بد له من قدوة، فإما إن يقتدي بالأنبياء والمرسلين، وإما أن يقتدي  
 بالحيوانات والشياطين.

والله أمر رسوله ﷺ أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ  
 فَبُهِدَتْ لَهُمْ أَقْدَادُهُمْ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الطَّلَعُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٨٩٣٩).

الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ [الزمر: ١٧- ١٨].

وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب/ ٢١].

والحلم من أعظم الصفات التي تؤلف بين القلوب، وهي من الصفات المرة على النفس، من الصفات المرة التي يحلي الله بها عباده مع شدتها وصعوبتها، ولكن من طلبها وسعى في تحصيلها وجدها، وهذه هي أصول الأخلاق :  
أن تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، وتحسن إلى من أساء إليك، وتعطي من حرمك .

فمن تخلق بهذه الأخلاق الكريمة ؛ فقد ارتقى في أخلاقه، فإن المؤمن يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم .

قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا» أخرجه البخاري (١).

وقال ﷺ: « أَقْرَبُكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » أخرجه أحمد (٢).

فالحلم من أعظم الصفات التي يشق على العبد التخلق بها مع الناس، والواجب على المؤمن أن يجاهد نفسه على التخلق بهذه الصفات الكريمة؛ لينال الأجر من ربه عليها :  
﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٤].

فالحلم مبني على الصبر، وتحمل كل أذى من الناس .

فانظر إلى حلم الله على الكفار، هم الذين يسبونه ويشتمونه، ويكفرون به، ويكفرون برسله، ويكذبون أنبياءه، ويعادون أوليائه، وهو الذي يطعمهم ويسقيهم ومع ذلك فالله غفور حلیم : ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] .

والحلم الذي يريده الله ﷻ، ويجب على الله ورسوله هو الحلم الذي يكون عن عزة واقتدار، لا عن ذل ومهانة، مبتغياً بذلك وجه الله وحده : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٧٢٧٨).

الَّذِينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ [البينة: ٥] .

وأول الحلم المعرفة، ثم التثبت، فأعرف أن فلاناً قال كذا، وأثبتت من ذلك، ثم العزم، ثم التصبر، ثم الصبر، ثم الرضا، ثم الصمت والإغضاء، ثم الإحسان والثناء، وما الفضل إلا بالإحسان لمن أساء: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَالِي وَالسَّافِرِ وَالْمَكْنُونِ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤] .

فأول الحلم المعرفة، أن تعرف أن الله ﷻ حلِيم، وأن الأنبياء والرسل تخلقوا بهذا الخلق العظيم، وأن لك ثواباً عظيماً إذا تخلقت بخلق الحلم والصبر والعفو .

وأعظم من أودى في الله، وتحمل الشدائد في سبيل الله، هو سيد الخلق محمد ﷺ، فصبر وغفر، وعفا وأكرم، حتى أظهر الله به دينه: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم/٦٠] .

فما أعظم حلم النبي ﷺ على من آذاه وسبه، وأخرجه من كفار قريش، ومن اليهود، ومن المنافقين! ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨] .

والمسلم يؤجر على حلمه وصبره: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر/١٠] .  
﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنَ عِزِّ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى/٤٣] .

والناس بين يديك أيها المسلم ثلاثة أصناف:

إنسان أعز منك، أو إنسان أنت أعز منه، أو إنسان ساواك في العز، فاحلم ولا تجهل على من هو أعز منك، وإلا فأنت لئيم .

ولا تجهل على من دونك فتكون ظالماً له، فجدير بك أن تحلم على من هو دونك، وتتحمّل آذاه وجهله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف/١١٦] .

ولا تجهل على مساويك؛ فإن جهلك عليه سفاهة، وتهارش كتهارش الكلاب، ونفار كنفار الديكين، يثمر الفراق والجراح والعداوة: ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [٣٤] وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت/٣٤-٣٥] .

واعلم أن الله حلِيم، فلا تغتر بعظمة حلمه ، وسعة حلمه، فتقع في معصيته، ولا يغرنك حلمه على من عصاه، فإن أخذه إذا أخذ أليم شديد : ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦- ٨] .  
أغرّك حلمه وعفوه ، وصفحه ورحمته ، حتى اجترأت على معاصيه .

هو الحلِيم، ولكمال حلمه يمهل ولا يهمل، كما قال سبحانه : ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٤- ٤٥] .

### • والناس اثنان:

إما متعقل .. وإما متعجل .

والمتعقل هو الحلِيم الذي يتأنى ولا يسارع بالعقوبة والانتقام لمن سفه عليه .  
فيصبر على سفه الجاهلين، وطيش الطائشين، وتهور المتهورين، وفي مقدمة هؤلاء الأنبياء والمرسلين الذين صبروا على جهالات الناس، وعداوتهم وإيذائهم، وفي مقدمة هؤلاء سيد الصابرين، سيد الأنبياء والمرسلين الذي قال عنه ربه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم/ ٤] .

وأمره بالعفو والمغفرة والصفح عن كل من أساء إليه؛ فقال له: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الأعراف/ ١١٩] .  
وقال له: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩] .

وقال له: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهَا فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر/ ٨٥] .  
وفي القرآن وردت كلمة الصبر في أكثر من ثمانين موضعاً، كلها في مجال الصبر على أذى كفار مكة، صبره ﷺ على أذى قريش له ، كله صبر في مجال الدعوة إلى الله، وتحمل الأذى والشدائد من الناس .

والله سبحانه له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى، وهو يجب أسماؤه وصفاته، ويجب من اتصف بها من عباده، الله يحب المؤمنين، ويجب المتقين، ويجب المحسنين .

فالله سميع، وخلق فينا السمع، وأمرنا أن نسمع أحسن الكلام، وأن نسمع الناس ذلك الكلام، وهكذا في كل صفة من صفات الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والسمع والبصر صفة كمال، فالله من رحمته بعباده أعطى الناس السمع والبصر؛ ليسمعوا أحسن شيء، ويسمعوا الناس أحسن شيء، فقال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل/ ٧٨].

وأمرنا أن نسمع أحسن شيء: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف/ ٢٠٤].

ووصف عباده المؤمنين بأنهم يستمعون أحسن كلام، فالسمع أحسن صفة كمال في الإنسان، فيجب أن يسمع بها أحسن شيء، الكلام عن ربه، وعن دينه، وعن شرعه، وعن رسله، وعن اليوم الآخر، وهكذا: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر/ ١٧-١٨].

وأمرنا أن نسمع البشرية أحسن شيء: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ لِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

وقال ﷻ: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنِ لِانذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام/ ١٩].

وهكذا الله ﷻ حلیم، وإذا عرفنا أنه جل جلاله حلیم، فعلينا أن نتخلق بهذا الخلق، ونصبر على الأذى، ونبذل الندى، ونكف الأذى، حتى نترقى في الأخلاق، كما نترقى في الأعمال الصالحة والأقوال الحسنة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

• فالمؤمن مطالب بخمسة أمور:

أن يتبع النبي ﷺ في نيته وفكره.. وفي توحيده وإيمانه.. وفي أقواله الحسنة.. وفي أعماله الصالحة.. وفي أخلاقه العالية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم/ ٤].

والله سبحانه حلیم، والحلم صفة كمال لله ﷻ، والله سبحانه يحب من اتصف من العباد بهذا الخلق العظيم.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فكن حليماً على من أسمعك ما تكره، حليماً على من فعل بك سوءاً، حليماً على من اتهمك بما ليس فيك، حليماً على من سخر منك، حليماً على من زل في حقك، حليماً على من أساء إليك بقول أو فعل: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

لتكن حليماً؛ استر الهفوات، واغفر الزلات، واصبر على الكريهات، واصفح عن المؤلمات، وقدم شكواك إلى مولاك: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَاكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [١٧] ﴿فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [١٨] ﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [١٩] [الحجر/ ٩٧-٩٩].

لتكن حليماً محبوباً عند الله، اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن؛ تكن أعبد الناس، ويحبك الله، ويحبك الناس، وينقلب عدوك صديقاً: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٢٢] ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٣٤] ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [٣٥] [فصلت: ٣٣-٣٥].

واحلم واصبر على الجار إذا أصابك منه مكروه، فما هو حق الجار؟ قال علي عليه السلام: ما حق الجار؟ فقالوا: ألا تؤذيه، قال: لا؛ بل تصبر على أذاه، لتنال أجر الصابرين: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [١٠] [الزمر: ١٠].

والله عز وجل أمرنا بالحلم والصبر على السفهاء، وأهل الجهل والحسد والعداوة، لتنال أجر الصابرين.

والله عز وجل يبتلينا بهؤلاء الناس، لنحلم على الناس، ونصبر على أذاهم، لماذا ابتلانا الله بذلك؟

لأن الله عز وجل جعل للمسلم درجةً عاليةً في الجنة قد لا ينالها بالحمد والشكر، إنما ينالها بالصبر، والحلم، والعفو، والصفح، والمغفرة، والعفو عن الناس، فاحلم واصبر على الجار، إذا أصابك منه مكروه؛ فلا تؤذه، بل اصبر على أذاه، واحلم على السفية إذا نقص من قدرك، ونال من عرضك، واحلم واصبر على كل من آذاك، فإن الله سيدافع عنك:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].  
 ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ  
 مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وليكن حظ المؤمن منك إن لم تمدحه ألا تدمه، وإن لم تنفعه ألا تضره، وأن تمدحه بما فيه،  
 وتحسن إليه وتعفو عنه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ  
 وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ  
 وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].  
 ينفقون مالاً، علماً، حلماً، ينفقون مما أعطاهم الله من زاد القلوب، وما تستقيم به  
 الجوارح، وما ينطق به اللسان.

فاحلم عن السفية فإنه سفية، فيجب أن يكون مني الحلم ليغطي سفهه؛ حتى لا تنتشر  
 السفاهة في العالم.

تكظم الغيظ، وتتجرع الغيظ، وتصبر لتنال أجر الصابرين، فما جاءتك هذه الأذية،  
 وهذا الكلام المؤلم إلا من رحمة الله بك؛ لأنه يريد أن يريقك، ويعطيك الدرجات العلى  
 في الجنة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [٦٠].  
 [الروم/ ٦٠].

والمؤمن كالغيث أينما حل نفع، وكالشمس حيثما سارت، وكالأرض الخصبة حيثما نزل  
 عليها المطر لا يزيداها إلا خضرةً، ونمو أشجارها، وظهور ثمارها: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ  
 هَامِدَةً فَيَاذًا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

والحلم لا شك جوهره عظيمة، ودرة نفيسة، وتاج عظيم، فإذا أراد الله أن يعطيك هذه  
 الجوهرة العظيمة، وهذه الدرة النفيسة، وهذا التاج العظيم، واجهك بسفيه من الناس  
 يقول فيك ما ليس فيك، لتظهر فيك عبودية الحلم، وعبودية الصبر، وعبودية الصفح،  
 وعبودية العفو، وعبودية التجاهل، فيواجهك بسفيه من الناس، هذا السفية لم يأتك  
 قصداً إنما هو مأمور أن يأتيك، لأن الله يريد أن يظهر فيك صفة الحلم والصبر والعفو،  
 وأن تتخلق بأخلاق الأنبياء، وتتصف بالصفات التي يحبها الله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

فإن الله حليم ، ويريد منك أن تكون حليماً على من سفه عليك من الناس، فتظهر فيك عبودية الصبر ، وعبودية الحلم، وعبودية الرحمة، وعبودية العفو، وتقابل سفه السفهاء ، وجهل الجاهلين عليك الذين قالوا فيك ما ليس فيك، فقد يقولون: يا كذاب، يا خائن، يا غشاش، يا منافق، يا سارق، وعلاج ذلك: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿١١٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف/١٩٩-٢٠٠].

فالحلم جوهره، والصدق جوهره، والعفو جوهره، ولكن لا بد من حصول أسباب تحركها فيك، ولهذا فأشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فالأنبياء يبتلون بالسب والشتم؛ ليظهر الله فيهم للخلق الصفات التي يجباها من الرحمة والعفو: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكم كان حلم النبي ﷺ على كفار مكة ، وهم الذين آذوه وسبوه وشتموه، وقالوا: كذاب وساحر ، ومجنون، وشاعر .

فإذا أراد الله إظهار هذه الجوهره، وتجميل هذا الإنسان بها؛ رماه بسفيهه أو جاهل أو حاسد، فقال فيه ما ليس فيه، وظلمه وسبه وشتمه، فليصبر على ذلك لينال تاج الصبر، وتاج الحلم، وتاج العفو، وتاج الرحمة، وتاج المغفرة، وتاج العزة، فهذه التيجان يسوقها الله ﷻ لمن يعلم الله فيهم أن قلوبهم تزكو على ذلك، فنسأل الله ﷻ أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ [ الأنعام: ٥٣].

فاعلم أنار الله قلبك بالإيمان أن أحب عباد الله إليه من اتصف بمقتضى أسمائه وصفاته تقرباً إليه، وكان له حظ من كل اسم كريم وصفة عليا، فالله عليم وأنت عليم، فعلم الناس ما علمك الله، واعمل بما علمت .



والله حكيم وأنت حكيم، فأحكم الأمور، والله حلِيم، وأنت تخلق بهذا الحلم واصبر على سفه الناس، فالدين ركنان: عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، وما الإحسان إلى الخلق؟ دعوتهم إلى الله، والصبر على أذاهم، والحلم على سفهائهم: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾؛ عبادة الحق: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦]. هذا إحسان إلى الخلق.

واعلم أن الله هو الحلِيم الذي يصفح عن الذنوب، ويستر العيوب، وهو الحلِيم الذي لا يستخفه يسدل ستره على العصاة، لعلهم يتوبون، وهو الحلِيم القوي العزيز الذي لا يستخفه عصيان عاصٍ، ولا يستفزه طغيان طاغٍ؛ لأن الجميع في ملكه، وفي قبضته، وتحت سمعه وبصره، والله لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، لأنه الغني، وكل ما سواه فقير إليه، والكل من مؤمن وكافر راجع إلى ربه، ليحاسبه بعمله ﴿فَذَكَرْنَا أَنْتَ مُذَكَّرًا﴾ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ [الغاشية/ ٢١-٢٦]. سيحاسبهم على الأوقات، وعلى الأقوال، وعلى الأعمال، وعلى الأخلاق.

وإذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على من عرف أن ربه حلِيم على من عصاه؛ أن يحلم هو على من خالف أمره وأذاه، فاحلم على الخلق؛ يحلم عليك رب الخلق، ويستجلب بحلمك عليهم حبهم لك، ورضوان الله عنك: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَيَلِصَفُحُوا إِلَّا مُحِبُّونَ أَن يُعْفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾ [النور/ ٢٢].

فكن في الليل مع الحلِيم، اشكره على نعمه، واستغفره من ذنبك، واسأله الهداية لك ولغيرك.

وفي النهار كن حلِيمًا على الخلق كلهم، وتخلق بصفة الحلم على من سفه عليك بقول أو فعل، وكما تحب أن يحلم الله عليك، فاحلم أنت على الناس، وأحب لغيرك ما تحب لنفسك، واکره لغيرك ما تكره لنفسك، وأحسن إلى الناس كما أحسن الله إليك:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٧٧) ﴿[القصص: ٧٧].  
وقال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِحَارِهِ - أَوْ قَالَ: لِأَخِيهِ - مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واحذر أيها المؤمن، واحذري أيتها المؤمنة، احذر غاية الحذر أن تعصي ربك السميع البصير؛ لأنه يسمعك إن تكلمت، ويراك إن تحركت، ويعلم بما في قلبك إن أضمرت، فاحذر أن تعصي ربك السميع البصير، وتغتر بحلمه عليك، فتتمادى في عصيانه، وتتكلم على عفوه مع الإصرار على عصيانه، فإنه وإن كان الحليم الكريم؛ فإن أخذه أليم، وبطشه شديد ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠].

فسبحان الله! ما أعظم حلمه مع كمال علمه وقدرته، وكمال علمه بالمعاصي والذنوب: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ (٥١) [الأحزاب/ ٥١].  
وإذا علمت عظمة ربك ﷻ، وعرفت جزيل إحسانه، وأدركت سعة حلمه، وواسع مغفرته، وسعة رحمته، ورأيت شدة بأسه؛ فبادر إلى طاعة ربك الحليم، الغفور، الشكور، واستح من مواجهة الكريم بما يكره الحليم: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار: ٦-٨].  
فأطعه وسبحه واحمده، وامثل أمره، فإن نعم الله ﷻ عليك لا تعد ولا تحصى.

واستعمل ما أنعم الله به عليك في طاعته، ولا تقل على الحليم الحق إلا الحق، فإنه يراك ويسمعك، وسوف يسألك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) [الإسراء/ ٣٦].

كل كلمة وكل ذرة لها سجل عند الله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ (٢٩) [النبأ/ ٢٩].  
واشكر من أنعم عليك بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، واصبر على جميع ما يجبه ويرضاه من الطاعات، والزم الصبر على كل محبوب ومكروه من أجله؛ لتنال أجراً لا تحلم به: ﴿قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠١٦)، ومسلم برقم (٤٥).

يُوقَى الصَّبْرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ [الزمر/ ١٠].

ويُسَهِّلُ لك أخي الكريم الحلم على الخلق، والصبر على أذاهم، ودوام طاعة الله: معرفة الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، والاتصاف بما يليق بالعباد منها، ومعرفة نعم الله وإحسانه، ومعرفة ثوابه وعقابه: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثْوَىكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

فالله ساق إلینا هذه المكاره لنصبر، لننال أجر الصابرين، لأن الله لا يجب أن يعذب عباده، ولا ينتفع بعذاب العباد: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

• واعلم أن الصبر الذي يجب على العبد ثلاثة أنواع:

الأول: صبر على طاعة الله بأداء الواجبات.

الثاني: صبر عن معصية الله باجتنب المحرمات.

الثالث: صبر على أقدار الله المؤلمة: ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر: ١-٣].

وأفضل الصبر ما بلغ درجة الرضا، فإن ارتقى إلى درجة الحمد؛ فقد بلغ الذروة العليا في المعرفة واليقين: ﴿ قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلْ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: ٥١].

فإذا ابتلي الإنسان فعليه أن يصبر، فإن استطاع أن يرضى؛ فإن هذا من قضاء الله وقدره، وقضاء الله كله حكمة، ورحمة، وعدل وإحسان، فإن استطاع أن يشكر، فتلك أعلى الدرجات: ﴿ قُلْ لَن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلْ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: ٥١].

فالله يبتلينا بالمكاره ليرقينا بالصبر والرضا والحمد والشكر إلى أعلى الدرجات، لأن الله لا يقضي لعبده قضاء إلا وهو خير: ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ [المعارج: ٥].

والصبر النافع الحق ما خالف الهوى، ووافق طاعة المولى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ [الروم/ ٦٠].

فاعلم أن الله مع الصابرين، وأن الله يحب الصابرين، وعاقبة الصبر أحسن العواقب، فاصبر فإن النصر مع الصبر، والفرج بعد الكرب، واليسر بعد العسر، والعافية بعد البلاء، ومفتاح ذلك كله الصبر، فاصبر وتوكل على الله؛ تنل ما تحب فوراً: ﴿ذَلِكَ مِمَّا يُوعْظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الحلم والصبر؛ فاصبر لله في جميع أحوالك، وأحسن إلى الناس بما تستطيع وإن عادوك: ﴿يَبْنِي أَمْرَ الصَّلَاةِ وَأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ [لقمان: ١٧].

واصبر على ما أصابك فإنك منصور، ولك العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٥٠﴾﴾ [البقرة/ ٢٥٠].

اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهد ووعده ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم يا جزيل العطايا والمواهب، يا واسع الرحمة والمغفرة، يا رؤوفاً بالعباد، يا كريم العطاء، يا عظيم الحلم، اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا منعوا حمدوا، وإذا ابتلوا صبروا، يا أرحم الرحمين.  
سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

العفو

## موسوعة أسماء الله الحسنی في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله العفو

الله ﷻ هو الكامل في ذاته وأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وهو سبحانه يجب أسماءه وصفاته، ويجب من اتصف بها من الناس، ويجب ظهور آثارها في خلقه وفي ملكه، وأحب الخلق إلى الله من اتصف بمقتضيات أسمائه وصفاته على شاکلة العبودية.

فالله ﷻ رحيم يجب الرحماء، عفو يجب العافین عن الناس، تواب يجب التوابین، مؤمن يجب المؤمنین، ويجازي عباده بحسب صفاتهم، فمن عفا؛ عفا الله عنه، ومن غفر لعباده؛ غفر الله له، ومن ستر مسلماً؛ ستر الله عليه، ومن رفق بعباده؛ رفق الله به وهكذا، ومن تتبع عورات الناس؛ تتبع الله عورته، ومن مكر بعباده؛ مكر به، ومن خدع خلقه؛ خادعه، فمن عامل الخلق بصفة من الصفات؛ عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فمن أحسن أحسن الله إليه، فالله تعالى يعامل عبده على حسب ما يكون العبد لخلق، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا فِي الدُّنْيَا؛ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

#### • لهذا أعظم غذاء للقلوب:

معرفة الله بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، فالله ﷻ له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحميدة، وأسمائه وصفاته متفاضلة، فأسماء الله ﷻ كلها حسنی، بالغه في الحسن والكمال منتهاه، وهي متفاوتة في الحسن والكمال، فمنها كامل وأكمل، وحسن وأحسن، وعظيم وأعظم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨].

ومنها ما يدل على اسم الله الأعظم؛ مثل: الله، الحي، القيوم، الرب ونحو ذلك. ومنها أسماء تدل على عدة صفات جامعة، كالمجيد، والعظيم، والصمد، والواسع، والحي، ونحو ذلك.

ومنها ما يدل على معنيين: كالبصير بمعنى الرؤية، والعلم والخبرة، والودود بمعنى أنه المحبوب من قبل الناس، والمحب للناس.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

ومنهما ما يدل على صفة واحدة مثل العليم، الغفور، ونحوها.  
ومنهما ما جاء بصيغة تفضيل، يدل على المفاضلة، كالعلي والأعلى، والكريم والأكرم،  
والخالق والخالق، والرحمن والرحيم، ونحو ذلك.  
لهذا أمرنا الله ﷻ بأن نتعرف على أسمائه وصفاته، وأكثر الله ﷻ من ذكر أسمائه وصفاته  
في القرآن؛ لنعرفه بهذه الصفات، ثم نتعبد لله ﷻ بهذه الصفات.  
ومن أسماء العفو والمغفرة والتجاوز والصفح اسم الله العفو، فالله ﷻ عفو، كما قال  
سبحانه: ﴿إِنْ يُدْأَوْ خَيْرًا أَوْ تُخْفَوْهُ أَوْ نَعَفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء/ ١٤٩].

والله ﷻ هو العفو الذي له العفو الشامل، الذي وسع عفوه الوري، ووسع علمه وعفوه  
جميع ما يصدر عن عباده من الأعمال والطاعات والمعاصي: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ  
وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [الشورى/ ٢٥].  
وهو سبحانه العفو الغفور الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران موصوفًا،  
وكل أحد من الخلق مضطر إلى عفوه ومغفرته كما هو مضطر إلى كرمه ورحمته، كما هو  
مضطر إلى دينه وشرعه، كما هو مضطر إلى خلقه وإيجاده: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ  
وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَصْرِونَكَ مِنْ  
شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ  
عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء/ ١١٣].

وهو سبحانه العفو الكريم الذي يحب العفو، ويدعو عباده إلى الاتصاف بالعفو، ويجب  
من عباده فعل الأسباب التي ينالون بها عفوه؛ من التوبة والاستغفار، والصفح  
والتجاوز، والسعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه، والعفو عنهم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ  
بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [١١٣] ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ  
سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

وهو سبحانه الرب الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، العفو  
القدير الذي لم يزل ولا يزال ينعم على جميع الخلق، ويعفو عن المجرمين والمذنبين، مع  
قدرته على عقابهم، والانتقام منهم، وحرمانهم من نعمه: ﴿وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا

تُحْصَوْنَ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل / ١٨].

فسبحان الكريم الذي يضع عن عباده تبعة خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيهما منهم إذا تابوا وأنابوا إليه! العفو الغفور الذي مهما أسرف العبد على نفسه بالمعاصي ثم تاب إلى ربه ورجع إليه؛ فرح الله بتوبته، وغفر له جميع ذنوبه: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر / ٥٣].

واسم الله العفو ورد في القرآن الكريم خمس مرات، منها: قوله سبحانه: ﴿إِن يُبَدُوا خَيْرًا أَوْ خُفِّفُوا أَوْ تَعَفَّوْا عَن سُوِّ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوقًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء / ١٤٩].  
والله جل جلاله هو العفو الذي يتجاوز عن المعاصي، ويمحو السيئات، الذي وضع عن عباده تبعات خطاياهم وآثامهم، فلا يستوفيهما منهم؛ لكمال رحمته وإحسانه، وكمال عفوهِ ومغفرته: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].  
وقد ورد لفظ العفو ومشتقاته في القرآن الكريم أكثر من تسع وثلاثين مرة.

هو جل جلاله العفو الذي شمل بعفوه جميع خلقه، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو والصفح والغفران معروفاً وموصوفاً: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء / ١١٠].

والعفو: هو التجاوز عن الذنب، وترك العقاب عليه.  
وأصل العفو: المحو والطمس والإزالة.

والفرق بين العفو والمغفرة: أن العفو هو الصفح عن الذنب، وإسقاط العقاب عليه.  
والمغفرة: ستر الجرم صوتاً لصاحبه من عذاب الخجل والفضيحة والعتاب، ومحو أثره، ومن كمال رحمة الله أنه يسقط العقاب على الذنب، ثم يستر صاحبه عن الفضيحة في الدنيا والآخرة، فيجمع له بين رفع العذاب البدني، ورفع العذاب الروحي وهو الفضيحة، فالحمد لله العفو الغفور الذي وقى من شر الذنب برفعه ومحوه وستره.

والمغفرة أعم وأوسع مدلولاً من العفو؛ لزيادتها على محو الذنب بالرضا والقبول.  
فالعفو جل جلاله عفو غفور، والعفو ترك محض، والمغفرة إحسان وفضل، كما قال سبحانه: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ، عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا



لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

فالعفو متضمن لإسقاط العقوبة عن الذنب، والمغفرة متضمنة للوقاية من شر الذنوب مع رضا الله عن صاحبه، فإن العافي قد يعفو، ولا يرضى عمن يعفو عنه، فالعفو والمغفرة والرحمة فيها تدرج من الفرع إلى الأصل، ومن الأخص إلى الأعم.

فاعف عنا: إسقاط العقوبة، واغفر لنا: وقاية للعصاة من شر الذنوب، وإقبال الله عليهم، ورضاه عنهم، لَمَّا استغفروه غفر لهم، وارضمنا متضمن الأمرين: الإسقاط للعقوبة، والرضا مع زيادة الإحسان والعطف البر.

وبالثلاثة يتحقق الفلاح، وهو الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فالعفو هو محو الذنوب، وهو محو الوزر والسيئات المترتبة على فعل الذنب، أما الأفعال ذاتها فهي مكتوبة في كتاب العبد حتى يلقي ربه، فيدينه منه، ويعرفه بذنوبه، وسوء أفعاله، ثم يسترها عليه، ويغفرها له؛ إظهاراً لكمال رحمته وإحسانه إلى عباده.

والعفو صفة مشتقة من اسم الله العفو، وهي صفة فعلية ثابتة لله ﷻ، فالله يعفو ويغفر بالأسباب، إذا وُجِدَ المقتضي؛ عفا وغفر، لأنه عفو غفور رحيم، وفي دعائه ﷻ للميت: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ولم يرد اسم الله العفو إلا مقترناً باسم آخر، فاقترن اسم الله القدير مع اسم الله العفو مرة واحدة، كما قال سبحانه: ﴿إِنْ يُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ لُحُفُوا أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سَوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ﴿١٤٩﴾ [النساء/ ١٤٩].

وسر هذا الاقتران والله أعلم؛ الإشارة إلى أن عفو الله عن ذنوب الخلق صادر عن قادر على إنزال العقوبة بالعصاة؛ لأن القدرة بلا عفو نقص في الصفات، والعفو بلا قدرة عجز، أن يعفو الإنسان لأنه غير قادر هذا عجز، والعفو مع القدرة غاية الكمال، والله ﷻ عفو قدير: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه: ٨].

واقترن اسم الله الغفور باسم الله العفو أربع مرات في القرآن، منها: قوله سبحانه: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ ﴿١١﴾ [النساء/ ٩٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٦٣).

وحكمة ذلك والله أعلم؛ التدرج من الأخص فائدة إلى الأعم، فالعفو إسقاط العقاب على الذنب، والمسامحة به والمغفرة وقاية من شر الذنب كله، والإقبال على المستغفر والرضا عنه وستر زلته.

فسبحان العفو الكريم الذي يصفح عن ذنوب العباد مهما عظمت وكثرت، ويزيل آثارها بالكلية، ويثبت مكان كل سيئة حسنة؛ فضلاً منه ورحمة!

وهو سبحانه العفو كثير الخير والإفضال والإنعام، الذي لا ينقطع عطاؤه بالليل والنهار، وفي الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦ - ٥٨].

ومن رحمة الله أن ما يصيب المؤمنين من المصائب يكفر عنهم من خطاياهم، وما يعفو الله عنه من الذنوب أكثر: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٣٠﴾ [الشورى / ٣٠].

فكم من الذنوب تصدر من العباد سواء كانوا من المسلمين أو من الكفار! ذنوب من البصر، وذنوب من السمع، وذنوب قلبية، وذنوب بدنية، من سرقات، وفواحش، وغير ذلك من الذنوب القولية، والعملية، والقلبية.

فكل ما يصيب المؤمنين من المصائب يكفر الله به عنهم من خطاياهم، وما يعفو الله عنهم من الذنوب أكثر، ولكمال عفوهِ سبحانه يعفو في الدنيا عن المذنبين التائبين المستغفرين، ويعفو في الآخرة عن الموحدين المصيرين: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ ﴿٣١﴾ [النساء / ٣١].

ومن جلال عفو الله سبحانه أن أكثر العباد يبارزونه بالعظام والمعاصي، والذنوب والآثام، ومع ذلك يسدي إليهم النعم، ويصرف عنهم النقم؛ لعلهم يتوبون، ويدر عليهم النعم التي لا تعد ولا تحصى؛ لعلهم يشكرونه ولا يعصونه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

فلولا عفو الله العظيم عن ذنوب الخلق؛ لغارت الأرض بأهلها؛ لكثرة ما يرتكب عليها من المعاصي: ﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [النحل / ٦١].

فسبحان الحليم العفو الغفور الذي وسعت رحمته كل شيء، ووسعت مغفرته كل شيء، ووسع عفوهُ جميع خلقه، سواء كان من الكفار، أو من المؤمنين، فالله عفو كريم، لم يقطع عن الكفار الطعام، والشراب، والهواء، والصحة، والعافية، والنور، بل هو يمدهم بالنعم لعلهم يتذكرون، ويمسهم بالضراء لعلهم يتوبون ويتضرعون، لأنه ربهم، وهو الذي يرببهم بالسراء والضراء؛ لعلهم يتوبون ويرجعون إليه: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأنعام / ٤٣].

ومن جلال عفو الله عفوهُ أن عفوهُ يكون بعد حلم وإمهال، وعن كمال غنى، وعن كمال قدرة على الانتقام: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ﴿٦٦﴾ [هود / ٦٦].

فالله قوي، وكل ما سواه ضعيف، والله قادر، وكل ما سواه عاجز، والله غني، وكل ما سواه فقير، والله خالق، وكل ما سواه مخلوق، والله كبير، وكل ما سواه صغير، من العرش العظيم إلى أصغر ذرة في الكون: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الحشر: ٢٣].

هو الملك القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؛ ولكنه لكمال رحمته وعفوهِ ومغفرته؛ يحلم على العباد، ويعفو عن سيئاتهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالتَّكْوِينِ لَهِدَّ وَهُوَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣].

• والله عفوهُ ابتلى كل إنسان بأمور ثلاثة:

بالشهوات الحيوانية .. وبالأوامر الشرعية .. وبالمصائب القدرية.

فمن وقع في معصية الله بترك أمر، أو فعل نهي؛ فعليه أن يتوب إلى ربه العفو الكريم؛ لأنه هو العفو القدير: ﴿الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [الشورى / ٢٥].

وهو الغفور الرحيم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء / ١١٠].

وواجهه في الشهوات: الأخذ بقدر الحاجة، والأكل من الطيبات، واجتناب المحرمات: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ

إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

وواجهه في الأوامر الشرعية: العمل بقدر الطاقة والاستطاعة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [آل عمران: ٥٠].

وواجهه في المصائب القدرية: الصبر، ثم الرضا إن تيسر، ثم الحمد إن استطاع: ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ يُسْرًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

هذا واجب الإنسان في الشهوات، أن نأخذ بقدر الحاجة بلا إسراف ولا مخيلة. وواجب الإنسان في أوامر ربه الشرعية: العمل بقدر الطاقة: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال سبحانه: ﴿حُدُوا مَاءَ آتَيْنَكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣].

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

أن نأخذ أوامر الله ﷻ بقدر الطاقة؛ لأنها سبيل السعادة والعزة في الدنيا والآخرة.

وواجب الإنسان في المصائب القدرية: الصبر: ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ يُسْرًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فالإنسان في مقابل المصائب القدرية واجبه أن يصبر، فإن استطاع أن يضيف بعد الصبر الرضا فهذا أفضل، لأن الله ﷻ حكيم عليم، وهو أرحم بالعبد من نفسه، فيجب على الإنسان أن يرضى بقضاء الله وقدره؛ لأن اختيار الله ﷻ أفضل من اختيار العبد، فإن استطاع أن يحمد الله ﷻ على ما أصابه فهذا أفضل؛ لأن هذا اختيار الله ﷻ، والله ﷻ يربي عباده بالسراء والضراء: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَائِزَةٌ﴾ [التوبة: ٥١].

والله ﷻ يجري هذه المصائب القدرية على العباد ليربيهم بها، من الأمراض والمصائب، وغيرها من ما يبتلي به العباد من نعمة السراء والضراء، ويرفع درجاتهم بالصبر عليها،

ويكفر عنهم سيئاتهم.

وهذه الصفات كالخلق، والرزق، والرحمة، ونحوها كلها صادرة عن صفات الكمال، عن قدرة كاملة للرب، ومشية نافذة، وحكمة بالغة فإن الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، والحكمة الشاملة مقرونة بالخير المطلق، فإن الله بيده الخير، وهو على كل شيء قدير؛ فأفعاله جل جلاله وما يجريه على العباد كله لا يخرج عن ثلاثة أمور، بل هو نتيجة وثمره القدرة الكاملة، والمشية النافذة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون، والحكمة الشاملة المقرونة بالخير المطلق، فكل أفعال الله ﷻ في ملكه في منتهى الحكمة والرحمة والعدل والإحسان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) [طه / ٨].

هو سبحانه العفو الذي أزال الذنوب من الصحائف ومحاهها، وأبدل الخوف والوحشة بفنون اللطائف جل جلاله: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) [فاطر / ٣٤].

هو سبحانه العفو الذي يمحو الذنوب ويزيل آثارها بمغفرته، الذي يترك المؤاخذة على الذنوب، ولا يذكر بالعيوب: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١١٠) [النساء / ١١٠].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٠) [الحج / ٦٠].

والله سبحانه عفو غفور كريم، محو الذنوب العظيمة والكثيرة، إذا استغفره العباد وتابوا إليه؛ محو الذنوب الكثيرة المتنوعة، وستر العيوب، وأعطى من فضله، فهو سبحانه يخلي ثم يخلي، ويظهر ثم يعطر، فللعفو معنيان: معنى سلبي وهو محو الذنوب، ومعنى إيجابي وهو العطاء من فضله، كما قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥٢) [آل عمران / ١٥٢].

فهو عفا عن الذنوب وغفرها، ثم بدلها حسنات، ثم ضاعف تلك الحسنات؛ لأنه ذو الفضل العظيم، وهو الرحمن الرحيم.

قال ﷻ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُورٌ كَرِيمٌ تُحِبُّ الْعَفْوَ؛ فَاعْفُ عَنَّا» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

فما أعظم عفو الله عن عباده في الدنيا والآخرة! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٦٠) [الحج / ٦٠].

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٥١٣).

ويتجلى عفو الله عن عباده يوم القيامة، فيدخل الجنة من أمة محمد ﷺ سبعين ألفاً بغير حساب ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفاً، فهذا عفو الله ﷻ عظيم يتجلى لعباده يوم القيامة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَّمُ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ الْأُمَّةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ النَّفَرُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ الْعَشْرَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ مَعَهُ الْخَمْسَةُ، وَالنَّبِيُّ يَمْرُ وَحَدَهُ، فَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيْلُ، هَؤُلَاءِ أُمَّتِي؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَنْظِرْ إِلَى الْأَقْبِ، فَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ كَثِيرٌ، قَالَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَهَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا قُدَّامَهُمْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، قُلْتُ: وَلِمَ؟ قَالَ: كَانُوا لَا يَكْتُمُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «وَعَدَنِي رَبِّي سُبْحَانَهُ أَنْ يُدْخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا، لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثُ حَثِيَّاتٍ مِنْ حَثِيَّاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه الترمذي وابن ماجه<sup>(٢)</sup>.

فعفو الله عظيم، وعفو الله واسع، وعفو الله لا بداية له ولا نهاية، ولا أول له ولا آخر، فهو عفو، وعفوه مطلق جل جلاله.

فسبحان العفو الغفور الرحيم التواب اللطيف الكريم، الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، هذا هو الرب، وهذا هو الإله، وهذا هو الملك الذي يستحق العبادة، خلقنا في أحسن تقويم، وأسكننا في أرضه، وأدر علينا نعمه التي لا تعد ولا تحصى، واستضافنا في بطن الأم تسعة أشهر، واستضافنا في الدنيا بهذه الأعمار التي تختلف من الستين إلى السبعين وأقل وأكثر، فأمرنا بتكميل الإیمان والأعمال الصالحة؛ ليكمل لنا محبوباتنا يوم القيامة مما في الجنة، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ومن رضوان الله ﷻ، ورؤيته سبحانه: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٣٧)، وابن ماجه برقم (٤٢٨٦) وهذا اللفظه.

فالعفو من أعظم الصفات التي يحبها الله، ويجب من اتصف بها، ومن عفا لله؛ عفا الله عنه، ومن غفر لله؛ غفر الله له، ومن أحسن الله؛ أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة: ﴿وَإِن تَعَفُّواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن / ١٤].

ولهذا دعا العفو الكريم سبحانه عباده إلى العفو والصفح عن الخلق، ورغب في الحلم والصبر على الأذى، وقبول الأعذار من سائر الناس؛ رجاء رضوان الله وغفرانه: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُواْ أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُواْ وَلِيَصْفَحُواْ أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور / ٢٢].

والعفو جوهره، وإذا أراد الله ﷻ إخراج هذه الجوهره من الإنسان؛ ابتلاه بسفيه يسفه عليه، ويأخذ حقه، ويظلمه، ويسيء إليه، فالله يريد أن يظهر هذه الجوهره، فيعفو هذا الإنسان عن ظلمه، ويكون هذا العفو سبباً لهدايته أو لإيانه إن كان كافراً، فالظلم من يتصف بأعظم الصفات، وجماع الصفات التي تتعامل بها مع الخلق، والتي يحبها الله: أن تعفو عن ظلمك، وتصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتحسن إلى من أساء إليك.

هذه أصول الأخلاق في التعامل بين الناس، وهي سبب لقلب العداوة إلى صداقة، وقلب الكفر إلى الإيمان، وقلب الشدة إلى رحمة، وقلب سوء الظن إلى حسن الظن: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ [٣٤] وَيُلْقِنَهَا لِلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ [٣٥] [فصلت: ٣٣-٣٥].

واعلم أن الغني الكريم قد تكفل بأجر من عفا عن غيره من الناس، فسيعطيه الله أجراً عظيماً، وثواباً جزيلاً: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى / ٤٠].

فسبحان العفو الكريم الذي يمحو السيئات، ويستر الزلات، ويغفر الذنوب، ويعز مقام من عفا من عباده.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ» أخرجه مسلم (١).

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

واعلم رحمك الله أن الله عفو غفور، وعفوه ومغفرته من لوازم ذاته عز وجل، ولا تزال آثار عفوه ومغفرته في الملك والملكوت آناء الليل والنهار، فعفوه ومغفرته عز وجل وسعت جميع المخلوقات، والسيئات والجرائم والمعاصي: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾ [النساء/ ٤٣]. ولولا عفوه وحلمه؛ لتزلزلت الأرض بأهلها، وما بقي من الخلق أحداً.

والكفر والشرك، والذنوب والجرائم، والتقصير الواقع من الخلق؛ كل ذلك يقتضي العقوبات العاجلة المتنوعة؛ لأن ذلك من كفران النعمة، ولكن عظمة عفو الله، وسعة مغفرته، وسعة حلمه ورحمته تدفع هذه الموجبات للعقوبات: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَبَّ اللَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر/ ٤٥].

### • وعفو الله عز وجل نوعان:

الأول: عفوه العام عن جميع الخلائق، عن جميع المجرمين والكفار والعصاة، وغيرهم، برفع العقوبات المنعقدة أسبابها، والمقتضية لقطع النعم عنهم، فهم يؤذونه بالشرك، والسب، والمعاصي، ويعصونه بنعمه، وهو يعافيهم ويرزقهم، ويمهلهم ولا يهملهم، وقد يتبليهم بالمصائب لعلهم يتوبون ويرجعون إليه: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا بِالْإِنْسَانِ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فإنه أنعم بهذه النعم، والإنسان يكفر هذه النعمة، وموجب ذلك يقتضي العقوبة العاجلة، ولكن من سعة حلم الله وعفوه يؤخر العقوبة، فسبحانه ما أعظم حلمه وعفوه وصبره، مع كمال قدرته! ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَشْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل/ ٦١].

هذا العفو العام من الرب عز وجل عن جميع الخلائق، فهم يسكنون في أرضه، ويأكلون من رزقه، ويتنعمون بنعمه، ويعصونه بالجوارح التي خلقها الله لطاعته، وذلك لسعة عفوه، وإمهالهم، وإدراار النعم عليهم، لعلها تذكرهم بالرب العفو الرحمن الرحيم، وأخذهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون إليه، فيعرفون أنه هو الخالق الرازق الرحمن الرحيم، فيتوبون إليه: ﴿إِنَّا لِلَّهِ لَذُوٌّ فَضِّلٌ عَلَىٰ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].



الثاني: عفو الله الخاص بالمؤمنين، ومغفرته للتائبين والمستغفرين، والعابدين والداعين، والمصائب وغيرهم، فمن تاب إلى الله من هؤلاء وغيرهم؛ تاب الله عليه، وغفر له مهما كان ذنبه، ومهما تكرر ذنبه، ومهما تنوع ذنبه، هذا عفو خاص بالمؤمنين، ومغفرة للتائبين والمستغفرين، والعابدين والداعين من المؤمنين: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزمر/٥٣ - ٥٤].

فما أعظم حلم الله على عباده! وما أعظم عفوهُ ومغفرته! وما أوسع رحمته جل جلاله! لهذا لا بد من معرفة الله ﷻ بهذا الاسم العظيم، حتى نتحلّى به، ونتخلق به، فالله عفو يحب العفو والإحسان، ويحب العافين عن الناس: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي الضَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/١٣٣ - ١٣٤].

هو جل جلاله العفو الذي يمحو الذنوب والسيئات، ويتجاوز عن المعاصي. والعفو: محو الذنب بالكلية، ولكن الله ﷻ يثبت في الصحائف حتى يُنشر أمام العبد يوم القيامة، ويقر العبد بهذه الذنوب، ثم يظهر الله ﷻ كرمه ورحمته لعبده بأن يمحو عنه ويسقط جميع هذه الذنوب، ويمحو عقوبتها عن هذا العبد، فهو العفو ذو العفو المطلق الذي يمحو الذنوب والسيئات عن جميع الخلائق في جميع الأوقات، وفي جميع الأماكن، فيمحو الذنوب والسيئات، ويتجاوز عن المعاصي: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤].

هو العفو الذي يزيل الذنوب الثقيلة عمن تاب منها، فكفار قريش قتلوا، وسرقوا، وظلموا، وفعلوا المنكرات، ثم تابوا؛ فتاب الله ﷻ عليهم.

هو العفو الذي يزيل الذنوب الثقيلة عمن تاب منها، ثم يمحوها من ديوان الكرام الكاتبين، ثم ينسى المذنبين إياها فلا يذكرونها أبداً، لئلا يتألموا أو ينجلوا عند ذكرها

وتذكرها، ثم يثبت الله ﷻ مكان كل سيئة حسنة، ثم يضاعفها، ثم يثيب عليها.  
فسبحان الله! ما أعظم عفوه ومغفرته ورحمته بعباده! ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ  
رَّحِيمٌ﴾ [الحج/ ٦٥].

فتب أيها المسلم إلى ربك العفو الغفور من الذنوب المهلكات؛ فإن ربك غفور رحيم:  
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا  
يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا  
﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ  
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

فسبحان الملك الرحيم بعباده، الحكيم في تدبيره، الذي يطهر عباده من الأرجاس  
والذنوب، ثم يعطهم بالرحمة والفضل العظيم، ويعفو ثم يرحم، ويمحو ثم يكرم:  
ومن عرف العظيم جل جلاله بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی؛ آمن بربه العظيم، وآمن  
بكتابه العظيم، وامتثل أمره العظيم، ونال ثوابه العظيم: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].  
فالعظيم جل جلاله لا يعطي إلا العظيم، وإذا عفا؛ عفا عن جميع الذنوب ومحاسنها بالكلية  
وسترها، هو العفو الكريم الذي يزيل عن النفوس ظلمة الزلات برحمته، ويذهب  
وحشة السيئات بكرمه.

فسبحان العفو الكريم الذي يزيل الذنوب من الصحائف، ويبدل وحشتها بفتون  
اللطائف! ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى/ ٢٥].

هو العفو الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده أشد من فرح الضال الواجد، والعقيم الوالد،  
والظمان الوارد، لأنه ﷻ أرحم بعباده من أنفسهم، والعفو أحب إليه من الانتقام،  
ورحمته سبقت غضبه، ولا يزال العباد يعصون ويخالفون أمر الله، والله ﷻ يعفو مع كثرة  
الذنوب وتنوعها من جميع الخلائق.

ولا يزال العفو يعفو يوم القيامة عن عصاة المؤمنين، حتى يقول للملائكة: أخرجوا من

النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ لكمال عفوهِ ورحمته جل جلاله.  
 عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فإن الله صلى الله عليه وسلم عفو كريم، ورحمن رحيم، يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة.

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُعَذَّبُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ فِي النَّارِ حَتَّى يَكُونُوا فِيهَا مُمِّمًا، ثُمَّ تُدْرِكُهُمُ الرَّحْمَةُ فَيُخْرَجُونَ وَيُطْرَحُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَرشُّ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْمَاءَ؛ فَيَبْتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْعُثَاءُ فِي حِمَالَةِ السَّيْلِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» أخرجه أحمد والترمذي<sup>(٢)</sup>.

فإن الله صلى الله عليه وسلم رحيم بعباده، ورحمته سبقت غضبه: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم فقد راحلته وعليها طعامه وشرابه، ثم نام فاستيقظ فوجدها عند رأسه؛ فالله صلى الله عليه وسلم يفرح بتوبة عبده، ويفتح له أبواب الطاعات، وأبواب الحسنات، ويغلق عليه أبواب المعاصي، ويرغبه في الطاعات، ويذكره ثوابها، ويجذره من المعاصي، ويذكره عقابها، لكمال رحمته بخلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالتَّكَاثُرِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والله سبحانه عظمة عفوهِ أحاطت بذنوب العباد كلهم، وإن لم يكونوا أهلاً لذلك، لماذا؟ لأن الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة: ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر/ ٥٤ - ٥٦].

والرأفة من الناس: أشد الرحمة، والعفو: أشد المغفرة، والصفح أشد العفو، فالعفو: محو الذنب بالكلية، لكن قد يبقى في النفس أثره، لكن الصفح محو بلا تثريب: ﴿وَلْيَعْفُوا﴾

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (١٩١).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥٩٧) وهذا لفظه، وأحمد برقم (١٥١٩٨).

وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور / ٢٢].

ومن عظيم حلم الله وصفحه وعفوه عن عباده أن أكثر الناس يكفرون بالله، ويسبونونه، ويؤذونه، ويعصونه، ومع ذلك يعفو عنهم ويصبر على أذاهم؛ بل يسوق إليهم أنواع النعم، لعلهم يتوبون إليه، فإن لم يتوبوا إليه؛ ابتلاهم بالنقم لعلهم يتضرعون: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم: ٤١].

وقال النبي ﷺ عن ربه: «لَا أَحَدَ أَصْبَرَ عَلَىٰ أَدَىٰ سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَرْمُونَهُ بِالصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ، وَهُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

والفرق بين عفو الله وعفو الخلق أن الذي يعفو من الناس لا يعفو في الغالب إلا عن عجز، فإن عفا عن قدرة؛ فعالبًا يحتسب في الدنيا شيئًا ويطلبه، من المدح والثناء من الناس، أو شيئًا في الآخرة، من الأجر والثواب، ويمثل أمر الله بالعفو: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى / ٤٠].

وأما عفو الله فهو عفو مطلق، لا يرجو ثوابًا أو ثناءً من أحد؛ لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، وغناه عن خلقه: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر / ١٥].

وهو سبحانه لا يعفو إلا عن قدرة كاملة، ورحمة كاملة، وغنى كامل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران / ١٥٥].

وقال سبحانه في بيان كمال عفوه عن من زل: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾ [المائدة / ٩٥].

فهو سبحانه العفو الغفور الذي يعفو عن المسيئين كرمًا وإحسانًا، ويفتح لهم واسع رحمته ومغفرته فضلًا وإنعامًا: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف / ٣٦].

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الكهف / ٣٦].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩)، ومسلم برقم (٢٨٠٤) واللفظ له.

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السموات والأرض، وله صفات الكمال والجلال والجمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

فهذا أول علم يجب أن نعلمه، ونعمل بموجبه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢]. [الطلاق: ١٢].

إن جميع صفات الله ﷻ وجميع أفعاله في الملك العظيم؛ كالخلق، والرزق، والرحمة، والعفو، والتدبير، والمغفرة، وغير ذلك من الأفعال، كلها صادرة عن صفات ثلاث: الأولى: القدرة الكاملة للرب ﷻ؛ وقدرته لا أول لها، ولا آخر، ولا بداية لها، ولا نهاية، وهي قدرة مطلقة؛ أما قدرة المخلوق فهي محدودة.

الثانية: المشيئة النافذة لربنا سبحانه، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل شيء أرادته الله لا بد أن يكون، وكل شيء لم يردده الله جلّ جلاله فلا يكون أبداً.

الثالثة: الحكمة الشاملة المقرونة بالخير المطلق، فالله حكيم، وأفعاله في منتهى الحكمة، والعدل، والرحمة، والإحسان، وجميع أفعاله مقرونة بالخير المطلق، فإن الله بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، كما قال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك / ١].

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته في باب التوحيد والإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة القلب من القلب، وهو أساس الأعمال كلها: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وأشرف اللذات، وأحسن المعارف، هي لذة العلم والمعرفة، وأفضل وأحسن لذة في العلم والمعرفة هي لذة العلم بالله ﷻ وأسمائه وصفاته، فإن شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم هو الله ﷻ، ونحن بأشد الحاجة وأمسها لمعرفة الله بأسمائه وصفاته؛ حتى ندعوه بها، ونتوجه إليه في التبعّد له بها، فنحن فقراء نحتاج إلى الغني، ونحن تصيينا الأمراض والحاجات؛ فتتوجه إلى الشافي، ويصيينا الفقر؛ فتتوجه إلى الغني، وهكذا:

﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهذا العلم الإلهي هو أساس الإيمان، وفيه طعم الإيمان، وحلاوة الإيمان، وحقيقة الإيمان، وجميع الأعمال البدنية صادرة عنه، من جميع أنواع العبادات؛ من عبادة، ودعوة، وتعليم، وجهاد، وغير ذلك، والأعمال والدرجات بنیان، أساسه الإيمان، فالأدوار للمباني تقوم على القواعد السفلية القوية المتينة، وكذلك الأعمال الصالحة والدرجات بنیان بينه الإنسان في حياته، وأساسه الإيمان، وعلى قدر الأساس يكون علو البنیان:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (٣) ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٤) [الأَنْفَال: ٢-٤].

لهذا لا بد أن نعلم أن هذا العلم هو أول العلوم، وأفضلها، وأزكاها، وأوسعها، ونحن بأمر الحاجة إليه؛ لأن هذا العلم يعرفنا بالله ﷻ وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد/ ١٩].

استغفر من ماذا؟ من الجهل بالله وأسمائه وصفاته، من الجهل بدينه وشرعه، من الجهل بملكه وسلطانه، من الجهل بعظمته، وكبريائه، وقدرته، وقوته، وعظمة خزائنه وملكه جلّ جلاله.

الله ﷻ سميع لكل شيء، بصير بكل شيء، عليم بكل شيء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٥) ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦) [آل عمران: ٥-٦].

فالله ﷻ يريد من هذا القلب أن يعرف الرب الذي يعبد، ثم يحرك القلب الجوارح بأنواع العبادة، بعد معرفة الرب الذي يستحق التعظيم، لأنه عظيم، ويستحق التكبير، لأنه كبير، ويستحق الحمد لأنه هو ذو الفضل، وذو الجلال والإكرام، ويستحق الحب لأن كل نعمة منه، ويستحق العبادة وحده لا شريك له، لكمال ذاته وأسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأُنعام: ١٠٢].

فنحب الله ﷻ لذاته، وجلاله، وجماله، وأسمائه، وصفاته، لأنه خلقنا، وأرسل إلينا الرسل، وبيّن لنا الحق من الباطل، وأعطانا الجوارح، وأعطانا القدرة، وحبب إلينا الإيمان، وضاعف لنا الأجور، واستضافنا في بطن الأم، واستضافنا في بطن الدنيا، ويستضيفنا في القبر؛ إما في روضة من رياض الجنة، أو في حفرة من حفر النار، حتى نصل إلى دار القرار؛ في الجنة أو النار: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرَوْنَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

فباب العلم بأسماء الله وصفاته أساس التوحيد والإيمان والتقوى.

فصفات الجلال؛ كالقوي، والقدير، والسميع، والبصير، وصفات الجمال؛ كالرحيم، والرحمن، والعفو، والغفور؛ هذه كلها تضطر الإنسان إلى أن يعظّم هذا الرب، وأن يوحد هذا الرب، وأن يشكر هذا الرب، وأن يحب هذا الرب، وأن يقف بين يديه باكيًا، خاشعًا، متذللًا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر / ٩].  
ومن ذاق عرف: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾﴾ [الرعد / ١٩].

فأهم شيء معرفة الرب المعبود؛ حتى نتوجه إليه، حينما أحتاج إلى مال، لا أتوجه إلى فقير؛ إنما أتوجه إلى غني، حينما أحتاج إلى علاج، لا أتوجه إلى عامل في الشارع؛ إنما أتوجه للطبيب الذي جعله الله سببًا للشفاء بصرف الأدوية المناسبة لذلك المرض، كذلك - والله المثل الأعلى - لا بد أن نعرف الرب المعبود بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأن نتيقن أنه رحمن رحيم، وأنه قريب؛ إن تكلمت سمعني، أو أضمرت فهو خبير بما أقول قبل أن أقول، لكن الله يجب أن يسأل، وإن تحركت فهو بصير، ويكون عندي اليقين على أنه قادر على قضاء حاجتي، وأنه لا يقضي حاجتي إلا هو: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

فما جعل الدعاء إلا لنعلم أن الله هو الواحد الأحد الذي بيده كل شيء، وغيره ليس بيده

شيء، لهذا تصنيفنا الحاجات والأحوال والمصائب والأمراض؛ حتى نتوجه إليه ونوحده مرة أخرى، والله ﷻ لا يريد أن يعذب الناس: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء/ ١٤٧].

ولكن الناس إذا انصرفوا وانحرفوا؛ أصابهم بالمصائب والأمراض؛ حتى يعودوا إليه، فالله ﷻ خلق الأمراض والمصائب والمكروهات؛ لصرف الأشرار الذين خرجوا عن الصراط المستقيم إلى الصراط المعوج إلى أعمال الأبرار، فالله ﷻ يرسل لهم رسالة إنذار؛ بمرض أو مصيبة أو مكروه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

وكذلك الله ﷻ خلق هذه المصائب والأمراض والابتلاءات؛ لصرف النفوس إلى الملك القدوس؛ حتى لا تتعلق بال مخلوق، فإذا أحببت المخلوق؛ تعلقت به، وإذا تعلقت به؛ شغلني عن ربي الذي يجب أن أتعلق به: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنْ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

وكذلك الله ﷻ خلق المصائب والأمراض والمكاره؛ لصرف الناس عن دار الغرور إلى دار السرور وهي الآخرة، وجرهم من دار الفناء إلى دار البقاء: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [١٥٧] [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وبهذا نعمل بما يحب الرب، ونكتمل محبوبات الرب في الدنيا، والله يوم القيامة يكمل محبوباتنا في الجنة من النعيم المقيم، وألوان النعيم الذي في الجنة، والتي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

والله ﷻ يحب أسماءه وصفاته؛ لأنها كمال وجلال وجمال، ويجب من اتصف بها من خلقه؛ فالله عفو يحب العافين، والله محسن يحب المحسنين، والله تواب يحب التوابين، والله مؤمن يحب المؤمنين، والله يدعو الناس للتخلُّق بها على شاكلة العبودية؛ فعفو الله



عَفْوًا مطلقاً؛ فهو لا يطلب أجراً من أحد، ولا ثناءً من أحد، لكن عفو الإنسان عن أخيه عفو مقيد، وعفو حادث، وهو يرجو به إما ثواباً في الجنة، أو ثناءً من الناس.

لكن الله ﷻ هو العفو الذي خلق العفو في كل عَفْوٍ، وأمرنا بالعفو، ورجبنا في العفو.

والله ﷻ بيّن لنا أنه يعفو؛ فعلينا نحن العبيد أن نعفو عن بعضنا، فالله عفا عن جميع الخلائق، ولم يعاجلهم بالعقوبة، فهم يسكنون في ملكه العظيم في المشرق والمغرب، وبالليل والنهار، ويأكلون من رزقه، ويتعدّون حدوده، ويشربون الخمر، ويفعلون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ويعبدون الأصنام والأوثان، ويسبّون الله وأنبيائه ورسله، ومع ذلك هو يعافهم ويرزقهم؛ لعلمهم يتوبون ويتضرعون إليه، كما قال النبي ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

إن الله ﷻ لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، وملكه قائم كما يشاء، والخلائق كلها لا تساوي ذرة في ملكه، لأنه الخلاق العليم الذي يخلق في كل ثانية مليارات المخلوقات حجماً ولوناً ونوعاً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر/ ٨٦]. ولهذا استحق العباد: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [١٧] وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

يعفو للعباد، ويرحمهم لجهلهم بربهم، ولهذا جهدنا على البشرية ناقص جداً، لا بد من إبلاغ حلاوة الإيمان، وطعم الإيمان، وحقيقة الإيمان، والتعريف بالرب؛ بأسائه الحسنى، وصفاته العلى؛ حتى يحب الناس ربهم، ويتوجهوا إليه، ثم نبلغهم أوامره الشرعية، ووعدته ووعدته؛ حتى يتنافسوا في الفضائل في الدنيا؛ فيسعدوا في الدنيا، ويسعدوا يوم القيامة، وتكون حياتهم ملكية في الدنيا، تشبه حياة الملائكة الذين: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وتكون حياتهم يوم القيامة ملكية في قرب الملك جلّ جلاله: ﴿إِنَّ الْمُنْتَقِينَ فِي جَنَّتِ وَنَهَرٍ ﴿٥٥﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدِرٍ ﴿٥٥﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩)، ومسلم برقم (٢٨٠٤) واللفظ له.

وفي ملك عظيم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ ﴿٢٠﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ  
 وَحُلُوتُهُمْ مُتَّكِنَةٌ وَالْحُجُوتُ مَرْبُوعَةٌ وَسُقُوتُهُمْ رُحَىٰ وَسَقَمْتُهُمْ رُحَىٰ وَسَقَمْتُهُمْ رُحَىٰ وَسَقَمْتُهُمْ رُحَىٰ وَسَقَمْتُهُمْ رُحَىٰ  
 مَشْكُورًا ﴿٢٢﴾ ﴿[الإنسان: ٢٠-٢٢].

كل الخلائق في الجنة يعيشون عيشة الملوك؛ لأنهم في الدنيا عاشوا مع الملك، ونفذوا  
 أوامر الملك على أنفسهم وعلى غيرهم؛ فهم في يوم القيامة يتمتعون بالنظر إلى وجه ربهم  
 الكريم، ويسمعون كلامه، ويرونه، ويقربون منه، ويتمتعون برضوان جلّ جلاله؛ لهذا  
 إذا عرفنا الأسماء والصفات لله ﷻ؛ فيجب علينا أن نتخلّق بها على شاكلة العبودية،  
 وعلى حسب قدرتنا الآدمية: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي  
 أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ ﴿[الأعراف: ١٨٠].

## التعبد لله ﷻ باسمه العفو

الله ﷻ هو العفو الغفور المعروف بالعفو، الموصوف بالغفران والصفح: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن / ١٤].

ويبين لنا ﷻ أنه عفو، وأنه غفور، وأنه رحيم؛ حتى ندعوه، ونسأله، ونحبه لهذه الصفات الجمالية، وحتى نتعبد لله بالتخلق والتعبد بهذه الصفات بين الناس: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وكل أحد من الناس مضطر إلى عفو الله، ومغفرته، ورحمته، وكرمه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر / ١٥].

كلنا مضطر إلى عفو الله؛ لأن العين قد ترى ما حرم الله، والأذن قد تسمع ما حرم الله، واللسان قد يتكلم بما حرم الله؛ يتكلم بالغيبة، والنميمة، والقييل، والقال؛ فنحن محتاجون إلى التوبة باستمرار، وإلى عفو الله باستمرار: ﴿هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [الشورى / ٢٥].

هذا إنذار بأن كل ما نعمله ونقوم به فالله يعلمه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

كل هذه إنذارات وتنبهات للإنسان؛ أن يعلم أنه بمرأى، وأنه مكشوف أمام ربه بظاهره وبباطنه، وأن ما أعلنه وما أضمره يعلمه الذي يعلم السر والنجوى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [١٤]. [الملك / ١٣-١٤].

بلى، يعلم جميع حركات المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي، ما خفي منها وما بطن: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

هو السميع البصير الذي يسمع جميع الأصوات، ويرى جميع المخلوقات من الذرة الصغيرة إلى العرش العظيم، كلها أمامه مكشوفة بين يديه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا

يَعْلَمَهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: ٥٩].

وملكه عظيم: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٠﴾﴾ [المائدة: ١٢٠].  
فإذا أردت أن أعبد؛ لا أعبد مخلوقاً مثلي، ولا أعبد من هو دوني من شجر، أو حجر، أو صنم؛ بل أعبد الملك الحق، العلي الأعلى، وأتصل بالأعلى؛ ليرفعني إلى مقام أعلى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران / ١٣٩].

فهذا الكلام عن الله وعن أسمائه وصفاته يغذي القلوب بالإيمان، حتى تستأنس به، وتتوجه إليه، وتقف ببابه، ولا تقف بباب مخلوق دونه؛ فهي تأنس بربها، وتستوحش من غيره، وتقف بين يديه ذاكرة، ومسبحة، وحامدة، وشاكرة، وداعية إلى الله، ومعلمة لشرعه، ومستغفرة من الذنوب.

فالعارف حقاً لا يأتيه النوم؛ لما يعرف من عظمة الله، وعظمة حقه، ولما يعلم من عصيان العباد، ولما يعلم من تقصيره في حقه، ولما يعلم من سعة رحمة الله، ولما يعلم أنه عائد إليه، فهو بسبب هذه المعارف قائم آناء الليل والنهار: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ أَنْاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

• ولذلك المسلمون على قسمين:

الأول: أبرار.

الثاني: سابقون؛ وهم الذين عرفوا الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعدته ووعيده، وثوابه وعقابه، ودينه وشرعه؛ هؤلاء يعبدون الله، وعبادتهم شهوات، لا يجبون الانصراف من العبادات، وإذا خرجوا من عبادة؛ انتقلوا إلى عبادة، فكل حياتهم: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [البقرة / ١٣٨].

أما المسلمون من عامة الناس فعندهم الإسلام، وليس عندهم الإيمان الذي يريده الله ﷻ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات / ١٤].

فليس المراد أن تدخل في الإسلام فقط ؛ بل المراد أن يدخل فيك الدين: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَمَرُوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١٥) ﴿ تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) ﴿ تَعَلَّمَ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٧) [السجدة: ١٥ - ١٧].

فالدين كلنا ندخل فيه؛ المسلم والمنافق؛ لكن أهم شيء أن يدخل فينا الإيمان، وإذا دخل الإيمان في القلب ملاً، وانشرح الصدر لحب الله، وطاعته، وعبادته بأنواع العبادات؛ فترى هذا الذي امتلأ قلبه بالإيمان قائم بين يدي ربه يسبحه، ويحمده، ويشكره، ويشني عليه، ويمجده؛ وقائم بين يدي الخلق يدعوهم إلى الله، ويعلمهم شرع الله، ويحسن إلى المحتاجين، فهو دائماً في الأعمال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) [فصلت: ٣٣].

والله سبحانه عفو كريم، وعد بالعفو والمغفرة لمن أتى بأسبابها؛ فقد قابل سبحانه التوبة بالمغفرة، والسؤال بالعتاء، والدعاء بالإجابة: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦) [البقرة/ ١٨٦].

وكلما تكرر الاستغفار والتوبة من الذنوب؛ تكرر العفو والقبول والمغفرة من الرب: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥٣) [الزمر: ٥٣].

وإذا عرف العبد أن ربه عفو غفور؛ أحبه وعبده، وحمده وشكره، لماذا؟ لما يعلمه من رحمته بعباده، وغفرانه لذنوبهم، وإكرامه لهم، وعفوه عن معاصيهم، وقبوله طاعتهم، وحمله ذلك على توقي معاصي الله ﷻ؛ لهذا أمر الله ﷻ بمعرفته أولاً قبل معرفة أوامره؛ فقال: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (١٩) [محمد: ١٩].

ثم بعد ذلك نتعلم الأوامر؛ لأن العبد إذا عرف الله بأسمائه وصفاته؛ استحميا من كفران النعمة، استحميا من ربه الذي خلقه وصوره، وخلق في أحسن تقويم، وأسكنه في أرضه،

وأطعمه من رزقه، وسقاه من شرابه، وألبسه مما خلق، وأعطاه هذه النعم، وهو يسكن في ملك الله، ويعصي الله بنعم الله؛ فيستحيي من ربه.

لهذا تكون العبادات لله ﷻ بعد هذه المعرفة خالصة لله ﷻ بكمال الحب، وكمال التعظيم، وكمال الذل لله ﷻ، ويقف العبد بين يديه راجياً لثوابه، خائفاً من عقابه، محباً له غاية الحب: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثم إذا عرف ربه بالعفو والمغفرة رجاه مهما كانت ذنوبه، وعظمت، وكثرت، وكبرت، وطمع في عفوهِ ورحمته، ولم يقنط من رحمته جلّ جلاله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء: ١١٠].

الذي يعرف ربه باسمه العفو، وأنه يغفر الذنوب جميعاً، وأنه يعفو ويمحو جميع الذنوب؛ إذا استغفر ربه رجاه ووقف باباه؛ لأنه ﷻ رحمته سبقت غضبه: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر / ٥٣].

وإذا علم العبد أن ربه عفو غفور؛ أكثر من الأعمال الصالحة، ومن الحسنات الماحية: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْتَهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ [هود: ١١٤].

لأنها من أسباب الحصول على مغفرة السيئات السالفة، لهذا لا بد من فعل الأسباب الماحية والاستغفار: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ ﴿٨٢﴾ [طه / ٨٢].

ومن عرف ربه العظيم بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی؛ عظّمه وكبّره، وأحبه وأثنى عليه، وحمده وشكره، وأطاعه ولم يعصه، وبدّل السيئة بالحسنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢١٨﴾ [البقرة / ٢١٨].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء / ٩٠].

فقلوبهم معمورة بالإيمان، وجوارحهم مشغولة بالأعمال: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٣-٤].

فأعظم مولد للإيمان، وأعظم مولد للأعمال، وأعظم سبب لحصول الأخلاق والصفات التي يحبها الله، هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وإحسانه فهذا أعظم شيء في باب التوحيد؛ أن نعرف الرب المعبود، ونعرف أمره، ونعرف ثوابه وعقابه، ووعدته ووعدته، هذه خلاصة العلوم، والمؤمن إذا عرف ربه بالعفو والمغفرة والرحمة؛ استحيا منه أن يراه على معصيته، وبادر إلى طاعة ربه، وجاهد نفسه على التحلّق بالأخلاق التي يحبها الله من العفو والصفح عن الناس، وستر عوراتهم، وإقالة عثراتهم: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

اللهم كما أمرتنا بالعفو عمن ظلمنا؛ فقد ظلمنا أنفسنا، فاعف عنا إنك أنت العفو الغفور: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

ومن عرف ربه العظيم بالعفو؛ عفا عمن تحت يده من الأهل والأولاد والخدم: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن آتٍ مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن/ ١٤].

ومن تعبد لله بصفة العفو؛ نال محبة الله ﷻ له؛ لأن الله تعالى يحب العفو وأهله، وفاز بمغفرة الله له، وفاز بدخول الجنة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣].

ما هي صفاتهم؟ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

• ونال كذلك العزة في الدنيا والآخرة؛ بسبب عفوهِ:

ففي الدنيا: لمن عفا الرفعة والعلو والمنعة، كما قال ﷺ: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا» أخرجه مسلم (١).

وفي الآخرة: نال ما يمتنانه من أنواع النعيم، والهناء، والسعادة، والسرور: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى / ٤٠].

والله ﷻ عظيم، وأجره عظيم، والعظيم لا يعطي إلا العظيم، وأما الحقير فإنه لا يعطي إلا الحقير، والله سبحانه عظيم لا يعطي إلا العظيم، والله ﷻ وصف الأجر الذي يعطي بأنه عظيم وكبير وكريم، وكذلك وصف العذاب بأنه مهين وأليم وعظيم، كما هو معلوم في كتاب الله ﷻ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].

وإذا عرفت ثواب العفو جلّ جلاله على العفو عن الناس؛ تعبدت لله ﷻ بهذا الاسم؛ فإن الإنسان إذا عرف ثواب العفو عن الناس؛ عفا عن ظلمه، ووصل من قطعه، وأعطى من حرمه، وأحسن إلى من أساء إليه، ومن فعل هذا، ورزق هذه الأصول الكبرى من الأخلاق؛ أحبه الله، وأحبه الناس، وغفر له رب الناس، وعفا عنه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور / ٢٢].

واسم الله العفو يزيل من النفوس وحشة العقاب عن الذنوب التي تشغل قلب الإنسان، ويدفعها للتضرع والانكسار والإقبال، ويحجب عن القلوب ظلمة الزلات، ووحشة الغفلات، فإن هذه الذنوب مكتوبة صوتاً وصورة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ٦ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨ [الزلزلة: ٦-٨].

والله بالاستغفار والتوبة يعفو عن العبد، ويمحو ذنوبه كأن لم تكن؛ لأنه عفو غفور. والمؤمن حقاً إذا أذنب تاب فوراً؛ ليتوب الله عليه، ويعفو عنه، فإن لرحم البدن ألماً فلا بد

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).



أن نبادر ونذهب إلى الطبيب لعلاج، لأن هذا من فعل الأسباب، وكذلك القلوب تنجرح متى؟ بالمعاصي، ويجد القلب ألم المعصية، ولذلك بعد كل طاعة لذة؛ فمن صلى أو صام أو قرأ القرآن؛ يجد اللذة بعدما ينتهي، وكذلك المعاصي والمحرمات والكبائر لها وحشة ولها ألم؛ فألم القلب بعد المعصية شديد؛ ولهذا الله ﷻ من رحمته دعانا إلى التوبة والاستغفار من الذنوب بقوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

• والأمراض التي تصيب القلوب قسمان:

الأول: أمراض شهوات.

الثاني: أمراض شبهات.

والله ﷻ عفو غفور، بين لنا ذلك، وأمرنا بالاستغفار بعد المعاصي.

والمؤمن حقاً إذا أذنب؛ تاب فوراً؛ ليتوب الله عليه، ويعفو عنه، والمؤمن قد يقع في المعصية بسبب ضعف الإيمان، أو الجهل: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [١٧] وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتُّ أَكُنْ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء/ ١٧-١٨].

فالمؤمن تشغله المعصية؛ فيبادر للاستغفار والتوبة، ومهما كثرت الذنوب وعظمت؛ فالله ﷻ غفور رحيم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢].

• وإذا زاد إيمان العبد كثرت طاعاته:

فزادت عددًا: فيطيع الله ﷻ في باب الصلاة، وباب الصوم، وباب الزكاة، وباب الذكر، وباب الدعاء، وباب صلة الرحم، وباب الدعوة، وباب التعليم، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وزاد ثوابها حجماً: فتزداد حسناته، فالحسنات تكون كالجبال، فالذي يتصدق بشق ثمرة؛ والله ﷻ يرببها لعبده إذا صدرت من قلب صادق؛ حتى تكون مثل جبل أحد حجماً ومساحة، وجبل أحد طوله ٦ كم، بارتفاع عظيم كما نعلم. والله يعطي على الحسنات عشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة.

فإذا زاد إيمان العبد؛ كثرت طاعاته عدداً وحجماً، وقلت معاصيه عدداً وحجماً، لماذا؟ لأنه عرف الله بأسمائه وصفاته، عرف أن الله بصير يبصره، وأنه رحمن يرحمه، وأنه عفو يعفو عنه، وأنه قادر أن يبطش به: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْعَفْوُ الرَّحِيمُ ۗ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۗ﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠].

وقال سبحانه: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۙ﴾ [المائدة/ ٩٨]. لا بد أن نعرف هذا وهذا؛ حتى يأتي في قلوبنا الرجاء لله، ويأتي في قلوبنا الخوف من الله، ومن المعاصي، ومن النار، فإذا زاد هذا الإيمان في القلب، وزادت معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته في قلب المؤمن أكثر؛ لا يكاد هذا المرء يغفل عن طاعة الله، أو يلم بمعصية لله؛ فهو بين يدي ربه قائم وراكع وساجد، يسبح ويستغفر، ويحمد ويشكر، ويمجد ويثني على ربه ﷻ؛ كما قال سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ مَنْ أَمَّا الْبَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۗ﴾ [الزمر/ ٩]. أن أعظم العلوم هو العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بوعده ووعيده، هذه العلوم هي التي خلق الله ﷻ العباد لها، ففي الدنيا نحن في دار المجاهدة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۗ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فالدينا دار الإيمان والعمل؛ والآخرة دار الثواب والعقاب. وأعظم من عفا من البشرية على وجه الأرض سيد الأنبياء والرسول محمد ﷺ؛ كما عرف عنه العفو في مجالات شتى، وفي جميع حالاته الخاصة والعامة، فقد قال ﷺ لكفار مكة الذين آذوه، وأخرجوه، وكذبوه، واستهزئوا به، وحاربوه، ماذا قال لهم عام الفتح؟ لما

فتح مكة، ودخلها متواضعًا، منكسرًا بين يدي ربه، وقف أمام قريش في باب الكعبة وقال: ماذا تظنون أني فاعل بكم يا أهل مكة، فقالوا: خيرًا؛ أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء، وإلا له أن يسترقهم، ويأخذ أموالهم، ويسبي نساءهم؛ ولكنه جُبِلَ على العفو: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولهذا فالصفات العالية في الأنبياء، وأشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فالنبي ﷺ أودى، وسبّوه، واتهموه، وقالوا: ساحر وكذاب، ومجنون، وشاعر: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [٦] ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [٧] [الحجر: ٦-٧].

فاتهموه، وسخروا منه، وآذوه، وسبّوه؛ حتى اضطر أصحابه إلى الهجرة، ومع ذلك قابل هذه الإساءة بالعفو، والنتيجة: دخل الناس في دين الله أفواجًا، وقريش الذين حاربوه وآذوه لما آمنوا؛ خرجوا معه إلى حنين، ثم أعطاهم الله ﷻ في حنين النصر والغنائم، وانقلبت هذه النفوس المليئة بالحقد والحسد والعداوة، إلى قلوب إيمانية صافية تضحى في سبيل الله بأموالها وأنفسها، ثم بعد ذلك، وبعد الفتح، وظهور الدين في مشارق الأرض ومغاربها مما هو حول مكة؛ قبض الله رسوله ﷺ، وترك لنا باقي الأرض، وباقي الناس؛ حتى ندعوهم إلى الله؛ لأننا نواب الرسول ﷻ في أمته، فلا بد أن نتخلق بهذه الصفات العالية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وكان ﷺ يصدّق أقواله بأفعاله؛ ودعا أهل الطائف إلى الإسلام فكذبوه، وضربوه بالحجارة، ثم نزل عليه ملك الجبال مع جبريل، وسأله أن يطبق عليهم الأخشيين، كما قال الرسول ﷻ في الحديث المعروف: «فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الشَّعَالِبِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

الذي هو قرب مكة، وقرب عرفات، فهنا نزل عليه جبريل، ومعه ملك الجبال عنده قوة أن يجمع جبال الأرض كلها في يده، ويفعل بها ما يشاء، الله القوي جلّ جلاله أعطاه

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩٥).

هذه القوة، وسأله أن يطبق عليهم الأخشبين جبلي مكة؛ حتى لا يبقى لهم بقية. فقال ﷺ: لا، وذلك لشدة رحمته بأمته؛ لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبد الله ويوحده. هذا أمل الداعي، فينظر إلى الصورة الحاضرة؛ فيتوكل على الله، ويتقرب إلى الله بامثال أوامره، والله بعد ذلك يفعل ما يشاء، يهدي من يشاء، ويضل من يشاء: ﴿فِيمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُن لَّهُمَّ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ويوسف ﷺ آذاه إخوته وحسدوه، وفرقوا بينه وبين أبيه يعقوب حوالي أربعين سنة، وكذبوا عليه، ونقلوه من جنب أبيه إلى الجُب، وصار من الجُب إلى الرق، ومن الرق إلى السجن، ومن السجن إلى القصر، وصبر، وجبريل يأتي إلى يعقوب في بلاد الشام، ويأتي إلى يوسف في مصر، وظل يعقوب أربعين سنة لا يعلم عن ولده شيئاً؛ إلا أنه يعلم أنه غائب عنه، فماذا حصل؟ حصل من يعقوب أنه عفا عن أولاده، وقال لأبنائه: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف / ٩٨].

وقال يوسف لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف / ٩٢].

ثم قال يوسف أمام أبيه وأمه وإخوته: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف / ١٠١].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

هذه أخلاق الأنبياء صبر وحلم، وعفو ورحمة، وإحسان واستغفار: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٩].

تكسب محبة الله، ومحبة الناس، وتعيش بين الناس محبوباً بهذا الخلق العظيم: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الذِّين: ١٣٣].

يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ  
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وتكسب محبة الله ﷻ، وتنال أجره العظيم بهذه الجوهرة العظيمة التي هي صفة  
 العفو: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

والله سبحانه عفو يحب العفو، ويجب من تخلّق به، وأمر كل إنسان أن يتخلّق به، ويتعبد  
 لله به فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف / ١٩٩].

والعفو من أحسن الأخلاق التي تؤلف القلوب، وتزيل الوحشة والبغضاء بين  
 الناس: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة / ٢٣٧].

فنسأل الله ﷻ أن يرزقنا هذه الصفة، وغيرها من الصفات التي يحبها الله ﷻ.  
 واعلم أيها المسلم، واعلمي أيها المسلمة زادكم الله إيماناً وتقوى، وصلاًحاً وفلاحاً أن  
 العفو من صفات الملك الكريم الحق جلّ جلاله، ولولا حلمه وعفوه على من كفر به  
 وعصاه؛ لعاجله بالعقوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ  
 أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر / ٤١].

السموات تعلم بالمعاصي والطاعات التي تُعمل عليها؛ فتكاد تنزل؛ ولكن الله ﷻ  
 يمسكها أن تزول؛ لشدة رحمته بعباده، وعظيم عفوه عنهم، وسعة حلمه عليهم،  
 ومغفرته لذنوبهم.

والله سبحانه قد يأخذ الخلق بالعذاب الذي يذكرهم به، ويردهم إليه؛ ليستغفروا  
 ويتوبوا: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ﴾ [المؤمنون / ٧٦].

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣].

فجاء التدمير: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ فَاذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

وإياك والإصرار على ما يسخط الله ﷻ؛ فإنه يملك العفو جل جلاله، وكذلك هو الذي يملك الانتقام؛ فاعف ما استطعت؛ فإن العفو يرفع مقام العبد، ويجعله يتصف بصفات الرب، وبالصفات التي يحبها الله؛ فالله عفو يحب العفو، ويجب من عفا: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾ [المائدة / ٩٥].

كم انتقم من الأمم السابقة التي أصرت على الكفر، وكذبت الأنبياء! ﴿ فَاذْنًا بِذُنُوبِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

واعلم أن مقصود الرب من خلقه في الدنيا توحيد عبادته وحده لا شريك له، بما شرع رسوله، وتحصيل الصفات التي يحبها الله؛ من العفو، والكرم، والمغفرة، والحلم، وغير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

ومقصود الله من خلقه في الآخرة تكميل شهواتهم، ومحوباتهم التي يحبونها، والتمتع بالنظر إلى وجه الكريم في الجنة؛ وتعذيب من كفر به وعصاه في النار: ﴿ فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩].

فإن أردت الفلاح والسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة؛ فاعف عن ظلمك، وصل من قطعك، وأعط من حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك، واصفح عن آذاك، واصبر على ما أصابك: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمِنَ أَرْوَجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ

فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ [التغابن / ١٤-١٥].

فإنه عنده أجر عظيم على الصبر على البلاء، على العفو عن الناس، على الإحسان إلى الناس، على كظم الغيظ، على الكلمة الطيبة، على التعبد بين يدي الله بالذكر والدعاء والصلاة والصوم، وغير ذلك من ألوان العبادات: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجَدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَقْبَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج / ٧٧].

لهذا على المسلم والمسلمة التخلُّق والتعبد لله بهذا الاسم العظيم، فاعف عن جميع الخلق؛ يعفُ الله عنك، ويعافيك، ويشيك أجزل الثواب، ومن انتقم ممن ظلمه بالعدل؛ فلا إثم عليه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ [الشورى / ٤٠-٤١].

واعلم أن العفو خلق عظيم، لا يتصف به إلا كريم، فكن أنت ذلك؛ تنل من ربك العفو والغفران، والجنة والرضوان، كما قال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّارِّءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِ الظِّمِثَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٦].

وإذا وقعت بينك وبين الله جفوة أو وحشة بسبب ذنب فعلته؛ فعليك أن تتوب إلى الله منه، مهما كان ذلك الذنب، ثم تتبعه بحسنات من أي عمل صالح؛ تذهب عنك الخجل من ربك؛ لأن الإنسان يخجل أن يعصي من أكرمه وخلقه، ولأن العمل الصالح يُنسي صاحبه هذا الذنب، ويفرح بثوابه؛ فحصل محو الذنب من الرب، وجبر الكسر من العبد؛ لأنه لما انكسر بين يدي ربه، وعمل الصالحات؛ جبر كسره بهذا العمل

الصالح: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِينَ﴾ [هود: ١١٤].

فعلبك أيها العبد إذا عصيت الله ﷻ أن تعلم أن ربك غفور رحيم.

وقال النبي ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ» أخرجه الترمذي وابن ماجه (١).

فإذا أخطأ الإنسان؛ فعليه أن يتوب ويستغفر ربه.

قال النبي ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَأَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» أخرجه مسلم (٢).

لأن ظهور اسم الغفار والغفور والعفو والحليم مبني على وجود الإساءة من العبد، فأنا أستغفر من إساءتي، ومن سيئاتي، وقد تكون التوبة بعد الذنب محرماً للعبد لطاعة الله ﷻ، وكل الخلائق مذنبون؛ فلا بد لهم من التوبة: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات / ١١].

● فالناس اثنان:

ظالم .. وتائب.

وكلنا ظالمون لأنفسنا؛ فلا بد من التوبة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف / ٢٣].

والله وعد بالعفو والمغفرة، وهو لا يخلف الميعاد: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

فعلينا الاستغفار والتوبة؛ لنمحو آثار الذنوب، ونطهر أجسادنا وصحائفنا من هذه الذنوب التي يستوحش الإنسان منها، وإذا ذكرها استوحش قلبه، والله ﷻ بين لنا أنه عفو غفور.

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٤٩٩)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٤٢٥١) وهذا لفظه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).



قال النبي ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» أخرجه الترمذي وأحمد<sup>(١)</sup>.

فالطاعات بعد المعاصي تزيل الحجاب والوحشة بينك وبين الله وتنال بها من ربك الأجر الحسن: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ [يونس / ٢٦].

واعلم أن العفو عن المسيء حسن، والأحسن أن تتبع العفو بالإحسان إلى هذا الإنسان، كما قال الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ ﴿١﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

هذه درجة؛ أكظم غيظي عن أساء إليّ، ثم درجة أعلى منها: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾؛ فقل لمن أساء إليك: اذهب فقد عفوت عنك مما عملت، ثم أتبع ذلك بالهدية له، والدعاء له: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٤].

فهذه درجات في الخلق؛ علينا أن نجتهد حتى نتحصّل عليها لنترقى. واعلم أخي المسلم أن من عفا وأصلح ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً، ومن انتقم ولو كان على حق؛ امتلاً قلبه جفوة وخوفاً، ومن عفوت عنه؛ فقد اشتريته بهذا العفو، وانقلبت عداوته إلى صداقة ومحبة، ومن أحسنت إليه؛ فقد ملكته، ولهذا عُرِفَ اللهُ ﷻ بالعفو وبالإحسان، فاعف وأحسن إلى كل من أساء إليك؛ يعفُ اللهُ عنك، ويغفر ذنوبك: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾ [النور / ٢٢].

واعلم أن: ﴿الْحَسَنَاتِ يَدْهَبَنَّ السَّيِّئَاتِ﴾ ﴿١١٤﴾ [هود / ١١٤]. وما أكثر السيئات! وما أقل الحسنات! فليبادر الإنسان إلى الإكثار من الحسنات، من التطوعات؛ من الصلاة، والصوم، والذكر، والحج، والعمرة، وغير ذلك: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا﴾

(١) حسن / أخرجه الترمذي برقم (١٩٨٧) وهذا لفظه، وأحمد برقم (٢١٥٢٦).

مَنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكَزَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النُّقُوءَ وَأَتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ ﴿البقرة: ١٩٧﴾.

فالحسنات تمحو السيئات، وتزيل عنك وحشتها: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ أَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرِينَ﴾ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴿هود/ ١١٤-١١٥﴾.

ومن عفوه سبحانه أن جعل المصائب التي تصيب العبد تكفر سيئاته، فاصبر واحتسب؛ تملأ أجر الصابرين: ﴿قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿الزمر/ ١٠﴾.

فهذه المصائب التي تصيب الناس تكفر سيئاتهم، وترفع درجاتهم، وتزيد إيمانهم، وترقي تعبدهم لله ﷻ، فما أصاب الله ﷻ عبداً بمصيبة بسبب سيئته، ثم تاب إلى الله ﷻ منها الأحسن عمله بعدها.

هذه سنة الله، وبعد هذه التوبة يحصل للعبد بهذه المصيبة التي ألمته تضرع وانكسار بين يدي ربه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿البقرة: ١٥٥-١٥٧﴾.

• فكل مصيبة ثمر للعبد تسع ثمرات:

الأولى: توبة جديدة إلى الرب الذي خلقه، ورزقه، وأطعمه، وسقاه، وهداه.

الثانية: إيمان جديد بالرب ﷻ.

الثالثة: حب جديد للرب ﷻ.

الرابعة: تعظيم جديد للرب ﷻ.

الخامسة: عبادة جديدة للرب ﷻ.

السادسة: شكر جديد للرب ﷻ.

السابعة: استغفار جديد للرب ﷻ.

الثامنة: خوف جديد من الرب ﷻ.

التاسعة: حياء جديد من الرب ﷻ: ﴿فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

وإذا أنعم الله عليك بنعمة، فشكرت الله ﷻ عليها؛ أدرّ الله ﷻ عليك النعم. وإدراة النعم عليك يُذكرك بربك، وإذا ذكرت ربك بأنه ينعم عليك وأنت تعصيه بنعمه؛ حصل لك تسع كرامات:

توبة جديدة، وإيمان جديد، وحب جديد لربك، وتعظيم جديد لربك، وعبادات جديدة، وحمد جديد، واستغفار جديد، وحياء جديد من ربك: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

والعفو من صفات الكرام، والكريم يعفو عن الزلات، والحاكم مع رعيته، والمعلم مع طلابه، والمدير مع موظفيه، والرجل مع أهله يكسب القلوب كلما عفا عن الزلات، وقبّل الأعداء، ورحم من تحت يده: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران / ١٥٩].

والعفو والصفح صفتان كريمتان، أمر الله ﷻ بهما مع الكفار كما أمر بهما مع المؤمنين: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

هو الذي حول حياة الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن البغض إلى المحبة، ومن الشرك إلى التوحيد؛ فالله أمرنا بالعفو والصفح مع المؤمنين، ومع الكفار، ومن عفا عن أخيه أو غيره؛ قلب الله ﷻ عداوته صداقة ومحبة ومودة، وغفر ذنبه: ﴿وَلِيعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَّا تُحِبُّوا أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

والإنسان كلما تعرّف على صفات الكمال البشري عند أحد من الناس؛ زادت محبة ذلك الشخص المتصف بتلك الصفات العالية، والأخلاق الكريمة، وزاد تقديره عنده.

وكذلك كلما تعرّف الإنسان على أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة؛ زاد حبه لله، وزاد تعظيمه لله، وزاد تكبيره له، وزاد حمده وشكره له، وأصبح بين يدي ربه يمجده ويمجده ويثني عليه؛ ولهذا أمرنا الله ﷻ بمعرفته؛ حتى نعرف المعبود، وما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩].

والمؤمن إذا عرف أن الله عفو، وأنه يحب العفو، ويجب العافين عن الناس؛ أحب ربه وحده، وعفا عن غيره: ﴿وَإِن تَعَفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤﴾ [التغابن: ١٤].

ومن عرف ربه بالعفو؛ أحبه، وأخلص العبادة له، ورجا عفو، ورجا رحمته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢١٨﴾ [البقرة / ٢١٨].

فهم لما آمنوا بالله، وعرفوا أسماءه وصفاته؛ وقفوا بين يديه ركعًا وسجدًا، متواضعين ومنكسرين، فجمعوا بين الإيمان والهجرة، والجهاد والمجاهدة في سبيل الله. فعلى كل مسلم ومسلمة أن يجاهد نفسه؛ ليتخلّق بخلق العفو الذي يحبه الله ﷻ، ويصفح عن أساء إليه، ويدفع السيئة بالحسنة.

قال النبي ﷺ: «وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>. والجزاء من جنس العمل؛ فمن عفا عن الناس؛ عفا الله عنه، وغفر له، ومن أحسن إلى الناس أحسن الله إليه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى / ٤٠].

وآثار العفو والتسامح والصفح على النفس البشرية التي تعفو وتصفح وتغفر أعظم أثرًا من الطعام والشراب الحلال على الأبدان: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٨٨).

بسبب الرحمة لانت قلوبهم القاسية؛ فأحبوك، وآمنوا بك، وجاهدوا معك، وهذا خطاب للنبي ولأمته.

فالرحمة والعفو هذه حلل عظيمة يعطيها الله ﷻ لمن يشاء من عباده، لمن يعلم أنه يزكو بها، فنسأل الله من فضله أن يرزقنا من هذه الصفات الحسنة من العلم، والحلم، والعفو، والصفح، والتسامح، والتي لها أثر عظيم على صحة القلب، والبدن، وحسن المزاج، وقوة المناعة؛ من الأمراض البدنية والنفسية والعصبية، فضلاً عن أجر العفو وثوابه من الله، وعلو منزلة من عفا عن غيره.

فهذه الصفات لها أثر على أجهزة الجسم البدنية، واليوم كثرت الأمراض بسبب فقد هذه الصفة، وعدم التعامل بها مع الناس؛ فصحة الأبدان والقلوب مبنية على هذه الصفات: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤].

وكل من عفا؛ وجد في قلبه الطمأنينة واللذة؛ لأنه يرجو الثواب من الرب، ولأنه يشعر أنه أحسن إلى أخيه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْر الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

ولهذا أمر الله ﷻ بذكره؛ لأننا إذا ذكرناه؛ ذكرنا أسماءه وصفاته، ثم تخلقنا بها، ثم تعبدنا لله بها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومن رزقه الله صفة العفو؛ فعليه أن يجعلها خالصة لله ﷻ، وأن يدعو الناس للتخلق بها؛ ليتشر هذا الخلق العظيم بين الناس: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وأصول الأخلاق أربعة، وهي شديدة المرارة؛ لكن من تعامل بها؛ قلبها الله حلاوة عليه وعلى غيره وهي:

أن تصل من قطعك .. وتعطي من حرمك .. وتعفو عمن ظلمك .. وتحسن إلى من أساء إليك .

وهذه الأربعة مفاتيح القلوب في البشر لقبول الحق، وحب الله، وحب المسلم، وحب الإسلام؛ فمن تحلى بهذه الصفات؛ صارت مفتاحًا لقلوب الناس؛ ليسمعوا قولي ونصحي، وما أدعوه له، فنسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم هذه الأخلاق العالية، وأن يعفو عنا، ويعفو عما سلف من ذنوبنا وتقصيرنا.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا.

يا عظيم العفو والصفح، يا حسن التجاوز، يا واسع الرحمة، يا واسع المغفرة؛ اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عنا.

اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسره، يا عفو يا كريم.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الغفور.. الغفار

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الغفور.. الغفار

الله ﷻ هو الغفور الغفار الذي يستر ذنوب عباده، ويستر عيوبهم، ويصلح أحوالهم، وهو سبحانه الغفار الستير الذي يستر ذنوب الخلق، فلا يكشف أمر من عصاه، ولا يهتك ستر هذا العاصي.

فهو سبحانه الغفار الذي يستر ذنوب الخلق، فكم ذنوب الخلق! وكم حجمها! وكم أنواعها! وكم تكرارها! فالله ﷻ هو الغفار الستير الذي يستر ذنوب الخلق، فلا يكشف أمر من عصاه، ولا يهتك ستره بالعقوبة التي تشهره في عيونهم.

وهو سبحانه العزيز الغفار الذي إذا غفر غفر كل شيء، وستره على من عصاه، وإذا عاقب أوجع؛ ليعلم العباد سعة مغفرته، وشدة عقوبته، فيطيعونه ويعبدونه وحده لا شريك له، ولا يعصونه ويخالفون أمره: ﴿وَيَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر/٤٩ - ٥٠].

وهو سبحانه الغفار الحق الذي يستر على المذنب ذنبه، ولا يؤاخذة فيشهره ويفضحه؛ لعله يتوب إليه ويستغفره: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه/٨٢]. فسبحان العفو الغفور، الذي لم يزل ولا يزال بالعفو والصفح معروفاً، وبالغفران موصوفاً وممدوحاً: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٣٤) [فاطر: ٣٤].

وكل واحد من الخلق مضطرب إلى ربه في كل حال، مضطرب إلى ربه في خلقه وإيجاده، وفي إمداده وفي إسعاده، ومضطرب إلى رحمته وكرمه، ومضطرب إلى حفظه وعونه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) [فاطر/١٥].

فالله أحوج بعضنا لبعض، ثم أفقرنا جميعاً إليه، فكلنا محتاجون إليه؛ الكبير والصغير، والذكر والأنثى، والحاكم والمحكوم، محتاجون إليه في العافية، محتاجون إليه في أرزاقنا، في شرابنا، في طعامنا، في الهواء الذي نتنفسه، في الأرض التي نمشي عليها: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) [فاطر/١٥].

هو العزيز الغفور الذي يغفر الذنوب جميعاً، ومغفرته فضل وإحسان منه، لا يُسأل عما



فعل إذا غفر أو عفى، أو أعطى أو منع؛ لأنه هو العفو الغفور، الرحمن الرحيم، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].  
وصفات الله ﷻ تنقسم إلى قسمين:

صفات ذاتية لله ﷻ؛ كالقوة والقدرة، والعلم والحياة، هذه صفات ذاتية لله ﷻ لا تنفك عن الله أبداً.

أما الصفات الفعلية فهي كالخلق، والرزق، والرحمة، والعفو، والمغفرة، ونحوها، هذه صفات فعلية يفعلها الله إذا شاء بحكمته.

وأفعال الله ﷻ في ملكه العظيم، وأفعاله مع خلقه، وأفعاله مع أوليائه، وأفعاله مع أعدائه، كلها صادرة عن صفات ثلاث للرب جل جلاله، جميع صفات الأفعال من الخلق، والإيجاد، والرزق، والرحمة، والعفو، والمغفرة؛ هذه كلها صادرة عن صفات ثلاث للرب ﷻ، فهي صادرة عن قدرة كاملة، فالله على كل شيء قدير، والمشيئة النافذة لله ﷻ، إذا شاء كان، وإذا لم يشأ لم يكن، وهو ﷻ على ما يشاء قدير، فله القدرة الكاملة في أفعاله في ملكه، وله المشيئة النافذة، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً، هو الذي جعل الأبيض أبيضاً، والأسود أسوداً، وخلق هذا جماداً، وهذا حيواناً، وهذا إنساناً، وخلق كل شيء لوناً وحجماً، بيده الحياة والموت، وبيده العطاء والمنع، وبيده العزة والذلة، وبيده الملك والتدبير: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك: ١].

وكذلك صادرة عن الحكمة الشاملة، فالله في ملكه وفي خلقه له الحكمة الشاملة، وأفعاله كلها حكمة، وعدل، ورحمة، وإحسان.

فأفعاله جل جلاله في ملكه صادرة عن صفات ثلاث عظيمة للرب جل جلاله: قدرة كاملة له، والمشيئة النافذة له، والحكمة الشاملة المقرونة بالخير المطلق، فكل أفعاله خير مطلق: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلُوكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٦﴾ [آل عمران: ٢٦].

فالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله علمٌ عظيم، وهو بمنزلة الرأس من الجسد في باب

التوحيد والإيمان، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومملكه وسلطانه، ودينه وشرعه؛ أحبه وحده ومجده، وعظمه، وكبره، فالعلم بالله ومن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله تفانى في طاعته، وأظهر حبه، وانكسر بين يديه، وتذلل بين يديه، وخشع قلبه، وخضعت جوارحه لمولاه؛ لأنه عرف القوي القادر القاهر، وعرف الرحمن الرحيم، العفو الغفور الرحيم.

ومن عرف أوامر الله الشرعية قبل أن يعرف ربه تفنن في التفلت من أوامره.

هو العزيز الغفور الذي يغفر الذنوب جميعاً، ومغفرته فضل وإحسانٌ منه، لا يُسأل إذا غفر أو عفى، أو أعطى أو منع، أو أعز أو أذل، لأن أفعاله كلها حكمة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران/ ١٢٩].

سبحانه هو الغفور الذي يغفر الذنوب جميعاً، هو سبحانه الذي المغفرة أحب إليه من العقوبة، والرحمة أحب إليه من القسوة والانتقام، وما أمرنا أن نستغفره إلا ليغفر لنا، والعبد من شأنه أن يذنب، والله من شأنه أن يعفو ويغفر: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

هو سبحانه العزيز الغفار الذي كلما تكررت الإساءة من الإنسان وأقبل عليه واستغفره؛ غفر له وعفا عنه، هو الغفار الذي ستر منك أيها العاصي السوءات والقبائح، وأظهر كل حسن من الصفات والأقوال والأعمال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

هو الغفور الذي يغفر الذنوب مهما عظمت، ومهما كثرت، ومهما تكررت، هو الغفور كثير المغفرة والستر، وقد تقتضي الحكمة والعدل أحياناً أن يفضح المسيء أو يعاقبه ليعود إليه بعد إصراره وجحوده، لكن المغفرة من الغفور أكثر: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

فهو غفور يستر الذنب، ويضفي رحمته على العبد، فيدخله الجنة، وينسيه ذنوبه.

والله غفور رحيم، لا يفضح إلا من لديه إصرار على الذنب، فالله لا يفضح العاصي من

أول مرة، بل حين يصر على الذنب ويألفه، ويبارز الله ﷻ بالمعاصي، ويجعله سلوكًا له، فعند ذلك يفضحه ويؤدبه ويعاقبه؛ لئلا تفسد حياة الناس، ويُقتدى به في السيئات والقبائح والكبائر: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

فإذا أصرّ العبد وجهر بالمعصية؛ فعند ذلك يفضحه الله ويؤدبه ويعاقبه ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ، وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء/ ١٢٣].  
فسبحان الغفار الذي لسعة حلمه يغفر للمذنب مرةً بعد مرة من سعة رحمته يغفر الذنوب جميعًا، كبيرها وصغيرها، أقوالها وأفعالها.

هو سبحانه الغفار إذا عدت إليه وتبت إليه بصدق وإخلاص: ﴿نِعَىٰ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].  
فهو شديد العقاب لمن كفر به، واستكبر عن عبادته، وأصر على معصيته، وجهر بها، فلا تعلق آمالًا على مغفرة الله وأنت مقيم على معصيته: ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف/ ١٥٣].

هو الغفور الذي يستر ذنوب العباد، وأعلمنا بأنه الغفور الغفار؛ حتى نستغفر الله من كل ذنب، فالذنوب قبائح، كما أن السوءات البدنية تُستر بالملايس، وكذلك سوءات الخلق وقبائحهم من المعاصي، فالعفو الغفار يستر ذنوب العباد؛ لئلا ينجسوا، ويعفو عن التائبين، فلا يوقع عليهم العقاب: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٩].

فكل عاص هو ظالم، والظالم لا بد أن يستغفر: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

هو سبحانه غافر الذنب إكرامًا لعبده الذي آمن به وأطاعه، إذا زلت به قدمه، وقابل التوب إنعامًا، الغفور الذي يغفر الذنوب جميعًا إكرامًا لك، إما أن يمحوها من صحائفك، وإما أن ينسيها الملائكة، وإما أن ينسيك إياها؛ لتأتي إليه يوم القيامة فرحًا مسرورًا، سليماً جميلاً، بلا جاهلية ولا ذنب، ولا قبيح تحجل منه أمام ربك الكريم، وهذا منتهى الكرم والعفو والإحسان: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرُ ﴿٢﴾ [غافر/٣].

وهو سبحانه الغفور الغفار الحق، الرحيم بعباده، الذي يغفر ذنوب عباده وخطاياهم، صغيرها وكبيرها، قليلها وكثيرها، ظاهرها وباطنها: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص/٦٦].

فسبحان ربنا العظيم واسع الرحمة، واسع العلم، واسع المغفرة، واسع الحلم. وقد ورد اسم الله الغفور في القرآن الكريم إحدى وتسعين مرة، وورد اسم الله الغفار خمس مرات، وورد اسم الغافر مضافاً مرة واحدة في قوله: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر/٣].

ومجموع هذه الأسماء لله ﷻ وردت في القرآن الكريم سبعمائة وتسعين مرة. والغفر والغفران هو الستر والتغطية، والغفور والغفار صيغ مبالغة تدل على كثرة الغفران، وكثرة الستر، وكثرة المسامحة، وكثرة التجاوز من الرب الرحمن الرحيم. والله سبحانه هو الغفور الذي يستر الذنوب بفضله، ويتجاوز عن العصاة، ويمحو سيئاتهم بعفوه، هو الغفور الغفار الذي ترجى منه المغفرة، ويغفر لعباده مرة بعد مرة، فهو يكرمهم بالأرزاق مرة بعد مرة، ويغفر لهم مرة بعد مرة، ويعفو عنهم مرة بعد مرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه/٨].

فله سبحانه صفات الجلال، وصفات الجمال، فنحن نعظمه لجلاله، ونحبه ونحمده لجماله؛ لأنه متصف بالرحمة، والعفو، والمغفرة، والكرم، فنعظمه ونحبه، لجلاله وجماله وكماله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٣].

فهو جل جلاله الغفور الغفار، وهذه صيغ مبالغة تدل على كثرة الغفران والمغفرة لعباده الذين يخطئون بالليل والنهار، وهو يغفر الذنوب جميعاً، فهو الغفور الغفار الذي تكثر منه المغفرة والغفران، ويغفر ذنوب العباد مرة بعد مرة، في كل زمان ومكان، مهما تنوعت من صغائر وكبائر: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص: ٦٦]. هو الغفور الغفار الذي يستر ذنوب العباد، ويسدل عليهم ثوب ستره، وعطفه، ورأفته،

ويغفر لهم مهما بلغت ذنوبهم وكثرت وتنوعت؛ إذا استغفروه وتابوا إليه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/٥٣].

والمغفرة أوسع مدلولاً من العفو؛ فالعفو محو السيئات وإذهابها بالكلية، والمغفرة تتضمن محو السيئات وستر العيوب، مع الرضا والقبول من الرب، ولهذا قرن الله ﷻ في القرآن بين العفو والمغفرة في قوله سبحانه: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦].

العفو والمغفرة والرحمة درجات؛ والرحمة والمغفرة أحب إلى الله من الانتقام، فهو يزيل الذنوب بالعفو بالكلية، وهو يغفر الذنوب التي فعلها العباد، ويرضى عنهم، ويقبل توبتهم: ﴿نَتَىٰ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/٤٩-٥٠].

فما أعظم رحمة الله بخلقه! وما أشد عنايته بهم، وترغيبهم في الطاعات، وتخويفهم من المعاصي والسيئات! ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/٦٥].

والصفة المشتقة من اسم الله الغفور والغفار هي المغفرة والغفران، وهي صفة فعلية ثابتة لله ﷻ، فمن شأن العبد أنه يطيع ويعصي، ويؤمن ويكفر، ومن شأن الرب أنه يعفو ويغفر، مع تكرار الذنوب والمعاصي، ومع تنوعها: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدَ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/٧٠-٧١].

وقال الله ﷻ عن موسى ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرْتَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [الفصص/١٦].

ومن دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٩).

وقد اقترن اسم الله الرحيم مع اسم الله الغفور في القرآن إحدى وسبعين مرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٥﴾ [الأحزاب/ ٥].

وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٥﴾ [الحجرات/ ٥].

وسر ذلك وحكمته والله أعلم: الإشارة إلى أن مغفرة الله لعبده مع استحقاقه العقوبة بمقتضى عدله، ما هو إلا أثر من آثار رحمته جل جلاله، كما أن المغفرة - وهي ستر الذنوب - تحلية من الذنوب بستر الذنوب، والرحمة تحلية بعد التخلية، وهكذا يتبع الله ﷻ المغفرة بالرحمة، فالمغفرة تحلية، والرحمة تحلية، تحلية بماذا؟ تحلية بالفضائل، والثواب، والكرامات، والتخلية مقدمة على التحلية، فتكون القلوب زاكية إذا خلت من الشرك والنفاق والرياء، وتحلت بالتوحيد والإيمان والتقوى، ومن رحمة الله: إزالة الشر، ثم التحلية بالخير: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَنِي ضَلَالِ مُبِينٍ ٢﴾ [الجمعة: ٢].

واقترن اسم الله الشكور مع اسمه الغفور ثلاث مرات في كتاب الله، منها: قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ٣٩﴾ [البقرة: ٣٩] لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ٣٠﴾ [فاطر/ ٢٩ - ٣٠].

وسر ذلك والله أعلم الإشارة إلى أن الله سبحانه يغفر ذنوب العباد، ويصفح عن سيئاتهم، وإذا أحسنوا وعملوا الصالحات بعد توبة؛ تاب الله عليهم، وشكرهم على طاعاتهم، فضاعف لهم الأجر، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، إلى ﴿وَإِذَا لَا تِنَّهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ٦٧﴾ [النساء/ ٦٧].

وكذلك اقترن اسم الله الحليم مع اسمه الغفور أربع مرات في كتاب الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٣٣٥﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

وقال ﷻ: ﴿تَسِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يَسْحُبُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾ [الإسراء/ ٤٤].

حليماً على هؤلاء الناس، جميع المخلوقات تسبح بحمد ربها، إلا الإنسان الذي أضله الشيطان، واتبع هواه، ولكن الله حليم لا يعاجل بالعقوبة من عصاه، غفور يستر

الذنوب؛ لعل هؤلاء أن ينيبوا، ويتوبوا، ويستغفروا ربهم؛ فيغفر لهم.

فسر اقتران الحليم مع اسم الله الغفور الإشارة إلى أن من مقتضى حلم الله ﷻ أنه يغفر ذنوب عباده، ولا يؤاخذهم عليها، ويكفر عنهم سيئاتهم، ويتوب عليهم: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].  
فقدّم المغفرة والرحمة على الانتقام: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩﴾؛ مهما عمِلُوا، مهما أخطَوْوا، مهما أذنبوا؛ فالله ﷻ هو الغفور الرحيم: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩﴾ [الحجر/٤٩-٥٠]. ليكون الناس بين الرجاء والخوف.

واقترن اسم الله الودود مع اسمه الغفور مرة واحدة في كتاب الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِيٌّ وَبَعِيدٌ ١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ١٤﴾ [البروج/١٣-١٤].  
فسر اقتران الودود بالغفور الإشارة إلى أن موجبات رحمة الله ومحبة للمستغفرين التائبين مغفرته لعباده، وقبول توبتهم.

واسم الله الغفور والغفار يدلان على كثرة مغفرة الله ﷻ، وكثرة من يغفر لهم، وكثرة الذنوب التي يغفرها الله لعباده، فمهما كثرت، ومههما تنوعت، ومههما تكررت، هو الغفور الغفار، الغفور الذي يغفر الذنوب مهما عظمت، ومههما كبرت، الغفار الذي يغفر الذنوب مهما تعددت، وكثرت، وتكررت.

فسبحان الغفور الذي يغفر الذنوب العظام الكبار، الغفار الذي يغفر الذنوب والآثام مهما كثرت وتعددت: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ٣٤﴾ [فاطر/٣٤]؛ يغفر الذنب، ويشكر على الطاعة بعد الذنب.

وسبحان الغفور الغفار الذي لا تحصى مغفرته، الذي كلما تكررت توبة العبد من الذنب؛ تكررت المغفرة من الرب؛ لأنه الغفور الغفار.

هو سبحانه الغفور الذي يستر ذنوب من عصاه من خلقه، ولا يكشف ذنوب العاصي لخلقه، ولا يهتك ستره للعقوبة التي وضعها من حدودٍ وتعزيرات، فكم غفر الله! وكم ستر من المذنبين والعصاة! ولا يحصي هذه الذنوب والمعاصي إلا الله ﷻ، ولكنه يغفرها ويسترها ويمحوها، ويوم القيامة يُنشر للإنسان تسع وتسعون سجلاً قد عملها العبد،

فالله ﷻ يظهر كرامته ورحمته لعبده، ويقول له: هل تنكر من هذا شيئاً يا ابن آدم؟ أو كما قال ﷻ فيقرره بذنوبه، فيقول: أنت عملتها في الدنيا، وأنا سترتها عليك، وأغفرها لك اليوم، فالحمد لله رب العالمين على كمال ذاته، وجلال أسماؤه وصفاته، الرب العظيم الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فهو الغفور الذي يغفر الذنوب، ولا يشهرها في عيون الناس، غفار يغفر ويستر، ولا يوبخ ولا يعنف: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].

وقد اقترن اسم الله العزيز بالغفار، كما قال سبحانه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [ص/ ٦٦].

واقترن اسم الله العزيز بالغفور، كما قال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [٢] [المالك/ ١ - ٢].  
وسر اقتران العزيز بالغفور وحكمته - والله أعلم - الدلالة على مزيد من صفات الكمال لله ﷻ، فالله عزيز في مغفرته، وغفور في عزته، الله سبحانه مع كمال عزته وقدرته؛ غفور لمن تاب إليه مهما أذنب، غفور لمن تاب إليه وأتاب بعد معصيته، ولكمال رحمته ومغفرته يعفو ويصفح ويتجاوز، ويغفر ويستر: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [٥٠] [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].

هكذا يعيش المسلم بين الخوف والرجاء، فمغفرته سبحانه عن عزة وقدره، فهو يغفر ويستر لا عن ضعف، فمغفرته سبحانه لعباده عن معاصيهم صادرة عن عزة وقدره، لا عن عجز وضعف، وهو سبحانه الغني عن العالمين كلهم، ومغفرته لهم فضل محض منه لهم؛ لأنه ملك عزيز غني، لا ينتفع بالمغفرة للخلق والعصاة، ولا يضره كفر الكافرين، ولا معصية العصاة، فلا يضره كفرهم ومعاصيهم أصلاً، ولا يغفر للعصاة خوفاً منهم، ولا رجاءً لما عندهم، كما قال الله سبحانه على لسان عيسى ﷺ: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَاتُّمَّ عِبَادُكُمْ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [١١٨] [المائدة/ ١١٨].

أنت العزيز الذي لا يُغلب، الذي يفعل ما يشاء، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه. هو سبحانه العزيز القادر على معاقبة المصّر على كفره وطغيانه، الغفور للتائب من عصيانه، وهو أهل أن يُحشى؛ لأنه عزيز قادر قاهر، وأهل أن يُحِب؛ لأنه كريم، رؤوف،



رحيم، عفو، غفور: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨]

هو سبحانه الكريم الذي ملأ الكون بنعمه، فعلينا أن نملاً الكون بحمده، وشكره، وذكره، وتسيحه، وتمجيده، والثناء عليه، فهو العزيز الذي له ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض.

فهو عزيز في ملكه وسلطانه، ومع عزته وكمال قدرته فهو يعفو للعصاة، ويستر عليهم؛ لعلمهم يتوبون إليه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

فهو سبحانه الكريم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، هو الكريم الذي نعمه لا تعد ولا تحصى، ولا يستطيع أحد عدها، فضلاً أن يطيق القيام بشكرها، فلهذا استحق العبادة وحده لا شريك له على كمال ذاته وأسمائه وصفاته، وعلى عظيم نعمه وإحسانه: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل/ ١٨].

والله غني كريم: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

فما أعجب حال الإنسان، فهو يرى النعم من الله، ويسكن في ملك الله، ويتقلب في هذا الخير، ويعصي الله بنعمه، يستعمل لسانه فيما حرم الله، ويسمع ما حرم الله، ويرى ما حرم الله، كأن الله ليس بسميع ولا بصير، ولا يعلم بحاله: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار: ٦-٨].

فإنه سبحانه غفور يستر الذنوب، ويتجاوز عن التقصير في شكر النعم، ويتجاوز عن التقصير في فعل الطاعات، وما قصر به العباد من كفران النعم: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ﴿٨٢﴾ [طه: ٨٢].

وهو رحيم، حيث أفاض النعم على العصاة والمطيعين، وعلى الأبرار والفجار، أفاض

النعم على العصاة مع استحقاقهم للقطع والحرمان العاجل، لكنه غفور رحيم، يمهلهم  
 لعلمهم يتوبون إليه: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا  
 إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) [إبراهيم/ ٣٤].

وأكثر ما جاء في القرآن تقديم الغفور على الرحيم كما مر معنا، وقدم سبحانه الرحيم على  
 الغفور في قوله سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا  
 يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ (٢) [سبا/ ٢].

وسر ذلك والله أعلم الإشارة إلى أن ما يحصل في السماوات والأرض من المصالح  
 والمنافع والطاعات فهو من آثار رحمته، كل شيء من آثار رحمته، وآثار نعمته، وما يحصل  
 من دفع المصائب والعقوبات فهو من آثار مغفرتة، وعفوه، ومغفرتة من آثار  
 رحمته: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ  
 وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥٠) [الروم/ ٥٠].

فرحمته لنا أن أمدنا بغذاء الأبدان، وعرفنا بغذاء القلوب، وهدانا إلى ما يسعدنا في الدنيا  
 والآخرة، أما ما يحصل من دفع المصائب والعقوبات فهو من آثار مغفرتة؛ لأن الذنوب  
 والمظالم كثيرة، والله غفور رحيم، غفور لمن استغفره، تواب على من تاب إليه: ﴿وَمَنْ  
 يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (١١)  
 [النساء/ ١١٠]. فالمغفرة هي محو الذنوب التي تزول معها المكروهات والعقوبات،  
 والرحمة حصول الخيرات والبركات: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ  
 وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٧)  
 [يونس/ ١٠٧].

الغفور الذي يستر الذنوب، الرحيم الذي يرحم عباده، لأنه أرحم الراحمين، ولولا  
 مغفرة الله ورحمته لهلك الناس، وضلوا: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ  
 أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١١) [النور: ٢١].  
 وقال ﷺ: «لَا يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْكُمْ الْجَنَّةَ عَمَلُهُ. قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَلَا  
 أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ مِنْهُ وَرَحْمَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦).

والله غفور رحيم، فكل ما نحن فيه من آثار رحمة الله، ولولا فضله ورحمته لهلك الناس، ولكن الله غفور، رحيم، ودود، لطيف بعباده، فالأمور كلها بيد الله، له مقاليد السموات والأرض، ولولا مغفرة الله ورحمته بعباده؛ لهلك الناس في الدنيا والآخرة: ﴿وَقَالَ أَرَكُبُوا فِيهَا إِسْمَ اللَّهِ مَجْرِبْنَهَا وَمُمْرَسْنَهَا إِنْ رَجَعْتَ غُفُورًا رَحِيمًا﴾ [هود/ ٤١].

ولولا حلم الله على الجناة، ومغفرته للعصاة؛ لزالَت السموات والأرض؛ لعظم ما يفعله العباد على ظهرها من الجنایات، والكبائر، والقبايح والمعاصي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر/ ٤١].  
فما أعظم حلم الله على العصاة والفجار والكفار والطغاة.

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشِقُ الْأَرْضُ وَنَحَرُ الْجِبَالِ هَذَا﴾ [١٠] ﴿أَنْ دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [١١] ﴿إِنْ كَلُّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [١٢] ﴿لَقَدْ أَحْصَيْتُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ [٩٤] ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [٩٥] [مریم/ ٩٠-٩٥].

فسبحان ربنا الحليم العفو الغفور الذي جمع لأوليائه بين الإمهال والإنظار؛ ليقدموا على التوبة والاستغفار: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

واسم الله الغفور والغفار من أسماء الجمال التي تدل على ستر الله في الحال والمآل، ومحو السيئات عن العباد، وتغطية القبيح وستره عن أن يشتهر بين الناس: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].  
فاللهم اغفر لنا ما قدمنا، وما أخرنا، وما أسررنا، وما أعلننا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

ومن جلال هذين الاسمين الغفور والغفار أنه مهما بلغ عظم الذنب واستغفر العبد منه ربه؛ غفر الله له كل ما صدر منه، وأزال عنه ما ترتب عليه، من إثم وعقوبة: ﴿قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/ ٥٣].

وقال الله في الحديث القدسي: «يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي؛ غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا

تُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لِأَنَّيْتُكَ بِقَرَامِهَا مَغْفِرَةً» أخرجه أحمد (١).

فَمِنْ جلال اسم الله الغفور والغفار: أن الله يبدل للمؤمنين سيئاتهم التي عملوها حسنات في الدنيا والآخرة، فيبدل شركهم إيمانًا، كما حصل للصحابه، ومعاصيهم طاعات، ثم يضاعفها لهم، ثم يثيبهم عليها بأحسن ما كانوا يعملون، ويضاعفها لهم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَحْلَدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان/ ٦٨ - ٧١].

ومن جلال مغفرته سبحانه أنه لا يسجل الذنب على العبد إلا بعد وقوعه، أمّا الحسنة فتكتب للعبد عند الهم بها، فإذا فعلها الإنسان كتبت حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، كما قال سبحانه في الحديث القدسي: «إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً؛ فَلَا تَكْتُبُهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمَلَهَا؛ فَكْتُبُهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي؛ فَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً، فَلَمْ يَعْمَلَهَا؛ فَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً» أخرجه البخاري (٢).

ومن جلال مغفرته سبحانه أنه لا يعاجل بالعقوبة فور وقوع الذنب، بل يمهل العبد، ويترك الفرصة للتائبين والمستغفرين: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف/ ٥٨].  
والمغفرة والغفران من صفات الرب الفعلية، التي يفعلها متى شاء، في أي وقت شاء، فمغفرته ﴿يَكَلِّمُ﴾ من صفاته الفعلية التي يفعلها متى شاء، مقترنة بحكمته العلية: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُورُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨٤﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٤]. فهو أعلم بمن يستحق المغفرة ممن يستحق العذاب، والله أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم حيث يجعل هدايته، وأعلم حيث يجعل مغفرته أو عقوبته؛ لأن أفعاله جل جلاله صادرة عن قدرة

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢١٤٧٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٥٠١).

مطلقة، ومشية نافذة، وحكمة شاملة، مقرونة بالخير المطلق: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

هو سبحانه الغفور الذي يستر على العبد ذنبه، فلا يفضحه بين الناس في الدنيا، لا يفضحه بين أهله، وجيرانه، والناس، ولا يفضحه يوم القيامة، فيغفر له، ويجعل بينه وبين العقاب ساتراً، فلا يعذبه ولا يعاقبه يوم القيامة.

وقد ورد اسم الله الغافر مضافاً، كما قال سبحانه: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾ [غافر/ ٣].

فينادى بهذا الاسم مضافاً كما ورد في القرآن.

والله غفور رحيم لأي مذنب، ولأي ذنب، سواء كان الذنب في الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل.

فقد جاءت صيغة المغفرة عما مضى من الذنوب، كما قال سبحانه عن داود: ﴿فَاسْتَغْفِرَ رَبَّهُ ۖ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [٢٤] فغفرنا له، ذلك وإن له، عندنا لزلفني وحسن مكاب [٢٥] [ص/ ٢٤ - ٢٥].

وجاءت بصيغة الحاضر؛ يعني بلفظ المضارع: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة/ ٢٨٤].

وجاءت صفة المغفرة بصيغة الأمر: ﴿رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [البقرة/ ١٩٣].

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَىٰ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

ووردت صفة المغفرة بصيغة المصدر، في قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۗ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة/ ٢٨٥].

فسبحان العفو الغفار الذي يغفر الذنوب جميعاً، يغفر جميع الذنوب الماضية والحاضرة، والمستقبل.

ومغفرة الله مطلقة، لا بداية لها ولا نهاية، ولا أول لها ولا آخر: ﴿نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].  
 ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٩٨﴾ [المائدة/ ٩٨].

والله سبحانه غافر الذنب إكرامًا لهذا العبد، وقابل التوب إنعامًا عليه، شديد العقاب للكافرين، ذو الطول للسابقين المقربين، فهو سبحانه غافر الذنب للمقصرين من المؤمنين، وقابل التوب للمقتصدين الذين اقتصروا على فعل الواجبات، وترك المحرمات، وذو الطول للسابقين الذين يجمعون بين الواجبات والمستحبات، ويتركون المحرمات والمكروهات، وشديد العقاب للكافرين: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيرِ ٣﴾ [غافر: ٣].

فسبحان ربنا الغفور الغفار، الذي يستر العباد في الدنيا فلا يفضحهم، ولا يظهر ما في قلوبهم للناس، من كرهه، وبغضه، وحسده، ونفاقه، ورياءه، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق.

فهو الذي يستر عباده في الدنيا، فلا يفضحهم، ولا يظهر ما في قلوبهم للناس؛ لعلمهم يتوبون إليه، ولكي لا يكره الناس بعضهم بعضًا، ويعيشوا إخوة كما أراد الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات/ ١٠].

وهو غفور ستير، يستر ما يكره الإنسان كشفه، ويأمره بستر السوءات والعورات، فستر سبحانه الأجهزة الداخلية بهذا الجلد الساتر لما في داخل البدن، وأظهر الجميل من الوجه والعيون واليدين والرجلين.

• والله سبحانه خلق مما خلق أصنافًا ثلاثة:

صنف خير كله، وهم الملائكة، فهؤلاء: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء/ ٢٠].

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ٦﴾ [التحريم/ ٦].

وصنف شر كله، وهم الشياطين، وهم إبليس وجنوده: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٦].

وصنف يصدر منهم خير وشر، وطاعات ومعاصي، وهم بنو آدم، وهؤلاء أخبر الرسول

ﷺ عنهم بقوله: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» أخرجه ابن ماجة وأحمد<sup>(١)</sup>.  
 فهؤلاء يطيعون ويعصون، والله ﷻ يشبههم على الطاعات، ويغفر لهم المعاصي إذا  
 استغفروه، فإن كنت مؤمناً ظالماً؛ فالله غافر، وإن كنت مسرفاً في المعاصي؛ فالله غفور،  
 وإن داومت على الإصرار على المعاصي والكبائر بأنواعها؛ فاعلم أن الله غفار: ﴿وَنَبِّئْ  
 عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾  
 [الحجر/ ٤٩-٥٠].

وهو سبحانه غفور ستير لعباده المؤمنين، فلا يفضح العبد بذنبه بين الناس يوم القيامة،  
 بل يستر عليه، ويستره من النار، ويحميه من العقاب مهما كثرت ذنوبه، فالله ﷻ غفور  
 لمن استغفره وتاب إليه: ﴿مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ  
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة: ٣٩].

وهو سبحانه الكريم الذي ينادي المذنبين ويدعوهم إلى التوبة والاستغفار؛ ليغفر لهم  
 ويرحمهم، ويدعوهم إلى المبادرة إلى العمل الصالح قبل الموت: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ  
 أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ  
 ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾  
 [الزمر: ٥٣-٥٤].

فما أعظم عناية الرب بعباده! وما أشد احتفائه بهم! وما أشد رحمته بعباده، بل للناس  
 كافة! ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].  
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ  
 فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمِنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم/ ٣٢].

والله جل جلاله غفور رحيم، وقد وعد بالمغفرة لمن أتى بأسبابها التي ذكرها الله  
 بقوله: ﴿وَلِيَّ لَغْفَارٍ لِمَنْ تَابَ وَعَآمَنَ وَعَمَلَ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه/ ٨٢].  
 اهتدى إلى الحق، فعَمِلَ به، وجافى الباطل، اهتدى إلى السنة وجافى البدعة.  
 فسبحان الكريم الذي تكرم بتبديل سيئات المذنبين إلى حسنات، ثم ضاعفها لهم بعد

(١) صحيح/ أخرجه ابن ماجة برقم (٤٢٥١)، وأخرجه أحمد برقم (١٣٠٤٩) وهذا لفظه.

توبتهم؛ لكمال حبه للتوبة والتائبين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ ﴿٢٢٢﴾ [البقرة: ٢٢٢].

أما من كفر، وأصر على المعاصي والكبائر، ثم تاب؛ تاب الله عليه، ومن لم يتب؛ فإن الله عذابه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَحْدُ فِيهِ مَهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

ولا يجوز للمسلم أن يتعمد فعل المعاصي والخطايا والفواحش والسيئات، فيقتربها بحجة أن الله غفور رحيم؛ لأن المغفرة إنما تكون للتائبين الأوابين الذين عملوا السوء بجهالة: ﴿زُبُكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ ﴿٢٥﴾ [الإسراء/ ٢٥].

ومن أصاب ذنباً ثم تاب من قريب؛ تاب الله عليه: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٧﴾ وَكَانَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ [النساء/ ١٨].

واعلم رحمك الله أن غفران الذنوب والسيئات فضل من الله ورحمة عظيمة للعباد؛ لأن الله غني عن العالمين، لا ينتفع بالمغفرة لهم، ولا يضره كفرهم، كما لا تنفعه طاعتهم، ولا ينفعه إيمانهم، ولا يغفر لهم خوفاً منهم؛ لأنه جل جلاله غني قوي عزيز: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

ولا زال ولا يزال جلاله واسع الرحمة، واسع المغفرة، واسع الحلم، يكرم عباده بالنعيم مع معاصيهم، فمن تاب إليه؛ قبل توبته، وغفر له، ومن أصر على المعاصي وأبى التوبة؛ عاقبه بجرمه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٦﴾ [الرعد/ ٦].

فسبحان مالك الملك، العزيز الغفور، الرحمن الرحيم، الذي يوجد على جميع العباد



بالمغفرة والرحمة والعتو، ويكفر عنهم سيئاتهم، ويقلل عثراتهم، ويضاعف حسناتهم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران/ ١٢٩].

والله جل جلاله غفور رحيم، يغفر للمستغفرين، ويتوب على التائبين، ويغفر لمن لم يستغفره؛ لأنه هو الغفور، ولأنه عالم بما سبق لهذا العبد في أم الكتاب بما هو عامله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم/ ٣٢].

والله غفور وغفار وعتو، وأحب شيء إليه العفو والمغفرة، يغفر لعباده كل شيء إلا الشرك لمن مات عليه ولم يتب منه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء/ ١١٦].

ولما يعلمه النبي ﷺ من كريم عفو ربه، وسعة مغفرته، وسعة رحمته، ومحبته لذلك؛ قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا؛ لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فلا إله إلا الله! ما أوسع رحمة ربنا! وما أوسع مغفرته! وما أوسع كرمه وحلمه جل جلاله! ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

والله جل جلاله واسع المغفرة، ولا يقدر قدر مغفرته إلا هو، وكل أن يغفر الله من الذنوب الكثيرة والكبيرة والصغيرة ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مَن إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ] [ص/ ٦٦].

• وغفران الله ﷻ للخلق نوعان:

الأول: غفران عام لجميع الخلق، مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، وهو مغفرة الإنظار والإمهال في الدنيا؛ لينال كل إنسان نصيبه من الكتاب، ويستوفي ما قدر الله له من العمل، ثم يؤخذ كل إنسان بحسب عمله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْيلًا﴾ [الكهف/ ٥٨].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٣١).

الثاني: غفران خاص بأوليائه المؤمنين، فكلما أذنبوا واستغفروا؛ غفر الله لهم سبحانه: ﴿وَلِيَّ لُغْفَارٍ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه/ ٨٢].

فسبحان الغفار الحق الذي فتح أبواب مغفرته وعفوه ورحمته للعالمين كلهم، إذا استغفروه وتابوا إليه؛ غفر لهم، ورحمهم، وتاب عليهم، من مؤمن وكافر، ومشرِك ومنافق، ومسيء ومذنب، وفاسق وظالم: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/ ٥٣].

اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرجنا، وما أسررنا وما أعلننا، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت، يا من يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار، وعدد ورق الأشجار، وعدد حبات الرمال، وعدد ما أظلم عليه الليل، وما أشرق عليه النهار، يا من لا توارى منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، اجعل خير أعمالنا وأجرتها، وخير أعمالها خواتمها، وخير أيامنا يوم نلتقك، واغفر لنا ذنوبنا، إنك أنت الغفور الرحيم.

اللهم فقهننا في الدين، وارزقنا حقيقة التوحيد والإيمان، واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، واجعل جميع أعمالنا خالصةً لوجهك الكريم.

## التعبد لله ﷻ باسمه الغفور.. الغفار

• كل مسلم مأمور بأمرين:

أولاً: أن يعرف الله ﷻ بأسمائه وصفاته حتى يعبده كما يليق بجلاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾

[محمد: ١٩].

ثانياً: هو مأمور باتباع الرسول ﷺ، والافتداء به، وهذا الاتباع مبني على المعرفة: ﴿فَاعْتَمِدُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٨﴾ [الأعراف/ ١٥٨].

ولن نستطيع أن نتبعه، حتى نعرف سنته وسيرته، وجهده ودعوته، وجميع أحواله، لا بد من معرفة هذه الأمور، فلا بد من معرفة هذا وهذا؛ حتى يكون التعبد لله ﷻ خالصاً على ما جاء به رسول الله ﷺ، فيكون خالصاً وصواباً: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾

[الكهف: ١١٠].

ومعرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته لها ثمرات عظيمة، فإن الله ﷻ هو رب العالمين، ويجب علينا أن نعرفه حتى نعبده حق عبادته جل جلاله، فالله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى في السماوات والأرض، فلا بد للإنسان أن يكون له قسط كبير من هذه المعارف الإلهية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [الله عز وجل غفور] ﴿٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

وثمرات الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله كثيرة، وتثمر للعبد ثمرات عظيمة، وأهم هذه الثمرات:

أولاً: تنزيه الله ﷻ عن العيوب والنقائص، ووصفه بصفات الكمال والجمال والجلال، فهذه المعرفة تجعل العبد ينزه ربه عن العيوب والنقائص، والمثيل، والشبيه، والكفاء، ويصفه بصفات الكمال، والجلال، والجمال، ولا يمكن أن يصفه بذلك حتى يعرف هذه الأسماء، ويعرف آثارها في هذا الكون العظيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ

مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

ثانياً: من ثمرات دراسة أسماء الله وصفاته: زيادة إيمان العبد وتقواه بسبب معرفته بأسماء الله وصفاته، فهذا العبد إذا عرف أنه إن تحرك فالله يراه، وإن تكلم فالله يسمعه، وإن أضر فالله عليم بما في قلبه، وإذا عرف أن ربه غفور رحيم، وأنه كريم، وأنه عفو؛ أقبل على ربه بحسن الطاعة، وابتعد عن المعصية، وخاف ربه ورجاه وأحبه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثالثاً: من ثمرات معرفة أسماء الله وصفاته: الثناء على الله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فالله ﷻ غفور رحيم، وسعت رحمته كل شيء، ووسعت مغفرته كل شيء، فهو يمجده ربه بعد معرفته بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، ويمجده ويحمده بلسانه فيقول: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٢-٢٤].

هذا كله ثناء على رب العالمين بأسمائه وصفاته، فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته؛ أثنى عليه بها، وجعل الإنسان دائماً يذكر ربه، ويمجده ويشكره ويمجده، ويثني عليه. رابعاً: من ثمرات معرفة أسماء الله وصفاته: ذكر الله وسؤاله ودعاؤه بأسمائه وصفاته، فإذا عرفت أن الله غفور؛ فأنا أستغفره، وإذا عرفت أن الله ﷻ قادر؛ فأنا أستعين به، وإذا عرفت أن الله غني؛ فأنا أتوجه إليه بالسؤال.

فمعرفة أسماء الله وصفاته تثمر كثرة ذكر الله، وسؤاله وحده لا شريك له، ودعاءه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، فأقول: يا غفار اغفر لي، يا رحمن ارحمني، يا رزاق ارزقني، يا عفو اعف عني، يا شافي اشفني وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

خامساً: من ثمرات معرفة أسماء الله وصفاته: أن العبد يسعى إلى الاتصاف والتخلق، والتعبد لله بما عرف من أسماء الله وصفاته على شاکلة العبودية، فالله عفو يحب العافين، والله مؤمن يحب المؤمنين، والله محسن يحب المحسنين، والله شكور يحب الشاكرين، والله عليم يحب أن أتصف بصفة العلم، فالله علمني، فأتعلم وأعلم، والله أكرمني بما أعطاني، فأنا أكرم خلقه، فأخلق وأتعبد لله بهذه الصفات، فأكون كريماً، وعفوياً، وغفوراً، وحليماً، ورؤوفاً، وهكذا نتعبد لله بأسمائه وصفاته على شاکلة العبودية، فالله عليم فكن عليماً:

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر: ٢٨].

ولكن العلم الذي أعطى الإنسان حادث، وعلمه محدود، وعلم الله مطلق، وعلم الله أزلي لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، أما علمي فهو حادث ومحدود.

فالعبد إذا عرف أسماء الله وصفاته يسعى للاتصاف والتخلق بها؛ لأنها صفات حسنة وجميلة ومحمودة، فيتعبد لله ﷻ بما عرف من أسماء الله وصفاته؛ ابتغاء مرضاته.

سادساً: التسليم لله في كل شيء، بعد أن يعرف العبد ربه بأسمائه وصفاته، ويعرف كمال قدرته وقوته وجبروته، وعظمته وكبريائه، ويعرف إنعامه وإحسانه، وعفوه ومغفرته، ويعرف عظمته في الخلق، وكمال قدرته وعزته، يسلم حينذاك لله في كل شيء، فلا يحكم إلا بما أنزل الله الحكيم جل جلاله، ولا يتحاكم إلا إلى ما أنزل الله ﷻ، ولا يعبد إلا الله وحده، لماذا؟ لأن له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فتغذى القلوب بمعرفة هذه الأسماء، وتعرف ربه، وتتوجه إليه، فتستأنس به، وتتوجه إليه وتعبد، ولا تلتفت لأحد سواه، وتفرد بالحب والذل والتعظيم له، وتفرد بالخوف والرجاء والمحبة، وتعبد الله ﷻ بعد هذه المعرفة بأسمائه وصفاته، فتخلق بصفة العلم، بصفة الحلم، بصفة العفو، بصفة المغفرة، وهكذا: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وإذا عرفنا الله بأسمائه الغفور والغفار فكيف نتعبد لله باسمه الغفور، واسمه الغفار؟ فأولاً نعرفه بأسمائه وصفاته، ونعرف كمال عفوه ومغفرته، وثانياً: كيف يأتي هذا الاسم في حياتنا، كيف نتخلق به، وكيف نتعبد لله به؟

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى؛ هذا لا بد من معرفته، والقلوب تتعلق بصفات الكمال، والجلال، والجمال، والله ﷻ أسماؤه حسنى وصفاته عليا، وأفعاله حميدة، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض، فتتعلق القلوب به لكماله وجلاله وجماله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

### • ومعرفة اسم الله الغفار يثمر للعبد ثمرات عظيمة:

أولها: محبة الله: يحب العبد الرب الغفور الذي يغفر الذنوب جميعاً، ويمحوها ويرضى عن العبد، بل يبذل سيئات هذا العبد الذي عصى ربه إلى حسنات.

الثانية: تثمر له معرفة ربه باسمه الغفور والغفار: حمد الله وشكره على رحمته لعباده، وغفرانه لذنوبهم، وعفوه عن سيئاتهم، وتوبته عليهم، ووقايتهم لهم من المعاصي وعقوبتها في الدنيا والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٣٧] [الجاثية: ٣٦-٣٧].

الثالثة: من عرف ربه باسمه الغفور الرحيم أحسن الظن به، وأقبل على طاعته، واستغفر ربه الذي يغفر الذنوب جميعاً مهما كثرت، ومهما كبرت، ومهما تكررت، وانفتحت له أبواب الرجاء، فأقبل على ربه، وأغلقت عنه أبواب اليأس والقنوط؛ لأن الله واسع المغفرة، واسع الرحمة، يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويجب المتقين: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٥٣] [الزمر/٥٣].

والمؤمن حقاً إذا علم أن ربه غفور رحيم؛ أكثر من الأعمال الصالحة، والحسنات الماحية؛ لأنه لا بد من ذنب، ولا بد من معصية، فالعين قد تعصي، والأذن قد تعصي، واللسان قد يتكلم بمعصية، والقدم قد تمشي إلى معصية، واليد قد تفعل المعصية، فالإنسان من بني آدم، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، فالمؤمن إذا علم أن ربه غفور

رحيم؛ أكثر من الأعمال الصالحة، والحسنات الماحية؛ لأنها من أسباب الحصول على مغفرة الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (٨٢) [طه/٨٢].

الرابعة: من ثمرات معرفة الله باسمه الغفور والغفار: تعظيم الله بكمال طاعته: فإذا عرفت أن ربي غفور وغفار؛ فهذا يثمر في القلب تعظيم الله؛ لاتصافه بهذه الصفة العظيمة، تعظيم الله بأي شيء؟ بكمال طاعته، وعدم الإقدام على معصيته؛ اتكالا على مغفرته ورحمته، واعتمادا على كرمه وعفوه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَؤُلِّيكَ يُرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة/٢١٨).

فلا بد أن أعمل وأجتهد في الأعمال الصالحة إذا علمت أن الله ﷻ غفور رحيم، فالله ﷻ وصف المؤمنين وأثنى عليهم بأنهم يُتَّبَعُونَ العلم بالعمل، ويتصفون بأحسن الصفات ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَؤُلِّيكَ يُرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة/٢١٨).

فالله غفور رحيم أبداً، والمغفرة والرحمة صفة ذاتية للرب، لا تنفك عنه أبداً، ولا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية، وهي وكذلك صفة فعلية، فهو يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، ويرحم من يشاء متى شاء، في أي وقت شاء، فهذه الصفة صفة ذاتية للرب، وصفة فعلية متعلقة بالعبد وفي الكون، فالله يخلق ما شاء صفة فعلية، في أي وقت شاء بأي حجم شاء على أي شكل شاء، صفة فعلية يفعلها الرب ﷻ، والمغفرة صفة فعلية، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء متى شاء على أي ذنب شاء، ومن عرف ربه أحسن الظن به، ومن أحسن الظن به، فإنه يطيع ربه بفعل ما يحبه ويرضاه، واجتناب ما يكرهه ويسخطه: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل/١١٩).

فمغفرة الذنوب للذي يعمل السوء بجهالة، ويضعف إيمانه، فيجتري على المعصية، ثم يتوب من بعد ذلك، ويتوب من قريب، ويصلح ما أفسد ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل/ ١١٩].

والله غفور رحيم، ومن عرف ربه بذلك؛ استحيا من معصيته، وصفة الرحمة والعتو والمغفرة صفات جمال الله ﷻ، فيستحي العبد من ربه أن يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، ويتنعم بنعمه ويعصيه.

فمن عرف ربه بالمغفرة والغفران استحيا من معصيته، أو التقصير في طاعته، وهذا الحياء من ربه يثمر له تعظيماً للرب العزيز القهار، الغفور الرحيم، هذا الحياء الذي نتج من هذه المعرفة يثمر له تعظيم الرب، والحب له، والحمد له، والمبادرة إلى طاعته، والبعد عن معصيته: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [٥٠] [الحجر/ ٤٩-٥٠].

وإذا عرف المؤمن أن ربه هو الغفور الرحيم، وعرفه باسمه الغفور؛ فعليه أن يتخلق بخلق العفو والمغفرة والصفح، فيعفو عن الناس، ويستر عوراتهم وأخطاءهم، ويصفح عمن أساء إليه، لأن الله ﷻ عفا عنه، وستر عليه عورته، وصفح عنه، فليعف عن الناس، ويستر عوراتهم وأخطاءهم، ويصفح عمن أساء إليه منهم، ويقابل سيئاتهم وإساءتهم له بالحسنات: ﴿وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٢٢] [النور/ ٢٢].

فمن أراد مغفرة الله؛ فليعط من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٣٤] ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [٣٥] [فصلت/ ٣٤-٣٥].

ومن زلت قدمه، وظلم نفسه، واقترفت يده من الذنوب ما يورقه؛ فليستغفر ربه، فإن ربه غفور رحيم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].



والمؤمن حقاً من أكثر من استغفار ربه في كل حال، لأنه يرى عظمة ربه، وعظمة عفوه ومغفرته، فيطمع في ثوابه، ومغفرة ذنوبه، فمن عرف ربه حقاً؛ أكثر من استغفار ربه في كل حال؛ لتقصيره في فعل الواجبات، وإقدامه على فعل المحرمات، وغفلته عن كثير من الطاعات، فهو لا يرى نفسه إلا مذنباً ومقصراً، ولا يرى ربه إلا غفوراً رحيمًا.

ومن كمال رحمته ومغفرته أن الله ﷻ ينزل كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، ينزل إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فاستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟

فكم عدد المذنبين من خلقه؟ وكم عدد الذنوب العظيمة المتنوعة التي فعلوها؟، وكم عدد السائلين والمستغفرين من خلقه: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

والله يغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويستر عباده فلا يفضحهم؛ لأنه هو الغفور الذي يصفح ويتجاوز عن عبده لكمال رحمته، وسعة مغفرته جل جلاله.

لهذا أمر الله ﷻ أوليائه المؤمنين بالمسارعة إلى الخيرات، وكثرة الاستغفار؛ فإن في الاستغفار خيرات كثيرة، فقال سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] [١٣٤] وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيئَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَإِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ [١٣٥] أُولَٰئِكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ [١٣٦] [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٦].

ومفاتيح أبواب الخيرات والبركات والحسنات مقرونة بالاستغفار، فمن استغفر ربه؛ حصل له ما يسعده في الدنيا والآخرة: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [١٠] يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا [١١] وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا [١٢] [نوح/ ١٠ - ١٢].

ومن عظيم بركات الاستغفار، ما قاله هود عليه السلام: ﴿وَيَقَوْمٍ أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُبَوُّوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ﴾ [هود/ ٥٢].

فهذه من بركات الاستغفار العظيمة، لهذا يقف العبد بين يدي ربه حامداً له جل جلاله على كماله، وكمال ذاته وأسمائه وصفاته، فهو حامد لربه على عظمته وجلاله، وعلى نعمه وإحسانه، ومستغفر له من ذنوبه التي ارتكبها وغفل عنها، فهو يحمده الله على أن ربه عظيم، وعلى نعمه وإحسانه، وهو في نفس الوقت يستغفر من ذنوبه، وتقصيره في حق ربه؛ لأن حق الله عظيم، وعمل العبد ناقص وقليل، ويشوبه أحياناً الخلل. ولذا أمرنا بالاستغفار بعد العبادات الكبار، بعد الصلاة، بعد الصوم، وبعد الحج، فنقول بعد التسليم من الصلاة: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، وكذلك بعد الصيام، وكذلك بعد الحج.

وإذا عرف المؤمن أن ربه غفور رحيم؛ حمده على عظمة أسمائه وصفاته، وعلى إنعامه وإحسانه، وعلى كمال قدرته وعزته، وعلى عظمة ملكه وسلطانه، وعلى كمال دينه وشرعه، وعلى حسن ثوابه وعقابه.

وإذا عرف المؤمن ربه باسمه الغفور والغفار؛ أثمر له ذلك توقي معاصي الله، الصغائر والكبائر وغيرها، فيتوقى معصية الله عز وجل، ويراقب أعماله الظاهرة والباطنة، والاستتار بذنبه عن الناس، والاعتراف به، والاعتذار عنه أمام ربه، وملازمة الاستغفار لله في الليل والنهار: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ أَخْذِينَ مَا أَنْزَلْنَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا سَحَارِهِمْ يُسْتَغْفَرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات/ ١٥ - ١٨].

يستغفرون الله من نقص العمل، وقلة العمل، وتأخير العمل. وقال عليه السلام: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ؛ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ؛ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>. ولهذا يجب علينا أن نعتز بالذنب ثم نستغفر منه، فنقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٦٦١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٧٠).

ونذكر تقصيراتنا في أداء الواجبات، وفي الجرأة على المحرمات، ونذكر تقصيرنا في عدم القيام بالصلاة، وعدم إقامة الصلاة كما يجب، وعدم إكمال شروطها وأركانها، وهكذا في سائر العبادات، فنستغفر الله والله ﷻ غفور رحيم.

• وينال العبد مغفرة الله ﷻ بأحد أمرين:

الأول: ما يغفره الله لعبده من دون عمل؛ بل برحمة الله، كما قال النبي ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ»<sup>(١)</sup>. أخرج مسلم.

فهذا عطاء من الغفور الغفار جل جلاله، فيغفر للعبد بهذه الأمور التي تحصل للعبد. فهذه مكفرات الذنوب، فهذه الأمراض تكفر الذنوب، وهذه المصائب تكفر الذنوب، وترفع الدرجات، والله ﷻ إذا ابتلانا بالمصائب؛ فلا ننظر إلى المصائب، بل ننظر إلى جمال المبتلي، لأن المبتلي ابتلاني بهذا المرض؛ حتى أصبر؛ لأخذ أجر الصبر، وأكون مع الصابرين، والله يحب الصابرين، ابتلاني بسفيه يشتمني ويسبني، وأنا أغفر له ذنبه، وأستر عليه، ولا أفضح؛ لأخذ أجر المغفرة، فأغفر للناس، وأستر معاصيهم، وأصفح وأتجاوز عنهم.

وإذا ابتلاني بإنسان قد يسبني ويقول فيّ ما ليس فيّ، فالله ﷻ ابتلاني بهذا لأخذ جوهرة العفو، فأعفو عنه؛ ولذلك أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل؛ لأنه بقوة الابتلاء تظهر المعادن النفيسة، يظهر حلم النبي ﷺ على قومه في مكة، وحلمه على أهل الطائف، وحلمه على من عاداه، ومن سبه، وقاتله، واتهمه، وقال فيه ما ليس فيه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور/٢٢].

هذه الابتلاءات ليست مقصودة لذاتها؛ المقصود: ما تثمر من الصبر والعفو والمغفرة والرحمة والصفح والتجاوز، فينال العبد مغفرة الله تعالى بأحد هذين الأمرين: الأول: ما يغفره الله لعبده من دون عمل؛ بل برحمة الله ﷻ، من الأمراض والمصائب والهموم وغيرها.

(١) أخرج مسلم برقم (٢٥٧٣).

الثاني: أعمال يقوم بها العبد، ومنها: الاستغفار والتوبة، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظِلْمِ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

ولا يظهر اسم الله الغفور إلا إذا جاءت معصية، وجاء مني الاعتذار، وجاء مني الاستغفار، ليظهر التعبد باسم الله الغفور: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦]. وكذا قول الله ﷻ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح/ ١٠]. فهذه أعمال يقوم بها العبد، ومنها التوبة والاستغفار: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه/ ٨٢].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فهذه المعارف تفتح باب الأمل أمام العبد، وأمام العاصي الذي كثر فسقه، وإجرامه، وعصيانه، فالله يناديه، بل ينادي جميع العصاة والكفار: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/ ٥٣].

فالاستغفار والتوبة، والصلوات الخمس، وصوم رمضان، وصيام عاشوراء، وصيام عرفة، والحج، والمصائب، والأمراض، وغيرها، كلها مكفرات للذنوب: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَكُمُ﴾ [محمد/ ١٩].

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، إنك سميع قريب مجيب الدعوات.

فنكثر من الاستغفار؛ لأن حق الله عظيم، ونحن طاقتنا محدودة، وغفلاتنا كثيرة، والشهوات تلهينا عن ربنا، ونستعمل الجوارح أحيانًا في غير طاعة الله؛ ولكن الله ﷻ ضيق أبواب المعصية، ووسع أبواب المغفرة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ [النجم: ٣٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

• وأبواب المغفرة كثيرة:

الاستغفار .. والتوبة .. والصلوات الخمس .. وصوم رمضان .. والجمعة إلى الجمعة .. وصيام عاشوراء .. وصيام يوم عرفة .. والحج .. والمصائب .. والأمراض .  
وغير ذلك، كلها مكفرات للذنوب .

فسبحان الكريم الرب الرحيم الذي ضيق أبواب المعصية، ووسع أبواب المغفرة؛ لكمال رحمته بخلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالتَّكَاثُرِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فهو ضيق أبواب المعصية، وجعل عليها حدوداً وعقوبات، ونفر منها، وتوعد من عصى بالشقاء والضنك: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه/ ١٢٤].

ووسع أبواب المغفرة، لكمال رحمته بخلقه: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا أَلْعَفُورُ الرَّحِيمِ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].

ليكون الإنسان بين الخوف والرجاء، والمؤمن إن أطاع ربه؛ تاب واستغفر من تقصيره، وإن عصى ربه؛ تاب من تقصيره وذنبه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

فالمؤمن إن أطاع ربه؛ حمد الله على نعمة الطاعة، وتاب واستغفر من التقصير فيها؛ ولذلك من السنة: بعد كل صلاة، بعد السلام من الصلوات المفروضة، أن نقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله.

فهذه حال المؤمن، إن أطاع ربه؛ حمده على الطاعة، وتاب من التقصير واستغفر، وإن عصى ربه؛ تاب من تلك المعصية، ومن تقصيره في أعماله، ومن ذنبه الذي عمل.

أما الأنبياء والرسل، فلكمال معرفتهم بالله يستغفرون ربهم، النبي ﷺ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؛ ولكن لماذا يكثر من الاستغفار؟ فيستغفر في اليوم أكثر من مائة مرة، ويستغفر في الجلسة الواحدة أكثر من سبعين مرة أو مائة مرة، كما ورد في الحديث؛ لأنه يرى أن حق الله عظيم، ويرى أنه لم يؤده بالشكل الذي يريد الله ﷻ منه، والشكل الذي يرضي نفسه، ولهذا كان النبي ﷺ يستغفر الله كثيراً في أوقاته ومجالسه، مع أنه قد غُفِرَ لَهُ

ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عمر قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحدة مائة مرة؛ «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» أخرجه أبو داود وابن ماجه<sup>(٢)</sup>.

فالأنبياء والرسل يستغفرون الله ﷻ؛ لكمال معرفتهم بالله، وأسمائه وصفاته، وعظمته وكبريائه، وعظيم حقوقه، مع أنهم أكمل الناس معرفة، وأكملهم عبودية، وأكملهم صفات، لكنهم يعلمون ما لا نعلم، فهم علمونا مما علمهم الله ﷻ؛ ولهذا النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر قدماه؛ فيقال له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

شكورًا لهذا الرب العظيم الذي خلقني وهداني، وأمدني بالأرزاق، وأنا أسكن في ملكه، وهو يوالي علي نعمه، فهو يجب أن يشكر ربه الذي أحسن إليه، وعادة الناس يشكرون من أحسن إليهم، ولا أحسن من إحسان الرب، ولا أعظم ولا أكمل منه.

فالتعبد لله باسمه الغفور والغفار كان ﷻ أكثر ما يتعبد الله به، أكثر ما يتعبد الله ﷻ من أسماء الله الحسنى باسمه الغفور والغفار، ولذلك يكثر في مجالسه من الاستغفار، حتى يحسب له في المجلس الواحد مائة مرة: أستغفر الله وأتوب إليه، وكم مجالسه؟ مجالسه مع أهله، مجالسه مع أصحابه، مجالسه مع الضيوف، مجالسه ﷻ كثيرة، فكل مجالسه ﷻ يملؤها بالاستغفار، والاستغفار أعظم ما تعبد الرسول ﷺ لله به، فالتعبد لله باسمه الغفور والغفار من أعظم عبادات العبد الذي يتعبد لله بها.

فعلينا التعبد لله في جميع أوقاتنا، وملء مجالسنا بكثرة الاستغفار؛ فإن الله جعل الاستغفار سببًا لحصول كل خير، كما قال ﷻ: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح/ ١٠-١٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥١٦)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨١٤) وهذا لفظه.

(٣) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٨٣٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨١٩).

• وغفران الذنوب من ربنا ﷻ لعباده المذنبين له سببان:

الأول: توبة من العبد إلى ربه، سواء كان مشركاً أو عاصياً، فهذا يتوب الله عليه ويقبل توبته، فالتوبة تجب ما قبلها، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأأنفال/ ٣٨].  
وقال ﷻ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٩].

الثاني: هبة من الرب من غير توبة من العبد، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].  
فمن مات مؤمناً، لكنه لم يتب من بعض المعاصي؛ فإن الله جل جلاله يغفر له، ويتوب عليه: ﴿نَبِيِّ عِبَادِي آفَى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤٩] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [٥٠] [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].

فيقول الله ﷻ حينما يدعو العبد العاصي الموحد يوم القيامة، ويقر بذنوبه، ثم ينشر له تسعة وتسعون سجلاً كلها مليئة بالذنوب والمعاصي، فيقال له: أتنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا ربي، فيقول الله ﷻ: أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فادخل الجنة، أو كما قال ﷻ؛ لأن الله غفور رحيم، ورحمته وسعت كل شيء.  
ولذلك على المسلم دائماً أن يكثر من الاستغفار له وللمؤمنين والمؤمنات كما قال نوح ﷻ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨].

وكما ملأ الله الكون بنعمه، وفتح لنا أبواب مغفرته، وعلمنا دينه؛ فيجب علينا أن نملأ الكون بحمده وشكره، والاستغفار والتوبة إليه.  
وحظ العبد من اسم الله الغفور والغفار أن يستر من الناس ما يجب أن يستره الله ﷻ منه، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، وكما غفر الله لك وستر عليك؛ فيجب أن تغفر لإخوانك، وأن تستر ذنوبهم، وعوراتهم، وزلاتهم.

فهذه المعارف التي نستفيد منها في مجالسنا الإيانية ومجالسنا العلمية تعطينا أو تفيدنا قوة حب الرب، والتقرب إليه، والتوكل عليه، والاستعانة به، والتخلق بهذا الخلق العظيم؛ لهذا يجب أن نعلم أن الملك الحق جل جلاله أرفع من ملك، وأكرم من أعطى، وأجود من سُئل، وأرحم من قدر، وأعظم من غفر.

فاللهم اجعل لنا من ذلك أوفر الحظ والنصيب يا ذا الجلال والإكرام: ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَأَعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف: ١٥٥].

ومغفرة الله سبحانه من آثار رحمته، وفرحمته وعلمه ومغفرته وسعت كل شيء، واسم الرحمن ورد في القرآن كثيراً، حتى إن الله ﷻ ذكر أنه استوى على العرش برحمته؛ حتى نتوجه إلى الرحمن الرحيم ليغفر لنا ذنوبنا، ويكفر عنا سيئاتنا، فهو رب كل شيء، ورحمته وسعت كل شيء، ومغفرته وسعت كل ذنب، يغفر الذنوب العظيمة، والذنوب الكثيرة، والذنوب المتكررة لجميع الخلق، سواء كانت توبة من الشرك، أو من المعاصي، الله ﷻ رحمته ومغفرته وسعت كل شيء، وسعت كل من تاب من الكفر والمعاصي والقتل والزنا والشرك والكبائر: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

فاسأل الله أن يغفر لك ما أذبت، ما ظهر من ذنوبك وما بطن، ما تعلمه منها وما لا تعلمه، فإن ربك واسع المغفرة، والمغفرة أحب إليه من العقوبة، واغفر لمن أخطأ في حقك؛ يغفر الله لك: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٤٠﴾ [المائدة/ ٤٠].

ألم تقرأ: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩-٥٠]؟.

وبادر رحمك الله إلى طاعة مولاك الكريم بامثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنه الذي خلقك ورزقك، وهداك وأعانك، ووسع عليك في رزقك، ووضع نعمه بين



يديك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّفَعَ﴾ ﴿٣٢﴾ [النجم / ٣٢].

فالله واسع المغفرة والرحمة؛ فاستح من ربك الكريم، الحليم، الغفور، الرحيم، ولا تستعمل نعمه في معصيته، ولا تعصه في ملكه الذي أنت منه، فإن عصيته؛ فاستغفره، فإنه غفور رحيم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء / ١١٠].

فهذا أمر ملكي من ربنا ﷻ، هذا خبر ملكي، هذا فتح لباب الرجاء، فليستغفر العبد ربه من ذنبه، ولا يشهره بين الناس، ولا يخبر الناس به، وقد ستره الله ﷻ، ومن ستر عليه في الدنيا؛ فسوف يستر عليه في الآخرة.

واستغفر الغفور الرحيم الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا من أجلك، فقف خاشعاً بين يديه، وارفع أكف الضراعة إليه معتذراً منه، ومستغفراً له، وحامداً وشاكراً له، وممجداً ومثنياً عليه: ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ، وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ﴿٦١﴾ [الإنسان / ٢٥ - ٢٦].

وعن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُنزَلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فاستغفر الغفور الرحيم من كل ذنب، واسأله العفو عن كل هفوة، وستر كل زلة من تقصير في عبادة، أو رياء في عمل، أو ترك واجب، أو تأخير فرض، أو إهمال حق، أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو غير ذلك من الذنوب التي توجب الاستغفار والتوبة: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٦٥﴾ [الأنعام / ١٦٥].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

واعلم أيها المسلم أنه كما يجب علينا حمد ربنا وشكره على النعم والطاعات؛ كذلك يجب علينا الاستغفار والتوبة من الذنوب والسيئات، والله كريم، يشكر هذا، ويغفر هذا؛ لأنه الغفور الرحيم ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر/ ٣٤].

شكور يشكر الطاعات، ويثيب عليها أعظم الحسنات، وغفور يغفر السيئات: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام/ ٥٤].

وليعلم العبد أن الاستغفار من أعظم أسباب سعة الرزق، وكثرة الأولاد، ونزول الأمطار: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِيبُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وكل خير يُنال في الدنيا والآخرة بالاستغفار، فاستغفر ربك الغفور، تحفّ من الذنوب، وتنال كل محبوب، استغفر ربك الغفور الرحيم الذي يغفر الذنوب جميعًا، استغفره صباحًا ومساءً من كل ذنب، استغفره صباحًا لما جرى منك من التقصير والنقص والإساءة في الليل، واستغفره مساءً لما جرى منك في النهار من المعاصي والسيئات: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ٦٤].

الله أكبر! ما أعظم مغفرة رب العالمين لعباده! وما أشد حبه لرحمتهم، والعفو عنهم، وغفران ذنوبهم، وستر زلاتهم! ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

واعلم أنه ليس الأمر أن تفعل ما تشاء من الذنوب ثم تستغفر الله؛ وإنما الأمر أن من ضعف إيمانه فوقع في المعصية، وزلت قدمه، فندم وتاب إلى ربه؛ فهذا الذي يغفر الله له: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه/ ٨٢].

والمؤمن حقًا من عبد ربه حقًا، ولن يعبد الله حقًا إلا من عرفه حقًا، ومعرفته جل جلاله تتحقق بمعرفة سبعة أمور:

أن نعرف الله، ونعرف أسماءه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ووعدته، ووعدته، فالؤمن حقًا من عبده حقًا، ليأخذ الثواب حقًا، ويدخل الجنة حقًا.

فالؤمن حقًا من عبده حقًا، وأحسن إلى الناس حقًا، إن رأى خيرًا نشره، وإن رأى عورةً سترها، وإن رأى زلةً غفرها، من اعتذر إليه من الناس قبل عذره، ومن أساء إليه أحسن إليه، ومن ظلمه عفا عنه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص / ٧٧].

فاغفر أخي المسلم لمن أساء إليك؛ يغفر الله لك، واعف عمن ظلمك؛ يعف الله عنك. وعفو الله شامل لجميع ذنوبك، فإن عفوت عن أخيك المسلم، وعن أختك المسلمة؛ فعفوك محدود مقدور، لكن عفو الله مطلق، يعفو عن الصغائر والكبائر المتعلقة بحقه، أما ذنوب العباد فإن لم يسامحك بها؛ فستسأل عنها يوم القيامة، ويقتص منك، فاحرص على العفو والغفران لإخوانك المسلمين، واطلب المسامحة منهم تزال ذنوبك، وتستر عيوبك، وتنال رحمة الرحمن الرحيم، وغفران الغفار، وعفو ربك الكريم: ﴿وَلِيعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور / ٢٢].

فطوبى لمن كان دأبه الحمد والشكر، والاستغفار والاعتذار، وما أمر الغفار بالاستغفار إلا ليغفر لكل مستغفر، فاستغفر الله كثيرًا؛ تغنم كثيرًا: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء / ١١٠].

وعليك بتقوى الله ﷻ في كل زمان ومكان وحال؛ تنال كل خير في الدنيا والآخرة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَفَّوْا أَن تَقُولُوا اللَّهُ يَجْعَلُ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال / ٢٩].

ومن أراد صلاح الأعمال، وغفران الذنوب، والفوز بالجنة، فليثق بالله ربه، ويدعو الناس إلى ربه العظيم الغفور الرحيم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يَصْلِحْ

لَكُمْ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾  
[الأحزاب/ ٧٠-٧١].

واعلم أن الغفور الرحيم يريد لك كل خير، والشيطان يريد لك كل شر، فالزم باب الغفار، واجتنب باب الشيطان؛ تنعم وتربح أجرًا كثيرًا في الدنيا والآخرة: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۗ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٦٨﴾ [البقرة/ ٢٦٨].

فالله واسع العلم، واسع المغفرة، واسع الحلم، واسع الرزق، واسع الملك. وسارع إلى مرضاة ربك الغفور الرحيم بكل عمل صالح تقدر عليه؛ تنال مرادك من ربك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهم وَجَنَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

واعلم أن حق الله عظيم، وشأن الله كبير؛ ولكن الله برحمته طلب العمل على قدر الطاقة، والتقصير لا يسلم منه أحد من البشر؛ فإن أردت الفلاح والنجاة: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ﴿٣﴾﴾ [النصر/ ٣].

واعلم أن المؤمن يجب عليه أن يستر على إخوانه ما ستره الله منه، فإذا وقع أخوك في ذنب أو معصية، فمن عيره به؛ ابتلي به، ومن تكلم به؛ فقد اغتابه، ومن رضي به؛ فقد شاركه في الإثم، ومن ستره؛ ستر الله عليه، ومن استغفر له غفر الله له.

اللهم إنا نعوذ بك من إمام سوء، إن أحسنت؛ لم يقبل، وإن أسأت؛ لم يغفر، ونعوذ بك من جار سوء، إن رأى خيرًا؛ كتمه، وإن رأى شرًا؛ أذاعه، والحمد لله على حلمه بعد

علمه، وعلى مغفرته وعفوه وستره، ونستغفر الله ونتوب إليه من كل ذنب وخطيئة، إنه هو الغفور الرحيم: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

فلا إله إلا الله! كم تولد هذه المعارف العظيمة من الحب لله ﷻ، والإقبال عليه، وحسن عبادته، والتلذذ بمناجاته، والانكسار بين يديه، والاستحياء منه، وكم المحبته!

والذنوب كلها سموم، والطاعات كلها أغذية، والذنب شؤم على صاحبه، إذا أذنب أحد ذنباً؛ فهو شؤم على صاحبه أولاً، وعلى غير صاحبه؛ لأنه إن تكلم به من رآه؛ فقد اغتابه، وإن عيره به؛ ابتلي به، الذنب شؤم على صاحبه وعلى غيره من الناس؛ لأن الناس إذا رأوه؛ إما أن يتكلموا به فيغتابوه؛ فيأثموا ويكون هو السبب، وإن عيره به أحد؛ ابتلي به، وإن رضيه أحد؛ شاركه في هذا الإثم، فكيف بمن فعله؟!

فكل من تغافل عن المقابح والمساوى، ودكر المحاسن والفضائل؛ فله نصيب عظيم من هذا الاسم، كل من تغافل عن القبائح والسيئات، وذكر غيره بالمحاسن والفضائل؛ فله نصيب عظيم من اسم الله الغفور والغفار، فيغفر ويستر على أخيه، ومن ستر مسلماً؛ ستره الله يوم في الدنيا والآخرة، فاللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، ونعوذ بك من الشرور كلها، ومن مساوى الأخلاق، والأقوال، والأعمال، ويكتم المساوى؛ لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وإنما المؤمنون إخوة، فلا يليق بالإنسان أن يذم يده أو قدمه أو رأسه، فالمؤمنون إخوة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات / ١٠].  
وقال ﷺ: «كُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فإذا تعاملنا بهذه الإخوة؛ كنا يوم القيامة إخواناً على سرر متقابلين، فاللهم ارزقنا هذه المحبة، وهذه الأخوة، وهذه الصفات العالية، فالمؤمن دائماً يظهر المحاسن في غيره، ويكتم المساوى، فهذا الذي يحبه الله، ويحبه الناس، فأظهر الجميل، واستر القبيح؛ يُقبل عموم الناس عليك، ويقبلون حديثك إليهم، وينقادون لأمرك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٥٨).

وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥].

فنحن بشر نخطئ ونصيب، فتارة الشهوات تغلبنا، وتارة العقل يؤدي بنا إلى المصائب، وتارة الهوى يحرفنا إلى ما لا يحمد، فنكثر من قول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

لهذا أخبرنا الله ﷻ أنه غفور يَغْفِرُ الذنوب جميعاً، ويستر العيوب، فاللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أحرنا، وما أسرنا وما أعلنا.

فأول طريق لغفران الذنوب أن تعترف بها أمام ربك الغفور الرحيم، الذي ترجو أن يغفر لك، ويستر عيوبك ويصفح عن مساوئك، كما قال يونس لربه: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧]؛ فهو عرض حاله وأقر بأنه ظالم، والظالم يحتاج لمغفرة هذا الظلم فكان الجواب: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء/ ٨٧ - ٨٨].

وسيد الاستغفار «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

فحرص على كثرة الاستغفار، ومن عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ أحبه وكبره وعظمه، وأخلص له العبادة، وحمده وشكره على نعمه الظاهرة من الإسلام والأرزاق، وعلى نعمه الباطنة، وهي ستر العيوب والذنوب، ودفع البليات والمصائب: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان/ ٢٠].  
وإذا قال العبد: أستغفر الله العظيم، فينبغي أن يقصد ثلاثة أمور؛ ليعظم أجره وثوابه:

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

الأول: اغفر لي ذنوبي، واستر عيوبي، ولا تفضحني في الدنيا في نفسي وأهلي، بين الناس، فكم من الزلات التي يستحيي العبد منها، لو كشفها الله للناس، لاستاء هذا الإنسان!  
 الثاني: استرني ولا تفضحني بين الناس يوم القيامة: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء/ ٨٨ - ٨٩].

استرني إذا الصحف نشرت، وجاء الحساب: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٧ - ٨].

فينوي: استرني يوم القيامة، ولا تفضحني بين الناس يوم العرض الأكبر، لا تفضحني بين الناس يوم القيامة، فأستحيي من أبي وأمي، وزوجتي وأهلي، والناس.

الثالث: استرني من عذاب جهنم يوم القيامة: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان: ٦٥ - ٦٦].

فليحمد العبد ربه على عظيم مغفرته وستره لذنوب العباد ومعاصيهم، مع كثرتها، وعظمتها، وتنوعها: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيَلًا ﴿٥٨﴾﴾ [الكهف/ ٥٨].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣]. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم/ ٤١].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا  
اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ  
لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أسرفت وما أنت  
أعلم به مني، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.  
يا عالم الخفيات، يا كريم العطيات، يا غافر الذنوب، يا ساتر العيوب، يا حسن التجاوز،  
يا واسع المغفرة والرحمة، نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل  
بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا كربًا إلا نفسته، ولا ضرًّا إلا  
كشفته، ولا عسرًا إلا يسرته برحمتك يا أرحم الراحمين.

---

أخرجه البخاري برقم ( ) .



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الودود

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الودود

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].  
هو سبحانه الودود الذي يحب المؤمنين به، ويكرمهم بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة.

وهو سبحانه الودود المحبوب، الودود الذي يوده ويحبه خلقه لذاته، وجلاله، وجمال أسائه، وصفاته، وجزيل نعمه وإحسانه: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠].

وهو سبحانه الودود الذي يحب ويود من أناب إليه، وذو المغفرة لمن تاب إليه، الودود لأهل طاعته، الراضي عنهم بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، المحسن إليهم لأجلها، المادح لهم بها، المثيب لهم عليها: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة / ١٠٠].

وهو سبحانه الودود الذي أظهر وده لخلقها بما سخره لهم في السماوات والأرض من النعم الظاهرة والباطنة؛ ليجبوه، ويعبدوه، ويطيعوه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان / ٢٠].

هو الودود الذي تودد إلى عباده بالنعم التي لا يحصيها إلا هو: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم / ٣٤].

هو الودود الذي كل ما في الكون مظهر لعظمته، وكل ما في الكون مظهر لرحمته، وكل ما في الكون مظهر لقدرته، وكل ما في الكون مظهر لحبه، وكل ما في الكون مظهر لوده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى

الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْبُؤُهُ، حَيْثَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

له الأمر الكوني القدري، وله الأمر الديني الشرعي، وله الأمر الجزائي.

فسبحان ربنا العظيم الودود الذي تودد إلى خلقه بكل نعمة وكرامة وخير؛ ليتوددوا إليه بالإيمان به، وطاعته، وعبادته، وامثال أوامره، واجتناب نواهيه! ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة / ٢١-٢٢].

وقد ورد اسم الله الودود في القرآن مرتين، في سورة هود في قوله سبحانه: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود / ٩٠].

وفي سورة البروج في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج / ١٤].

واسم الودود صيغة مبالغة بمعنى فاعل، وبمعنى مفعول، فهو سبحانه الودود الواد لأهل طاعته، المحب لعبيده، الذي يود ويحب أنبياءه ورسله، وأوليائه وعباده المؤمنين.

وهو سبحانه الودود المودود المحبوب الذي يستحق أن يُحِبَّ ويودَّ؛ لكثرة إنعامه، وإحسانه إلى عبده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فسبحان ربنا الودود الذي يتودد إلى عباده بأصناف النعم في كل مكان وزمان، الودود الذي يود ويحب من تاب إليه، وأناب إليه، وأقبل عليه! ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرَ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا

الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم / ٣٤].

هو سبحانه الودود الذي يحبه أولياؤه الصالحون، ويملاً حبه قلوبهم، وأسماعهم، وأبصارهم، وجوارحهم، وأرواحهم، فهو أحب إليهم من أنفسهم، وأولادهم،

وأموالهم، وأوطانهم: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وهو سبحانه الودود الذي تقرب إلى أوليائه وتجب إليهم بالقرب منهم، وتجب إلى المذنبين بالمغفرة والرحمة، وتجب إلى كل الخلق بالعطاء والإحسان والإكرام والإنعام واللطف: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

• واعلم أيها الإنسان أن الودود سبحانه يتودد إليك بطريقتين:

الأول: الود العام؛ وهذا ود لكل البشر؛ مسلمهم وكافرهم، برهم وفاجرهم.

فكل ما في الكون من النعم دلائل ظاهرة لتودد الله إليك؛ من شمس وقمر، وبحار وأنهار، وطعام وشراب؛ لعلك توده وتحبه، وتؤمن به وتعبد؛ لما تراه من ألوان وده وإحسانه وإنعامه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٣﴾ [الطلاق / ١٢].

كم أنواع النبات خلقه الله في الأرض من أجلك؟! كم أنواع الحيوان التي خلقها الله ﴿بِحَبْلِكَ﴾ في الأرض من أجلك؟! كم أصناف الطير في الجو؟! كم أنواع الأسماك في البحار؟! كم أنواع الأزهار والثمار في الأشجار؟! كل هذا من مظاهر تودد الودود إلى عباده، وهم لا يحتاجون من ذلك إلا القليل، ولكن الودود غمرهم بهذه النعم؛ ليودوه ويحبوه ويعبدوه وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

فسبحان الودود الذي غمر عباده بأنواع النعم، لعلهم يشكرونه ويحبونه: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان / ٢٠].

الثاني: الود الخاص؛ وهذا الود خاص بالمؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ ﴿١٦﴾ [مريم / ٩٦].

سيجعل الله للمؤمن والمؤمنة وداً في الدنيا والآخرة، يوده ويحبه الله، وكل من يحب الله،

وكل من خلق الله، فكل المؤمنين لهم من الودود حب خاص، وعناية خاصة: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور / ٤٨].

وحين مات أبناء النبي ﷺ في مكة؛ قال الكفار: بُتِر محمد، فأنزل الله عليه سورة الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر / ١-٣].

وحين أخرجه الكفار من مكة؛ بكى لفراقها، فأنزل الله عليه: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴿٨٥﴾﴾ [القصص / ٨٥].

فالود ممتد ومتصل ومستمر من الودود على أوليائه المؤمنين في الدنيا والآخرة. والودود سبحانه يتودد إليك بصنوف النعم؛ لأنه يجب أن تذهب إليه وحده، ولا تلتفت إلى غيره، فتتودد إليه بأنواع الطاعات والقربات: ﴿فَفِرُّوْا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

• واعلم أن تودد الله لعباده له ثلاث حالات:

الأولى: أن يتودد الله إلى عبده بأنواع الإكرام والإحسان والأنعام؛ ليذكره ذلك بربه؛ ليزداد حبه لله، فيقبل على طاعته وعبادته في كل حال، فهذا بأعلى المنازل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

الثانية: أن يتودد الودود سبحانه إلى عبده بما يسعده ويسره، ولكن العبد غافل غير متنبه لذلك، قد أشغلته النعم عن المنعم، فهو غارق في شهواته، غير ذاك لمن أسدى إليه تلك النعم العظيمة، فهذا أخسر الناس: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْإِطْرَاقِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف / ١٧٩].

الثالثة: ألا يتودد إليك الودود؛ لأنك لا تستحق؛ لأن آثار وده لم تؤثر فيك، فيقطع عنك بعض وده؛ لعلك تذكره وتتوب إليه: ﴿وَلَنْبَلُوكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقَصٍ مِّنَ

الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥ - ١٥٧].

فسبحان الله العظيم ما أرحم الله بعباده، وما أعظم تودده إليهم بأنواع النعم: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٨﴾ [النحل: ١٨].

والله جل جلاله هو الودود الذي تودد إلى أوليائه، فعرفهم بأسمائه وصفاته، وآلائه وإحسانه، وعظمة ملكه وسلطانه، بما أظهره لهم في آياته الكونية، وبما أنزله من آياته الشرعية، يحبونه ويؤمنوا به ويشكروه: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةً وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾ [ق/ ٦ - ٨].

وهذا أجل أنواع الود، فهو الذي وضع كل سبب يتوددهم به، ويجذب قلوب خلقه إليه، وهذا خاص بأوليائه المؤمنين: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ ﴿١٦﴾ [مريم: ٩٦].

وهو سبحانه الودود الذي يتودد إلى العصاة والمذنبين بعفوه ومغفرته ورحمته وإحسانه، ويتحبب إليهم، ويتودد للتائبين منهم بما شرع من الأسباب التي ينالون بها مغفرته وعفوه ورحمته، كما قال سبحانه: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

ومن كمال مودته لخلقه أنه يفرح بتوبتهم ورجوعهم إليه أشد الفرح، وأمرهم بالتوبة ليتوب عليهم.

وهو سبحانه الودود الذي تودد إلى جميع خلقه برزقه وكفايته، وآلائه ونعمه السابغة،

ونعمه الظاهرة والخفية التي بها أوجدهم وأبقاهم وأحياهم، وبها أصلحهم، وبها كمل لهم ما يسعدهم ويغنيهم ويعينهم على أمور دينهم ودنياهم، وبها هداهم للإسلام والإيمان الذي هو أكبر النعم: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات / ١٧].

ومن وده لخلقه أنه أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وغمرهم بأنواع النعم: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة / ٢].

وقد اقترن اسم الله الودود بالرحيم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود / ٩٠].

واقترن بالغفور في قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ [البروج / ١٤].

وفي ذلك إشارة إلى أن الله يغفر لعبده المذنب ويرحمه إذا تاب إليه، ويحبه ويوده بعد المغفرة، ويغفر له ويحبه، فإذا تاب إليه تاب الله عليه وأحبه ولو كان منه ما كان؛ وذلك لمحبة الله للتوبة والتائبين، والاستغفار والمستغفرين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة / ٢٢٢].

ولأن التوبة من أعظم موجبات المودة التي تقتضي الرحمة والمغفرة في الدنيا والآخرة. ومن جلال اسم الله الودود أنه يدل على صفة المحبة، وهي صفة فعلية لله ﷻ تتعلق بمشيئته وإرادته، وتقتضي الإحسان والإنعام والإكرام والثواب.

ومحبة العبد لربه ومودته له فضل من الله وحده: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥٣].

فليست هذه المحبة والمودة بحول العبد ولا قوته، وإنما بفضل الله ورحمته.

وهو سبحانه إذا أحب عبده؛ جعل المحبة لله في قلبه، فاطمأن قلبه بذكره: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد / ٢٨].

ومن جلال الودود سبحانه أنه يرزق أوليائه محبة الناس، فيحببهم إلى خلقه من أهل السماء والأرض من غير تودد منهم إليهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ [مريم / ٩٦].

واعلم أن الكون كله بما فيه من المخلوقات، والآيات، والنعم، كله من قبل الله تودد إلى هذا الإنسان الذي كرمه الله على غيره، وكل أعمال الإنسان الصالحة تودد إلى الرب الخالق العظيم: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقُونَ ﴿٣١﴾ فذِكْرُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

هو الغفور الودود الكريم الذي خلق الإنسان قبل أن يكون شيئاً، ورزقه من كل شيء، وهداه إلى معرفة ربه، وحبب إليه الإيمان، وزينه في قلبه، وأعاناه على طاعته، ووفقه لحسن عبادته، وضاعف له أجر عمله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرٍ مِنَ النَّارِ فَنَقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وهو سبحانه الودود الذي خلق المودة، وعنده خزائن المودة.

هو الودود الذي ألقى المودة بينه وبين أوليائه، وألقى المودة بين المؤمنين مع بعضهم، وألقى المودة بين الأب وأبنائه، وبين الأم وأولادها، وبين الزوجة وزوجها: ﴿وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم / ٢١].

هو سبحانه الودود الذي من آثار مودته ما جعله بين الزوجين من المودة والمحبة، وهو من آيات الله الكبرى، ومعنى السكنى أن الرجل يكمل نقصه العاطفي بزوجته، والزوجة تكمل نقصها القيادي بزوجها، فكل واحد يكمل الآخر، والحب بين الزوجين لا يخبو؛ لأنه من آيات الله: ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود / ٩٠].

وإذا أطاع العبد ربه؛ أحبه، وإذا أحبه؛ أحبه أهل السماء، ووضع له القبول في الأرض: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم / ٩٦].





والإنعام: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر / ٢٤].

واعلم رحمك الله؛ أن الود هو خالص الحب، وود العبد لربه على قدر معرفته به: ﴿فَاعْلَمْ  
أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ  
وَمَثُوكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

وود الرب لعبده على قدر إيمانه وطاعته لربه، وإيثاره لرضاته ومحبه له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم / ٩٦].

وإذا أحبك الودود سبحانه جعل في قلوب الخليقة في السماء والأرض مودتك ومحبتك،  
وأنزلك القبول في الأرض، وإذا أبغضك؛ أمر أهل السماء والأرض ببغضك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا؛ دَعَا جِبْرِيْلَ، فَقَالَ: إِنِّي  
أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ. قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيْلُ. ثُمَّ يَنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا  
فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ. قَالَ: ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا؛ دَعَا  
جِبْرِيْلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ. قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يَنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ:  
إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ. قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»  
متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم نور الله قلبك بالتوحيد والإيمان؛ أن الحب والود والرضا خاص من الله لعباده  
المؤمنين، يختص به من يشاء على قدر المعرفة والإيمان والتقوى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ  
يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٧٣] يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [٧٤].  
[آل عمران / ٧٣ - ٧٤].

وود العبد لربه هبة من الودود الحق سبحانه، جعله في قلبه؛ فودَّ ربه به، وألقى في قلوب  
الخلائق الود له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [١٦].  
[مريم / ٩٦].

ومن أحبه الودود، وأحب هو الودود، رأى نعمه ابتلاءً، ورأى منعه عطاءً؛ لأن الودود

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٠٩)، ومسلم برقم (٢٦٣٧) واللفظ له.

أبعد عنه ما يشغله عنه، فهو عبد صابر شاکر، لكن من نوع آخر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿٣١﴾ [لقمان / ٣١].

لا يشغله عن عبادة ربه شاغل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنْتٌ ءَانَاءَ الْيَلِّ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر: ٩].

فهذا العبد الرباني المقرب يجازيه الودود سبحانه بكل ما يسره في الدنيا والآخرة؛ من لذيذ مناجاته، والأنس به، وحسن عبادته، ودخول جنته: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ [المجادلة / ٢٢].  
 ويعذره الودود سبحانه في زلته، ويضاعف حسناته ليزيد له في ثوابه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [يونس / ٢٦].

ومن أبغضه الله لكفره وعناده وسوء عمله؛ مَقَّتَهُ لكفره واستكباره، وسخط عليه لكرهيته الحق وصدّه عنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمُ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ [البقرة / ١٦١ - ١٦٢].  
 فهذا إن كان منه عمل حسن زين له الشيطان ما يفسده به من رياء، أو عُجب، أو كبر، أو آفة تحبطه أو تبطله، وإن أنعم عليه الكريم سبحانه استدرجه، وإن ابتلاه عاقبه، وإن همَّ بخير قيص له ما يصرفه عنه: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [غافر / ٣٤].

فتعرف أخي المسلم إلى ربك الحق سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتعرف على عظيم نعمه وإحسانه، فمعرفة تثمر تعظيمه ومحبته، ومن أحب الله فليحبه الحب كله، ويستقبل أحكامه كلها بالرضا والتسليم، ويشكره على جميع أفعاله ونعمه وإحسانه، مع كمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩].

فعليك بشكر ربك الرحمن الرحيم الغفور الودود، ودوام الذكر له، والعمل بما يرضيه، وقبول أحكامه، والتسليم لأمره: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء / ٦٥].

فالمحب لربه الودود حقًا لا تراه إلا قائمًا عند باب محبوه بظاهره وباطنه، بلسانه وجوارحه، بقلبه وقالبه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ أَمَّا النَّبِيُّ لَعَلَّ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩١﴾ [الزمر / ٩].

واعلم أن كل محبوب موجود في العالم فهو آية على حب الله، وجمال وكمال أسائه وصفاته، وحجة منه على المحبين لغيره لِمَا أَحَبُّوا ما لا ينفعهم ولا يضرهم، ولما أَحَبُّوا ما ليس بعلي في أسائه وصفاته: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٧٦﴾ [المائدة / ٧٦].

فسبحان الله! ما أسفه من عبد غير الله، وأحب غير الله، وتعلق بغير الله! ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسَىٰ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَأْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان / ١٠ - ١١].

فالذي خلق كل شيء وحده هو الذي يستحق أن يعبد وحده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فما أسفه عقول الكفار والمشركين والمجوس، وكل من عبد غير الله! لماذا لم يحبوا الملك الحق الذي بيده جلب كل خير لهم، ودفع كل شر عنهم؟ ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن فِطْمِيرٍ﴾ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر / ١٣ - ١٤].

فأسفه عقول العالمين هم الكفار والمشركون: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٤ - ٦٦].

واعلم أن الحب من الودود الحق سبحانه يتوجه إلى عبده المؤمن على مراتب:

فتارة يكون بالإنعام والإكرام؛ كقضاء الحاجات، وسعة الرزق، وإدرار النعم، وإجابة الدعوات، والحب بالكرامات، وخفي الكفريات: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وتارة يكون بالابتلاء في الظاهر، فترى عبده المؤمن ينادي ربه فلا يكاد يجاب، ويسأل فلا يُعطى، ويستغيث فلا يكاد يُغاث، ليس لهوانه على محبوبه الحق سبحانه؛ لكنه سبق له في أزله أنه ينال تلك المحبة بحسن صبره على البلاء: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِمَّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٥].

ويشدد بالمؤمن الأمر مع حُسن استقامته، حتى أن أبناء جنسه يرحمونه لما به من الضر والفاقة، والملائكة تغبطه بما له عند ربه من عظيم الذكر، وكريم المآب: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

فسبحان ربنا الودود الحق الذي يتودد إلى خلقه بنعوته الجميلة، ونعمه العظيمة، وألطفه الخفية: ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود/ ٩٠].

وهو سبحانه الودود الكريم الذي أحب عباده، وتودد إليهم بحسن أفعاله، وجزيل إنعامه، وجعل في قلوبهم المحبة فأحبوه، والفضل كله راجع إليه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات/ ٧-٨].

هو سبحانه الودود الذي وضع كل سبب يتودد به إلى عباده، ويجلب قلوبهم إلى وده، بما

عرفهم سبحانه من أسائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الجمیلة، ونعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٣٤] ﴿إبراهيم / ٣٤﴾.

وهو سبحانه الرحيم الودود الذي يفرج عن عباده الكربات، ويدفع عنهم الكربات، وهو الودود الرحيم الذي بين لعباده الدين الحق، وهداهم إليه، وحببه لهم، وأعانهم عليه، وأثابهم عليه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٢] ﴿٢﴾ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٣] ﴿٣﴾ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٤] ﴿٤﴾ [الجمعة / ٢ - ٤].

واعلم ملاً الله قلبك بالإيمان، وزين جوارحك بأحسن الأعمال؛ أن جميع ما في السموات والأرض من محبوبات القلوب والأبدان كلها من كرم الرب الرحيم، وإحسانه وجوده، خلقها الله ليتودد بها إلى عباده، وجعلها شاهدة بتوحيده، دالة على كمال قدرته: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [٢٠] ﴿٢٠﴾ [لقمان / ٢٠].

واعلم أن القلوب مجبولة على حب كل من أحسن إليها، فأى إحسان أعظم من هذا الإحسان من الرحمن الرحيم الذي يتعذر عده وإحصاء أجناسه وأنواعه وأفراده! ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [١٧] ﴿١٧﴾ ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا اللَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [١٨] ﴿١٨﴾ [النحل / ١٧ - ١٨].

وكل نعمة من الودود الكريم توجب على العباد أن تمتلئ قلوبهم بمحبته وتوحيده ومودته، ومن ألسنتهم وقلوبهم حمده وشكره، وتعظيمه وتسبيحه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٣] ﴿١٣﴾ [آل عمران / ١٠٣].

والحب الصادق حقاً لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء، وحب المؤمنين لربهم أعظم من كل حب، وإنه ليزيد في قلوبهم حتى يكون تلذذهم بمنعه، وابتلاؤهم كتلذذهم بنعمه

وَإِكْرَامِهِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة/ ١٦٥].

فهم يحبون ربهم لذاته وجلاله وجماله، وجمال أسماؤه وصفاته.

فسبحان الله! ما أطفه فيما يقدره مما يجلب محبته، ويزيد مودته، ويبعث على طاعته وحسن عبادته! ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [١٠٣] [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فإذا رأيت نفسك أخي المسلم تحبه وهو يبتليك؛ فاعلم أنه يريد أن يطهرك ويصطفيك، فاصبر لحكم ربك، واستغفر من ذنبك؛ فإن ربك رحيم ودود يريدك له: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [٩٧] فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ [٩٨] وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [٩٩] [الحجر/ ٩٧-٩٩].

فسبحان الملك الحق الغفور الودود الذي يتودد إلى خلقه بأنواع الرحمة والعفو والمغفرة، وأنواع الإكرام والإحسان والإنعام، وأنواع الإجابة والهداية والكفاية والالطف: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣] [يونس/ ٣].

واعلم أن كل ود وحب ورحمة وحنان موجود في المخلوقات فمن آثار وده وحبه ورحمته وحنانه جل جلاله، ولا ريب أنه موجود في عالم الجهاد والنبات والحيوان والإنسان، ثم يزداد ظهوراً وقوةً في المؤمن، ثم في الولي، ثم في النبي، ثم في الملائكة الذين: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [١٩] يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ [٢٠] [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

والذين: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم/ ٦].

يزداد ذلك الحب والود لله حسب زيادة المعرفة بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومشاهدة عظمة آياته ومخلوقاته، ومطالعة نعمه وإحسانه، وتدبر كتابه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [١٩] [محمد/ ١٩].

فما أعظم حب الله لعباده المؤمنين! وما أوسع رحمته بهم! وما أعظم إكرامه لهم! وما أحسن مودته لهم! ﴿إِنَّ رَبِّيَ رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود / ٩٠].

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج / ٦٥].

إن العبد يشرد عن ربه فيقصر في الواجبات، ويتجراً على المحرمات، والله الحليم بستره يستر عباده، ويحلم عليهم، ويمدهم بالنعمة، ثم يقيض لهم من الأسباب ما يرجعهم إليه، ويتوب عليهم، ويغفر لهم تلك الجرائم، ويمحو عنهم ما أسلفوه من الذنوب، ويعيد عليهم وده ومحبتة: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبَدِّئُ وَيُعِيدُ﴾ [١٣] ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [١٤] ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [١٥] ﴿فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [١٦] [البروج / ١٥ - ١٦].

ومن كمال مودته سبحانه للتائبين أنه يفرح بتوبتهم أعظم فرح.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فأنفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك؛ إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم رحمك الله؛ أن الودود سبحانه من أحبه من أوليائه، وتقرب إليه بما يحب؛ أحبه الله، ورزقه حسن عبادته، وجعله إماماً يهتدي الناس به، وجعله محاب الدعوة، ووجيهاً في الدنيا والآخرة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة / ٢٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٨)، ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له.



لَأَعِيدَنَّهٗ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

أما مودة أولياء الله له فهي روحهم وحياتهم، بها تلتذذوا بعبادته، وبها حمدوه وذكروه، وبها لهجت ألسنتهم بذكره، وبها تحركت جوارحهم بعبادته، وبها ذرفت دموعهم من أجله.

﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

وبهذه المودة والمحبة صارت جميع محابهم الدينية والطبيعية تبعًا لهذه المحبة.

أما المحبة الدينية فإن أولياء الله لما أحبوا ربهم؛ أحبوا أنبياءه، ورسله، وكتبه، وأوليائه، وأحبوا كل عمل يقرب إليه، وأحبوا كل ما أحبه ربهم من زمان ومكان، وأعمال وعمال: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٣-٦٤].

وأما المحبة الطبيعية؛ فإنهم تناولوا شهواتهم التي جُبلت النفوس على محبتها على وجه الاستعانة بها على ما يجب مولاهم بنية امتثال أوامر الله عند تناولها؛ فصارت عاداتهم عبادات: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فسبحان الودود الذي يتحنن إلى عباده بكل ما يكون سببًا في مودتهم له، وحبهم له، وعبادتهم له: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

واعلم أن حنان المخلوق رافة في النفس، ورقة في القلب، وميل مفرط في الجبلة لحب ورحمة من يمن إليه وعليه، والله الرحيم الودود الذي ليس كمثلته شيء أتم حنانًا وأشد

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

رَأْفَةً وَرَحْمَةً بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ: ﴿يَبْحِثِي خُدَّ الْكِتَابِ يُقْوِرَ وَايْتِنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾﴾ [مريم/ ١٢-١٣].

واعلم أن الحنان والود والمحبة والرحمة مما ينزل من صفات الحق إلى الأرض، وتنشأ من لدن عالم الجهاد إلى عالم الملائكة، كما تحن الطيور إلى أوكارها، وكما تحن الحيوانات إلى أولادها، وكما حن الجذع إلى النبي ﷺ حين ترك الخطبة عليه في صلاة الجمعة.

فلا إله إلا الله! كم ملاً الكون بحنانه وإحسانه، ومخلوقاته وآياته! ومن ملاً الكون بنعمه وإحسانه؛ فيجب أن نملاًه بحمده وشكره وذكره: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذَكَرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤٢-٤٣].

ومسالك الحنان من الرب في أصناف العالمين ظاهر بالرحمة التي عم بها جميع خلقه، واللفظ الذي عم كل مخلوق: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ فَذَجَاءَكُمْ بِصَآئِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٤].

فانظر نور الله بصيرتك بالعلم والإيمان إلى الجنين في بطن أمه كيف حن عليه اللطيف، فخلقه وصوره بأطواره! وكيف سهل خروجه! وكيف حنن عليه أبويه وكافليه! وكيف جعل الرحيم في قلوبهم الشفقة عليه! وكيف لطف في تغذيته في أطواره وبعد خروجه! ﴿ذَلِكْ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة/ ٦-٩].

فهذا حنانه جل جلاله بالآدمي وغيره من أنواع الحيوان في البر والبحر والجو.

فإن كان هذا المولود الآدمي قد سبق له القضاء بالهداية؛ وفقه الكريم للإيمان والعمل الصالح، فاتصل له الحنان أوله بآخره، فسعد في الدنيا والآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

## التعبد لله ﷻ باسمه الودود

من عرف الله ﷻ باسمه الودود؛ كبره وعظمه، وأحبه وأثنى عليه، وحمده وشكره، وأطاعه ولم يعصه، وأفرده بالعبادة وحده لا شريك له، وتوكل عليه وحده، وذلك لما يراه من كمال قدرته، وعظيم إحسانه، وعموم لطفه بعباده، وكمال أسائه وصفاته وأفعاله، وعظمة جلاله وجماله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يتودد إلى الناس بكل خير؛ ليحبوه ويقبلوا قوله، فيكرمهم بما يستطيع من أنواع الإحسان، فيحلم على سفيههم، ويعفوا عن أساء إليهم منهم، ويطعم فقيرهم، ويعلم جاهلهم، ويواسي بائسهم: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٣٤].

ويتودد إلى ربه بفعل الأسباب التي تقتضي محبة الله له بطاعته وعبادته وحده لا شريك له، واتباع رسوله ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

ويحب كل من أحبه الله ورسوله، ويعادي من أبغضه الله ورسوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة/ ٢٢].

وليس العجيب من فقير يتودد لغني، ومن صغير يتودد إلى كبير، ومن ضعيف يتودد إلى قوي؛ بل العجيب من غني يتحب ويتودد إلى فقير، لكمال رحمته بخلقه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وليس الشأن أن تحب الله فقط؛ بل الشأن كل الشأن أن يحبك الله، فبادر إلى طاعة الله ورسوله؛ ليحبك الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران / ٣١].

وبادر رحمك الله إلى أداء الفرائض والتقرب إلى الله بالنوافل؛ ليحبك الله. وحظك من هذا الاسم الكريم أن تحبب الناس إلى ربهم بتعريفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتذكر لهم عظيم إنعامه وإحسانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٤١] وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].

ومن عرف الله حقاً وحده حقاً: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢ - ٢٤].

وذكرهم بآلاء الله ونعمائه، وعقوبته وانتقامه، فإذا عرفوا نعمه؛ عظموه وأحبوه، وأطاعوه وعبدوه، وإذا عرفوا شدة بلائه وبطشه؛ خافوا منه ولم يعصوه: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٩٨].

وأحب لأخيك ما تحب لنفسك، فعلامة الإيثار حب إخوانك المؤمنين، فالمؤمن إذا تفوق أو اغتنى؛ فتفوقه وغناه للمؤمنين عموماً، فافرح لكل مؤمن بعطاء الله له، فالأرزاق مقسومة بين الخلق: ﴿أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُحْرِيًّا وَرَحِمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

أما إذا تأملت من ذلك؛ فذلك علامة بغضك لأخيك، وذلك من علامات النفاق: ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ [٥٠] قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/ ٥٠ - ٥١].

والله سبحانه ودود رحيم بعباده، إذا أحب وفق، وإذا أحب أحسن، وإذا أحب أعطى،  
وإذا أحب أعان، وإذا أحب حفظ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ  
مُحْسِنُونَ﴾ [النحل / ١٢٨].

والإنسان إذا أحب ربه خضع له، وسجد لكبريائه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا  
بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ  
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ  
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٥ - ١٧].

واعلم أن الودود سبحانه ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، لكمال وده ومحبته ورحمته  
بعباده.

قال النبي ﷺ: «يَنْزِلُ كُلُّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَيَقُولُ: هَلْ  
مِنْ دَاعٍ فَاسْتَجِيبَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَعْطِيَهُ؟» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
فمن أراد أن يحصل له الود كله؛ فليبادر إلى الأعمال الصالحة فرضها ونفلها: ﴿وَإِنَّ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم / ٩٦].

فاسأل الله أن يجبك، وتضرع إليه أن يتقبلك، ومن دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ  
حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ» أخرجه الترمذي<sup>(٢)</sup>.  
والله ﷻ هو الغفور الودود، الكريم، الرؤوف الرحيم، الذي من على جميع مخلوقاته  
بالنعم الظاهرة والباطنة، ومن على بني آدم بنعمة الخلق والإيجاد، ونعمة القوت  
والإمداد، ونعمة الهداية والإسعاد: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي  
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة / ٣].

فاشكر ربك الودود على نعمه وآلائه، واستغفره من التقصير عما يستحقه من الشكر  
والعبادة، وتضرع إلى مولاك الودود أن يتولاك في جميع أمورك، وأسأله أن يعينك على  
ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يتحمل عنك ما عجزت عنه من الشكر لربك، وأن

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٢١)، ومسلم برقم (٧٥٨) واللفظ له.

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٠).

يصفح عن تقصيرك في أداء واجباته وحقوقه، وقل صادقًا: لا إله إلا أنت، سبحانك،  
إني كنت من الظالمين.

واستغفر ربك الودود من كل ما تعلمه وما لا تعلمه من الذنوب، فإنه غفور ودود،  
وقل منكسرًا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

واعلم رحمك الله أن زبدة الإيثار واليقين حسن الظن بالله؛ فأحسن الظن بربك في جميع  
أحوالك، في حال السراء، وفي حال الضراء، فمن أحسن الظن بربه؛ أحبه، وقضى  
حوادثه؛ لأنه الكريم الرؤوف الرحيم الذي لا يرد سائلًا، ولا يخيب مؤملًا  
أبدًا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي  
وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فكن مع مولاك الكريم بالذكر والعمل الصالح ما حييت؛ يعطك من خزائنه ما تريد،  
فمن كان لله؛ كان الله له ومعه في كل حال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله ﷻ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي  
بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِن ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِن ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي  
مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِن تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِن تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ  
بَاعًا، وَإِن آتَانِي يَمْسِي؛ آتَيْتُهُ هَرَوَلَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فهو سبحانه الكريم الودود، الباسط يديه بالعطايا في الشدة والرخاء، والعطاء أحب إليه  
من المنع، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب إليه من العقوبة، والإحسان  
أحب إليه من العدل: ﴿هُوَ الَّذِي يَبْدُؤُاَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ  
الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم/ ٢٧].

وهذا هو المثل الأعلى الذي اختص الله به على الكمال جل جلاله، فخذ منه على قدر ما  
تستطيع، فإن الله يحب من عبده أن يتصف بصفاته التي تليق به، ولهذا بينها الله في كتابه

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

العظيم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ  
لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

فتعبد لله بموجب أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ  
فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فسبحان الملك الحق الغفور الودود الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال  
الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا  
تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ  
لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ كَبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾ [الإسراء: ١١٠ - ١١١].

واعلم حفظك الله؛ أنه يجب على الإنسان كما تودد إليه ربه بنعمه التي لا تعد ولا تحصى؛  
أن يتودد ويتقرب إلى ربه بجعل حياته كلها، وأوقاته كلها، في طاعة مولاه، وعبادة ربه  
الودود، والإحسان إلى خلقه: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قَدِيمًا مِلَّةَ آبَائِهِم  
حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا  
شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١ - ١٦٣].

واعلم رحمك الله أن المودة والمحبة من العبد لربه تستبين بحسن الموافقة والطاعة لمولاه،  
ودوام ذكره وشكره وحسن عبادته، والمسارة إلى ما يحبه ويرضاه، ومحبة تلاوة كتابه،  
واتباع رسوله ﷺ، ومحبة كل ما يحبه ربه من الأقوال والأعمال والأخلاق وغيرها، فكن  
ذلك المحب رحمك الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ  
ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ  
كَرِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢ - ٤].

ومن دلائل حب العبد لله: حب الرسول ﷺ، واتباع سنته، وحسن الاقتداء به: ﴿قُلْ إِنْ  
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن علامات حب الله: ترك الشكوى إلى غيره، وكتمان ما حكم به عليك من الضيق والشدة، وتفويض الأمر إليه وحده، كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف / ٨٦].

فمفاتيح كل شيء ومقاليده كل شيء بيد الله جل جلاله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٣] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [الزمر / ٦٢ - ٦٣].

ومن دلائل حب الله جل جلاله: عدم الإقبال على الدنيا، وتقديم أمور الآخرة على أمور الدنيا: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَائِهِ، ثُمَّ يَهِيحُ فَتَرِبَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [٢٠] سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٠ - ٢١].

وقال عليه السلام: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت / ٦٤].

ومن علامات حب العبد لربه: حب التعرف على أسمائه وصفاته، والعمل بشرعه، والدعوة إليه، وتعليم أحكام دينه، ولزوم هذا الطريق حتى الموت: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف / ١٠٨].

ومن علامات حب العبد لربه: كثرة ذكره، وكثرة النظر والتفكير في عجائب مخلوقاته، وتدبر معاني كتابه، وحسن الثناء عليه، وطول القيام بالليل في مناجاته: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِعَايَتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَمَزُوا سَجْدًا وَسَبُّحًا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [١٦] تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٥ - ١٧].



ومن علامات حب العبد لمولاه: صدق الانقطاع إليه في كل حال، وسبق النظر إليه عند كل حادثة، والأنس به، والطمأنينة بذكره، وحسن الأدب والافتقار بين يديه، وتسليم القلب والبدن إليه بحسن السمع والطاعة له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك / ١٢].

ومن علامات حب العبد لمولاه طول القنوت بين يديه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ أَمَّا أَيْلٌ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ٩].

واعلم أن محبة الله ثنال بترك المناهي أكثر من منالها بفعل الأوامر، فالأعمال الصالحة يعملها البر والفاجر، والكف عن المناهي والمعاصي مع فعل الأوامر لا يكون إلا من صديق رباني، فتقرب إلى ربك بفعل الأوامر، واجتناب المناهي؛ تكن ربانياً: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر / ٧].

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [١٧] ﴿الَّذِينَ سَمِعُوا الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْأَلْبَابِ﴾ [١٨] [الزمر / ١٧-١٨].

﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن مَّا نَزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران / ٨].  
 ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر / ١٠].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

اللهم يا غفور يا ودود، يا ذا العزة والجبروت، يا بديع السموات والأرض، يا من له  
الأسماء الحسنى، والصفات العلى، نسألك رحمة تغنيننا بها عن رحمة من سواك، وعافية  
نقوى بها على طاعتك، وعبادة نستحق بها جزيل مثوبتك.  
اللهم ارحمنا بترك المعاصي أبداً ما أبقيتنا، وارحمنا أن نتكلف ما لا يعيننا، وارزقنا حسن  
النظر والعمل فيما يرضيك عنا يا أرحم الراحمين.  
اللهم تب علينا إنك أنت التواب الرحيم، واغفر لنا إنك أنت الغفور الرحيم، وارزقنا  
حسن التوّدّد إليك بتوحيّدك والإيمان بك، والعمل بطاعتك.  
وارزقنا حسن التوّدّد إلى خلقك بما يؤلّف قلوبهم على دينك، يا ذا الجلال والإكرام.  
سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

البر

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله البر

الله ﷻ هو البر، الواسع الخير والفضل، البار عباده بما ينفعهم ويصلحهم، الصادق في أخباره، وفي وعده ووعدته، المحسن إلى خلقه، الرحيم بهم، الودود لهم، المكرم لهم بأنواع الكرامات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء/ ٧٠].

وهو سبحانه البر اللطيف بعباده، الذي عم بربه جميع خلقه، ووسعهم بزرقه وإحسانه. هو البر الغني الذي يملك خزائن البر كلها: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

وهو سبحانه البر الرحيم بعباده، المحسن إليهم بكل نعمة، الذي عم جميع خلقه بعطائه، البر بالمحسن بمضاعفة الثواب له، والبر بالمسيء بالصفح والتجاوز عنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي النَّاسَ لِرُءُوفٍ رَحِيمٍ﴾ [الحج/ ٦٥].

وهو سبحانه البر الرفيق بعباده، الذي يريد بهم اليسر، ولا يريد بهم العسر، ولا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون، العفو الذي يعفو عن سيئات العباد، الكريم الذي يجزيهم بالحسنة عشر أمثالها، إلى سبعائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، ولا يجزيهم بالسيئة إلا واحدة يمحوها بالتوبة أو برحمته: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعُ لُؤْبَ﴾ [الشورى/ ٢٥].

فسبحان البر الرحيم الذي يفرح بتوبة عبده، ويعطي الأجر الجزيل على العمل القليل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

هو البر الحق بعباده، الذي وسعهم خيراً وكرماً، وفضلاً وإحساناً، وحمداً وشكراً، ومغفرةً وعفوًا، ورحمةً وودادًا: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نَتَقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٢-٥٣].

وقد ورد اسم الله البر في القرآن مرة واحدة في قوله سبحانه عن أهل الجنة: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عُذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور/ ٢٦-٢٨].

والبر كلمة جامعة لكل صفات الخير، والفضل والإحسان، والبر ضد الإثم، كما قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

وقد اقترن اسم الله البر بالرحيم في قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور/ ٢٨].

وسر ذلك والله أعلم أن البر هو اللطيف بعباده، الرفيق بهم، المحسن إليهم بأنواع الإحسان، وذلك كله من آثار وموجبات رحمته التي وسعت كل شيء: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر/ ٧].

فسبحان ربنا البر الرحيم اللطيف بعباده، كثير الخير والعطاء في كل حين، لا ينفد عطاؤه، ولا ينقطع إحسانه، ولا تنقص خزائنه: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ [لقمان/ ٢٦].

هو البر الكريم الذي يُعطي من يشاء، كيف يشاء، بقدر ما شاء، على مر الدهور، ومن أكرم الله من خلقه فلا مهين له، ومن أهان فلا مُكرم له.

وأعظم الكرامات أن يكرمك البر بالإيمان والهدى، ولو كنت فقيرًا مبتلى، وأعظم الإهانات أن يبينك الله بالكفر والفسوق والعصيان، ولو كنت وجيهاً من أهل الترى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ

وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨].

وهو سبحانه البر بعباده، البر الذي كل بر وإحسان وخير منه وحده لا شريك له. فهو البر بعباده المحسن إليهم في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا فيما أسبغ عليهم من النعم والأرزاق، وبما هداهم إليه من التوحيد والإيمان والطاعات: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [القمان/ ٢٠].  
 ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٢ - ٤].

وأما في الآخرة فيما وعد الله المؤمنين به من الثواب العظيم، ودخول الجنة، ورضوانه على من آمن به ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

هو سبحانه البر الرحيم الذي من على السائلين بحسن العطاء، وتفضل على المحسنين بجزيل ثوابه، وامتن على المسيئين بحسن إمهاله، والصفح عنهم، والمغفرة لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي النَّاسَ لِرُءُوفٍ رَّحِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

هو سبحانه البر الرحيم الذي لا يقطع الإحسان بسبب الكفر والعصيان، بل يُدِرُّ إنعامه في الليل والنهار.

هو سبحانه البر الذي لا أبر منه، فمع كمال غناه عن عباده، وكمال فقرهم إليه؛ يبرهم بنعمه، وهم يكفرون به، ويعصونه، ويحاربونه بنعمه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر/ ٦١].

فأيها العبد كنت معدومًا فأوجدك الله، وكنت فقيرًا فأغنناك البر، وكنت عاريًا فكسناك البر، وكنت جاهلًا فعلمك البر، وكنت مريضًا فشفاك البر: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُرَىٰ إِذًا مَّسَّكُمْ إِلَّا ضَرْبًا فَإِلَيْهِ تَجْشَرُونَ ﴾ [النحل / ٥٣].

هو سبحانه البر الذي من اتصل به فهو آمن في الدنيا والآخرة: ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام / ٨٢].

هو سبحانه البر الذي كل بر في العالم فمن آثار بره العظيم، هو البر الذي خلق كل بر وبار: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

هو سبحانه البر الذي إحسانه وإنعامه وبره ليس له حد، فبره بعباده لا ينقطع في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ هَذَا الرَّزْقَ مَا لَهُ مِنْ تَفَاقُدٍ ﴾ [ص / ٥٤].

هو سبحانه البر الذي يربيك ويطهرك بالبلاء؛ لتكون من الأبرار الأتقياء الذين خصهم ببره: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ [الانفطار / ١٣].

نعيم في الدنيا، ونعيم في القبر، ونعيم في الجنة.

هو سبحانه البر الذي طهر قلبك من الرياء والنفاق، وطهر لسانك من الكذب والغيبة والنميمة، وطهر بصرك من الخيانة، وطهر جوارحك من المعاصي، وطهر أعمالك من البدع، إنه هو البر الرحيم: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب / ٣٣].

هو سبحانه البر ذو الإحسان والبر الباهر المتوالي المنهمر الذي عم كل أحد في الدين والدنيا والآخرة: ﴿ وَءَاتَكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّكُم لَأِنسَانٌ لَّظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم / ٣٤].

هو سبحانه البر الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [طه / ٨].

ومن هذه صفاته، وهذه أفعاله، وهذا بره بعباده؛ أيلق بالإنسان أن يعصيه، ويخالف أمره من بين خلقه؟! ﴿يَتَأْتِيَهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار/ ٦- ٨].

والله بر رحيم بعباده، يدعو من عصاه ويتودد إليه أن يتوب إليه، ويذكره ويرغبه بالرجوع إليه مهما كان ذنبه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ. وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ [المائدة/ ٧٣- ٧٤].

وقال ﷺ: ﴿قُلْ يَتَعَبَّدُونَ الَّذِينَ أَنْسَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر/ ٥٣].

والعبد المسلم بر بربه؛ يؤمن به، ويوحده، ويحمده، ويشكره، ويسارع إلى مرضاته، ويجتنب ما يكرهه، ويراقب أمره ليطيعه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١٨﴾ [الزمر/ ١٧- ١٨].

ويتذلل المؤمن لعظمة ربه، ويتصاغر لكبريائه، ويسبح بحمده، ويؤدي إليه حقه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥- ١٧].

فسبحان ربنا البر الكريم الرحيم الذي عم الكائنات كلها ببره، وإحسانه وفضله، وعطائه، وإنعامه، فهو مُؤلي النعم، دافع النقم، واسع العطاء، دائم الإحسان، ليس لبره حد، وليس لكرمه مقدار، ذو الكرم الواسع، وذو العطاء الجزيل: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].



هو سبحانه البر المحسن إلى خلقه بكل خير؛ لأنه خلقهم ليسعدهم، ويكرمهم، ويحسن إليهم، يريهم بالنعم ليحبوه، ويريبهم بالشدائد ليتضرعوا إليه، ويفروا إليه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء/ ٣٥].

هو سبحانه البر المحسن بالبر المطلق، الذي بره وسع جميع خلقه، هو البر الذي لا يقطع الإحسان بسبب العصيان، البر الذي ينعم على من أطاعه وعصاه؛ لأنه لا رب غيره، ولا إله سواه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [١٨] وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا [١٩] كَلَّا تُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا [٢٠] أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا [٢١] لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا [٢٢] [الإسراء/ ١٨ - ٢٢].

مذموماً لا حامد لك، مخذولاً لا ناصر لك.

فسبحان الملك البر المحسن إلى جميع خلقه، الذي يحسن إلى السائلين بحسن عطائه، ويتفضل على العابدين بجزيل ثوابه، الذي كل أفعاله حسن مليح: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَنْفَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ﴾ [٢١] فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصَفُّونَ [٢٢] [يونس/ ٣١ - ٣٢].

هو سبحانه البر الذي عم خيره وإحسانه جميع خلقه، البر بعباده، الذي دلهم عليه، وبين لهم كل ما يقربهم إليه، وحبب إليهم الإيثار به، وحسن عبادته، وكره إليهم كل ما يبعدهم أو يشغلهم عنه: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرُّشْدُونَ﴾ [٧] فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ [٨] [الحجرات/ ٧ - ٨].

فسبحان البر الرحيم الذي انتفع بأنواع بره وإحسانه جميع خلقه، وخص من آمن به وأطاعه بمزيد من البر والإحسان: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ

الرِّزْقِ ۗ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ [الأعراف / ٣٢].

• واعلم رحمك الله أن بر الله بخلقه نوعان:

الأول: بر عام: وسع الخلق كلهم من بني آدم وغيرهم بما قسم لهم الكريم من الأرزاق والنعم والعطايا في كل زمان ومكان، فمنه جل جلاله نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية العامة: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود/٦].

الثاني: بر خاص: وهو هداية الكريم جل جلاله لمن شاء من خلقه لهذا الدين القيم، والله أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته، وتوفيق هؤلاء للإيمان به وطاعته: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات/١٧].

وبر الله بعباده المؤمنين لا يمكن عده، ولا إحصاؤه، ولا حصره، ولا الوقوف على أحاده: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٨]. هو الملك الحق الذي ابتداء الخلق بجوده، وجاد على عباده بفضله، وأحسن إليهم بفعله، وتقديره، وتدبيره، وأوصل إليهم البر والخير في كل مكان وزمان: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء/ ٧٠].

هو سبحانه البر الكريم الذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأعطى الغنى، وأسبغ النعماء، وأجزل المواهب، ويسر الأرزاق، وأجاب الدعاء، وعلم الإنسان ما لم يعلم: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو البر الرحيم الكريم الفياض بالخير، الذي يعطي ويغني ويثري، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٦٨﴾﴾ [يونس/ ٦٨].

فالله غني، وكل ما سواه فقير إليه: ﴿يَتَّيَبُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر/ ١٥].

وهو البر النصير، ملاذ المستجير، وجابر الكسير، وشافي المريض، وراحم المسكين، ومعين المستعين، ومغني الفقير، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [غافر/ ٦١].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي إليه المنتهى، وإليه المرجع والمآب، وإليه المفرج والملجأ في الشدائد والأهوال، الذي يتكرم بالعطيات، ويدفع الكريهات، ويفرج الكربات والمتعسرات: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

أوضح جل جلاله براهين الهدى، وأبان دلائل اليقين، وأعلن شواهد التوحيد، في الملك والملكوت: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٥].  
﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس/ ١٠١].

فسبحان البر الكريم الذي بين الحق في كل شيء، وسهل العمل به، والدعوة إليه، وبين الصفات والأعمال والسبل التي يستحق بها العبد المزيد من التكريم، وضاعف أجر من قام بها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون/ ١-١١].

واشترى سبحانه أحسن الناس أقوالاً وأعمالاً وأخلاقاً: ﴿التَّسْبِيحَاتُ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّكِينُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَالْتَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾  
[التوبة/١١٢].

هو سبحانه البر العليم وحده بمضمرة القلوب، الخبير بمحجوبات الغيوب، المطلع على خفيات الأسرار والأوهام: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾  
أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴿[الملك: ١٣-١٤].

فسبحان الله! كم من كافر ومشرِك ومنافق، وكم من ظالم وفاسق وكاذب، لم ينهه عقله، ولم تؤثر فيه نعم ربه، فعصى ربه، وأطاع هواه، واستعمل نعمه في معصيته: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

والله البر الرحيم يشاهد ذلك كله ويعلمه، ثم أنزل به الكريم بره وفضله، ومن عليه برحمته، فهداه إليه، فأذهب عنه السوء والشك والريب، وأذهب وحشته، وسكَّن اضطرابه، وتاب عليه، وقوم اعوجاجه: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۗ وَخَلَقَ الْإِنسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء/٢٧-٢٨].

ثم بواه الكريم كنفه، وآواه إلى ظله، وتلقاه برحمته؛ فأقامه وأصلحه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس/٦٠].

ثم فتح الكريم البر له أبواب فضله، وفتح له أبواب عبادته، وألبسه لباس التقوى، ثم نشر له ثوب الثناء بين الخلق، فصار بين الناس حميد الاسم، حميد الذكر، حميد الفعل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم/٩٦].

فسبحان الرب البر الحق الذي يكرم خلقه في كل مكان، ويحسن إليهم في كل وقت، ويجب البر، ويجب أهل البر، ويجب أعمال البر، ويجازي عليها بالهدى والفلاح والرفعة في الدنيا والآخرة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت/٦٦].

فجاهد نفسك رحمك الله على القيام بجميع أنواع البر؛ تنل أعلى أنواع الثواب: ﴿لَنْ نَنَالُوا  
الْبِرَّ حَتَّىٰ نُفِقُوا بِمَا نُحِبُّونَ ۖ وَمَا نُفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران / ٩٢].

ومن جوامع بره بخلقه ما سخره لهم من أنواع الظاهرة والباطنة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ  
لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ آيَاتٍ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ وَعَاتَقَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ  
تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

واعلم أن البر اسم جامع للخيرات كلها، ولا ينال العبد بر الله تعالى إلا باتباع ما يفضي  
إلى مرضاته ورحمته، وذلك بالاستقامة على طاعته وعبادته وحده لا شريك له، وبذل  
كل محبوب في سبيل مرضاته جل جلاله.

وقد بين الله ﷻ جميع أعمال البر في آية واحدة، في قوله سبحانه من سورة البقرة:  
﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ  
وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا  
عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ  
الْمُنْقَوُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة / ١٧٧].

• فاقطع من وقتك أوقاتاً للتجارة مع ربك للقيام بأعمال البر كلها:

فأولها كما ورد في الآية: الجانب الإيماني: ليزيد إيمانك، وتحسن أعمالك.

وأما الجانب العملي فأوله البذل في وجوه البر إحساناً إلى الخلق.

وأما العبادات التي تصل المخلوق بخالقه فأعظمها الصلاة.

وأما المعاملات التي تجمع المخلوق بالمخلوق على المحبة فهي الزكاة والصدقة.

وأما العبادات الأخلاقية فهي الوفاء بالعهد، والصبر في كل حال.

واعلم أن من شروط البر أن تبذل الأحسن، وتعطي الأفضل من الأموال، والأخلاق، والمنافع، من أجل مرضاة الله: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٩٢].

واعلم أن الكفار يأكلون من رزق الكريم، ويتمتعون به في الدنيا قليلاً، ثم يساقون إلى النار يوم القيامة، فلا يغرنك ما هم عليه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۚ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا أُوتِيَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَبْسُ إِلْمَهَادُ﴾ [آل عمران/ ١٩٦ - ١٩٧].

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد/ ١٢].

أما المؤمنون بالله ﷻ المتقون له؛ فلهم مع عز الدنيا جنات الآخرة؛ نزلاً من البر الكريم لعباده الأبرار الذين برت قلوبهم بالتوحيد والإيمان، فبرت أقوالهم وأفعالهم؛ فأثابهم البر الرحيم من بره أجراً عظيماً، وفوزاً دائماً: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [٢٢] عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْشُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمَهُ مِسْكَ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ [المطففين/ ٢٢ - ٢٦].

وكتاب هؤلاء الأبرار في أعلى مكان، وهم في أعلى الجنة، وكتابهم يشهده المقربون من الملائكة والأنبياء والأبرار: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلْتَيْنِ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَتُونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين/ ١٨ - ٢١].

وما يحصل هؤلاء في الدنيا من الشدة والعناء فهو بالنسبة إلى النعيم المقيم في الآخرة نزر يسير، وهو منحة في صورة محنة: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

فليله ماذا ينتظر هؤلاء الأبرار والأخيار من النعيم والبهجة والسرور! ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/ ١٧].

هو سبحانه البر الذي يبر بوعده في الدنيا والآخرة، فهو بر لا يخلف الميعاد: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم/ ٦].

وهو سبحانه البر الذي يجب دعاء عباده: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وهو سبحانه البر الذي يفرح بعبادتك، فيغمرك ببره جزاء عبادتك له، ويضاعف لك أجرها، ولا يضيع عليك أجر أي عبادة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكْ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء/ ٤٠].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مُسْلِمًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه البر ذو الإحسان بلا حدود، فأحسانه دائم لا ينقطع في الدنيا والآخرة، وإحسانه إلى خلقه كبير وكثير وعظيم، فهو سبحانه البر دائم البر والإحسان والرحمة: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الطور/ ٢٨].

هو سبحانه البر الصادق في أخباره، الصادق في وعده، الصادق في وعيده، الصادق في محبته، الصادق في رحمته، الصادق في تربيته، الصادق في كلامه: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ. وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ [الزمر/ ٧٤].

وقال ﷺ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١١٥﴾ [الأنعام/ ١١٥].

وقال ﷺ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ ۗ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۗ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٢٧﴾ [الفتح/ ٢٧].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>. هو سبحانه البر الذي أظهر الجميل، وستر القبيح، وغفر الذنوب، وضاعف الأجور، وقبل توبة التائبين، وغفر للمستغفرين: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٠٨).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

فسبحان ربنا العظيم الذي وصل بره وإحسانه إلى جميع مخلوقاته في العالم العلوي،  
والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة! ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ  
شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

ومن هذا بره، وهذا إحسانه، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا  
تَعْمَلُونَ﴾ [١٢٣] [هود/ ١٢٣].

فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۗ هَلْ  
تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [٦٥] [مريم/ ٦٥].

ومن بره بعباده أن أرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وعرفهم بالحق: ﴿هُوَ  
الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يُنَبِّئُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ  
رَّحِيمٌ﴾ [٩] [الحديد/ ٩].

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ  
وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٢] [الجمعة: ٢].

من عرف الله ﷻ باسمه البر أحببه؛ لما يراه من عظيم كرمه، وإحسانه، وإنعامه، ونعمه  
التي لا تعد ولا تحصى.

وسعى في إظهار وتحقيق هذه المحبة بالإكثار من ذكر ربه بقلبه ولسانه وجوارحه:  
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [٤٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي  
عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [٤٣] ﴿  
[الأحزاب: ٤١-٤٣].

من عرف ربه باسمه البر أفرد الله وحده بالعبادة، وفعل ما يرضي الله ﷻ، واجتنب ما  
يسخطه، وبادر إلى التوبة من كل ذنب وقع فيه، واستحيا من الله في كل وقت، فمع كثرة  
المعاصي من الخلق؛ فالبر سبحانه لم يقطع عنهم بره وإحسانه، ولم يمنع عنهم عطاءه  
وكرمه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ



إِيْمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

وما أعظم بر الرب بعبده العاصي! حيث ستره حال ارتكاب المعصية، مع كمال رؤيته له، ولو شاء البر لكشف ستره، وفضحه بين الخلق، وذلك من كمال بر الرب بعبده: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن عرف ربه باسمه البر تعلق به وحده، وتوكل عليه وحده، وفوض أموره إليه وحده؛ لأنه البر الذي لا أبر منه، الكريم الذي لا أكرم منه: ﴿فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات / ٥١].

### التعبد لله ﷻ باسمه البر

حظ العبد من هذا الاسم الكريم البر أن يكون برًا بجميع الخلق؛ يدعو الضال، ويعلم الجاهل، ويواسي المحتاج، ويكرم أهل الفضل، ويحسن إلى الناس بقوله وفعله، وماله وجاهه، ويغيث الملهوف، ويرحم الخلق، ويصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو

عن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ ﴾ [٧٩] ﴿[آل عمران/ ٧٩].  
﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف/ ١٠٨] ﴿[يوسف/ ١٠٨].

والبر هو رد على الخير بخير؛ فالله برك بكل خير، فكن من الأبرار الذين يردون على الجميل بالجميل، فكما برك الله بكل خير؛ فأمن به، وأطعه بامثال أوامره، واجتنب نواهيته، وأحسن كما أحسن الله إليك، وأحسن إلى نفسك، وأهلك، وأقاربك، وجميع الخلق؛ تكن من الأبرار: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران/ ٩٢].

والبر هو التوسع في الخير الموصل إلى الجنة ورضوان الله، فسارع إلى كل طاعة، وسابق إلى كل فضيلة، ونافس في كل ما يرضي الله ﷻ، وادع الناس إلى ذلك، واصرف كل أوقاتك في أنواع البر والإحسان؛ تكن من الأبرار السابقين: ﴿وَالسَّادِقُونَ السَّادِقُونَ﴾ [١٠] ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [١١] ﴿فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [١٢] ﴿[الواقعة/ ١٠-١٢].

واعلم وفقك الله لأعمال البر أن أوائل البر: أداء الفرائض، واجتنب المحرمات، والأبرار من الخلق هم المؤمنون الصادقون في القول والعمل، وبالتوسع في أعمال البر، والمسابقة إلى الخيرات، يصعد الأبرار إلى درجة المقربين من الله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿وَالسَّادِقُونَ السَّادِقُونَ﴾ [١٠] ﴿أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [١١] ﴿فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [١٢] ﴿ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوْلِيَاءِ﴾ [١٣] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ [١٤] ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ [١٥] ﴿مُتَّكِنِينَ عَلَيْهَا مَتَّعَلِبِينَ﴾ [١٦] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ [١٧] ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [١٨] ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ﴾ [١٩] ﴿وَفَكَهَهَا مِمَّا يَشَخَّرُونَ﴾ [٢٠] ﴿وَلَحْمَ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [٢١] ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [٢٢] ﴿كَأَمْثَلِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [٢٣] ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٢٤] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيهَا﴾ [٢٥] ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [٢٦] ﴿[الواقعة/ ١٠-٢٦].

فعليك بتحري الصدق في جميع الأحوال، والأقوال، والأفعال، ظاهرها وباطنها، فنعم المركب الصدق.

وميز بين ما يكون حسناً وما هو أحسن، وبين ما يكون براً وما يكون إثماً، ثم افعل البر والأحسن مما يحبه الله ويرضاه: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [الحديد/ ٢١].

وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قال: سألت الرسول ﷺ عن البر والإثم، قال: **الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ** أخرجه مُسْلِمٌ<sup>(١)</sup>.

واعلم أن التعبد لله بهذا الاسم الكريم يدور على حسن الشناء على المولى، وتذكر الآلاء والنعم، والتعرف على مواقع النعماء، والعلم بمسالك برّه وجوده في ملكوته: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغِشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الرعد/ ٢-٣].

فهذا من بر ربنا العظيم، فأخلص لربك البر العظيم العمل، وأوفي له بالعهد، وخصّه بالحب والود، وأكثر له من الحمد والشكر، وأحسن إلى خلقه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾﴾ [البينة/ ٥].  
وقال ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف/ ١١٠].

وسل الله البر أن يصل نعمه عليك في الدنيا من الصحة، والإيمان، والطاعات، والأعمال الصالحة، بنعمه في الآخرة؛ من رضوانه، ورؤيته، ودخول جنته: ﴿فَمَنَ الْكَاسِرِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٥٣).

مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٢﴾ [البقرة/ ٢٠٠-٢٠٢].

واشكر ربك البر الرحيم الذي ألوان بره بعباده لا يحصيها إلا هو، ثم استعمل نفسك في كل عمل يحبه الله ويرضاه فيما بينك وبينه، وفيما بينك وبين خلقه، وبر والديك بأحسن ما تملك من الخلق والمال والجاه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٣٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُولَٰئِكَ غَفُورًا ﴿٣٥﴾﴾ [الإسراء/ ٢٣-٢٥].

• فالدين ركنان:

عبادة الحق .. والإحسان إلى الخلق.

ومن أعظم أنواع الإحسان: بر الوالدين اللذين هما سبب وجودك.

وبرّ أهلِكَ، وعشيرتك وأقاربك بما برك الله به، وأعطاك منه، وأنفق مما خولك من فضله، يُخَلِّفُ اللَّهُ عَلَيْكَ خَيْرًا مِنْهُ: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخَلِّفُهُ ۗ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ/ ٣٩].

واعلم أن أعظم البر معرفة من خلقك، ومعرفة ما يجب، والعمل بمقتضى ذلك، والدعوة إليه بين خلقه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت/ ٣٣-٣٥].

وغيض البصر، واكظم الغيظ، واصبر على أذى الناس، وأعرض عن كل جاهل، وأحسن إلى كل مسيء إليك؛ تكسب مودته، ويندفع عنك شره. واصفح الصفح الجميل عن كل من أساء إليك، وأقل عثرات الناس، وأسدل الستر على زلاتهم، وطيب قلوبهم بالبر والجود وحسن الخلق؛ يجبك الله والناس، وتحل عقدة عداوتهم بحسن خلقك: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف/ ٢٠٠].

وأحسن إلى كل أحد؛ تكسب أجره، وتظفر بمودته، وتكون سبباً لهدايته ونفعه، فمن كان كافرًا، أو مشركًا، أو مجرمًا، أو سيئًا، أو عاصيًا، وهو لا يعاديك؛ فأحسن إليه، وتلطف معه، وأكرمه؛ عسى أن تكون سبباً لهدايته وتوبته: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة/ ٨].

وكما ذكرك غيرك فاهتديت؛ فذكر غيرك، وكما أحسن الله إليك؛ فأحسن إلى خلقه، وكما أنعم الله عليك بنعمة الهداية؛ فأنعم على غيرك بنعمة الدعوة والبلاغ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّلْهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل/ ١٢٥].

واعلم أن سلعة الله غالية، وسلعة الله هي الجنة دار السلام، ومن توهم أن ثمن الجنة ركعتان يؤديهما، أو درهما ينفقهما فقط، وبعد ذلك يفعل ما تشاء، فهو مخطئ.

فالدين بذل، وعطاء، وعبادة، ودعوة، وجهاد، وصبر، وإيمان، وتقوى، وعبادة الحق، ومحاسنة الخلق، وما أكمله الله لا بد من تكميله، ومن قام بالدين كله؛ نال الثواب كله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخِصَّةٍ غَيْرِ مُمْتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣].

فاتق الله أن يجردك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة/ ٢٠٨].

ومن قدم هوى نفسه على هدى ربه أخزاه في الدنيا والآخرة: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة/ ٨٥].

فسارع وسابق إلى الخيرات والفضائل والمحاسن كلها، واحذر ما سوى ذلك. واعلم أن البر اسم جامع لكل الطاعات، ولكل أعمال الخير المقربة إلى الله، ولكل الأعمال المرضية لله؛ ولهذا أمر الله ﷻ بالتعاون على فعله، ونهانا عن ضده، فقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

واعلم أن البر اسم جامع لخيري الدنيا والآخرة، ولا يناله إلا من صدق في إيمانه وتوحيده، وصدق ذلك بأقواله وأفعاله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

### • والصدق أنواع:

صدق مع الله.. وصدق مع النفس.. وصدق مع الناس.

وأعلى أنواع الصدق أن تكون صادقاً مع الله: فإذا عاهدته على التوبة؛ لا ترجع إلى الذنب، وإذا عاهدته على الطاعة، وفعل الأوامر، واجتنب النواهي؛ لا تعصه بعد العهد: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل/ ٩١].

وأن تكون صادقاً مع نفسك: تحملها على طاعة الله، وتزجرها عن معصية الله، وتعطيها حظها مما فطرها الله عليه حسب الشرع: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص/ ٧٧].

وأن تكون صادقاً مع الناس: تحب للناس ما تحب لنفسك، فالمؤمن يجب لأخيه ما يجب لنفسه، فتصدقهم الحديث، وتؤدي حقوقهم، وتدلهم على كل خير، وتحذرهم من كل شر، وأن تكون صادقاً مع الخلق: فتكون وفيّاً برّاً كريماً مع كل أحد: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة/ ١١٩].

وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ! فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فيا عبد البر ذكّر العباد بالله، وأسماؤه، وصفاته، وأفعاله، وآلائه، ونعمه، وخزائنه؛ فأكثر

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٠٧).

من يعصيه لا يعرفه: ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ (٦١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٣﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ [الغاشية: ٢١-٢٦].

﴿فَذَكَرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾ (٩) سِيدَكَرٌ مِنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَيُنَجِّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصَلِّي النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ [الأعلى/ ٩-١٥].  
 واسأل الله مخلصاً، وتضرع إليه باكياً، أن يخلل سخيمة قلبك، ويزيل عنه كل ما يفسده من غل، وغش، وحسد، وكبر، ورياء، وكذب، وشرك: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

ثم اسأله أن يملأه بالتوحيد، والإيمان، والتقوى، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ بِإِذْنِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
 وإذا عرف المؤمن أن ربه بر رحيم؛ فيجب عليه أن يكون باراً بكل أحد: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨].  
 ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ ﴿١١٣﴾ [آل عمران/ ١١٣].

﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٨﴾ [التحریم/ ٨].  
 «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصْرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، اللَّهُمَّ وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَاجْعَلْ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٥٩٩).

أَمَامِي نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، اللَّهُمَّ وَأَعْظِمْ لِي نُورًا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.  
اللهم يا بر يا رحيم، يا غني يا كريم، يا من يسمع كلامنا، ويرى مكاننا، ويعلم سرنا  
ونجوانا، ولا يخفى عليه شيء من أمرنا، نسألك أن تكفينا بحلالك عن حرامك،  
وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، أنت ولينا؛ فاغفر لنا، وارحمنا يا أرحم  
الراحمين.  
سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣).



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الرؤوف

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الرؤوف

الله ﷻ هو الرب الرؤوف الحق بعباده، فلا أحد أرف منه، هو الرؤوف الرحيم الذي يرى عجز العباد وضعفهم وتقصيرهم، فيرحمهم ويضاعف أجورهم، ويرى جرأتهم على المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة وهو القادر، بل يمهلهم، ويبسط لهم نعمه؛ لعلهم يشكرونه ويتوبون إليه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وهو سبحانه الرؤوف الذي يفرح بتوبة التائبين أشد الفرح، ولشدة حبه لعباده الذين عصوه يرغبهم في التوبة إليه، ويذكرهم بأنه الغفور الرحيم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة/ ٧٣-٧٤].

هو سبحانه الرؤوف الرحيم الذي لشدة رأفته ورحمته بعباده يأمرهم أمرًا جازمًا بالتوبة من كل ذنب في كل وقت؛ لأنه يريد لهم الخير والفلاح، ويعلم عظمة ذنوبهم، وشدة عقوبتها: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور/ ٣١].

هو سبحانه الرؤوف بجميع الخلق بما يسر لهم من أنواع الأرزاق، وفتح لهم سبل المعاش في هذه الحياة في كل زمان، وفي كل مكان، مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [النحل/ ١٣].

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام/ ١٠].

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

واسم الله الرؤوف جل جلاله ورد في القرآن الكريم عشر مرات، منها: قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾

وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر/ ١٠].

والرأفة أبلغ من الرحمة، فهي أرقها وأشدّها، والرحمة تقتضي إيصال النعم عمومًا، ولكن قد يصاحبها ألمٌ وكرهًا، كشرب الدواء المر رجاء الشفاء.

وأما الرأفة فتقتضي إيصال النعم صافيةً من الألم والكدر والكرهية، فهي مسعدة للإنسان من جميع الوجوه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

والرؤوف سبحانه عمّت رأفته جميع خلقه، والرؤوف اسم الله ﷻ، والصفة المشتقة منه الرأفة، وهي صفة فعلية للرب جل جلاله، عامة لجميع الخلق، والرأفة أخص من الرحمة.

وقد اقترن اسم الله الرؤوف مع اسمه الرحيم ثمان مرات، منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وقوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٩].

وسر ذلك والله أعلم الدلالة على أن رأفة الله سبحانه بعباده من أعظم موجبات رحمته، ومن جلال رأفة الله بعباده أن في رأفته بهم صلاحًا لهم في دينهم ودنياهم وأخراهم.

• ويظهر ذلك من وجوه:

الأول: أن الرؤوف سبحانه قد حذّر عباده، ورغبهم، ورهبهم، ووعدهم وأوعدهم رأفةً بهم، ومراعاةً لمصالحهم، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران/ ٣٠].

الثاني: أن الرؤوف سبحانه لكمال رحمته بعباده أرسل الرسل إليهم، وأنزل الكتب؛ ليخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والمعاصي إلى نور العلم والإيمان والطاعات: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد/ ٩].

الثالث: أن الله ﷻ من جلال رحمته ورأفته بعباده المذنبين يمسك السماء أن تقع على الأرض، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

الرابع: ومن رأفته سبحانه بعباده أنه يضاعف لهم الأجور، ولا يضيع عنده عمل عامل مهما قل: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ [البقرة/١٤٣].

الخامس: ومن رأفة الله سبحانه بعباده إمهاله الكفار والعصاة، فلم يعاجلهم بالعقوبة وهو القادر، بل أمهلهم، وأسبغ عليهم نعمه، وهم يؤذونه، ويؤذون أوليائه، ومن كمال رأفته أن فتح لهم أبواب التوبة إليه وقبلها منهم: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ [النحل/٤٥-٤٧].

السادس: ومن رأفته سبحانه بعباده أن سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض؛ ليذكروا عظيم إنعامه، ويؤمنوا به، ويحبوه، ويعظموه، ويؤدوه، ويكبروه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان/٢٠].

وسخر لهم الرؤوف سبحانه من وسائل النقل القديمة والحديثة ما يسهل حياتهم، كما قال سبحانه: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨﴾ [النحل/٨].

وقال سبحانه: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ [النحل/٥-٧].

السابع: ومن رأفة الرؤوف بعباده أنه اشترى منهم أنفسهم وأموالهم، وهم خالص ملكه؛ ليرغبهم في العمل الصالح الذي نفعه عائد عليهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة/١١١].

ويثني على من باع نفسه لله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٢٧﴾ [البقرة/٢٧].

الثامن: ومن جلال رأفته بعباده أنه يجيب دعاء أوليائه، ودعاء كل من دعاه، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا

بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ [الحشر/ ١٠].  
 وقال ﷺ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي  
 سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر/ ٦٠].

التاسع: ومن رحمته سبحانه بعباده أن شرع لهم الحدود الزاجرة عن الكبائر والفواحش  
 والمعاصي: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النور/ ٢٠].  
 العاشر: ومن جلال رحمة الله ورأفته بعباده أنه كلفهم بما يطيقون، ولم يحملهم ما لا  
 يطيقون، بل حملهم أقل مما يطيقون، وأوجب فرائضه في حال القوة، وخففها في حال  
 الضعف: ﴿لَا يَكْفُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾  
 [البقرة/ ٢٨٦].

وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء/ ١٠١].  
 وكل ما في الكون، وكل ما في العالم العلوي والعالم السفلي، من المخلوقات والتصريف  
 والتدبير؛ كله من آثار رحمته ورأفته ولطفه بعباده.

الحادي عشر: ومن رافة الله بعباده أن يتليلهم بالمصائب؛ ليظل العبد موصولاً بالله،  
 يذكره ويحمده ويستغفره كلما رأى هذا البلاء فيه أو في غيره: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا  
 بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن/ ١١].  
 ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ  
 الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة/ ٥١].

الثاني عشر: ومن رافة الله بعباده أن بين لهم طرق الخير والفلاح، ويسر لهم سبلها،  
 ورغبهم فيها، وأثابهم عليها، وحذّره من سبل الغي والفساد؛ ليسلموا من  
 العقوبات: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ  
 بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩].

الثالث عشر: ومن رافة الله بالناس ما فتح لهم من أبواب الرزق المختلفة في الأرض  
 كلها: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك/ ١٥].

الرابع عشر: ومن رأفة الله ﷻ ورحمته بالناس في هذا الزمان خاصة ما يسر لهم من المراكب المريحة الجميلة؛ كالسيارات، والقطارات، والطائرات، والسفن، ووسائل الاتصالات المختلفة، وفنون الزراعة والصناعة وغيرها؛ مما سهل لهم سبل العيش، فله الحمد والمنة: ﴿ وَالْحَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل/ ٨].

فهو سبحانه الذي خلق الإنسان، وخلق فيه العقل، وخلق المادة التي تُصنع منها هذه المصنوعات، وهدى الإنسان إلى كيفية صنعها: ﴿ وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تَعْلَمُونَهَا إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل/ ٥٣].

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي عم برأفته عموم خلقه في الدنيا، وخص بها أوليائه في الآخرة، وأرسل إلى خلقه في هذه الدنيا الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وخص هذه الأمة بأفضل رسله الذي جمع محاسن الأخلاق، وأنزل عليه أحسن كتاب، وشرع له ولأمته أحسن دين: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

فما أعظم إشفاقه ﷻ على الكفار الذين أعرضوا عن دين الله، وما أشد رأفته ورحمته بالمؤمنين والخلق أجمعين: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].  
والله ﷻ رؤوف رحيم بعباده المؤمنين، أدخلهم في رحمته وفي دينه، وأعانهم على طاعته، وهو الكريم الذي يضاعف أجورهم، ويغفر ذنوبهم، ويتجاوز عن سيئاتهم وتقصيرهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء/ ٤٠].

﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي أنزل على عباده الحق؛ ليخرج الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد والإيمان والتقوى: ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد/ ٩].  
واعلم أن رأفة الله بالخلق ظاهرة في كل تدبير وتصريف، والرأفة هي شدة الرحمة، بل

هي نهاية الرحمة، فلكمال رأفة الله بالإنسان يسوق إليه كل ما ينفعه، ويشفق عليه من كل مكروه يجل به، ويدفع عنه السوء الذي يضره: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فالرأفة بالعبد قبل أن يقع المكروه، والرحمة بعد أن يقع المكروه. ومن رأفته سبحانه أنه يحمل العبد على التوبة قبل أن يقع في المعصية، فإذا وقع في المعصية رفع عنه العقاب برحمته، فالرأفة فيها معنى الوقاية، والرحمة فيها معنى العلاج. فسبحان الله! ما أعظم وأوسع رحمته ورأفته بعباده! وسبحان من رأفته بعباده أن يصونهم عن موجبات عقوبته، ويرحم من أذنب منهم بالعفو عنهم والمغفرة لهم! ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

هو سبحانه الرؤوف الرحيم الودود الذي بآياته ومخلوقاته يدل الناس عليه، وبنعمه وإحسانه وإكرامه يجر الناس للثناء عليه، وبالفتن والمصائب يرجعهم إليه: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد/ ٢].

واعلم أن المصائب والشدائد كلها عصي بيد الله يؤدب بها النفوس، ويسوق بها الناس إليه ليتوبوا إليه، فالخوف يدفع الإنسان إلى ربه، والشدائد والمحن تسوقه إلى بابه، فمن تاب نجا، ومن أعرض هلك: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ [غافر/ ١٣]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الأعراف/ ٩٤].

هو سبحانه الرؤوف الرحيم الذي يسوق عباده إليه بالمصائب والمكاره، ليعودوا إليه: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [٤٣] ﴿فَلَمَّاسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [٤٤] ﴿فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٤٥] [الأنعام/ ٤٣-٤٥].

فسبحان الرؤوف الرحيم الذي يتفضل على عباده بكل نعمة، ويستر ما يرى من

العيوب، ويعفو عما ستر من الذنوب: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا﴾ ﴿٢٥﴾ [الشورى/ ٢٥].

واعلم رحمك الله أن الله رؤوف بالعباد، يصبر على من كفر به وعصاه، ولا يعاجله بالعقوبة؛ لعله يتوب إليه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١١٠﴾ [النساء/ ١١٠].

وما عمل عامل بمعصية الله إلا استأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه، واستأذن موضعه من الأرض أن يخسف به، ولكن الرؤوف الرحيم يمهله؛ لعله يتذكر، وينيب، ويتوب إلى ربه: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ [النحل/ ٤٥-٤٧].

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم الذي برأفته ورحمته جعل عبده المذنب أوابًا إليه، متوجعًا من ذنوبه، وبرأفته ورحمته أوجع قلبه بمعصيته، وأحزن نفسه على إتيانها الإثم مع علمه بما كتبه عليه في اللوح المحفوظ، وعلمه بضعفه وما يقاسيه منه، وما ينازعه من الشهوات والشبهات عن طاعة ربه ومولاه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ﴿١١﴾ [غافر/ ٦١].

فالعبد بين هذه النوازع والفتن والغفلة موضع للرفقة والرحمة، وأن يشفق لحاله، ويرحم من أجلها من ربه الرؤوف الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٤٣﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فلا إله إلا الله! ما أعظم رحمة الله بخلقه! وما أعظم رأفته بهم! وما أعظم إحسانه إليهم! ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأنعام/ ٥٤].

أفلا يستحي الكافر والفاسق من ربه الرؤوف الرحيم الذي نعمه عليه كثيرة متوالية، وهو مكبُّ على إجرامه، ومبارز لربه الجبار السميع البصير بمعاصيه؟ ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ [الملك/ ١٦-١٨].



والله سبحانه رؤوفٌ رحيمٌ، جَبَل الخلق على الرأفة والرحمة، حتى القاسي منهم.  
والأنبياء والرسل أشد الناس رأفةً ورحمةً بالخلق، ومحمد ﷺ أرف الخلق بالخلق، وأرحم  
الخلق بالخلق: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ  
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

والله سبحانه رؤوف بالعباد، خلقهم، وخلق فيهم حب الحق والخير والفضائل، وخلق  
فيهم بغض الباطل والشر والمساوى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ  
النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

فسبحان الرؤوف في رحمته، الرحيم في رأفته، الرؤوف الذي يفرج كل كرب، ويسر كل  
عسير، ويعافي بعد البلاء ويعطي بعد المنع: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

## التعبد لله عز وجل باسمه الرؤوف

الأول: الإيذان بأن الله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، فمن سار إلى الله ﷻ باسم من أسمائه الحسنى وصل إليه، ومن تعلق بصفة من صفاته العلى أخذت بيده حتى تدخله عليه، بكمال الحب والتعظيم والذل له، فحياة القلوب بمعرفته ومحبته وتعظيمه، وحياة الجوارح بالتقرب إليه بعبادته بما شرع، وحياة اللسان بدوام ذكره وشكره، والثناء عليه، والدعوة إليه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

ومعرفة الله ﷻ وبأسمائه وصفاته وأفعاله أعظم روافد الإيمان، وأعظم السبل لزيادة الإيمان وذوق حلاوته، وأيسر الطرق للوصول إلى حقيقة التوحيد، وصدق العبودية: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وأحب عباد الله إليه وأكرمهم عليه أهل هذه المعرفة؛ لأنهم في رياض معرفته حاضرون، وإلى جلاله وجماله ناظرون، وبأوامره الملكية الشرعية يعملون.

إن نظروا إلى صفات جلاله هابوه، وإن نظروا إلى صفات جماله أحبوه، وإن نظروا إلى شدة نعمته خافوه، وإن نظروا إلى سعة رحمته رجوه وأنابوا إليه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

الثاني: عبادة الله بما تقتضيه أسماؤه الحسنى، وصفاته العلى.

فمن أيقن أن الله هو الأول؛ فوض الأمور كلها إليه، وتوكل عليه وحده، ولم يلتفت إلى غيره: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣].

ومن أيقن أن الله هو الآخر؛ أيقن أن الأمور كلها أولها وآخرها بدأت منه، وترجع إليه،

فلم يلتفت لأحدٍ سواه: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ ﴿٤٢﴾ [النجم: ٤٢].

ومن أيقن أن الله هو الظاهر؛ قصده وصدد إليه في جميع حوائجه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

ومن أيقن أن الله هو الباطن؛ علم قربه منه واستحيا منه لكثرة نعم الله عليه، وكثرة معصيته له، وأحبه وخاف منه ورجاه؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣﴾ [الحديد: ٣].

وهكذا التبعد لله في بقية أسماء الله الحسنى فكراً وتفكيراً، ويقيناً وتعبداً، وذكرًا وسؤالاً، وحمدًا وثناءً وتوبة واستغفارًا: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا الْمَسْئَلَةُ﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق: ١٢].

فإذا عرفتم ذلك؛ آمنتم بالله، ووحدتموه، وكبرتموه، وعظمتوه، وأحبيتوه، وحمدتموه، وذكرتموه.

الثالث: الاتصاف بموجب تلك الأسماء والصفات لله جل جلاله.

فالله سبحانه يجب أسماءه وصفاته، ويجب أن يتصف الإنسان بموجبها على شاكلة العبودية، فالله شكور يجب الشاكرين، تواب يجب التوابين، والله عفو يجب العافين، وهو رحمن يجب الرحماء، مؤمن يجب أهل الإيثار، محسن يجب المحسنين، وهكذا في باقية الأسماء.

وما كان من أسماء الله وصفاته كمالاً في حقه نقصاً في حق المخلوق؛ فلا يجوز الاتصاف بموجبه؛ لأنه مختص بالله، كاسم الله الجبار، والمتكبر، وأمثالهما: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فاعلم رحمك الله ووفقك لما يرضيه أن الله رؤوف بالعباد، وأنه لا يوجب لك رحمته ورأفته على الكمال إلا بالعلم به، والتطهر له، والعمل بما يحبه ويرضاه، وعلى قدر اتقائك في التبعد له بمقتضى أسمائه وصفاته، على طريقة رسوله ﷺ؛ يكون قربك منه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

وعلى قدر قربك منه تكون عنايته بك، وعطفه عليك، ولطفه ورحمته بك: ﴿وَالَّذِينَ جَاهِدُوا فِيْنَا لِنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلًا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فاذكر ربك يذكرك، واعبده بمقتضى أسماؤه وصفاته يحبك، وكن له يكن لك، والبس له لباس الإيمان والتقوى؛ تظفر بكل ما تحب وترضى في الدنيا والآخرة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [٤١] وَسَبَّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [٤٢] هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله ﻋﻠﻴﻚ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي؛ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم أيها العبد أنه كما منَّ الله عليك بنعمه الظاهرة والباطنة؛ فيجب عليك أن تكون بالناس رؤوفاً رحيمًا، فتدلمهم على كل خير، وتحسن إليهم بالقول والفعل، وتدفع عنهم ما يضرهم: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا هُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد/ ٧].

وأن تكون قدوة للناس في كل ما ينفع الناس: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [١٣٤].

[آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وكن رؤوفاً بالعباد؛ يراف بك رب العباد، وليكن حظك من هذا الاسم الكريم الرأفة والرحمة بالخلق: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

واعلم أن الله لعظيم رحمته ورأفته بعباده لا يعذب إلا من أبى عليه، وكفر به، وأشرك به، وأعرض عنه، وعمل بما يسخطه، وأصر على ذلك: ﴿وَكَايِن مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا تَتْرَآهُ﴾ [٨] فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا حُسرًا

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم ( )، واللفظ له، ومسلم برقم )

﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴿الطلاق: ٨-١٠﴾.

فاحذر أن تعصيه بنعمه، وتجاهره بالفواحش والمنكرات وهو يراك، فإنه غفور رحيم، وأخذه أليم شديد: ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر/ ٩٤-٥٠].

واعلم أن من رحمة الله بعباده ورأفته بهم أنه يزودهم عن مراتع الهلكات، ويمنعهم من موارد الشهوات، ويحميهم من مجالس الغفلات، فمتى أصابهم نصيبهم من كتاب سبق في القدر؛ أقال عثرتهم، ونبههم من سنة غفلاتهم؛ فانتبه لنفسك، واعلم أن كل شيء بقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمِجٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

فتب إلى ربك واستغفره؛ تنل بره وإحسانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف/ ٢٠١].

والله جل جلاله حكيم عليم، ربما رأف بعباده ورحمهم بما يكون في الظاهر من القبض عنهم، والمنع لهم، ونحو ذلك مما يشغلهم عنه، وينسيهم إياه، من كثرة الأموال والأولاد التي تشغل المخلوق عن الخالق، إلا من عصم الله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المؤمنون/ ٥٥-٥٦].

لهذا فالواجب علينا حتى نعبد الله بما يليق بجلاله أن نعلم أن الله وحده له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

وأن نعلم أن لا رؤوف على الإطلاق، ولا رحيم على الإطلاق، ولا قوي على الإطلاق، ولا كريم على الإطلاق، إلا الله وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يتصل بالرؤوف، ويرأف بنفسه كما رأف الله بها، ويرأف بالناس وجميع الخلق: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

أَسْمَاءُ سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف: ١٨٠].

والرأفة بالنفس: أن تسلك بها سبل النجاة، وتقيها موارد الهلاك: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم/ ٦].

والرأفة بالناس: أن تحب لهم ما تحب لنفسك، وتحسن إليهم بالقول والفعل، وتأمرهم وترغبهم بما ينفعهم، وتحذرهم مما يضرهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؕ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

والعبد إذا عرف ربه باسمه الرؤوف؛ أحبه، وآمن به، وأخلص العبادة له وحده لا شريك له؛ لما يراه من آثار رأفته ورحمته التي وسعت كل شيء، ولما يراه من عظمة ملكه وسلطانه، وجميل أسماؤه وصفاته وأفعاله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَلْعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطاق: ١٢].

وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠].

وهذه المعرفة تثمر للعبد المسارعة إلى مرضاة الله ورسوله، والدعوة إلى توحيده، والجهاد في سبيله، وفعل كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ؕ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وبقدر المعرفة تكون المحبة لله، وبقدر المحبة تكون قوة العبادة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا

يُسْكِرُ عُرُوبَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿١٠﴾  
[الأنبياء/ ٩٠].

يا عبد الرؤوف كن رؤوفاً بالعباد كلهم، وخذ حظك من هذا الاسم الكريم بما تستطيع. ادع الناس إلى الله، وعلم جاهلهم، وأحسن إليهم، ليحبوا ربهم، ويعبدوه على بصيرة. وصل من قطعك، وأعط من حرملك، واعف عن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، يحبك الله، ويحبك الناس، وتكون سبباً لهداية الناس: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً مَمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا سَتْوَى الْحَسَنَةَ وَلَا السَّيِّئَةَ أَدْفَعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٣-٣٦].

وكلما حقق المسلم معاني العبودية لله محبة وخوفاً ورجاءً؛ كانت رحمة الله به أعظم، وعنايته به أكثر، ورافته به أكبر: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فسبحان ربنا العظيم الرؤوف الرحيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة! والمثل الأعلى، سبحانه ما أحكمه في تدبيره! فكم من عبد فقير يرحمه الخلق مما به من الفاقة والضراء، وهو بغاية الرحمة تغبطه الملائكة في حالته، وأبناء جنسه عنه غافلون: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة: ١٤٣].

ومن هداه إلى معرفته فقد أدخل جنة المعرفة الموصلة إلى جنة الآخرة: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/ ٣١-٣٢].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر/ ١٠].

﴿رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].  
«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ؛ فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ

عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
اللهم إنا نسألك أن تدخلنا في رحمتك، وتقضي أعمارنا في طاعتك، وتشغل ألسنتنا  
بذكرك، وتستعمل جوارحنا في عبادتك، يا رؤوفاً بالعباد.  
اللهم إنا نسألك صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، ودوام ذكرك وشكرك وحسن  
عبادتك يا أرحم الراحمين.  
يا رؤوفاً بالعباد، كم أنزلت من رزق! وكم هديت من ضال! وكم علمت من جاهل!  
وكم شفيت من مريض! وكم فرجت من كربة!  
اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم أنت الرؤوف الذي هديت إليك القلوب بحسن أسمائك وصفاتك، وجميل  
أفعالك، وأنت الرحيم الذي وسعت رحمتك المطيع والمخالف، ارزقنا حسن الرأفة  
بأنفسنا، وحسن الرأفة بخلقك يا رؤوف يا رحيم.  
اللهم حبب إلينا العطف على كافة الخلق، حتى نحب الهدى للكافرين، ونتمنى التوبة  
للعاصين، ونستغفر للمسيئين، ويطلب السعة للمحتاجين، وينال قسطاً من ميراث سيد  
المرسلين، إنك أنت الرؤوف الرحيم.  
سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

---

متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٥).



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب الرابع عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

- |  |                                   |
|--|-----------------------------------|
| ٧٥- اسم الله الشهيد.                     | ٧٠- اسم الله القريب.              |
| التعبد لله عز وجل باسمه الشهيد.          | التعبد لله عز وجل باسمه القريب.   |
| ٧٦- اسم الله الواسع.                     | ٧١- اسم الله المجيب.              |
| التعبد لله عز وجل باسمه الواسع.          | التعبد لله عز وجل باسمه المجيب.   |
| ٧٧- اسم الله المحيط.                     | ٧٢- اسم الله المستعان.            |
| التعبد لله عز وجل باسمه المحيط.          | التعبد لله عز وجل باسمه المستعان. |
| ٧٨-٧٩- اسم الله الحسيب.. الحاسب.         | ٧٣- اسم الله التواب.              |
| التعبد لله عز وجل باسمه الحسيب.. الحاسب. | التعبد لله عز وجل باسمه التواب.   |
| ٨٠- اسم الله المقيت.                     | ٧٤- اسم الله الرقيب.              |
| التعبد لله عز وجل باسمه المقيت.          | التعبد لله عز وجل باسمه الرقيب.   |

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنَاتِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

القريب

# موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

## اسم الله القريب

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى في السموات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

• وأسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:

الأول: الأسماء الدالة على ذات الله ووحدانيته: مثل: الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وأمثالها من الأسماء الحسنى.

الثاني: الأسماء الدالة على الملك والقدرة: مثل: الملك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، المقدم، والمؤخر، وأمثالها من أسماء الله الحسنى.

الثالث: الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد: مثل: الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، وأمثالها.

الرابع: الأسماء الدالة على العلم والإحاطة: مثل: السميع، البصير، العليم، الخبير، الرقيب، القريب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وأمثالها.

الخامس: الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة: مثل: الرب، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحلیم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، المجيب، العفو، الغفور، التواب، وأمثالها.

السادس: الأسماء الدالة على الهداية والبيان: مثل: الهادي، المبين، الوكيل، الكفيل، وأمثالها من أسماء الله الحسنى.

وجميع أسماء الله الحسنى واحدة في الدلالة على الذات، متعددة المعاني والصفات: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾

يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

ومن أسماء الله الحسنى القريب جل جلاله، فالله ﷻ هو القريب الحق من جميع خلقه، وهو أقرب إلى المخلوق من نفسه ومن مجرى الروح فيه، كما قال سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة/ ٧].

هو سبحانه القريب البصير الذي يرى جميع مخلوقاته في السموات والأرض، القريب السميع الذي يسمع دعاء من دعاه، ويحيب دعوة الداعي إذا دعاه، القريب من كل متكلم، الذي يسمع كل ما ينطق به، ويعلم ما في قلبه قبل أن ينطق به، لا إله إلا هو وحده لا شريك له، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: ٦١].

وهو سبحانه القريب اللطيف الذي يرى ويسمع دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا هادي إلا هو: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُمْ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُمْ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ [سبأ/ ٤٩-٥٠].

● وقرب الله ﷻ من خلقه نوعان:

الأول: قرب عام من كل مخلوق في ملكوته بعلمه به، ومشاهدته له، وإحاطته به، ومراقبته له، وقربه منه، فلا يخفى عليه مثقال ذرة من كل مخلوق في السماء

والأرض: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْسُوسًا بِهِ نَفْسُهُ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١١) [ق/١٦].

أحاط سبحانه بكل شيء سمعاً وبصراً، وقدرة وعلماً: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنعَلْمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) [الطلاق/١٢].

الثاني: قرب خاص من عابديه، وسائليه، ومجيبه، وهؤلاء هم المؤمنون به، ومن آثاره: لطفه بعبده، وعنايته به، وإجابة دعوته: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) [الأعراف/٥٦].

وهو سبحانه القريب المجيب لكل من دعاه، من كانوا، وأينما كانوا، وعلى أي حال كانوا، متى ما وحدوه وتوجهوا إليه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ حِجْبًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) [البقرة/١٨٦]. وهو سبحانه القريب المجيب لمن أخلص له العبادة، ورجب إليه في التوبة: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢) [طه: ٨٢].

وهو سبحانه العلي الأعلى الذي استوى على عرشه المحيط بكل ذرة في ملكه، القريب من كل مخلوق في ملكوته: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦١) [يونس/٦١].

فسبحان الملك الحق، العزيز الجبار، الغني الكريم، الذي ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؛ إكراماً لأهل طاعته، وحباً لهم، وتحنناً إليهم، ورحمة بهم: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٩) [الحديد/٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «يُنزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟»

مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرْ لَهُ؟» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وقد ورد اسم الله القريب في القرآن الكريم ثلاث مرات منها: قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وفي السنة: عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ازْبَعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وقد اقترن اسم الله المجيب مع اسمه القريب في القرآن مرة واحدة، كما قال سبحانه في سورة هود: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود/ ٦١].

وسر ذلك والله أعلم؛ أن الله فطر القلوب على علوه فوق خلقه، فبين سبحانه أنه مع علوه على خلقه فإنه قريب يسمع كلامهم، ويجب دعاءهم، لأنه قريب في علوه، عال في قربه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

واقترن اسم الله القريب مع السميع في القرآن مرة واحدة في قوله سبحانه في سورة سبأ: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ/ ٥٠].

وسر ذلك بيان أن الله مع علوه على خلقه فإنه قريب يسمع كلامهم، ودعاءهم، وشكواهم؛ لأنه أقرب إلى كل أحد من نفسه: ﴿وَأَسْرَأُ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [الملك: ١٣-١٤].

فسبحان ربنا العظيم القريب، الغني عن جميع مخلوقاته، الذي استوى على عرشه فوق خلقه، وهو القريب من جميع خلقه، وهو أقرب للإنسان من عنق راحلته إليه.

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، إِنْ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٦)، ومسلم برقم (٢٧٠٤) واللفظ له.

ومن جلال القريب سبحانه أنه لقربه كأنك تراه بأسمائه وصفاته وأفعاله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويسمع ويرى، وهو العلي الأعلى الذي على العرش استوى، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

وأعظم مقامات الدين هي الإحسان، ومقامات الدين هي: الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان.

والإحسان كما قال الرسول ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

والله سبحانه قريب بعلمه، وسمعه، وبصره، وإحاطته بجميع مخلوقاته، وقريب من عابديه وسائليه قرب خاص، كل حسب خشوعه وتقواه: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف/ ٥٦].

هو سبحانه القريب المحيط بكل ذرة، ولا يحيط به محيط: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

وقد ورد اسم الله القريب مفردًا، ومقترنًا بغيره، فالمفرد كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

وورد مقترنًا مرةً بالسميع، ومرةً بالمجيب، كما تقدم.

والله سبحانه هو القريب من خلقه، وهو فوق عرشه، فإن أسماءه جل جلاله مطلقة، لا أول لها ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية فهو الحي الذي لا أول لحياته ولا آخر، ولا بداية

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٨).

ولا نهاية: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

وهو العليم بكل شيء، وعلمه لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية: ﴿بَدِيعُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
عَلِيمٌ﴾ ﴿١٠١﴾ [الأنعام: ١٠١].

وهو البصير بكل شيء، السمع لكل شيء، القريب من كل شيء، وهو على عرشه  
العظيم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى: ١١].

هو سبحانه القريب الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يحجبه ظاهر عن باطن، ولا يحجبه  
باطن عن ظاهر، ولا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا  
بحر ما في قعره، الغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ  
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾ [الذرى: ٦] وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة: ٦-٧].

ومن هذه أسماؤه وصفاته وأفعاله هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك  
له: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

واعلم رحمك الله؛ أن من أنار الله قلبه بالتوحيد والإيمان، وأزال الحجب عن بصره  
وبصيرته؛ سما بقلبه وعقله إلى الملكوت العظيم، فرأى صمود المخلوقات في العالم  
العلوي والعالم السفلي إلى ربها، وسمع المخلوقات كلها لها زجل بالتسبيح والتقدس،  
وأصوات تحطب بالتوحيد والتكبير والتمجيد: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ  
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤].

وشاهد استسلام الملك والملكوت لذي العزة والكبرياء، والملكوت والجبروت: ﴿أُولَئِكَ  
يُرَوُّوا إِلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَعِيوهُ ظِلُّهُ، عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ [ولله



يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ  
مَنْ فَوْقَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل / ٤٨-٥٠].

واعلم أنه على قدر القرب من الهادي سبحانه، وصدق الافتقار إلى الغني، وذل  
الانكسار بين يدي الملك؛ يكون قدر العطاء، وحسن الثناء: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ  
ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل / ٩٧].

فلا إله إلا الله! من صعد بقلبه، ونظر في الملك والملكوت؛ رأى ملكًا كبيراً، ورأى ملكًا  
عظيمًا، وصنعًا بديعًا، وتدبيرًا حكيمًا، وخلقًا كثيرًا يراه البصر، وتشهد به  
البصائر: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ  
مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ  
مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق / ٦-٨].

﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾  
[يونس / ١٠١].

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ  
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ  
فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس / ٣١-٣٢].

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ  
نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ  
بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ  
إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٦].

فكيف لو وصل هذا العبد بلبه إلى من ليس دونه مقصد، ولا وراءه منتهى وصعد إلى  
الحق من أسائه، وصفاته، وأفعاله، ورأى المحيط بكل محيط، الخالق لكل مخلوق، القاهر  
لكل قاهر، القادر على كل قادر، الرازق لكل مرزوق.

هو سبحانه الملك الحق المبين، والرب العلي العظيم، والغني القوي العزيز، والعفور الغفور الرحيم، والحي القيوم الكريم، والكبير الجبار المتكبر، الذي له جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) [الحشر/ ٢٢-٢٤].

وكلما قربت أيها المؤمن من ربك؛ قويت دلائل الدالين عليه، وكثرت إشارات المشيرين إليه: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْتُكُمْ لَنْ نُشْهِدَنَّ أَنْتَ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (١٩) [الأنعام/ ١٩].

فما أعظم كرامة من وصل إلى ربه العظيم، وانتهى إليه، وشاهده بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، ورآه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فعبده بموجب هذا العلم، وبموجب هذه الرؤية! ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ (٤٢) [النجم/ ٤٢].

هو سبحانه الرب الخالق القريب الرقيب الذي لا يخفى عليه شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الرب الذي يخلق ويرزق، ويكرم ويهين، ويأمر وينهى، ويحيي ويميت، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل.

أترى هذا العبد المكرم الذي منَّ الله عليه بمعرفة أسمائه، وصفاته، وأفعاله، ومعرفة عظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة عظمة نعمه وإحسانه، ومعرفة عظمة دينه وشرعه، ومعرفة عظمة ووعده ووعيده، أترآه يتعداه إلى سواه، أو يشتغل بغيره عنه، أو يلزم عبادته وطاعته بالذل والانكسار بين يديه؟ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِحَايَتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا

سَجْدًا وَسَبْحًا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

فسبحان الملك الحق القريب المجيب، القريب السميع، الذي تجلى لعباده بأسمائه وصفاته وأفعاله، وألهم معرفته وهيبته جميع مخلوقته، فخضعت لجلاله، وسجدت لعظمته وكبريائه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤١﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

هو سبحانه القريب من خلقه، الذي يرى أشخاصهم، ويسمع كلامهم، ويعلم أحوالهم، ولا يخفى عليه شيء من حركاتهم، وسكناتهم، وجميع أمورهم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥٠﴾ [الحديد/ ٤-٥].

هو سبحانه القريب السميع البصير، العليم بكل شيء، فهو مع الداعي إذا دعاه، ومع المسافر في سفره، ومع أهله في وطنه، هو الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ [الحديد/ ٢-٣].

فسبحانه ما أعظم شأنه! وما أقربه من عباده! وما أعظم شكره لمن أطاعه! وما أحلمه على من عصاه.

هو العظيم الذي جميع مخلوقاته تشهد بوحدانيته، وتسبح بحمده، وتخضع لأمره، وتستجيب لإرادته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكننا إذا أشرفنا على وادٍ هملنا،

وكبرنا، وارتفعت أصواتنا.

فقال النبي ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا؛ إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، تَبَارَكَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدُّهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وهو سبحانه الملك الحق القريب، الذي يتقرب أقرب إلى من تقرب إليه بما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا؛ تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمِشِي؛ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً، وَمَنْ لَقِينِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا؛ لَقَيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

واعلم رحمك الله وهداك لما يحبه ويرضاه؛ أن قرب الرب من عباده المؤمنين يكون على قدر تحققهم في صفات الإيمان، والإسلام، والإحسان والتقوى، واليقين.

وقربه منهم يكون بسرعة إجابته لدعائهم، وسماحه لنجواهم، وشهوده اللطيف لأحوالهم، فهو القريب منهم، إن سألوه أعطاهم، وإن استغفروه غفر لهم، وإن دعوه أجابهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

اعلم رحمك الله أن الملك الحق المبين قريب من جميع مخلوقاته، القريب والبعيد كله عنده قريب، والصغير والكبير كله عنده صغير، لأن الله وحده هو الكبير الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

فيا عبد الرقيب تقرب إلى ربك القريب بكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٩٩٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٨٧) واللفظ له.

الظاهرة والباطنة، تكن بالقرب منه يوم القيامة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

وأخلص جميع أعمالك لربك، وأحسن عبادتك له، وتوكل عليه وحده: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلَّبَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠].

واعلم إن رحمة الله تنال بالإحسان بالقول والعمل والخلق، فأحسن كما أحسن الله إليك: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦].

يا عبد القريب ليكن حظك من هذا الاسم الكريم أن تتقرب إلى الله بكل ما يحبه ويرضاه، وتقرب الناس إلى ربهم بذكر نعمه وآلائه، ليحبوه ويشكروه، وتذكرهم بعظمة أسمائه وصفاته ليكبروه ويعظموه، ويخافوه ويتقربوا إليه ويعبدوه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

واعلم أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فتقرب إلى القريب منك في جميع أحوالك، وأكثر من السجود له، والانكسار بين يديه: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الحج: ١٧٧].

واعلم يا عبد القريب أن كمال الإيمان والتقوى سببه العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة جلاله وجماله، ومعرفة نعمه وإحسانه، والعلم بدينه وشرعه، ووعدده ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

واعلم أن التقوى درجة فوق الهداية إلى الإيمان، وهي من أعظم ثمراته، وهي الدليل على صحة الإيمان، فاتق الله حيثما كنت، وتقرب إلى ربك القريب بكل ما يحبه ويرضاه، وترك كل ما يسخطه ويكرهه، والحذر من اتباع الهوى والبدع: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

واعلم أن الله ﷻ لا يقبل ولا يتقبل من الأقوال والأعمال إلا من المتقين، والتقوى ألا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يجدك حيث نهاك: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) ﴿المائدة: ٢٧﴾.

واعلم يا عبد القريب إنك إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ذهب البعد كله من ربك في حَقِّك، وإنما تجد البعد كله في حَقِّك أنت.

فتقرب إلى مولاك القريب منك ما يحبه ويرضاه يقرب منك، وتزول مسافة البعد بينك وبينه بكمال الإيمان والتقوى تسعد بالقرب منه في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣) ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٦٤) ﴿يونس: ٦٢-٦٤﴾.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) ﴿[الأعراف: ٢٣].﴾  
 ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (٨) ﴿[آل عمران: ٨].﴾  
 ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) ﴿[الأحقاف: ١٥].﴾

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.

ونسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، ومرافقة سيد الأنبياء والمرسلين في جنات النعيم. اللهم قنا شر أنفسنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا تنزع منا صالح ما أعطيتنا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَلِحَمْدِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢) ﴿[الصفات: ١٨٠-١٨٢].﴾

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المجيب

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المجيب

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧) [الروم / ٢٧].

ومن أسماء الله الحسنى التي تربط المخلوق بخالقه اسم الله المجيب.

فالله جلّ جلاله هو المجيب الحق لجميع من في السموات والأرض من المخلوقات.

هو الذي الذي يُجيب كل داع وسائل على اختلاف اللغات، وكثرة السؤالات، وتباين الحاجات، وتكرار الأوقات: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) [البقرة / ١٨٦].

وهو جلّ جلاله وحده الذي يسمع دعاء الخلق كلهم، ويُجيب دعاءهم، المجيب الذي يُجيب المضطر الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه من الكريهات والكروب: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢) [النمل / ٦٢].

وهو سبحانه الكريم الرحيم المجيب الذي يكشف السوء والشر والبلاء عن عباده على مرّ الدهور، لأن الخلق خلقه، والملك ملكه، وجميع أنواع التدبير والتصريف بيده: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤) [الأعراف: ٥٤].

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء، وله خزائن كل شيء، الذي صمد لجميع حوائج الخلق، وصمدت جميع الخلائق إليه في حوائجها؛ فلا رب لها سواه، ولا إله لها غيره: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢١) [الرحمن / ٢٩].

فليس في هذا الملك الكبير والملكوت العظيم إلا خالق واحد ومخالق، وملك وعبيد، كما أنه ليس فيه إلا عابد ومعبود، وسائل ومجيب: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ



الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر / ٦٠].

والله جلّ جلاله واسع كريم، يعطي خلقه من فضله ورزقه ابتداءً بلا سؤال، ويعطي السائلين، ويحيب الداعين إذا دعوه من كانوا وحيث كانوا، وكل ذلك كتبه الله وقدره، ثم أظهره وبينه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٣].

فسبحان ربنا العليم القدير الذي خلق كل شيء، وقدر على كل شيء، وكتب مقادير كل شيء: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج / ٧٠].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ» أخرجه مسلم <sup>(١)</sup>.

• وقد ورد اسم الله المحيب في القرآن الكريم مرتين:

في قوله سبحانه في سورة هود: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿١١﴾﴾ [هود / ٦١].

وفي قوله سبحانه في سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الصافات / ٧٥].

والله سبحانه هو المحيب الذي يقابل الدعاء والسؤال بالإجابة والعطاء، المحيب الذي يحيب المضطر إذا دعاه، ويغيث الملهوف إذا ناداه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة / ١٨٦].

واسم الله المحيب الصفة المشتقة منه هي الإجابة، والإجابة من صفات الله الفعلية،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٣).

كما قال سبحانه: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتَىٰ بِعَضُّكُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران / ١٩٥].

وقال ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَّهِ» أخرجه الترمذي (١).

وقد اقترن اسم الله المجيب مع اسمه القريب، في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود / ٦١].

وسر ذلك والله أعلم؛ أن الله قريب من عباده، يسمع كلامهم، ويُجيب دعاءهم، ويقضي حوائجهم؛ وذلك لكمال رأفته ورحمته بهم.

هو سبحانه الكريم المجيب لدعوة الداعين، وسؤال السائلين، المجيب الذي يسأله خلقه جميع مصالحتهم الدنيوية والدينية؛ من الطعام والشراب والمال، كما يسأله الهداية والمغفرة والتوبة: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن / ٢٩].

والله سبحانه كريم؛ إذا سُئِلَ أعطى، وإذا عاهد وقى، ولا يبالي كم أعطى، ولن أعطى، لا يرد سائلاً، ولا يُجيب مؤملاً: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الحمد لله رب العالمين] ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

• وإجابة الله ﷻ لعباده نوعان:

الأول: إجابة عامة: فكل من وحده ودعاه أجابه، من كانوا، وحيث كانوا، وعلى أي حال كانوا، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر / ٦٠].

الثاني: إجابة خاصة: للمؤمنين به، المستجيبين له، المنقادين لشرعه، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

وهو سبحانه المجيب إجابة خاصة للمضطرب إذا دعاه، ولكل من تعلق قلبه بربه، وانقطع رجاؤه من المخلوقين، بعد أن استنفذ الأسباب التي يقدر عليها كما قال سبحانه:

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٩).

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾ [النمل / ٦٢].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَاطِلًا دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [القمان / ٣٢].

فسبحان الرب الرحيم القريب المجيب الذي يجيب من دعاه؛ فيغفر الذنوب، ويفرج الكروب، ويهدي الضال، ويعطي السائل، ويجبر الكسير، ويغني الفقير، ويشبع الجائع، ويروي الظمآن، ويعافي المبتلى، ويشفي المريض، ويؤمن الخائف، ويكسو العريان، وينصر المظلوم، ويقصم الجبار: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن / ٢٩].

يسأله أهل السموات والأرض بلسان الحال والمقال؛ فيجيب دعاءهم، ويعطيهم سؤالهم؛ فالملائكة تسأل الله سبحانه مالا حياة لها إلا به؛ من إعانتة لهم على ذكره، وشكره، وحسن عبادته، وتنفيذ أوامره في ملكوته، وتسأله كذلك أن يغفر لبني آدم من المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر / ٧].

وتسأل الملائكة ربها أن يتوب على أهل الأرض جميعاً، ويهديهم إليه: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [٤] تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم ﴿٥﴾ [الشورى: ٤-٥].

والأنبياء والرسل تسأل المجيب سبحانه أن يعينهم على أداء رسالاته، وتبليغها للناس، وأن ينصرهم على أعدائهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء / ٩٠].

والناس كلهم يسألون ربهم مصالحهم على اختلافها وتنوعها: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة / ٢٠١].  
والحيوان كله على اختلاف أنواعه في البر والبحر والجو، يسأله رزقه وقوته.

والشجر والنبات بأنواعه يسأله غذاءه، وما يكمل به، والجماد والكون كله يسأله امتداد بقائه وحياته: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) ﴿الرحمن: ٢٩﴾.

فسبحان الغني الكريم القادر الذي جميع الخلائق فقراء إليه، وأكفهم ممتدة إليه بالطلب والسؤال، ويده جلّ جلاله مبسوطة بالعطاء والنوال، يمينه جلّ جلاله ملأى؛ لا يغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار، وعطاؤه وبرّه مبذول للأبرار والفجار، وأنواع رحمته وإحسانه غمر المؤمنين والكفار: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ (٥٣) ﴿النحل / ٥٣﴾.

﴿وَأَتَانَكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّا الْإِنسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) ﴿إبراهيم / ٣٤﴾.

هو سبحانه المجيب الذي يُنعم بالعطاء قبل النداء، ويتفضل قبل الدعاء؛ لأنه الذي تكفل بالرزق والعطاء وحده لا شريك له، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦) ﴿هود / ٦﴾.

فسبحان الله العظيم الذي فضله عم الخلق أجمعين: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ لِيَتَسَكَّنُوا فِيهِ وَالتَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّا اللَّهُ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (١١) ﴿غافر / ٦١﴾.

هو سبحانه القريب المجيب الذي يقابل سؤال السائلين بالإسعاف، ويوصل إليهم ما يصلحهم بالألطف: ﴿قُلْ إِنَّا الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلَيْهِمْ﴾ (٧٣) ﴿يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤) ﴿آل عمران / ٧٣-٧٤﴾.

واعلم رحمك الله، أن من حب الله جلّ جلاله لإجابة السائلين ودعاء الداعين أن عرف عباده بأسمائه وصفاته، ويبيّن لهم أفعاله في ملكوته العظيم، وأمرهم أن يدعوه بها، ويبيّن لهم عظمة خزائنه المملوءة بكل شيء، ودعاهم للاستفادة من خزائنه بسؤال خالقها ومالكها وحده لا شريك له: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) ﴿الأعراف / ١٨٠﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر/ ٢١).

فسبحان الله! ما أعظم ملكه! وما أعظم حبه لخلقه! وما أعظم حبه للإحسان إليهم! أعطاهم من كل ما سألوه، ودلهم على ما ينالون به ما يحبون. والله جل جلاله العطاء أحب إليه من المنع، كريم لا يرد سائلاً أبداً، ومن حبه للعطاء ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا؛ ليقرب من عباده، ويقضي حاجة من سأله. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كلَّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه المجيب الذي ينعم قبل الطلب والنداء، ويتفضّل قبل السؤال والدعاء؛ لأنه الرحمن الرحيم الذي هو أرحم بالعباد من أنفسهم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (الحشر: ٢٢).

هو القريب المجيب الذي يقابل دعاء الداعين بالإجابة، ويقابل ضرورة المضطرين بالإغاثة، لأنه الرحمن الذي لا أرحم منه، الكريم الذي لا أكرم منه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (الحج/ ٦٥).

هو المجيب الكريم الذي يعطي قبل الدعاء، وإذا تأخر العطاء إلى ما بعد الدعاء؛ فإنما يريد المجيب أن تدعوه، وتناجيه، وتلجأ إليه، وتتصل به، وتمرغ وجهك في أعتابه، ويجب أن يسمع صوتك، ويُسعدك بالاتصال به، ويجعل حاجتك وسيلة لهدف هو الاتصال بالرب العظيم، والتعبّد للحق الكريم: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر/ ٦٥).

فسبحان ربنا الملك الرؤوف الرحيم، الذي قد يُجوج عبده إلى شيء، وقد يُخيفه من شيء؛ من أجل أن يسأل ربه، ويفزع إليه، ويتصل به، ويستعين به، ويلوذ بحماه؛ ثم يُجيبه إذا صفا توحيده ودعاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة/ ١٨٦).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٤٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٥٨).

واعلم أن سؤال الله، ودعاءه، والتضرع إليه هو الهدف والمقصود، والحاجات والمصائب هي الوسيلة، فالله خلق عباده ليسعدهم، وجعل الحاجات والمصائب وسائل لسؤاله وحده، والاتصال به، وإخلاص الدعاء له هو المقصود؛ لأنه سبحانه يعلم حاجة المحتاجين، ويعطيهم إياها قبل سؤالهم، وإذا أخرها فإنها يجب أن يسمع سؤالهم ودعاءهم وتضرعهم، ويسعدهم بالاتصال به: ﴿الْمَرْتَرُونَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْعَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

فإذا أراد الله أن يرد عبده إليه أحوجه إليه، فسأله فأجابه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: ٦٠].

فإذا سأل المجيب فأجابه أكرمه بعشر كرامات:

إيمان جديد، وتوبة جديدة، وحب جديد لربه، وتعظيم جديد، وخوف جديد، ورجاء جديد، وشكر جديد، وعبادات جديدة، واستغفار جديد، وحياء جديد من ربه: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

هو سبحانه الغني الكريم الذي خلق الخلق، ووفّر حاجاتهم قبل أن يخلقهم، وساقها إليهم قبل أن يسألوه: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الجاثية / ١٢-١٣].

فسبحان الملك العظيم الذي له في ملكه وملكوته ومخلوقاته حكم وأحكام، وخلق وأمر، وبسط وقبض، ورفع وخفض، وتدبير وتصريف: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك / ١-٢].

هو سبحانه الحي القيوم، الرحمن الرحيم، القريب المجيب، الذي يقابل الدعاء بالإجابة، ويقابل السؤال بالعطاء، ويقابل الاستغفار بالمغفرة، ويقابل العمل الصالح القليل

بالثواب الجزيل الكبير.

هو القريب المجيب الذي يفرج كرب المكروبين، ويُجيب دعاء المضطرين: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل / ٦٢].

فسبحان الرب العظيم الذي يسمع دعاء جميع الداعين في السموات والأرض، وفي العالم العلوي والعالم السفلي، ويُجيب جميع أسئلة السائلين، ويجب أن يسأله العباد جميع مصالحهم الدينية والدنيوية كما يسألونه الهداية، والرحمة، والمغفرة، والإعانة على الطاعة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥] ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [٦] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة / ٧].

هو سبحانه الغني الذي خزائن كل شيء عنده: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

واعلم رحمك الله؛ أن من وفقه الله للإيمان به، ودوام ذكره، والأنس بمناجاته، وتدبر كتابه، والتفكير في مخلوقاته، والاعتبار بآياته؛ آتاه رحمة من عنده، وعصمه مما يبغده عنه، واستوجب القرب منه، بحسن عبادته له، ودوام مجالسته له بالذكر والشكر والفكر: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ٩].

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الرعد / ١٩].

وكذلك من آثار محبة الله للعبد الإكثار من الطاعات، والزهد في الحلال، والاقتصار على الكفاية، وترك ما لا يعني، واجتناب فضول الكلام والنظر والطعام، وترك الحرام، واجتناب الفواحش والآثام، ولزوم الذكر والاستغفار، وحسن التوكل عليه، وصدق التوبة إليه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [٣] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٤].

[الأففال: ٢ - ٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾» [المؤمنون/ ٥١].

وَقَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة/ ١٧٢].  
ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبَّ يَا رَبَّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَعُغْدِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»  
أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فهذه الأمور وأمثالها أسباب مشروعة ترفع صاحبها إلى استحقاق إجابة دعائه، ومحادثة الملائكة له.

عن حنظلة قال: لقيني أبو بكر فقال: «كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا.

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ؛ نَسِينَا كَثِيرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ؛ لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ، سَاعَةً وَسَاعَةً، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

فمن وصل إلى هذه الدرجة العالية في الإيمان والتقوى أجاب الله دعاءه؛ بل كاد لو أقسم على الله لأبره.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، أَنَّ الرَّبِيعَ ابْنَةَ النَّضْرِ كَسَرَتْ نَيْبَةَ جَارِيَةٍ، فَطَلَبُوا إِلَيْهَا الْعَفْوَ فَأَبَوْا،

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٠).



فَعَرَّضُوا الْأَرْضَ فَأَبَوْا، فَآتُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَوْا، إِلَّا الْقِصَاصَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقِصَاصِ، فَقَالَ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَكْسِرُ ثِيْبَةَ الرَّبِيعِ؟ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا تُكْسِرُ ثِيْبَتَهَا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَنَسُ، كِتَابُ اللَّهِ الْقِصَاصُ»، فَرَضِيَ الْقَوْمُ فَعَفَوْا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ» أخرجه البخاري (١).

وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ تِلْكَ الدَّرَجَةَ؛ فَإِنْ إِبْجَابَةُ دَعَائِهِ فِي حَقِّهِ لَيْسَ بِوَعْدٍ مِنَ اللَّهِ؛ بَلْ فَضْلٌ مِنْهُ سَبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (١٦) [غافر/ ٦١].

وَنَحْنُ أَقْلٌ مِنْ هَذِهِ الدَّرَجَةِ بِكَثِيرٍ؛ فَنَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣٩) [المائدة/ ٣٩].  
﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) [الزمر/ ٥٣].

وَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَمَا دَعَاؤُهُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ، وَهُمْ يَطْمَعُونَ فِي الإِبْجَابَةِ طَمَعِ الْبَاسِطِ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ؛ لِأَنَّهُ مَقْطُوعٌ، كَمَا انْقَطَعَ الْكَافِرُ عَنْ رَبِّهِ الَّذِي لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقِّ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ﴾ (١٤) [الرعد/ ١٤].

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ؛ أَنَّ الْكَافِرَ فِي حَالِ الاضْطِرارِ وَالشَّدَةِ يَرْجِعُ إِلَى الْفِطْرَةِ؛ فَيُوحِدُ رَبَّهُ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَإِذَا قَضَى الْكَرِيمُ حَاجَتَهُ؛ عَادَ إِلَى كُفْرِهِ وَشْرِكِهِ: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ يَجْئُرُونَ﴾ (٥٣) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥٥) [النحل/ ٥٣-٥٥].

وَاعْقُوبَةُ هُوَ لَا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١١١) خُلْدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (١١٢) [البقرة: ١٦١-١٦٢].  
وَاللَّهُ جَلَّ جَلالُهُ غَنِي كَرِيمٌ يُجِيبُ كُلَّ سائِلٍ، وَيُعْطِيهِ مَا يَنْفَعُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِبْجَابَةُ الرَّبِّ لِمَنْ سَأَلَهُ مِنْ عِبَادِهِ تَنْوَعٌ، وَتَعْجَلٌ، وَتَوْخُرٌ، بِحَسَبِ مَصْلِحَةِ الْعَبْدِ الَّتِي لَا يَعْلَمُهَا

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٠٣).

إلا الحكيم العليم الذي خلقه وصوره: ﴿قُلْ إِنْ تَحْفَوُا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾ [آل عمران / ٢٩].  
 ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠].  
 فمن دعا ربه أجاب دعوته في الدنيا، أو ادخرها له في الآخرة، أو صرف عنه من السوء مثلها.

فسبحان من له خزائن السموات والأرض، وجميع مخلوقاته تسأله؛ فيُجيبهم جميعاً على اختلاف الحاجات، وتباين اللغات، وتكرار الأوقات؛ فيعطيههم جميعاً، ولا ينقص مما عنده مثقال ذرة؛ لأن المحدود إذا أخذ من غير المحدود لا ينقص أبداً: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢١﴾ [الرحمن / ٢٩].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتَقَىٰ قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ؛ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجهم مسلم <sup>(١)</sup>.

فسبحان من لا تنقضي خزائنه ولا تنقص أبداً على كثرة الإنفاق في المكان والزمان لكل مخلوق: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [ص / ٥٤].

والله غني، وغناه يقتضي ألا تنقص خزائنه؛ أما المخلوق فتتقص خزائنه بكثرة الإنفاق أو قلته؛ لأن غناه موهوب من ربه، والغني جل جلاله لا تنقص خزائنه، مع أن يده سحاء الليل والنهار، وخزائنه ملأى لا تغيضها نفقة: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٦٦﴾ [لقمان: ٢٦].

ولهذا ابتلى الخلق ليسألوه ويدعوه وحده، ولا يلتفتوا إلى غيره: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴿[الذاريات: ٥٠-٥١].

(١) أخرجهم مسلم برقم (٢٥٧٧).

والله جلّ جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى.

وهو الكريم الذي لا أكرم منه، ولا منتهى لكرمه، الذي عمّ بفضله وكرمه جميع خلقه؛ فالكل يأكلون من مائدة نعمه المبسوطة في كل مكان وزمان على مرّ الدهور والأزمان: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام / ٩٩].

وهو سبحانه الكريم المجيب الذي ينخص عباده المؤمنين بما لم يسألوه، إذا علم أنهم يريدونه، وربما قيضهم للسؤال والدعاء؛ تعبدًا منه لهم، فسألوه امتثالًا لأمره، وإظهارًا لفقرهم إليه؛ فيجيب سؤالهم، إلا أنهم لا يسألونه دنيا، ولو سألوهم ما أعطاهم ذلك؛ حبًّا لهم، وحماية لهم مما يشغلهم عنه، ويعددهم عن سبل رضاه: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤].

فسبحان ربنا الملك الكريم اللطيف الخبير الذي همى أنبياءه ورسله والمؤمنين به من كل ما يشغلهم عنه؛ ليتفرغوا لعبادته، وطاعته، وذكره، وحمده، والدعوة إليه، وتعليم شرعه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة / ٤].

وربما أعطى الله من المؤمنين بعض الرزق ممن يعلم أنه يزكو بذلك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ [الإسراء / ٣٠].

واعلم رحمك الله؛ أن جميع الأنبياء والرسل، أعطاهم الله جلّ جلاله مع الإيثار أمرين عظيمين هما:

الأول: عبادة الله وحده لا شريك له.

الثاني: الدعوة إليه، وتعليم شرعه، وفرغ قلوبهم وأبدانهم مما سوى ذلك.

وكذلك اجتنبى الله هذه الأمة، وأعطاهم ما أعطاهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران / ١١٠].

فرسل الله جلّ جلاله والمؤمنون وصلوا ما أمرهم الله به أن يوصل؛ فاتصلوا، فأجاب الله دعاءهم، وكذلك يُجيب المجيب سبحانه دعاء المؤمنين إلى يوم القيامة: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُثَجِّى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٨٨].

واعلم رحمك الله أن سرعة إجابة الله لدعاء الرسل والأنبياء والمؤمنين أسرع من مسارعتهم في الخيرات إليه: ﴿وَرَكْرَكِيًّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرَعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

واعلم أن الله ﷻ يستجيب للمؤمنين به أعظم من استجابتهم إليه؛ لأنه الكريم الذي يعطي بسؤال وبدون سؤال، ويعطي الكثير على العمل القليل، ويقبل التوبة من المسيء، ويضاعف الأجر للمحسن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء/ ٤٠].

فسبحان الله! ما أعظم شأنه! وما أوسع عطاءه! وما أسرع إجابته لمن دعاه! ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم رحمك الله؛ أن الله إذا أراد زيادة إيمان عبده، ورفع درجاته، وتكفير سيئاته؛ ساق إليه المصائب، ثم هيا له الدعاء، فدعا ربه؛ فكشفها عنه؛ فزاد إيمانه بربه، وزاد حبه له، وزاد حمده له، وزاد تعظيمه له، وزادت طاعته له، فهذه كرامات الرب لعبده، أثمرتها تلك المصائب والمكاره: ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ أَشْيَاءَ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِتِ وَبَشْرِ الصَّدْرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

وكذلك إذا ساق المجيب سبحانه إلى عبده النعم، أو سأل العبد ربه نعمة فأعطاها إياها؛ زاد إيمان العبد بربه، وحبه له، وحمده له، وطاعته له، وزاد تعظيمه لمن سأله فأعطاها:

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَفَكُمْ الْنَّاسُ فَأَوَّكِكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

هو سبحانه الكريم المجيب الذي ما أمر بالدعاء إلا وهو يريد أن يجيب.

هو المجيب الذي أنطق السنة السائلين بالدعاء، ثم أكرمهم بجزيل العطاء: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر/ ٦٠].

هو سبحانه الكريم الذي العطاء أحب إليه من المنع، المجيب الذي فتح أبواب الدعاء في كل وقت، ولكل أحد، ولأي سؤال، وما يسر الدعاء لأحد إلا وهو يريد إجابة دعائه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

هو سبحانه المجيب القادر، الذي لا يشغله سمع عن سمع، ولا سؤال عن سؤال، ولا عطاء عن عطاء، ولا تختلط عليه الأصوات، على اختلاف اللغات، وتنوع الحاجات. فهذا العبد يسبح، وهذا يحمده، وهذا يكبره، وهذا يدعو، وهذا يسأل، وهذا يشكو، وهذا يستغفر، وهذا يبكي، والله قريب مجيب، يسمع ويرى، ويجيب دعاء من دعا، ويعطي من سأل، لا يشغله شأن عن شأن: ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ﴿٢١﴾ [الرحمن/ ٢٩].

هو سبحانه المجيب الذي إذا نسيته وغفلت عنه؛ أرسل إليك مصيبة أو مرضاً أو فقراً أو هما؛ لتعود إلى ربك المجيب، وتطلب منه أن يرفع عنك البلاء، وترفع يديك إليه، وتطلب منه أن يعينك ويعينك: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرِتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

والإجابة والمجيب تأتي دائما مع اسم الله القريب، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ ﴿٦١﴾ [هود/ ٦١].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة / ١٨٦].

وذلك لتعلم أن الذي تدعوه قريب، ولا يحتاج أن تشرح له ما تريد؛ لأنه يعلم ما تريد؛ لأنه قريب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾ [ق / ١٦].

وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْرَبُ رَبَّنَا مِنَّا فَنَجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ عَنَّا فَنَدَايِهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة / ١٨٦].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي له معاهد العز، والجلال، والجمال، والكبرياء، والعظمة: فله ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك السموات والأرض، وله ملك ما في السموات والأرض، وله ملك ما بين السماوات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض.

فهذه المعاهد الكبرى لله ﷻ وحده لا شريك له: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران / ٢٦].

## التعبد لله ﷻ باسمه المجيب

اعلم رحمك الله ووفقك لما يحبه ويرضاه؛ أن ربك قريب مجيب، ورحمته وكرمه وإحسانه وعفوه أحب إليه من كل شيء، وخزائنه مملوءة بكل شيء: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون / ٧].

فاسأل ربك الهداية، وكل ما يعينك على طاعته من خيري الدنيا والآخرة؛ فإنه حي قيوم يجب أن تسأله لجيبك: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر / ٦٥].

وإذا دعوت ربك فادعه بحالة الاضطرار، ورؤية الافتقار، وذلة الانكسار: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر / ٦٠].

ولا تحدث نفسك حال سؤالك إياه بعمل حسن عملته، أو ذنوب منك تخاف أن يجرمك من أجلها، بل فقط ادع ربك المجيب بحالة الاضطرار والافتقار والانكسار؛ فذلك أكمل لتوحيدك، وأولى بمقامك ذاك، وأقرب إلى الثقة منك بمولايك: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِئٌ بِنَاءِ آلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ٩].

واعزم المسألة؛ فإن الله لا مكره له، وأكثر من الدعاء؛ فإن الله لا يمل حتى يمل العبد، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وتزين لربك العظيم بالخصال النبيلة، والأعمال الصالحة، والأفعال الرضية، والنصيحة لله، ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين وعامتهم. قال رسول الله ﷺ: «الَّذِينَ النَّصِيحَةُ قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَيُّمَةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وكن أول المسلمين في العبادة والدعوة والإحسان إلى الخلق: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٨٦١) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٨٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأَمْرٌ لِأَنَّ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾  
[الزمر/ ١١-١٣].

واعلم بأن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره؛ لحسن ظنه بالله، ويقينه على ذاته وأسمائه وصفاته، فاجتهد في العلم والعمل؛ لعلك تزكو: ﴿إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ. وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾  
[فاطر/ ١٨].

ومن عرف ربه المجيب حقاً أقبل عليه، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].  
واحرص رحمك الله على الإحسان إلى الخلق، وإياك أن تظلم أحداً، واتبِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب، وتعبد لله مع خلقه بصفة الإحسان؛ يجبك الله والناس: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٧﴾  
[القصص/ ٧٧].

واعلم بأن مقاليد الأمور كلها بيد الملك الواحد الأحد جل جلاله، فاخلص له العبادة وحده لا شريك له: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ [هود/ ١٢٣].

واعلم أن الله أمر بالدعاء ووعده بالإجابة، فإذا مسك الضر؛ فاسأل ربك وحده، فإنه قريب مجيب، وهو وحده أهل أن تدعوه وترجوه: ﴿وَأُتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

وإياك أن تنزل حاجتك بإنسان، أو تضع ثقتك في غير الله، فإن فعلت؛ فمن رحمة الله بك أن يُلقِي في قلب من وثقت به الاعتذار إليك، ويُحِب ظنك فيه تأديباً لك؛ لتعود لربك العظيم الذي بيده مقاليد الأمور وحده لا شريك له: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِذَا يُرِيكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٠٧﴾ [يونس/ ١٠٧].



وقال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» أخرجه الترمذي (١).

واعلم أن الدعاء الذي يجيبه الله ما كان بتورع، وكان بخفية، وتجنب صاحبه الاعتداء فيه، وتجنب أكل الحرام: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (الأعراف/ ٥٥).

وقال سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين/ ١٤).  
واعلم بأن من عرف الله حقاً عبده حقاً، وأحبه حقاً، وخافه حقاً، وتوكل عليه حقاً، فمن عرف الله بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الحميدة؛ أحبه وعظمه، وحمده وشكره، وآمن به ووحده، وأخلص له العبادة وحده لا شريك له: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَلِكُمْ﴾ (محمد/ ١٩).  
﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة/ ٩٨).

والمسلم إذا عرف ربه باسمه المجيب أحبه، وتعلق به، ورجاه، وطمع فيما عنده، وتضرع بين يديه، وأنزل به حاجته؛ لحسن ظنه بربه، ومعرفة بعضه كرمه وإحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (الأنعام/ ١٠٢).

وقال النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي» متفق عليه (٢).  
ومن استجاب لله إذا أمره أجابه إذا سأله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة/ ١٨٦).

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون مستجيباً لأوامر الله ﷻ، ولأوامر رسوله ﷺ في كل حال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ [الأنفال/ ٢٤].

وأن يحسن إلى الناس بما أنعم الله عليه من الخير إن قدر، وباللطف في الجواب إن عجز: ﴿١٣٣﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّيِّئَاتِ وَأَصْرَاءَ وَالْكُظُمِينَ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وقال ﷺ: ﴿١٣٤﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿١٣٤﴾ [البقرة: ٢٦٣].  
واعلم أن المجيب سبحانه يجيب دعاء من دعاه في كل الأوقات، وأكد ذلك وأرجاه ثلث الليل الآخر حين ينزل الكريم سبحانه ويقول لعباده: من يسألني فأعطيه؟ من يدعوني فأستجيب له؟ من يستغفري فأغفر له؟.

وكذا بين الأذان والإقامة، وساعة في يوم الجمعة خبئت لتدعو ربك في كل الأوقات، وأكدها آخر ساعة بعد العصر، وكذا يوم عرفة، وليلة القدر، وفي حال السجود، وحال الاضطرار، ونحو ذلك: ﴿١٢٦﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ [النمل/ ٦٢].

فادعُ الله وأنت موقن بالإجابة، بقلب خاشع متذلل لله، وعين تبكي من خشية الله، وجوارح تركع وتسجد لله: ﴿١٢٦﴾ أَمَّنْ هُوَ قَلْبٌ أَمَّا أَلَيْلَ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذُرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر/ ٩].  
ولا تستبطئ الإجابة، ولا تستعجل، ولا تقطع الدعاء.

قال النبي ﷺ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ، قالوا: كيف يستعجل؟ قال: يقول: دَعَوْتُ وَدَعَوْتُ وَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي، فيترك الدعاء، فلا يُسْتَجَابُ له» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.  
وتجنب أكل الحرام؛ فإنه مانع من إجابة الدعاء.

قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿٥١﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ [المؤمنون/ ٥١].

وَقَالَ: ﴿٥١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴿٥١﴾ [البقرة/ ١٧٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٥).

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يُمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبَّ، يَا رَبَّ، وَمَطَعَمُهُ حَرَامًا، وَمَشْرَبُهُ حَرَامًا، وَمَلْبَسُهُ حَرَامًا، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»  
أخرجه مسلم (١).

وتيقن يا عبد المجيب أن الإجابة مقرونة بالدعاء الصادق، فأخلص الدعاء لله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينٌ الْقَيِّمَةُ﴾ [البينة: ٥].

وإذا تأخرت الإجابة؛ فاعلم أن الله يجب أن يسمع تكرر صوتك بالدعاء، أو أن طلبك فيه ضرر عليك، أو أنه ادخره لك وأخره لتنتفع به حال حاجتك إليه، أو ادخر لك خيرًا منه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه؛ أن الميت حقًا هو كل من تمتع بدنه بأعلى درجات الصحة والعافية، لكن قلبه ميت لا يعرف ربه، ولا يذكره، ولا يعبده، فهذا هو ميت الأحياء: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال/ ٢٤].

ومن فقد النور عاش في الظلمات: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فسبحان الرب الحكيم الرحيم بعباده، القريب المجيب.

أحيانًا يعطي العبد قبل أن يسأله؛ ليحبه، ويقبل عليه، ويطيعه، وأحيانًا يدعوه العبد فيعطيه، فيحبه ويشكره: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

فهو سبحانه القريب المجيب، إما أن تدعوه فيعطيك، وإما أن يعطيك لتدعوه، فإن كان الدعاء قبل العطاء؛ فالمبادرة منك، وإن كان العطاء قبل الدعاء؛ فهذه نعمة أراد الله أن يمتحنك بها.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

فَأَنْتَ إِمَّا أَنْ تَطِيعَهُ فَيُكْرِمَكَ، أَوْ يَكْرِمَكَ فَتَطِيعُهُ: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطِفَكُمْ النَّاسُ فَأَوَانِكُمْ وَأَيْدِكُمْ بِنَصْرِهِ وَرِزْقِكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ [الأَنْفَالُ / ٢٦].

يا عبد المجيب كن أول من استجاب لربه في عبادته، وأول من استجاب لربه في الإحسان إلى خلقه، وأول من استجاب لربه في قضاء حوائج الناس، والعفو عن زلاتهم، وتحمل أذاهم، من أجل الله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، واستعملنا في طاعته وتقواه، وجعلنا ممن سبقت لهم من ربهم الحسنى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ [الأنبياء / ١٠١ - ١٠٢].  
ورفع درجاتنا في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأَنْفَالُ / ٢ - ٤].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨].  
«اللَّهُمَّ رَبَّنَا اتِّبْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»  
اللهم فارح الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطر، نسألك أن تهدي قلوبنا، وتغفر ذنوبنا، وتيسر أمورنا وترحمنا رحمة تغنيهاها عن رحمة من سواك.

يا قريب يا مجيب، اللهم أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَاهْدِنَا سَبِيلَ السَّلَامِ، وَأَخْرِجْنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَجَنِّبْنَا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَبَارِكْ لَنَا فِيهَا أَعْطَيْتَنَا، وَتَبَّ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ.

اللهم كما صُنْتَ وَجُوهِنَا عَنِ السُّجُودِ لغيرِكَ؛ فَصُنْ أَلْسِنَتَنَا عَنِ سُؤَالِ غَيْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى كَشْفِ الضَّرِّ وَجَلْبِ النِّفْعِ سِوَاكَ، يَا وَليَ الْعَطَاءِ وَالْإِحْسَانِ: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا آتَاكَ أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران / ٥٣].

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المستعان

## موسوعة أسماء الله الحسنی فی ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المستعان

العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله أشرف العلوم على الإطلاق، وأعظم أبواب التوحيد، وتاج أركان الإيمان، وأزكى العلوم وأعلاها، وأحسنها وأعظمها، وأفضلها وأوجبها؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وهو الله جل جلاله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] [الأنعام / ١٠٢].

وهذا العلم العظيم أشرف ما صُرفت فيه الأنفاس، وخير ما سعى في تحصيله الأكياس، وهو عماد السير إلى الله، وهو الباب الأعظم لمعرفة الله، ونيل محابه ورضاه، وهو الصراط المستقيم لكل من أحبه الله واجتبه، وقد أمرنا الله ﷻ بمعرفته، ومعرفة أسمائه وصفاته، فقال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ [١٩] [محمد / ١٩].

وقال ﷻ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٩٨].

والإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله أساس بنيان الدين، وهو من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، ومتى كان الأساس راسخاً حمل البنيان، والأقوال والأعمال بنيان الدين، وسقفه الأخلاق الحسنة مع الخالق ومع المخلوق.

فأساس أركان التوحيد والإيمان هو معرفة الله بأسمائه وصفاته، وأفعاله وخزائنه، ووعدته ووعيده، وأساس كل ذلك الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وتوحيده بها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ومتى كان الأساس قوياً حمل البنيان، وإذا تهدم شيء من البنيان سهل تداركه، وإن كان الأساس غير وثيق؛ لم يحمل البنيان، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان كله، وعلى قدر إحكام الأساس يكون علو البنيان: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٦٥] بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ [٦٦]. [الزمر / ٦٥-٦٦].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۗ﴾ [البينة/ ٥].

وأوثق أساس بيني عليه العبد بنيانه مركب من أمرين:

معرفة الله وتوحيده بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وتجريد الانقياد لله ورسوله، والقرآن كله بيان لهذا الأساس، وتوثيق له، ودعوة إلى إتقانه، والعمل به، فهو الغاية التي خلق الله الخلق من أجلها، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۗ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

وقد أمرنا الله ﷻ أن نتعلم هذا العلم العظيم، ونعتني به، ونعمل بمقتضاه؛ لعظم شأنه، وعلو مقامه، وكثرة بركاته وخيراته، فقال: ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣١].

وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَعَلَّكُمْ أَنْ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمًا﴾ [الطلاق/ ١٢].

وقد ذكر الله ﷻ في القرآن الكريم كثيرا من أسمائه وصفاته وأفعاله، وأظهرها في آياته ومخلوقاته؛ ليعرف عباده بها، ليعبدوه بموجبها، ويدعوه بمقتضاها.

وأسماء الله وصفاته وأفعاله أحب شيء إلى الله، وهي أفضل شيء في القرآن وأعظمه وأحسنه؛ لأنها صفات الخالق العظيم جل جلاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فيجب علينا تعلم هذا العلم العظيم، لأنه أساس التوحيد، وأعظم أركان الإيمان، وأعظم أصول الدين، وعليه تُبنى بيوت الإسلام الرفيعة، ومنازله العالية، وصفاته الحسنة الجميلة، ولن تستقيم حال البشرية أبداً إلا بمعرفة ربهم بأسمائه وصفاته وأفعاله،

وعبادته وحده لا شريك له، والعمل بدينه وشرعه الذي به سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الشَّرِيفُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا نَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس/ ٦٢-٦٣].

لهذا يجب علينا معرفة الكبير من الصغير، والغني من الفقير، والقوي من الضعيف، والقادر من العاجز، والملك من العبد؛ لنعبد الله بموجب هذه المعرفة العظيمة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

هو سبحانه الملك القادر المستعان الذي يعين كل أحد، ولا يطلب العون من أحد، الغني عن المعين، الغني عن الظهير، الغني عن الشريك والوزير وكل أحد: ﴿سُبْحَانَ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس/ ٦٨].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر/ ١٥].

هو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، فكل عبد يطلب منه العون على فعل الطاعات، واجتناب المعاصي، وجلب المنافع، ودفع المضار.

فله الحمد على نعمه وفضله، ورحمته وعونه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٢-٧].

وهو سبحانه الحي القيوم المستعان، الذي جميع أهل السماء والأرض محتاجون إلى الاستعانة به؛ بل لا قيام ولا حياة ولا بقاء ولا وجود إلا به: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الغني الذي يملك كل شيء، المستعان وحده لا شريك له، والخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه، لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذنه



وعلمه وعونه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

واعلم رحمك الله؛ أن المستعان هو الله وحده لا شريك له، فأهل الطاعة يستعينون به على فعل الطاعات، وترك المعاصي، فدأبهم دائماً: ﴿يَاكَ نَعْبُدُ وَيَاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة / ٥].

أما أهل المعصية، فحين ترك العاصي سؤال العون من الله على طاعته، وأعرض عن طاعة ربه إلى معصيته؛ أعانه على معصيته، فتوجه إليها بعونه، وحرمه سبحانه العون على الطاعة، فلم يتوجه إليها: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف / ٥].

فالخلق كلهم في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة؛ كلهم مصرفون في حركاتهم وسكناتهم بقدرة الله وعونه وإذنه ومشئته: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام / ١١١].

فالخلق كله، والأمر كله، والمملك كله، بيد الله وحده لا شريك له: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: ١].

والإنس والجن مصرفون في طاعاتهم ومعاصيهم بقدرة الله وعونه، إما بجنود الملائكة الهادية، أو بجنود الشياطين المضلة.

فلا طاعة ولا معصية إلا بإذن الله وعونه، ولا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله وعونه وحده لا شريك له: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنعام / ١٠٦-١٠٧].

فاللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، ولزوم طاعتك، واجتناب معصيتك، والفقه في دينك: ﴿إِنَّ هَذِهِ نَذِيرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان / ٢٩-٣١].

• وقد ورد اسم الله المستعان في القرآن الكريم مرتين:

في قوله سبحانه في سورة يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف/ ١٨).

وقوله سبحانه في سورة الأنبياء: ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء/ ١١٢).

والاستعانة: هي طلب العون من الله؛ كما قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة/ ٥).

وقد أمرنا الله ﷻ بالاستعانة بالصبر والصلاة على إقامة الدين، وإبلاغ الحق بقوله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة/ ١٥٣).

هو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، المستعان الذي يستعان به على جلب المنافع ودفع المكاره، وفعل الطاعات وترك المعاصي.

هو المستعان الذي كل عون وإعانة فمنه وحده لا شريك له، المستعان الذي يستعين به عباده؛ لما يعلمون من عظمة قدرته وقوته، وكمال لطفه ورحمته: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) (الفاتحة: ٢-٥).

وقال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنه: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ» أخرج الترمذي (١).

والله سبحانه خلق الإنسان ضعيفاً برحمته؛ ليقف بباب العبودية لربه في كل حال، ويستعين بالقوي القادر على كل شيء، المستعان الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (٦٢) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٣) (الزمر/ ٦٢-٦٣).

هو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، المستعان الذي إن كنت ضعيفاً فسألته قواك، وإن كنت فقيراً فسألته أغناك، وإن كنت مريضاً فسألته شفاك، وإن كنت عاجزاً فسألته

(١) صحيح/ أخرج الترمذي برقم (٤٢١٦).

أفدرك ﴿١٢٣﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ [هود/ ١٢٣].

هو سبحانه المستعان الذي يستعين به كل أحد، ويطلب العون منه كل أحد، ولا يستعين هو بأحد؛ لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].  
وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» أخرجه أحمد وأبو داود<sup>(١)</sup>.

الله وحده هو المستعان إذا اشتد الكرب، وادلهم الخطب، وحل الأمر الصعب، ووقع الجذب: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

الله المستعان وحده لا شريك له، إذا قل النصير، ووقع الأمر الخطير، وكذب أنبياءه، وأوذى أوليائه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ [غافر: ٥١ - ٥٢].

وضع الكفار خليله ﷺ في المنجنيق، وهدده الكفار بالحريق، فتوجه بقلبه إلى ربه المستعان، واستغاث بقلبه ولسانه: حسبنا الله ونعم الوكيل، فكان الله هو المستعان: ﴿قُلْنَا يَنَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦١﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء/ ٦٩ - ٧٠].

وكذب الكفار أنبياءه ورسله فأخذهم القوي العزيز بقوة انتقامه: ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

وأوذى محمد ﷺ، وأخرج من بلده بغير حق، وشج رأسه، وكسرت رباعيته، وجرح في وجنته، واجتمعت عليه الأحزاب من كل مكان، وسخر منه الكفار واليهود والمنافقون؛ فالله المستعان عصمه وحفظه، وأظهر دينه، وخذل أعداءه: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ

صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٥٢٢) وهذا لفظه، وأحمد برقم (٢٢١٧٢).

إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعَصْمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ [المائدة: ٦٧].

هو وحده المستعان إذا اشتد الكرب: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الأنفال: ٩ - ١٠].

هو وحده المستعان إذا ضاقت الأمور، وادلهمت الخطوب: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْرِبِينَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٦].

هو المستعان وحده لا شريك له على إظهار دينه، ونصر أوليائه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

هو سبحانه المستعان على رد كيد الأعداء: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: ٨].

هو سبحانه المستعان وحده لا شريك له، الذي ينصر أنبياءه ورسله وأوليائه: ﴿إِلَّا نَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِينَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

هو سبحانه المستعان إذا فجعت المصائب الناس، وجاعت البطون والأمهات والولائد، وأخلفت الظنون، وركب الظالمون الأكتاف، وعاثوا في الأرض فساداً: ﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١].

هو المستعان وحده لا شريك له على رد كيد الأعداء، وتدمير المخالفين المعاندين المعارضين لدينه في ملكه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

هو سبحانه القوي العزيز، المستعان على المصائب العظيمة، والفواجع الأليمة، والخطوب المدلّمة: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٧] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [١٨] [الأنعام: ١٧-١٨].

وهو المستعان وحده لا شريك له عند تفرق الإخوان، وفقد الأحباب، وموت الأصحاب والأخيار: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّا الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٢٨] ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظَرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [١٢٩] [الأعراف: ١٢٨-١٢٩].

الله وحده المستعان عند تبدل النعم، وحلول النقم، الله المستعان على فقد الولد، وقحط البلد، وضعف السند.

الله وحده المستعان إذا نزل المرض، وقلت الأمطار، وأجدبت الديار، وذبلت الأشجار، وانقطعت الثمار، وبكت عين الوحش والحيوان: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [٥٠-٥١] [الذاريات: ٥٠-٥١].

الله وحده المستعان إذا قست القلوب، وكثرت الذنوب، وظهرت العيوب، وادلهمت الخطوب: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] [الأنعام: ١٠٢].

الله وحده المستعان على كل ظلوم جبار، وعلى كل خائن غدار، وعلى كل جاحد كفار: ﴿فَصَبِّرْ بِجَمِيلٍ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [١٨] [يوسف: ١٨].

الله وحده المستعان على فتنة السراء والضراء، وفتنة العافية والبلاء، وفتنة الشدة والرخاء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨٢] ﴿فَسَبَّحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٨٣] [يس: ٨٢-٨٣].

هو المستعان وحده لا شريك له إذا تحطمت الآمال، وصاح العيال، واسود الظلام،

وكثرت الديون، وقل النصير، وضاعت الأمور: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَّرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٦٢﴾

[النمل: ٦٢].

هو المستعان وحده لا شريك له في كل حال، هو المستعان الذي فتح أبواب الدعاء، ودعا عباده لدعائه؛ لكشف كرباتهم، وقضاء حوائجهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ جِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة/ ١٨٦].

نصر أوليائه من أنبيائه ورسله وعباده المؤمنين، فماذا قال الكفار لإبراهيم ؑ؟ ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَبَجَيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾

هو المستعان الذي ينصر رسله وأنبيائه وأوليائه: ﴿وَلُوطًا ءَايَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْقَرَبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسِيقِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَا لَهُ مِنْ أَهْلِهِ مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ [الأنبياء/ ٧٧-٨٦].

هو وحده المستعان الذي يجيب كل من دعاه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

هو وحده المستعان الذي يجيب دعاء كل من دعاه واستغاث به: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ،

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْئِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ ٨٧ - ٩٠].

الله المستعان عند جهد البلاء، ودرك الشقاء، وشماتة الأعداء، واضطراب الأحوال،  
وارتفاع الأسعار، وقلة ذات اليد، ومس الجوع والفقر والمرض: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

هو سبحانه المستعان وحده إذا اشتدت الأمور، وأغلقت الأبواب، وصاح الكبار  
والصغار، وطغى كل ظالم جبار، وقلت المياه، واختفت الأقوات، وعم البلاء  
والظلام: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حُدَابًا ذَاتَ بُهْجَةٍ مَّا كَانَ  
لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ هُمْ فَوًّا يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ  
خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُ هُمْ لَا  
يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ  
أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ  
الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَلَّىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ  
ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌّ هَكَأُوذُ بُرْهَانِكُمْ ۗ إِنَّ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل/ ٥٩ - ٦٤].

فلا إله غيره، ولا رب سواه، هو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا  
به: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠ - ١٨٢].

فاعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه؛ أن الله وحده هو المستعان، وأن الاستعانة هي طلب  
العون من الله.

والإنسان وكل مخلوق موسوم بأربع صفات: فهو ضعيف، فقير، عاجز، محتاج إلى  
الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على الابتلاءات، فاستعن  
بالله أيها العبد في كل حال: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ

فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾  
[النحل: ١٢٧-١٢٨].

﴿ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ  
النُّجُومِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الطور: ٤٨-٤٩].

فمن استعان بالله أعانه الله، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره؛ وكله إلى من استعان به، فصار مخذولاً من جهة من استعان به، ليقطع رجاءه من سواه، ويعود إلى ربه ومولاه: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ ﴿٧١﴾ [النمل: ٧٩].

واعلم أن من استعان بالله فهو محمود منصور، ومن استعان بغير الله فيها لا يقدر عليه إلا الله فهو مذموم مخذول؛ ﴿ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ ﴿٢٢﴾ [الإسراء/ ٢٢].

مذمومًا: لا حامد لك، مخذولًا: لا ناصر لك.

والله سبحانه هو المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

واعلم رحمك الله أن الاستعانة بالله تقوم على أصليين عظيمين:

أحدهما: الثقة بالله وحده: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

الثاني: الاعتماد عليه وحده: ﴿ وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ﴿٥﴾ [الفاتحة/ ٥].

فالإنسان قد يثق بغيره؛ ولكن لا يعتمد عليه في أموره لاستغنائه عنه، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به، لحاجته إليه.

والله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، بيده كل شيء، وهو المستعان في كل شيء، والعبد ليس بيده شيء، وهو محتاج إلى عون ربه في كل شيء: ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٣﴾ [هود/ ١٢٣].



فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي ليس له شريك في الملك، ولا في الخلق، ولا في الأمر، ولا في الأسماء، ولا في الصفات، ولا في الأفعال! ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم / ٦٥].

هو سبحانه القوي الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

هذا هو الرب العظيم الذي يستحق أن يعبد الخلق وحده، ويكبروه وحده، ويحمدوه وحده: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافَتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١١٠] وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء / ١١٠-١١١].

## التعبد لله ﷻ باسمه المستعان

المسلم إذا عرف ربه باسمه المستعان؛ كبره، وعظمه، وأحبه، وحمده، وشكره، وأفرده بالعبادة، واستعان به، ووثق في نصره وعونه، ولم يلتفت لأحد سواه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يستعين بربه العظيم في كل حال، وأن يكون عوناً لغيره في جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، فيغيث الملهوف، ويعين المحتاج، ويعطي السائل ويحسن إلى غيره: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

فكن عوناً لأخيك؛ تغيث الملهوف، وتعين المحتاج، وتعطي السائل، واستعن بالله في كل أمر، في عبادتك، في دعوتك، في تعليمك، في إصلاح نفسك وأولادك، وفي قضاء حوائجك، وفي دفع ما يضرك.

قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

وإذا عرفت الله باسمه المستعان اطمأن قلبك إليه، ووثقت بنصرته وعونه، وتوجهت إليه بالدعاء لكشف الضر، ورفع البلاء، وفي طلب العطاء: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد/ ٢٩].

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

واعلم رحمك الله؛ أن سر الخلق والأمر، وسر الكتب والشرائع، وسر الأمر والنهي،  
وسر الثواب والعقاب، لتحقيق أمرين:

الأول: عبادة الله وحده لا شريك له.

والثاني: أن تستعين به وحده لا شريك له.

كما قال سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥].

عبادة الله وحده تدفع الرياء، والاستعانة بالله وحده تدفع الكبرياء، وقدم الله العبادة  
على الاستعانة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥].

لأن العبادة لله هي الغاية، والاستعانة بالله هي الوسيلة، فأنا أستعين بك يا الله على  
عبادتك، وتقديم المفعول به وهو إياك لإفادة الحصر والقصر، أي: أعبدك ولا أعبد  
غيرك، وأستعين بك ولا أستعين بغيرك: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُوتِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ  
٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ  
٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ [الزمر/ ٦٤-٦٦].

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ  
٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ [يس/ ٦٠-٦١].

ولما كانت عبادة الله فيها للعبد عز وافتخار، أتبعها الله بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إظهاراً  
للذل والافتقار للرب العزيز الجبار.

وقد ذكر الله ﷻ الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيها؛ لاحتياج العبد في جميع أموره  
وأحواله، وأقواله وأعماله وعباداته ومعاملاته إلى الاستعانة بالله المستعان، كما قال  
سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥].

واعلم أن قلب الإنسان يعرض له مرضان عظيمان؛ هما: الرياء والكبر، وإذا لم يتداركهما  
العبد؛ ترميا به إلى التلف، فدواء مرض الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة/ ٥].

ودواء مرض الكبر بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥].

وإذا عوفي الإنسان من مرض الرياء بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة/ ٥].

وعوفي من مرض الكبر والعجب بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة/ ٥].

وعوفي من مرض الجهل والضلال ب ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة/ ٦].

فقد عوفي من أمراضه وأسقامه كلها، ورفل في أثواب العافية، وتمت عليه النعمة: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [١٧] الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَيْنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَاءُ ﴿١٨﴾ [الزمر/ ١٨].

وهؤلاء هم المنعم عليهم الذين عرفوا الحق، واتبعوه، ودعوا إليه.

والمغضوب عليهم هم أهل فساد العمل والقصد، كاليهود الذين عرفوا الحق واستكبروا عنه، ولم يدعوا إليه.

والضالون الذين هم أهل فساد العلم، كالنصارى الذين عرفوا الحق، ثم ضلوا عنه، أو جهلوا الحق ولم يعرفوه، فهم يعمهون في الضلال، كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٣] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ [٤] إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [٥] أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [٦] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [٧] [الفاتحة/ ٢-٧].

والاستعانة جزء من العبادة، والعبادة حق الله الذي أوجهه على عباده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة/ ٢١]. وقال ﷺ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ [٥٧] إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [٥٨] [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

وكلما كان العبد بالله وأسمائه وصفاته أعرف كانت عبوديته لله أتم، وكانت الإعانة له من الله أعظم: ﴿وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤٠] الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ [٤١] [الحج/ ٤٠-٤١].

وقال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٦٦] [العنكبوت/ ٦٩].

• والناس في العبادة والاستعانة أربعة أقسام:

الأول: أهل العبادة لله، والاستعانة بالله عليها.

وهؤلاء أجل الأقسام وأفضلهم، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل، ثم من تبعهم بإحسان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢ - ٤].

الثاني: أهل الإعراض عن العبادة والاستعانة بالله.

وهؤلاء هم شر البرية، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة/ ٦].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة/ ١٦١ - ١٦٢].

الثالث: من له نوع عبادة بلا استعانة، أو باستعانة ناقصة.

فهؤلاء لهم نصيب من التوفيق والعون بحسب استعانتهم بالله، ولهم نصيب من الخذلان والمهانة بحسب قلة استعانتهم بالله ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨].

الرابع: الذين يشهدون تفرد الله بالنعف والضر، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لا يكون، ولم يدوروا ما يحبه الله ويرضاه، ومع ذلك توكلوا عليه، واستعانوا به، على حظوظهم وشهواتهم.

فهؤلاء لا عاقبة لهم، وما أعطوه من جنس الملك والمال لا يدل على الإسلام، فضلاً عن الولاية والقرب من الله ﷺ: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبأ/ ٣٧].

فاستعن بالله رحمك الله في جميع أمورك؛ يعينك، وأعن كل محتاج تقدر على نفعه، وعلم الجاهل، واهد الضال، وارحم المسكين؛ تكن ربانياً: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران / ٨].  
اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها؛ أنت وليها ومولاها.  
اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وجوارحنا من المعاصي، وألسنتنا من الكذب، وأعيننا من الخيانة، يا أرحم الراحمين.  
سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

التواب

# موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

## اسم الله التواب

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

هو التواب الذي يتوب على من يشاء من عباده، ويقبل توبته، الكريم الذي كلما تكررت توبة العبد تكرر منه القبول لها: ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة/ ١٠٤].

وهو سبحانه التواب الرحيم بعباده، الذي يسر لهم أسباب التوبة مرةً بعد أخرى بما يظهر لهم من آياته، حتى إذا عرفوا غوائل الذنوب، استشعروا الخوف من الجبار جل جلاله، فرجعوا إليه بالتوبة، فرجع إليهم فضل الله التواب بالقبول: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٤٠].

وهو سبحانه التواب على من تاب إليه من عباده المذنبين، التارك مجازاته بعد توبته بما سلف من ذنبه: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٧]. وهو سبحانه التواب الذي من رأفته ورحمته من على من شاء من عباده بالتوبة، وحبها إليه، وقبلها منه، وتاب عليه قبل أن يتوب: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة/ ١١٨].

فسبحان ربنا التواب الرحيم الذي يسر لعباده أسباب التوبة، ويتوب عليهم قبل أن يتوبوا؛ فضلاً منه ورحمة: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٧].

وقد ورد اسم الله التواب في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور/ ١٠].



واسم الله التواب من صيغ المبالغة، فالله تواب على من تاب من الذنوب العظيمة، تواب يتوب على من تكررت ذنوبه، وتكررت منه التوبة: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٩].

واعلم أن الله سمي نفسه تواباً؛ لأنه خالق التوبة في قلوب عباده، والذي يسر لهم أسبابها، والراجع بهم من الطريق الذي يكرهه إلى الطريق الذي يرضيه.

ولما كانت المعاصي متكررة من العباد، جاء بصيغة تواب، صيغة مبالغة، ليقابل الخطايا الكثيرة والذنوب العظيمة بالتوبة الواسعة الدائمة: ﴿فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر/ ٣].

فسبحان من وصف نفسه بالتواب؛ لكثرة من يتوب عليه من العباد في مشارق الأرض ومغارها في كل لحظة، ولحبه للتوبة، ولتكرر التوبة من الشخص الواحد، وتنوع الذنوب وتكرارها واختلافها: ﴿فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣].

فالصفة المشتقة من اسم الله التواب هي التوبة، والتوبة صفة فعلية لله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ١١٧].

وقال النبي ﷺ: «لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ؛ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابَ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وقد ورد اسم الله التواب مفرداً في سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسِيحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر/ ١ - ٣].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٣٦)، واللفظ له، و مسلم برقم (١٠٤٨).

واقترن اسم الله الرحيم مع اسمه التواب في القرآن الكريم تسع مرات، منها: قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

والسر في ذلك والله أعلم الإشارة إلى أن توفيق الله للعبد إلى التوبة، ثم قبولها منه، وتوبته عليه، مع استحقاقه للعقوبة ما هو إلا أثر من آثار رحمة الله بخلقه: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

واقترن اسم الله الحكيم مع اسمه التواب مرة واحدة في القرآن، بعد ذكر حد الزنا والقذف، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ [النور/ ١٠].

والسر في ذلك والله أعلم أن الله بعد أن ذكر هذه الأحكام العظيمة المشتملة على كمال رحمة الله؛ بين أنه تواب على من تاب من عباده، وأنه حكيم يضع الحكمة في موضعها، والرفق في موضعه، وفي ذلك إشارة إلى أن في هذه التوبة حكمة، وهي استصلاح الناس، وحفظ أعراضهم: ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الذِّكْرَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُبِينَةِ لِيُتَّبَعَ وَيُذَكَّرَ بِهَا وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ بِآيَاتِنَا وَلَكِنْ كُنَّا نُعَذِّبُهُمْ أَيُّهَا النَّاسُ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْكَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فسبحان الرب التواب الحكيم الذي يستر على العصاة والمذنبين والمجرمين، ثم يوقفهم للتوبة إليه، ثم يقبلها منهم؛ لكمال رحمته وبره وإحسانه! فلولا سعة رحمته ما قبل التوبة ممن عصاه، ولا وفق من شاء إليها، ولعاقبهم على تفریطهم ومعاصيهم: ﴿إِنِّي أَنزَلْتُ لَكُمْ فِيهَا لَحْمًا مِمَّا يُحِبُّونَ وَأَنزَلْنَا فِيهَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ جَارِيَةً تَفَرِّقُ بَيْنَ الْأَنْجَامِ﴾ [يونس: ٦٠].

وفي اقتران الرحيم بالتواب زوال المكروه من تبعات السيئات والآثام بالتوبة، وحصول المطلوب والمحبوب من الإنعام والإحسان بالرحمة: ﴿وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُمَّ وَجَدَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَطْلُوبُ وَالْمَحْبُوبُ مِنَ الْإِنْعَامِ وَالْإِحْسَانِ بِالرَّحْمَةِ﴾ [البقرة: ١٦٣].

هو سبحانه التواب الرحيم الذي يتوب على عباده مع كثرة معاصيهم، وعظمة ذنوبهم، وتكرارها منهم، وكثرة من يتوب عليه في كل زمان ومكان وحال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى/ ٢٥].

ولعظيم رحمته قابل الذنوب العظيمة الكبيرة، والذنوب المتكررة، بالرحمة والتوبة  
الواسعة: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّكْ بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَحْتَسِبُ  
بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ  
رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ [الحجرات/١٢].

فله الحمد والشكر أولاً وأخيراً على أسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الحميدة،  
وعظيم نعمه وإحسانه؛ ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجاثية/٣٦ - ٣٧].

وفق من شاء للتوبة، وحرك دواعي قلبه إليها، حتى قام العبد بالتوبة؛ توفيقاً من الله  
ﷻ، ثم قبل الله توبته، وعفا عن خطاياها، وحرك دواعيه للطاعات، وهياً له أسبابها،  
وصرف عنه موانعها، ثم أثابه عليها، وضاعف له أجورها: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ  
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْضُضُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾  
[آل عمران/٧٣ - ٧٤].

هو سبحانه التواب الذي يحب التوابين، ويفرح بتوبة التائبين أشد الفرح، وهو الغني  
عنهم من كل وجه، وهم المحتاجون إليه من كل وجه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ  
الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ [البقرة/٢٢٢].

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا  
﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء/٢٧ - ٢٨].  
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ [فاطر/١٥].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتُوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ  
إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَاذْهَبَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيْسَ  
مِنْهَا، فَآتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ آيسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذَا هُوَ بِهَا  
قَائِمَةٌ عِنْدَهُ فَاخَذَ بِخَطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ  
مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٧).

هو سبحانه التواب الرحيم الذي تفرّد بقبول توبة التائبين من عباده، ولا يغفر الذنوب والخطايا إلا هو وحده لا شريك له، وليس لأحد أن يقبل توبة من أسرف على نفسه إلا هو، ولا أن يغفر ويعفو عن ذنوب المذنبين إلا هو وحده لا شريك له: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر/ ٥٣].

فسبحان من لا يغفر الذنوب إلا هو وحده لا شريك له: ﴿فَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة: ٣٩].

وهو سبحانه التواب الحكيم الذي لا يعاجل أهل المعاصي بالعقوبة؛ بل يمهلهم ليتوبوا إليه، الحكيم الرحيم الذي لا يفضح أهل الذنوب ابتداءً؛ بل يسترهم، ليكون ذلك عوناً لهم على التوبة، والرجوع إلى الله، ولولا فضل الله ورحمته؛ لعاجلهم بالعقوبة، وفضح مخازيهم بين عباده، وكشف مساويهم للناس: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النور: ١٠].

فسبحانه من عظيم ما أكرمه! ومن كريم ما أجوده! ومن تواب ما أرحمه! ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام/ ٥٤].

هو سبحانه التواب الرحيم الذي لم يعاملنا بعدله فنستحق النار، ولكنه عاملنا برحمته؛ ليؤهلنا لدخول الجنة: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٧-٢٨].

فسبحان التواب الرحيم الذي يربي عباده، ويحسن إليهم، ويراقبهم بسمعه وبصره، وعلمه وإحاطته، ويحاسبهم على كل حركة وسكون؛ ليكرمهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة، ويطهرهم من الذنوب والخطايا: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الرقيب الشهيد لكل ما في الكون من الذرات والنسمات، والمخلوقات والمجرات، هو مع كل إنسان في جميع أوقاته وأحواله.  
وكل شأن فيه الإنسان الله معه شأن يقابله.

فإذا كان شأنك الإحسان؛ فشأنه الإكرام جل جلاله، وإن كان شأنك العدوان؛ فشأنه العقاب: ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفُورَ الرَّحِيمَ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الحجر/ ٤٩ - ٥٠].

وإن كان شأنك الإقبال؛ فشأنه التجلي، وإن كان شأنك الإعراض؛ فشأنه التأديب: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّتْ رِيبِكُمْ لِيَنَّ شُكْرَتُكُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلِيَنَّ كُفْرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم/ ٧].

هو سبحانه التواب الرحيم الذي يسوق الشدائد لمن عصاه؛ ليحمله على التوبة إليه، والانكسار بين يديه.

فسبحان التواب الحكيم الذي لو ترك الخلق على معاصيهم لهلكوا؛ لكنه الرحيم الذي يسوق الشدائد إليهم؛ لعلهم يتضرعون إليه، فيتوب عليهم: ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام/ ٤٣].

واعلم أنه إذا جاءت توبة الله قبل توبة العبد؛ فتعني الشدائد والمصائب التي يسوقها الله للعبد؛ ليتوب إلى ربه: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [التوبة/ ١١٧].

وإذا جاءت توبة الله بعد توبة العبد؛ فتعني قبوله سبحانه توبة عبده: ﴿ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [المائدة/ ٣٩].

فسبحان التواب الرحيم الذي يحب عباده، ويفرح بتوبتهم، ويجب لهم كل خير. وهم في العناية الإلهية، من أطاعه منهم زاده إيماناً وتقوى، وهدى وثواباً: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ

يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

ومن عصاه منهم ابتلاه بالمصائب ليتوب إليه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

هو العزيز الكريم الذي يمن بالهداية على من يشاء، فيأتيه محبباً راغباً؛ لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه، أو يأتيه راغباً بحمله على التوبة إليه بالشدائد والمصائب التي أرسلها الله له رحمةً به: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ [التغابن/ ١١].

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

واعلم أن التوبة واجبة على كل عبد من جميع الذنوب: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيَّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٣١﴾ [النور: ٣١].

وأفضل الناس أكثرهم قياماً بها، وتكراراً لها، وإذا تحلى عنها العبد صار ظالماً؛ لشدة تقصيره، وإسرافه على نفسه.

وأكثر الناس توبة هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكان النبي ﷺ يستغفر الله في المجلس الواحد سبعين مرة، وفي رواية: مائة مرة.

والناس اثنان: تائب وظالم: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الحجرات/ ١١].

فالظالم هو الكافر إذا لم يتب، والعاصي إذا لم يتب، والتائب هو المؤمن الذي تاب إلى ربه من معاصيه وذنوبه؛ ولهذا وصف الله المؤمنين الذين اشتراهم بأعظم الصفات، وأولها

التوبة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ [التوبة/ ١١٢].

وكلما وقع العبد في معصية فقد فارق فطرة الإسلام بقدر عمدته وخطئه، وكبر ذنبه وصغره، وإصراره عليه، وإشهاره بين خلقه، فإن تاب تاب الله عليه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

فسبحان الله التواب الرحيم الذي يتوب على من يشاء بالتوفيق للتوبة، فإذا تاب العبد المذنب قبل توبته، وعفا عن سيئاته: ﴿فَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٩].

فإن كان التائب صادقاً في توبته تاب الله عليه، وغفر ذنوبه، وعفا عن سيئاته، وبدل سيئاته حسنات ثم ضاعفها له؛ لأنه الكريم الرحيم: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [٦٩] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [٧٠]. [الفرقان/ ٦٨ - ٧٠].

واعلم زادك الله معرفةً بأسماؤه، وصفاته، وأفعاله، وآياته، ومخلوقاته أن الله أوجد التوبة على مسالك حكمته، وطرقات سنته، فكما يرجع سبحانه الليل بعد النهار، ويرجع النهار بعد الليل، ويرجع الحياة بعد الموت، ويرجع الموت بعد الحياة، كذلك من أذنب ثم تاب تاب الله عليه، فإن عاد تاب عليه، فإن عاد تاب عليه؛ لأنه التواب الرحيم بخلقه، غافر الذنب، وقابل التوب، واسع الرحمة، واسع المغفرة: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر/ ٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، فَعَفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ، وَرُبَّمَا قَالَ: ثُمَّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ. فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، فَعَفَرَ لَهُ، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْبًا آخَرَ، وَرُبَّمَا قَالَ: ثُمَّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا

آخَرَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا آخَرَ فَأَغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، عَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ « متفق عليه<sup>(١)</sup> .

واعلم رحمك الله أنه لا بد للعباد من الذنوب؛ ليظهر مقتضى اسم الله التواب لهم، ولا غنى لهم عن توبة الله عليهم، ثم لا بد لهم من العودة إلى المعصية، ثم يرجعهم التواب الرحيم إليه بالتوبة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

فالعود والبدء سنته في خلقه العظيم، وتدبيره الحكيم: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر/ ٤٣].

فسبحان التواب الرحيم بعباده الذي رحمته على قدر شأنه جل جلاله.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

• واعلم زادك الله إيماناً وتقوى أن أفعال الله ﷻ تنقسم إلى قسمين:

الأول: أفعال لازمة: تتعلق بذات الله سبحانه فقط، كالاتواء على العرش، والنزول كل ليلة إلى السماء الدنيا، والمجيء يوم القيامة لفصل القضاء، ونحو ذلك: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

الثاني: أفعال متعدية: تتعلق بال مخلوقات، كالخلق والرزق، والعتاء والمنع، وأنواع التدبير والتصريف، والتوبة والرحمة والمغفرة، ونحو ذلك: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [٢٧] يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا [٢٨] [النساء/ ٢٧-٢٨].

والله سبحانه تواب يحب التوابين؛ لما في قلوبهم من انكسار الخجل، والحياء من الله، والقرب من الله ﷻ، والشعور بألم الذنب، وهذه حقيقة العبودية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٥٠٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٥٨).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٩).



والله سبحانه خلق الإنسان، وجعله خليفةً في الأرض، ولو لم يكن باب التوبة مفتوحاً؛ لفسدت الأرض، ولتضاعفت الذنوب، وحصل اليأس: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٩].

والله سبحانه هو الرب الذي يربي عباده بما يصلحهم، فلو كانت حياة المسلم كلها طاعات بلا معاصي؛ فسوف يُصاب هذا الإنسان بالعُجب والغرور ورؤية النفس، كما حصل من إبليس، فإنه أُعجب بعبادته فكفر، وقال لربه: أنا خير منه؛ يعني: آدم ﷺ، وآدم أُخرج من الجنة عندما أكل من الشجرة، ثم تاب؛ فتاب الله عليه: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة/ ٣٧].

والطاعات تجعل المسلم يدخل على ربه دخول الملوك على الملوك، والمعاصي تجعله يدخل على ربه دخول العبيد على الملوك، مستحياً من ذنبه، خاضعاً منكسراً متذللاً، وذلك أحب إلى الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك/ ١٢].  
والله سبحانه اخرج آدم ﷺ من الجنة إلى الدنيا؛ ليذُر فيها بذور الإيمان والتقوى، والأخلاق الكريمة، ويصلح فيها، ثم سيعود إلى الجنة مع من آمن بالله ﷻ.

فالله سبحانه خلق الجنة لآدم، ولأنبيائه ورسله، ومن آمن بهم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة/ ٣٠].  
وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [١٠٧] خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف/ ١٠٧-١٠٨].

والله سبحانه تواب رحيم، ومقتضى عدله أن يترك العبد يفعل ما يشاء، ثم يحاسبه يوم القيامة؛ لكن الله برحمته هدى العاصي إلى التوبة من ذنبه بابتلاء أو مصيبة، فلكمال رحمته سبحانه يريد ربك أن تذهب إليه راکضاً، ومسارعاً إلى فعل الخيرات، أو يأتي بك إليه راکضاً، وألم الذنب شديد لا يذهب إلا بالتوبة، وفعل الذنب يورث الخجل من الله ﷻ، والتواب سبحانه يقول لعبده المذنب: افعل حسنةً تذهب عنك الخجل، وأتبع السيئة

بالحسنة تمحها: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكِرِينَ ﴾ [هود/ ١١٤].

واعلم حفظك الله أن شهر رمضان شهر الطاعات والمغفرة، والصبر والتوبة: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبٌ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة/ ١٨٣].

هو سبحانه التواب الذي يعود بأصناف إحسانه وإنعامه على من تاب إليه، ورجع إليه، فالتوبة في حق العبد هي عودته إلى الطاعة والعبودية بعد الإباق.

والتوبة في حق الرب هي عودته سبحانه إلى الإحسان اللائق بالربوبية بقبول توبة من تاب إليه، وتوفيقه للطاعات: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء/ ٦٤].

فسبحان التواب الذي يحب التوبة، ويفرح بتوبة التائبين في كل حين، ويقبل الله توبة التائبين ما لم تغرغر النفس بالموت، أو تطلع الشمس من مغربها: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِمِغَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [١٧] وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء/ ١٧-١٨].

وعن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَّغْرِبِهَا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومهما بلغت المعاصي والذنوب فالله تواب على من تاب إليه، مهما كانت ذنوبه، ومهما عظمت ذنوبه، ومهما تكررت ذنوبه: ﴿ قُلْ يٰعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَاسَرُفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر/ ٥٣].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٩).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَاتَّاهُ فَقَالَ إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً.

ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنْاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ.

فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ.

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ. فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَذْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فلا إله إلا الله ما أعظم رحمة الله بعباده: ﴿إِنِ اللَّهُ بِالتَّكْوِينِ لَهِدًى وَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والأنبياء والرسل أكثر الناس توبةً واستغفاراً؛ لعلمهم بعظمة ربهم، وما يجب له. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>.

وعن الأغر المزني رضي الله عنه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان هذا فعل سيد الخلق الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فماذا يجب على

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٤٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٦).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

غيره من الاستغفار والتوبة: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

واعلم رحمك الله أن الله تواب رحيم، يجب كل من يتوب إليه، ويتطهر له، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].  
بل يفرح بتوبة عبده المذنب أشد الفرح؛ لكمال رأفته ورحمته بخلقه.

قال النبي ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فأنفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك؛ إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك. أخطأ من شدة الفرح» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

والأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أكمل الخلق عبودية الله، وأكثرهم توبة واستغفاراً؛ لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له، خاصة سيدهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ الذي كان يقول: «إِنَّهُ لِيَعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

ورسولنا محمد ﷺ أكمل الخلق، وأكرمهم على الله، والمقدم على الخلق كلهم في جميع أنواع الطاعات والعبادات، وكان أصحابه يعدون له في المجلس الواحد مائة مرة قبل أن يقوم: «رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ» أخرجه أبو داود والترمذي<sup>(٣)</sup>.

والنبي ﷺ أفضل المحبين لله، وأفضل المتوكلين عليه، وأفضل العابدين له، وأفضل الداعين إليه، وأفضل التائبين إليه؛ ولهذا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۗ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيَتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح/ ١-٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٤٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٠٢).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥١٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤) وهذا لفظه.

وبهذه العبودية التامة، والأخلاق العظيمة، أعطاه ربه الوسيلة، وأكرمه بالشفاعة الكبرى يوم القيامة: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

فتب رحمك الله إلى ربك التواب الرحيم، واستغفره في كل وقت، وبعد كل عمل لا يجب الله، وبعد أداء الفرائض والواجبات والسنن التي أمر الله ورسوله بها.

واعلم أن الغفلة عن الله تؤدي إلى ترك الواجب والمستحب، واقتحام المحرم والمكروه، فذكر وتذكر: ﴿وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٠٥].

والتقصير حاصل في كل عمل في حينه ووقته وشكله، والإخلاص عزيز، والرياء معترض قاطع للثواب والعمل الواجب دون الطاقة المعطاة من الله للعبد؛ من عبادة وإحسان، ودعوة وتعليم، وجهاد وإنفاق، فنستغفر الله ونتوب إليه من كل تقصير وتأخير، وقلة إخلاص: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

## التعبد لله ﷻ باسمه التواب

اعلم أن الذنوب تتراكم على العبد، والمعاصي تجتمع عليه؛ ولهذا أمر الله رسوله ﷺ بالتسبيح والحمد والاستغفار فقال سبحانه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر/ ١-٣].

واعلم أنه كما لا بد من الأغسال المتكررة لإزالة الأوساخ من الأجسام؛ كذلك لا بد من التوبة المتكررة لإزالة آثار الذنوب والآثام من القلوب؛ ولهذا قرن الله بينهما في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

فعليك أيها العبد بالتوبة النصوح من الذنوب كلها مهما كانت، ومهما عظمت، ومهما تكررت، فإن ربك واسع المغفرة، فإذا أحكمت التوبة بالإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم العود إليه، ورد المظالم إن كانت؛ فقابل ذنوبك بما يزيل وحشتها من العمل المصلح لها، واشكر ربك الذي هدأك للتوبة منها، وقبلها منك: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة/ ٣٩].

فإذا أنبت إلى الله، وأنست بقربه ولذة عبادته؛ فاذا كثرة المذنبين والغافلين والعصاة، وادع الله أن يغفر لهم، ويتوب عليهم، وذكرهم بالله، وما يجب لله: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى نَفْعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات/ ٥٥].

واعلم أن من عرف الله حقاً كبره حقاً، وأحبه حقاً، واستغفره حقاً: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

وادع إلى الله في جميع الأوقات، وادع كل إنسان إلى ما يجب ربك ويرضاه؛ لعل الله يتوب على الكافر بسببك فيسلم، وعلى العاصي فيطيع، وعلى الضال فيهتدي، وعلى الغافل فيتذكر، وعلى الجاهل فيتعلم، فالله يحب التوابين، وهو أشد حبا لمن يكون سبباً لعودة عباده الشاردين عنه إليه بالتوبة: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

واعلم أسعدك الله في الدنيا والآخرة أن للتوبة وقتاً لا تقبل إلا فيه، فبادر إلى التوبة

النصوح قبل أن يفاجئك الموت وأنت على ذنوبك مقيم: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء/ ١٧].

وإياك أن تؤخر التوبة، ثم تتوب إذا رأيت علامات الموت؛ فإن الله لا يقبلها إلا بشروطها في وقتها: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء/ ١٨].

• وتوبة العبد إلى ربه تتضمن ثلاثة أمور:

الماضي.. والحاضر.. والمستقبل.

فالندم على الذنب في الماضي، والإقلاع عن الذنب في الحاضر، والعزم على عدم العودة إليه في المستقبل.

أما الاستغفار فهو عن ذنب وقع في الماضي، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء/ ١١٠].

والله سبحانه يحب التوبة والتوابين، ويفرح بتوبة عبده وهو الغني عنه؛ لكمال رأفته ورحمته بعباده.

والواجب على كل من عرف ربه باسمه التواب أن يجبه كل الحب، ويحمده ويشكره، ويثني عليه بما هو أهله، وأن يرجع إليه بالتوبة من ابتعد عنه من خلقه بالمعاصي: ﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

وحظ العبد من اسم الله التواب أن يتوب على من أخطأ في حقه، ويستر زلة من زل من إخوانه، ويحسن إليهم ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا الذُّنُوبَ بِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٥].

ومن عرف ربه باسمه التواب أحبه واستحيا منه، وحمده وشكره، وكبره وعظمه، واستأنس به، واستوحش من غيره، وأكثر من الثناء عليه، وأقبل على طاعته، واستغفر من ذنبه، ولم ييأس من روجه؛ لما يراه من آثار أسائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه، وسعة رحمته ومغفرته: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٥/ غافر].

وحين يرى العبد آثار اسم الله التواب على الخليقة؛ فعليه أن يتوب إلى ربه في كل حين، من كل ذنب، فكلما أحدث ذنباً أحدث توبة حتى يلقي ربه.

ومن منا لم يذنب عن طريق لسانه، أو سمعه، أو بصره، أو فكره، أو جوارحه؟ ولحاجة العباد إلى التوبة في كل حين؛ أمرهم الله بها، وذكرهم بها، فأمر بها أمراً جازماً مطلقاً في الزمان والمكان والحال، فقال سبحانه: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٣١/ النور].

وأخبر سبحانه أن من لم يتب فهو ظالم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات/ ١١].

وقال النبي ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله تعالى؛ فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

وإذا كان التواب سبحانه يقبل التوبة عن عباده بعد اجترائهم عليه بالمعاصي والفواحش؛ فحري بالمؤمن أن يقبل معاذير المجرمين، ويعفو عن زلاتهم، ويصفح عن مسيئتهم: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُونَ﴾ [الشورى/ ٢٥].

فيا عبد التواب صل من قطعك، وأعط من حرملك، واعف عن ظلمك، وأحسن كما أحسن الله إليك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ [٣٤] وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ [٣٥] [فصلت: ٣٣-٣٥].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٧).



ومن زلت به القدم، ووقع في المعصية؛ فليذكر أن ربه تواب غفور رحيم، عفو كريم:  
﴿ نَجَىٰ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٤٩ ﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ [الحجر: ٤٩ - ٥٠].

فيتوب إلى ربه، ولا يقنط من رحمته، بل يحسن الظن بربه الذي يغفر الذنوب جميعاً مهما كانت، كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ يَعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَعَثَةً وَأنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ [الزمر/ ٥٣ - ٥٥].

وعلى العبد المذنب إذا تاب إلى ربه أن يكثر من الأعمال الصالحة؛ لأنها من أسباب الحصول على مغفرة السيئات: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكِّرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود/ ١١٤].

وقال ﷺ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه/ ٨٢].

ومن حسن الظن بالله ﷻ: الإقبال على طاعته، والبعد عن معصيته: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [البقرة/ ٢١٨].

فمن أحسن الظن بربه أطاعه ولم يعصه: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ ﴾ [النحل/ ١١٩].

والتوبة إلى الله ﷻ مطلوبة من جميع المؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور/ ٣١].

وهي في حق المجرمين والفساق والعصاة والمشركين والكفار أكد، كما قال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الفرقان/ ٦٨ - ٧١].

لهذا يجب علينا وعلى جميع العصاة التوبة من جميع الذنوب، التوبة من النفاق والكبر

والحسد، التوبة من جميع الفواحش ما ظهر منها وما بطن، التوبة من فاحشة الزنا، وأكل الربا، وقتل النفس بغير حق، التوبة من الغيبة والنميمة، التوبة من السرقة والرشوة، والتوبة من أكل أموال الناس واليتامى بالباطل، التوبة من تعاطي الخمر والفجور، التوبة من سماع الأغاني وآلات العزف والطرب، التوبة من ترك الصلاة أو تأخيرها عن وقتها، التوبة من البخل وعدم إخراج الزكاة، التوبة من ظلم الناس، من ظلم الزوجة، من ظلم الفقراء، والمحتاجين، ومن ظلم الأولاد، التوبة من الغفلة عن الله، التوبة من إضاعة الأوقات، فهؤلاء وغيرهم مأمورون بالتوبة إلى الله ﷻ: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٣٩].

وباب التوبة مفتوح لكل الناس: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور/ ٣١].

ومن رحمة الله أنه يتودد لمن أشرك به وعصاه أن يتوب إليه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٧٤].

يا عبد التواب مهما بلغت ذنوبك، ومهما بعدت عن ربك، ومهما أسرفت على نفسك بالمعاصي؛ فربك الرحمن الرحيم، يناديك لتتوب إليه: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/ ٥٣].

• واعلم يا عبد التواب أن شروط التوبة سبعة؛ وهي:

الأول: الندم على فعل الذنب.

الثاني: الإقلاع عنه فوراً.

الثالث: العزيمة على أن لا يعود إليه.

الرابع: إصلاح ما أفسدت، ورد ما أخذت بغير حق.

فإن اغتبت أحداً فامدحه في المجالس التي اغتبت فيها، وإن أخذت شيئاً من الأموال بغير حق فأرجعه إلى صاحبه.

الخامس: أن تكون التوبة خالصة لله ﷻ.

السادس: أن تكون التوبة في وقتها قبل حضور الموت.

السابع: أداء الأمانة كما أمر الله ورسوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۗ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعُنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة/ ١٥٩ - ١٦٠].

إلا الذين تابوا من بعد ما ظلموا، وأصلحوا ما أفسدوا، وبيّنوا ما كتموا: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ ۖ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة/ ٣٩].

وعلى المسلم أن يتوب إلى ربه توبةً نصوحًا، والتوبة النصوح هي التي لا رجعة بعدها إلى الذنب، كما قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ۗ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا نُورًا ۗ وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحریم/ ٨].

والتوبة النصوح هي التي يتبعها التائب بالطاعات: ﴿وَمَا ءَانَاكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأْتُوهُ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾ [الفرقان/ ٧١].

فسارع إلى التوبة، وكرر التوبة تعبدًا لله؛ لأن الله يحب التوابين، ويفرح بتوبة التائبين، ويفرح أشد الفرح بمن يكون سببًا لتوبة التائبين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت/ ٣٣].

وقال ﷻ: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

فعلينا جميعًا أن نتوب إلى الله توبةً نصوحًا من جميع الذنوب، ونبادر إلى كل عمل يحبه الله ورسوله، ونجتنب كل عمل لا يرضاه الله ورسوله؛ ليحصل لنا الفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُكْرِمُونَ الْمُحْسِنُونَ الْفَائِزُونَ الْمُقَدِّمُونَ الْمُؤَدِّمُونَ الْمَخْلِفُونَ الْأُولَادُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

والله تواب رحيم، من تاب إليه تاب عليه، ومن تقرب إليه تلقاه بالفرح، ومن أعرض عنه ناداه ليتوب عليه، ويغفر له، فنستغفر الله ونتوب إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَىٰ

النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ [يونس: ٦٠].

وإذا عرف الكفار والعصاة كريم صفاته سبحانه، وجميل إحسانه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة/ ٧٤].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].  
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي، فَاعْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجہ البخاري (١).

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا برحمتك شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، نستغفرك اللهم من جميع الذنوب ونتوب إليك.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا واغفر لنا إنك أنت التواب الرحيم.  
﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجہ البخاري برقم (٦٣٢٣).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الرقيب

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الرقيب

الله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

الله جل جلاله هو الرقيب الحق، المطلع على جميع ما في ملكه العظيم من الذرة إلى المجرة، الرقيب الذي يراقب جميع خلقه في جميع أحوالهم، فلا يسترهم منه شيء، الرقيب الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢].

وهو سبحانه الرقيب الحافظ لكل شيء، الذي يحفظ عباده ويجرسهم مما يضرهم، ويحميهم مما لا يحبه ولا يرضاه: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود/ ٥٧].

وهو سبحانه الرقيب الباقي ذو البقاء الدائم والشهود الأعلى، والحفاظة المحيطة بكل شيء، والعلم المحيط بكل شيء، والرقابة التي أحاطت بكل شيء: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء/ ١].

وهو سبحانه الرقيب العليم بكل شيء، المطلع على ما أكتته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الحافظ الذي لا يغفل ولا يغيب عما يحفظه، الذي حفظ جميع المخلوقات، وأجراها على أحسن نظام، وأكمل تدبير: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الرقيب على كل شيء، الرقيب الذي يعلم بجميع أحوال الخلق، ويعد أنفاسهم، ويحصى كلماتهم، وأعمالهم، وخطواتهم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم أن الإنسان كله مكشوف أمام ربه، بل كل ذرة في ملكه مكشوفةً للذي خلقها جل جلاله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨].

فالإنسان الذي تحمل الأمانة مكشوف أمام ربه في كل أحواله.

في بيته مراقب، وفي سوقه مراقب، وفي عمله مراقب، وفي حضره مراقب، وفي سفره مراقب، وفي جلوته مراقب، وفي خلوته مراقب: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة/ ٧].

وإذا علم الإنسان أن ربه يراقبه خاف منه، واستحيا منه، ولزم أمره، وأحسن عمله؛ فسعد في الدنيا والآخرة: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنْتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ٩]. وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيَابَتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦٠ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون/ ٥٧ - ٦١].

فسبحان الرقيب الحفيظ الذي لا يغفل، الرقيب الحاضر الذي لا يغيب، الرقيب العليم الذي لا يخفى عليه شيء: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٦ أَلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ٧﴾ [السجدة/ ٦ - ٧].

وإذا علم العبد أن ربه يراقبه خاف مقام ربه، ووصل إلى مقام الإحسان، فعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ٤٦﴾ [الرحمن/ ٤٦]. ومن خشى ربه اتقاه، وفاز برضاه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١٢﴾ [الملك/ ١٢].

ومن علم أن الله يراقبه أطاعه ولم يعصه، ولم يكذب، ولم يظلم، ولم يسرق، ولم يزن، ولم يغش، ولم يغترب، ولم يفجر: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

وقد ورد اسم الله الرقيب في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ منها: قوله سبحانه: ﴿لَا يَحِثُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعَجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ۝٥٢﴾ [الأحزاب/ ٥٢].

واسم الله الرقيب الصفة المشتقة منه الرقابة، وهي من صفات الله الذاتية.

فهو سبحانه الرقيب الذي يرى ويسمع جميع مخلوقاته، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، الرقيب المطلع على كل شيء، الذي يعلم الجهر وما يخفى، العليم بالسر والنجوى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣﴾ [الأنعام/ ١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك: ١٣-١٤].

هو سبحانه الرقيب الذي يراقب جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي الكبير منها والصغير، العالي والسافل، في آن واحد، ورقابته لمخلوقاته عن استعلاء وفوقية، وقدرة وصمدية: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

هو سبحانه الرقيب على كل شيء بعلمه الواسع، المقدس عن النسيان، الرقيب على المبصرات ببصره المحيط بكل شيء، الرقيب للمسموعات بسمعه المدرك لكل شيء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٥﴾ [الأنعام/ ٥] هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦﴾ [آل عمران/ ٥-٦].

هو سبحانه الرقيب الذي أحاط بكل شيء علماً، وسمعاً، وبصراً، وكل مخلوقاته تحت قدرته ورقابته، الكلديات والجزئيات، والذرات والمجرات، الظاهرات والخفيات: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝٢٢﴾ [البقرة/ ٢٢] هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾ [البقرة/ ٢٣] هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

فسبحان الرقيب المطلع على ما في الضمائر، العليم بما أكتته السرائر، الخبير بما لحظته العيون، وما أخفته الصدور، الرقيب الذي أحصى على خلقه كل قول أو فعل، وكل صغيرة وكبيرة: ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦﴾ [السجدة/ ٦].

واسم الله الرقيب قد جاء في القرآن مفرداً، لم يقترن به أي اسم من أسماء الله الحسنى، كما



قال سبحانه عن عيسى ﷺ أنه قال: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة/ ١١٧].

وسر ذلك والله أعلم أن الرقيب اسم جامع، فالله رقيب مطلع على الأحوال الظاهرة والباطنة، مطلع على السر والعلانية، حافظ لخلقه، يحفظ جميع أقوالهم وأفعالهم، وحركاتهم وسكناتهم.

هو سبحانه الرقيب الذي يراك حين تأكل وتشرب، ويراقبك حين تتكلم أو تسكت، وحين تسمع، وحين تنظر، وحين تعدل أو تظلم، ويراقبك حين تعطي أو تأخذ، وحين تحسن أو تسيء، ويراقبك حين تعفو وتسامح، وحين تبكي أو تضحك، وحين تقول أو تفعل، وحين تغش أو تخون، وحين تتقي أو تفجر، وحين تطيع أو تعصي: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء/ ١].

فسبحان ربنا الرقيب العليم بكل شيء، البصير بكل شيء، السميع لكل شيء، الخبير بكل شيء: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر/ ١٩].

هو سبحانه الرقيب العليم الخبير بكل شيء: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

واعلم أحسن الله إليك أن رقابة الرقيب للعبد رقابة لطيفة، رقابة تبعث السرور في القلب؛ لأنها رقابة للحسنات والسيئات، رقابة تدفعك لفعل الطاعات، واجتناب المعاصي.

ومن رحمة الله بك أنك لا ترى الرقيب، ولا المراقبين من الملائكة، وهي رقابة عناية لا تشعر بك بأنك مراقب، وذلك من رحمة الله بك.

أما رقابة البشر لك فهي رقابة مزعجة تجعلك تشعر بالخوف والقلق؛ لأنك ترى من يراقبك من إنسان أو آلة.

واعلم أن اسم الله الرقيب متضمن لأسماء الله الحسنی؛ فالرقيب لا بد أن يكون حيًّا، سميعًا، بصيرًا، عليًّا، قادرًا، محيطًا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [٨].

[طه/ ٨].

فسبحان الرقيب الذي يراقب عبده لكي يحفظهم، ويحفظ أعمالهم؛ عنايةً بهم، وحرصاً عليهم؛ لئلا يقعوا فيما يكره الله، فهو الرقيب الذي لا يغيب: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَنْتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

واعلم أن المؤمن الصادق حقاً يرى أن الله معه يراقبه ويراقب عمله، ويحفظه ويحفظ أعماله، أحواله مع ربه لا توصف، ومناجاته لا تنقطع، يتزين قبل أن يصلي؛ لأنه سيقف بين يدي ربه جل جلاله، ويحسن صوته بالقرآن إذا قرأ؛ لأنه يعلم أن الله أول من يسمعه، ويكرم الناس؛ لأنه يعلم أن هؤلاء عبيد ربه، ويستحيي أن يكون في حال يُعْتَدَرُ منها؛ لأنه يعلم أن ربه يراه ويعلم ما في قلبه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْتَهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وإذا علم العبد أن ربه يراقبه؛ وصل إلى مقام الإحسان، فعبد ربه كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وكلما ازداد العبد مراقبةً لله؛ كان أكثر ورعاً، وأكثر تقوى، وأكثر حياءً، وأكثر حباً وتعظيماً وتكبيراً وذلاً لله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون/ ٦٠-٦١].

وهو سبحانه الملك العظيم القادر على كل شيء، القاهر فوق عباده، الرقيب على كل المخلوقات في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي عالم الغيب، وفي عالم الشهادة، وفي عالم الدنيا، وفي عالم الآخرة: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٧٠﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ﴿٧١﴾ إِنَّ ذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج: ٧٠].

هو الرقيب على المبصرات كلها ببصره، الرقيب على المسموعات كلها بسمعه، الرقيب الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، المحيط الذي أحصى كل شيء عدداً: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِنَ النُّجُومِ سَاقِطًا فَلْيَأْتُوا رَبَّهُمْ وَاسْتَشْفِعُوا بِهٖ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام/ ٥٩]. فسبحان الملك الحق، والإله الحق، العليم الرقيب على كل ما في هذا الكون العظيم،

الشهيد لكل ذرة في الملك والملكوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾  
 ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾  
 [آل عمران: ٥ - ٦].

هو العليم القادر القاهر الرقيب الذي يستوي عنده الصغير والكبير، والقريب والبعيد،  
 والظاهر والباطن، والكليات والجزئيات، والأسرار والخفيات: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ ۗ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾  
 [الأنعام: ١٠١].

وجميع الخلائق في هذا الملك العظيم، والملكوت الكبير، كلهم قائمون بأمر الله، قانتون  
 له، خاضعون لهيبته، خاشعون لعظمته، مستجيبون لمشيئته، مسرعون إلى إرادته.  
 والكل يشهد بوحدانيتها، ويعبده ويسبح بحمده بفطرته: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ  
 وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۚ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾  
 [الإسراء/ ٤٤].

وكل مخلوق من مخلوقات ربنا العظيم مراقب له، قانت له، يسبح بحمده، وينتظر متى  
 ينزل عليه الأمر من رقيه جل جلاله فيمثله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
 الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا  
 يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل/ ٤٩ - ٥٠].

فالإنس والجن يمثلون أوامر ربهم الشرعية، وبقية المخلوقات مسخرة بأوامره  
 الكونية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ  
 يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ  
 تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فهو جل جلاله الملك الحق الذي له الأوامر الكونية، والأوامر الشرعية، والأوامر  
 الجزائية: ﴿هُوَ الْحَيُّ ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ۗ الَّذِي الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

فسبحان الرقيب الشهيد الحق الذي يراقب ويشاهد جميع ذرات العالم العلوي والسفلي  
 كلها في آن واحد، الحفيظ لجميع أجزائها، العليم بحركاتها وسكناتها، الشهيد للظواهر

والبواطن: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (٨) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ [الرعد/ ٨ - ٩].

والله جل جلاله هو الملك القوي القادر على الخلق، والتأليف، والتجميع، والتخطيط، والتصوير، والتدبير، والتشكيل، وتقسيم جميع الهبات، والأرزاق، والأخلاق، والأعمال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَلَّهِ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣].

يخلق ويرزق، ويحيي ويميت ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، ويهدي ويضل، ويقدم ويؤخر، ويسط ويقبض، ويفعل ما يشاء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦١) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ [آل عمران/ ٢٦ - ٢٧].

وهو الرقيب سبحانه على الكون كله، يدبره بأحكام ملكوتية نازلة إلى قوى ملكية، بأوامر جبروتية، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٤) فَسَبَّحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس/ ٨٢ - ٨٣]. فسبحان من بيده وحده الأوامر الملكية، والشرعية، والجزائية، وجميع هذه الأوامر صادرة من ربك الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر.

لخلق ما أراد خلقه، ورزق ما أراد رزقه، ونصر من أراد نصره، وتثبيت ما أراد تثبيته، وهدى من أراد هدايته، ومحو ما أراد محوه: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ (٣٨) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ [الرعد/ ٣٨ - ٣٩].

والكل ملكه، والكل يجري بأمره، والكل تحت قبضته وقهره: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سَبَّحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر/ ٢٢ - ٢٤].

وهو سبحانه الرقيب المحيط بكل شيء، استوى في حقه القريب والبعيد، والساكن والمتحرك، والحي والميت، والظاهر والباطن، والكبير والصغير، الكل معلوم له، والكل مشهود له، والكل مرقوب له: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج / ٧٠].

فلا إله إلا الله! ما أعظم شأنه! وما أعز سلطانه! وما أوسع علمه! وما أعظم قدرته! وما أوسع رحمته! ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

أفقر كل مخلوق إليه، وسبح بحمده بين يديه، وشهد على نفسه بالذلة بين يديه، فما من ذرة، ولا جماد، ولا نبات، ولا حيوان، ولا إنسان، ولا ملك، ولا شيء، إلا والله رقيب عليه، وهو مراقب لرقيه الحق، يسبح بحمده، ويشهد بوحدانيته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور / ٤١].

وجميع مخلوقاته ساجدة لعظمته، متصاغرة لكبريائه، خاضعة لأمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج / ١٨].

واعلم رحمك الله أن الإنسان أكرم المخلوقات على ربه؛ ولهذا خلقه الله بيديه من بين المخلوقات كلها، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وأكرمه وفضله على كثير من المخلوقات: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء / ٧٠].

وقد فضل الله ﷻك الآدمي على غيره بالعقل، فلما أوجد الرب فيه العقل؛ واجهه بالشرع، وابتلاه بالتكليف بالأمر والنهي، وجعله خليفة في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة / ٣٠].

فأنزل ربه عليه الأمر الشرعي بواسطة الرسل، كما كان ينزل عليه وعلى غيره من

المخلوقات الأمر الكوني: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا  
الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [النحل/ ٣٦].

وسخر له ما في السماوات وما في الأرض؛ ليتفرغ لأمر الخلافة في الأرض، وضاعف  
عليه يومئذ الرقابة والرقباء والمعقبات من الملائكة الكرام الحفظة، كما قال سبحانه:  
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار/ ١٠- ١٢].

والملائكة المعقبات تتعاقب عليه، تحفظه، وتسجل أعماله ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْن يَدَيْهِ وَمِن  
خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِمَّن أَمَرَ اللَّهُ إِنَّ إِلَهَ اللَّهِ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ  
سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ ﴿١١﴾ [الرعد/ ١١].

وسره وجهره، وظاهره وباطنه؛ كل ذلك مكشوف لربه الرقيب الشهيد: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا  
لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [الزخرف/ ٨٠].

والرقيب الحق يراقب العبد في جميع أحواله، ويعلم أسراره وأعماله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ  
وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ﴿١٦﴾ [ق/ ١٦].

وابتلى الحكيم العليم بني آدم بالشهوات الحيوانية، وبالأوامر الشرعية، وبالمصائب  
القدرية: ﴿وَنَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فعظمت المحنة على الإنسان، واشتد البلاء، وبدأ الامتحان، وفاز من فاز، وخسر من  
خسر، فمن أدى الأمانة فاز، ومن خان الأمانة خسر: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾  
﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتُ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٧٣﴾ [الأحزاب: ٧٢- ٧٣].

هو سبحانه الرقيب الذي لا يغفل عن خلقه أبداً، فاتق الله أن يراك الرقيب حيث هناك،  
أو يفقدك حيث أمرك: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ [الحشر/ ٧].

وأسماء الله ﷻ كلها حسنى، دالة على كمال الذات والصفات لله ﷻ.

ما ذكر واحد منها على قليل إلا كثره، ولا على ضعيف إلا قواه، ولا على مريض إلا

شفاه، ولا عند كرب إلا فرّجه، ولا عند خوف إلا أزاله، ولا عند عسر إلا يسّره، ولا عند ضيق إلا وسّعه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

هو سبحانه الرقيب الذي ما تعلق به ذليل إلا أناله العزة، ولا مستوحش إلا أنسه، ولا مغلوب إلا نصره، ولا ضال إلا هداه.

فكل أسماء الله حسنى تُستجلب بها الخيرات، وتُكشف بها الكربات، وتُجاب بها الدعوات، وتُستنزل بها البركات، وتُقضى بها الحاجات: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه/ ٨].

فلا إله إلا الله: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

والله سبحانه رؤوف بالعباد، أعلمنا أنه الرقيب الذي لا يغفل عن شيء أبداً، حتى نخافه ونراقبه: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

أعلمنا أنه الرقيب الشهيد؛ لكي نستحي منه، لكي نخافه، لكي نكثر من ذكره، لكي نحسن عبادته، لكي نجتنب معاصيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران/ ٥].

فقم بين يديه عابداً شاكراً، وبين يدي خلقه داعياً ومعلماً ومحسناً: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [الذرى ٢١٧] ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [٢١٨] ﴿وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾ [٢١٩] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [٢٢٠]. [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

إن شعور الإنسان بأنه مراقب يجعله يصدق في أقواله وأفعاله وسائر أوقاته، وينضبط في كل ذلك، وإذا كان الرقيب هو الله فإن الانضباط يكون أقوى في كل حال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو القائم على كل نفس، يراها ويسمعها، ويعلم ظاهرها وباطنها: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ

أَجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [المالك/ ١٣- ١٤].

هو سبحانه الرقيب الذي يعلم ويرى جميع أحوال كل مخلوق، سواء كان كبيراً أو صغيراً، مقبلاً أو مدبراً، متكلماً أو صامتاً. فسبحان من إذا تكلمت فهو يسمعك، وإن تحركت فهو يراك، وإن أضمرت فهو يعلم ما في باطنك.

واعلم أن مراقبة الله لخلقه مراقبة لطيفة في مصلحة العبد؛ فهي مراقبة حفظ وعناية، كما تراقب الأم طفلها لئلا يقع فيما يضره، والله المثل الأعلى، ومراقبة هيمنة؛ ليحصي أقوال العباد وأفعالهم، ومراقبة علم وإحاطة: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء/ ١٢٦].

فسبحان الملك العليم بكل شيء، الرقيب على كل شيء، الذي له الخلق والأمر وحده، وأزمنة الأمور بيده وحده، ومصدرها منه، ومردّها إليه: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ [المالك/ ١- ٢].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن ربك هو الرقيب الحق الذي يراقب جميع مخلوقاته، وهو مستوٍ على عرشه، شهيد لا يعزب عنه مثقال ذرة من ملكه العظيم: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [٦١] [يونس: ٦١].

والمراقبون هم جميع المخلوقات في السماوات والأرض، وفي الدنيا والآخرة، وفي عالم الغيب وعالم الشهادة.

والمراقبة فعل المراقب، فالمخلوق يترقب متى يتوجه إليه أمر من ربه فيمتهله، أو نهى فيجتنبه، أو قدر لا حيلة له في رده، ومن راقب الله، وعلم أن الله مطلع عليه؛ أطاعه ولم يعصه، وذكره ولم ينسه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُنَوِّدَكُمْ﴾ [١٩] [محمد: ١٩].

وإذا علم العبد أن جميع حركاته الظاهرة والباطنة مكشوفة للرقيب جل جلاله، قد



أحاط العليم بعلمها، واستحضر هذا العلم في جميع أحواله؛ أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر وهاجس يبغضه الله، وحفظ ظاهره من كل قول أو فعل يسخط الله، وعبد الله بمقام الإحسان الذي يجبه الله، وعبد الله كأنه يراه، فإن لم يكن يراه؛ فإن الله يراه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٣) وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [المالك/ ١٢-١٤].

والمراقبة ثمرة من ثمار علم العبد بأسماء الله الحسنی، وصفاته العلی، وبأن ربه السميع البصير العليم رقيب عليه، ناظر إليه، مطلع عليه في كل لحظة.

فيوجب له ذلك مراقبة الله عند أمره؛ ليفعله على أحسن حال، ومراقبة الله عند نهيهِ ليجتنبه، وهذه هي التقوى التي هي ثمرة العلم بالرقيب وما له من الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحميدة: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (٩٠) [الأنبياء: ٩٠].

والمؤمن الحق من أيقن أن الرقيب الحق سبحانه مراقب لأحواله، مبصر لأفعاله، سميع لأقواله، مطلع على أسراره، عليم بحركاته وسكناته.

فهذا العبد لعلمه أن الرقيب قريب شهيد عليم، يهاب جلال ربه، ويخاف من عقابه في كل حال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨) [فاطر: ٢٨].

ومن علم أن ربه رقيب عليه، راقب الله ﷻ في سره وجهره، واتقاه في أمره ونهيهِ، وبادر إلى طاعته في ليله ونهاره، واستحيا من معصيته في خلوته وجلوته؛ لعلمه بأن ربه يراه ويراقبه ويشاهده: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٣) وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [المالك/ ١٢-١٤].

ومن عرف ربه باسمه الرقيب خاف منه، وتحرى الصدق والإخلاص في أقواله وأفعاله، واتفق ربه في كل حال؛ لعلمه أن الله رقيب على ما في القلوب من النوايا والمقاصد: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦١) [يونس/ ٦١].

## التعبد لله ﷻ باسمه الرقيب

حظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون مراقبًا لنفسه، لئلا تنجح إلى المعاصي، وتقعد عن الطاعات، والمراقبة: عِلْمُ العبد أن الله مطلع على ما في قلبه وسره.

وهذه المراقبة مفتاح كل خير للعبد، وبهذه المراقبة يطابق ظاهر العبد باطنه، وعلايته سره: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥ - ١٧].

واعلم أيها العبد أنك تستطيع أن تخبئ ألف سر، أو فكرة، أو خطة، عن أبيك، أو أبنك، أو زوجتك، أو قريبك، ولكن الرقيب أنت مكشوف له في ظاهره وباطنه، سواء نطقت أو كتمت: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك/ ١٣].

والتعبد لله باسمه الرقيب مفتاح كل خير وصلاح للأمة، فاسم الله الرقيب لمن آمن به وعرفه واستشعر معناه خير للأمة جميعا، وأفضل وأقوى من ألف عسكري يراقب الناس، وخير من ألف جهاز تصوير يراقب الناس في المكاتب، والمصانع، والطرق، والمجمعات، وغيرها: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَنَجِيدٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١].

فاتق الله أيها العبد حيثما كنت، واعلم أن ربك سميع بصير عليم بكل شيء.

• واعلم أن ربك العزيز الرحيم جعلك مراقبًا من ثلاث جهات:

الأولى: رقابة الله عليك، لتتقيه، وتخافه وترجوه، وتطيعه ولا تعصيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١].

الثانية: رقابة الملائكة الذين يراقبونك في جميع أحوالك، ويسجلون أقوالك وأفعالك: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَمِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق/ ١٨].

وقال ﷺ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار/ ١٠-١٢].

الثالثة: رقابة ضميرك، فالله سبحانه خلق في كل إنسان برحمته جهاز إنذار لمصلحته. فحين تحسن وتطيع الله ﷻ تتهلل أسارير وجهك، وحين تفعل المعصية يحمر وجهك خجلاً من ربك، وينبض قلبك ندمًا على ما فعلت.

فمن رحمة الله وعنايته بكل إنسان أن الله يراقبه، والملائكة تراقبه، وضميره يراقبه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

ومن مات قلبه وعاش في الدنيا ظالمًا مجرمًا؛ فليعلم أن الرقيب مطلع عليه، وسوف يحاسبه على ظلمه يوم القيامة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٢].

فكل أحد سوف يجازى بعمله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوبِلْنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف/ ٤٩].

فكل ما عمله العبد مكتوب ومسجل صوتًا وصورةً، في أي مكان أو زمان: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية/ ٢٩].

وكل أحد سيرى ما عمل: ﴿يَوْمَ يَذِي بَصُدُرُ النَّاسُ أَسْنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

وكل أحد من البشر سيجزى بما عمل من خير أو شر: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ٦-١١].

ومن عرف ربه باسمه الرقيب وصل إلى مقام الإحسان في عباداته ومعاملاته، وأقواله وأفعاله، والإحسان أعظم مراتب الدين.

قال النبي ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

• فتفقد حالك أيها العبد مع الرقيب في ثلاثة مواطن:

الأول: في حال الخلوة: هل تشعر أن الرقيب يراك ويسمعك؟ فتستحي أن تعصيه؟ أم أنك غافل عن مراقبته، فتخلو بمعصيته، وتعصيه بنعمه؛ لأن الناس لا يرونك؟ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [١٢/الملك].

الثاني: الحياء من الله: فمن راقب الله، وعلم برقابة الرقيب عليه، استحيا أن يعصيه في ملكه، كما قال النبي ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» أخرجه الترمذي<sup>(٢)</sup>.

فتحفظ الرأس وما وعى، ولا تتكلم بالقبيح، ولا تنظر إلى الحرام، ولا تسمع الخنا، وتحفظ البطن وما حوى، وتحفظ الفرج من الحرام.

الثالث: خشية الله، والخوف منه: فمن علم أن الله يراقبه في كل حال؛ خشى الله، وخاف منه، واتقاه، وراقبه أمام الحلال والحرام: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [٢٨/فاطر: ٢٨].

وحظك من هذا الاسم الكريم أن تراقب الله في جميع أحوالك، أن تراقب نفسك؛ لئلا تقع في ما لا يحبه الله ويرضاه، وتراقب أهلك؛ لئلا يقعوا في المعاصي وما حرم الله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قُورًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم/٦].

واعلم أن من راقب ربه أكثر من ذكره وشكره، وأخلص له العمل، وأحسن له العبادة؟ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

فاللهم زكِّ قلوبنا بالإيمان، وامنحنا عيوناً تراقب نعمك الظاهرة، وبصائر تتعظ بأسرارك الباهرة، وترى نعمك الباطنة: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩).

(٢) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٥٨).

الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

والتوحيد والإيمان والتقوى جماع الدين كله؛ ولهذا أكثر الله من الأمر بها في القرآن، كما قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء/ ١].  
وقال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آتِقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٢].

والنظر في الآيات الكونية، والتدبر للآيات الشرعية، يثمر كمال التوحيد والإيمان. والإيمان يثمر التقوى التي يحبها الله، وأهلها في معيته: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة/ ٤].

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل/ ١٢٨].  
﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤].  
وهذا يثمر للعبد سرور القلب، وانسراح الصدر، وقرّة العين بالقرب من الله، وهو نعيم معجل للمؤمن، يجد حلاوته في دنياه قبل آخرته: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ [وَالْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار/ ١٣/ ١٤].

وهذا النعيم هو جنة المعرفة التي من دخلها في الدنيا دخل جنة الآخرة يوم القيامة. عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٤٥٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٣).

وهذا النعيم والسرور يبعث العبد على دوام السير إلى ربه، وحسن مراقبته، وبذل الجهد في معرفة أسماؤه وصفاته، وإحسان العمل له، والإكثار منه؛ ابتغاء مرضاته: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٦٩﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

وتيقن أيها العبد أن من لم يجد هذا السرور فإنه محروم من أجل النعم وأعظمها، فليتهم إيمانه وأعماله، ويتفقد حاله، ويجدد إيمانه؛ لعله يصفو ويزكو، ويسعد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢ - ٤].

فالإيمان له طعم، وله حلاوة، وله حقيقة، من لم يجدها ولم يدقها؛ فليرجع وليقتبس نورًا يمشي به في الناس، ويدوق به طعم الإيمان وحلاوته: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن لم يجد لعمله حلاوة في قلبه فليتهمه، فإن الله شكور لا بد أن يثيب العامل على عمله الصالح في الدنيا حلاوة يجدها في قلبه، فمن لم يجدها فإيمانه وعمله مدخول: ﴿فَانفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْمَةَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٦﴾ إِنْ تَقَرَّضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن/ ١٦ - ١٨].

واعلم رحمك الله أن حقيقة المراقبة أن يكون الغالب على حال العبد دوام ذكر الله، ولزوم طاعته؛ لعلمه بأن الله مطلع عليه، وعلمه أن نظر الرقيب الحق إليه أسبق من نظره هو إلى المعصية: ﴿قُلْ إِنْ تَحْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٩﴾ [آل عمران/ ٢٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤).

فما عصى الله أحد إلا من جهله بالرقيب عليه: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا نَطَعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾﴾ [العلق/ ٩-١٩].

ومن صح علمه، وعرف أن الله رقيب عليه؛ أطاع ربه واتقاه، ولم يفن عمره في البطالات، ولم يقتل أوقاته بالغفلات، بل يواصل طاعة مولاه في ليله ونهاره، ويعبد ربه بالمحبة والتعظيم والذل له، ويستحي من اطلاع ربه بالمنعم عليه، محتشماً من مشاهدته له، ورجلاً من عظيم رقابته له، شاعراً بأنه لم يعبد كما أمره ربه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون/ ٦٠-٦١].

واعلم أن من لزم هذا السبيل؛ أوصله الله بإذنه إلى حسن المراقبة التي تزيد الإيمان، وتثمر كمال التقوى التي تثمر كمال القرب و المشاهدة والأنس بالله ﷻ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

ومن عمي عليه أمره، وضل عن طريقه؛ فليرجع إلى مقام المراقبة؛ ويتوب من ذنبه، يكن من المهتدين: ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى/ ١٣]. وارغب إلى ربك جل جلاله في إصلاح قلبك، واطلب الأدوية لذلك، وتفطن لمكائد عدوك، لئلا يصيدك ويأسرك، وتكون جندياً من جنوده: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَتُكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر/ ٥-٦].

واعلم أن المسارعة إلى الخيرات أصل كل دواء تُداوى به القلوب، وسبب كل شفاء تشفى به الصدور، كما أن الغفلة أصل كل داء، وسبب كل بلاء، فسارع صابراً محتسباً إلى طاعة الله ورسوله؛ فهي سبيل النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

والزم بيئة الذكر، واحذر بيئة الغفلة: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف/ ٢٨].

ومن أعظم الأدوية في زوال الغفلة واجتذاب اليقظة: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وآلائه، ومعرفة دينه وشرعه، ومعرفة وعده ووعيده: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

ومن أتاه الله عقلاً فعطله، وبصراً فلم ينظر به، وسمعاً فلم يسمع به، فليعلم أنه من أهل النار: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [١٧٩] ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٧٩-١٨٠].

وإذا أردت الشفاء والهدى؛ فلا تجعل لك إليه وسيلة سواه، فإزم بنفسك إليه، وضع قلبك بين يديه، وتحلّ عن نفسك إليه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

واعلم رحمك الله أن المسافة القاطعة لك عن معرفة الله جل جلاله هي الجهل به، فاقطعها بمعرفته المقرّبة إليه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثْوَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا تحققت معرفة الله في قلبك زالت عنه الغفلة، ونالته بركة قرب الله جل جلاله، واستبان له الهدى، وأبصر بعد العمى، ونزل بمنازل المقربين، وأحسن الظن بالله رب العالمين، وفاز بمعيته: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم/ ٦٥].



﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١٢٧)  
 إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل/ ١٢٧-١٢٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِيرٍ؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي؛ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واسأل ربك العظيم أن يجعل ثواب ما عملته من أعمال صالحة وسيلة لوصولك إلى معرفته، ولا تبال بما فاتك دونه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣٥) [المائدة/ ٣٥].

وأول ما تبدأ به أن تعمل بصدق في إخال ذكرك، وإنقاص قدرك بين يديه، معتذراً إليه من تقصيرك، وتفريطك، وأخطائك، بقولك: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص/ ١٦].

وقولك: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٣) [الأعراف/ ٢٣].

واعلم أن شرفك كله في إقامة ذكره ونسيان ذكرك، فأكثر من ذكره وشكره؛ يذكرك ويشكرك: ﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢) [البقرة/ ١٥٢].

ومن رزق دوام المراقبة لربه نبعت من قلبه وجوارحه أصناف الخير، واضمحلت عنه أصناف الشر، واستأنس بربه، واستوحش من غيره: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (٤) ذَلِكَ أَمْرٌ اللَّهُ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ<sup>٤</sup> وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ [الطلاق/ ٤-٥].

وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ<sup>٢</sup> وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ<sup>٢</sup> إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ<sup>٢</sup> قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

واعلم رحمك الله أن معرفة الله بأسماؤه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الحميدة، لا تثبت ولا تثبت ولا تثمر إلا في القلوب الطاهرة الزاكية: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٦ - ١٧].

فطهر قلبك لربك بدوام الاستغفار والتسبيح؛ ليفتح لك الباب، وتشرق في قلبك الأنوار: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٢﴾﴾ [النصر/ ٣].

وانظر إلى كل شيء من الخير والطاعات تحبه لنفسك؛ فأحبه لغيرك، وكل شيء تكرهه لنفسك؛ فاكرهه لغيرك، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ولا يزال بك طول المراقبة؛ حتى يكون لك من نفسك عليك رقيب وواعظ، وأمر وناه، يسوقك إلى طاعة مولاك وتقواه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور/ ٥٢].

واعلم زادنا الله وإياك علماً وعملاً، وإيماناً وتقوى، أن صحة العلم مع طول المراقبة يوصل إلى حسن الاستقامة، وحسن الرعاية يورث صدق الموافقة، ويزكي الأعمال والأخلاق، فاصدق ربك فيما دعاك إليه تفلح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾﴾ [الأعلى/ ١٤ / ١٥].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٦).

وإذا لزمتم باب العلم والتقوى رفعك ربك من مقام المراقبة إلى مقام المشاهدة، فاحمد الله كثيرًا أن بلغك ذروة السنام من المراقبة، ثم ألحقك بأهل الإحسان والمشاهدة، فصرت تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه ففي علمك بأنه يراك خير كثير: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾  
 ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾  
 ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾  
 [السجدة/ ١٥-١٧]. ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله جبريل عن الإحسان، قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ؛ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» رواه مسلم<sup>(١)</sup>.

وهذا وذالك كله تاج من الخير، ونور من المعرفة، وكنز من العمل الصالح يختص الله به من يشاء ممن جاهد لتحصيله، وعلم الله أنه يزكو به: ﴿تُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٥﴾ [النور/ ٣٥].

والله أعلم بالساكرين: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُضَلْ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿٧٣﴾ يَخْنَصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣/ ٧٤].

وعلاوة ذلك حلاوة ذكر الله في قلبك، ولذة العمل بكل ما يحبه ويرضاه، وعدم الالتفات لما سوى ذلك: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ صِدْرًا بِمَا يَقُولُونَ﴾ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].

والإكثار من ذكر الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ [الأحزاب/ ٤٢-٤٤].

(١) أخرجه مسلم برقم (٨).

واضرع إلى ربك في حسن العاقبة، واسأله أن يرزقك حسن الخاتمة، واعلم أن من راقب الله في سره وجهره، واتقاه في أمره ونهيه؛ أوصله ذلك بإذن الله إلى مرضاة ربه، والفوز بالجنة، والنجاة من النار: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة/ ٧٢).

وإذا عرفت عظمة ربك الجبار جل جلاله، ودوام مراقبته لك، وكمال مشاهدته لك، فاعرف كذلك قدر نفسك، واخضع لمن خلقها وصورها، وكرمها وعلمها، ورزقها وسلمها، وانظر أي عبد تكون: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (السجدة/ ١٨ - ٢٠).

﴿أَفَمِنْ أَتَعِ رِضْوَانِ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمَ وَيَسُ الْمَصِيرُ﴾ (١٦٢) ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦٣) ﴿[آل عمران: ١٦٢ - ١٦٣].﴾ ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذُرُ أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ (١١) ﴿[الرعد/ ١٩].﴾ واعلم أن الله هو الغني عن كل ما سواه، وعاقبة عملك من خير أو شر لك أو عليك: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦) ﴿[فصلت/ ٤٦].﴾

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (٧) ﴿[الإسراء/ ٧].﴾ ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٦) ﴿[العنكبوت/ ٦].﴾ واعلم رحمك الله أن الكريم سبحانه يصفى قلبك من الأكدار بدوام ذكره ومراقبته، ويطهره مما سواه، ويزيده من الإيمان والتقوى؛ حتى يصل إليه، ثم يرفعه، فيظهر فيه معاني أسائه وصفاته جل جلاله؛ فيومئذ يسمع به، ويبصر به، وينال كرامة ربه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢) ﴿[البقرة/ ١٥٢].﴾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري (١).

واعلم رحمك الله أنه لا يدوم لك العز في الدنيا والآخرة إلا بالوجه الذي ذل لربه العزيز، فلا تطلب عنده الجاه إلا بالعمل الذي وصلت به إليه، وهو الإيثار والتقوى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٧٤) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ [طه/ ٧٤ - ٧٥].

ومتى فارقت ما كنت عليه من العبودية والذل لمولاك؛ أزال عنك حلتته التي حلاك بها، وسلبك نعمته التي وهبها، وسدَّ دونك الباب الذي وصلت منه إليه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥) [الصف/ ٥].  
﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ (١٧) [الجن/ ١٧].

ثم استدرجك سبحانه بذنبك بمعارف تبعدك عن مولاك، وأعمال لا تنفعك في دنياك وأخراك؛ لتحسب أنك يومئذ على شيء من العلم والعمل، وأنت ضال خاسر: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَخَّؤُا أَيَّتِي وَرُسُلِي هُزُوا ﴿١٠٦﴾ [الكهف/ ١٠٣ - ١٠٦].

وأخطر شيء على هذا العبد الضال أن ينظر إلى ما فتح الله عليه في باطنه من الفهم والفضيلة والذكاء، وما أراه من الآيات، ومعاني الأسماء والصفات، ثم يستكبر عن ربه بما أنعم عليه به، حيث خيل له الشيطان بمكائده ومصائده أن الله أعطاه ذلك لكرامته

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

عليه، وحبب إليه نفسه، وعظّم عنده ما لديه، وأعلى عنده قدر نفسه، وحبب عنه النور المبين، فلم ير غير نفسه الخسيصة، فاقتصر عليها، وظن أنه على الحق: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّينَ﴾ (٣٥) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ [سبأ/ ٣٥-٣٨].

ثم يورثه ذلك: العجب، والكبر، والإعراض، والاستغناء بالعلم عن العمل، وهذا من الضلال، بل هو الظلم والخسران المبين: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥٠) [القصص/ ٥٠].

فاللهم احفظنا من الزلل، واعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١١٩) [التوبة/ ١٢٩].

واعلم أن هذا الكلام وهذا النور إن لم يعبر من عقلك إلى قلبك، ثم يظهر على لسانك وجوارحك؛ فاعلم أنك محجوب عن معرفة ربك بسوء كسبك، فأصلح حالك، وتعاهد إيمانك، قبل أن يشد ملك الموت رحالك، فلا تستطيع الوصول ولا الرجوع: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحُجُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ [المطففين/ ١٤-١٦].

وهذه بصائر لأهل البصائر: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن عَمِيَٰ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمَحْفِظٍ﴾ (١٠٤) [الأنعام/ ١٠٤].

فاعبد ربك العظيم كما يليق بجلاله، وبعظمة ملكه وسلطانه، وبعظيم إنعامه وإحسانه، وراقب الله في كل حال من أحوالك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) [الحشر: ١٨].

وعلامة مراقبة العبد لربه: الحياء من الرقيب، وتعظيم أمره، واجتناب نهيهِ، وفعل ما يجب، وترك ما يكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) [الملك/ ١٢].

واعلم أن الرقيب سبحانه إذا أكرمك بالإيمان والتقوى خدمك عدوك، وإذا انصرفت عنه إلى غيره تطاول عليك أقرب الناس إليك، فاتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن: ﴿وَالْعَصْرِ ١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ٣﴾ [العصر/ ١-٣].

واعلم أن الرقيب برقابه عليك يريد منك أن تصل إلى درجة الإحسان فيما بينك وبين الله، وفيما بينك وبين الخلق، وتستقيم على أوامر الله في كل حال؛ لتصل إلى أعلى مقام عند ربك يوم القيامة: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ٥٤ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ٥٥﴾ [القمر/ ٥٥].

ومن كان مع الله في الدنيا فليبشر بأنواع الكرامات في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٣٠ مَن أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ٣١ نَزَّلْنَا مِن غَفُورٍ رَّحِيمٍ ٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

والمراقبة من العبد هي علم القلب بقرب الرب، مقروناً بكثرة ذكره، وشكره، وحسن عبادته: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].  
اللهم اجعل كتابنا في عليين، وألبس وجوهنا نضرة النعيم: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ٢٢ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ ٢٣ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ٢٤ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْمُومٍ ٢٥ خِتَمُهُمْ مِسْكَ ٢٦ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ٢٦ وَمِرَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾ [المطففين/ ٢٢-٢٨].

اللهم يا سريع الرضا، يا واسع المغفرة، يا أرحم الراحمين، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء: ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ حَيُّ الْغَفِيرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا وَاتَّبَعْنَا رُسُلَكَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا آتِنَا لِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم/ ٨].  
«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علمًا يا أرحم الراحمين.  
اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، فأهل أنت أن تحمد، وأهل أنت أن تعبد، إنك على كل شيء قدير.  
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٧)، ومسلم برقم (٢٧٠٥).



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِيَّ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الشهيد

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الشهيد

الله جل جلاله هو الملك الحق، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

الله جل جلاله هو الشهيد، المطلع على كل ذرة في ملكه العظيم، الشهيد الذي يسمع الأصوات كلها، خفيها وجليها، ويبصر المخلوقات كلها، صغيرها وكبيرها: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١١] لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى ١١/ ١٢].

وهو سبحانه الشهيد العليم بكل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي علم جميع أفعال العباد وأحصاها قبل فعلها، وكتبها في اللوح المحفوظ، ثم يخبر عباده بها إذا بعثهم يوم القيامة: ﴿وَمَا نُرِيكَ بِبَعْضِ الَّذِي نَعْلَمُ أَوْ نُوقِنُكَ فَالْتِمْنَا مَرَجِعَهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس/ ٤٦].

وهو سبحانه الشهيد القريب من خلقه، الذي يراهم جميعاً في آن واحد، ويسمع ما يتناجون به، ويرى ما يفعلون، ويعلم بما في قلوبهم . هو الشهيد الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الملك والملكوت: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [١١] [يونس/ ٦١].

وهو سبحانه الشهيد الحق الذي شهد لعباده بما فعلوه من الخير والطاعات، وشهد على عباده بما عملوه من الشر والمعاصي: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة/ ٦].

وهو سبحانه الشهيد الحق الذي شهد لنفسه بأعظم الشهادات، وهي شهادة التوحيد، وشهد له بها أفضل خلقه من الملائكة والبشر: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران/ ١٨].

فسبحان الرقيب الشهيد، الحفيظ العليم، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة من مخلوقاته في السماوات والأرض، يرى مكانها، ويسمع تسبيحها، ويعلم أحوالها: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج/ ٧٠].

وسبحان ربنا الشهيد الذي يرى الكون كله وهو مستوٍ على عرشه، يرى الهباء الطائفة، ويرى الجبال الشاهقة، ويرى البهائم السائمة، ويرى الأشجار النابتة، ويرى الذرات والمخلوقات في قعر البحر الأسود كما يراها في شمس الضحى، ويرى سبحانه كل ذرة وكل نبتة وكل حشرة في العالم في ظلمة الليل الأسود كما يراها في النهار الأبيض: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢].

ويرى الذرة السوداء، ويسمع ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك/ ١٤].

ويرى سبحانه أهل الطاعات وهم يطيعونه، ويرى أهل المعاصي وهم يعصونه، ويرى الكفار وهم يسبونهم، ويرى المشركين وهم يعبدون غيره، ويرى المنافقين وهم يستهزئون به، ويؤذون أوليائه، ثم ينبيء الجميع بما عملوا يوم القيامة: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَبْرَى اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَارِدُونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة/ ١٠٥].

هو سبحانه: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٨] الَّذِي لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [٩] [البروج: ٨-٩].

وسبحان عالم الغيب والشهادة، الشهيد الذي لا يخفى عليه شيء، وإن دق وصغر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [٥] هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [٦] [آل عمران/ ٥/ ٦].

فالله جل جلاله شهيد على كل شيء في ملكه العظيم، وكونه الكبير، وملكوته الواسع، واعلم أن كل ما خلق الله في الإنسان من الحواس كالسمع، والبصر، والعقل، والشم، والذوق إنما تؤدي كلها معلومات إلى القلب، وتشهد عنده بما علمت به، ثم يحفظها القلب، وعند الحاجة لأداء هذه الشهادة يظهرها القلب؛ فيشهد لربه بالوحدانية، وبكل ما يعلم، وتلك أعظم الشهادات، وهي شهادة أولي العلم الذين وصلوا بشهادتهم ما أمر

الله به أن يوصل، فشهدوا لله بالوحدانية، وصدقوها بالعبودية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (آل عمران/ ١٨).

واعلم أن شهادة الله جل جلاله أصل الشهادات كلها؛ فشهد سبحانه لنفسه بالوحدانية، وما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبها هو عليه، وبها هو أهله؛ من الجلال، والجمال، والكمال، والعزة، والكبرياء، وشهد لملائكته ورسله بحقيقة ما هو عليه، وشهد لجميع خلقه بما لهم وما عليهم: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْنَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَلَا مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً آخَرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَحْدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ (الأنعام/ ١٩).

ثم أفاض الكريم سبحانه من مصداق شهادته على الشاهدين سواه، فعم جميع الخلائق بأداء الشهادة للحق سبحانه، فشهدت له بما هو أهله، وشهدت على أنفسها بما كسبت، وبما يلزمها، فكل شيء شاهد لله بالوحدانية، والله على كل شيء شهيد.

وكل مخلوق يشهد شهادة حق بالسنة صدق، كل بحسبه وحاله ومقاله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّعَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور: ٤١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَدِّنِ جِنَّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا شَيْءٍ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أخرج البخاري (١).

وكل الخلق شهداء، فالأنبياء والرسل شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على أممهم بما لهم وما عليهم.

والملائكة شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على الخلق بما عملوا. والإنس والجن شهداء لربهم بالوحدانية، وشهداء على أنفسهم وعلى غيرهم، وجوارح الإنسان تشهد عليه يوم القيامة بما عمل من خير أو شر: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ

(١) أخرج البخاري برقم (٧٥٤٨).

أَلْسِنَتَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ [النور/ ٢٤-٢٥].

والذرات، والجمادات، والنباتات، والحيوانات، وكل مخلوق؛ الكل يشهد لربه بالوحدانية، ويسبح بحمده، ويشهد لغيره وعلى غيره بما عمل من خير أو شر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود/ ١٨].

فسبحان الشهيد الحق الذي شهد بالحق، وأشهد جميع خلقه على أنه الحق وحده لا شريك له: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۗ وَالْمَلٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء/ ١٦٦].

وقد ورد اسم الله الشهيد في القرآن الكريم تسع عشرة مرة؛ منها: قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت/ ٥٣].

والشهود: هو الحضور مع الرؤية والمشاهدة، والشهادة: هي الإخبار بما شهد العبد، والشاهد هو الذي يشهد بما شاهد، والله سبحانه وتعالى هو الشهيد الذي لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء والأرض، يرى جميع الكائنات، ويسمع جميع الأصوات، ويعلم بجميع الظواهر والبواطن، ويعلم الجليات والخفيات: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۗ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس/ ٦١].

هو سبحانه الشهيد الذي شهد لعباده بما فعلوه، وشهد على عباده بما عملوه .  
والصفة المشتقة من اسم الله الشهيد هي الشهادة، وهي من صفات الله الذاتية التي لا تنفك عنه أبداً، فهو دائماً وأبداً على كل شيء شهيد، وعلى كل شيء رقيب .  
فهو سبحانه شهيد لخلقه وعلى خلقه فيما عملوه من طاعة أو معصية، أو خير أو شر في كل زمان ومكان وحال.

وقد ورد اسم الله الشهيد، مفرداً، لم يقترن به اسم من أسماء الله الحسنی، كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت/ ٥٣].

هو سبحانه الشهيد الحق الذي يشهد بالحق واليقين القطعي؛ لأنه شهيد قريب، حفيظ عليم، سميع بصير، لا يغيب عنه شيء: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام/ ١٩].

أما المخلوق فعبد قاصر، يقع في شهادته الخلل، وذلك بالسهو، والخطأ، والغلط، والكذب، والظلم،

فسبحان الشهيد الحق الذي شهد لنفسه بالوحدانية، وشهد لرسوله وملائكته والمؤمنين الذين وحدوه بالصدق، وشهد للمظلوم الذي لا شاهد له ولا ناصر له على من ظلمه واعتدى عليه.

هو الشهيد الذي تشهد له جميع الخلائق يوم القيامة بالوحدانية، ويقرون له بالعبودية: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨].

هو الشهيد الذي أشهد آدم وذريته على وحدانيته وربوبيته: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢-١٧٤].

ومن جلال شهادته سبحانه قوله: ﴿لَئِنْ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ ۗ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء/ ١٦٦].

وشهادة الشهيد سبحانه حق لا ريب فيه؛ لأنها نتجت من خبرته، ورؤيته، وعلمه المحيط بكل شيء: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾ [الإسراء/ ٩٦].

#### • واسم الله الشهيد من صفات الذات والأفعال:

فدلالتة على الذات: أن الله شهيد يرى جميع مخلوقاته، لا يغيب عنه منهم شيء أبداً. ودلالته على الفعل: أن الله شهد لنفسه بالوحدانية، وشهد لأنبيائه ورسوله بالصدق والأمانة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة/ ١٢٨].

هو سبحانه الشهيد الذي شهد له خلقه بالوحدانية: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠].

فهو سبحانه الشهيد الذي شهد له خلقه بالوحدانية، وأقروا له بالربوبية، واعترفوا له بالعبودية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

هو سبحانه الشهيد الذي لا يغيب، الشهيد الذي هو على السر والعلن رقيب، الشهيد الذي هو من كل مخلوق قريب: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت/ ٥٣].

• وقد شهد الله ﷻ على سبعة أشياء عظيمة، وكلها في كتابه:

الأول: شهادة الله لنفسه بالوحدانية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران/ ١٨].

الثاني: شهادته على القرآن بأنه حق: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء/ ١٦٦].

الثالث: شهادة الله على نبوة الرسول ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح/ ٢٨].

الرابع: شهادة الله على أعمال العباد: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [المجادلة/ ٦].

الخامس: شهادة الله على كذب المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾﴾ [المنافقون/ ١].

السادس: شهادة الله على شريعة محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ

إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام/ ١٩].

السابع: شهادة الله على جميع المخلوقات والأشياء كما قال سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت/ ٥٣].

واعلم أن الشهادة على وجه الكمال والحق إنما هي لله وحده لا شريك له، وجميع الشاهدين سواء سيؤدون شهاداتهم عنده، كما قال سبحانه: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٦٩] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [٧٠] [الزمر/ ٦٩ - ٧٠].

فأيها العبد اشهد بحق، ولا تشهد بباطل؛ فإنك ستؤدي الشهادة مرة أخرى بين يدي ربك.

واعلم أن الشهيد سبحانه حينما ينصر المظلوم على الظالم، والقليل على الكثير، والضعيف على القوي، والعاجز على القادر؛ فإنما يثبت لعباده أن الأمر كله بيد الله وحده: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك/ ١].

فسبحان من بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن العالم الذي خلقه الله ينقسم إلى قسمين: عالم الشهادة، وعالم الغيب، والله شهيد يعلم كل ما في عالم الغيب والشهادة، وعالم الشهادة لا يساوي ذرة من عالم الغيب: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر/ ٢٢].

أما البشر فلا يعلمون ولا يرون من عالم الشهادة إلا القليل، أما عالم الغيب فلا يعلمون ولا يرون منه شيئاً: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَعَلَّمَ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

هو وحده الشهيد لكل ما في العالم العلوي، والعالم السفلي، الشهيد لجميع الذرات والمجرات، الشهيد الذي يرى كل شيء، ظاهره وباطنه، في كل زمان



ومكان: ﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت/ ٥٣].

واعلم رحمك الله أن أعظم شهادات العباد هي الشهادة لله بالتوحيد، فالعالم كله أعلاه وأسفله، وظاهره وباطنه، يفرح ويسعد بشهادة المؤمن لربه بالتوحيد، ويشهد لهذا المؤمن بالحق والصدق، حين يقول: «أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ويشهد الكون كله على الكافر والمشرك بالجرور والظلم والكذب: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود/ ١٨].

وأشنع الشهادات هي الكذب على الله، وتقصه، وتشبيهه بخلقه، ونسبة الولد له، وهو الغني عن كل ما سواه، الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ٨٨ ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ ٨٩ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ ٩٠ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ٩١ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٩٢ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ٩٣ [مريم/ ٨٨-٩٣].

والمؤمنون كلهم شهداء؛ لشهادتهم بالحق بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم.

وأصل الشهادات وأعظمها شهادة التوحيد، شهادة العلم والمعرفة، والإيمان واليقين.

فالعارف بالله جل جلاله، العالم بأسمائه وصفاته وأفعاله، الذاكر له، المؤمن به، العامل بشرعه؛ هذا رافع لربه أعظم شهادة من الخلق إليه، علمية وعملية: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيتَ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ٩].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٨٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٩٣).

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨].

فالؤمن يشهد لربه بالوحدانية بقلبه ولسانه وجوارحه، والموت قطع لهذه الشهادة الكبرى؛ فإن الله كتب الموت على كل حي سواه؛ إبانة لصفة الحياة الباقية المطلقة لله ﷻ، وتذكيراً بالملك الحي القيوم الذي لا يموت أبداً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو سبحانه الحي بجميع صفات الكمال وحده لا شريك له: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

ثم يحيي الله الخلق ويحاسبهم، ثم يخلدون في الجنة أو النار حسب أعمالهم، ثم لا يموتون أبداً: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْقِنَ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج/ ٥-٧].

والأنبياء والرسل شهداء على أممهم، والعلماء شهداء على قرونها وأهل زمانهم، وهذه الأمة تشهد للأنبياء أنهم بلغوا الرسالة لأممهم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].  
وشهداء العلم والمعرفة شفعاء يوم القيامة: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزخرف/ ٨٦].

وجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي تشهد لخالقها بالتوحيد والجلال، والجمال والكمال، وتشهد له بأن أسماؤه حسنى، وصفاته على .

وتشهد على أنفسها بما هي عليه من الذل والفقر والعجز، وتسبح بحمد ربها العظيم، وتسبحه وتنزهه عن نقصها وفقرها اللازم لها، وتلك شهادة المخلوقات كلها لله الواحد الأحد بالتوحيد: ﴿سَبِّحْ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

فسبحان الملك الحق الذي خلق كل شاهد ومشهود، وكل شاهد ومشهود في هذا الملك الكبير يسبح بحمد ربه، ويؤدي الشهادة لربه بالتوحيد: ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

والشاهد الحق أعظم الشهود: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح/ ٢٨].

وسبحان الملك القريب، الشهيد لخلقه كلهم، الحي القيوم الذي لا يوارى منه ولا عنه ليل ساج، ولا سماء ذات أبراج، ولا أرض ذات فجاج، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، ولا ظلمات بعضها فوق بعض: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾ [النساء/ ٣٣].

اللهم إني في هذا المقام أشهدك وأشهد جميع مخلوقاتك أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك، فكتب شهادتي عندك مع الشاهدين يا خير الشاهدين: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

واعلم رحمك الله أن الدخول في الإسلام أوله الشهادة لله بالوحدانية، والشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة، والصلوات التي هي صلة بين العبد وربّه تشمل على هذه الشهادة في البداية والنهاية، يؤدّيها العبد كل يوم وليلة بين يدي ربه الشهيد له، ويرضيه بالتحيات والصلوات والطيبات؛ فانظر كيف تشهد بين يدي ربك الواحد الأحد بحسن العبادة والطاعة، وتؤدّيها له كأنك تراه، بكمال الحب والتعظيم والذل له: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

والملك الحق جلّ جلاله يدعوك أيها الإنسان للإيمان به، ومعرفة أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة؛ لتشهد له بالوحدانية، وتقوم له بالعبودية: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِزَّ لَدُنْكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُنُونَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

ولأداء هذه الشهادة العظيمة يجب أن تكون من أهل العدالة؛ لتقبل شهادتك عند الملك الحق، وذلك يكون بالاستقامة على دينه، والعمل بما يحبه ويرضاه، واجتناب ما يسخطه

ويغضه: ﴿فَأَسْتَقِيمَ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١١٣) وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ [هود: ١١٢-١١٣].

وهؤلاء العدول هم المؤمنون الذين يكرمهم الله بالجنة يوم القيامة؛ جزاءً على شهادتهم بالحق، وأعمالهم الصالحة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ [المعارج/ ٣٢-٣٥].

فسابق إلى الخيرات، وسارع إلى فعل الطاعات، وداوم على فعل الفرائض والنوافل المشروعة، ولا تمل؛ فإن الله لا يمل حتى تمل أنت، ولا يضيق صدرك بمن سخر بك، أو أساء إليك، فإن ربك شهيد له: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ [الحجر/ ٩٧-٩٩].  
﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٦٠) [الروم/ ٦٠].

وعليك بالتفكير والتدبر لما في الكون من المخلوقات والآيات العظيمة التي تشهد لربك العظيم بالوحدانية والقدرة والعظمة، وتشهد على نفسها بالفقر والعجز، والفاقة والذلة: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٢) [الرعد/ ٢].

فانظر رحمك الله كيف خلق الله الأرض وبسطها ودحاها بالمياه والخيرات، ونصب فوقها الجبال الشوامخ، فلا تمل بأهلها، وأحاطها بالبحار المسجورة، وشق بين قطعها الأنهار المفجورة، ودحا بطنها بالعيون المملوءة: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢) [الرعد/ ٣].

وانظر كيف جعل الحكيم العليم بين السماء والأرض السحب المسخرة، والرياح المرسلة، ودوائر الأفلاك المسخرة من الشمس والقمر والنجوم جارية بأمره على نسق محكم، وتركيب عجيب، يكون عنه الليل والنهار، والصيف والشتاء، والحر والبرد: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ (١٢) وَيَسْبِغُ

الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ [الرعد: ١٢-١٣].

كل ذلك لإظهار قدرة القدير في أنواع العبيد، وإظهار بعض معاني الآخرة في الدنيا، وإظهار أسمائه وصفاته في مخلوقاته التي تُسبِّح بحمده، وتشهد بوحدانيته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٣﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتُم بالله، وأحببتموه، وكبرتموه، وعبدتموه جل جلاله .

فأظهر الرب جل جلاله بذلك العجائب خلقاً وأمراً، بأحسن تدبير، وأكمل ترتيب: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [يس/ ٣٨-٤٠].

وخلق سبحانه بين السماء والأرض هذا الفلك العظيم، وجعل فيه السحب الثقال، والرعد الذي يُسبِّح بحمده، والبرق الذي يُلقح السحاب، والماء الذي يُحيي به الأرض بعد موتها: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَاهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبَ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٤﴾ [النور/ ٤٣-٤٤].

ثم زاد الله جل جلاله هذا الأحكام إحصاءً بأن يبين خضوع جميع المخلوقات لربها العظيم، وسجودها بين يدي مالكتها الكبير؛ لتشهد أمام فاطرها بفقرها وذلتها، وتعلن طاعتها لمن خلقها بانتقالها كما شاء من حال إلى حال في مشارق الأرض ومغاربها بتدبير محكم من العزيز الحكيم: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وخلق ربنا جل جلاله السماء، وجعلها سبعاً شداداً، وبنائها، ورفعها، وزينها بالكواكب والنجوم، وأمسكها بقدرته: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ

نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ [نوح/ ١٥-١٦].

وجعل جلّ جلاله تلك السماوات السبع مسكنًا للمقربين من عباده، والمصطفين من أوليائه، ففتقهن الجبار سبع سماوات، أعلاهن أعظمهن خلقًا، وأوسعهن حجمًا، وكل واحدة محيطية بالأخرى، وملاهن بالملائكة التي تُسَبِّح بحمده، وتشهد بوحدانيته: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

فسبحان الملك القوي القادر الذي خلق السماوات بإحكام وإتقان لا خلل فيه: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك/ ٣-٤].

وهذه السماوات السبع العظيمة ثقلها قدرة الجبار جلّ جلاله، وتمسكها قوته، وتحملها إرادته، دون دعائم من تحتها ثقلها، ولا علائق من فوقها تمسكها: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي خلق كل شيء بإرادته، وقهر كل شيء بقدرته، وملك كل شيء بجبروته: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾ [فاطر/ ٤١].

وسبحان الشهيد الحي القيوم الذي أمسك السماوات العظام أبدًا وسرمدًا بقدرته وقوته، وأبقاها على ما هي عليه من الخلق والحسن والجمال، لا تميد مثقال ذرة، ولا تنقص مثقال ذرة: ﴿الَّذِينَ تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج/ ٦٥].

واعلم أن كل تنقل وتحول في الجماد والنبات، وكل مولود في البشر والحيوان، وكل شروق وغروب في الكواكب؛ كل ذلك يدل دلالة حسية قاطعة على وحدانية الله،

وحصول البعث بعد الموت : ﴿ وَقَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَاِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتِينَ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج/ ٥-٧].

فلا إله إلا الله! كم شواهد التوحيد والبعث في المخلوقات كلها صغيرها وكبيرها! فمجيء نهار بعد ليل، كحياتنا هذه بعد الموت الأول، ثم يخلف الليل النهار كموتنا بعد هذه الحياة، ثم يخلف النهار الليل كالحياة الأبدية في الآخرة بعد الموت: ﴿ يُقَلِّبُ اللَّهُ الْأَيَّلَ وَالنَّهَارَ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾ [النور/ ٤٤].

فسبحان من جعل النهار آية على الحياة، وجعل الليل آية على الموت بعد الحياة: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾] [آل عمران/ ١٩١].

هو سبحانه العزيز الحكيم الذي خلق العرش والكرسي، وخلق السماوات والأرض، وخلق الشمس والقمر، وخلق الليل والنهار، وخلق الدنيا والآخرة، وخلق الجنة والنار، وجعل ذلك كله آيات بينات تشهد بعظمة خالقها، وتُسَبِّحُ بحمده، وتخطب بتمجيده: ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

نصبها جلّ جلاله آية على وحدانيته، وآية على عظمة أسماؤه الحسنى، وصفاته العلى، وآية على البدء والإعادة، وآية على الحياة بعد الموت، وآية على فقر المخلوقات وذلها، وآية تشهد بعظمة خالقها: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد/ ٢].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق الإنسان، وأخرج منه هذا النسل العظيم من ذكر وأنثى، وصغير وكبير، وحسن وأحسن، ومؤمن وكافر، وصادق وكاذب، وطيب وخبيث: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَسَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ [النساء/ ١].

وسبحان ربنا الحكيم الخبير الذي سقى الأرض بالماء؛ فأنبتت من كل زوج بهيج من أبيض وأسود، وأحمر وأصفر، وحلو وحامض، وحر وبارد، وجامد وسائل، وذكر وأنثى، وكبير وصغير، وقائم ونائم: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَبْصَرَةٍ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق/ ٦-١١].

فسبحان الملك الحق الذي جميع مخلوقاته شاهدة بوحدانيته، ومُسَبَّحة بحمده، وخاضعة لأمره، ومُستجيبه لمشيئته، ومُسرعة إلى إرادته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

فالكل يشهد بوحدانية ربه، والكل يُسَبِّح بحمده، والكل يعمل بأمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج/ ١٨].

هل رأيت كهذه السماء العظيمة التي زينها الخلاق العليم بالشمس والقمر والكواكب والمصابيح التي ترسل النور إلى الأرض، وتشهد هي وكواكبها بوحدانية الله، وتُسَبِّح بحمده؟ ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح/ ١٣-١٦].

وهل رأيت كهذه الأم الضحوكة الكريمة التي أنبتت من كل زوج بهيج؟ خلقها الله بقدرته، تُسَبِّح هي وأولادها بحمده، وتقنت لعظمته، وتشهد بوحدانيته: ﴿سُبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٤].

وسخرها سبحانه لخلقه يشربون من مائها، ويأكلون من ثمارها، وينعمون بخيراتها،



ويسكنون فوقها، ويتقلبون في بقاعها: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾ [النحل/ ١٠-١١].

كم في الأرض من آية وعبرة! وكم يخرج منها من زروع وأشجار وثمار! ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

تعطي الحبة من حبوبها وثمارها سبعمائة حبة أو أكثر بأمر الله ﷻ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة/ ٢٦١].

فهذا عطاء مخلوق لمخلوق بأمر الله في دار الدنيا، ما أعظمه! وما أحسنه!

فكم يكون العطاء من الرب الكريم للمؤمنين في الدار الآخرة من النعيم المقيم الذي من كماله وحسنه لا تهتدي العقول لمعرفة، ولا تستطيع الألسن أن تصفه، ولا تقدر الأوهام أن تتخيله؟ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

وعن أبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا حَاطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [السجدة/ ١٧]» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فسبحان الله! ما أجهل الإنسان بربه! وما أجهله بأسماؤه وصفاته! وما أجهله بآياته ومخلوقاته! وما أجهله بدينه وشرعه! وما أجهله بوعدده ووعيده! ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوْنَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

ومن آيات الله العظيمة: خلق الإنسان، وتقلبه من حال إلى حال؛ من تراب إلى نطفة إلى

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٣٢٤٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

علقة إلى مضغعة، ثم إلى جسم من لحم وعظام، ثم حياً ذا روح، ثم إنشاؤه خلقاً آخر في صفاته وأخلاقه، وفي تبدله من حال الطفولة إلى الشباب إلى الاستواء إلى الكهولة إلى الشيخوخة: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النَّظْفَةَ عِلْقَةً فَخَلَقْنَا الْعِلْقَةَ مَضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمَضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

فسبحان الذي خلقه وصوره، وأحسن خلقه وصورته! ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ [السجدة/٦-٩].

هو سبحانه الحكيم الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وزينه بالدين لمن شاء أن يستقيم: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ [التين/٤-٨].

هو سبحانه الملك القدير القدوس الذي خلق ما شاء، وما يزال يخلق ما يشاء، الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، ويخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي: ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ [الروم/١٩].

هو سبحانه الخلاق العليم القدير الذي خلق السماء وما فيها وما عليها، وخلق الأرض وما فيها وما عليها، ثم يُعيد ما فيها وما عليها إليها: ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ [نوح/١٧-١٨].

فانظر رحمك الله في ملكوت السماوات والأرض؛ ترى عجائب قدرة الله، وعظمة ملكه وسلطانه، وتشاهد التدبير والتصريف، والتحريك والتسكين، والحياة والموت في كل لحظة: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ

كُلِّ دَابَّةٌ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

واعلم أن الله جلّ جلاله خلق جميع الأجساد الحيوانية والبشرية، وأسكن فيها الأرواح؛ فصارت حيةً بأمر الله، والروح مخلوق تُحس بأثاره، ولا ترى شخصه، وهو دليل على الموجود بلا رؤية .

والروح سرٌّ باطنٌ موصوفٌ بصفاته، معلومٌ بأفعاله، لا يحيط به العلم، ولا يكيّفه العقل، ولا يعلمه إلا الله، اختص الله جلّ جلاله بمعرفته وحده لا شريك له، وجعل الإيمان بالروح في الدنيا آيةً عليه، وطريقاً إلى الوصول إليه بالتفكير والتدبر: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٥﴾ [الإسراء/ ٨٥].

والروح خلق من خلق الله، وهو أمر رباني، وعبد روحاني، حبسه الله في الجسم ابتلاءً له، وأجرى عليه محتته، فوقع المكروه بواسطة الجسم ابتداءً، فعاقبه بأن أهبطه من السماء إلى الأرض لما عصاه في الجنة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَلَقِيَ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ [البقرة/ ٣٥-٣٧].

فالجسم يتغذى من طعام الأرض، والروح يتغذى من وحي السماء، فإن آمن العبد بربه سار الجسم والروح إلى الجنة، وإن كفر بربه سار الجسم والروح إلى النار: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ [طه/ ٧٤-٧٦].

والموت هو مفارقة الروح للجسد، وإذا مات الإنسان رجع الجسد إلى التراب الذي خُلق منه، وخرجت الروح الحية منه، ثم صعدت بها الملائكة إلى السماء، فإن كان مؤمناً فُتحت له أبواب السماء، حتى تصعد به إلى ربه جلّ جلاله، فيؤمر بالسجود لربه؛ فيسجد له، ثم يعود إلى جسده في قبره، ويُنعم فيه، ويبقى فيه إلى أن يُبعث، ثم يُحاسب،

ثم يدخل الجنة: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَنَصِيلَةٌ جَعِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ [الواقعة/ ٨٨-٩٦].

وإن كان كافراً؛ لم تفتح لهذه الروح أبواب السماء، ورُمي من علوِّ إلى الأرض، ورجع إلى جسده في الأرض في شقاء وعذاب إلى يوم الدين، ثم يُبعث، ثم يُحاسب، ثم يدخل النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا نُفْتِحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴿٤١﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ [الأعراف/ ٤٠-٤١].

فما أعظم الله في خلقه، وأمره، وحكمه، وتدبيره، وأسمائه، وصفاته! ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهُ وَاللَّيْلِ فِي الْأَرْضِ رَوْسَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان/ ١٠-١١].

أرسل الخلاق العليم الرياح بشراً بين يدي رحمته، وأنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ [الأعراف: ٥٧]

وخلق سبحانه الجنة، وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يُرغبهم فيها من المياه، والثمار، وسائر النعم، وخلق النار، وأظهر لعباده منها في هذه الدنيا ما يُخوفهم منها من النار، والسموم، والآلام، وسائر المكروه.

وأذن الله سبحانه للنار بنفسين:

نفس في الصيف، وهو أشد الحر، ونفس في الشتاء، وهو الزمهرير أشد البرد.

فلولا الرياح والماء لكان النفسان في الدنيا جهنم الصغرى، ولولا النفسان الحر والزمهرير لكانت الأرض بما فيها الجنة الصغرى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، وَاشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: يَا رَبِّ أَكَلْتُ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِرِيرِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فسبحان من أشار بهذه إلى تلك، وجعل ذلك تذكرة وعبرة، ودفع هذا بهذا، وكسر هذا بهذا، وتم أمره في الدنيا والآخرة على ما أراد، لا راداً لقرضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام/ ١٠٢]

فلا إله إلا الله الحكيم العليم! كم أخرج بالماء النازل من السماء من الجنات، والعيون، والأنهار، والأشجار، والأزهار، والنبات، والثمار! ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (١٠) يُثْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١١) [النحل/ ١٠-١١].

وكم أحميا الرب هذا الماء الذي أنزله من السماء من النبات والحيوان والبشر! ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَأْسًا كَثِيرًا﴾ (٤٩) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٥٠) [الفرقان/ ٤٨-٥٠].

فهل نعتبر بهذا الخلق العظيم، والملك الكبير، والتدبير العجيب؟ ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقَّْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٠) [الأنبياء/ ٣٠].

وإذا نظر إنسان إلى عظمة هذه المخلوقات؛ فليعد النظر إلى هذه النطفة المتكررة، كيف خلقها الله من ماء مهين؟ فجاء منها الرجال والنساء، والأبيض والأسود، والطويل والقصير، والكريم والبخيل، والمؤمن والكافر، والمطيع والعاصي: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٣٦)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٢٤).

خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾  
[الروم/ ٢٠-٢١].

فسبحان من شرف الإنسان من بين المخلوقات؛ فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأحسن صورته، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وكرمه بالسمع والبصر والعقل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

ثم زاده الله تكريمًا بأن شرفه بالدين الذي يعبد به ربه، ويهتدي به في حياته، ويسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ﴿١٦٤﴾ [آل عمران/ ١٦٤].

وجعله في الدنيا خليفة في الأرض، وعبداً لمولاه، وفي الآخرة ملكاً بالقرب من مولاه الملك الحق المبين: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْنَدٍ ﴿٥٥﴾  
[القمر/ ٥٤-٥٥].

ونوع له الكريم في الدنيا نعمه الظاهرة والباطنة، ونوع له في الدين أنواع الطاعات والعبادات، ونوع له في الآخرة أنواع النعيم والقصور؛ ليزداد معرفة بربه العظيم، ويزداد شكره وحده؛ ليعظم أجره: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].

وقال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ﴿٢﴾ [المائدة: ٣].

ويوم القيامة يُكرم سبحانه من آمن به وأطاعه بألوان النعيم، ويُهين من كفر به وعصاه بألوان العذاب: ﴿جَزَاءً وَفَاتًا﴾ ﴿٣٦﴾ [النبا/ ٢٦].

فريق في الجنة، وفريق في السعير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا فَضَّجَتْ

جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ [النساء/ ٥٧].

فهل رأيت أفضل من هذا العدل والإحسان، وأجل من هذا التكريم، وأحسن من هذه الأحكام؟ ﴿ وَأَنَّ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة/ ٤٩-٥٠].

فلا إله إلا الله! كم أضل الشيطان أكثر الخلق! وكم صرفهم عن التفكير في أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، ومخلوقاته العظيمة، وآياته الحكيمة! ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ [سبا/ ٢٠].

ولا إله إلا الله! كم عبد أكثر الناس الشيطان، وأعرضوا عن عبادة الرحمن! ﴿ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ [يس/ ٦١-٦٢].

ثم اعلم رحمك الله أن الملك القدوس خلق آدم ﷺ بيده، ثم استخرج ذريته من ظهره، وأشهدهم على ربوبيته، فأقروا بذلك، كما قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

ثم جمع سبحانه الذوات ببيده الكريمتين قبل أن تدنس بأنواع الكفر والمعاصي، وقال سبحانه: هؤلاء إلى الجنة، ولمن في يده الأخرى: هؤلاء إلى النار، ثم أعادهم إلى صلب آدم؛ ليخرجوا منه على مر القرون والدهور، والله سبحانه يتابع عليهم إرسال الرسل، وإنزال الكتب، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٣٦﴾ [النحل/ ٣٦].

ثم إذا مات جميع البشر، وأراد الله بعثهم للحساب؛ لم يكن لهذه الأرواح التي تدنست بالكفر والمعاصي أن ترجع إلى يديه الكريمتين، فأوجد لهم الصُّورَ الذي جمع الله فيه الأرواح كلها، ثم ينفخ فيهم إسرافيل، فتطير كل روح إلى جسدها، ثم يقوم الناس لرب العالمين، وبعد البعث يكون الحساب، ثم الثواب والعقاب: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر/ ٦٨ - ٧٠].

واعلم زادك الله علماً وإيماناً وتقوى أن عالم الملائكة، وعالم الجن، وعالم الأرواح، والكتب، والرسول، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ كله من الغيب الذي شهدته العقول ببصيرة الإيوان، حتى صار يقيناً كالمشهود بالأبصار: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَهْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد/ ١٩ - ٢١].

وفي عالم الغيب أضعاف أضعاف ما في عالم الشهادة، والله وحدة عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الحشر/ ٢٢].

واعلم أن الصور من أمره سبحانه، والأرواح من أمره سبحانه، فأعاد الأرواح بالصور إلى الأجساد، ثم أعاد الكل يوم الفصل: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِينِ ﴿١﴾﴾ [التغابن: ٩].

ثم ساق المؤمنين إلى الجنة، وساق الكافرين إلى النار، حكمة بالغة، وحكم عدل، وأمر حتم، رجوع كل شيء إلى حيث كان، حسب علمه، وقيامهم يوم القيامة بين يدي الجبار ليحكم بينهم: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٦]. ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٦ - ٨].



ثم يكون الثواب والعقاب : ﴿ فَأَمَّا مَنْ نَقَلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا آدْرَبَكُمْ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾ ﴾ [القارعة: ٦- ١١] .

فمن يشك بعد هذا البيان بالحق ، ودين الحق ، ومُلك الحق ، وأحكام الحق سبحانه؟ ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ نَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الذاريات/ ٢٣] .  
﴿ فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] .

فإن لم تدرك هذا الحق المبين فاعلم أنك محبوب عن ربك، قد أسرك الشيطان، وزين لك إتباع الهوى وترك الهدى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠] .

فارجع إلى ربك، وانظر في الآيات الكونية، وتدبر الآيات القرآنية؛ لعلك تبصر مع المبصرين: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِيَتَذَكَّرُوا ۚ لَقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤- ١٠٥] .

واعلم رحمك الله أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ في الصور، فإذا نفخ فيه صعق كل روح في السماوات والأرض إلا من شاء الله، وفزع إلى الصور داخراً صاعراً: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ۗ وَكُلُّ أَتَوَّهٍ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [النمل/ ٨٧] .

ثم يميت الله إسرافيل، ومملك الموت، وتحق كلمة الله بموت كل نفس، ويبقى الملك الحق الحي القيوم جل جلاله: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْعُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٨٥] .

فينادي جل جلاله: لمن الملك اليوم؟ ولا يجيب سواه، فيجيب نفسه: لله الواحد القهار: ﴿ يَوْمَ هُمْ بَدْرُونٌ ۗ لَا يُخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۗ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ [غافر/ ١٦] .

فإذا أراد الله إعادة الخلق بعد الصعق؛ أنزل من تحت العرش ماءً كمني الرجال، وأمر كل شيء أخذ من شيء أن يعود إليه، ثم ينبت الله أجسام الخليفة كاملة كما ينبت النبات بالماء: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [نوح/١٧-١٨].

ثم يحيي الله جل جلاله إسرافيل عليه السلام ويأمره بالنفخ في الصور نفخة البعث، فينفخ فيه، فتخرج كل روح إلى جسدها: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر/٦٨].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الذي يخرج النبات الحي من الأرض الميتة، ويعيد الروح الحي إلى الجسد الميت؛ فيحيي الميت بالحي، ثم يخرج من القبر للبعث والحساب والجزاء: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الروم/١٩].

وسبحان من يبعث هذه الأجساد والأرواح للحساب والجزاء! ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۗ يَقُولُ الْكٰفِرُونَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر/٧-٨].

فلا إله إلا الله! متى يلين قلب الإنسان لعظمة مولاه؟ ومتى يؤوب إلى ربه من طغيانه وفجوره؟ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد/١٦].

فارجع رحمك الله إلى ربك الذي يحيي الأرض بعد موتها، وتب إليه فإنه غفور رحيم: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد/١٧].

واعلم أسعدك الله بطاعته أن الساعة آتية لا ريب فيها، بعد انقضاء الأجال وتمام الآماد كلها: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّهُ ۗ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر/٨٥].

فكما يأتي اليوم بعد اليوم، والشهر بعد الشهر، والعام بعد العام، والقرن بعد القرن؛ كذلك ينقضي يوم الدنيا ويخلفه اليوم الآخر: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥) [الأنبياء/ ٣٥].

واعلم أن الحكيم جل جلاله جعل النوم بين اليقظتين آيةً على الموت بين الحياتين، ومن كان في يقظته على شيء؛ فالغالب أن يكون على مثله في نومه، ومن عاش على شيء؛ فالغالب أن يموت عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فإذا بُعث رأى ما سمعه حقيقةً حين لا تنفع الرؤية: ﴿وَحَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (١١) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (٢٢) [ق/ ٢١ - ٢٢].

واعلم رحمك الله أن الله رحيم بجميع خلقه، أرسل إلينا رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهادة، حتى أظهر الله دينه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) [التوبة/ ٣٣].

فعليك باتباعه في جميع ما أرسله الله به من الإيمان بالحق، والعمل بالحق، والدعوة إليه، والصبر على الأذى في سبيله؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١١) [الأحزاب/ ٢١].

والله جل جلاله هو الملك الحق الذي خلق السماوات والأرض بالحق، وأنزل على عباده الحق، وأرسل رسوله بالحق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (١٢) [الحج/ ٦٢].

وهو الحق الذي تشهد له جميع مخلوقاته بالحق والعدل، والملك والعظمة، والجلال والكبرياء: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٧) [الجاثية/ ٣٧].

وتشهد جميع مخلوقاته للإله الحق بالتوحيد، والعبودية له، والافتقار إليه .

فكل ما سواه من المخلوقات عبيد له، وكل منهم يشهد على نفسه بما هو عليه من النقص والفقر والضعف والعجز، والتناهي في الأقطار والحدود، والآجال والصفات: ﴿أَلَمْ تَرَ

أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ  
وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ  
يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج/ ١٨].

ويشهد الكون كله لربه بأنه الملك الحق وحده لا شريك له، ويخضع لعبوديته، ويسبح  
بحمده: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾  
[الجمعة: ١].

فسبحان من اختص بالأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل  
الأعلى! ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٤].

هو سبحانه القادر على كل شيء، الذي خلق القدرة في كل قادر، وله وحده القدرة  
المطلقة، الذي يملك جميع خزائن القدرة وحده لا شريك له .

وهو سبحانه العليم بكل شيء، عالم الغيب والشهادة، الذي يملك خزائن العلم كلها،  
الذي خلق العلم في كل عالم، وله وحده العلم المحيط بكل شيء، وعلم ما سواه ناقص  
طارئ موهوب محدود مكسوب: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ  
بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله بدين الحق، وخصهم بما ليس في طاقة البشر  
الإتيان به من الإخبار بالغيوب، وخرق العادات، وتأييدهم بالآيات والمعجزات؛  
ليكون ذلك دليلاً على صدق رسله، وموجباً لاتباعهم فيما يأتون به من سنن وأحكام  
وآداب: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ  
بِالْقِسْطِ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد/ ٢٥].

وصفات النبوة، وأعمال النبوة، وآيات النبوة مبثوثة في العالم كله إلى يوم القيامة، تظهر  
في المسلم، ثم تتجلى في المؤمن، ثم تشرق في الموقن، ثم تستعلن في الصديق وهو  
المحسن: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ  
شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الفتح/ ٢٨].

وجميع الأنبياء والرسل صادقون صديقون محسنون، صلوات الله وسلامه عليهم:

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

والصديقية هي المقام الرفيع بعد النبوة، يربط الله بالحق على قلوب أهلها، ويظهر شاهد الحق على ألسنتهم وأعمالهم، ويطهرهم بضرور الكفريات، وحصول الكرامات، وإجابة الدعوات، وقضاء الحاجات: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وإنما بلغوا ذلك لكمال تصديقهم، وكمال انقيادهم للأنبياء وتوقيرهم، مع حسن الاقتداء بهم في نياتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وأخلاقهم: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات/ ١٥].

وكثيراً ما يكون في هذا الصنف المجتبي محادثات السر، والنفث في الروع، وحسن السمات، والصدق في الرؤيا، وكثرة البكاء، وسرعة إجابة الدعاء: ﴿ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [الشورى/ ١٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

والباب مفتوح لكل مسلم ليدخل مدخل الصدق، ويخرج مخرج الصدق، ويقوم مقام الصدق، فاطلبه بطاعة الله ورسوله: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء/ ٧٠].

ومقام هؤلاء الصديقين يوم القيامة في جوار ربهم: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴾ [القمر/ ٥٥].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٩٨٦).

فاجتهد في طلبه من يملكه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء / ٨٠].

ولعظمة هذا المقام وعلو درجته؛ سيسأل الله أهله : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [٧] لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الأحزاب / ٨].

فعليك بالتسليم الكامل لربك، مع الإحسان في القول والعمل، يرضى عنك ربك، وتتل به كرامته : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل / ٩٧].

وإنما يحيا العبد ويستقيم إذا سار على الصراط المستقيم إلى ربه، وصعد في المדרج العالية، فيرقى في الدرجات العلى من العلم والعمل؛ فيرى ويسمع الحق المفطور عليه العالم، فيكون كل شيء يراه ويسمعه أو يعلمه دليلاً من الحق يدل على ربه الحق المبين : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام / ١٥٣].

فإذا حقق العبد هذا أكرمه الله بالصعود في درجات الجنة : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال : ٢-٤].

فسبحان من أكرم آدم ﷺ وذريته، فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له جميع الملائكة، وجعله خليفة في الأرض، وأكرمه بمعرفة الأسماء كلها! ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠].

وجعل سبحانه هذه المعرفة في عبده آدم ﷺ علماً وذكرى، وجعل ذلك في ذريته غريزة وفطرة، وأشهدهم على ذلك شهادة حق، ثم استخرجهم من الأصلاب جيلاً بعد جيل على هذه الفطرة الربانية الإيمانية : ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِإِحْقَاقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾  
[الروم/ ٣٠].

فتجد المؤمن للبذرة التي في قلبه يصدق الرسل، ويؤمن بما جاءوا به من الحق والهدى والفرقان، فيصدق تلك المعرفة بالإيمان، ويزيدها بالفكرة، ويغذيها بالذكر والعبادات؛ فتفتح له أبواب العلم والهداية: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت/ ٦٩].

فلا يزال هذا المؤمن يترقى حتى يعم بفكره أقطار الأرض، ثم يخترق السبع الطباق، ثم يبلغ الكرسي الكريم، ثم ينتهي إلى العرش العظيم، فيشاهد الملكوت الأعلى، والمقام الأسمى .

فيرى قلبه ربه الملك الحق العزيز الجبار بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يخلق ويرزق، ويعطي ويمنع، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، ويرفع ويخفض، ويسط ويقبض، ويأمر وينهى، ويحيي ويميت : ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ أَمَلِكُ تُوْتِي أَمَلِكُ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ أَمَلِكُ مَعَن تَشَاءُ وَتُعْزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذَلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣٦] ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران/ ٢٦ - ٢٧].

فإذا رأى قلبه ذلك خشع لعظمة ربه، وسجد لجلاله، وذل لجبروته، وسبح بحمده مع المسبحين: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عَلُوًّا كَبِيرًا﴾ [٤٣] ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٣ - ٤٤].

فالإنسان في الحقيقة في طلب علم التوحيد ليس يتعلم، بل يتذكر ويسقي ما هو مركز في فطرته من تلك المعرفة، ولهذا قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية/ ٢١].

أما الكافر فيعادي الرسل وأتباعهم بحسب الحجب التي حالت بينه وبين تلك المعرفة السابقة فتجده يكذب على الله، ويكذب بآيات الله، ويخاصم ويجادل في أحكام الله، ويدعي الربوبية أو النبوة، ويملاً الأرض جوراً وظلماً، ويسعى في الأرض فساداً وبغياً،

ويملاً ما بين السماء والأرض كذباً وفجوراً: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس / ١٧].

وما أظهر هذا في شرار الخلق! ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص / ٤].

فيحتبس المطر من أجله، وتقحط الأرض بسببه، ويشيع في البلاد والعباد والدواب والنبات شؤمه وضرره: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم / ٤١].

فاستقم كما أمرت، ولا تكن ممن يعبد هواه؛ فتكون من الضالين: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص / ٥٠].

فاللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيما توليت .

واعلم أن الله هو الحق، وقوله الحق، ولا يهدي إلا إلى الحق، فعلى عباده عبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس / ٣٥].

ومن هداية الله إلى الحق جعله السبل في الأرض لأهلها ليسيروا عليها ، وجعله النجوم في السماء ليهدوا بها في مقاصدهم ، وإنزاله الكتب ، وإرساله الرسل إلى الخلق؛ ليهدوا إلى ربهم، وإلى الصراط المستقيم: ﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوًسًا أَنْ نَعْبُدَ بِكُمْ وَانْهَرًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥] وَعَلَّمَتِ وَيَالْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ [١٦] أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ [١٧] وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ [١٨] [النحل / ١٥ - ١٨].

واعلم رحمك الله أن السبل كثيرة، وأهداها إلى الحق ما أوصل إلى الحق سبحانه، وهو الصراط المستقيم، والدين القيم الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، فاتبعه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام / ١٥٣].



## التعبد لله ﷻ باسمه الشهيد

اعلم رحمك الله أن العبد إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، وعرف دينه وشرعه؛ وعرف وعده ووعيده، أوجب ذلك له أعظم أعمال القلوب من التوحيد، والإيمان، والتقوى، والصدق، والإخلاص: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

وإذا عرف العبد ربه باسمه الشهيد أوجب له ذلك تعظيم الله وتكبيره، وحمده وشكره. فإن العبد إذا علم أنه مكشوف أمام ربه في كل حال، وعلم أن الله محيط بحركاته الظاهرة والباطنة، واستحضر هذا الشهود في كل حال؛ أوجب ذلك له المراقبة لربه، فعبده بمقام الإحسان، وأوجب له كذلك الخوف من الله، والحياء منه عند المعصية، ورجاءه له عند الطاعة: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وحظ العبد من هذا الاسم أن يقوم بالشهادة لله في كل حال، في كل ما نفع وضر، ولو مع نفسه، أو الوالدين والأقربين، وكافة الناس: ﴿ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ [٢] ﴿ وَرِزْقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [٣] إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [٣].

[الطلاق/ ١ - ٣].

وإذا كنت أهلاً للشهادة فأدِّ الشَّهادة لله؛ لتكون من الشاهدين، فالشهادة بالحق أرفع الرتب، وأقرب القرب: ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

وإذا علمت بأن ربك شهيد فاستيقظ، واحذر الغفلة وركوب المعاصي، وتحرَّ الصدق والإخلاص، والزم تقوى الله في جميع الأقوال والأفعال، فإن الله شهيد رقيب على ما في القلوب من النوايا، وعلى ما تقوم به الجوارح من الأعمال: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف/ ١١٠].

واشهد بالحق، ولا تشهد بباطل، سواء كانت الشهادة على نفسك، أو على غيرك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِأَلْقِطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ ءَوِ الْوَالِدِينَ ۖ وَالْأَقْرَبِينَ ۗ﴾ [النساء/ ١٣٥].

والمؤمنون من هذه الأمة يشهدون في الدنيا بعضهم على بعض، ويشهدون على الأمم السابقة أنها بلغتهم الرسل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدْعَى نُوْحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة/ ١٤٣]. وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَاتَّوُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مرُّوا بِأُخْرَى فَاتَّوُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: هَذَا أَتَّيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَتَّيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ « متفق عليه.

فيجب على المسلم الإتيان بالشهادة لله، ويجرم على المسلم كتمان الشهادة التي يثبت بها الحق، ويندفع بها الباطل، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۗ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءِثْمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۗ﴾ [البقرة/ ٢٨٣].

وأعظم الكتمان كتمان الحق، وعدم إبلاغه للناس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۖ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ۗ﴾ [١٥٩] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

[البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٤٩).

ويحرم على المسلم الكذب بأن يشهد بباطل وزور، كما قال سبحانه: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج/ ٣٠-٣١].

وأعظم الكذب وأقبح الزور: الكذب على الله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقُتُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].  
والشهادة على الله بما هو بريء منه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الصف/ ٧].

ثم يليه الكذب على أنبياء الله ورسله: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].  
قال النبي ﷺ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَىٰ أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا؛ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ثم يلي ذلك: الكذب وشهادة الزور على الناس: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].  
وقد مدح الله ﷻ أوليائه بقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان/ ٧٢].

وعن أبي بكرة ؓ قال: قال النبي ﷺ: «أَلَا أُنبئُكُمْ بِأكْبَرِ الكِبَائِرِ؟ ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ. وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا، فَقَالَ: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ». قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

ثم يلي ذلك: الكذب على الحيوانات والبهائم: ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ١٥].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١٠٧)، واللفظ له، و مسلم برقم (٣٠٠٤).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٦٥٤)، واللفظ له، و مسلم برقم (٨٧).

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

واعلم رحمك الله أن اليوم الآخر من عالم الغيب، وسيكون شهادة بيننا لكل إنسان مؤمن أو كافر، ثم يصير الناس إلى مصائرهم، في دار القرار في الجنة أو النار: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

واعلم أن الناس بعد موتهم سوف يُبعثون ويحشرون كلهم للحساب يوم القيامة .  
والحشر يكون في ثلاثة مواطن:

فالأول: حشر قبل قيام الساعة من أقطار الأرض إلى بيت المقدس بعد البعث .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ: رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَأَثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةَ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيْتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

الحشر الثاني: بعد نفخة البعث والنشور، وهو حشر عام لجميع الخلق للحساب يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ نُسِّرِ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [٤٧] وَعَرْضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ [٤٨] وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [٤٩].  
[الكهف: ٤٧ - ٤٩].

الثالث: حشر الناس إلى دار القرار:

حشر الكفار إلى جهنم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال/ ٣٦].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٥٢٢)، واللفظ له، و مسلم برقم (٢٨٦١).

وحشر المؤمنين إلى الصراط الأول المنصوب على متن جهنم: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا ﴿٧٢﴾ [مريم/ ٧١-٧٢].

ثم حشر المؤمنين إلى ربهم، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا ﴿٨٦﴾ [مريم/ ٨٥-٨٦].

ثم يساق المؤمنون مكرمين إلى الجنة جماعات: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَّهُ. وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ [الزمر/ ٧٣-٧٤].

ويساق الكفار إلى جهنم: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ [الزمر: ٧١-٧٢].

واعلم أن كل الخلق سوف يسألهم ربهم ويحاسبهم يوم القيامة، فالسؤال: هل فعلت كذا؟ ولمن فعلته؟ وكيف فعلته؟ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ [الحجر/ ٩٢-٩٣].

والحساب يقال فيه: خذ هذا عن هذا: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٥١﴾ [إبراهيم/ ٥١].

واعلم أن من حوسب عذب لا محالة، إذ لا يقوم أحد لحساب الله ﷻ، وله الحجة البالغة حقاً، ولا يمكن لأحد القيام بحقه، وشكر إحسانه؛ إنما هي رحمة الرحيم، وفضل الكريم سبحانه: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَّيْنَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢١﴾ [النور/ ٢١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا: وَلَا أَنْتَ

يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا «  
متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم رحمك الله أن الحساب منه عاجل وآجل .

فالعاجل: الحسنة نورها في القلب وثوابها، وللسيئة ظلمتها في القلب وعقوبتها.

والحساب الآجل: ما أخر الله جزاءه في الدار الآخرة، والعاجل منه دليل على

الآجل: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فسبحان الملك الرحيم بعباده، بَيْنَ لَهُم الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فِي الدُّنْيَا؛ لِيَسِيرُوا عَلَيْهِ إِلَيْهِ،  
وَدَعَاهُمْ لِسُلُوكِهِ لِيَصِلُوا إِلَيْهِ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

ثم ينصب لهم سبحانه يوم القيامة صراطاً مستقيماً على متن جهنم، وهو الصراط الأكبر

المنصوب لكل العباد حاشا الكفار والمشركين، الذين اقتطعتهم عنق النار في عرصة

المحشر، فهو لاء يدخلون النار مباشرة دون سؤال ولا صراط: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ

رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن جَٰهَنَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا

ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف/ ١٠٥-١٠٦].

ثم تتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله؛ فيقعون جميعاً في النار: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهِنَّ

وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهِنَّ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى

الرَّحْمَنِ عِيبًا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلَانًا ﴿٧٠﴾ وَإِنْ مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ

حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجِيءُ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدْرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم/ ٦٨-٧٢].

فإذا لم يبق إلا المؤمنون؛ نصب لهم الصراط ثقيلهم وخفيفهم، فإذا خلص من خلص من

هذا الصراط وهم المؤمنون؛ حبسوا على صراط خاص بهم على قنطرة بين الجنة والنار،

فإذا هذبوا ونُقُوا من المظالم التي بينهم أذن لهم بدخول الجنة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يُخْلَصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ

عِنْدَ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيَقْصُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٣)، واللفظ له، و مسلم برقم (٢٨١٦).

إِذَا هُدُّبُوا وَنُقُوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُحُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى لِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ لِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا» أخرجه البخاري (١).

وهذا الصراط منصوب لأهل العدل الثاني، وهم أهل المظالم من المؤمنين .  
وأما أهل العدل الأول فهم الذين اقتطعهم عنق النار في المحشر إلى النار، وهم الكفار،  
والمشركون.

فاستقم على الصراط المستقيم في الدنيا تعبر الصراط الأكبر يوم القيامة إلى الجنة بإذن الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

واعلم أيها المسلم أنك ستمر على الصراط بلا ريب: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا ﴿٧٢﴾ [مريم: ٧١-٧٢].  
وبحسب حسن السير على الصراط المستقيم في الدنيا؛ تكون سرعة العبور على الصراط يوم القيامة .

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجَسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَرَّلَةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفٌ وَكَالِإِبِ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ يَمُرُّ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا» متفق عليه (٢).

فلا إله إلا الله! إن قلبًا لا تمزه هذه الأهوال والكروب والشدائد والمشاهد لقلب ميت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَيَسْفُونَ ﴿١١﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمْحِي

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٥).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٣).

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد/١٦-١٧].

ثم توضع موازين القسط والعدل لوزن العباد وأعمالهم يوم القيامة، بعد دخول طوائف من المؤمنين الجنة بغير حساب ولا عذاب: ﴿وَتَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء/٤٧].

والميزان يوم القيامة حق، له كفتان، كل كفة تسع طباق السماوات والأرض، فتوضع الحسنات في كفة، والسيئات في الأخرى، ويرى الإنسان نفسه وهو يزاول عمله: ﴿يَوْمَ يَذُورُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة/٦-٨].

وبعد الميزان يكون الثواب والعقاب: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾﴾ [القارعة/٦-١١].

فسبحان الرب العظيم الذي خلق العرش العظيم، وخلق الميزان العظيم، وخلق كل شيء في الدنيا بموازين مقدره! ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/١٠٢].

فكل شيء بميزان مقدر لا يزيد ولا ينقص، ولا يتقدم ولا يتأخر، الخلق، والتدبير، وإنزال الماء، وتقسيم الأرزاق، والنمو والتكاثر، والجبال والبحار، والسحب والرياح، وكل شيء معلوم مقدر: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿١١﴾﴾ [الحجر/٢١].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجْدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/٤٩-٥٠].

واعلم أن حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة يمدّه ميزابان من الكوثر الذي أعطاه إياه ربه في الجنة، فيشرب منه كل من آمن به: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر/١-٣].

وهذا الحوض عظيم واسع، سعته كما بين مكة وبصرى، ماؤه أشد بياضًا من اللبن،



وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وآيته كعدد نجوم السماء، من شرب منه؛ لا يظماً أبداً، يشرب منه المؤمنون، ويزاد عنه كل من بدل دينه .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَرَوَايَاهُ سَوَاءٌ، مَاؤُهُ أَبْيَضٌ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكَيْزَانُهُ كُنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا؛ فَلَا يَظْمًا أَبَدًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم وفقنا الله وإياك للفقهِ في الدين أن هذه الدنيا نبذة من الآخرة، مزج الله فيها الخير بالشر، والحق بالباطل؛ امتحاناً وابتلاءً في هذه الدار؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٣٥] [الأنبياء/ ٣٥].

﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَّكِبُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [٣] [العنكبوت/ ٢-٣].

أما الآخرة فإن الله جل جلاله خلص فيها الخير كله، وجعله بحذافيره في الجنة، وخلص فيها الشر كله، وجعله بحذافيره في النار: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فَرَيْدُهُ مُصْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [٢٠] ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [٢١] [الحديد/ ٢٠-٢١].

فسبحان ربنا العظيم الملك الحق الحكيم الخبير، الذي خلق الدنيا والآخرة، ثم أظهر لنا الدنيا، وأخفى الآخرة، وقدم الدنيا، وأخر الآخرة، وجعل الدنيا دار زاد للآخرة .

فمن جاء بالإيمان والأعمال الصالحة أكرمه الله بالجنة، وأعد له من النعيم ما لا تدركه العقول، ولا تعلمه النفوس: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٧] [السجدة/ ١٧].

ومن كفر بالله أدخله النار، وأعد له فيها عذاباً عظيماً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٥٧٩)، واللفظ له، و مسلم برقم (٢٢٩٢).

نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾  
[النساء/ ٥٦].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ نور، لا يراه أحد في الدنيا: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٣].

أما في الآخرة فإن المؤمنين يرونه، ولا يحيطون به؛ لكمال عظمته وكبريائه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

أما الكفار فيرونه في المحشر مع المؤمنين، ويريدون السجود له فلا يستطيعون، ثم يحجبهم عنه كما قال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾﴾ [المطففين/ ١٥-١٦].

اللهم ارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين.

واعلم رحمك الله أن من آمن بالله في الدنيا، وراه ببصيرته؛ أكرمه الله برويته يوم القيامة ببصره، ودخول جنته، والفوز برضوانه، ومن كفر بالله في الدنيا، وعمي عنه ببصيرته؛ حرمه الله يوم القيامة من رؤيته، ودخول جنته، وأدخله ناره: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة/ ١٨-٢٠].

اللهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل.

واعلم أن باب الإيمان مفتاحه التدبر والنظر في الآيات الكونية، وفي الآيات القرآنية: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٣٢﴾﴾

فانظر رحمك الله في ملكوت ربك كل وقت لتزداد علماً، وتوحيداً، وإيماناً،  
ويقيناً: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ  
قَدْ أَقْرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

وتدبر في آيات ربك الحكيمة؛ تعرف ربك بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، ودينه، وشرعه،  
ووعده ووعيده: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبُيُوتُ أَنْ يَدْخُلُوهَا وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا  
كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء/ ٨٢].

إذا فهمت هذا؛ فاعلم رحمتنا الله وإياك أن الخلاق العليم خلق من أجلك ثلاث دور،  
وأربعة مواطن، وخمسة أحوال، فاعرف هذه الأمور، وآمن بمن خلقها: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا  
بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].

أما الدور الثلاث: فدار الدنيا، ودار البرزخ في القبر، والدار الآخرة يوم القيامة.

وأما المواطن الأربعة: فأولها الدنيا، ثم البرزخ، ثم عرصة القيامة، ثم الجنة أو النار.

#### • وأما الأحوال الخمسة:

فالأول: الحال التي قبل دار الدنيا، وهي حال النطفة الأمشاج: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ  
نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا  
كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان/ ٢ - ٣].

الثاني: حالك في الدنيا، وهي محل الابتلاء والعمل.

الثالث: حالك في البرزخ، وهي محل الانتظار إلى يوم القيامة.

الرابع: حالك يوم القيامة، وهي محل الفصل بين العباد.

الخامس: حالك في دار الخلود في الجنة أو النار، وهي دار القرار الأبدي بالنعيم أو  
الشقاء: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي  
الْعَذَابِ مُخَضَّرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم/ ١٤ - ١٦].

فاعلم رحمتنا الله وإياك ذلك كله؛ لتكون على بصيرة من أمرك، فما سمعته في هذه الدنيا

بأذنك سوف تراه يوم القيامة ببصرك، وما عملته سوف تلقاه: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

واعلم أن علامة المخلص في عمله أن يعبد الله كأنه يراه، ولا يلتفت لأحد سواه؛ لأنه لا يبحث عن تقدير الناس، ولا عن إعجابهم، ولا ينتظر حمدهم وشكرهم؛ لأنه يعلم أن الله على كل شيء شهيد: ﴿ أُولَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت/ ٥٣].  
﴿ وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء/ ٧٩].

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [إبراهيم/ ٤١].  
«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي.  
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم.  
﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [١٨٠] ﴿ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ [١٨١] ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [١٨٢] [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الواسع

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الواسع

الله ﷻ هو الواسع الحق ذو الطول والاقترار، واسع الكرم والإحسان، واسع العلم والإحاطة، واسع الرحمة والمغفرة، واسع الفضل والإنعام: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر / ٧].

هو سبحانه الواسع الكريم الذي وسع خلقه كلهم بالكفاية والإحسان، الغني الذي وسع غناه جميع عبده، الرزاق الذي وسع رزقه جميع خلقه، ويده مقاليد الفضل والإحسان والإنعام: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ يَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ يَخْصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران / ٧٣ - ٧٤].

وهو سبحانه الواسع العليم الذي وسع علمه كل شيء، وأحاط بكل شيء علمًا، فلا يخفى عليه مثقال ذرة في ملكه الواسع العظيم: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾﴾ [طه / ٩٨].

وهو سبحانه واسع المغفرة الذي يغفر لكل من تاب وأتاب مهما بلغت ذنوبه وخطاياها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾﴾ [النجم / ٣٢].

وهو جل جلاله واسع العظمة والملك والسلطان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥].

فسبحان الواسع العظيم الذي وسع كل شيء رحمةً ومغفرةً، وفضلاً وعلمًا، وحكمًا وسلطانًا: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجَهَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [البقرة / ١١٥].

وسعت أسماؤه جل جلاله كل شيء، ووسعت صفاته كل شيء، ووسعت كلماته كل شيء، ووسعت أفعاله كل شيء، ووسعت خزائنه كل شيء، ووسعت أرزاقه كل

شيء: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر / ٢١].

هو سبحانه الواسع العظيم الذي لا نهاية لعظمته، ولا نهاية لكبريائه، ولا نهاية للملكه، ولا نهاية لعلمه، ولا نهاية لنعمه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَجَهُّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ١١٥].

هو سبحانه الواسع الكبير الذي وسع بصره الأشياء كلها، ووسع سمعه الأصوات كلها، ووسع علمه الذرات والمجرات كلها.

هو الواسع العظيم الذي وسع كل شيء، فلا يشغله شيء عن شيء، ولا شأن عن شأن: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر / ٧].

هو سبحانه الواسع المحيط بجميع الخلائق، وجميع الأصوات، وجميع الصور، وجميع الذرات، وجميع المجرات: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَجَهُّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ١١٥].

هو الواسع الذي لا حد لعظمته، ولا حد لكبريائه، ولا حد لإبداعه، ولا حد لعلمه، ولا حد لقدرته، ولا حد لغناه، وكل ما سواه مخلوق محدود: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُوعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

فسبحان الواسع العليم القادر الذي لا يشغله أهل السماء عن أهل الأرض، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا صورة عن صورة، ولا صغير عن كبير، ولا حي عن ميت: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

واعلم رحمك الله؛ أن كل إنسان مهياً لمعرفة الله، والقلب واسع لا يملؤه إلا معرفة الله، والقلب مضطرب لا يطمئنه إلا معرفة الله ﷻ.

أما معرفة ما دون الله، فإنها معرفة دون ذلك، ويملها الإنسان بعد حين، ونفس الإنسان مخلوقة لتعرف العظيم جل جلاله، الذي لا نهاية لعظمته وكبريائه، فإذا شغلها الإنسان بالمحدود من المخلوقات عن معرفة ربه الواسع الذي لا نهاية لعظمته وكبريائه؛ سئمت

هذا المحدود، وتشرفت إلى غيره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩].

ولن يسعد في الدنيا أحد إلا إذا عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرف الواسع الذي لا نهاية لعظمته ولا نهاية لسلطانه، الواسع الذي لا حد لإحسانه، ثم عبده بموجب هذه المعرفة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ [الرعد / ٢٨ - ٢٩].

جمع الله جل جلاله إلى المثل الأعلى جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، فهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وحده لا شريك له: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَلْبٌ ۗ لَهٗ قَلْبُنٌ ۗ وَهُوَ الَّذِى يَبْدُءُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهٗ وَهُوَ اَهْوَنُ عَلَيْهِ ۗ وَلَهٗ الْمَثَلُ الْاَعْلٰى فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٧﴾ [الروم / ٢٦ - ٢٧].  
وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨].

وقد ورد اسم الله الواسع في القرآن الكريم ثمان مرات؛ منها: قوله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجَهَّ وَجْهُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ أَسِعَ عَلَيْهِمُ﴾ ﴿١١٥﴾ [البقرة / ١١٥].  
وقد اقترن اسم الله الواسع مع اسم الله العليم سبع مرات، وسر ذلك والله أعلم أن الله واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل، وهو العليم بمن تصلح له المضاعفة، وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الإسراء: ٣٠].

فهو سبحانه واسع العطاء العليم بمن يستحق فضله، ومن يستحق عدله، فيضع فضله مواضعه لكرمه ورحمته، ويمنعه من ليس أهل له بحكمته وعلمه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمُ﴾ ﴿٣١﴾ [البقرة / ٢٦١].

واقترن اسم الله الواسع مع اسمه الحكيم مرة واحدة في قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٣٠﴾ [النساء / ١٣٠].

وسر ذلك والله أعلم؛ أن الله سبحانه واسع الفضل والعطاء والإحسان، وهو الحكيم الذي يعطي بحكمته، ويمنع بحكمته، فهو واسع الحكمة يضع فضله وإحسانه في



أفضل مواضعه، فيعطي هذا بفضله وكرمه، ويمنع هذا بعدله ورحمته، وهو العليم بمن يستحق فضله، ومن يستحق عدله: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٧٣) يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران / ٧٤].

فهو سبحانه أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته ونعمه وكرمه وإحسانه.

واسم الله الواسع من الأسماء الجامعة العظيمة، فالله سبحانه واسع الفضل، واسع العطاء، واسع الإحسان، واسع الغنى، واسع العلم، واسع الحلم، واسع الرحمة، واسع المغفرة: ﴿رَبِّنَا وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (٧) [غافر / ٧].

هو سبحانه الواسع الذي وسع رزقه جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، ووسعت رحمته كل شيء، ووسع غناه كل فقر: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦) [هود / ٦].

﴿وَمَا خَلَقْتِ الْحِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨].

هو سبحانه الواسع، الذي له جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى.

هو سبحانه واسع الصفات والنعوت، واسع العظمة والكبرياء، واسع الجلال والجمال، واسع الملك والسلطان.

له سبحانه ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وملك الدنيا والآخرة، وله ملك السموات والأرض، وله ما بين السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض، فلا إله إلا الله! ما أوسع ملكه! وما أعظم قدرته! ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُّوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥) [غافر / ٦٥].

هو سبحانه واسع الفضل والإحسان، لا يحصي أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما أثنى عليه به عباده، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿هُوَ اللَّهُ

الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

• واسم الله الواسع أعم من اسمه الغني:

فالغني: الذي استغنى عن كل شيء، واحتاج إليه كل شيء.

والواسع: الذي وسع غناه ورزقه جميع خلقه، فهو واسع الغنى، واسع الفضل، واسع الإحسان، واسع العلم، واسع القدرة، واسع العظمة، واسع الرحمة والمغفرة. والسعة تكون في الذوات كالمخلوقات، وتكون في المعاني والصفات.

والصفة المشتقة من اسم الله الواسع هي صفة السعة كوصف ذات الله سبحانه، والتوسيع على الغير صفة فعل: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجَهَّ اللَّهُ إِلَيْكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١١٥].

هو سبحانه الواسع وحده في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، ومملكه وسلطانه، وإنعامه وإحسانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

فإن نظرت أيها المسلم إلى عظمة الله؛ فالله أعظم وأوسع وأكبر من كل شيء، وأكبر مما عرفت ومما لم تعرف، وكبرياؤه وجلاله وجماله لا أول له ولا آخر، ولا بداية ولا نهاية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

وإن نظرت إلى أسمائه وصفاته؛ فله الأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وإن نظرت إلى أفعاله في ملكه العظيم، وأفعاله في خلقه، وأفعاله مع أوليائه، وأفعاله مع أعدائه؛ فهو الملك القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الخالق لكل شيء: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك/ ١].

وإن نظرت إلى علمه؛ فهو العليم بكل شيء، ولا ساحل لبحر علمه العظيم، وسع ربي

كل شيء علماً: ﴿٥٩﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام/ ٥٩].

فما أوسع علمه وقدرته جل جلاله! بل تنفذ الأقلام والبحار ولا تنفذ كلماته جل جلاله: ﴿٢٧﴾ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ [لقمان/ ٢٧-٢٨].

وإن نظرت إلى سعة رحمته؛ فرحمته وسعت كل شيء: ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾ [غافر/ ٧].  
وإن نظرت إلى سعة مغفرته مها بلغت الذنوب من العباد؛ فهو واسع المغفرة: ﴿٣٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ ﴿[النجم/ ٣٢].

وإن نظرت إلى سعة خلقه؛ فهو خالق كل شيء، ومبدع كل شيء ﴿٦٣﴾ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

﴿١٠٢﴾ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وإن نظرت إلى سعة فضله وإحسانه؛ فكل ما في الكون من إحسانه وإنعامه، وفضله وكرمه: ﴿٧٤﴾ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

وإن نظرت إلى سعة ملكه وسلطانه؛ فجميع عالم الغيب والشهادة ملكه، وجميع العالم العلوي والسفلي ملكه، وجميع ما في الدنيا والآخرة ملكه: ﴿١١٥﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَوَجَّهُ لِيهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعُ عَلَيْهِمْ ﴿١١٥﴾ [البقرة/ ١١٥].

فما أعظم ربنا العظيم! وما أوسع عرشه العظيم! وما أوسع كرسيه الكريم! وما أوسع

ملكه العظيم! ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فسبحان الواسع الذي أحاط بكل شيء علمًا! ولا نهاية لسعة أسائه وصفاته وأفعاله، وإنعامه وجلاله وجماله! ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة / ٥٤]. هو سبحانه الواسع الكريم الذي يتجلى لعباده المؤمنين بما يسعدهم في الدنيا والآخرة، فيغنيهم من سعته بالمال الحلال، والذرية الطيبة، والقناعة بما أعطاهم، والرضا بما قدره عليهم، ويوسع عليهم في دينهم، فلا يكلفهم ما ليس في وسعهم: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة / ٢٨٦].

أما في الآخرة فتتجلى سعته سبحانه بما أحل على أوليائه من رضوانه، وما أعد لهم في الجنة من ألوان النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة / ١٧]. ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة / ٧٢].

فسبحان الواسع في ذاته وأسمائه وصفاته، الواسع في أفعاله، يوسع على من شاء بفضله، ويمنع من شاء بعدله، يوسع في الخلق والبناء كما قال سبحانه: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات / ٤٧].

ويوسع على من يشاء في الرزق: ﴿ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴾ [الرعد: ٢٦]. ﴿ قُلْ إِنْ أَرَادْتُمْ أَنْ تُحِبُّوا اللَّهَ فَاَتَّبِعُوا مَن يَتَّبِعُوا اللَّهَ يَرْضَهُ وَاللَّهُ يَرْضَىٰ مَن يُحِبُّهُ وَاللَّهُ يَرْضَىٰ مَن يُحِبُّهُ وَاللَّهُ يَرْضَىٰ مَن يُحِبُّهُ ﴾ [آل عمران / ٧٣].

هو سبحانه الواسع الذي وسع علمه جميع المعلومات، ووسع سمعه جميع الأصوات، ووسع بصره جميع المبصرات، ووسع حلمه جميع العصاة، ووسعت رحمته جميع المخلوقات، ووسعت مغفرته جميع الذنوب: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ [غافر: ٧]. وقال ﷺ: ﴿ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [الزمر / ٥٣].

واعلم رحمك الله؛ بأن كل مخلوق واسع كالسما والارض فله حد ينتهي إليه، لكن وسع الله مطلق لا حد له، فهو سبحانه واسع الرحمة والمغفرة، واسع العلم والقدرة، واسع الأسماء والصفات: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَجَهَّ اللَّهُ إِلَيْكَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / ١١٥].

واعلم أن من علم الله منه حب التوسيع على الناس فوسع عليهم؛ وسع الله عليه، ومن علم منه حب التضييق على الناس، ضيق الله عليه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٣٠].

هو سبحانه الواسع الذي لا نهاية لعظمته، ولا نهاية لملكه، ولا نهاية لأرزاقه، واسع في قدرته فلا يعجز، واسع في علمه فلا يجهل: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر / ٦٥].

هو سبحانه الواسع الذي إذا أعطى فلا فقر، وإذا منع فلا غنى، وإذا حاسب فتش: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر / ٢].

هو الواسع الذي بيده مقاليد الأمور كلها، العلي الذي لا نهاية لعلوه وقدرته: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ إِخْتِيرَ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام / ١٧-١٨].

هو الواسع الذي لا يعزب عنه أثر الخواطر في الضمائر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢].

هو سبحانه الواسع الذي لا يشغله شأن عن شأن، ولا يشغله شيء عن شيء، ولا يشغله أمر عن أمر، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا يشغله دعاء عن دعاء: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس / ٦١].

هو جل جلاله الواسع الذي عم علمه وقدرته ومشيتته وإرادته كل كائن في السموات

والأرض، وكل كائن في الدنيا والآخرة، وكل ما كان وما يكون وما سيكون من كبير وصغير، وظاهر وباطن، وحي وميت، وناطق وصامت: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ١١٥].

الكل ملكه، والكل في قبضته والكل يشهد بتوحيده، والكل يسبح بحمده، والكل يسجد لعظمته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج/ ١٨].

فسبحان ربنا الواسع العظيم الذي جمع ذلك كله خلقًا وأمرًا وكتبه في اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس/ ١٢].  
من المخلوقات والأشياء، والحركات والسكنات: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [الأنعام/ ٤٩] وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر/ ٤٩ - ٥٠].

فسبحان من جمع هذه المخلوقات العظيمة؛ لتشهد بتوحيده، وتسبح بحمده. ثم جمع الله جل جلاله الخليفة البشرية كلها في واحد جامع جعله عبدًا له، وهو آدم ﷺ، وخلقته متذللًا لعزته، خاضعًا لعظمته، قانتًا له، متصاغرًا لكبريائه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُؤًا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَقْفُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء/ ١].

جمع سبحانه في هذا الإنسان ما كان وما يكون منه في سابق علمه، وجمع فيه ما يخرج منه من مولود، وكلام، وأقوال، وأعمال، وأخلاق؛ فلا إله إلا الله! ما أوسع علمه! وما أوسع قدرته! جعل البشرية كلها في صلب آدم، ثم أخرجهم على مر القرون والأجيال. وجمع سبحانه جميع ذرات الكون في العالم العلوي والعالم السفلي على ذكره وتوحيده وتسيبحة: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٤].

ثم هو جل جلاله جامع الناس ليوم لا ريب فيه؛ لتوفى كل نفس ما كسبت: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْعَاهِدَ﴾ [آل عمران/ ٩].

ثم هو جامعهم في دار القرار في الجنة والنار: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ  
التَّغَابُنِ﴾ [التغابن / ٩].

هو الحق جل جلاله، جامع الخير كله بحذافيره لأوليائه في الجنة؛ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا  
أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٧].

وهو العزيز القادر جامع الشر كله بحذافيره لأعدائه في النار: ﴿هَذَا وَاتِّ لِلطَّغِينِ لَشَرِّ  
مَثَابٍ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا فَنِسَّ الْمَهَادُ ٥٦ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقُ ٥٧ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ  
أَزْوَاجٌ ٥٨﴾ [ص / ٥٥ - ٥٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَضِجَتِ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا  
العَذَابِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ٥٦﴾ [النساء / ٥٦].

هو سبحانه الواسع القادر الذي يجمع أهل السماء والأرض، ويجمع الإنس والجن،  
ويجمع المؤمنين والكفار، ويجمع العبد مع عمله، ويجمع كل نبي مع أمته، ويجمع  
الأولين مع الآخرين: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ  
مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ٨٧﴾ [النساء / ٨٧].

فسبحان جامع الناس ليوم لا ريب فيه؛ ليحاسبهم ويجازيهم بما عملوا من خير أو شر!  
﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ٦ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا  
يَرَهُ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨﴾ [الزلزلة / ٦ - ٨].

هو سبحانه الواسع الذي يجمع يوم القيامة بين الظالم والمظلوم، ويجمع بين القوي  
والضعيف، ويجمع بين المعطي والآخذ، ويجمع بين الأمير والمأمور؛ ليقصص لبعضهم  
من بعض: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يَكْفُرْ عَنْهُ  
سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ  
٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ  
الْمَصِيرُ ١٠﴾ [التغابن / ٩ - ١٠].

وهو سبحانه الملك الحق الذي جمع الكمالات كلها في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله،  
وملكه وسلطانه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ٨﴾ [طه / ٨].

هو الواسع الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي

الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ [آل عمران / ٢٦].

وهو سبحانه الكريم الذي جمع الكمالات البشرية في رسله وأنبيائه، وجمع جميع كمالاتهم في سيدهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ، فهو ﷺ في أعلى درجات الخلق، وفي أعلى درجات الأدب، وفي أعلى درجات العلم، وفي أعلى درجات العمل، وفي أعلى درجات التقوى، وفي أعلى درجات الرحمة، فهو كما أثنى عليه ربه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم / ٤].

جمع الله فيه جميع صفات الأنبياء والرسل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة / ١٢٨].

وهو سبحانه الكريم الذي لا أكرم منه، القوي الذي لا أقوى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الغني الذي لا أغنى منه، العزيز الذي لا أعز منه.

فسبحان واسع الذات، واسع الأسماء، واسع الصفات، واسع الأفعال! ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر / ٢٤].

واعلم أن كل صحابي من صحابة الرسول ﷺ وكل مسلم من أمته إنما حاز على بعض تلك الأخلاق التي أكرم الله بها نبيه ﷺ، فاظفر بما استطعت منها: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب / ٢١].

هو سبحانه الواسع الذي وسعت قدرته كل شيء، فجمع بين المتماثلات والمتضادات، والمتشابهات والمتباينات، وجمع بين المخلوقات وما ينفعها، وهداها لاجتناب ما يضرها، وجمع بين المتقابلات كالليل والنهار، والحر والبرد، والأمن والخوف، والحب والبغض، وجمع بين المتباينات، فجمع بين الساء والأرض، واليابس والماء، والجبل والسهل، والبحر والنهر: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾ [النور: ٤٤].

هو سبحانه الذي جمع بين القلوب بالإيمان: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ



جَمِيعًا مَّا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾  
[الأنفال/ ٦٣].

فسبحان الله الواسع العليم الذي وسع كل شيء رحمةً وعلماً، ومغفرةً وحلماً، وقدرةً ومشيئةً: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦١﴾ [يونس / ٦١].

هو سبحانه الواسع الحكيم رب كل شيء ومليكه، خالق كل شيء ومبدعه، الحي القيوم القائم على كل شيء، المحيط بكل شيء، الذي بيده خزائن كل شيء: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ [هود/ ١٢٣].

فسبحان من وسع سمعه جميع الأصوات، ووسع بصره جميع الذوات، ووسع علمه جميع المخلوقات، وقهر بقوته جميع القوات! لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو سبحانه الواسع الحق الذي وسَّع على عباده في أرزاقهم ومساكنهم، ووسع عليهم في دينهم فلم يكلفهم إلا وسعهم، وهو سبحانه واسع الأجر والثواب: ﴿مِثْلَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣١﴾ [البقرة/ ٢٦١].

وهو سبحانه واسع الملك، الذي يؤتیه من يشاء، وينزعه من يشاء: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٢٤٧﴾ [البقرة/ ٢٤٧].

## التعبد لله ﷻ باسمه الواسع

الله ﷻ هو الواسع الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) [طه / ٨].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه؛ أن الواسع الحق جل جلاله له المحامد كلها، وله الثناء الحسن كله: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٧) [الجاثية: ٣٦-٣٧].

وإذا عرفت أن ربك واسع عليم؛ فاحمل نفسك على أحسن الصفات، وأوسعها خيراً، وأنفق مما آتاك الله من فضله في مرضاته؛ يؤتك أضعافه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٤٥) [البقرة/ ٢٤٥].

واعلم رحمك الله؛ أنك لن تستطيع أن تسع الناس بهالك؛ فسعهم بأخلاقك الحسنة؛ يحبك الله، ويحبك أهل السماء والأرض: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحَاسِنِكُمْ أَخْلَاقًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم أن الله واسع عليم؛ فسع الناس بحسن خلقك ورحمتك، ومن زاد إيمانه بربه؛ اتسعت دائرة رحمته لخلقه، فوسع رحمك الله دائرة علمك، ووسع دائرة عملك، ووسع دائرة أخلاقك، ووسع دائرة حلمك، ووسع دائرة عفوك، ووسع دائرة إحسانك: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٦١) [الحديد/ ٢١].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٥٥٩)، ومسلم برقم (٢٣٢١) واللفظ له.

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَعْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلَيْهِ الْعَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [التغابن/ ١٧- ١٨].

واعلم أن العبد إذا عرف ربه باسمه الواسع، وأنه واسع الأسماء والصفات، وواسع الملك والسلطان، وواسع الفضل والإحسان، وأن فضله غير محدود، وأن عطاءه غير منقطع، تعلق قلبه بربه الواسع العليم الذي لا ينساه، الواسع الذي يرزق بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢- ٣].

فهو سبحانه يرزق بالأسباب: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرْشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١- ٢٢]. ويرزق بدون الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس/ ٨٢].

رزق مريم طعامًا بلا شجر، وابنًا بلا ذكر: ﴿كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

ويرزق بضد الأسباب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢- ٣].

ويُنْجِي بِأَسْبَابِ الْهَلَاكِ: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٩]. ويهلك بأسباب النجاة كما دمر فرعون وجنوده، وقارون وماله: ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥- ٥٦].

وإذا عرف العبد ربه الواسع العليم؛ توكل عليه وحده، وفوض أموره إليه وحده، ولم يتشوش قلبه إذا انسد عنه باب من أبواب الرزق، أو أصابته خسارة أو مصيبة أو كارثة؛

لأنه يعلم أن الله واسع عليم، وأن أبواب فضله لا تعد ولا تحصى، وأنه إذا انغلق منها شيء؛ انفتح ما هو أحسن منه وأنفع: ﴿وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ ﴿١٣٠﴾ [النساء/ ١٣٠].

فارض بما قسم الله لك، ولا تضجر مما قدر الله عليك: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦].

وإذا علمت رحمك الله؛ أن الله واسع الصفات والنعوت، واسع الملك والعظمة والسلطان، واسع الإحسان والإنعام، واسع الرحمة والمغفرة؛ تيقنت أن الله بيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء، وأحبت ربك، وأفردته بالعبادة، وحمدته على عظيم نعمه وإحسانه، وسعة رحمته ومغفرته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

ومن عرف ربه باسمه الواسع خافه ورجاه، وراقبه في السر والعلن؛ لعلمه أنه الواسع العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٧﴾ [غافر/ ٧].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم، أن يكون واسع الصفات والأخلاق، يتجمل بالأخلاق الحسنة، ويتجنب الأخلاق السيئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ [الأعراف/ ١٩٩-٢٠٠].

وسارع إلى ربك بأنواع الطاعات والقربات: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج/ ٧٧].

وإذا عرف العبد ربه باسمه الواسع؛ كان واسع اليد بالعتاء والإحسان: ﴿الَّذِينَ

يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْدِي وَالْأَنْفُسِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة / ٢٧٤].

ويكون كذلك واسع البر والأخلاق لكل الخلق، فيصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، ابتغاء مرضاة الله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

واطلب من ربك الواسع العليم بكل شيء المغفرة والرحمة، والمال والولد، والغيث والنسل: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [الأعراف / ٨٩].

وكن واسع الصدر، واسع المغفرة، واسع العطاء، تحب لإخوانك ما تحب لنفسك، تصبر على أذاهم، وتغفر زلاتهم، وتصفح عن مسيئتهم، وتأخذ بيد من زل منهم: ﴿وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٢٢﴾ [النور: ٢٢].

وكن متعبداً لله في سعة الصدر؛ من الصبر على الطاعات، والصبر على أقدار الله المؤمنة، والصبر على صنوف الأذى في سبيل الله، والصبر عن جميع المعاصي والمحرمات: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

وإذا وسع الله عليك في الغنى والأموال؛ فوسع على نفسك وأهلك، وولدك وإخوانك، وجيرانك وأقاربك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

واعلم أن من وسع على الناس بكل خير؛ وسع الله عليه بأفضل منه، من العلم والمال، والخلق والفهم: ﴿إِن تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ [التغابن / ١٧].

وكلما علا مقام الإنسان اتسعت رؤيته، وكلما عرف ربه بأسمائه وصفاته كبره وعظمه، وأحبه وحمده وشكره، وتقرب إليه بأنواع العبادة، وكلما علا علم الإنسان بربه؛ اتسعت محبته لله، واتسعت أنواع عبادته: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكلما علا مقام الإنسان؛ اتسع إحسانه، وكثر استغفاره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ ﴿١١﴾ [محمد/ ١٩].

وإذا عرفنا الله باسمه الواسع؛ نتعاون، ولا نتقاتل، ولا نتحاسد، ونحسن ولا نسيء، ونرضى بما قسم الله لنا، ونسع الجاهل بالحلْم، ونسع المسيء بالعمو: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَزْعَمُ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ [فصلت/ ٣٤-٣٦].

واعلم أن ربك واسع الرحمة، فإذا أصابك كرب أو هم؛ فاعلم أن الواسع سوف يفرج كربك، فما منع سبحانه إلا ليعطي، وما قبض إلا ليعسط، وما ابتلى إلا ليعافي، وسيجعل الله بعد العسر يسراً: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾ [الشرح/ ٦].

واعلم غفر الله لنا ولك ولجميع المسلمين والمسلمات؛ أن الوعاء الأكبر يتسع للأصغر، فالكبير يسع الصغير، والعالم يسع الجاهل، والغني يسع الفقير، والحليم يسع الأحق، والمحسن يسع المسيء، فصل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وإذا علمت أن ربك واسع جامع لكل خير؛ فاجمع رحمك الله بين خيري الدنيا والآخرة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الفصص/ ٧٧].

واجمع بين الآداب الظاهرة على الجوارح، والحقائق الباطنة في القلوب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واجمع بين عبادة الحق، والإحسان إلى الخلق، فالدين ركنان: عبادة الحق وحده لا شريك له، والإحسان إلى جميع الخلق: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء/ ٣٦].

وأعلم أن الإحسان أعظم مقامات الدين، فكن من المحسنين: ﴿وَمَن أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنَ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء/ ١٢٥].

والجزاء من جنس العمل، وأحسن العمل، فالعمل منك، والجزاء من ربك: ﴿مَنْ عَمَلْ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل/ ٩٧].

واجمع بين العلم والعمل، والإيمان والتقوى، والعدل والإحسان، وحسن السيرة والسريرة؛ يجمع لك ربك ما تحبه وترضاه في الدنيا والآخرة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَكَبِّرُونَ الْمُلْكُوتُونَ الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ وَالْحَنِيفُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

واعلم أن من أعظم الأخلاق التي يحبها الله رحمة الناس، والرفق بهم، وإكرام أشرفهم، والإحسان إلى فقرائهم، والحلم عن سفيهم، ودعوتهم إلى الخير، والنصح لهم، وحب المؤمنين منهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ  
وَكَثُرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ [آل عمران / ١١٠].

واسأل الله أن يرزقك حسن الخلق مع الخالق والمخالق في كل حال.

فحسن الخلق مع الخالق أن توحدته وتعبدته وحده لا شريك له.

وحسن الخلق مع المخلوق أن تحسن إليه بأنواع الإحسان، وأعلى ذلك هو  
الرحمة: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ  
وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾  
[آل عمران / ١٥٩].

واعلم أن روح الدين هو اليقين، وروح الرسالة هو الرحمة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً  
لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ [الأنبياء / ١٠٧].

فاليقين يمنع كل أحد أن يضرك، والرحمة تمنعك أن تضر أحداً.

وقد أرسل الله رسوله محمداً ﷺ بأحسن الأديان، وأحسن الأخلاق، وأحسن الأعمال،  
فاتبعه في نيته وفكره، وفي دينه وأخلاقه، وأقواله وأفعاله؛ لعلك تُرزق بعض صفاته  
التي أثنى الله عليه بها بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ [القلم / ٤].

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ  
حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ [التوبة / ١٢٨].  
﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ  
كَثِيرًا ﴿٢١﴾ [الأحزاب / ٢١].

واعبد ربك الكريم العظيم بكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة  
والباطنة، وتخلق بالأخلاق التي تخلق بها أنبياءه ورسله، فإن فعلت ذلك؛ أكرمك الله  
بأنواع الثواب يوم القيامة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ  
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رُّزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأتوا بِهِ  
مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة / ٢٥].

والأخلاق لباس الإنسان، فمن حسن لباسه حسن ثوابه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ  
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرِينَ وَالصَّادِرَاتِ



وَالْخٰشِعِينَ وَالْخٰشِعَةَ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُنَّصِدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ  
وَالْحٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحٰفِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ  
لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب / ٣٥].

وتضرع إلى ربك الواسع العليم الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك من أبواب الخير ما  
يرضيه عنك، وأن يغلق عنك من أبواب الشر ما ينجيك من عقابه، فخرائن كل شيء  
عنده جل جلاله: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ ﴿١١﴾  
[الحجر / ٢١].

﴿وَأَعْلَمُوا أَن فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ  
وَزَيَّنَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَمِّنَ اللَّهُ  
وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات / ٧-٨].

وأكثر رحمة الله من التدبر والتفكر في آيات ربك العظيمة الكونية والشرعية، ومملكة  
الواسع، ثم أتبع العبرة بالعمل المحبوب إليه من الذكر والعبادة، والعمل بشرعه،  
والدعوة إليه، وتعليم أحكام دينه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ  
إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت / ٣٣].

واجمع بين العلم والعمل، فالعلم بلا عمل كشجر بلا ثمر، وثمره العلم الحق العمل  
الحق، مع الخشية والرغبة والرغبة: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ  
غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر / ٢٨].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ  
يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر / ٩].

وسبح بحمد ربك العظيم في كل حين، وسبح باسم ربك الأعلى في كل وقت: ﴿وَأذْكُرْ  
اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦٦﴾﴾  
[الإنسان / ٢٥-٢٦].

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا  
مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾  
[الذاريات / ١٥-١٩].

واعلم أن شأن الله عظيم، وأسماءه وصفاته الحسنى لا تحيط بها العقول، وجلاله وجماله، وجبروته وعظمته وكبريائه تعجز عن إدراك كنهها الأفهام، وآلاؤه ونعمه وإحسانه لا تعد ولا تحصى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

فسبحه كثيرًا، واحمده كثيرًا، واستغفره كثيرًا، واذكره كثيرًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ﴾ [٤٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۚ﴾ [٤٣] ﴿يَجْتَنِبُهُمْ يَوْمَ يَقُونَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [٤٤] [الأحزاب/ ٤١ - ٤٤].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل/ ١٩].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ۖ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ۚ﴾ [٨٤] ﴿وَاجْعَلْنِي مِن رَّبِّهِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ [الشعراء/ ٨٣ - ٨٥].

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، إِنَّكَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

اللهم إني أسألك فواتح الخير، وخواتمه وجوامعه، وأوله وآخره، وظاهره وباطنه، والدرجات العلى من الجنة، يا واسع العطاء والرحمة والمغفرة.

اللهم يا من رحمته وسعت كل شيء، أسألك خير الدعاء، وخير المسألة، وخير الفلاح، وخير العمل، وخير الثواب، وخير الحياة، وخير الممات، وخير المقام، يا واسع الفضل والمغفرة والرحمة: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۗ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۗ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات/ ١٨٠ - ١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٥)، ومسلم برقم (٧٦٩) واللفظ له.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المحيط

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المحيط

اسم الله المحيط من الأسماء الحسنى العظيمة الجامعة لأوصاف الجلال والجمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

فالله ﷻ هو الملك الحق الذي له ملك السموات والأرض وما فيهن، المحيط بكل شيء، الذي أحاط بالأشياء كلها في العالم العلوي والعالم السفلي، من الذرة إلى المجرة، ومن الفرش إلى العرش: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء / ١١٦].

وهو سبحانه المحيط الذي أحاط بصره بجميع المخلوقات، وأحاط سمعه بجميع المسموعات، وأحاط علمه بجميع المعلومات، ونفذ مشيئته وقدرته في جميع الموجودات، وسعت رحمته أهل الأرض والسموات، ودانت لعظمته جميع المخلوقات: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء / ١٢٦].

وهو سبحانه العلي العظيم الذي أحاط بكل شيء خلقًا، وأحاط بكل شيء أمرًا، وأحاط بكل شيء قدرة، وأحاط بكل شيء علمًا: ﴿إِن رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

وهو سبحانه العلي الأعلى، الكبير المتعال، الذي أحاط بالعالم كله أوله وآخره، وظاهره وباطنه، وأعلاه وأسفله، وكبيره وصغيره: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد / ٣].

وهو جل جلاله المحيط الذي أحاط بكل محيط في العالم العلوي والعالم السفلي، وأحاط بكل ذرة في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت / ٥٤].

وهو سبحانه الكريم الذي أحاط بجميع خلقه بالنعمة الظاهرة والباطنة، وأحاطهم

بالعافية والصحة، وأحاطهم بالأمن والحفظ، فلا أحد أكرم منه، ولا أحد أقوى منه، ولا أحد أعظم منه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر / ٦٥].

فسبحان الملك الحق المحيط بكل شيء، المحيط بالسموات والأرض، المحيط بالأبد والأمد، المحيط بالمكان والزمان، المحيط بالأوائل والأواخر، المحيط بالظواهر والبواطن، المحيط بالأقوال والأفعال، المحيط بالجهر والسر ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك / ١٣-١٤].

هو سبحانه المحيط بكل محيط، المحيط الذي لا يحيط به محيط: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٦﴾﴾ [النساء / ١٢٦].

هو سبحانه الرب العظيم المحيط الذي خلق الملك والملكوت، وأحاط بعالم الغيب والشهادة، والدنيا والآخرة، خلق السموات والأرض، وملأ السموات السبع بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من الملائكة التي تسبح بحمده، وتشهد بتوحيده، وتطيع أمره: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل / ٤٩-٥٠].

وهو سبحانه المحيط الذي ملأ الأرض بما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من أنواع الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والذرات، والإنس، والجن: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

ثم أحاط الجبار جل جلاله كل أرض بما فوقها إلى الأرض السابعة العليا، ثم أحاط الأرض العليا بالسماء الدنيا الأولى، وأحاط السماء الأولى بالسماء الثانية وهكذا؛ إلى السماء السابعة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء / ٣٠].

ثم أحاط سبحانه السموات السبع والأرضين السبع بالكرسي الكريم: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥٥].

ثم أحاط الكرسي الكريم بالعرش العظيم، الذي أحاط بجميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٦١﴾﴾ [النمل / ٢٦].

والسموات والأرض بالنسبة للكرسي كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي بالنسبة للعرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكل في يد الجبار جل جلاله أصغر من الخردلة في يد الإنسان: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر / ٦٧].

فسبحان ربنا الكبير المتعال الذي خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وأحاط بكل شيء محيط، وله الحمد في الأولى والآخرة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية / ٣٦ - ٣٧].

والله جل جلاله ذو العظمة والكبرياء، والعزة والجبروت، والمملك والملكوت قد استوى على العرش الكريم بأعظم الصفات؛ وهي الرحمة، كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه / ٥].

فسبحان الرب العظيم الذي استوى على العرش العظيم، وأحاط بكل محيط، الذي يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يخلق ويرزق، ويأمر وينهى، ويعز ويذل، ويحيي ويميت، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في ملكه العظيم: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى الْيَوْمَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

واعلم علمك الله من علمه أن هذه المخلوقات العظيمة، والتدبيرات العجيبة، في السماء والأرض، لكل واحد منها يومه، وساعته، ودقائقه، ولكل مخلوق أيامه، وأسابيعه، وشهوره، وأعوامه، وقرونه، يقع فيها حوادث لا يحصيها إلا الله من الأعمال المختلفة، والتسبيح والتحميد، والحياة والموت، منها ما نبصره، وأكثرها لا نبصره، والله محيط بكل ذلك: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

والكل من الذرات والمجرات، والمحيطات والمخلوقات، يسبح بحمده، ويشهد له بالوحدانية، والكل أحاط به المحيط الذي أحاط بكل شيء علمًا، وقدرةً، وتدبيرًا،

وتصريفًا: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ (النساء/ ١٢٦).

وأعظم تلك المخلوقات العظيمة وأكثرها عبادات هم الملائكة الذين ملأ الله بهم السموات السبع العلى، وحملة العرش المقربون، فهؤلاء كلهم عبادتهم لربهم سرمدية أبداً: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ [الأنبياء/ ١٩ - ٢٠].

وهو جل جلاله الملك الغني عن جميع خلقه، وكلهم فقراء إليه في خلقهم وتدبيرهم وأرزاقهم: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) [فاطر/ ١٥].  
وجميع ما في الكون من المخلوقات تعبد ربها، وتسبح بحمده، وتشهد بتوحيده، ومن شذ من البشر عن عبادته؛ فالملائكة الكرام لا يسأمون من عبادته: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ (٣٨) [فصلت/ ٣٨].

فسبحان الكريم الذي أنعم علينا بنعم كثيرة لا يحيط بها إلا هو: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (٢٠) [لقمان/ ٢٠].

وأكرمنا سبحانه بالدين الحق الذي يرضى به عنا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة/ ٣).

وفرض علينا سبحانه أولاً خمسين صلاة في اليوم واللييلة، ثم خفف الكريم الرحيم عددهن من خمسين إلى خمس صلوات، وأعطى الأجر كاملاً على الخمسين من فضله، فالصلاة الواحدة بعشر صلوات، فصارت الصلاة الواحدة بمائة صلاة، والخمس صلوات بخمسمائة صلاة: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (٧٠) [النساء/ ٧٠].

فله الحمد على عطاء ربنا الكريم، الذي العطاء أحب إليه من المنع، والرحمة أحب إليه من الانتقام: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ﴾ (٧٣) يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣ - ٧٤].

وجعل سبحانه كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة لا

يعلمها إلا هو، والسيئة بمثلها، ويمحوها إما بالتوبة أو بعفوه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [١٦٠/ الأنعام].  
 وقال ﷺ: ﴿إِنْ تَقَرَّبُوا اللَّهَ قَرَبًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن/ ١٧].

واعلم أن مَنْ علت همته سارع إلى مرضاة ربه بأداء الفرائض، وتكثير النوافل وتحسينها من جميع الطاعات، واجتناب المنهيات من جميع المحرمات: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ [٥٧] وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ [٥٨] وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ [٥٩] وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ [٦٠] أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ [٦١]﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

وعلى قدر المسارعة والمسابقة إلى الطاعات تكون الكرامات والهبات، وعلى قدر الغفلة والبطالة تكون الخسارة والعقوبات: ﴿قُلْ يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس/ ١٠٨].

وهؤلاء المؤمنون وثوابهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال/ ٢ - ٤].

وهؤلاء الكفار وعقابهم: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة/ ٦٨].

فسبحان الكريم الرحيم بعباده الذي خلق المسبحين، وعرفنا بهم، وأرانا إياهم، وأخبرنا بدوام تسبيحهم؛ لنقتدي بهم، ونسبح بحمده معهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِمَّنَّا النَّاسُ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج/ ١٨].



هو الله المحيط الذي أحاط بكل شيء، وأحصى كل شيء من الذرات والذوات، والأعداد والأحوال، والآجال والأرزاق، والأنفاس والحركات، والأقوال والأفعال، والحروف والكلمات، وما في القلوب وما في الغيوب: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَأْتِيَهُمُ الْمُحِيطُ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت/ ٥٣ - ٥٤].

وهو سبحانه المحيط الذي أحصى كل شيء خلقاً وأمراً، عدداً وقدرًا، أولاً وآخرًا، يعلم مثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد ذرات الرمال، وعدد ورق الأشجار، وعدد الطير والوحش والحيوان، وعدد الإنس والجان والملائكة، وأحصى تسيبها وأنفاسها، وما خرج منها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتُوتَ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس/ ١٢].

أوجد سبحانه العدد وجودًا لا ينتهي له ولا آخر، والعدد هو الرقم واحد الذي له بداية وليس له نهاية، وجعله في الدنيا آيةً على بقاء ما له أول ولا آخر له، وهي الدار الآخرة: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت: ٦٤].

فسبحان من أحصى جميع المخلوقات بإحصاء واحد، ويحسبها بحساب واحد، ويعلم كل شيء بعلم واحد، وأحصى جميع المخلوقات جملةً وتفصيلاً: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسَيْنِ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام/ ٦١ - ٦٢].

والله جل جلاله أسأوه لا تُحصى، وصفاته لا تحصى، ونعمه لا تحصى، ومن أحصى من أسماء الله ﷻ تسعة وتسعين اسمًا دخل الجنة، وإحصاؤها هو معرفتها، وتوحيد الله بها، والتعبد لله بها، ودعاء الله بها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَتُرُّ يُحِبُّ الْوَتْرَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فيجب علينا تعلم أسماء الله الحسنى؛ لندعوه بها، ونتعبد لله بها، بالاتصاف بما يليق

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦)، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٧).

بالعبد منها، فالله محسن يجب المحسنين، والله مؤمن يجب المؤمنين، والله شكور يجب الشاكرين، والله تواب يجب التوابين: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

وإذا كنت تعلم أن الله محيط بكل مخلوق، وهو المحيط الذي يحصي كلامك وأفعالك وأنفاسك، ولا يدع شيئاً إلا أحصاه عليك، ويراقبك حتى كأنه ليس ينظر لأحد سواك؛ فلماذا لا تجل نظره إليك، ولا تهاب رقابته عليك، ولا تستحي من مشاهدته لك؟ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج / ٧٠].

ولا يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً، ولا يعصيه إلا من جهل قدره: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْحَنُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۗ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۗ﴾ [١٣] ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ۗ﴾ [١٥] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۗ﴾ [١٦] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۗ﴾ [١٧] ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۗ﴾ [١٨] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ سِاطًا ۗ﴾ [١٩] ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۗ﴾ [نوح / ١٣ - ٢٠].

واعلم رحمك الله أن أنفاس العباد معدودة، وكل نفس يخرج من غير ذكر الله فهو ميت، وخطوات الخلائق كلها معدودة، وكل خطوة يخطوها الإنسان بلا إيمان فهي ميتة، فاذا ذكر الله يذكرك، وابعده بما شرعه، واشكره على إحسانه: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۗ﴾ [مريم / ٦٥].

فلا إله إلا الله ما أرحمه بعباده، وما أعظم عنايته بخلقه: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد / ٩]. وقد ورد اسم الله المحيط في القرآن ثمان مرات، منها: قوله سبحانه: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۗ﴾ [فصلت / ٥٤].

والله سبحانه هو المحيط بكل شيء علماً وقدرة، ورحمةً وقهراً، وبصراً وسمعاً: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ﴾ [الطلاق / ١٢].

أحاطت قدرته سبحانه بجميع خلقه، وأحاط سمعه بكل صوت، وأحاط بصره بكل مخلوق، وأحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٦٦﴾ [النساء / ١٢٦].

والصفة المشتقة من اسم الله المحيط هي صفة الإحاطة، وهي صفة ذاتية لله ﷻ: ﴿الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [فصلت / ٥٤].

هو سبحانه المحيط بكل محيط ومحاط، ولا يحيط به محيط، أحاط بكل شيء قدرةً وعلماً، وحركةً وسكوناً، وسمعاً وبصراً: ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت / ٥٤].

هو سبحانه المحيط بك رافةً ورحمةً ولطفاً، يطعمك إذا جعت، ويسقيك إذا عطشت، ويشفيك إذا مرضت، ويؤمنك إذا خفت، ويوصل إليك ما ينفعك، ويدفع عنك ما يضرك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة / ٢٤٣].

فمن هذه أسماؤه وصفاته، وهذا إحسانه وإكرامه، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١١] الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فَرَشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة / ٢١ - ٢٢].

فسبحان ربنا العظيم المحيط الذي أحاط الأرضين السبع بالسموات السبع، وأحاط السموات السبع بكرسيه العظيم، وأحاط ذلك كله بعرشه العظيم، وهو المحيط بكل خلقه علماً، ولا يحيطون به علماً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

هو سبحانه المحيط بكل شيء إحاطةً مكانية، وإحاطةً زمانية: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد / ٣].

هو سبحانه المحيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء، المحيط الذي يدرك كل شيء، ولا يدركه شيء: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢ - ١٠٣].

هو سبحانه المحيط الذي أحاط بكل مخلوق، فلا يفر منه أحد، ولا يخرج عن ملكه أحد، ولا يغيب عنه أحد؛ وذلك لكمال إحاطته وعلمه وقدرته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَفْعَلُ أَنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢ / الطلاق].

هو سبحانه المحيط بذاته، المحيط بأسمائه، المحيط بصفاته، المحيط بأفعاله، المحيط بملكه وسلطانه؛ فهو العليم المحيط بكل عالم وجاهل، القادر المحيط بكل قادر وعاجز، السميع المحيط بكل ناطق وصامت، البصير المحيط بكل ذرة ومجرة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [١١٦ / النساء / ١٢٦].

فسبحان المحيط بالنيات والإرادات، المحيط بالأقوال والأفعال، المحيط بالحركات والسكنات، المحيط بكل ذرة ومجرة، المحيط بعالم الغيب والشهادة، المحيط بالعالم العلوي والعالم السفلي: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [٥٤ / فصلت / ٥٤].

فسبحان المحيط بكل ذرة في ملكه: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [١١٦ / النساء / ١٢٦].

## التعبد لله ﷻ باسمه المحيط

اعلم أن الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

هو الملك المحيط بكل ملك ومملوك، القوي المحيط بكل قوي وضعيف، الكبير المحيط بكل كبير وصغير، العزيز المحيط بكل عزيز وذليل، العليم المحيط بكل عالم وجاهل، الغني المحيط بكل غني وفقير: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء / ١٢٦].

هو الرب المحيط بجميع أكناف العالم، وجميع ذرات العالم، المحيط بجميع أنفاس ونيات وحركات وسكنات وأقوال وأعمال الخلائق كلها في آن واحد: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

فعليك رحمك الله بمواظبة التفكير، وزيادة التدبر؛ لتعرف الكبير حقًا، والعظيم حقًا، والملك حقًا، والمحيط حقًا، الذي أحاط بالملكوت كله حولًا وقوة، وعلمًا ومشيةً، وأحاط بكل إحاطة ظاهرة أو باطنة، كبيرة أو صغيرة: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ [النساء / ١٢٦].

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، وهذا ملكه، وتلك خزائنه؛ هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له؛ بأن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [١٠٣]. [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

فعليك يا عبد الله بالاستسلام له، والحياء منه، وإخلاص العبادة له، والتبرؤ من الحول والقوة له، والخروج إلى الله من معاني النفس عند النعمة والكرامة والطاعة: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل / ٥٣]. فكل نعمة فإنها كانت لك منه بإذنه وفضله وعونه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور / ٢١].

واحرص عفا الله عنا وعنك أن تكون محيطاً بأنواع البر والخير والإحسان من الفرائض والسنن، واجتنب البدع والمعاصي، وعليك بالصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر لله على النعماء؛ لتسعد في الدنيا والآخرة: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

• فالواجب عليك من ربك خمسة أمور:

أوامر تفعلها، ومحرمات تجتنبها، ونعم تشكر الله عليها، وابتلاءات تصبر عليها، وذنوب تستغفر الله منها: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّوهُ وَمَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَانْهَوْا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر: ٧].

فبادر إلى كل عمل صالح: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل / ٩٧].

وأكثر من التوبة والاستغفار مما تعلمه من الذنوب ومما لا تعلمه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظِلْمَ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء / ١١٠].

ومن عرف الله حقاً وحده، وأكثر من استغفاره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُنْتَقِبِكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد: ١٩].

وإياك والاعتراض على أقدار ربك العليم المحيط بكل شيء، ولا تتبرم من أي مكروه قدره، ولا تحزن على أي أمر من الدنيا منعه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد / ٢٢ - ٢٣].

والله المحيط يسوق عباده إليه بالنعم تارة، والمصائب تارة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن / ١١].

وإذا وقع مكروه؛ فقل: قدر الله وما شاء فعل، وإذا لم يقع ما تحب؛ فاعلم أن الله لم

يقدره، ولو كان خيراً لقدره: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، أَحْرَضٌ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِينُ بِاللَّهِ، وَلَا تَعْجَزُ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ؛ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» أخرجه مسلم <sup>(١)</sup>.

وعليك بالحنيفية السمحة في جميع أمورك، وملازمة السنة في أقوالك وأفعالك، ومصاحبة الأيام والليالي، والشهور والأعوام، بالأعمال الصالحة؛ ابتغاء مرضاة الله: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١ - ١٦٣].

واعلم أن الحق سبحانه يكون للعبد في حياته وبعد موته كما كان العبد لربه بعد بعثه من نومه، فإن كنت في الدنيا لربك عبداً، ولحرماته معظماً، وإلى ما يحبه ويرضاه مسارعاً؛ كان الله في الآخرة لوجهك مكرماً، ولشأنك معظماً، وإلى مسرتك بالنعيم مسارعاً: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ ﴿٦٠﴾ [الرحمن/ ٦٠].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة/ ٧٢].

ومن أحسن في القول والعمل أحسن الله إليه وزاده؛ لكمال رحمته وعظيم كرمه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [يونس/ ٢٦].

واعلم أن نعم الله على العباد كثيرة لا تحصى، ولا يحاط بجملتها فضلاً عن أحادها: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ نُنْقُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ وَمَا يَكُومُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾ [النحل/ ٥٢ - ٥٣].

أخرجه مسلم برقم (٢٦٦٤).

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالَّذِي يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس / ٣١ - ٣٢].

فاشكر الله على كل نعمة أنعم الله بها عليك تأخذ أجزها مضاعفاً، واستغفر الله عن التقصير في كل عمل صالح؛ فإن ربك غفور رحيم، وأنت عبد فقير ضعيف: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء: ١١٠].  
واعلم أن أعظم ما يستعين به العبد على الذكر، والعمل الصالح، ومدافعة الغفلة: مراعاة الأوقات قبل فواتها، وشغلها بفعل ما شرعه الله ورسوله من الفرائض والنوافل: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الحجر / ٩٨ - ٩٩].

وتوكل على الله وحده في جلب ما ينفعك، ودفع ما يضرك: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ مِن تَقْوَمِ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء / ٢١٧ - ٢٢٠].

وإياك وإضاعة الأوقات، والتسوية والتمني، والترخي والانتظار، والتردد والتريبص؛ فهذه كلها جنود إبليس، ورايات إبليس التي صاد بها أكثر الخلق: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبا / ٢٠].

واعلم أن الله كما يقبل الليل والنهار؛ كذلك يقبل الأنفاس بخواطر القلوب، فأكثر من ذكر الله، وفكر واعمل بما يحبه الله ورسوله تفلح: ﴿ وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾ [الأعراف / ٢٠٥].

واعلم أن الله جل جلاله هو المحيط بكل شيء علماً وقدرة ورؤية، فلا يخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة، ولا يخرج عن ملكه أحد؛ لأنه هو المحيط القاهر لكل أحد، العليم بكل أحد: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١].

ومن عرف ربه باسمه المحيط أحبه، وتقرب إليه بأنواع الطاعات، وخافه ورجاه،



واستحيا من معصيته، وابتعد عن كل ما يسخطه؛ لأن علمه محيط بكل شيء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢].

وإذا عرف العبد أن ربه محيط بكل شيء؛ عظمه وكبره، وابتعد عن ظلم العباد، وأكل حقوقهم، والاعتداء عليهم؛ لعلمه أن الله محيط بكل أحد: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا نَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللَّعْنِ بَشَرٌ إِلَّا نَسَمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَبْأُؤْلِكْ هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الحجرات: ١١].

ومن عرف الله باسمه المحيط؛ استهان بقوة الأعداء مها كانت، بعد أخذ الأسباب الدافعة لشرهم، والمأمور بها شرعاً، وتوكل على الله وحده؛ لعلمه أن الله محيط بهم، وقاهر لهم: ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ﴿١٢٠﴾ [آل عمران / ١٢٠].

وإذا تكالب علينا الأعداء، وسفكوا الدماء، ونهبوا الأموال، وانتهكوا الأعراض، وخربوا الديار، فلأن المؤمنين لم يحققوا أمرين: الصبر .. والتقوى.

فمن صبر واتفق ربه نصره الله على عدوه؛ لأنه جل جلاله قوي محيط بكل قوي: ﴿وَلْيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنِ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَقِيبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٤١﴾ [الحج / ٤٠ - ٤١].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿٥١﴾ [غافر / ٥١].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ [الأعراف / ٢٣].  
 ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ إِنَّكَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة / ٢٨٦].

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

اللهم يا محيطاً بالأوائل والأواخر، يا عليماً بالظواهر والبواطن، يا سميعاً للمنادي والمناجي، يا بصيراً بالشاهد والغائب، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار. اللهم لا تدع لنا ذنباً إلا غفرته، ولا همماً إلا فرجته، ولا كرباً إلا نفسهته، ولا ضرراً إلا كشفته، ولا ضاللاً إلا هديته، برحمتك يا أرحم الراحمين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسَيْنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الحسيب.. الحاسب

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الحسيب.. الحاسب

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الروم/ ٢٧).

الله جل جلاله هو الحسيب الحق، ذو الشرف والمجد، وذو العزة والجبروت، وذو العظمة والسؤدد، وذو الجلال، والجمال، والكبرياء، له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وليس كمثله شيء: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

وهو سبحانه الحسيب الحق، العالم بمقادير الحسنات والسيئات، العليم بأنواع الطاعات والمعاصي، المحيط بمواقع الأقوال والأعمال والأرزاق، وأعدادها وأنواعها وأجناسها: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (النساء/ ٨٦).

وهو سبحانه الحسيب الكافي عباده، الذي لا غنى لهم عنه أبداً، فهو خالقهم ورازقهم، وكافهم في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (الزمر/ ٣٦).

وجميع النعم منه وحده لا شريك له: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ (النحل/ ٥٣).

وهو سبحانه الحسيب الحاسب الحافظ لأعمال خلقه كلهم، الحسيب الذي أحصى جميع أقوال العباد وأفعالهم الظاهرة والباطنة، وجميع حركاتهم وسكناتهم: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

فكل أقوال وأفعال وحركات العباد محسوبة عنده، لا يضيع منها شيء، ولا يزداد عليها شيء، ثم يجازي بها العباد يوم القيامة عدلاً وفضلاً، بلا ظلم ولا بخس، ولا هضم ولا

نقص: ﴿وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء/ ٤٧].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُظِلُّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٤٠].

هو سبحانه الحسيب الكافي؛ لأنه القوي القادر، العليم الخبير، الرحمن الرحيم، الغني الحميد، الحليم الكريم، الحسيب الصمد، الذي انتهى إليه كل شرف في الوجود، لما له من الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحميدة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

هو سبحانه الحسيب الذي يحاسب العباد على أقوالهم، وأعمالهم، يحاسب من أطاعه، ويشيب على طاعته الجنة والرضوان، ويحاسب من عصاه، ويجازيه على معصيته بالنار وسخط الرحمن، وحسابه جل جلاله دقيق، لا يترك مثقال ذرة منه؛ بل يطلع عليه من فعله، ثم يجازيه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [٦] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٨] [الزلزلة/ ٦-٨].

وبعد الحساب يكون الجزاء بحسب العمل: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [٦] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [٨] ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ [١٠] ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ [١١] [القارعة/ ٦-١١].

وهو سبحانه الكريم الرحيم الذي يجازي على الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، ويجازي على السيئة بمثلها أو يغفرها: ﴿إِنْ تَقْرَبُوا اللَّهَ قَرْبًا حَسَنًا يَضْعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [١٧] ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [التغابن/ ١٧-١٨].

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٥].

فسبحان الحسيب الكريم الذي يحاسب عباده في الدنيا ليربيهم، ويحاسبهم في الآخرة ليجازيهم! ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ [الأعراف: ٨-٩].

واعلم أن من أيقن أن الحسيب سوف يحاسبه؛ فلا بد أن يخاف منه، ومن خاف منه؛ استقام على أمره ودينه، ففاز برضوانه وجنته: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٤٦) [الرحمن/ ٤٦].

ومن امتلأ قلبه بمعرفة الله أحبه، وخر بين يديه ساجداً: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

هو سبحانه الحسيب الذي يكفي بفضله، ويصرف الآفات عن عباده بطوله، إذا رفعت إليه الحوائج قضاها، وإن حكم بقضية أمضاها: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) [البقرة/ ١٨٦].

هو سبحانه العليم بكل شيء، الحسيب الحاسب لكل شيء، الذي يعلم النيات والأسرار، ويعلم الأقوال والأعمال، ويعلم أصغر الذرات، ويعلم النقيير والفتيل والقطمير: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ (١٣) ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ﴾ (١٤) ﴿وَلَا يَنْتَعِكُ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

فالله يعلم جميع أفعال العباد، ويحاسب عليها ولا يظلم أحداً مثقال ذرة: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنْى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [٤٧/ الأنبياء/ ٤٧].

والله جل جلاله سريع الحساب، بل هو أسرع الحاسبين، فإذا رجع العباد إليه يوم القيامة؛ حاسبهم في أسرع وقت، وحاسبهم جميعاً في وقت واحد، كما يرزقهم جميعاً في الدنيا في وقت واحد: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [٦١] ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [٦٢/ الأنعام/ ٦١-٦٢].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي خلق جميع الخلق، وأحصى أعدادهم، وساق إليهم أرزاقهم، وحسب أقوالهم وأعمالهم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [١٢/ يس/ ١٢].

وسبحان القوي القادر الذي لا يعجزه شيء، وحساب الخلائق كلهم سهل عليه، فكما أن خلقهم وبعثهم كنفس واحدة؛ فكذلك رزقهم وحسابهم كنفس واحدة: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [٢٨/ لقمان/ ٢٨].  
واعلم أنه لن يفلت أحد من الموت، كما أنه لن يفلت أحد من الحساب، كما أنه لن يفلت أحد من العذاب، أو يجرم من الثواب: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ [٢٥] ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [٢٦/ الغاشية/ ٢٥-٢٦].

وسوف يسعد أو يشقى كل واحد بحسب عمله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [٤٦/ فصلت/ ٤٦].  
فاختر لنفسك ما تسعد به، وإلا جرّك الشيطان إلى ما تشقى به: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٣] وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [١٤/ النساء/ ١٣-١٤].

﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَلَا يَقْبَلُوا الضَّالِّينَ أُولَئِكَ فِي شَرِّ مَآبٍ﴾ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١١٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدَكُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَا فَتَنِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١١٦﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

واعلم أن المؤمن حقاً من استقام على الدين ظاهراً وباطناً، وحفظ لسانه وقلبه وجوارحه عن كل ما لا يرضي الله، وصرف فكره ووقته وماله في كل ما يرضي الله: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

فهذا العبد الذي استقام على طاعة ربه في جميع أحواله يعلم أن الله ﷻ سوف يحاسبه على كل أعماله، ولكن المؤمن حسابه يسير، أما الكافر فحسابه عسير، فاتق الله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء/ ٣٦].

والعاقل من حاسب نفسه؛ ليستقيم على أوامر الله قبل أن يكون الحساب إلى غيره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ [الحشر/ ١٨-٢٠].

وشتان بين العاملين والدارين والجزاءين: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١١٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾ [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣].

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوِينَ﴾ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَالَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢٠﴾ [السجدة: ١٨-٢٠].



وكل شيء محسوب، وكل إنسان سيري ويقرأ ما قدم وأخر: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَتْهُ طَطِيرُهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (١٣) ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (١٤) ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَتَمَّا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَّرَرَ آخِرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١٥) ﴿[الإسراء: ١٣ - ١٥].

واعلم أن الحساب يوم القيامة مبني على العدل والرحمة والإحسان؛ ومن نوقش الحساب هلك: ﴿بَتَّأْيُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلْقِيهِ﴾ (٦) ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا سَيْرًا﴾ (٨) ﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩) ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وِرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١١) ﴿وَيَصِلَىٰ سَعِيرًا﴾ (١٢) ﴿[الانشقاق/ ٦ - ١٢].

وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول ﷺ قال: «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ» فقلت: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا سَيْرًا﴾ (٨) ﴿[الانشقاق/ ٧ - ٨]؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرَضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُنَاقِشُ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا عُذِّبَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وقد ورد اسم الله الحسيب في القرآن ثلاث مرات، منها: قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا حُجِّمُ بِنَحِيَّةٍ فَحَيًّا أَبْحَسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨١) ﴿[النساء/ ٨٦].

هو سبحانه الحسيب الكافي لعباده جميع ما يهتمهم من أمر دينهم ودنياهم، الذي يوصل لهم المنافع، ويدفع عنهم جميع المضار: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦٦) ﴿[الأنفال: ٢٦].

هو سبحانه الحسيب الذي يكفي من يؤمن به، ويتوكل عليه، ويحسن الظن به، ويصدق في الالتجاء إليه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ (٢) ﴿[الطلاق/ ٢ - ٣].

هو سبحانه الحسيب الذي يحاسب غيره على قوله وفعله في يوم القيامة، ويجازي على ذلك بميزان الحق والعدل والفضل؛ فيعامل الكفار بالعدل، ويعامل المؤمنين

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٥٣٧)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٧٦).

بالفضل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١٦٠﴾ [الأنعام: ١٦٠].

هو سبحانه الحسيب الرفيع الشأن، عظيم الأسماء والصفات، عظيم الملك والسلطان: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه/ ٨].

وهو سبحانه الحسيب الحاسب الذي أحصى كل شيء عدداً، وأحصى كل شيء علماً، الذي أحصى أعمال المكلفين بأعدادها وأنواعها، وأحصى حسناتها وسيئها: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٥١﴾ [إبراهيم: ٥١].

وهو سبحانه أسرع الحاسبين، فلا أحد أسرع منه حساباً، يُحاسب جميع الخلائق في لحظة واحدة كما يرزقهم جميعاً في لحظة واحدة.

هو سبحانه الحسيب الكافي عباده بفضله، الذي يصرف عنهم الآفات بطوله، إذا رفعت إليه الحوائج قضائها، وإذا حكم بقضية أمضاها، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٨٣﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

إذا حكم فلا حكم بعده، وإذا حاسب فلا محاسب بعده: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ﴿٤١﴾ [الرعد: ٤١].

• والحسيب صفة ذات وفعل:

فدلالتها على الذات أنه سبحانه الحسيب ذو المجد والجلال والجمال، والأسماء الحسنى، والصفات العلى: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ﴿٣٩﴾ [الأحزاب/ ٣٩].

ودلالتها على صفة الفعل أنه سبحانه الكافي لعباده كل ما يحتاجون، المحاسب لهم على ما يعملون: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ﴿٣٦﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

فسبحان ربنا الحسيب الكافي لعباده كل ما يحتاجون، الحسيب الذي يحاسبهم على ما يفعلون، الحسيب ذو الشرف والمجد، والعزة والعظمة، والجلال والإكرام.

فهذه ثلاث معانٍ لاسم الله الحسيب جل جلاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

هو سبحانه الحسيب الكافي الذي إذا تولاك كفاك، وإذا أعطاك أغناك، وإذا مرضت شفاك، وإذا سألته أعطاك، وإذا استعنت به أعانك: ﴿وَأَن يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِيْخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٧] وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴿١٨﴾ [الأنعام/ ١٧ - ١٨].

بيده وحده مفاتيح كل شيء، وبيده وحده مغاليق كل شيء: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر/ ٢].  
العزیز الذي لا يُغلب، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه.

واعلم أن الطبيب لا يعرف ما يؤلمك كله، لكن الله بقدرته يعلم ظاهره وباطنه، ويعلم طاعاتك ومعاصيك، ويعلم سرّك وجهره: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبَدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة/ ٢٨٤].

هو سبحانه الحسيب الكافي الذي يعطي عباده كل شيء؛ لأن بيده كل شيء، وعنده خزائن كل شيء: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

يعطيك العلم والقوة والذكاء، ويعطيك الهداية والتوفيق والحكمة، ويعطيك الطمأنينة والرضا والسلام، ويعطيك الحلال، ويمنعك من الحرام، ويعطيك المال والولد، ويعطيك الأمن والعافية: ﴿وَأَتَّكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٣٤] [إبراهيم/ ٣٤].

واعلم أن الله هو الحسيب الكافي وحده لا شريك له، فلا تعتمد على مالك، ولا على قوتك، ولا على جاهك، ولا على علمك، ولا على منصبك؛ بل توكل على الله وحده لا شريك له؛ لأن بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] [الأنعام/ ١٠٢].

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَيْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن / ١٣].

﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَكَوْنُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾ [الشعراء / ٢١٣].

والله سبحانه يعطيك عطاءً ينفعك ويسعدك في الدنيا والآخرة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة / ٣].

﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات / ١٧].

أما غير الله فقد يعطيك عطاءً ينقطع بعد الموت؛ لكن عطاء الله أعظم ثمراته تجده بعد

الموت: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عِدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢].

## التعبد لله ﷻ باسمه الحسيب.. الحاسب

اعلم رحمنا الله وإياك أن ربك هو الحسيب الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

هو الحسيب الكافي عباده جميع ما أهمهم من أمور دينهم ودنياهم، الميسر لهم جميع ما يحتاجونه، الدافع عنهم كل ما يكرهونه: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ وهو القاهر فوق عباده. وهو الحكيم الخبير ﴿١٨﴾ [الأنعام/ ١٨].

واعلم أيها المؤمن أن الله شرفك بعبادته، وخصك بهدايته، وأكرمك بطاعته، فالزم طاعته في جميع أحوالك، وأكثر من ذكره وشكره وحمده في جميع أوقاتك: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

ولا تستكثر طاعتك له، فهو لجلاله وجماله، وكمال أسماؤه وصفاته، أحق من عبد، وأحق من ذكر، وأحق من شكر: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ [الأحزاب/ ٤٣].

ولا تعدد حسناتك فإنها مكتوبة، محفوظة، مضاعفة لك عند ربك: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۗ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء/ ٤٠]. وعُدَّ سيئاتك وتذكرها؛ لتستغفر الله منها، وتتوب إليه منها: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ [الحشر/ ١٨-١٩].

واحسب رحمك الله الساعات والأيام، واملأها بالأعمال الصالحة التي يحبها الله ويرضاها، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وتفقد الإخلاص، وانظر ما قدمت وما أخرت: ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ

اللَّهُ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ [يونس/ ١٠٥-١٠٦].

واعلم أن كل ما عملته لن يضيع منه شيء، فالكل محسوب ستره يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَذُرُّ الْمَلَائِكَةُ أَسْمَانًا كَالَّذِي تَشْتَرِي بِهَا زُرْقًا يَمْشِي عَلَى الْغَابِغَةِ وَأَقْبَلَّ اللَّهُ الَّذِينَ هَارَوْا بِغَارِ حُورٍ إِذْ وَقَعُوا فِيهَا فَيَكَفِّرُ عَنْهُمْ سُدَّتْ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨].

فسبحان ربنا الحسيب الذي حفظ على عباده كل ما يعملوه من خير، أو شر، أو طاعة، أو معصية، وميز لهم صالح العمل من فاسده، وحسنه من قبيحه، وعلم ما يستحقون من الجزاء، ومقدار ما لهم من الثواب والعقاب؛ ثم يوفيههم ذلك بعد رجوعهم إليه يوم القيامة: ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بِلَهْمٍ خَيْرًا مِمَّا يَكْتُمُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ [الحج/ ٥٦-٥٧].

واعلم أن من عرف ربه باسمه الحسيب عظمه وكبره، وحمده وشكره، وأحبه وأثنى عليه، وتوكل عليه واستعان به، ووحدته وأفرده بالعبادة؛ وتيقن عليه وحده، ورفض القلب واليد عن سواه؛ لعلمه بكمال كفايته ونصرتة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتُونَكُمْ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

ومن توكل على الله كفاه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وخط العبد من اسم الله الحسيب أن يجتهد في قضاء حاجات الخلق، والإحسان إليهم، خاصة أصوله وفروعه، وأقاربه وجيرانه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

وقال ﷺ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ [المائدة/ ٢].

وكذا يجاسب نفسه على ما قاله، وفعله، وتحرك به، ويستغفر الله من كل ذنب، ويشكره



• واعلم أنك ستسأل عن عشرة أمور:

ماذا أجبتكم المرسلين؟ .. وماذا كنتم تعملون؟ .. وسوف تسأل عن عمرك فيم أفنيته؟ .. وعن شبابك: فيم أبليته؟ .. وعن مالك: من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟ .. وعن علمك: ماذا عملت به؟ .. وسوف تسأل في قبرك: من ربك؟ .. وما دينك؟ .. ومن نبيك؟ ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٦﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣].

فاستعد لإجابة هذه الأسئلة بحسن العمل والإستقامة: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء/ ٣٦].

فحاسب أيها المؤمن نفسك قبل أن تحاسب، وزن نفسك قبل أن توزن، واجتهد في إخلاص العمل لله، وأن يكون مطابقاً لما جاء به رسول الله ﷺ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف/ ١١٠].

واعلم أن كل أحد سوف يسأل يوم القيامة عما عمل؛ الأنبياء والرسل، والمؤمنون والكفار: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْضُنَّ عَلَيْهِم بِعَلْمِ رَبِّنَا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦-٩].

﴿ كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٦-٩].

ومن شكاً حاله لربه أجاب دعاءه، ونصره، وأكرمه، فانظر كيف نصر الله رسله وأوليائه، وخذل أعداءه: ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْبَغُ لَكَ أَنْ يَكُونَ رَجُلًا كَافِرًا ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴿٧٢﴾ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٣﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَلُوطًا إِذْ أَنبَأْنَاهُ خُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَاتِ ﴿٧٥﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسَقِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلٍ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَاهِلَةً مِنْ آلِ كَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٨﴾ وَصَرَّفْنَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٧].



﴿ وَأَتُوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٩٠]

فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٦٠) ﴿ غافر/ ٦٠ ﴾. ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦) [البقرة/ ١٨٦].

وإذا عرف العبد أن ربه هو الحسيب ذو الشرف، والمجد، والجلال، والجمال، والكمال؛ فعليه أن يتحلّى بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة، وأن يكمل نفسه بما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأفعال، والأخلاق، وأن يكمل غيره كذلك: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ﴾ [التوبة/ ١١٢].

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٧١) [التوبة/ ٧١].

فتجمل رحمتك الله بالأخلاق الكريمة، وبالأقوال الحسنة، وبالأعمال الصالحة، وجمل غيرك بذلك، والبس لباس تقوى.

واعلم أن الله ﷻ سيسعدك في الدنيا والآخرة، وستجد جميع ما عملت يوم القيامة

مضاعفاً لك إن كان خيراً، وسوف تحاسب على ما عملت من خير أو شر: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية/ ٢٥-٢٦].

فسارع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال، والأخلاق الحسنة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالنَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾ [غافر/ ٧-٨].

﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران/ ١١٣].

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجہ مسلم<sup>(١)</sup>.  
اللهم إنا نسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، ونعوذ بك من النار، وما قرب إليها من قول أو عمل.

اللهم إنا نسألك من الخير كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشر كله، عاجله وآجله، ما علمنا منه وما لم نعلم.  
اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجہ مسلم برقم (٧٧١).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المقيت

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المقيت

الله ﷻ هو المقيت الحق لخلقه أجمعين، الذي خلق الأقوات كلها، وأوصل إلى كل مخلوق ما يقتات به، وأرسل إلى جميع المخلوقات الحية أرزاقها: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ [هود / ٦].

وهو سبحانه المقيت القائم على جميع المخلوقات بالتدبير والتصريف، المقيت الذي يعطي كل مخلوق قوته من جماد، ونبات، وحيوان، وطيور، وإنسان، وملك، وجان على مر الأوقات والدهور: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ [الإسراء / ٣٠].

فسبحان من يمد هذه الخلائق العظيمة في كل وقت بما جعله قوتًا لها، فإذا أراد موت شيء منها؛ حبس عنه ما جعله مادةً لبقائه في عالم النبات، وفي عالم الحيوان، وفي عالم الإنسان، وفي عالم الجن، وفي عالم الملائكة، فمات بإذن الله: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [الروم / ٤٠].

والله جل جلاله هو المقيت الذي يملك خزائن الأقوات كلها وحده لا شريك له: ﴿مَنْ يَشْفَعُ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيمًا﴾ ﴿٨٥﴾ [النساء / ٨٥].

هو سبحانه المقيت الذي يقيت الأجساد بالطعام والشراب، ويقىت العقول بالعلوم والمعارف، ويقىت القلوب بالإيمان وفتوحات العلم، ويقىت الأرواح بدوام المشاهدة، ولذيد المؤانسة، ويقىت الجوارح بحسن العبادة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

فسبحان الملك الحق الذي قدر جميع الأرزاق والآجال والأعمال في ملكه العظيم، وقدر أقوات أهل الأرض وما يصلح لمعايشهم من النبات، والأشجار، والثمار، وسائر المنافع: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

هو سبحانه الذي قدر هذه الأقوات العظيمة، وأوصل كل رزق وقوت إلى كل مخلوق: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٤٩-٥٠].

وجعل سبحانه في كل بلدة من المنافع والثمار والأقوات والمكاسب ما لم يجعله في الأخرى؛ ليشيع أوامره الشرعية في التجارة في كل بلد، وليرتزق الخلق بعضهم من بعض بالتجارة والأسفار من بلد إلى بلد، ولينتشر العلم بين الناس في كل بلد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس: ٦٠].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق الأقوات، وخلق الأرزاق، وخلق المرزوقين، وأوصل الأرزاق إلى المرزوقين برحمته وقوته وقدرته: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَاللَّاتُ عَنَادَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا بَشِقِ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ

لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ [النحل/ ٣- ١٤].

ومن هذه قدرته، وهذه أرزاقه، وهذه رحمته، هو الذي يستحق العبادة والطاعة وحده لا شريك له: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف/ ٢٣].

فيحصل بسبب هذا الخلق والتدبير من المنافع والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يعلمه إلا الله العليم الحكيم: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٠].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك/ ١٥].

فسبحان من خلق الإنسان من تراب، وخلق أقواته في الأرض بالقرب منه، يأكل ويشرب منها، ، حيث يشاء: ﴿قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت/ ٩- ١٠].

وسبحان خالق كل شيء، المقيت لكل شيء، الذي خزائنه مملوءة بكل شيء: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ لَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

خزائن النور عند الله، خزائن الطعام والشراب عند الله، خزائن الحبوب والثمار عند الله، خزائن النعيم عند الله، خزائن العذاب عند الله، خزائن الرحمة عند الله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأأنعام: ١٠٢- ١٠٣].

هو سبحانه الغني الذي له خزائن السماوات والأرض، ويعطي ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج/ ٦٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ قال: «يُدُّ اللهُ مَلَأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانَ، يُخْفِضُ وَيَرْفَعُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وقد ورد اسم الله المقيت في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله سبحانه: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا﴾ [النساء / ٨٥].

والله سبحانه هو الملك الحق المقيت الذي خلق الأقوات، وتكفل بإيصالها إلى الخلق في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ [٥٧] إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [٥٨] [الذاريات / ٥٦ - ٥٨].

فسبحان الخالق المقيت الرزاق الذي أعطى كل مخلوق قوته من جماد، ونبات، وحيوان، وطير، وإنسان، وجان، وملك: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الرزاق الذي يرزق جميع مخلوقاته بأنواع الرزق مما يؤكل، ومما لا يؤكل: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ﴾ [يونس / ٣١ - ٣٢].

والصفة المشتقة من اسم الله المقيت هي الإقاة، وهي من صفات الذات، وصفات الأفعال، فهو سبحانه المقيت الذي أوصل الأقوات إلى جميع المخلوقات في العالم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود / ٦].

هو سبحانه المقيت الذي خلق الأقوات، وتكفل بإيصالها إلى جميع الخلائق في كل الأقطار، وفي كل زمان، ومن كل الأنواع، وقطع لكل مخلوق قوته ورزقه، كميةً ونوعيةً، وزماناً ومكاناً: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [٣١] أَهْمُ يَقْسِمُونَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤١١) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٩٣).





ويحاسبهم عليها: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَُمْ مِّنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

هو سبحانه المقيت الذي يقيت عباده بالقوت المادي من طعام وشراب ولباس، وسائر ما يحتاجون في هذه الدنيا، المقيت الذي يقيت القلوب بالتوحيد والإيمان، وبالرحمة واللطف، والحلم والشفقة، والعفو والصبر، والإحسان والحنان: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل / ٥٣].

﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَسَاكٍ تَمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم / ٣٤].

هو سبحانه المقيت الذي قسم الأقوات على الخلائق؛ فمنهم من جعل قوته الطعام والشراب، وهم البهائم وسائر الحيوان، ومنهم من جعل قوته مع ذلك في العلم والمعرفة، وهم البشر، ومنهم من جعل قوته في التسبيح والتقديس، وهم الملائكة. وأنواع الأقوات لا يحصيها إلا الله، فمن الناس من قوته في الطاعات، ومن الناس من قوته في الشهوات، ومنهم من قوته في طلب العلم، ومنهم من قوته في قيام الليل، ومنهم من قوته في قضاء الحاجات، ومنهم من قوته في الصيام، ومنهم من قوته في الذكر والدعاء وتلاوة القرآن، ومنهم من قوته في الإحسان، ومنهم من قوته في الدعوة والتعليم.

فسبحان المقيت الذي يقيت عباده بكل شيء: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر / ٦٢ - ٦٣].

هو المقيت الذي أوصل إلى كل موجود قوته على مدى الدهور والأزمان، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل / ٩٦].

فسبحان الغني الذي له ما في السموات وما في الأرض؛ وله خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله ميراث

السموات والأرض: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥].

هو سبحانه المقيت الذي خلق الأقوات كلها بأنواعها، وأجناسها، وقبائلها، وساق لكل  
مخلوق قوته الذي يصلحه، خلق الإنسان، وخلق له قوته من الطعام والشراب، وخلق  
له توافقاً بين الطعام وجسمه، وخلق له أجهزة تأخذ الطعام وتستفيد منه، وتحوله إلى  
طاقة، فما أعظم نعم الله على خلقه، خاصة هذا الإنسان الذي كرمه الله على سائر  
المخلوقات! ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ  
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء / ٧٠].

هو سبحانه المقيت الذي خلق أقوات الجماد، والنبات، والحيوان، والإنس، والجن،  
والملائكة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

هو سبحانه المقيت الذي خلق الخلق، وقسم الأقوات بينهم، وخلق قوتاً يناسب الجسد،  
وجسداً يناسب القوت: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل / ١٧-١٨].

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ  
وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ هذا خلق الله فأروني ماذا  
خلق الذين من دونه. ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠-١١].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق كل شيء، وقدره تقديراً، وخلق الأقوات لجميع  
الخلائق، أقوات في السماء، وأقوات في الأرض، وأقوات للنبات، وأقوات للحيوان،  
وأقوات للإنس، وأقوات للجن، وأقوات للملائكة، وأقوات في البر، وأقوات في  
البحر، وأقوات في الجو، وأقوات في الدنيا، وأقوات في الآخرة، وأقوات للأجساد،  
وأقوات للعقول، وأقوات للقلوب: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَيلٌ  
لَهُ ﴿٦٣﴾﴾ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ  
الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

فسبحان خالق الخلائق، وخالق أقواتها! يرزقها جميعاً من هذه الأقوات في كل لحظة، ولا ينقص ما في خزائنه مثقال ذرة: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ تَفَادٍ ۝٥٤﴾ [ص / ٥٤].

هو سبحانه المقيت الذي تكفل بقوت الأجساد من الطعام والشراب، وتكفل بقوت الأرواح من العلم والإيمان، وتكفل بقوت الأجساد من الأعمال الصالحة.

فهذا قوت يملأ القلوب بالطمأنينة والسكينة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد/ ٢٨ - ٢٩].

وهذا قوت الأجساد، تصح به الأبدان، وتقوى على العمل: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ [البقرة / ١٧٢].

فسبحان واهب أقوات الأبدان، وهي الأطعمة والأشربة، وواهب أقوات القلوب، وهي الإيمان والمعرفة! ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

فالقلوب قوتها الاتصال بالله، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة آياته وأحكامه، والعمل بشرعه، والأنس بمناجاته: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الذِّينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣﴾ [الأنفال/ ٢ - ٤].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء / ٩٠].

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۝٨٣﴾ [المائدة / ٨٣].

واعلم رحمك الله؛ أن إشباع الجسد لا يغني الروح شيئاً، وفقر الروح إلى قوت القلوب من الإيمان والتوحيد والعمل الصالح أعظم من فقر الأجساد إلى الطعام والشراب

﴿وَالْعَصْرَ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر/ ١-٣].

فإشباع الجسد لا يغني الروح شيئاً إذا لم تتغذَّ الروح بالتوحيد والإيمان والأعمال الصالحة: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝٥٥﴾ [التوبة/ ٥٥].

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُوفِ ءَامِنُونَ ۝٣٧﴾ [سبأ/ ٣٧].

واعلم رحمك الله؛ أن أعظم الأقوات هو معرفة علام الغيوب، والإيمان به، والعمل بشرعه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وِمَثُونَكُمْ ۝١٩﴾ [محمد/ ١٩].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۝١٢﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتُم بالله، ووحدتُموه، وعبدتُموه.

فسبحان المقيت الكريم الذي ساق إلى خلقه جميع الأرزاق، وسمع النجوى من عباده فأجاب، وأرسل البلاء ليحمي عبده من العذاب، وكشف السوء بعد البلاء: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ءَأَلَيْكُمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [النمل/ ٦٢].

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٧].

فالصبر جوهره عظيمة لا يمكن أن يناها العبد إلا بابتلاء أو مصيبة، فإذا صبر على ما قدره الله ﷻ؛ ظهرت فيه هذه الصفة التي يحبها الله، فالله يحب الصابرين، والله ﷻ مع الصابرين: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾ [الروم/ ٦٠].

هو سبحانه مالك الأقوات، وواهب الأرزاق، وحافظ الأعمال: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَهُ حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَهُ سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِينًا ﴿٨٥﴾﴾ [النساء / ٨٥].

فكل نصيحة تؤدي إلى طاعة الله فهي شفاعة حسنة، وكل نصيحة تؤدي إلى معصية الله فهي شفاعة سيئة: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء / ١١٤].

فسبحان من هذا ملكه، وهذا خلقه، وهذه نعمه، المقيت لجميع مخلوقاته في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ تُوْفِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ - ٢٧].

واعلم رحمك الله؛ أن ربك الكريم هو المقيت الحق، الذي يرزق عباده، ويواليهم بنعمه، ويتفضل عليهم بإحسانه، الحكيم الذي ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر، فاشكر المقيت الذي أكرمك بنعمه، وأعانك على طاعته، وحبب إليك الإيثار، وأعطاك الأجر الكثير على العمل القليل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم / ٧].

وأحسن إلى نفسك بحسن الطاعة لمولائك المقيت، وخالق الناس بخلق حسن، وادعهم إلى الله، وأكرمهم بالقول والفعل؛ يحبك الله، ويحبك الناس: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ وَإِنَّمَا يَرْغَبَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت / ٣٤ - ٣٦].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واحفظ سمعك وبصرك وقلبك من كل سوء: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (٣٦) [الإسراء / ٣٦].

وكما أعطاك المقيت سبحانه من كل طيب؛ فطيب نفسك له بالإكثار من ذكره وحمده وشكره، وأنواع عبادته، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر؛ تكن من المفلحين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧٧) [الحج / ٧٧].

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) [آل عمران / ١٠٤].

واعلم رحمك الله؛ أن من آداب الانتفاع بقوت الأبدان ألا تأكل إلا الحلال الطيب؛ ليستجاب دعاؤك، ويعظم أجرك، وتسمي الله عند الأكل والشرب، وإذا جلست على المائدة؛ اذكر المنعم من خلال تلك النعمة، واذكر من خلق الطعام وساقه إليك، وجعل في نفسك الشهية له؛ لتستعين به على طاعة ربك، وتحمده بعد الفراغ منه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) [البقرة / ١٧٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذِنُوا لَهُ لِنُقَرِّبَهُ﴾ (٣) [فاطر / ٣].

فالمؤمن حقاً دأبه التفكير والتدبر فيما خلقه الله ﷻ، فالمؤمن حقاً يتجاوز ببصره وبصيرته من المخلوق إلى الخالق، ومن الصور إلى المصور، ومن الدنيا إلى الآخرة، ومن الجهد على الأموال والأشياء إلى الجهد على الإيمان والأعمال الصالحة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْوَانِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦) واللفظ له.

وَقُوعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا  
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

إن المؤمن إذا جلس على مائدة الطعام؛ انتقل بفكره من النعمة إلى المنعم، ومن القوت إلى  
المقيت، ومن أنواع الطعام والشراب إلى أنواع الحمد والثناء على ربه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ  
رَبُّكُمْ لِنِ شِكْرْتُمْ لِأَزِيدَتْكُمْ وَلِنِ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم / ٧].

فسبحان الملك الغني الكريم المقيت لجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، وفي  
الدنيا والآخرة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس / ٣].

• هو المقيت الحق الكريم الذي جعل أقوات عباده مختلفة:

فمنهم من جعل قوته الأطعمة والأشربة على اختلاف أنواعها، وهؤلاء هم بنو آدم،  
وجميع الحيوانات ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا  
﴿٢٦﴾ فَأَبْتَأْنَا فِيهَا جِبًا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفِكَهَمًا وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ  
وَلِنَعْمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾ [عبس / ٢٤ - ٣٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ  
لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا  
تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة / ٢١ - ٢٢].

ومنهم من جعل قوته الطاعة والتسبيح والتحميد، وهؤلاء هم الملائكة: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ  
وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء / ١٩ - ٢٠].

ومنهم من جعل قوته من هذا وذاك؛ وهؤلاء هم المؤمنون أولو الألباب والعقول، وفي  
مقدمتهم الأنبياء والمرسلون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ  
مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٤].

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا  
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة / ٢٦٩].

فإذا وهبك المقيت سبحانه طعاماً فأكرم الناس منه، وإذا وهبك علماً فعلم الناس منه، وإذا أعطاك مالاً فأظهر نعمة الله عليك فيه، وتصدق منه على الفقراء، وأنفق منه في وجه البر والإحسان؛ يزد مالك، ويعظم أجرك، ويحبك مولاك: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٦١].

﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٩].  
 ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص/ ٧٧].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه؛ أن من أنفق أوقاته في طاعة الله؛ سخر له من يقضي حوائجه، ومن اشتغل بشهواته؛ وكله الله إلى ذاته: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

ومن شغله الحصول على قوت الأبدان عن تحصيل قوت القلوب، والعمل بمقتضاه؛ خسر دنياه وآخرته: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [١٨] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [١٩] ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [٢٠] ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [٢١] ﴿لَا يَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُورًا﴾ [الإسراء/ ٢١-٢٢].

فاجتهد غفر الله لنا ولك في تحصيل أقواتك المادية التي تستغني بها عمن سواك، فاليد العليا خير من اليد السفلى، واهتم بالنفقة على نفسك وأهلك، وقرابتك المحتاجين؛ حتى لا تضطر إلى سؤال غيرك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ حَيْرِ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة/ ٩-١٠].



وإياك أن تضيع من تقوت من أولادك؛ فلا تطعمهم، ولا تسقيهم، ولا تعرفهم برهيم، فكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، فَلِإِمَامٍ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَهِيَ مَسْئُولَةٌ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ، أَلَا فِكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الله ﷻ هو الحي القيوم المقيت وحده لا شريك له؛ فاعبده وحده لا شريك له: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الشورى/ ١٢].  
﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر/ ٢].

فأخلص العبادة لمولاك الذي خلقك وأطعمك وسقاك وهداك: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَأَصْطِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم/ ٦٥].  
﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود/ ١٢٣].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧١٣٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٢٩).

## التعبد لله ﷻ باسمه المقيت

إن معرفة العبد باسم الله المقيت تورث له محبة الله تعالى، والطمأنينة بذكره، والثقة بوعده، لا سيما إذا اشتد به الكرب، وضافت عليه سبل الكسب؛ لعلمه بأن الله هو المقيت، وهو الغني الحميد الذي خلق الأقوات، وتكفل بإيصالها إلى خلقه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن / ١٣].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يقيت نفسه وأهله مما أباحه الله وأمر به من الحلال الطيب، وأن يكون وسطاً؛ لا إسراف ولا تقثير ولا تبذير: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان / ٦٧].

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف / ٣١].

وأن يتضرع إلى المقيت سبحانه أن يقيته الهدى، والإيمان والإحسان، والأخلاق الحسنة، والأعمال الصالحة، وغيرها من أقوات القلوب التي هي أشرف من أقوات الأبدان: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٢-٧].

وهكذا يقيت كل محتاج يقدر على إقافته ونفعه من قريب أو بعيد، مقدماً الأقرب فالأقرب: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

وقال النبي ﷺ: «كفني بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت» أخرجه أحمد وأبو داود<sup>(١)</sup>.  
وقال ﷺ: «كفى بالمرء إثمًا أن يجبس عمن يملك قوته» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٦٩٢) وهذا لفظه، وأحمد برقم (٦٨٤٢).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩٩٦).

ومن عرف ربه باسمه المقيت تعلق به وحده، وتوكل عليه وحده، ولم يلتفت لأحد سواه، مع فعل الأسباب المأمور بها شرعاً في طلب الرزق؛ لعلمه أن الأقوات والأرزاق كلها بيد الرزاق المقيت وحده لا شريك له: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَدْرُؤًا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر/ ٣].

ولكننا مأمورون بفعل الأسباب، فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا؛ لأن مقاليد الأمور كلها بيده: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايِدَتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

وهكذا ترك الأسباب المحرمة، على العبد أن يتعد عن الأسباب المحرمة في طلب الرزق؛ من ربا، وغش، وسرقة، واختلاس، ونحو ذلك، وعدم الخوف من المخلوق في قطع الرزق مهما كانت قوته: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون/ ٧].

والمؤمن حقاً من جعل أكبر همه السعي لنيل الرزق الأعظم، والفوز الأكبر، وهو دخول الجنة، ورضوان الله ﷻ، وذلك بالمسارعة إلى فعل الخيرات: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطلاق/ ١١].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة/ ٧٢].

واعلم وفقك الله لما يرضيه؛ أنه إذا كان قوتك الذي يشغلك هو الطعام والشراب؛ فقد شابهت البهائم والكفار: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢].

فما أسفه هؤلاء وما أخسرهم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٩].

وإذا كان قوتك الذي يشغلك هو ذكر الله، وعبادته بأنواع الطاعات، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه؛ فقد شابهت الملائكة: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠].

وعليك بالإكثار من ذكر ربك الذي تكفل بقوتك، وحفظك، والعناية بك، فإذا جلست على مائدة الطعام؛ فاذا ذكر المقيت الذي أوصله إليك: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة/ ١٥٢].

واملاً أوقاتك بذكره وحمده وتسيبته: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١ - ٤٣].

وإذا أكرمك الله بالهداية، وتمكنت من أداء الأعمال الصالحة، فاذا ذكر المقيت الذي هداك ورزقك وأعانك، القادر الذي أقدرك على أداء الطاعات التي تقربك إلى ربك: ﴿وَأذْكُرْ أَسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨ - ٩].

واعلم أن المقيت سبحانه قد تكفل لك بكل ما تحتاجه من الأقوات؛ فلا تسأل غيره، فخرائن كل شيء عنده: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿١١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

وقال النبي ﷺ: «أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ؛ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ؛ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ؛ لَنْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ» أخرجه الترمذي (١).

﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩ - ٥٠].

وتفقد رحمك الله أهللك وأولادك، تفقد طعامهم وشرابهم، وتفقد إيمانهم وأخلاقهم، وتفقد أصحابهم وأوقاتهم، ولا تهمل ذلك، فكفى بالمرء إنمًا أن يضيع من يقوت: ﴿يَأْتِيهَا

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم / ٦].

واقف وفك الله لما يرضيه من القوت باليسير الذي يعينك على طاعة الله وعبادته، ولا يشغلك عن فعل ما يحبه ويرضاه.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوْتًا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

واعلم أن قوتك سوف يصلك من المقيت قطعاً، في مكانه وزمانه، وفي كميته ونوعيته، فلا توجل، ولا تضطرب؛ فالأرزاق مقسومة، والأنفاس معدودة، والآجال مكتوبة، والخطوات معدودة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصْرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر / ٤٩ - ٥٠].

فاتق الله واطلب قوتك من وجوه الحلال، ولا تأخذ بالحرām.

واختر لنفسك حرفة فيها نفع لك وللناس، كالتجارة الحلال، ولا تحتر لنفسك حرفة تكسب منها فيها ترويع للناس وظلم لهم، كالسرقة، والغش، والاختلاس، والربا، والرشوة ونحو ذلك: ﴿فَوَرِيكَ لَسَّعَلْنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر / ٩٢ - ٩٣].

واعلم أن الله اختار لرسوله ﷺ قوتاً يعينه على طاعته، ولا يشغله عن ربه، ودعوته العظيمة، وجهوده الواسعة، وجهاده العظيم، مع أن دنياه كانت خشنة قليلة، ولو كان غنياً لقالوا: هذا هدفه مما يقوم به: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف / ٢٨].

فليكن قدوتك في حياتك من اختار الله له أعدل الأقوات وأحسنها، واختار له أحسن الأقوات وأجملها: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب / ٢١].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٥٥).

فاطلب الرزق الذي تنتفع به في حياتك، ودع عنك الكسب المستمر الذي يأكل وقتك، ويشغلك عن ربك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمُ أَمْوَالَكُم مَّا وَلَا أَوْلَادَكُم مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون / ٩].

وقال جبريل للنبي ﷺ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحِبِّ مَنْ أَحَبَبْتَ فَإِنَّكَ مَفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزُّهُ اسْتِعْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ» أخرجه الحاكم <sup>(١)</sup>.

فاللهم أعزنا بالذل لك، ولا تذلنا بالحاجة إلى غيرك، وأغننا بفضلك عن سواك. ﴿رَبَّنَا ءَاثِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة / ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].  
«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم <sup>(٢)</sup>.

اللهم يا مقيت الخلائق كلها، يا واسع الرحمة، يا باسط اليدين بالعطايا، أسألك علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، ورزقاً حلالاً طيباً.

يا عظيم العفو، يا واسع المغفرة، يا حسن التجاوز، اغفر لنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، يا أرحم الرحمين: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠] وَأَسْأَلُكَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات / ١٨٠ - ١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) صحيح / أخرجه الحاكم برقم (٧٩٢١).  
أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

## في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

### الباب الخامس عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

- ٨١-٨٢ - اسم الله الحفيظ.. الحافظ . ٨٨ - اسم الله الوهاب .  
التعبد لله عز وجل باسمه الحفيظ.. الحافظ .      التعبد لله عز وجل باسمه الوهاب .  
٨٣ - اسم الله الكافي .      ٨٩ - اسم الله الهادي .  
التعبد لله عز وجل باسمه الكافي .      التعبد لله عز وجل باسمه الهادي .  
٨٤ - اسم الله الكفيل .      ٩٠ - اسم الله الصادق .  
التعبد لله عز وجل باسمه الكفيل .      التعبد لله عز وجل باسمه الصادق .  
٨٥ - اسم الله الوكيل .      ٩١ - اسم الله الوارث .  
التعبد لله عز وجل باسمه الوكيل .      التعبد لله عز وجل باسمه الوارث .  
٨٦-٨٧ - اسم الله الفتح.. الفاتح .  
التعبد لله عز وجل باسمه الفتح.. الفاتح .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الحفيظ.. الحافظ



## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الحفيظ.. الحافظ

الله جل جلاله له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) [الحشر/ ٢٢- ٢٤].

هو سبحانه الحفيظ الحافظ الذي حفظ جميع ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ على العباد أعمالهم وجزاءها، وحفظ أوليائه من الوقوع في المهالك: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ (١١) [سبأ/ ٢١].

وهو سبحانه الحي القيوم الحافظ لجميع المخلوقات من سماء وأرض وما فيها، وما عليها، وما بينهما، لتبقى إلى ما شاء الله، فلا تزول ولا تميد، ولا يسقط منها شيء على شيء: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (٢٥٥) [البقرة/ ٢٥٥].

فسبحان القوي العزيز القادر الذي وسعت رحمته كل شيء، وأحاطت قوته بكل شيء: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا سَخِرَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٦٥) [الحج/ ٦٥].

وسبحان القوي القادر الذي يمسك السماوات والأرض أن تزولا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١) [فاطر/ ٤١].

وهو سبحانه الحفيظ الذي حفظ كتابه العزيز من التحريف، والتبديل، ومن الزيادة

والنقصان، مع كثرة المحرفين والمبدلين: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/٩].

فسبحان الحفيظ الحافظ العظيم الذي حفظ كل شيء في ملكه العظيم، الحفيظ الذي يحفظ على الخلق أقوالهم وأعمالهم، ويعلم نياتهم، وما تكن صدورهم: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ [هود/٥٧].

هو سبحانه الحفيظ العليم الذي أحصى كل شيء، ولا ينسى أي شيء؛ فكل أقوال الإنسان وأفعاله، وعطاؤه ومنعه، وخيره وشره، وطاعته ومعاصيه؛ كل ذلك محفوظ عند الحفيظ سبحانه في كتاب مرقوم، يستحيل أن ينقص منه شيء: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه/٥٢].

وهو سبحانه الحافظ الذي يحفظ أعمال المؤمن ويكافئه عليها في الدنيا والآخرة، ويحفظ أعمال الكافر، ويجازيه عليها في الدنيا والآخرة: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [٦] ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [٨] ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ [١٠] ﴿نَارُ حَامِيمَةٍ﴾ [١١] ﴿[القارعة/٦-١١].

فسبحان الحفيظ الذي تكفل بحفظ كل شيء، حفظ السماوات والأرض أن تزولا، وحفظ السماء أن تقع على الأرض، وحفظ كل إنسان من البلايا، وحفظ كل مخلوق من شر ما خلق، وحفظ القرآن من الزيادة والنقصان، والتحريف والتبديل، وحفظ الدين من البدع والضياح: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

هو سبحانه العليم بكل شيء، الحفيظ لكل شيء، المحيط بكل شيء، الذي أحصى كل شيء من الأقوال والأعمال، والحركات والسكنات، وأحصى الطاعات والمعاصي، وأحصى الذرات والأنفاس، وأحصى الكلمات والأحرف، وأحصى الأشكال والأرقام: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام/٥٩].

فسبحان ربنا الحفيظ العليم بدقائق الأمور، الخبير بأسرار المقادير، البصير بالظواهر، الخبير بالبواطن: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٣﴾ [الطلاق/ ١٢].

واعلم أن العبد إذا علم أن ربه عليم بكل شيء، سميع لكل شيء، بصير بكل شيء، محيط بكل شيء، وأيقن أن الله يحصي جميع أقواله وأعماله، ويحفظ جميع حركاته وأنفاسه؛ عبد ربه كأنه يراه، وبادر إلى طاعته، واجتنب معصيته، وسارع إلى مرضاته، وابتعد عما يسخطه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

ونعم الله ﷻ على العباد لا تعد ولا تحصى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَسَنَنٌ لِّظُلُومٍ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

والبشر عاجزون عن إحصاء منافع وبركات نعمة واحدة من نعم الله عليهم، كنعمة السمع أو البصر وغيرهما، وعاجزون عن شكرها من باب أولى، فكيف بإحصاء نعم الله على العباد؟ وكيف لهم القيام بشكرها؟ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل/ ١٧-١٨].

فسبحان ربنا الكريم بكل نعمة، العليم المحيط بكل ذرة في ملكه العظيم، المحيط الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبا/ ٢٩].

هو الحافظ الحق الذي حفظ جميع أقوال العباد وأعمالهم، ظاهرها وباطنها، سرها وجهرها، وعلم بمقاديرها ومقادير أجزائها، وأوقاتها، وحفظ ذلك وكتبه في اللوح المحفوظ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [٥٢] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ﴾ [٥٣].

وللحفيظ جل جلاله حفظة من الملائكة يحفظون العباد، ويكتبون أعمالهم: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [١٠] ﴿كِرَامًا كَانِبِينَ﴾ [١١] ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [١٢] [الانفطار/ ١٠-١٢].

وللرب جل جلاله حفظة من الملائكة يحفظون المخلوق مما لا يريد الحفيظ الحق كونه وهو من أمره: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [١٠] ﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۗ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ﴾ [الرعد: ١٠-١١].

فسبحان الحافظ لجميع ما في ملكه، الذي يحفظ خلقه، ويكلؤهم ويحرسهم مما يضرهم، ويحفظهم مما لا يرضاه منهم: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ [الأنبياء/ ٤٢].

• واعلم أن حفظ الله لعباده نوعان:

الأول: حفظ عام لجميع الخلق، يشترك فيه المؤمن والكافر، وسائر الجماد والنبات والحيوان، وهو حفظ الذوات والنفوس التي خلقها الله، بتيسير الطعام والشراب والهواء والقوت لهم، وهدايتهم إلى ما يصلحهم من ضرورات الحياة، ودفع المكروه والمضار عنهم، كما قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ﴿٢١﴾ [سبأ/ ٢١].

الثاني: حفظ خاص لأوليائه المؤمنين به، وذلك بحفظ إيمانهم وتوحيدهم من الشبه المضلة، والفتن المهلكة، والشهوات المفسدة.

وحفظ جوارحهم وأستتهم من الكبائر والفواحش والمحرمات، وحفظهم من أعدائهم من شياطين الإنس والجن، والنفوس الأمارة بالسوء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

وقال ﷻ: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ [البقرة/ ٣٨-٣٩].

واعلم أنه من حفظ الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ حفظه الله في الدنيا والآخرة، فاحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء؛ يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، وتوكل على ربك وحده لا شريك له: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ [يوسف/ ٦٤].

ومن حفظ حدود الله، وأدى حقوقه؛ فهو المؤمن الذي خشي ربه بالغيب فأطاعه، فرضي عنه وأدخله الجنة: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّفِينِ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ [ق/ ٣١-٣٥].

واعلم أن أعظم حفظ من الله به عليك حفظ قلبك، وحراسة الإيمان والدين عن الكفر

والشرك، والفتن والنفاق، والأهواء والبدع: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَيُّهَا تَجشَّرونَ﴾ [النحل/ ٥٣].

فسبحان الملك العظيم الحفيظ الحافظ، الذي خلق هذا الملك العظيم، وتكفل بحفظه، وأنزل القرآن العظيم، وتكفل بحفظه، وهدى من يجب للإيمان، وتكفل بحفظه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ [١٠٣]. [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وقد ورد اسم الله الحفيظ في القرآن ثلاث مرات منها قوله سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبَلَّغْتُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْخَلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنِّي رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [هود/ ٥٧].

وورد اسم الله الحافظ في القرآن مرتين، منها قوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/ ٩].

وقوله سبحانه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف/ ٦٤].

والله سبحانه هو الحفيظ الحافظ لكل شيء، الذي يحفظ السماوات والأرض وما فيها أن تزولا، الذي يحفظ عبده من كل شيء يضره، ويقيه مصارع السوء، ويحفظ على جميع الناس جميع أعمالهم: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [سبا/ ٢١].

هو سبحانه الحفيظ الذي حفظ جميع أعمال العباد من خير وشر، وطاعات ومعاصي، الحافظ لعباده من كل ما يكرهون في أمور دينهم ودنياهم: ﴿إِنِّي رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [هود/ ٥٧].

هو سبحانه الحفيظ الحافظ للموجودات الظاهرة والباطنة التي يطول أمد بقائها؛ كالعرش والكرسي، والسماوات والأرض، والملائكة، وهو الحفيظ للموجودات التي لا يطول أمد بقائها؛ كالبشر والحيوانات، والجمادات والنباتات، وغيرها: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر/ ٤١].

فسبحان الحفيظ الذي شمل حفظه وشملت قدرته كل ذرة ومجرة في ملكوت السماوات والأرض، وفي عالم الغيب والشهادة، وفي الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٥٧) [هود/٥٧].

والصفة المشتقة من اسم الله الحفيظ والحافظ هي الحفظ، وهي صفة ذات، وصفة فعل، لله ﷻ.

فتكون صفة ذات؛ لأن الله يحفظ بعلمه جميع المعلومات، وفي مقابلها النسيان. وتكون صفة فعل؛ لأنه جل جلاله يحفظ جميع الموجودات، وضد هذا الحفظ الإهمال. هو سبحانه الحفيظ العليم بكل شيء، الحافظ لكل شيء، الحفيظ الذي تكفل بحفظ كتابه العظيم من الزيادة والنقصان، ومن التحريف والتغيير والتبديل على مر العصور والأزمان، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) [الحجر/٩]. وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٢) [فصلت/٤١-٤٢].

فسبحان الحفيظ العليم الذي لا يعزب عنه شيء، ولا يخفى عليه شيء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٥) ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٦) [آل عمران/٥-٦].

وسبحان ربنا الحفيظ الحافظ لكل الأجرام العلوية والسفلية، الكبيرة والصغيرة، الحافظ لأعمال العباد كلها، الظاهرة والباطنة، الحسنة والسيئة: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كُنُوزًا﴾ (١١) ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ (١٢) [الانفطار/١٠-١٢]. وقال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ (٢١) [سبأ/٢١].

هو سبحانه الحفيظ الذي يصون أوليائه في حال المحنة عن الشكوى، وفي حال النعمة عن البطر والبغي: ﴿إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٧) [التوبة: ١١٧].

• ومن أعظم المحفوظات التي حفظها الحفيظ:

حفظ كتابه العظيم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١) [الحجر/٩].

وحفظ بيته العتيق: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا﴾ (١٢٥) [البقرة/١٢٥].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (١) ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلُّلٍ﴾ (٢) [الفيل/١-٢] وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمُ

طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٢﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾  
[الفيل / ١ - ٥].

وحفظ دينه من الضياع والإهمال: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ [التوبة / ٣٣].  
وحفظ الأجرام العلوية والسفلية بقدرته: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمِسْكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤١﴾ [فاطر / ٤١].  
وحفظ جميع أقوال العباد وأفعالهم: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٥٢﴾ [القمر / ٥٢ - ٥٣].

هو سبحانه الحفيظ الحافظ للحافظين والمحفوظين، الحافظ لأعمالهم من خير  
وشر: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١٢﴾ [يس / ١٢].

هو سبحانه الحفيظ الحافظ الذي حفظ أنبياءه ورسله وأوليائه، حفظ نوحًا ﷺ ومن آمن  
معه من الغرق، وحفظ موسى ﷺ من فرعون وجنوده، وحفظ إبراهيم ﷺ من النار،  
وحفظ يونس ﷺ في بطن الحوت، وحفظ محمدًا ﷺ من كفار قريش في بيته عند الهجرة،  
وفي الغار، وفي طريق الهجرة، وحفظه ومن آمن معه في جهاده وغزواته: ﴿يَا أَيُّهَا  
الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ  
اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [المائدة / ٦٧].

هو سبحانه الحفيظ لكل شيء، الحافظ للمتضادات والمتقابلات، حفظ للماء السيلان،  
وحفظ للنار الإحراق، وحفظ للشمس الإنارة، وحفظ للأحجار التماسك، وحفظ  
للأذن السمع، وحفظ للعين الإبصار، وحفظ للسان الكلام، وحفظ لليد البطش،  
وحفظ للرجل المشي: ﴿إِن رَّبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ﴿٥٧﴾ [هود / ٥٧].

هو سبحانه الحفيظ الذي حفظك مما يضرك، وحفظ لك الطعام الذي تأكله، وحفظ لك  
الهواء الذي تتنفسه، وحفظ لك الماء الذي تشربه، وحفظ لك المال الذي تعيش منه: ﴿إِنَّ  
رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ﴿٥٧﴾ [هود / ٥٧].

هو سبحانه الحفيظ الحافظ الذي يحفظ النباتات في الأرض، ويحفظ الطير في جو السماء،  
ويحفظ الأسماك في البحار، ويحفظ ويعلم كل ما في الكون من المخلوقات

والمعلومات: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج / ٧٠].

هو سبحانه الحفيظ الذي يمسك الطير في جو السماء: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفْتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك / ١٩].

فسبحان ربنا العظيم الذي حفظ السماوات والأرض، وحفظ جميع الجمادات والنباتات، والحيوانات، وحفظ جميع الملائكة والجن والإنس، وحفظ جميع الذرات والمجرات، وحفظ جميع الحركات والسكنات والسرعات، وحفظ النجوم والأجرام، وحفظ الألوان والطعوم، والأشكال والأرقام، والأنفاس: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

واعلم رحمنا الله وإياك أن الحفيظ جل جلاله خلق الإنسان في أحسن تقويم، وهداه إلى الصراط المستقيم، وفطره على التوحيد، ومن فضله ورحمته أن خلق ملائكة حفظه تحفظ الإنسان من البلايا والآفات والمضار في كل أحواله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ [الأنعام / ٦١].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [١٠] ﴿كَرَامًا كُنِينَ﴾ [١١] ﴿يَعْمُونَ مَا نَقْفَعُونَ﴾ [١٢] [الانفطار: ١٠-١٢].

وأنت غفر الله لك عبد الله، وعبد الكريم، وعبد الحفيظ، الذي يتقلب في نعمه الظاهرة والباطنة، وفي كريم كلاءته ومنيع حفظه، وفي حراسته لك في دينك واستقامتك، وفي نفسك وروحك، وفي سمعك وبصرك، وفي فكري وعقلك، وفي قلبك وجسدك، وفي جميع حواسك وجوارحك الظاهرة والباطنة، وفي جميع ما تحب من الأموال والأولاد.

فاشكره، وأحسن عبادته؛ فإن نعمه عليك لا تعد ولا تحصى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ﴾ [٢٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [٢١] ﴿وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [٢٢] ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [٢٣] ﴿نَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ



نَضَطْرُهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ [لقمان/ ٢٠ - ٢٤].

فما أعظم نعم الله على العباد! وما أقل شكرهم لله عليها! ﴿٢٤﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٢ - ٣٤].

ولا تحسبن الحفظ كل الحفظ من البلايا والأمراض الظاهرة، فذلك فضل عظيم من ربك، ولكن الحفظ الأكبر: حفظ القلب والإيمان من الكفر والشرك، والنفاق والرياء، والبدع والشك والشبه، والأهواء والفتن: ﴿٣٢﴾ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ [النور/ ٢١].

﴿٣١﴾ وَمَا يَكُفُّمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

فاحمد ربك العظيم على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأحسن عبادته بما جاء به رسوله ﷺ، وأخلص العمل كله لله؛ فهو أهل أن يعبد، وأهل أن يحمد: ﴿٥٣﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

﴿٦٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٣﴾ [الزمر/ ٢ - ٣].

﴿٢﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ [الزمر/ ١١ - ١٣].

هو سبحانه الملك الحق الذي شرح صدرك للإسلام، وحفظ في قلبك الإيمان، وأعانك على طاعته، وحبب إليك ما يحبه ويرضاه، وحباك بما منعه سواك من أهل الكفر والنفاق، وأسبغ عليك نعمه الظاهرة والباطنة: ﴿١١﴾ يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴿١٢﴾ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [البقرة/ ٢١ - ٢٢].

واعلم أن الحفيظ الذي يحفظك حافظ لأقوالك وأفعالك، وسوف يجازيك بها يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ، ﴿٨﴾ [الزلزلة/ ٦-٨]؛

فهذا وفقك الله لما يحبه ويرضاه استقم كما أمرت، واعبد ربك، واصطر لعبادته، وداوم على ذكره وشكره وحسن عبادته، واصبر على بلائه، واحفظ حقوقه وحدوده، واجتنب محارمه وما يسخطه؛ فبذلك تستدر نعمه، وتستصحب حفظه، وتنال ثوابه، وتسلم من عقابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوبُكُمْ لِمَنْ شَكَّرْتُمْ لَا تَزِيدَنَّكُمْ وَلِئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

ومن أعظم ما يجب على المسلم حفظه هو الدين، ومن أعظم ما يجب عليه حفظه من حقوق الله ﷻ هو توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ﴾ ﴿٣٦﴾ [الرعد/ ٣٦].

ومن أعظم ما أمر الله بحفظه من الواجبات: الصلاة، فمن حافظ عليها؛ حفظه الله من عقابه، وأدخله جنته: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿٢٣٨﴾ [البقرة/ ٢٣٨].

ومما أمر الله بحفظه: السمع والبصر والفؤاد، فتعبد لله بذلك، واستعمل ذلك كله في طاعته: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ﴿٣٦﴾ [الإسراء/ ٣٦].

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْعِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [النحل/ ٧٨].

## التعبد لله ﷻ باسمه الحفيظ .. الحافظ

اعلم رحمك الله أن العبد كلما كان لدين الله أحفظ؛ كان حفظ الله له في الدنيا والآخرة أكمل وأتم وأدوم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلًا مِّنْ غُفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال له رسول الله ﷺ: «يا غلام، إني معلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله يحفظك، وإذا سألت الله، وإذا استعنت بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف» أخرجه أحمد والترمذي<sup>(١)</sup>.

فاحفظ رحمك الله سمعك، فلا تسمع به إلا ما يرضي الله سبحانه، واحفظ بصرك، فلا تنظر به إلا إلى ما يرضيه، واحفظ قلبك أن يتعلق بغير الله، واحفظ عقلك أن تستعمله فيما يغضب الله، وفيما يلهيك عن دينه، واحفظ جميع جوارحك، فلا تتحرك إلا بما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، واحفظ أوقاتك باستعمالها فيما أمرك الله به: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

وبهذا يرضى الله عنك، ويذكرك فيمن عنده، ويتقرب إليك أكثر كلما تقربت منه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة/ ١٠٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ؛ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ؛ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٦٦٩) وهذا لفظه، والترمذي برقم (٢٥١٦).

مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِيرٍ؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا؛ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِي؛ أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وإذا علمت أن الله جل جلاله هو الحفيظ الحافظ لجميع ما في ملكه؛ فاحفظ الله يحفظك، واحفظ الله تجده تجاهك، وافعل الأسباب المشروعة لحفظ النفس والصحة، والأهل والمال، وتوكل على الحفيظ وحده في حفظها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣].

• واعلم أن ما عند الله لن يناله العبد إلا إذا اتبع منهج ربه في الحفظ:  
فحفظ القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى، ولزوم بيئة الإيمان.  
وحفظ الجوارح بطاعة الله، واجتناب معصيته.

وحفظ اللسان بالذكر، والحمد، والدعاء، والدعوة، والاستغفار، وتعليم شرع الله، والكف عن سيئ الأقوال.

وحفظ العين بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية، والبكاء من خشية الله، والغض عن محارم الله.

وحفظ الأذن بسماع القرآن، والمواظب، والعلم النافع، واجتناب سماع اللغو، والغيبة، والنميمة، وسيئ الأخلاق، وسيئ الكلام.

وحفظ المال بتأدية الزكاة، واجتناب الكسب الحرام.

وحفظ الوقت باستعماله فيما يرضي الله، لا فيما يسخطه.

﴿فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١١٢] وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

[هود: ١١٢-١١٣].

ومن حفظ ذلك نال أجر ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا﴾ [١٦] وَإِذَا لَا تَيْبَنُهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، واللفظ له، وأخرجه مسلم برقم (٢٦٧٥).

وَحَسَنَ أَوْلِيَّتِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِإِلَهِكَ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾  
[النساء/ ٦٦ - ٧٠].

وسل الحفيظ الحافظ لكل شيء أن يحفظ لك دينك، وتوحيدك، وإيمانك، وأعمالك، وأخلاقك، وأن يحفظ قلبك من الشرك والرياء والشبهات، وأن يحفظ جوارحك من المعاصي والآثام، وأن يحفظ أموالك من الشبهات، وأن يحفظ دنياك، ويجعلها عوناً لك على طاعته: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ ﴿٦٤﴾ [يوسف/ ٦٤].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن من عرف ربه باسمه الحفيظ والحافظ أحبه وكبره، وحمده وشكره، وتوكل عليه، وفوض جميع الأمور إليه، وتقرب إليه بأنواع الطاعات والقربات؛ تعبداً له، وشكراً له على إنعامه وإحسانه، وحفظه وعنايته، وراقب الله ﷻ في كل حال، واستحيا من معصيته، وبادر إلى طاعته، وابتعد عن كل ما يسخطه؛ لعلمه بأن ربه عليم بكل شيء، حفيظ لكل شيء: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

ومعرفة العبد لربه باسمه الحفيظ تثمر له تعظيم ربه وإجلاله وعبادته وحده لا شريك له: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٩٨﴾ [المائدة: ٩٨].

ويثمر له كذلك الأخذ بالأسباب التي تحفظ العبد، وأعظمها توحيد سبحانه، وعبادته وحده لا شريك له، وفعل ما يحبه ويرضاه، واجتناب ما يسخطه ويكرهه: ﴿وَلْيَنْصُرِكِ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠ - ٤١].

وقال ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ [يونس/ ٦٢ - ٦٤].

ومن عرف ربه باسمه الحفيظ والحافظ؛ أثمر له ذلك حفظ حدود الله، وحفظ ما وجب عليه من حقوق، فمن حفظ أوامر الله بالامتثال، ونواهيه بالاجتناب، وحدوده بعدم تعديها، وعدم قربها؛ حفظه الله ﷻ في نفسه ودينه، وفي ماله وأهله وولده، وحفظه من

أنواع الفتن، وفتن الأهواء والبدع، وسائر المحرمات، وحفظه من فتن الشهوات والشبهات، وحفظ قلبه من الشك، والنفاق، والعجب، والرياء: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإذا علمنا أن الله هو الحفيظ؛ فنسأل الله ﷻ أن يحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وسبيل نجاتنا، وفوزنا في الدنيا والآخرة.

ومن أعظم أسباب الحفظ للعبد: الإيمان بالله، والعمل بشرعه، وإبلاغ دينه: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة/ ٦٧].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

ومن أسباب الحفظ للعبد قراءة آية الكرسي كل ليلة؛ فهي تحفظ العبد من السوء والشيطان.

وإذا علمت أن الله هو الحفيظ الذي حفظ خلقه، وحفظ أعمالهم، وحفظ كل ما يكون في ملكه العظيم، وحفظ أوليائه من الوقوع في الذنوب والهلكات، وأنه قد أحاط بكل شيء علماً؛ توكلت عليه، وأنت إليه، وأفردته بالعبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وحظك من هذا الاسم الكريم أن تحفظ حدود الله وحقوقه، وأوامره ونواهيه، بفعل ما أمرك الله به، واجتناب ما نهاك الله عنه: ﴿وَمَا ءَأَنذَرْتُكُمْ الرُّسُولَ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر/ ٧].

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب/ ٧١].

وقد مدح الله ﷻ المؤمنين الذين اشتراهم فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُسْكِرُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة/ ١١٢].

ومن أعظم ما يجب حفظه: توحيد الله، والمحافظة على الصلوات المفروضة، والمحافظة

على الفروج من الوقوع في الحرام.

وقد أثنى الله ﷻ على من حافظ على ذلك فقال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ [المؤمنون/ ٥ - ٧].

وقال ﷻ: ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَصْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمْرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور/ ٣٠ - ٣١].

واعلم رحمك الله أن الحفاظة تكون على قدر الاستقامة، فاستقم كما أمرك الله، والاستقامة تحصل للعبد بفعل الأوامر، واجتناب النواهي، والصبر على كل شيء أمر الله به؛ ابتغاء مرضاة الله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران/ ٢٠٠].

واعلم رحمك الله أن من كان الحفيظ معه فلن يضره أحد، ومن تخلى الله عنه؛ استلمه عدوه، وخذله من جهته: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإسراء/ ٢٢].  
﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [آل عمران: ١٦٠].

فتوكل على الحفيظ القادر على كل شيء في جميع أمورك: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء/ ٢١٧ - ٢٢٠].

وأظهر الطاعة لمولايك العزيز يعزك، وينصرك، ويرضيك، ويسعدك: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَّرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٢٣].

وإياك أن تعتد بقوتك، ومالك، وعلمك، وذكائك؛ فيتخلى الله عنك، ويخذلك من جهته رحمةً بك؛ لتتوب وترجع إليه، فإن فعلت ذلك فتب إلى ربك التواب الرحيم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ

مُدْرِيكَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٦].

فكن رحمك الله لربك كما يريد؛ يكن لك كما تريد، وسلم لربك فيما يريد يكفك ما تريد، فإن عصيته فيما يريد تعبت فيما تريد، ثم لا يكون لك إلا ما يريد؛ رحمة بك لتعود إليه: ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُوهٖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ [لقمان: ٢٢-٢٤].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦].

لهذا يجب على المسلم أن يراقب قلبه كما يراقب بدنه، فكما يسارع لعلاج أي عضو مريض فيه إذا أصيب؛ فعليه كذلك أن يتعاهد قلبه، ليتعافى من أمراض الشهوات والشبهات والمعاصي، ولثلا يرى فيه ربه شيئاً يكرهه ولا يرضيه: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْعَيْثَ ﴿٢٠﴾ [الرعد/ ١٩-٢٠].

والقلب محل نظر الرب جل جلاله، والبدن محل نظر الخلق، فلا يليق بالعاقل أن يظهر محل نظر الخلق من الأوساخ، ولا يظهر محل نظر الرب من الشك والشرك والمعاصي: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد/ ١٦-١٧].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

اللهم اكشف عن قلوبنا الحجاب؛ حتى نشهد في أنفسنا أنه لا إله إلا أنت، ولا رب سواك، ونراك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، تخلق وترزق، وتغفر وترحم، وتعطي

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).



وتنعم، وتعز وتذل، وتحبي وتميت: ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران/ ٥٣].

اللهم ارزقنا نور المراقبة، حتى نعبدك كأننا نراك، ويسر لنا حسن معرفتك حتى نحمدك ونخشاك، وبصرنا بأعمالنا حتى لا نفعل إلا ما فيه رضاك: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر/ ٩].

فسارع إلى كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

واعلم رحمك الله أن من حفظه الله في أمور دينه ودنياه؛ فإنه لا يضيع أبدًا ولو اجتمعت المخلوقات كلها على إضاعته: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف/ ٦٤].  
﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر/ ٢].

فاستودع الحفيظ جل جلاله نفسك وأمانتك، وأقوالك وأعمالك، وجميع ما تملك، وخواتيم أعمالك، فما استودع الحفيظ شيئًا قط إلا حفظه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَنِّلُونَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْنَلُونَهُ وَيَقْنَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۗ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة/ ١١١].

وأكمل لربك ما يجب يكمل لك يوم القيامة ما تحب، واجتنب ما يكره؛ يحفظك مما تكره، وهذا ما يجب ربي وربك: ﴿يَبْنَیْ إِسْرَءِیْلَ أَذْکُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارْهَبُونَ﴾ [٤٠] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِآبَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونَ﴾ [٤١] ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُوا بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٤٢] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [٤٣] [البقرة/ ٤٠-٤٣].

أعاننا الله وإياك وجميع المسلمين والمسلمات على ذكره وشكره وحسن عبادته، وحفظ أمانته، وأداء ودائعه، وما استودعنا من شرائعه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء/ ٥٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف/ ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران/ ٨].  
«اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

اللهم يا حفيظ احفظ قلوبنا من الشرك والنفاق، واحفظ ألسنتنا من الكذب، واحفظ أعيننا من الخيانة، واحفظ أعمالنا من الرياء، واحفظ أوقاتنا من الإضاعة، واحفظ جوارحنا من المعاصي، برحمتك يا أرحم الرحمين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠] ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [١٨١] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٨٢] [الصفات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الكافي

# موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

## اسم الله الكافي

• اعلم رحمك الله أن أسماء الله الحسنى من حيث معانيها تنقسم إلى ستة أقسام:

**الأول:** الأسماء الدالة على ذات الله ووحديته: مثل: الله، الإله، الواحد، الأحد، الحق، الحي، القيوم، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، وأمثالها من الأسماء الحسنى، وجميع أسماء الله عَلَيْهِ السَّلَامُ دالة على الذات، ولكل اسم معنى خاص، كالخالق، والرازق: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

**الثاني:** الأسماء الدالة على الملك والقدرة: مثل: الملك، المليك، العزيز، الجبار، المهيمن، القهار، القادر، القوي، المقدم، والمؤخر، وأمثالها من أسماء الله الحسنى.

**الثالث:** الأسماء الدالة على الخلق والإيجاد والإمداد: مثل: الخالق، البارئ، المصور، الرزاق، الوهاب، الكريم، البر، المقيت، الكافي، الكفيل، وأمثالها.

**الرابع:** الأسماء الدالة على العلم والإحاطة: مثل: السميع، البصير، العليم، الخبير، الرقيب، الشهيد، الحفيظ، المحيط، وأمثالها.

**الخامس:** الأسماء الدالة على الرفق والرحمة والمغفرة: مثل: الرب، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الحلیم، الحميد، الشكور، الودود، الولي، النصير، القريب، المجيب، العفو، الغفور، الغفار، التواب، وأمثالها.

**السادس:** الأسماء الدالة على الهداية والبيان: مثل: الهادي، المبين، الوكيل، وأمثالها.

والله سبحانه له جميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه/ ٨].

هو سبحانه الكافي الحق، القائم بالخلق كله، القائم بالأمر كله، القائم بالرزق كله، القائم بالحفظ كله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٧].

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٦-٥٨].

﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسْحَرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

وهو سبحانه الكافي عباده كل ما يحتاجون إليه، فهو وحده خالقهم، وحافظهم، ورازقهم، الذي يدبر أمورهم، ويسر مصالحهم: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقَوْنَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

هو الكافي جل جلاله الذي يكفي عباده المهم، ويدفع عنهم الملم، الذي له خزائن السماوات والأرض: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِنَّ يَسَاءَ يَدْهَبُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخِرِينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ ﴾ [النساء/ ١٣٢-١٣٣].

وهو سبحانه الكافي الحافظ عباده المؤمنين من كل مكروه، الذي يدافع عنهم، ويهلك أعداءهم: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

وقال ﷺ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج/ ٣٨].

وهو سبحانه الكافي الذي يقي عباده المؤمنين من كل ما يضرهم في الدنيا والآخرة: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

فوقاهم الله في الدنيا بإيمانهم وأعمالهم الصالحة كل شر، ووقاهم في الآخرة بإيمانهم وتقواهم النار، وأدخلهم الجنة، ووقاهم سخطه وعذابه بالإيمان والعمل الصالح،

ووقاهم برحمته في الأمر بكونهم في قبضة اليمين أن يكونوا في القبضة الأخرى، ووقاهم بإيمانهم شري يوم القيامة: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ٧﴾ وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتٍ وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نَنْطَعِمُكَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ١٠ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ سَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ١١ وَجَزَّئِهِمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ١٢﴾ [الإنسان: ٧-١٢].

أما الكفار فليس لهم من الله وعذابه من واقٍ؛ لأنهم لم يتقوا الله ليقبهم العذاب: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١٢﴾ [غافر/ ٢١-٢٢].

• وكفاية الله ﷻ لعباده نوعان:

الأولى: كفاية عامة لجميع المخلوقات: من الجن والإنس، وسائر الحيوان. فهو سبحانه الكافي لهم في كل ما يحتاجونه، فهو الذي قام بخلقهم، وإمدادهم، وحفظهم، وهدايتهم لما خلقوا من أجله، وهياً لهم ما يغنيهم ويكفيهم: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٦﴾ [هود/ ٦].

الثانية: كفاية خاصة لعباده المؤمنين: فهو سبحانه كافي عباده المؤمنين به، المتوكلين عليه، العاملين بطاعته، فمن توكل على ربه حق التوكل؛ كفاه ربه أمور دينه ودنياه، وسدده في أقواله وأعماله، وكفاه همه، وكشف غمه، وجمع له رزقه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ٣ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ٤ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ٥﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

فسبحان كافي الخلائق كلها، الكافي كفاية خاصة لمن آمن به، وتوكل عليه، القوي الذي ينصر من والاه، ويخذل كل من عاداه وعادى أوليائه بأي قوة في كل مكان وزمان: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٧﴾ [البقرة/ ١٣٧].

وهو سبحانه القوي الذي ينصر أوليائه، ويكفيهم شر أعدائه: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ٢٥﴾ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ٢٦ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ٢٧﴾ [الأحزاب/ ٢٥].

اللهم اكفنا شر الأشرار، وكيد الفجار، وشر طوارق الليل والنهار.

وقد ورد اسم الله الكافي في القرآن مرة واحدة، كما قال سبحانه في سورة الزمر: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر/ ٣٦].

والكفاية هي جلب النافع والمحبوب، ودفع المكروه والمخوف.

والله سبحانه هو الكافي الحفيظ الوكيل الذي تكفل بجميع ما يحتاجه الخلق.

والله سبحانه كما أنه ليس له في ربوبيته شريك؛ فكذلك ليس له في ألوهيته شريك، فهو الذي تكفل لعباده بأنواع الكفايات: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

لهذا فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

ومقصود الرب من خلقه عبادته وحده لا شريك له: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

والصفة المشتقة من اسم الله الكافي هي الكفاية، والكفاية صفة ذاتية لله ﷻ، فالله كافٍ، وحفيظ، وعالم بكل شيء: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [النساء: ٨١].

والكفاية كذلك صفة فعلية لله ﷻ، فالله يكفي عباده ما يحتاجون إليه، ويدفع عنهم ما يضرهم، كما قال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر/ ٣٦].

هو سبحانه الكافي عباده حفظًا ورزقًا، وعلمًا وتوفيقًا، وعزًا ونصرًا، وتمكينًا وثباتًا وتأيدًا: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الزمر/ ٣٦].

وقال ﷻ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة/ ١٣٧].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر / ٩٥].

هو سبحانه الكافي الذي تطمئن القلوب بكفائته، فمن توكل عليه، واعتمد عليه؛ كفاه الله كل شيء، فأحسن أحواله، وسدد أقواله وأفعاله، وكفاه همه وغمه، ويسر أمره، وفرج كربته، وساق إليه ما ينفعه، ودفع عنه ما يضره، ونصره على عدوه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٢] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [٣] [الطلاق / ٢-٣].

هو سبحانه الكافي القوي القادر الذي كفى رسله وأوليائه الشرور والمهلكات، وكفاهم شر أعدائهم.

كفى رسوله إبراهيم ﷺ شر النار: ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [٦١] [الأنبياء / ٦٩].

وكفى الكافي موسى ﷺ شر فرعون: ﴿فَلَمَّا تَرَىٰمَا الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [٦١] ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [٦٢] ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [٦٣] ﴿وَأَرْزَقْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ﴾ [٦٤] ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ [٦٥] ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ [٦٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [٦٧] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [٦٨] [الشعراء: ٦١-٦٨].

وكفى أيوب ﷺ شر المرض: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۗ أَيُّ مَسَّنَى الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [٨٣] ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ ۖ مِنْ ضُرِّ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ ۖ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً ۖ مِنْ عِنْدِنَا ۖ وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [٨٤] [الأنبياء: ٨٣-٨٤].

وكفى يونس ﷺ شر الغرق: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [٨٧] ﴿فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ ۖ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۖ وَكَذَلِكَ نُثَبِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٨٨] [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

وكفى عيسى ﷺ شر القتل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ۖ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِمَّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعِ الظَّنِّ ۖ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [١٥٧] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [١٥٨] [النساء: ١٥٧-١٥٨].

وكفى محمداً ﷺ شر كفار قريش في مكة، وفي الغار، وفي المدينة، وكفاه شر المنافقين



واليهود والنصارى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ [المائدة/ ٦٧].  
 وكفى محمداً ﷺ وأصحابه شر الأعداء والكافرين: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٦٦﴾ [الأنفال: ٢٦٠].

هو سبحانه الكافي الذي يكفي العبد ما أهمه في الدنيا والآخرة، ويكفيه شر من كاده من شياطين الإنس والجن، ويكفيه شر الأمراض والنكبات، ويكفيه ما يضره، ويمده بكل ما يحتاجه من الطعام والشراب والمال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ﴿٣﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

فسبحان الكافي الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

وقال النبي ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَكَفَانَا وَأَوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤَيِّي» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الكافي الذي يكفي أوليائه من شرور أعدائه: ﴿وَلْيَنْصُرِكَ اللَّهُ مِنْ بِنَصْرِهِ﴾ ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿٤١﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

هو سبحانه الكافي الذي أمدنا بالنعيم، وساق إلينا طيبات الرزق، وألبسنا ثياب الصحة والعافية، وغمرنا بأنواع الفضل والإحسان، وسخر لنا ما في السماوات وما في الأرض: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ ﴿٢٠﴾ [لقمان/ ٢٠].  
 وقال ﷺ: ﴿وَأَنَا أَنَا وَمَنْ سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٥).

هو جل جلاله الكفيل القائم بأمر الخلائق كلها في العالم العلوي والعالم السفلي، الكفيل الذي تكفل بأقوات الخلائق كلهم، وأوصلها إليهم: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس/٣٢].

والرب الذي هذه أسماؤه وصفاته، وهذه أفعاله وإحسانه، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/٢٢].

هو سبحانه الحافظ الوكيل الكفيل الذي تكفل لخلقه بما يسعدهم في الدنيا والآخرة، تكفل بقوت أبدانهم، ورزقهم من أنواع الطيبات، وتكفل بقوت قلوبهم من الإيمان، والعلم بأسماء الله وصفاته، والعلم بدينه وشرعه، والعلم بثوابه وعقابه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة/٣].

فما أسفه عقول من أعرض عن ربه بعد معرفته: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة/٢٨-٢٩].

فسبحان ربنا الكفيل الكافي الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/١٢٣].

وهو سبحانه الكافي الذي يكفي أوليائه الشرور، ومن سنته أن يبطل فعل الأسباب ليدكر أوليائه بقدرته، كما أبطل مفعول النار على إبراهيم خليل الرحمن، وجعلها بردًا وسلامًا عليه، كما قال سبحانه: ﴿قُلْنَا يَنْدَرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنبياء/٦٩].

## التعبد لله ﷻ باسمه الكافي

اعلم رحمك الله أن من توكل على الله فهو حسبه، فكن حسن الظن بالله، عظيم الرجاء فيما عنده، صادق التوكل عليه؛ يكفك كل ما أهمك: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل / ٧٩].

وافعل الأسباب التي أمرك الله بها، ولا تستبطئ كفاية الله إذا تأخرت؛ فإن الله بالغ أمره قطعاً في الوقت الذي قدره له: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ [الطلاق / ٣].

واعلم أن من اشتغل بالله وأوامره عن نفسه وشهوته؛ كفاه الله مؤونة نفسه، ومن اشتغل بالله وأوامره عن الناس كفاه الله مؤونة الناس ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة / ١٢٩].

ومن اشتغل بنفسه عن الله وأوامره وكله الله إلى نفسه، فخرس دنياه وآخرته، ولم يأخذ منها إلا ما قدره الله له: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُلْهِكُمْ أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون / ٩].

ومن اشتغل بالناس عن الله وأوامره وكله الله إليهم فأذلوه وأهانوه واحتقروه. وأخسر الناس صفقة من باع دينه بدنيا غيره: ﴿قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

وأسفه الناس من أقبل على الدنيا، ونسي الآخرة: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [١٨] وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدِّدْ هُنَّوَلَاءَ وَهُنَّوَلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْدُولًا ﴿٢٢﴾ [الإسراء / ١٨-٢٢].

فتوكل على ربك الكافي الحق حده؛ فبيده مقاليد الأمور كلها، فالله بيده كل شيء، وليس بيد غيره شيء: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر / ٣٦].

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٣].

فاسأله أن يكفيك كل هم وغم، وكل شر وفتنة، وكل ضلالة وبدعة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

واسأله أن يغنيك بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عن سواه: ﴿قُلْ إِنَّا نَفَعَلْنَا لِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣ - ٧٤].

واعلم أن من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، فانصح الخلق بما علمك الله من علم، وانفعهم بما أعطاك الله من مال، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

فأنفق مما أعطاك الله يكرمك الله بخير منه في الدنيا والآخرة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤].

واشكر ربك على عطائه لك، وكفايته لك، وهدايته لك: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى/ ٦ - ١١].

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم بمن لا كافٍ له ولا مؤوي» أخرجه مسلم <sup>(١)</sup>.

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن من عرف الله باسمه الكافي أحبه، واطمأن إلى كفايته: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء/ ٢٨ - ٢٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٥).

والمؤمن حقاً إذا عرف ربه باسمه الكافي؛ اكتفى به عما سواه، وتوكل عليه وحده دون غيره، وسارع إلى كل ما يحبه ويرضاه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكفي نفسه غيره، ولا يكون كلاً عليه، ويكفي الناس شره، ويدفع عن نفسه وغيره ما يضر ويؤلم، ويسعى في تحصيل المنافع لنفسه ولغيره: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [المائدة/ ٢].

وقد بين الله ﷻ صفات المؤمنين التي يجبها، ويرحم بها أهلها، فقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة/ ٧١].

ومن عرف ربه باسمه الكافي؛ أحبه، ووحده، وتوكل عليه، وتعلق به دون سواه، وسارع لامتنال أوامره، واجتناب نواهيه؛ لعلمه بجلاله وجماله، وعظيم كفايته: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو الكافي الذي يغنيك عما سواه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر/ ٦٥].

واعلم رحمك الله أنك كلما امتثلت أوامر الله كفاك ما أهمك، وكفاك عدوك. وإذا تسلط الكفار على المسلمين فلا تظن أن العدو غلب، ولكن الكافي أعرض: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى/ ٣٠].

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن/ ١١].

واعلم رحمك الله أن الله سبحانه لكمال ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله هو المستحق وحده

للعبادة، وهو المستحق للمحامد كلها، فكل ما يُحمد به الخلق فهو من الخالق، فهو أحق بالحمد من كل محمود من الخلق: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) [الأنعام/ ١].

وذلك يثمر للعبد الاستسلام لربه، والامتثال لأوامره، والرضا بما يقدره من كل محبوب ومكروه، وحسن الظن به؛ لأنه جميل لا يفعل إلا الجميل، وحميد لا يفعل إلا ما يحمد عليه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٧) [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢) [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَاؤُنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (٤) [المتحنة/ ٤].

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٢٩) [التوبة/ ١٢٩].  
 «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

اللهم يا قوي يا عزيز، يا رحمن يا رحيم، ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.  
 اللهم يا خالق الخلائق كلها، ويا كافي المخلوقات كلها، نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لنا وترحمنا يا أرحم الراحمين.

اللهم يا من يكفي عن كل أحد، ولا يكفي منه أحد، يا أحد من لا أحد له إلا أنت، أغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، يا رب العالمين.  
 سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الكفيل

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الكفيل

الله جل جلاله هو الكفيل القائم بأمر الخلائق كلهم، المتكفل بأرزاقهم وأقواتهم، وقضاء حوائجهم، ورعاية مصالحهم: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء/ ١٣٢].

وهو سبحانه الكفيل الحق، الذي كفل جميع الخلق من جميع الوجوه:

حفظاً، ورزقاً، وقوتاً، ووقايةً، وتعليماً، وهدايةً، وغير ذلك من الطافه وإحسانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [٤٨] ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [٤٩] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [٥٠] ﴿[الفرقان: ٤٧ - ٥٠].

فسبحان من تكفل بذلك كله للخليفة كلهم، وضمنه لهم، وأظهر لهم في الدنيا ما شاء منه، وأخفى لهم في الجنة ما هو أعظم منه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [٣٢] ﴿[الأعراف/ ٣٢].

وقال ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَنْهَارٌ مُمْتَهِرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [٢٥] ﴿[البقرة: ٢٥].

والله سبحانه هو الملك الحق الذي خلق الأرزاق والمرزوقين، وخلق الحاجات والمحتاجين، وهو رازق كل حي وحده لا شريك له.

هو الكريم القادر الذي تكفل بالأرزاق كلها، وبالأموار كلها، الذي أوصل رزقه إلى كل واحد من الإنس والجن، والحيوان والطير، وغيرهم مما لا يعلمه ولا يُحصىه إلا الله



﴿عَلَّمَ﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ [هود/٦].

واعلم رحمك الله بأن الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له مُلك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك السموات والأرض، وله ما في السموات والأرض، وله خزائن السموات والأرض، وله ما بين السماوات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: ١-٢].

هو سبحانه الملك الحق الذي له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

واعلم بأن الله ﴿عَلَّمَ﴾ قد تكفل برزق وقوت وتربية جميع الخلائق، وليس في وسع واحد منهم أن يرزق نفسه أبداً؛ وإنما الرزاق هو الله وحده الذي عم برزقه ونعمه المؤمن والكافر، والإنسان والحيوان، والجان والملائكة: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرُّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَالْيَهُ بَجْهَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/٥٣].

فاتق الله في نفسك، وتوجه إلى ربك في جميع حاجاتك؛ فإنه الكفيل وحده لا شريك له: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل/٩١].

واعلم بأن من مات من الخلق جوعاً أو عطشاً فقد تم أجله، والله جل جلاله لا يقبض أحداً حتى يستوفي رزقه الذي قسمه الله له، فلن تموت نفس حتى تستكمل رزقها

وأجلها، وخطاها وأنفاسها: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون/ ١١].

وهو سبحانه الصادق في قيله، الوفي بعهده، الأمين في ضمانه، الحفيظ في كفالتة، العظيم في إحسانه، الدائم بره: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر/ ٦٥].

هو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣] [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

وقد ورد اسم الله الكفيل في القرآن الكريم مرة واحدة، كما قال سبحانه في سورة النحل: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [٩١] [النحل/ ٩١].

هو جل جلاله الكفيل القائم بجميع أمور الخلائق؛ من خلق ورزق، وتدبير وتصريف، وحفظ ورعاية، وهداية وعناية: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

هو جل جلاله الكفيل الذي تكفل برزق الأجنة في بطون الأمهات من الحيوان والطيور والإنسان، وتكفل برزق الأسماك في قاع البحار، وتكفل برزق الطير في جو السماء، وتكفل برزق البهائم والسباع في الفلوات، وتكفل بشفاء المرضى، وتكفل بتفريج الكرب، وتيسير أسباب الأمن والهداية والتقوى والعبادة: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ﴾ [٣١] ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس/ ٣٢-٣١].

فسبحان الكفيل المتكفل بكل شيء، القادر على كل شيء، المحسن بكل شيء، وحده لا شريك له: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) آمَنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لِّهٖمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠) آمَنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلْقَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًّا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١) آمَنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢) آمَنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣) آمَنَ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعْبُدُهِ، وَمَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌّ كَانُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٤) قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُعْعَوْنَ﴾ (٦٥) ﴿النمل/ ٥٩-٦٥﴾.

ومن هذه أفعاله، وهذا إحسانه، هو الذي يستحق العبادة والشكر وحده لا شريك له: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١١٤) ﴿النحل/ ١١٤﴾.

هو جل جلاله الملك الكريم الغني الكفيل الذي تكفل بجميع الأرزاق والأقوات لكل مخلوق في كل زمان ومكان، تكفل بها، وقدرها، وأوصلها إلى كل مخلوق كميةً ونوعيةً، ومكاناً وزماناً: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٦) ﴿هود/ ٦﴾.

هو سبحانه الكفيل الذي تكفل بحفظ الأنفس، والأموال، والأولاد، والأعمال، وتكفل بحفظ القلوب والجوارح وحده لا شريك له: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيْدِيَ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ (٤٦) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَعْتَهُ أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٧) وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤٨) وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمَسِّمُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٤٩) ﴿الأنعام/ ٤٦-٤٩﴾.

هو جل جلاله الكفيل الذي تكفل بحفظ أنبيائه ورسله وأوليائه، حفظ إبراهيم عليه السلام من النار: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٦﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء/٦٩-٧١].

وحفظ نوحًا عليه السلام من الغرق: ﴿وَنوحًا إِذ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَآلَهُ مِن الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء/٧٦-٧٧].

وهو جل جلاله الكفيل الذي يُجيب دعاء من دعاه، ويكشف الضر عن من والاه: ﴿يُؤْتِيكَ إِذ نَادَىٰ رَبَّهُ: أَيِّ مَسْفَى الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَعَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِن عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء/٨٣-٨٤].

وهو الكفيل الذي أنجى يونس عليه السلام من الغرق، ورزق زكريا الولد، ورزق مريم طعاماً بلا سبب، وابنا بلا ذكر: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّا إِذ نَادَىٰ رَبَّهُ: رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَاهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرَجَّحْنَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنبياء/٨٧-٩١].

وهو سبحانه الكفيل الذي تكفل بنصر أوليائه، وتمكينهم في الأرض، وودفع الشر عنهم: ﴿وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ: إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [الحج/٤٠-٤١].

هو الكفيل الذي تكفل بنصر رسله وأوليائه في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ﴾ (٥١) ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ﴾ (٥٢) [غافر: ٥١-٥٢].

هو جل جلاله الكفيل الذي تكفل بحفظ أعمال الخلائق، ويجازيهم عليها إن كانت خيراً بأحسن جزاء، وإن كانت شراً فيعاملهم بالعدل، أو يعفو عنهم؛ لأنه جل جلاله الرحمة أحب إليه من الانتقام، والإحسان أحب إليه من العدل، وسوف يجاسب الجميع بحسب أعمالهم: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَازِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ فَلَآ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حٰسِبِينَ﴾ (٤٧) [الأنبياء/٤٧].

وكل سوف يجازى بعمله: ﴿يَوْمَ يَظُنُّ ٱلنَّاسُ أَنَّهُم مُّسَدَّدُونَ وَمَن يَكْفُرْ يَكْفُرْ لِرُبِّهِ ٱلْبَاطِلَ ٱلْعَظِيمِ ٱلَّذِي يَكْفُرُ ٱلنَّاسُ بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَيْسَ لِرَبِّهِمْ يَوْمَ سَعِيرٌ﴾ (٦) ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة/٦-٨].

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ﴾ (٦١) ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا ٱلسَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّمَّا كَسَبُوا بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ ٱلْبَيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خٰلِدُونَ﴾ (٢٧) [يونس: ٢٦-٢٧].

ويوم القيامة: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ (٧٤) ﴿وَمَن يَأْتِهِ مَوْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَاتِ فَأُو۟لَٰئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَاتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ (٧٥) ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَرَكَ﴾ (٧٦) [طه/٧٤-٧٦].

فسبحان ربنا العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والنعوت الجميلة، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿ٱللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ (٨) [طه/٨].

## التعبّد لله ﷻ باسمه الكفيل

العبد إذا عرف الله بأسمائه وصفاته، وعرف عظمة مُلكه وسلطانه، وعرف عظمة دينه وشرعه، وعرف عظمة وعده ووعيده؛ عظّم الله وكبّره، وأحبه وحمده وشكره، وتقرّب إليه بأنواع الطاعات والعبادات التي شرعها الله ورسوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

فانظر رحمك الله ووفقك لما يحبه ويرضاه إلى محال الكرم والرحمة والإحسان والخلق في الملك والملكوت؛ تجد الكفيل الحق تكفل بجميع ما يصلح عباده من أنواع النعم التي لا تعد ولا تحصى، وتيسير الأمور في كل زمان ومكان، ترى ذلك خلقًا مشهودًا، وبساطًا ممدودًا: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان/ ٢٠].

فسبحان العظيم الذي تكفل بجميع أنواع الأرزاق والأقوات لعباده في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ أَوَّاتِكُمْ مِّنْ كُلِّ مَّاءٍ سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

فسبحان الغني الكريم، المقيت الكفيل الذي جميع خلقه يأكلون من مائدة نعمه، وينعمون بإحسانه وخيره، فإذا عرفت ذلك؛ فاشكر الله، واحمده على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة/ ١٧٢].

فكن رحمك الله كفيلاً على نفسك، ومع نفسك، أعطها حظها من الطيبات، وخذ منها الحق الواجب عليها من صدق الإيمان، وصدق الاستقامة على أوامر الله، وشكر المنعم عليها بما لا يحصى من النعم التي تتنعم بها، والتي وضعها الله ﷻ بين يديك: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص / ٧٧].

واسأل الله أن يعينك على نفسك، ويقيك شرها: ﴿وَقَفَّسْ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٧-١٠].  
والنفس مجبولة على حب الشهوات، وما يشغل عن الطاعات: ﴿وَمَا أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُرِيءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف / ٥٣].

وقم بما لله عليك من حقوق وواجبات، وما للناس عليك من حقوق وواجبات، واستغفر الله من كل تقصير؛ فإن ربك غفور رحيم: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء / ١١٠].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

واعلم أن الله جل جلاله تكفل بأرزاق الخلق كلهم في الدنيا والآخرة، ووكل الشمس بالإنارة في العالم كله، ووكل الأرض بالإنبات في العالم كله، ووكلك بنشر الهداية ونور الإيمان في العالم كله.

فأد الأمانة لتربح وتنجو من الخسارة، وذلك بإبلاغ دين الله في مشارق الأرض ومغاربها؛ لتدخل لا إله إلا الله في قلوب البشرية، وتترين أجسادهم بالسنن النبوية: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذُكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [إبراهيم / ٥٢].

ولتحقيق هذا في حياتك، وحياة الناس، عليك أن تقتدي بالنبي ﷺ في خمسة أمور:

في نيته وفكره .. وفي توحيده وإيمانه .. وفي أقواله الحسنة .. وفي أعماله الصالحة .. وفي أخلاقه الكريمة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝١١﴾ [الأحزاب / ٢١].

واعلم أن الله ﷻ منَّ عليك بالهداية، فسارع إلى الخيرات، ونافس في الفضائل والمكارم بجميع أنواع العبادات والمعاملات، فرضها ونفلها: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةِ مَن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

وكن حفظك الله في ليلك مع الكفيل جل جلاله، اذكره، واشكره على نعمه التي لا تُعد ولا تُحصى، واسأله من فضله واستغفره من ذنوبك، واحمده على نعمه، وكبره تكبيراً، فهو أهل أن يُذكر، وأهل أن يحمد: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ۝١﴾ قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفُهُ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَبُّهُ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ [المزمل: ١-٤].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ أَمَّا نَاءُ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزمر / ٩].

وكن في النهار مع الخلق بالرعاية والإحسان، والدعوة والتعليم، اهد ضالهم، وعلم جاهلهم، وأطعم فقيرهم، واقض حاجاتهم بقدر ما تستطيع؛ تمل بذلك أجراً عظيماً: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت / ٣٣].

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ [الفرقان / ٦٣-٦٤].

واعلم أن من صدق مع الله ورضي به كفيلاً؛ ساقه الله إلى ما يحبه ويرضاه، وأعانه على أداء الأمانة، ويسر له الأمر من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣].



واعلم أن العبد إذا عرف ربه بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الحمیده؛ أحبه وحمده، ووحده واستغفره، وأطاعه وامثل أمره، واجتنب نهيہ؛ لما يراه من عظیم نعمه وإحسانه، وسوايغ نعمه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَوَلَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد/ ١٩].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكفل نفسه بحملها على طاعة الله، وفعل ما يحبه الله ويرضاه، واجتناب ما يكرهه ويسخطه: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ [هود: ١١٢-١١٣].

وكذلك أن يتعاهد أهله بكل خير يصلحهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرْءَانَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ [التحریم/ ٦].

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

ومن عرف ربه باسمه الكفيل؛ سعى في قضاء حاجات إخوانه المسلمين، وأحسن إليهم بما يستطيع، وأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن المنكر: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران/ ١١٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران/ ٨].  
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿١٤٧﴾ [آل عمران/ ١٤٧].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران/ ٥٣].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاعْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحَسَنِيَّةِ

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الوكيل

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الوكيل

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، والأفعال الحميد، والنعوت الجميلة : ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [١٠٢] [الأنعام: ١٠٢].

الله ﷻ هو الوكيل الحق الذي توكل وتكفل بجميع أمور الخلق، ومعايشهم ومصالحهم في العالم العلوي، والعالم السفلي: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ [١٣١] [النساء: ١٣١-١٣٢].

وهو سبحانه الوكيل القادر على كل شيء، الذي جميع المخلوقات تحت كفالته ووكلته وتديره وتصريفه: ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [٢] [الرعد: ٢].

وهو سبحانه الوكيل الذي توكل وتكفل ببيان دينه، وحفظ كتابه من التحريف والتبديل، والزيادة والنقصان: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [٩] [الحجر: ٩]. وقال ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيزٌ ﴾ [٤١] [فصلت: ٤١-٤٢].

فسبحان الملك الحق الذي كل الأمور موكلة إليه، القادر على كل شيء، الوفي بإتمامه، الوكيل الذي تفرد بحفظ الخلق وكفالتهم، وأمرهم جميعاً بيده، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۗ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [٣٦] [تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب] [٢٧] [آل عمران: ٢٦-٢٧].

وقد ورد اسم الله الوكيل في القرآن الكريم أربع عشرة مرة، منها قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَظْتَهُمْ فَزَادَهُمُ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران/ ١٧٣]

والله سبحانه هو الوكيل الذي تولى وحده تدبير خلقه في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي الدنيا، وفي الآخرة: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

هو الوكيل الذي تكفل بجميع مصالح العباد، وأوصل إليهم أرزاقهم بأنواعها، ومقاديرها، وأعدادها، ومكانها، وزمانها، ودفع عنهم المصائب وحماهم مما يضرهم: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يَمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر/ ٢]

هو سبحانه الوكيل الذي تكفل وحده بقضاء الحوائج كلها، الذي يُقصد في جميع الأمور، ويفوض الأمر إليه في كل حال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [١] اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص/ ١-٤]

هو سبحانه الوكيل الرحيم الذي يسوق لعباده كل خير، ويدفع عنهم كل شر: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [٥١] [التوبة/ ٥١]

والصفة المشتقة من اسم الله الوكيل هي صفة التوكل، فالله سبحانه هو الوكيل الذي لا يخفى عليه شيء من ملكه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، الذي جميع مخلوقاته بيده وتحت تدبيره وتصرفه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأأنعام: ١٠٢-١٠٣]

والله وحده هو الوكيل الذي له الوكالة التامة العامة على جميع ما في ملكه. والوكالة التامة المطلقة هي التي تجمع علم الوكيل بما هو وكيل عليه، وإحاطته بتفاصيله، وقدرته التامة على كل شيء، ليتمكن من التصرف فيه، وحفظ ما هو وكيل

عليه، مع كمال الحكمة المقرونة بالخير المطلق، المقرونة بالقدرة المطلقة: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢]

هو سبحانه الوكيل الذي توكل بالعالمين جميعًا، خلقًا وإيجادًا، وتقديرًا وتدبيرًا، وإمدادًا ورزقًا، ورعايةً وعونًا، وهدايةً وتوفيقًا، فنعم المولى ونعم النصير، ونعم الوكيل: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٦﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣]

فهذه هي الوكالة العامة التامة المطلقة لكل الخلائق .

أما الوكالة الخاصة فهي للمؤمنين، فهو سبحانه وكيل المؤمنين يسرهم ليسرى، ويجنبهم العسرى ويوفقهم للتقوى، ويكفيهم ما يهتمهم في الدنيا والآخرة؛ لأنهم أفردوه بالتوحيد والعبادة، وآمنوا به، وأفردوه بالتوكل عليه، والإنابة إليه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤]

فكما أفرده أولياؤه بالتوكل عليه أكرمهم بمغفرته وجنته والقرب منه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥]

هو سبحانه الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور كلها، فتوكل عليه، ولا تلتفت لأحد سواه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل/ ٩]

وحقيقة التوكل أن نفعل الأسباب المأمور بها شرعًا بجوارحنا ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود/ ١٢٣]

واعلم أن الله حي قيوم، سميع بصير، عليم خبير، فاعبده كما أمرك وتوكل عليه كما أمرك: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ مِن تَقْوَمٍ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]

فسبحان الوكيل الكفيل الذي عم بإحسانه جميع خلقه، فكل مخلوقاته تحت سمعه

وبصره، ورقابته وتصرفه، فلم يضيع أحدًا، ولم يهمل أحدًا، ولم ينس أحدًا، ولم يكل أحدًا إلى غيره: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة/ ١٢٩]

واعلم رحمك الله أن جميع الأسباب والمخلوقات عاجزة عن فعل شيء إلا أن يأذن لها الوكيل الذي جعلها أسبابًا، فهو الذي يزيل عجزها، ويتم سببها، وما من سبب من الأسباب إلا وهو محتاج إلى أسباب أخرى تعينه، وله أسباب أخرى تمنعه وتعوقه، فلا يستقل سبب بفعل شيء وحده، والله سبحانه قرن الأسباب بمسبباتها، لكن لا بد لها من إذن الوكيل الذي جعلها أسبابًا: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر/ ٦٢].

فلا يوجد سبب تام في الكون مستقل بالفعل وحده؛ بل كل الأسباب ناقصة عاجزة إلا أن يأذن لها الوكيل الذي بيده الخلق والأمر كله، فإذا أذن لها فعلت ما شاء الله بأمره: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

فالنبات بأنواعه يحتاج في ظهوره إلى وجود التربة، والماء، والهواء، والنور، وهذه الأسباب عاجزة إلا أن يأذن الوكيل بخروج الزرع والثمر: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ [٦٣] ﴿أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۗ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ [٦٤] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكُهُونَ﴾ [٦٥] ﴿إِنَّا لَمُعْرِمُونَ﴾ [٦٦] ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ﴾ [٦٧] [الواقعة/ ٦٣-٦٧].

والدواء خلقه الله سببًا للشفاء؛ والطعام سبب للشبع، والماء سبب للري؛ وكلها عاجزة عن إحداث الأثر؛ إلا أن يأذن لها الوكيل سبحانه الذي جعلها أسبابًا؛ ليزيل عجزها، ويتم سببها هو وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

فجميع المخلوقات عندها فقر ذاتي إلى خالقها؛ الذي بيده كل شيء: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٧٧] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [٧٨] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ [٧٩] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [٨٠] ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾ [٨١] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [٨٢]

• فلا بد للعباد من أمرين:

فعل الأسباب بالجوارح .. والتوكل على الله بالقلب .

واعلم رحمك الله أن الأسباب إذا تعطلت فالوكيل قادر على تشغيلها، وإتمام سببها، فزكريا صلى الله عليه وسلم طلب من ربه الولد وهو كبير، وامرأته عاقر، فوهب الوكيل له الولد: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

ولما طلب زكريا آية الحمل وعلامته أذن الله للسانه أن يذكره ويسبحه، وحبس لسانه عن كلام الناس ثلاثة أيام؛ لأن اللسان لا يتكلم ولا يسكت إلا بإذن الوكيل جل جلاله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران/ ٤١].

فاللهم إنا نسألك حسن الظن بك وحسن التوكل عليك، وكمال اليقين على ذاتك، وأسئلك، وصفاتك: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾

[التغابن: ١٣].

واعلم وفقك الله وهداك أن الله ﷻ ما أمر الأنبياء والرسل بأمر إلا فعلوه، وطلبوا العون عليه من الوكيل: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم/ ٤٠].

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل/ ١٩].

والسبب أن الله ﷻ خلق العبد وخلق أفعاله؛ فلا بد أن أسأله، وأستعين به، وأتوكل عليه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة/ ١٨٦].

فسبحان من بيده الخلق والأمر، والتدبير والتصريف، لكل من في ملكه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].



وأعظم الخلق توكلًا على الله هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وأعظم الأنبياء والرسل توكلًا هو سيدهم محمد ﷺ الذي حقق مقام التوكل بكماله، وسماه سبحانه المتوكل لعظمة توكله على ربه، ولكمال توكله صار صاحب المقام المحمود يوم القيامة، لصدق توكله الذي أمره به ربه؛ حين قال له: ﴿وَأذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿١﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ [المزمل / ٨-١٠].

والمؤمن حقًا من صرف كل أوقاته في طاعة ربه، وتوكل على ربه في كل أمر؛ لأن كل ذرة في الكون تحت قهره وأمره جل جلاله، ولا تنفع ولا تضر إلا بإذن الوكيل سبحانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام: ١٠٢].

وهود ﷺ كذبه قومه، واستهزؤوا به، فتحداهم جميعًا، ولم يلتفت لهم وما يملكون لصدق توكله على ربه: ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرْنَاكَ بِبَعْضِ آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَىٰ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيئِهَا إِنْ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [هود / ٥٣-٥٦].

فسبحان ربنا الوكيل الذي بيده وحده الأسباب المعطية، والأسباب المانعة: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) [فاطر / ٢].

العزیز الذي لا يُغلب والذي يمضي أمره كيف شاء، الحكيم الذي يضع الشيء في موضعه، الوكيل الذي له الخلق والأمر كله: ﴿إِن رَّبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤) [الأعراف: ٥٤].

فكل الأسباب عاجزة عن تحصيل مسبباتها، وحصول أثرها، إلا أن يأذن لها الوكيل بالفعل، فهو سبحانه الوكيل الذي أذن للشمس بالإنارة، وأذن للأرض بالإنبات، وأذن للرياح أن تهب، وأذن للسان أن يتكلم، وأذن للأذن أن تسمع، وأذن للعين أن

تبصر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه وحده الذي خلق المخلوقات وهو وحده الذي يأمرها فتفعل ويأمرها فتتق: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٢] لَهُ، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايِدَتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

فسبحان القادر الذي بيده الأسباب ومسبباتها، هو وحده الذي يزيل عجزها، ويتم سببها؛ لأنه الخالق الذي بيده الملك كله؛ ولأنه سبحانه لم يخلق شيئاً مستغنياً عنه من خلقه؛ بل الخلق كلهم مفتقرون إليه في إيجادهم، وأفعالهم، وأرزاقهم.

وجميع الأسباب؛ سواء كانت مع المؤمنين أو الكافرين؛ كلها مخلوقة عاجزة مملوكة للوكيل الذي خلقها، إن شاء أذن لها بأن تفعل، وإن شاء منعها: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

هو سبحانه الذي جميع مخلوقاته في قبضته وحده: ﴿إِن يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران/ ١٦٠].

فسبحان الخالق الذي خلق النار، وجعل من طبيعتها الإحراق، وإن شاء أبطل مفعولها، فصارت برداً وسلاماً: ﴿فَلَمَّا يَنْتَازِكُ فِي بَرْدٍ سَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء/ ٦٩].  
على إبراهيم خاصة لكمال توحيده وإيمانه وبقينه.

وخلق الماء، وجعل من طبيعته الإغراق، وهو الوكيل الذي يأمره أن يفعل ما شاء، فيغرق من شاء، وينجي من شاء، فأمره حين وقف موسى ﷺ أمامه أن يفتح، فلما ضرب موسى البحر بعضاه انفلق؛ فكان كل فرق كالطود العظيم، فدخل موسى وقومه، ثم خرجوا ثم دخل فرعون وجنوده؛ ثم أغرقهم وانطبق عليهم، وذلك بأمر واحد في وقت واحد، في بحر واحد: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [٦١] قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ [الشعراء: ٦١-٦٧].

هو القوي العزيز الذي له جنود السموات والأرض، فالنار من جنوده، والبحر من جنوده والرياح من جنوده: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾﴾ [الفتح: ٧].

هو الفعال لما يريد الوكيل على كل شيء؛ يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [سبأ: ٨٢].

واعلم أن اسم الله الوكيل له معنيان:

الأول: عام، فالله جل جلاله هو الوكيل الحق الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق وأقواتهم، وتدبير أمورهم، ورعاية مصالحهم، الوكيل على كل المخلوقات في السماء والأرض: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

الثاني: خاص، فهو سبحانه الوكيل الكافي لكل مؤمن إتجأ إليه، الحافظ لمن اعتصم به: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/٣].

فتوكل على الله وحده، واتخذه وكيلاً يكون لك نصيراً ولا تلتفت إلى ما سواه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨].

فسبحان الوكيل الحق القائم على خلقه بالتدبير والتصريف، وإيصال الأرزاق والأقوات، والوقاية من الشرور والآفات، والنصر والحفظ لأوليائه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

والخلق كلهم ليس بأيديهم شيء من الأمر، بل عليهم امتثال الأمر الإلهي؛ لأنهم جميعاً عبيد لله والأمر كله لله وحده: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف/٥٤].

واعلم رحمك الله أن جميع أنواع التدبير والتصريف في العالم العلوي، والعالم السفلي، وفي الدنيا والآخرة، كل ذلك من آثار اسمه والوكيل وهي مبثوثة في العالم كله؛ كغيرها من

صفات الحق سبحانه التي أوجدها في العالم، ليرى الخلق ويعلموا عظمة أسمائه الحسنی و صفاته العلا وأفعاله الكبرى، فيعبده و وحده بمقتضاها: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله وعبدموه و وحده لا شريك له، وكبرتموه وعظمتموه وحمدتموه وشكرتموه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر/ ٢٨]. فانظر وفقك الله لما يرضيه في الملك والملكوت ترى جميع الخليقة في قبضة الملك الخالق الحق، تراها جميعاً مستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته، وخاضعة لأمره، ومسبحة بحمده، وشاهدة بوحدانيته، وجارية على حكم تسخيره، مصرفة بتدبيره على سنن قبضه وبسطه.

إن أذن بشيء كان، وإن لم يأذن به لم يكن: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ ٥٤].

والعبد المتوكل على الله حقاً، لصحة توحيده، وثبات يقينه، لا يرى إلا الله، رب كل شيء، ولا يخاف إلا الله، ولا يرجو سواه، حسبه الله و وحده في جميع أموره؛ لأنه يرى أن الله و وحده كبير وما سواه صغير، وأن الله قدير وما سواه عاجز، وأن الله قوي وكل ما سواه ضعيف، وأن الله غني وكل ما سواه فقير: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

والمؤمنون كلهم قد أخذوا من التوكل بقدر ما حصل لهم من حقيقة الإيمان والمشاهدة، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن ذاق عرف، ومن عرف عرف، ومن أبصر استبصر: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [٤] [الأنفال/ ٣-٤]. وقد يشهد اللسان والقلب غير مكذب، لكنه غير مشاهد ولا حاضر، فالإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾

وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ [الملك/ ١٢].

وما يتذكر إلا من ينيب: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق/ ٣٧].

والشهادة الحق هي ثمرة معرفة الله بأسمائه الحسنی، وصفاته العلاء، وأفعاله الجميلة، يعمر الله بها قلوب أهل الإيمان والتقوى، وبها يتم مراد الله منهم ومرادهم من الله: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة/ ٢٢].

واعلم يقيناً جازماً أن من انقطع إلى الله بالعبودية المحضة بالتفويض إليه، وصدق التوكل عليه، والعمل بشرعه؛ حرم الجبار على جميع أعدائه من شياطين الإنس والجن، والسباع والظالمين، وجميع المؤذيات، أذاه تحريماً كونياً، كما حرم على المؤمنين أذى المسلمين وغيرهم بأمره الشرعي: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق: ٢-٣].

واعلم رحمك الله أنه لا ينفع بالصفات إلا باري الصفات، فهو الوكيل الحق على الخلق، وصفاتهم، ومعاشيهم، فتوكل عليه، يعطيك ويكفيك: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].  
وحقيقة التوكل الاعتماد على الوكيل وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، مع القيام بالأسباب المشروعة: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَعَبْدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود/ ١٢٣].

فسبحان الوكيل الحق؛ الذي كل العالم العلوي والعالم السفلي ملكه، وفي قبضة، وكل ما فيها مقهور بأمره، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته، ومسبح بحمده، وشاهد بوحدانيته: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَعَبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

واعلم أن الوكيل الحق من أجل أن تتوكل عليه، وتفر إليه، وتعتمد عليه؛ ملاً هذه الدنيا

بالمصائب والهموم والمخاوف، وشحنها بالقلق على الرزق والأهل والأموال والأولاد؛ لتكون عبداً له، واقفاً بباب عبوديته، فاراً من غيره إليه: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

هو سبحانه وحده الوكيل الذي بيده كل شيء الخلق والأمر، والحلو والمر: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة/ ٥١].

واعلم أن الله ﷻ خلق المصائب والأمراض والمكروهات لحكم عظيمة. منها صرف الأشرار إلى أعمال الأبرار، وجذب النفوس إلى الملك القدوس، وجر الناس من دار الغرور إلى دار السرور، ومن دار الفناء إلى دار البقاء: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: ١١].

واعلم أن هذه الدنيا الحياة فيها مشوبة بالنعم والمصائب والسراء والضراء، والمحبوب والمكروه؛ لأنها محل الابتلاء، ومعرفة الموحد من الشرك، والصادق من الكاذب: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

أما الآخرة فهي للمؤمنين خير محض، حياة بلا موت، ونعيم بلا شقاء، وشباب بلا هرم، وعافية بلا مرض، وأمن بلا خوف: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِإِيمَانِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

وكلما زاد إيمان العبد قوي توكله على ربه، وشكا همومه إلى ربه الوكيل لا إلى غيره: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣].

وأصدق الخلق توكلًا، وأكملهم يقينًا، هم الأنبياء والرسل: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وكلما نقص إيمان العبد ضعف توكله على ربه، فلا تجده إلا يشكو أحواله إلى غيره من

الخلق من يلقاه، لجهله بالوكيل الذي له الأسماء والحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ ۖ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۗ سُبْحَانَهُ ۖ وَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧]. ولا يتوكل على الله حقاً إلا من آمن به حقاً، وعرف أنه القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، الخبير بكل شيء، المحيط بكل شيء: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ۖ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَكِّكُمْ ﴾ [محمد/ ١٩]. ولن يستطع أحد أن يتوكل على الله حقاً إلا إذا عرفه بأسمائه وصفاته وأفعاله، وعرف عظمة ملكه وسلطانه، وعرف عظمة خزائنه، وعظمة نعمه وإحسانه، وعظمة دينه وشرعه، وعظمة وعده ووعيده.

فإذا عرف العبد ذلك توكل على ربه وفوض أمره إليه، ورفع شكواه إليه: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التغابن/ ١٣].

فمن توكل على الله كفاه وأغناه، وأثابه وأرضاه: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [٣٠] نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۗ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُنَّ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ [فصلت/ ٣٠-٣٢].

ومن توكل على غير الله ضل، وقل، وذل، وحرم، وخسر: ﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [١٣] إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۗ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

ولا يتوكل على غير الله إلا جاهل بالله القوي العزيز: ﴿ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَنْ أَعْبُدَ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ [٦٤] وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [الزمر: ٦٤-٦٦].

واعلم أن الله جل جلاله وحده هو الوكيل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الجميلة، وهو الملك الذي يدبر الملك والمملوك بحكمته ورحمته وقدرته، يقبض ليبسط، ويذل ليعز، ويمنع ليعطي، ويخفض ليرفع، ويتبلى ليعافي: ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿١٠﴾ ﴿المزمل: ٩٠﴾.

ونعم الله بالشدائد والكاره أعظم من نعمه بالرغائب، ولهذا كان الأنبياء أشد الناس بلاء، وبعد الصبر على البلاء يأتي النصر من رب الأرض والسماء: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَأٍ ۗ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف/ ١١٠].

والامتحان لا يكون في الرخاء؛ إنما يكون الامتحان غالباً في الشدة؛ لأن توحيد العبد وإيمانه لا يظهر إلا في الشدائد، ولا يرقى عند الله إلا في الشدة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة/ ٢١٤].

فكل شدة وراءها شدة إلى الله، وكل محنة وراءها منحة، ومن صبر على الأحكام، ورضي بالأقدار، فقد بلغ ذروة الإيمان، ومن استوى عنده العطاء والمنع، والبسط والقبض، والغنى والفقر، فقد رضي عن الله الوكيل الرحيم؛ الذي يضع الشيء في موضعه، ورضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، فتوكل على الوكيل الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

واعلم أن كل شيء وقع إرادته الله بالحكمة المطلقة، المقرونة بالخير المطلق، المقرونة بالقدرة المطلقة، فإذا أصاب الله عبده بالضر فلا ن في الضر دواؤه وشفاءه؛ كالطبيب يجرح المريض، لينزع منه الداء، ليتمتع بالعافية: ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ إِشْرَافًا مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وكذلك الله رؤوف رحيم بعباده، حكيم يضع الشيء في موضعه، لن يسلم عبده، ولن يتخلى عنه، ولن يضره، إنما لما مرض قلبه ابتلاه بالمكروه ليوصله إلى المحبوب، ويذكره بمولاه، ليتوب إليه، ويتوجه إليه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا



شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾ [البقرة/ ٢١٦].

فصفة الضر، والقبض، والخفض، والمنع، لله تفهم هكذا، وأي فهم آخر لمثل هذه الصفات يعد كفرًا وإلحادًا في أسائه الحسنی، فابتعد عن ذلك الفهم: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فالنعمة طعمها حلو؛ لكنها قد تطغي الإنسان، والبلاء كالدواء الكريه، لكنه يشفي بإذن الله ﷻ، والبلاء كالضيف لكنه مؤلم، يدخل ويخرج وقد حمل الإنسان على التوبة والرجوع إلى الله، ترفع به درجات العبد، و تكفر به عنه سيئاته: ﴿وَلَنْبَلُوكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة/ ١٥٦-١٥٧].

هو سبحانه الوكيل وحده لا شريك له، هو سبحانه الوكيل الذي تكفل بكل شيء، والتوكل هو إظهار العجز للقادر، وتفويض الأمر للوكيل الذي بيده مقاليد الأمور، فالله على كل شيء قدير، يفعل بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب، والأسباب مملوكة له، وهي خاضعة لأمره، ومستجيبة لمشيئته، ومسرعة إلى إرادته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

هو سبحانه الوكيل المحيط بكل شيء خلقًا وأمراً، وتدبيرًا وتصريفًا، فالشمس والقمر، والليل والنهار، والأرض والجبال، والبحار والأنهار، والإنسان والحيوان، والجماد والنبات، وغيرها من مخلوقات الله هذه كلها لا تؤدي وظائفها وما أمرت به؛ إلا بإذن الوكيل سبحانه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر/ ٦٢].

فسبحان الخلاق العليم الذي خلق كل شيء، وخلق الإنسان، وخلق صفاته، وخلق أفعاله، وخلق مشيئته، وخلق فكره، وخلق كلامه، وخلق أنفاسه: ﴿وَأَسْرَأُ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

وقال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ [الصفات/ ٩٦].

• وكل فعل للإنسان له وجهان:

الأول: فعل الله الذي هو خلق الفعل، وهو القدر.

الثاني: وجه من العبد وهو الشرع من صلاة وصيام، وذكر ودعاء.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير/ ٢٧-٢٩].

واعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فلا تحول من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، ومن صفة إلى صفة، إلا بإذن الوكيل القادر على كل شيء: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَالِحِينَ﴾ ﴿٨١﴾ [الأعراف/ ٨٩].

وإذا كانت أفعال العبد من خلق الله فلا بد أن أسأل الله أحسنها وأفضلها: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١﴾ [النمل/ ١٩].

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ ﴿٤٠﴾ [إبراهيم/ ٤٠].  
وقال ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ﴿١٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣٨﴾ [النحل/ ١٣٧-١٣٨].  
وقال صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ﴾ أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

ومن صفات الذين يدخلون الجنة بغير حساب التوكل على الله وحده؛ كما قال النبي ﷺ: ﴿يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>.  
والموحد حقاً هو الذي علم أنه لا يستطيع أن يعمل عملاً صالحاً؛ حتى يخلقه الله، ويعنيه عليه، فإذا فعله علم أنه من عند الله فشكره عليه، ثم يزيده ربه ويرقيه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ﴿٧﴾ [إبراهيم/ ٧].

أخرجه البخاري برقم (١٤٦٩).

أخرجه البخاري برقم (٦٤٧٢).

فافتقر إلى ربك الغني، وتضرع إلى ربك القادر، وأظهر عجزك للقوي القادر، وتيقن أنه لا حول ولا قوة إلا بالله: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

واعلم أنه لا ينفع الصبر إلا مع التوكل؛ كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النحل: ٤١-٤٢].

وقال ﷺ: ﴿فَأَوْتَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَفَتَحَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشورى/ ٣٦].

واعلم زادك الله علماً وإيماناً أن كل من ظن أو توهم أن الله يسوق البلياء، والشدائد، والمكاره، تشفيًا من العباد، فقد تنكب سبيل الرشاد، وساء ظنه بالله الرحمن الرحيم: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء/ ١٤٧].

فرؤية النعم توجب الشكر لله، ورؤية عظمة الرب وقدرته توجب الإيثار به .

هو سبحانه الوكيل العليم الخبير؛ الذي يتلي الإنسان بالمصائب ليقوى توحيده، ويرسخ يقينه، ويزيد إيمانه، وتزيد تقواه؛ حتى لا يطلب دفع الضر والبلاء إلا من جنبه، ولا يقف عند الشدائد إلا عند أعتابه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم أن من اعتقد أن أحداً سوى الله يستطيع أن يضر أو ينفع، أو يعطي أو يمنع فقد أشرك: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادَعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

واعلم أن من استقام على منهج الله هداه الله سبل السلام، ومنحه الأمان، ولا يرضيه ولا يليق به سبحانه أن يعذبه، أو يذله، أو يحزنه، أو يمرضه، أو يفقره، لكن الله لحكمته البالغة لا بد أن يسوق لعبده العاصي بعض الشدائد التي تحمله على الرجوع إلى ربه، والتوبة إليه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد/ ٣١].

وكلما كان الإيمان أقوى كان الابتلاء أشد، وكلما كان الانحراف أشد كانت الضربة قاسية ومؤلمة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَطَأُوا أَنفُسَهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَٰهُمْ مِّنْ نَّشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأُسْنَانٍ عَنِ الْقَوْمِ الْمَٰجِرِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

والناس مختلفون في التوبة، فمنهم من يتوب بالكلام اللين، والآخر يتوب بالوعظ القاسي، والآخر لا يرجع إلا بضرب العصا، والآخر لا يرجع إلا بالعذاب الشديد: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْأَعْدَابِ فَمَا اسْتَكَاثَرُوا لِلرَّيْبِ وَمَا يَنْضَرَعُونَ﴾ [المؤمنون/ ٧٦]. وقال ﷺ لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [٤٣] فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [٤٤] ﴿طه: ٤٣-٤٤﴾.

واعلم نور الله قلبك بالإيمان أنه لا يقع نفع، ولا ضرر، ولا عطاء، ولا منع، ولا إيمان ولا كفر، ولا خير ولا شر، ولا حياة ولا موت، إلا بإرادة الله ومشيئته وإذنه: ﴿فَإِن تَذَهَبُونَ﴾ [٢٦] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [٢٧] ﴿لَمِن شَاءٍ مِنكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [٢٨] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٩] ﴿التكوير/ ٢٨-٢٩﴾.

وقال ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلٰكِن كَثَرْتُمْ يٰٓجَاهِلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١]. فالنفع من الله، والضرر من الله، والعاصي هو السبب، والعطاء كله من الله، والمنع من الله، والعاصي هو السبب: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى/ ٣٠].

والعافية من الله، والمرض من الله، والعاصي هو السبب: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰتِ اللَّهِ أُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ [٦٣] ﴿الزمر/ ٥٢-٦٣﴾.

والحسنة من الإنسان فعلاً، ومن الله تفضلاً، والسيئة من الله قدرًا، ومن العبد سببًا: ﴿أَيِّنَّمَا كُنُوا يَدْرِكُهُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِّنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [٧٨] ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [٧٩] ﴿النساء/ ٧٨-٧٩﴾.

واعلم أن جميع المخلوقات تفعل فعلها بمشيئة الله لا بقوة فيها، فالله وحده الذي يملك النفع والضر، وهو القوي الذي أعطاها القوة، وهي مملوكة له، ومسخرة بأمره: ﴿وَإِن يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسُّكَ خَيْرٌ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

فسبحان الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء، الهادي الذي يهدي من شاء الهداية، ويضل من أصر على الضلالة: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنعام/ ٣٩].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر: ٢٨].

فمن طلب الهدى هداه الله، ومن أصر على الضلال أضله الله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٥].

هو الوكيل الحق الذي بيده ملكوت كل شيء، وغيره ليس بيده شيء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقال ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا نَطْعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَدَعَا أَدْنَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب/ ٤٥-٤٨].

فالتوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، والاعتماد عليه في جلب النعماء ودفع الضراء؛ من أعظم مقامات الدين التي يجب إخلاصها لله وحده: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

والتوكل على الله ﷻ من أعظم أنواع العبادة؛ لما ينشأ عنه من الأعمال الصالحة، والنصرة الظاهرة، والثواب العظيم: ﴿فتوكل على الله إنك على الحق الممين ﴿٧٩﴾﴾ [النمل/ ٧٩].

فالتوكل على الله هو الأصل لجميع مقامات الدين، ومنزلته من الدين كمنزلة الرأس من الجسد، ومنزلة القلب من البدن، فكما لا يقوم الرأس إلا على جسد كذلك لا يقوم الإيمان وأعماله إلا على ساق التوكل على الله ﷻ: ﴿وَأذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ

الْمَشْرِيقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿١﴾ [المزمل / ٨-٩].

• والتوكل الذي ينفع يحصل للعبد بخمسة أمور هي:

التوحيد.. والزهد.. والتسليم لله.. وطاعة الله في السر والعلانية.. وحسن الظن بالله.

ومن توكل على الله كفاه ووقاه، وكان له فيما يصلحه وينفعه من حيث لا يحتسب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣].

وعلاوة المتوكل الصبر، وكتمان الحاجة، وإظهار الغنى للناس، وإخفاء المسكنة وإن مسه الضر، ودوام ذكر الله بكل جميل، وحمد الله وشكره في كل وقت وحال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْوِيَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [النحل / ٤١-٤٢].

والتوكل على الله ﷻ درجات:

وأعلاه وأكمله وأحسنه توكل الأنبياء والرسل، لكمال معرفتهم بالله ﷻ، ثم توكل الأولياء الصادقين، وهو التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب التي هي سنة الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعَ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ [الأحزاب / ١-٣].

فالداخل في الأسباب بالسنة، الخارج عنها بالنية أفضل؛ لما في ذلك من الجمع بين السنة، وحقيقة التوكل، فنفع الأسباب بجوارحنا، وتوكل على الله وحده بقلوبنا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن / ١٣].

وقال ﷻ: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣].

فخذ رحمك الله بالأسباب المشروعة، وتوكل بقلبك على ربك الوكيل وحده؛ تنال

أجرهما معًا: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال / ٦١].

والتوكل الحق على الوكيل الحق؛ أن يعلم العبد أن فعل الله لا يفعله غير الله، وأن كل شيء بيده، وكل شيء تحت تدبيره، لم يُشرك في حكمه أحداً: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف / ٦٧].

ويكمل التوكل برؤية الوكيل على الدوام، فالإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فالتوكل يكمل برؤية الوكيل على الدوام، وترك الأمانى، والتسليم والرضا بفعل الوكيل، وعدم الاعتراض على شيء كان أو شيء لم يكن: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن: ١٣].

وبالإيمان تكون الهداية، وبالتوكل تكون الكفاية، وبصدق التوحيد يكون التوكل، ومن سلم لله أمره كله كفاه الله أمره كله: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود / ١٢٣].

واعلم أن كل شيء له وقت وتقدير، والعمل للعالمى والآخرة مشروع مطلوب، فاعمل وتوكل، ولا تستعجل ما تريد، فالوكيل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى؛ يرى ما لا ترى، فتوكل على الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور، وإصلاح الأحوال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وكل امرئٍ ميسر لما خلق له، فاجتهد في طاعة مولاك معتمداً عليه وحده، ومن عمل اليوم عملاً سيلقى غداً ثوابه أو عقابه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ ٤ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى﴾ ٦ ﴿فَسَتْسِرُّهُ لِلْبُغْرِ﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾ ٩ ﴿فَسَتْسِرُّهُ لِلْبُغْرِ﴾ ١٠ [الليل / ٤-١٠].

ويوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشُنَانًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ٦ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٧ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ٨ [الزلزلة / ٦-٨].  
ثم يكون الجزاء: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ٦ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ٨ ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ ٩ ﴿وَمَا آدْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾ ١٠ ﴿نَارُ حَامِيَةٍ﴾ ١١ [القارعة / ١١].

• واعلم رحمك الله أن توكل العبد على ربه العظيم نوعان:

الأول: توكل العبد على ربه في جلب المنافع الدنيوية، ودفع المضار الدنيوية: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل / ٧٩].

فالله هو الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور الدنيوية والأخروية: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣]

الثاني: التوكل على الله في تحصيل كل ما يحبه الله ويرضاه من الإيمان، والتقوى، والأعمال الصالحة، والدعوة إلى الله، وتعليم شرعه، والجهاد في سبيله؛ وغير ذلك، والتوكل عليه في دفع كل ما يكرهه الله من الأقوال، والأعمال، والأخلاق التي يُبغضها.

وبين النوعين من الفضل والثواب ما لا يُحصيه إلا الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأفصال: ٢-٤].

واعلم أن من توكل على ربه في النوع الثاني حق توكله؛ كفاه النوع الأول تمام الكفاية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [٢] وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [٣] [الطلاق / ٢-٣].

ومن توكل على الله في الأول في أمور دنياه دون الثاني؛ كفاه الله أيضًا، لكن لا تكون له عاقبة التوكل على الله فيما يحبه الله ويرضاه: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِيرَتَكَ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمْنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [١٢] [إبراهيم / ١٢]. وقال ﷺ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة / ٢٣].

فجعل شرط الإيمان صدق التوكل على الله، فاعمل بطاعة الله، واستقم كما أمرت، وسارع إلى كل عملٍ صالحٍ تقدر عليه: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [٣] [الأحزاب / ٣].

واعلم أن الله يحب من توكل عليه، ويؤيده بتوفيقه وعونه، فامض لما أمرك الله، واحفظ أوقاتك في طاعته، وقدم الأحسن على الحسن: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران / ١٥٩].



واعلم أن من عرف الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة؛ وكل إليه جميع أموره، وفوض إليه جميع شئونه: ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ ۗ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى / ١٠].

وقال ﷺ: ﴿ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ۗ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۗ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٢٣].

وتوكل العباد على الله على قدر معرفتهم به، وتوفيقهم للتوكل عليه على قدر طاعتهم له: ﴿ فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [حمد: ١٩].

وأصدق المتوكلين من جمع بين العلم والعمل والتوكل: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الذِّينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

وعلى قدر معرفة العباد بأسماء الله وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، ومعرفة خزائنه ونعمه وإحسانه، ومعرفة وعده ووعيده؛ تكون ثقتهم بضمانه وحفاظته، ورضاهم بكفالاته ووكالاته، فيسلمون أنفسهم إلى ربهم في جميع أمورهم، وعلى قدر هذا التسليم يجدون لذة الأنس، ويرون الكفاية والرعاية، وتستريح أنفسهم من أذى التعب والنصب؛ فيتفرغون لعبادة ربهم، ويسارعون في شكر الوكيل سبحانه: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِئٌ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر / ٩].

وقال ﷺ: ﴿ أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد / ١٩].

واعلم رحمك الله؛ أن طاعة الله ورسوله فضلٌ من الوكيل الحق عليك؛ فاشكره على ما حباك به من الهداية، واحمده على ما أعانك عليه من العبادة الطاعة: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ [الجمعة/ ٢-٤].

هو الهادي الذي من عليك بالهداية، الوكيل القائم على أمورك بحسن الرعاية: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلَايْمَنِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات/ ١٧].

فسبحان الوكيل الحق، وما أعظم إحسانه، يعطي الجزيل للمتوكل عليه، ويثني بالجميل على المفوض إليه، ولا يسأله على ما أعطاه وكفاه عوضاً ولا قرصاً: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ [النساء/ ١٣٢].

وقال ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ [يونس: ٢٦].

بل يرزقه الوكيل، ويعطيه من خزائنه بما لم يخطر على باله؛ لأنه الغني الكريم، الوكيل الكافي، الحق الذي يعطي عبده من نعمه كثيراً، ويضاعف أجره كثيراً، وخزائنه عظيمة كافية، وجنته وافية بكل ما يحب أولياؤه: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة/ ٢٥].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ [فاطر: ٢٩].

فلا إله إلا الله ما أعظم شأنه، وما أعظم إحسانه إلى خلقه وعباده.

هو الخالق الحق، الوكيل الحق، الكافي الحق، الملك الحق، الكريم الحق، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو الوكيل الحق الذي يخلق ما يشاء، ويأمر بما يشاء، ويفعل ما يشاء، وهو الغفور الرحيم الذي يطعم المخاليق، ويكشف الغم، ويزيل الهم، ويفرج الكرب، ويغني

الفقير، ويجبر الكسير، ويُحيي الميت، ويُميت الحي، ويُصلح الفاسد، ويقبل التائب، ويغفر الذنوب، ويستر العيوب، ويعدل المائل، ويشفي السقيم، ويقضي الحاجات، ويسد الفاقات، ويهدي الضال، ويؤمن الخائف، وينصر المظلوم، ويهلك الظالم، ويقصم الجبار، فلا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو سبحانه الوكيل على السموات والأرض وما فيهن، وما عليهن، وما فوقهن، وما بينهن: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وأعلم يا عبد الوكيل أن ربك الوكيل الذي يدبر أمر المخلوقات في ملكه العظيم قد وكل كثيراً من المخلوقات بوظائف تعبد الله بها، وتنفذ أوامر خالقها في العلم العلوي، والعالم السفلي، كما وكل الملائكة بتدبير أمور الخلق، ووكّل الشمس بالإضاءة، ووكّل القمر بالإنارة، ووكّل السحب بإنزال الغيث، ووكّل الرياح بإثارة السحاب، وحمله وسوقه إلى كل مكان: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكل الأرض بالإنبات، وإخراج الزروع والثمار، فأنبتت من كل زوج بهيج: ﴿وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَاِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥٥﴾﴾ ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَخْشَوْا رَبَّهُمْ وَيَخْلُقُوا مِمَّا خَلَقُوا مِنْ قَبْلُ مِنْ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: ٥ - ٧].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكل البحار بحفظ الأسماك، وحمل السفن الثقال، وأنواع الحلي: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَىٰ الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [النحل: ١٤].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكل الأحجار والأشجار بالإحراق: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي

تُزَوِّنَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمَتًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾ [الواقعة: ٧١-٧٣].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكل الإنسان بالخلافة في الأرض: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكلك أيها المسلم بالعمل بالدين فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

وهو سبحانه الوكيل الذي وكل مسلم ومسلمة بإبلاغ الحق للبشرية كافة بقوله: ﴿هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ وَيَلْعَلُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وكل سبحانه الأمة بتعليم شرع الله لعباده بقوله: ﴿كُونُوا رَبَّيِّنَ نَحْنُ نَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وكل سبحانه الأمة كلها بالإحسان إلى الخلق فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

فهل قمت يا عبد الوكيل بأداء هذه الأمانات العظيمة، وتنفيذ تلك الأوامر الكريمة، على نفسك، وعلى غيرك من الناس، كما تحملتها من قبل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

ألا ترى جميع المخلوقات قانتة لربها، ساجدة لعظمتها، مستجيبة لأمره: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ

مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج: ١٨].

يا عبد الوكيل قد شرفك ربك بالأدمية، وأكرمك بالخلافة الأرضية، ونشر الهداية السماوية بين البشرية، فأد الأمانة، واحذر الخيانة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩].

واتق الله يا عبد الوكيل فيما أمرك الله به: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا ءَمُولُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٧-٢٨].

وقم بين يدي ربك عابداً وذاكراً، وشاكراً ومستغفراً: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ءَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

وقم بين يدي خلقه داعياً ومعلماً، ومحسناً ومصلحاً: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ ﴿١﴾ قُرْآنًا ذِكْرًا ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَتِبَابَكَ فَطْمِرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْبِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾﴾ [المدثر: ١-٧].

يا عبد الوكيل هذا الدين أمانة في رقبتك، فهل بلغته للعرب والعجم، والقريب والبعيد؟

يا عبد الوكيل اعلم أن الذي وكلك بإبلاغه للناس كافة سيكرمك إن بلغت، وسوف يحاسبك ويعاقبك إن قصرت، وسوف يسألك عن كل ما فعلت: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٦-٩].

واعلم أن العبد إذا عرف ربه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة؛ وحده وآمن به، وتوكل عليه وحده لا شريك له: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن: ١٣].

وإذا عرفت أيها العبد أن ربك قويٌّ عزيز، غنيٌّ كريم، فتوكل عليه وحده، وأقبل على عبادة مولاك، ولا تلتفت لأحد سواه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣].

ومن كان الله حسبه لم يلتفت إلى كسبه، ومن كان الله حسبه سهل أموره، وسدد أقواله وأفعاله، وقضى حوائجه: ﴿ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾ [الشورى: ١٠].

ومن أعظم مقامات العبودية؛ التوكل على الله وحده، وتفويض الأمور كلها إليه، وصدق الاعتماد عليه، في جلب المنافع، ودفع المضار: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

## التعبد لله ﷻ باسمه الوكيل

حظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يعلم أنه عاجزٌ عن تدبير أموره وتحصيل مصالحه، وأن ربه الوكيل القادر على كل شيء هو الذي تكفل لعبده بكل ما يحتاجه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

وأكمل الناس إيمانًا وأصدقهم توكلًا؛ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، كما توكل إبراهيم ﷺ على ربه فأنجاه الله من النار: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء / ٦٩].

وتوكل موسى ﷺ على ربه فأنجاه من فرعون وجنوده: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء: ٦١-٦٨].

وتوكل محمد ﷺ على ربه فحفظه من كيد قريش في الغار، وفي الهجرة، وحفظه من جميع أعدائه: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فتوكل على الله الذي بيده مقاليد الأمور وحده: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُمِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل / ٧٩].

وقال يعقوب ﷺ لأولاده حين ذهبوا إلى يوسف ﷺ: ﴿وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَحْكَمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [يوسف / ٦٧].

فأمرهم يعقوب ﷺ بفعل السبب الذي يمنع الحسد بأبدانهم، وأن يتوكلوا على الله وحده بقلوبهم.

فأظهر عجزك لله بقوة التوكل عليه مهما كانت أسبابك: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾  
 إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ [الطلاق / ٣].

والتوكل الحق هو قطع الاستشراف إلى الخلق، والتعلق بالخالق وحده لا شريك له:  
 ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾  
 [المزمل: ٨-٩].

ولا يحمي العبد من شرور شياطين الإنس والجن إلا الوكيل وحده لا شريك له؛ الذي  
 له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، الأفعال الكبرى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ  
 الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ  
 ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل / ٩٨-١٠٠].

وتوكل على الله في أمورك الدنيوية والدينية؛ لأن الأمور كلها بيد الوكيل وحده، فلن  
 تُطيعه إلا بإذنه، ولن تعصيه إلا بعلمه، ولن يكون لك شيء من الخير والرزق إلا بإذنه  
 وأمره: ﴿أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ  
 فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾  
 [الزخرف / ٣٢].

فلا إله إلا الله، له الخلق كله، وله الأمر كله، وله الملك كله: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ  
 الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

فتوكل في جميع أمورك وأحوالك على الوكيل الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ  
 مَلِكُ الْمَلِكِ تَوَكَّلْ عَلَى الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ  
 بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ  
 الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٦٧﴾﴾  
 [ال عمران: ٢٦-٢٧].



وأعظم أسباب التوكل على الله ﷻ حُسن الظن بالله جل جلاله، وصدق التوكل عليه، والاستعانة به، وسؤاله وحده، والاعتصام به، وبكتابه، والاستعاذة بالله من الشيطان وجنوده: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة/ ٤].

واعلم أن الله خلق جميع الطاعات والمعاصي، ولو لم يخلقها لم يستطع فعلها أحد، فخلق الطاعات، وأمر بها، وخلق المعاصي، ونهى عن فعلها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل/ ٩٠].

﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٦٢].

وما أمر الله بأمرٍ إلا خلقه، وأعان عليه، وما نهى عن شيء إلا خلقه، وأذن بفعله، لكنه لم يأمر به، ولم يرغب فيه، ولا يرضاه لعباده: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ﴿٧﴾﴾ [الزمر: ٧].

هو الوكيل الحق لا يُعين على الطاعات إلا هو، ولا يصرف عن المعاصي إلا هو: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنِّ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [يوسف/ ٢٤].

وقال ﷻ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الأعراف/ ١٤٦-١٤٧].

فسبحان ربنا العظيم، الوكيل، القادر؛ الذي قدر كل شيء، قدر الأرزاق، والأعمار، والأحوال، وقدر أفعال العباد كما قدر خلقهم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَجِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠].

وقال ﷻ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصفات/ ٩٦].

فتوكل على الله في كل حال؛ في حال السراء والضراء، وفي حال الأمن والخوف، وفي حال الصحة والمرض؛ لأنه الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور كلها ومفاتيحها: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

واعلم يا عبد الوكيل؛ أن الله سبحانه قد يُغلق عن العبد أبواب وأسباب الدنيا التي يعتمد عليها، لينظر إلى أين تتوجه القلوب؛ إلى الأسباب والأشخاص، أم إلى الملك الوكيل العزيز الوهاب؟! ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [٢] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت/ ٢-٣].

وذلك كما توفي أبو طالب عم الرسول ﷺ، وخديجة زوجة الرسول ﷺ، في بداية الدعوة في عام واحد قبل الهجرة، واللذان كانا في حماية الرسول ﷺ، أبو طالب يحميه في الخارج، وخديجة كانت تواسيه وتؤنسه في الداخل ليقول الله له: أنا الوكيل الذي أحميك وأدافع عنك فلا تخاف: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [٦] وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [٧] وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [٨] فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [٩] وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [١٠] وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [١١]﴾ [الضحى: ٦-١١].

واحذر رحمك الله أكل الحرام، فمن أكل فلسًا من الحرام فليس بمتوكل على الوكيل الذي عنده خزائن كل شيء، الكفيل الذي تكفل بجميع أرزاق الخلق: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِالْقَدْرِ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

وقال ﷻ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِونَ﴾ [٣١] فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصْرِفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

فلا تستعجل ولا تستبطئ رزقك فإنه آتيك، وهو يعرف عنوانك، وأنت لا تعرف عنوانه، والله هو الرزاق ذو القوة المتين سيوصله إليك: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [٥٦] مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ﴾ [٥٧] إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات/ ٥٨-٥٦].

فالجنين في بطن أمه يُطعمه الوكيل سبحانه، ويغذيه بالدم وهو خلاصة طعام أمه، فإذا خرج إلى الدنيا بكى لفقده الغذاء، وإذا الوكيل قد أبدله بمصدرين للرزق هما ثديا الأم، فإذا فطمته أمه بكى لفقده الحليب، وإذا الوكيل الرقيب جل جلاله قد أعد له أربعة مصادر للرزق؛ طعامان: هما النبات والحيوان، وشرابان: هما المياه والألبان.

فسبحان الكريم الذي هذا عطاؤه، الوكيل الذي هذا تدبيره: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فإذا مات المؤمن بكى لفقده الرزق، وإذا الوكيل قد فتح له في الجنة ثمانية أبواب يدخل من أيها شاء، ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْنَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَنَكِهِمْ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْإِبْرَةِ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٤٩-٥٤].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

وتوكل على الوكيل في كل حال، وفي كل وقت، وفي كل مكان، فكما رزقك الوكيل وأنت في بطن أمك البشرية فسيرزقك وأنت على ظهر أمك الأرضية: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [هود / ٦].

وافعل الأسباب المأمور بها شرعاً بجوارحك، وتوكل على الوكيل الرقيب بقلبك، فالنبي ﷺ فعل جميع الأسباب عند الهجرة إلى المدينة، ليحمي نفسه من شر كفار قريش، ولكنهم وصلوا إليه في الغار، فلم يلتفت إليهم لثقتة بالوكيل سبحانه: ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة / ٤٠].

فتوكل يا عبد الوكيل على ربك يحفظك ويرزقك وينصرك، ويحميك من عدوك: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَبَلِيغٌ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٣].

وتوكل على الوكيل وحده، ولا تلتفت لأحد سواه، فيخذلك من جهته: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ تَوَبَّ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٧].

فتوكل رحمك الله على الوكيل الذي بيده مقاليد الأمور، واستقم على دينه، واستسلم لأمره، وتوكل عليه وحده، وارض بقضائه، وفوض أمرك إليه، وسارع إلى طاعته، وسابق إلى مغفرته، واحتسب ما تكره عنده، وقل: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة/ ١٢٩].

واعلم أن الوكيل الرقيب الشهيد يراك ويسمعك، فسارع إلى مرضاته بكل قول أو فعل يرضيه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٣٣].

واعلم أن الوكيل سبحانه قد وكلك على جوارحك، فاستعملها في كل ما يحبه الله ويرضاه، فالوكيل سوف يسألك عن أداء هذه الأمانة: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل/ ٧٨].

واحذر أن تعصي ربك بنعمه، فالوكيل سيسألك عن عملك، ويجازيك بفعلك: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/ ٣٦].

واعلم أن الوكيل الحق قد وكلك بإقامة الدين، وتعليم سننه، وآدابه، وأحكامه، فاعمل بها، وادعُ الناس إليها، واصبر على ما أصابك في سبيله؛ تنال من الأجر جزيله: ﴿ادْعُ

إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ  
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [النحل / ١٢٥].

وعلم الناس مما علمك الله: ﴿ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ  
تَدْرُسُونَ ﴾ [آل عمران / ٧٩].

وأحسن إلى الناس بالقول والفعل: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ  
نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا  
يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الفصص: ٧٧].

وأد الأمانة كما أمرك الله بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا  
رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج / ٧٧].

هذه هي الأمانات الكبرى، ويجب علينا أدائها؛ إصلاحًا للنفس، وإصلاحًا للغير، ومن  
خان الأمانة خسر في الدنيا والآخرة: ﴿ وَالْعَصْرُ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر: ١-٣].  
جهد على النفس بالعبادة (آمنوا وعملوا الصالحات)، وجهد على الغير بالدعوة  
(وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

وفي هذا وهذا الفلاح والنجاة من الخسران في الدنيا والآخرة: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ  
ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا تَنْزِيلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ  
تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى  
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَجِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

﴿ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [المتحنة / ٤].  
﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٨٥] وَبِحَنَّا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ  
الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ [يونس / ٨٦-٨٥].

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف / ٢٣].  
﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا تَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» متفقٌ عليه<sup>(١)</sup>.

اللهم اجعلنا ممن توكل عليك فكفيتهم، واستهداك فهديتهم، واسترحمك فرحمتهم، واستنصرك فنصرتهم، أنت حسبنا ونعم الوكيل: ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة/ ١٢٩].

اللهم يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

اللهم كن لي مؤيداً ونصيراً، وكن بي رءوفاً رحيماً يا خير المسؤولين، يا أرحم الراحمين.  
اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

---

متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٧).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الفتاح.. الفاتح

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الفاتح.. الفاتح

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

الله ﷻ هو الفاتح الحق الذي يحكم بين عباده بالحق، ويقضي بينهم بالعدل.

هو الفاتح القادر على كل شيء، الذي يحكم ويقضي في عباده بما يريد، ويمن على من شاء منهم بما يشاء، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر / ٢].

هو سبحانه الفاتح عالم الغيب والشهادة، الذي يفتح لعباده أبواب الخير، والرزق، والعلم، والرحمة، والعبادة، ويفتح المنغلق عليهم من أمورهم، ويسر المتعسر عليهم، ويفتح قلوبهم وبصائرهم ليصروا الحق والهدى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام / ٥٩].

وهو سبحانه الفاتح الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة، ويفتح بينهم بالحق والعدل: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبا / ٢٦].

فسبحان الفاتح العليم الذي يملك مفاتيح أبواب الخير والرزق والبركة والعلم والرحمة والملك في العالم كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلُوكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ٢٦].

والله سبحانه هو الفاتح القادر على كل شيء، القوي الذي لا يعجزه شيء: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ لِسِينًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ أَنْظَرْكُمْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

هو الفاتح الذي فتق السماوات السبع، والأرضين السبع، وفتق السحاب بالماء، وفتق الأرض بالنبات، وفتق الحب عن الشجرة: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء / ٣٠].



وهو سبحانه الفتاح الذي فتح القلوب للإيمان، وفتح العقول للعلم، وفتح الجوارح للعمل، وفتح العين بالبصر، وفتح الأذن بالسمع، وفتح اللسان بالكلام: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل / ٧٨].

هو جل جلاله الملك الحق الذي له ملك السماوات والأرض، ويده مفاتيح خزائن السماوات والأرض، ويده مفاتيح الخيرات والبركات والأرزاق، ومفاتيح النعم الظاهرة والباطنة: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان / ٢٠].

وهو سبحانه الفتاح الذي يفتح جميع الأبواب وحده لا شريك له، ويفتح كل ما استعصى من الأبواب في كل زمان ومكان وحال: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

هو الفتاح الذي يفتح الأبواب في كل مكان وزمان:

أبواب الرزق، وأبواب العافية، وأبواب العلم، وأبواب العمل الصالح، وأبواب التقوى، وأبواب الأخلاق، وأبواب الأمن، وأبواب التوفيق، وأبواب العبادات، وأبواب الدعوة إلى الله، كل ذلك بيده جل جلاله: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر / ٢].

هو الفتاح الذي فتح قلوب وأجساد الأنبياء وأتباعهم بمحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [٤٥] وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ۖ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [٤٦] وَيَشِرُّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [٤٧] وَلَا نُطْعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَدَعَّ أَدْنَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [الأحزاب / ٤٨-٤٥].

هو الفتاح الذي يحكم بين الخلق، فكلما استغلق أمر، أو اشتد كرب، فتحه جل جلاله بقدرته: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك : ١].

هو سبحانه الفتاح الذي يفتح قلوب المؤمنين، ويملؤها بنور الإيمان والتوحيد والمعرفة، فترى الحق حقاً، وتعمل به، وترى الباطل باطلاً، وتجنبه: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

فسبحان الفتاح الكريم الذي فتح أبواب فضله على جميع خلقه، وفتح على العصاة أبواب مغفرته، وفتح قلوب المؤمنين بمعرفته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾ [غافر/ ٦١].

ومفاتيح جميع النعم الظاهرة والباطنة بيده: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَالْيَهُ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل/ ٥٣].

هو سبحانه الفتاح الكريم الرحيم الذي بيده مفاتيح كل شيء، فتح أبواب الرزق على جميع خلقه، وفتح على أوليائه أبواب الأُنس به، وحلاوة مناجاته، وفتح لهم أبواب رضوانه، وفتح لهم أبواب حبه وحمده، وفتح لهم أبواب جنته: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ٢].

هو سبحانه الفتاح الذي يعين عند الشدائد، وينيل النعم الزوائد، ويكشف الكروب الموجعة، ويفرج الهموم المؤلمة: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَا لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل/ ٦٢].

هو سبحانه الفتاح الذي يملك جميع المفاتيح الذي يصلح بها أحوال عباده، فالله بيده كل شيء، وغيره ليس بيده شيء: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو الفتاح الذي فتح أبواب الإيمان، وأبواب الهداية، وأبواب العلم، وأبواب العمل، وأبواب الحكمة، وأبواب الرزق، وأبواب العافية: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف/ ٩٦].

فلا إله إلا الله! كم من ضال هداه الله! وكم من جاهل علمه الله! وكم من فقير أغناه الله! وكم من مريض شفاه الله! وكم من جائع أطعمه الله! وكم من عريان كساه الله! وكم من عسير يسره! وكم من كرب نفسه! ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس/ ٣].

فسبحانه! ما أعظم شأنه! وما أكرمه! وما أرحمه! وما أعظم عنايته بخلقه! ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ﴾ [٣٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [٣٣] ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [٣٤] [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

والله وحده هو الفتح الذي يملك خزائن كل شيء، وبيده مفاتيح كل شيء. وفتح الله على عباده نوعان:

الأول: فتحه بحكمه القدري بما يقدره على عباده من التدبير بحكمته ورحمته من خير وشر، وعطاء ومنع، وبسط وقبض، ونفع وضر: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِإِذْنٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر/ ٢١].

فهو سبحانه الفتح العليم الذي يفتح لعباده جميع أبواب الخير والفضل والرزق، ويفتح لهم منافع الدنيا والدين: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمَسِّكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر/ ٢].

الثاني: فتحه بحكمه الشرعي بما شرعه على السنة رسله من الدين الحق الذي يستقيم به الناس على الصراط المستقيم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

هو الفتح الذي بيده وحده فتح البلاد والعقول والجوارح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [١] ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [٢] ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا﴾ [٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَادُوا الْإِيمَانَ مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٤] [الفتح/ ١-٤].

وفتحه الجزائي في الدنيا بين أوليائه وأعدائه، وذلك بنصر رسله وأوليائه، وخذلان أعدائه: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [الأعراف / ٨٩].  
هو الفتح الذي بيده وحده مفاتيح النصر والخذلان: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران / ١٦٠].

وتلك سنة ربانية ماضية لا تتبدل في كل زمان ومكان: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [آل عمران / ١٦٠].

أما فتحه يوم القيامة فحين يوفي كل عامل ما عمله، ثم يثيب المؤمنين والمطيعين بفضله، ويعاقب الكافرين والعاصين بعدله: ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٣٦﴾ [سبأ / ٢٥-٢٦].  
فسبحان الفتح العليم الذي يفتح لمن اختصه بلطفه وعنايته أقفال القلوب، يملؤها من المعارف الربانية، والحقائق الإيمانية، ما تذوق به طعم الإيمان وحلاوته، وتستقيم به على الصراط المستقيم: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿تُجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٥-١٧].

هو سبحانه الفتح الذي يفتح لأوليائه وأهل طاعته علوماً ربانية، وأنواراً إيمانية، يميزون بها بين الملك والعبيد، وبين الغني والفقير، وبين القادر والعاجز، وبين الكبير والصغير، وبين الحق والباطل، وبين الدنيا والآخرة: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمُخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام / ١٢٢].

﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١٣﴾ [آل عمران / ١٦٢-١٦٣].

اللهم يا ذا الجلال والإكرام، املأ قلوبنا بنور الإيثار، ونور القرآن: ﴿تُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور/ ٣٥].

فسبحان الله العظيم! ما أرحمه بعباده! لو فتح المطر على الناس أبداً؛ فمن الذي يجبسه عنهم لئلا يغرقوا؟ كما حصل لقوم نوح: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿١٠﴾﴾ ففَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِمٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَّ قَدَرٌ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَجْهِ وَدُوسِرٍ ﴿١٣﴾ فَجَرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ [القمر: ١٠-١٤].

ولو حبس الله القطر والنبات؛ لما استطاع الخلق أن يفتحوا ما أغلقه الفتح سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَّمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ جُرَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَشْأَتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمْتًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة/ ٦٣-٧٤].

ولو حبس الله نور الشمس عن الخلق؛ فمن ذا الذي يفتحه؟! ولو حبس الله الهواء الذي تتنفس منه؛ فمن ذا الذي يفتحه ويرسله؟!.

فسبحانه! ما أعظم رأفته ورحمته بعباده: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر/ ٢].

اللهم افتح لنا أبواب رحمتك، وأبواب فضلك، وأبواب نصرك، وأبواب هدايتك: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف/ ٨٩].

واعلم أن الله جل جلاله هو الملك الحق الذي خلق خلقه، وفطرهم على ما أراد: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّيْلَ لِحَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِن مَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠].

وفطر سبحانه السماوات والأرض، وما فيهن، وما عليهن، وما فوقهن، من المخلوقات، على التوحيد: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ عَلَوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ نَسِجَ لَهُ السَّمٰوٰتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

فكل أحد من مخلوقاته قانت لربه، مستسلم له، مسبح بحمده، شاهد بوحدانيته، متصاغر لكبريائه: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٩) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴿٥٠﴾ [النحل / ٤٩-٥٠].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخِجُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَسَبِّحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ [النور / ٤١-٤٢].

واعلم أن الخالق جل جلاله سمي دين الإسلام فطرة؛ لأنه أول شيء لقيت الذوات بعد برئها، والأجسام بعد جمع خلقها: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) [الروم / ٣٠].

فسبحان الفتاح القدير الذي خلق الأرواح، ثم جمعها بأجسامها الحاملة لها، الظاهر فيها أعمالها، وأحيا الأجسام بذواتها العامرة لها، وفطر الأجسام الظاهرة بالأعمال الصادرة من الأرواح الباطنة فيها: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) [الإسراء / ٨٥].

واعلم رحمك الله بعد أن تبكي على الجهل بالله وأسمائه وصفاته، وتستغفر من ذلك الجهل بالله وبدينه وشرعه ووعده ووعيده، أن الله أخذ العهد والميثاق على الأنفس يوم فطرها في بدء خلقها أن تسلك بأجسامها سبيل نجاتها، وأن تصرفها عن مظان هلكتها إلى سبيل فطرتها، ولا تفارق ما عليه برأها من التوحيد: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢) يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾ [الأحزاب / ٧٢-٧٣].

وجعل سبحانه ذلك أمانة منه ائتمنها عليه، إذ الأجساد هي مراكب القلوب ولباسها: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (٧٢) أَوْ قُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَنْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٣﴾ [الأعراف / ١٧٢-١٧٣].

فهذا عهد الفطرة، والله يأمرنا بذكره لنستقيم عليه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١١) [الغاشية/ ٢١].

ذكرهم بهذا العهد العظيم الذي أخذه الله عليهم: ﴿وَأَذَكِّرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٧) [المائدة/ ٧].

فلا إله إلا الله! كم ظلمنا أنفسنا!، وكم غفلنا!، وكم خسرننا!، وكم أضعنا!، وكم ضيعنا! ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨) ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩) [المائدة/ ٧٨-٧٩].

ربنا سمعنا وأطعنا، فاغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم، لك الحمد كله، ولك الملك كله، ولك الخلق كله، ولك الأمر كله، ومنك الخير كله: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٣٧) [الجاثية/ ٣٦-٣٧].

وقد ورد اسم الله الفتح في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله سبحانه في سورة سبأ: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٦) [سبأ/ ٢٦].  
والله سبحانه هو الفتح الذي يفتح أبواب النعم والأرزاق، وأبواب الخير والرحمة لعباده، ويفتح المغلق عليهم من أمورهم، ويفتح قلوبهم وبصائرهم ليصروا الحق ويحبوه، ويعملوا به، ويفتح جوارحهم بكل عمل صالح: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢) [فاطر/ ٢].

هو سبحانه الفتح الذي يحكم بين عباده، الذي يفتح كل منغلق، وينصر كل مؤمن، ويميز الحق من الباطل: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (٨٩) [الأعراف/ ٨٩].

والصفة المشتقة من اسم الله الفتح هي الفتح، وهي صفة فعلية لله ﷻ.

وقد اقترن اسم الله العليم باسمه الفتح في قوله سبحانه: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ (٦٦) [سبأ/ ٢٦].

وسر ذلك والله أعلم الدلالة على كمال الفتح، واستقامة الحكم، وأنه قائم على العدل والقسط؛ لأن الله عليم خبير، لا تميل به الأهواء ولا ينحرف به الجهل؛ لكمال عدله، وغناه عن جميع مخلوقاته: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظَلُّمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء/ ٤٠].

• وفتح الله لعباده ضربان:

أحدهما: فتح يدرك بالبصر؛ كفتح الباب والقفل ونحوهما.

الثاني: فتح يدرك بالبصيرة؛ كفتح المستغلق من العلوم والمسائل.

ويأتي الفتح بمعنى القضاء والحكم في الأمور، ويأتي الفتح بمعنى النصر.

والله سبحانه هو الفتح الذي يفتح لأولياته منافع الدنيا والدين، فيفتح أقفال القلوب لتعرف ربها، وتكبره، وتجبه، وتوحده، وتحذره: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات/ ١٧].

وهو سبحانه الفتح الذي يفتح لمن آمن به واتقاه خزائن جوده وكرمه ونعمه في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف/ ٩٦].

وهو سبحانه خير الفاتحين، العدل الذي لا يجور في حكمه أبداً: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف/ ٨٩].

وهو سبحانه الفتح القوي الذي يفتح البلاد والأمصار لأنبيائه ورسله، ولعباده المؤمنين، ويفتح قلوبهم وألسنتهم وجوارحهم بكل قول أو عمل صالح: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَىٰ بَعْزِكُمْ نُنَجِّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [١٠] ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [١١] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٢] ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٣]. [الصف/ ١٠-١٣].

والله حكيم عليم، كما يفتح أبواب رزقه وكرمه على من يشاء من عباده إكراماً، كذلك يفتحها استدراجاً وابتلاءً لمن أعرض عن دينه: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ



أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام / ٤٤-٤٥].

هو سبحانه الفتاح الذي له وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو: ﴿٤٤﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ  
الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ  
فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام / ٥٩].

هو سبحانه الفتاح الذي يستنصر به أوليائه على أعدائهم، فينصرهم، ويهلك  
أعداءهم: ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ بَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾  
[آل عمران / ١٢٣].

وقال نوح ﷺ: ﴿١١٧﴾ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ  
﴿١١٨﴾ فَانجِئْنَهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا  
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ [الشعراء / ١١٧-١٢٢].

وقال شعيب ﷺ: ﴿١٨١﴾ رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿١٨١﴾  
[الأعراف / ٨٩].

وأمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقول: ﴿٢٦﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَاتِحُ  
الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ [سبا / ٢٦].

ففتح الله ﷻ على رسله وأنبيائه وأوليائه أبواب الدعاء وأبواب النصر، وأبواب التوفيق  
حين استنصروا به، ويمكن لهم في الأرض، وخذل أعداءهم: ﴿٤٠﴾ وَلِيَنْصُرَكَ اللَّهُ مَنْ  
يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا  
الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ [الحج / ٤١].

فسبحان الفتاح العليم القادر الذي بيده مفاتيح الغيب، ومقاليد الأمور، ومفاتيح أبواب  
الخزائن من كل شيء، الفتاح الذي فتح أبواب العلم والهداية، وأبواب التوحيد  
والإيمان، والأرزاق، على من شاء من عباده: ﴿٢﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا  
وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ [فاطر: ٢].

هو سبحانه الفتاح الذي فتح القلوب والممالك لأنبيائه وأوليائه، وفتح لهم الأبواب إلى ملكوت سمائه، الفتاح الذي فتح على النفوس أبواب الهداية والتوفيق: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُبِينَةِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

هو سبحانه الفتاح العليم الذي يفتح على كل أحد بفتح خاص.

فهذا يفتح الفتاح عليه بلسانه، وهذا يفتح عليه بعلمه، وهذا يفتح عليه بفكره، وهذا يفتح عليه بالمال، وهذا يفتح عليه بالذكر، وهذا يفتح عليه بالذكاء، وهذا يفتح عليه بالأخلاق، وهذا يفتح عليه بالتقوى، وهذا بقضاء الحاجات، وهذا بالاختراع، وهذا بالإنفاق، وهذا بأحسن الصفات: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر / ٢].

فسبحان الفتاح الذي اختص وحده بالفتح والإغلاق، والعطاء والحرمان، والنصر والخذلان، هو الذي فتح أبواب الهداية لمن آمن به، وأغلق أبواب الهداية لمن يعلم أنه لا يزكو بذلك.

فتح أبواب الهداية لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فآمنوا، وأغلق أبواب الهداية عن أبي جهل وأبي لهب، فلم يؤمنوا؛ لأنه هو الحكيم العليم، وهو أعلم حيث يجعل رسالته وهدايته: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

هو سبحانه الفتاح الذي يقضي بين عباده بالحق والعدل، وهو الفتاح الذي ينصر رسله وأوليائه على أعدائهم، وهو الفتاح الذي يفتح كل شيء منغلق، مادياً كان أو معنوياً، يفتح أبواب الرحمة، ويفتح الأبواب المغلقة، ويفتح أبواب الرزق والخير والحكمة. فهذه ثلاث معانٍ لاسم الله الفتاح جل جلاله.

واعلم أن الرزق له أبواب كثيرة تفتح للمؤمن والكافر، وللبر والفاجر، وللمطيع والعاصي، لأن مفاتيح كل شيء بيد الله ﷻ، وتفتح فتحاً خاصاً للمؤمن.

• ومن هذه الأبواب:

الأول: باب الإيثار والتقوى، وهذا خاص بالمؤمنين: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا

لَفَنَحًا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٦﴾ [الأعراف/ ٩٦].

الثاني: باب البيع والشراء، وهذا باب مفتوح للمؤمن والكافر.

الثالث: باب الهدايا والوصايا، والموارث والعطايا، والزكوات والصدقات، وغيرها.

فسبحان الفتح العليم الذي يعلم متى يفتح؟ ولمن يفتح؟ وكم يفتح؟ وبأي شيء يفتح؟ ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وأعظم الفتح أن يفتح الفتح عليك بالعلم والعمل والإيمان والتقوى: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ بِيدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾ يَخْضُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٣١١﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

هو سبحانه الذي يفتح أبواب الرحمة بفضله وإحسانه، ويفتح أبواب العذاب بعدله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ [الأنعام: ٤٤-٤٥].

فسبحان الملك القادر الذي بيده وحده مفاتيح كل شيء: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ [الأعراف: ٩٦].

واعلم أن الأمة كلما استقامت على أوامر الله؛ فإن الله سيفتح لها من بركات السماء والأرض، ويفتح لهم أبواب العمل الصالح، والأجور العظيمة، والنصر المبين.

وكلما انحرفت عن منهج الله؛ فإن الله سيفتح عليهم أبواب الشدة والضنك والعذاب والتعب، حتى يعودوا إلى ربهم بالتوبة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَمَن أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَى ﴿١٣٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَأَيُّنَا فَسَيِّئًا وَكَذَلِكَ  
الْيَوْمَ نُنسِي ﴿١٣٦﴾ ﴿طه / ١٢٣-١٢٦﴾.

ويوم القيامة يوم عظيم، وقد سماه الله يوم الفتح؛ لأن الله يحكم بالعدل بين عباده،  
فيجازي المحسن بإحسانه، ويجازي المسيء بإساءته، فلا ظلم ولا جور؛ لأن الله قد حكم  
بين العباد: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ  
وَأَنْظَرْنَا لَهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿السجدة / ٢٩-٣٠﴾.

وحين توفي النبي ﷺ فُتِنَ الناس، ففتح الله على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فقام فخطب  
الناس، وقال: "أيها الناس، من كان يعبد محمداً؛ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله؛  
فإن الله حي لا يموت" ثم تلا قوله سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ  
الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا  
وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأًا مُوجَّلاً  
وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي  
الشَّاكِرِينَ﴾ ﴿١٤٥﴾ ﴿آل عمران / ١٤٤-١٤٥﴾.

فاطمأن الناس وسكنوا.

### • وفتح الله نوحان:

الأول: فتح إنعام وإكرام لعموم الخلق، كما قال سبحانه: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا  
مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ ﴿فاطر / ٢﴾.

فالذي يفتح بالمال والرزق والعلم والخير هو الله وحده لا شريك له.

الثاني: فتح عقوبة واستدراج لمن كفر به وعصاه: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا  
عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ  
دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴿الأنعام: ٤٤-٤٥﴾.

فسبحان الفتح العليم الذي فتح فتحاً مبيناً لرسوله ﷺ في الحديبية، حيث آمن به في تلك  
الفترة أضعاف من آمن به من قبل، ثم فتح له مكة، حيث دخلها فاتحاً بعشرة آلاف  
مقاتل، ثم فتح له قبل الفتح وبعد الفتح في غزواته وجهاده، ثم فتح له في رسائله إلى  
ملوك الأرض؛ لأن الله بعثه رحمة للعالمين: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ﴿١﴾ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ

مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتَبَّرَ نِعْمَتَهُ، عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيُبْصِرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾  
[الفتح / ١-٣].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى،  
والمثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾  
[طه: ٨].

هو سبحانه فاطر السماوات والأرض: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِئَةِ  
رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾  
[فاطر / ١].

وهو سبحانه فالق الإصباح: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا  
ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ﴿٩٦﴾ [الأنعام / ٩٦].  
وهو سبحانه فالق الحب والنوى: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ط يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ  
وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَالِقُ تُوْفِكُونَ﴾ ﴿٩٥﴾ [الأنعام / ٩٥].

واعلم رحمك الله أن الحكيم العليم سبحانه أرانا في هذه الدار الدنيا من الخير والشر،  
والمحبوب والمكروه ما يذكرنا بالدار الآخرة يوم القيامة، فأرانا الفتح العليم في هذه  
الدار النار الحاضرة، وجعلها آية على النار الغائبة، وعلى قدر تمكن نار الدنيا من الحطب  
يكون سعيرها وشدة لهيها حتى يعظم شأنها: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ  
شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرَةً وَنَمْتَعًا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة / ٧١-٧٣].

فسبحان من جعلها تذكرة وآية على نار جهنم التي لا أعظم من سعيرها وإحراقها  
وظلمتها، ووقودها ما تحرقه من الناس والحجارة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاْ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ  
نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا  
يُؤْمَرُونَ﴾ ﴿٦﴾ [التحريم / ٦].

وأرانا الله سبحانه في هذه الدار آية على الجنة، بقلقه الحب والنوى، وبإخراج الحي من  
الميت، وإخراج الميت من الحي، وجعل جنات ما هاهنا آية على جنات ما هنالك في  
الآخرة: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فِإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ

زَوْجٍ بِهِيَجُ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴿الحج / ٧﴾.

وأرانا الله سبحانه في خلقه الحيوان في الأرحام آيات وعبر، من كون ذلك مخزوناً في غيبه، ومكنوناً في سنته، ثم أظهره الله ماشياً، وطائراً، وزاحفاً، وسابحاً: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور: ٤٥].

وقال ﷺ: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان / ١١].

ألا ترى رحمك الله أن الحياة غيب في الماء، والماء غيب في خزائن الله: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠].

والخزائن كلها غيب في علم الله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر / ٢١].

وكذلك كل ما في الدنيا إشارة مؤقته لما في الآخرة من النعيم والعذاب، والآخرة غيب في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ليحاسبهم: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء / ٨٨-٩١].

فيأذن الملك الجبار جل جلاله للجنة، فتسعى من موضع حقيقتها من تحت العرش إلى الساعات، فتكون الساعات كلها جناناً وأنهازاً: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات / ٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ». أخرجه البخاري (١).

وتسعى نار جهنم في الأراضين السبع والبحار، فيصير كل شيء أتت عليه ناراً، ويؤتى بجهنم إلى المحشر تقاد بعدد عظيم من الملائكة يجرسونها، وتبرز للناس كلهم فيرونها

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

كلهم: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر / ٥-٨].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُحْرِقُونَهَا». أخرجه مسلم <sup>(١)</sup>. فسبحان ربنا العظيم الفتح العليم، والحمد لله فالق الإصباح، وفالق الحب والنوى، الذي فطر كل ذرة في ملكه على توحيده، فالكل يسبح بحمده، والكل يشهد بتوحيده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، وبيده مقاليد الأمور، ومفاتيح خزائن السموات والأرض كلها بيد الفتح العليم وحده لا شريك له: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

فاسأل ربك الفتح الذي بيده مقاليد الأمور أن يفتح لك أبواب رحمته، وخزائن رزقه، وأبواب كرمه، وموائد بره، وجزيل نعمه، وتقرب إليه بتقواه، وأحسن عبادته، تنال كريم فضله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الحديد / ٢٨].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٤٢).

## التعبد لله ﷻ باسمه الفتح .. الفتح

إذا علمت أن الله وحده هو الفتح الذي يفتح بركات السماوات والأرض، وبيده ملكوت كل شيء، فاسأله أن يفتح لك أبواب الهداية، وأبواب العلم، وأبواب التقوى، فإنه كريم لا يرد سائلاً: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

واسأل من يملك مفاتيح القلوب أن يشرح صدرك للإسلام، ويملاً قلبك بنور الإيمان؛ لتعرف ربك، وتعبده بما يحبه ويرضاه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ - فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر/ ٢٢].

﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

واعلم أن هذا الفتح وهذا الشرح كله فضل من الله، وليس له حد، وقد أخذ كل مؤمن منه بحظ حسب معرفته بالله، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وخزائنه، ودينه، ووعدته، ووعيده، فالأنبياء في الذروة العليا منه، ثم الأولياء والصادقون، ثم العلماء الربانيون، ثم عوام المؤمنين، ولم يخيب الله منه سوى الكافرين: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

واعلم أن رسل الله وأوليائه يتوجهون إلى ربهم ليفتح بينهم وبين مخالفيهم بالنصر والهداية، فيقولون: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف/ ٨٩].



فتوجه إلى ربك الفتح في كل صغيرة وكبيرة، وسله أن يفتح لك ما يحبه ويرضاه من حكمه القدري والشرعي: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ (٨٣) ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٨٤) ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ (٨٥) [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

ويوم القيامة يوم الفتح والحكم بين العباد، وفتح صحائف الأعمال، سيتبين من يستحق الثواب، ومن يستحق العقاب: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٨) ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (٢٩) ﴿فَاعْرَضْ عَنْهُمْ وَأَنْظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ (٣٠) [السجدة/ ٢٨-٣٠].

والله جل جلاله هو الرب المستحق للعبادة وحده لا شريك له، الذي فطر قلوب العباد على التوحيد والإيمان، ووضع في عقولهم حسن الدين، واستقباح غيره: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) [الروم/ ٣٠].

وإذا كنت قد أقررت لربك بالتوحيد والطاعة، وأشهدته على نفسك، فأد الأمانة، وأوف بالعهد؛ فسوف تسأل عن كل ما عملت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ الَّتِي آتَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (٥٨) [النساء/ ٥٨].

وصدق رحمك الله بالفعل ما أقررت به من قول، وما أعطيته من عهد وميثاق، بالاستقامة على الحق، والدعوة إليه، وتعليمه، والصبر على الأذى فيه، فإنك مسئول ومحاسب: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٣٤) [الإسراء/ ٣٤].

وسبح بحمد ربك العظيم، وكبر ربك الكبير الذي خلق المخلوقات كلها، ثم ردهم في غيبه إلى ما سبق في علمه جل جلاله، فأقرها في خزائن الغيب، ثم يبرأ براياه من مستودع غيبه إلى مستقرها في الهواء، والسحب، والبحار، والجماد، والنبات، والحيوان، والسماء، والأرض، والأرحام: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٥٩) [الأنعام/ ٥٩].

فهذه مستودعات الخزائن في العالم العلوي والعالم السفلي: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٧﴾ [المنافقون / ٧].

ومنذ خلق سبحانه الأصلاب والأرحام لم يزل ينقل البرايا من خزائن السماوات والأرض إلى الأصلاب والأرحام على مر القرون والدهور: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ﴿٩٨﴾ [الأنعام / ٩٨].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله جل جلاله براك فيمن برأ، ثم غيبك في غيبه، وخزنك في خزائنه، وقلبك في غيابات ملكه، ثم أخرجك بقدرته، حتى بلغك سن البلوغ، ثم أكرمك بالدين القيم ليختبرك؛ فيرى صدقك من كذبك، وطاعتك من معصيتك، ثم يجزيك يوم القيامة بما قدمت يدك: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ﴿٢﴾ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٣﴾ [العنكبوت / ٢-٣].

وانظر رحمك الله إلى ما أنت فيه، وقدم من العمل الصالح الذي تسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿يَوْمَ يَذُودُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ ﴿٨﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

ثم بعد ذلك يكون الجزاء: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٦﴾ ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٨﴾ ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ ﴿٩﴾ ﴿وَمَا آدْرَاكَ مَا هِيَ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ ﴿١١﴾ [الفارعة / ٦-١١].

واحرص على فعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة. وإياك أن تصحب الأيام بشهوات نفسك، وتقطع عمرك في قضاء أوطارك، فتندم وتحسر: ﴿خَلَفَ مِنْ بَدْيِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ ﴿٦١﴾ [مريم / ٥٩-٦١].

وانتبه لنفسك قبل حلول الأجل، واذكر العظيم الذي خلقك، والكريم الذي أطعمك، والشهيد الذي يراقبك، والسميع الذي يسمعك، والبصير الذي يراك، وأطعه تسعد في

دنياك وأحراك: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر: ١٨-١٩].

وإذا لم تتذكر بعد هذا البيان والبرهان فمتى تتذكر؟! ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فُسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْأَيْبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

وإذا فتح الله لك أبواب فضله، ورحمته، ورزقه، وهدايته، فافتح على الخلق مما أعطاك الكريم من أبواب الخير والعلم والرزق؛ يزدها الله لك، ويرضى عنك، ويرفع بها درجاتك، ويكفر بها من سيئاتك: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم/ ٧].

ابسط لسانك بالذكر والحمد والاستغفار، والدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح للمسلمين: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج/ ٧٧].

﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران/ ٧٩].

وابسط يدك بالمال، لا تقتر على نفسك وأهلك والفقراء والمساكين والمحتاجين: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّن طَيَّبْتُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة/ ٢٦٧].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٦١].

وافتح أوقاتك للناس؛ بالدعوة تارة، وبالتعليم تارة، وبالعطاء تارة، وبالعون تارة: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن من قام بهذه الأعمال أسعده الله في الدنيا، ورافق الأنبياء في الجنة في الآخرة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ [٦٦] وَإِذَا لَا تَأْتِيهِمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء/ ٦٦-٧٠].

واعلم أن حياة الأرض بالماء، وحياة القلوب بالإيمان والعلم النافع، ونفع العلم بطاعة الله، ولزوم تقواه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

واعلم هداك الله لما يرضيه أن العبد إذا عرف أن ربه هو الفتح العليم، الفتح للمغاليق؛ تعلق قلبه بربه الفتح، وتوكل عليه، ولجأ إليه؛ لعلمه أن بيده مقاليد الأمور، ومفاتيح خزائن كل شيء: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون مفتاحًا لكل خير، مغلقًا لكل شر، وطوبى لعبد خلقه الله مفتاحًا للخير، مغلقًا للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحًا للشر، مغلقًا للخير.

ومن عرف الله باسمه الفتح تضرع إليه وحده، وسأله أن يفتح عليه أبواب العلوم النافعة، وأبواب الإيمان، وأبواب الهداية، وأبواب الرزق، وأبواب الرحمة: ﴿قُلْ إِنَّ

الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤].

وإذا علم العبد أن الله وحده هو الفتح الذي بيده كل مفتاح، الفتح الذي لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه؛ عظم ربه وكبره، وحمده وشكره، ودعاه وسأله من خيري الدنيا والآخرة؛ لما يراه من عظيم نعمه وإحسانه إلى خلقه بنعمة الخلق والإيجاد، ونعمة الأرزاق والأقوات، ونعمة الهداية والإسعاد، ونعمة العلم والهدى والرحمة، وغيرها من النعم التي لا تعد ولا تحصى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل / ٥٣].

ومن علم أن ربه هو الفتح آمن به، وسلم لأمره؛ لعلمه بأن الله هو الحق، وأن أحكامه كلها حق وخير: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء / ٦٥].

فكن مفتاحًا لكل خير، تفتح بلسانك مغاليق المشكلات الدينية، وتفتح بمالك ويدك ما تعسر على الخلق من الأمور الدنيوية، وتفتح بخلقك وإحسانك ما انغلق من الأمور البشرية: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّيِّئَاتِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت / ٣٣].

وقال ﷺ: ﴿كُونُوا رَبَّنِينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران: ٧٩].

واعلم أن الفتح العليم يريد منك أن تسأله وتدعوه، ولا تمل ولو تأخرت الإجابة عليك؛ لأنك لا تعلم متى سيأتي الفتح من الفتح، فقد يؤخر الفتح ليختبر ثقتك به، وصدق توكلك عليه، وقد يؤخر الفتح لتقف ببابه طويلاً، وتتضرع بين يديه؛ لأنه يجب أن يسمع صوتك عندما تناجيه، فلا تسأم من الوقوف على بابه، فإنه كريم لا يرد

سائلاً، ولا يخيب مؤملاً، فانتظر الفرج: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].  
واعلم أن الفتح يأتي بالفتح من حيث لا تدري، وقد تظنه إغلاقاً وهو قمة الفتح، فيوسف ﷺ ابتلي بالسجن بضع سنين، فقام بالدعوة إلى الله في السجن، وهذا السجن قمة الفتح؛ لأنه خرج بعده من السجن إلى القصر، ومن العبودية إلى الملك، وصار على خزائن الأرض.

وذهب النبي ﷺ لمكة لأداء العمرة، فصدوه، وعقد مع كفار قريش صلح الحديبية، ثم رجع إلى المدينة ليعتمر من قابل، فأسلم في تلك المدة أضعاف من أسلم قبل صلح الحديبية: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيُنْصِرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ۝٣ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٤﴾ [الفتح/ ١-٤].

واعلم رحمك الله أن الفتح العليم ما أعلق عنك باباً إلا سيفتح لك أبواباً من الخير أفضل منه، فإنه العزيز الرحيم الذي ما منع إلا ليعطي، وما ابتلى إلا ليعافي، وما قبض إلا ليبسط، فأحسن الظن بربك العزيز الوهاب، وانتظر اليسر بعد العسر، والفرج بعد الكرب، والغنى بعد الفقر: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨﴾ [الشرح/ ٥-٨].

واعلم أن الفتح العليم يفتح لك وعليك بأهون الأشياء؛ بكلمة صادقة، وبدمعة صادقة، وبآية مؤثرة، فقد تقرأ آية من كتاب الله أو تسمعها من غيرك، فتغير مجرى حياتك إلى ما هو خير، ويتغير فكرك، ويتغير عملك، وتتغير أخلاقك: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمُخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام/ ١٢٢].

واعلم أن ربك الفتح إذا فتح فتح فتحاً مبيناً، لا فتحاً عادياً، فهاجر كانت تسعى بين الصفا والمروة، وتتمنى أن تجد ماءً تشرب منه هي وولدها إسماعيل، فجاء الفتح بماء

زمزم إلى يوم القيامة لكل الناس، وصارت خطواتها بين الصفا والمروة نسكاً يتعبد به المسلمون إلى يوم القيامة.

والنبي ﷺ بعد أن كان يدعو إلى الله في مكة محتفياً، ودخل الغار محتفياً، وهاجر محتفياً، فتح الله له قلوب الناس، وفتح له مكة، فدخلها في عام الفتح بعشرة آلاف مقاتل، وصار أهل الجزيرة العربية بعد فتح مكة إما مؤمن به، أو مسلم له، أو خائف منه:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ﴾ ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر / ١-٣].

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾﴾ [الفتح / ١-٣].

وشهر رمضان شهر الفتوح، فيه تفتح أبواب السماء، وتفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد فيه الشياطين، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وكل هذه الفتوح من الفتح الذي بيده مفاتيح أبواب التوحيد والإيمان، ومفاتيح أبواب الهداية، والأرزاق، والإحسان، والطاعات: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن من أعظم أبواب الفتوح أن يفتح الله عليك بكثرة ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يعينك على ذلك، وأن يفتح لك أبواب معرفة الله بأسماؤه وصفاته وأفعاله، فيفتح لك أبواب التوحيد والإيمان، وأبواب الهداية والتوفيق، ويفتح لك أبواب طاعته، وفعل ما يحبه ويرضاه، ويغلق عنك أبواب المعاصي، وكل ما يسخط الله.

وأن يفتح لك أبواب التوبة، وأبواب الاستغفار، وأبواب الحمد والشكر لله ﷻ، ويفتح لك أبواب العلم بدينه، والعمل به وتعليمه، وأن يفتح لك أبواب الأخلاق، وأبواب الصبر، وأبواب الحلم، وأبواب الحكمة، وأبواب الصدق، وأبواب الإحسان: ﴿قُلْ إِنَّ

الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْصُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

فكن رحمك الله مفتاح خير لجميع الناس، افتح أبواب الرجااء للعصاة، وافتح لسانك بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والنصح للمسلمين، وذكر الله وحده وشكره، وافتح يدك بالإحسان إلى غيرك وإن أساء إليك، فصل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

واعلم أن الله ﷻ هو الفتح العليم، فإذا انغلقت الأبواب في وجهك، وسُدَّت الطرق أمامك، وضاعت عليك الدنيا؛ فاعلم أن لك ربًّا اسمه الفتح، فادعه بيقين، وسيفتح لك الفتح الذي أعلق عنك ما تحب؛ لأنه يرغب إليك أن تدعوه وتسأله وحده لا شريك له: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات: ٥٠-٥١].

واعلم أنه ما دعاك إلى سؤاله إلا ليستجيب لك: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر/ ٦٠].

واعلم أن الله أجاب جميع الأنبياء حين سألوه، وأعظم ما سألوه الهداية، والعون على الطاعة، فما دعاك إلا ليحييك، فادع الله وأنت موقن بإجابته: ﴿وَنوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوْءٌ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٧٦-٧٧].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ



تُشْجَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَرَكَرِيًّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء / ٨٧-٩٠].

واعلم أن جميع الأعمال الصالحة مفاتيح لكل خير وأجر وثواب من ربك ﷻ.

واعلم أن إسباغ الوضوء يفتح الله به للعبد أبواب الجنة الثانية كلها.

عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغُ أَوْ فَيَسْبِغُ الْوَضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وهو سبحانه الفتح الذي يفتح بالنصر على من شاء من عباده.

قال النبي ﷺ: في خبير: «لَأَعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، أَوْ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فأعطاهما لعلي رضي الله عنه، ففتح عليه.

واعلم أن من مقتضى توحيد الله بأسمائه وصفاته، وتوحيد الله ﷻ باسمه الفتح: أن تعلم أن الفتح بيده مفاتيح كل شيء، وأن تتيقن على هذا قبل أن تدعوه وتساله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد / ١٩].

فيا من أعياه الفقر، اسأل الفتح الذي بيده وحده مفاتيح الغنى.

ويا من ألمه الوجد، اسأل الفتح الذي بيده وحده مفاتيح الشفاء.

ويا من اشتد كربته، وضاق عليه الأمور، اسأل الفتح الذي بيده مفاتيح الفرج والخير والإحسان.

وإن كنت جاهلاً فاسأل الفتح العليم الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٣٤).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٤٢١٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٤٠٧).

وإن كنت خائفاً فاسأل الفتح الذي بيده مفاتيح الأمن أن يؤمنك: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

الله وحده هو الفتح، وهو المستعان إذا تحطمت الآمال، وصاح العيال، واسود الظلام، وكثرت الديون، وقل النصير، وضافت الأمور، فسأل الحي القيوم الذي بيده مفاتيح الفرج: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، إهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم آت نفوسنا تقوها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم يسر أمورنا، وأشرح صدورنا، واختم بالصالحات أعمالنا.

اللهم يا حي يا قيوم، يا فتاح يا عليم، افتح لقلوبنا أبواب التوحيد والإيمان، وأفتح لألستنا أبواب الذكر والدعاء والدعوة، وأفتح لجوارحنا أبواب الأعمال الصالحة، يا أرحم الراحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الوهاب

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الوهاب

الله جل جلاله هو الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

هو الغني الحق الذي له خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض. هو الوهاب الحق الذي يهب لخلقه من خزائنه ما لا يعلمه ولا يحصيه إلا هو من العطايا، والأرزاق، والأقوال، والأعمال، والأخلاق، والأموال، والأولاد، والصور، والألوان والثمار: ﴿وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا نَسِنَ لظُلُومٍ كَفَارٌ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

هو الملك الذي وهب كل ملك، وهو الرزاق الذي وهب كل رزق، وهو الكريم الذي وهب كل كرم، وهو الرحمن الذي وهب كل رحمة، وهو الهادي الذي وهب كل هداية، وهو القوي الذي وهب كل قوة، وهو العليم الذي وهب كل علم، وهو الجميل الذي وهب كل جمال: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرًا إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

هو الوهاب الذي وهب لعباده ما يسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران/ ٨].

هو الوهاب الحق الذي يهب ما يشاء، لمن يشاء، كيف يشاء، بأي قدر يشاء: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَبَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ۗ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى/ ٤٩-٥٠].

هو سبحانه الوهاب الحق الكثير الهبات، العظيم الهبات والمنن والعطايا، الوهاب الذي يهب لعباده من فضله العظيم، ويوالي عليهم النعم، ويجزل لهم العطايا: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْفُكُوا تُوْفُكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

فسبحان الملك العزيز الوهاب الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وبيده مقاليد الأمور كلها، يعطي من يشاء ما يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

هو سبحانه الكريم الوهاب لعباده كل ما ينفعهم؛ لكيال كرمه ورحمته، وهبة النعم والخيرات أحب إليه من منعها: ﴿سُبْحٰنَهُ ۗ هُوَ الْعَنِيُّ ۗ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].

ولهذا مدح عباده الذين يسألونه ما ينفعهم، وأجزل لهم الأجر، فقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَرْزُقِنَا وَذَرِّبْنَا فِرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَلَائِفَ فِيهَا حَسَنَاتٌ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان / ٧٤-٧٦].

وهبات الله وعطاياه لعباده كثيرة عظيمة متنوعة، متوالية في كل زمان ومكان على مر القرون والأزمان: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨].

فسبحان الغني العزيز الوهاب، ما أعظم شأنه! وما أوسع خزائنه! وما أجزل عطاياه! وما أكثر هباته! ﴿قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هُدًى لِّلَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَمَا يُلَاقُونَ أَحَدًا مِّثْلَ مَا أُوتِيَهُمْ أَوْ يَحْتَفِظُونَ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ أَلْفَضَلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤].

هو الوهاب الذي لا تنقص خزائنه مع جزيل عطاياه ومواهبه، على مدى القرون والدهور والأزمان: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص / ٥٤].

هو الغني الذي لا تنقص خزائنه أبداً، ولو نقصت مثقال ذرة لكان محتاجاً إلى تلك الذرة، والله غني لا يحتاج، والناس كلهم فقراء إليه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥].

والله سبحانه وتعالى هو الغني بذاته، وغناه لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية، ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة.

وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ﴿يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ

أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

والله جل جلاله هو الملك الكريم الوهاب، مالك الملك والملكوت، مالك عالم الغيب وعالم الشهادة، مالك الدنيا والآخرة، هو الوهاب الذي بسط فضله وإحسانه الديني والديني على جميع العباد، يده بالعطاء ملأى، سحاء الليل والنهار، وخيره على الخلائق في جميع الأوقات مدارار: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة/ ٦٤].

فسبحان العلي الأعلى الذي استوى على عرشه العظيم برحمته، ويرى كل ذرة في ملكه الواسع الكبير، وتصل هباته وعطاياه إلى جميع خلقه، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن/ ٢٩].

في كل آن يفرج كربًا، ويزيل غمًا، ويفك أسيرًا، ويعني فقيرًا، ويرحم مسكينًا، ويجبر كسيرًا، ويعيث ملهوفًا، ويجيب كل مضطر، ويعطي كل سائل، ويغفر لكل مستغفر، ويستجيب لكل داع، ويتوب على كل تائب، وينعم على من سأله ومن لم يسأله، ويعطي من أظافه ما شاء، ويعطي من أطاعه ومن عصاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

هو الملك الوهاب الذي كل شيء ملكه، وكل شيء خلقه، وكل شي من هباته :

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] ﴿[الأنعام / ١٠٢].

هو الملك الوهاب الذي يهب النبوة والملك والخلافة لمن شاء من خلقه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣٦] ﴿[آل عمران: ٢٦].

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمُ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ [٦٢] ﴿[النمل / ٦٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يُدُّ اللَّهُ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ، وَقَالَ: عَرَّشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانَ، يُخْفِضُ وَيَرْفَعُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وقد ورد اسم الله الوهاب في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ منها قوله تعالى: ﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ [٩] ﴿أَمْرٌ لَهُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ [١٠] ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [١١] ﴿[ص / ٩-١١].

والله ﷻ هو الوهاب الذي يتكرم بالعطاء بلا عوض، ويعطي الحوائج بغير طلب، كثير الهبات والعطايا على مر الدهور والأزمان: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُضِّلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٧٣] ﴿[آل عمران / ٧٣].

والصفة المشتقة من اسم الله الوهاب هي الوهب، وهي من صفات الأفعال، كما قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ يَهْبُ لِمَن يَشَاءُ ۗ إِنَّشَأَ وَيَهْبُ لِمَن يَشَاءُ ۗ الذُّكُورَ﴾ [٤٩] ﴿أَوْ يَرْوِجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِمًا ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [٥٠] ﴿[الشورى / ٤٩-٥٠].

والهبة هي تمليك الشيء بلا قيمة ولا ثمن ولا مثل.

والله سبحانه هو الوهاب، واسع الهبات، كثير الهبات، عظيم الهبات، عمت هباته كل من في السماوات والأرض في كل مكان وزمان: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤١١)، واللفظ له، ومسلم برقم (٩٩٣).

خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ  
يَدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأَنْعَامُ: ١٠٢-١٠٣].

وهو سبحانه الوهاب كثير الهبات، وهباته تدر منه سبحانه على عباده في دنياهم  
وأخراهم دون انقطاع ولا نفاد: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [ص / ٥٤].  
وأعظم هبات الوهاب ما خص الله به رسله وأنبياءه وأوليائه من العلم بالله وأسمائه  
وصفاته وأفعاله، والعلم بدينه وشرعه، والعمل بموجب ذلك، كما قال سبحانه عن  
خليله إبراهيم ﷺ حينما لم يستجب له قومه: ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا  
لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ  
عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم / ٤٩-٥٠].

ومن أعظم أسباب الحصول على هبات الوهاب سبحانه دعاؤه وسؤاله، كما قال إبراهيم  
ﷺ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ [الشعراء / ٨٣].  
وقال سليمان ﷺ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبَغَى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٣٥﴾  
[ص / ٣٥].

وقال سبحانه عن سؤال الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُغِثْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ  
لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران / ٨].

وقد اقترن اسم الله العزيز بالوهاب، وسر ذلك والله أعلم أن هبات الوهاب سبحانه  
عظيمة، كبيرة، صادرة منه لعباده عن كمال العزة والغنى؛ فهو يهب لهم العطايا كلها، لا  
مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ لأنه عزيز كريم، يعطي عن كمال الغنى والكرم، لا  
يلجئ لمنفعة، ولا لدفع مضرة، ولا لعوض ولا غرض: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْعَلِيُّ لَهُ مَا  
فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس / ٦٨].

فسبحان من لا تنقطع هباته وعطاياه عن أحد، حتى عن أشد أعدائه ومن كفر به  
وأشرك به وسبه؛ لأن الهبات والعطايا لا تأتي إلا من عند واحد؛ هو الله ﷻ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ  
أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١-٤].

هو سبحانه الملك الوهاب الذي هباته وعطاياه لا تنفك عن عباده طرفة عين، وينفق



الوهاب كل حين، ولا ينقص مما عنده شيء من الخيرات والبركات والمكنونات.  
فسبحان العزيز الوهاب الذي يهب العطاء في الدنيا على سبيل الابتلاء، ويهب العطاء في الآخرة على سبيل الثواب والجزاء والإكرام: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [٣٥] [الأنبياء / ٣٥].

هو سبحانه الوهاب الذي خص أوليائه بأنواع الهبات والكرامات في الدنيا والآخرة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٧٢] [التوبة / ٧٢].

هو سبحانه الوهاب الذي كل نعمة منه وحده، يدر على عباده العطاء، ويوالي عليهم النعم: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [١٢] [الشورى / ١٢].  
يبسط الرزق لمن يشاء حتى لا تبقى فاقة، ويقبض الرزق عمن يشاء حتى لا تبقى طاقة، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢] [فاطر: ٢].

هو سبحانه الوهاب وحده لا شريك له، الوهاب الذي كثرت هباته، واتسعت عطاياه، أما الإنسان فيهب لغيره مما وهبه الله في حال دون حال، فقد يهب المخلوق مالا أو عطاء، لكنه لا يستطيع أن يهب ولدًا لعقيم، ولا شفاءً لسقيم، ولا صبرًا لمريض أو مبتلى، ولا يستطيع أن يهب هدى لضال؛ فالله وهاب وواهب.

والعبد واهب لا وهاب، فسبحان الوهاب الذي يعطي من غير عوض، كثير المنن والعطاء والإفضال، الذي يعطي من غير سؤال، ولا يقطع هباته عن العبد بحال، الذي يعطي بلا وسيلة، وينعم بلا حيلة، وهباته كلها جميلة.

فالحمد لله الذي وهبنا الإيمان والعافية في الأبدان، والأمن في الأوطان، ووهبنا الأموال والأولاد، وأتانا الحكمة والقرآن، وحبب إلينا الإيمان والإحسان: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [٥٣] [النحل / ٥٣].

والفرق بين وهب وأعطى أن العطاء يكون بعد سؤال، فيقال: سأله فأعطاه، أما وهب فتأتي بلا سؤال، فالله يعطي من ملكه لغيره بلا سؤال، فالله وهبك السمع والبصر

والعقل بلا سؤال: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (النحل / ٧٨).

فالله وهاب كريم يعطي المؤمن والكافر، والبر والفاجر، يعطي بلا سؤال، فكيف لو سُئِلَ؟! فيبراهيم ﷺ سأل ربه الولد فأعطاه إسماعيل؛ لأنه سأله، ووهب له إسحاق؛ لأنه لم يطلبه، فزاده سبحانه إسحاق من غير سؤال.

واعلم أن الله الوهاب لا ينظر إلى ماذا أعطاك، ولكن ينظر إلى ماذا ستصنع بما أعطاك: ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضَّبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنَا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨) [الأنبياء / ٨٧-٨٨].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) [البقرة / ١٧٢].

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

والفرق بين الوهاب والواهب من وجوه:

الأول: أن الوهاب سبحانه يعطي من يستحق ومن لا يستحق: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (٦) [هود / ٦].  
بينما الواهب من الخلق لا يعطي إلا من يستحق الهبة.

الثاني: أن الوهاب سبحانه يهب كل شيء، بينما الواهب المخلوق قد يعطي المال، لكنه لا يستطيع أن يهب شفاءً لسقيم، أو ولدًا لعقيم، أو هدايةً لضال.

الثالث: أن الوهاب سبحانه لا تنقطع هباته، حتى عمّن أغضبه وكفر به، أما الواهب من الخلق فتنقطع هباته عمّن عصاه وجفاه.

الرابع: أن الوهاب سبحانه يهب جميع مخلوقاته ما يحتاجون في وقت واحد، بينما الواهب من الخلق يهب لبعض الخلق بعض ما يحتاجون في أوقات مختلفة، ثم بعد الموت تنقطع هباته.

الخامس: أن الوهاب سبحانه يهبك ولا ينتظر العوض، بينما الواهب من الخلق ينتظر العوض؛ إما مدحاً في الدنيا، أو أجراً في الآخرة.

فسبحان الملك العزيز الوهاب الذي وهب خلقه ما ينتفعون به، ويهبونه لغيرهم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلِّيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۗ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۗ ۝١٨﴾ ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمَدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۗ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۗ ۝٢٠﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۗ وَاللَّآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۗ ۝٢١﴾ [الإسراء/ ١٨-٢١].

فسبحان الملك العزيز الوهاب، عظيم الهبات، كثير الهبات، دائم الهبات المادية والروحية: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ ۝٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

واعلم رحمك الله أن هبات الوهاب في الدنيا مؤقتة، وهبات الوهاب في الآخرة مؤبدة، وعطاءات الوهاب في الدنيا كلها ابتلاء، وعطاؤه في الآخرة جزاء، وعطاؤه في الدنيا من علم أو عافية أو مال أو غيرها يكون بحسب استعمالها في الخير والشر، فقد تكون نعمة أو نقمة، أما عطاء الله في الآخرة لأوليائه فكله نعمة للمؤمن: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۗ ۝٢٥﴾ [البقرة/ ٢٥].

واعلم فقهاك الله في الدين أن كل ما في الدنيا من أشياء؛ من مطعوم ومشروب، وملبوس ومركوب، وغيرها من النعم كلها من عطاءات الوهاب وحده، وما ندفعه من الأثمان لأخذها مقابل الخدمة والنقل، أما هي فقد وصلتك من الوهاب عن طريق الشراء: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۗ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۗ ۝٣٤﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۗ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ۗ ۝٥٣﴾ [النحل/ ٥٣].

والله سبحانه هو الوهاب الذي وهب المؤمن الجنة برحمته، وما يعمله من الصالحات في الدنيا ثمن المفتاح لا ثمن الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم أن الأرزاق تأتيك من الرزاق بالأسباب والكسب، أما الهبات فتأتيك من الوهاب بدون سبب، كما وهب الله يحيى لزكريا، ووهب إبراهيم وإسماعيل وإسحاق مع كبر سنه: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٨٩)</sup> ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ<sup>٩٠</sup> إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا<sup>٩١</sup> وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾<sup>(٩٠)</sup> [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

واعلم رحمك الله أن الوهاب يهبك ما يسرك، إما لأنه يحبك، وإما لأنك ابتعدت عنه، فيهبك ليذكرك به وبنعمه؛ لتعود إليه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٩١)</sup> الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ<sup>٩٢</sup> فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٩٢)</sup> [البقرة/ ٢١-٢٢].

فسبحان الملك العزيز الوهاب الذي يملك جميع الخزائن، وينفق كما شاء بأي قدر شاء، ولا تنقص خزائنه ولا تفتنى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُ لَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾<sup>(٩٣)</sup> [الحجر/ ٢١].

أما الخلق فيملكون أن يهبوا مالا أو نوالا في حال دون حال، ولا يملكون أن يهبوا شفاءً لسقيم أو ولداً لعقيم، ولا هدى لضال، ولا أمناً لخائف، ولكن الله يملك ذلك كله: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(٩٤)</sup> [يونس/ ٦٨].

﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾<sup>(٩٥)</sup> لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ<sup>٩٦</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعٰيٰتِ اللَّهِ أُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾<sup>(٩٦)</sup> [الزمر/ ٦٢-٦٣].

واعلم أن كل ما وصل إلى العباد من الخير والنعم فهو من ربنا العزيز الوهاب، وكل ما وهب الله العباد فهو عطية ومنحة منه سبحانه، وله سلبها وإيقاؤها متى شاء

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٦٣)، ومسلم برقم (٢٨١٦)، واللفظ له.

بحكمته: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٣٠) [الإسراء / ٣٠].

هو سبحانه الوهاب الذي كل شيء من هباته وعطاياه وإكرامه وإحسانه. هو سبحانه الوهاب الذي يهب خلقه أصناف النعم على مر القرون، وهب الإنسان نعمة الوجود، ونعمة الإمداد، ونعمة الصحة، ونعمة العقل، ونعمة السمع، ونعمة البصر، ونعمة الهداية: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل / ١٧-١٨].

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٢٣) [الملك: ٢٣].

واعلم يا عبد الوهاب أن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ولا أحد أعظم إحساناً إلى الخلق من الله، بل كل إحسان إلى الخلق فهو منسوب إلى الله، وكل إحسان يثمر المحبة، ولا إيمان لمن لا محبة له لربه، وعلامة المحبة اتباع المحبوب وطاعته: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣١) [آل عمران / ٣١].

هو سبحانه الملك العزيز الوهاب، الذي يعطي بلا وسيلة، وينعم بلا سبب ولا حيلة، جزيل العطاء والنوال، كثير المنن والإفضال، دائم المعروف والإحسان: ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (٣٤) [إبراهيم / ٣٤].

فسبحان الوهاب الذي وهب كل واهب، وألهم كل واهب أن يهب مما أعطاه، وأذن له بذلك، وأعانه على ذلك، وضاعف له أجر ذلك: ﴿إِن تُقْرَضُوا بِاللَّهِ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧) [التغابن: ١٧].

هو الملك الغني القادر الذي خلق كل شيء، المالك لكل شيء، الوهاب الذي يهب عباده كل شيء: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٦) وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ [الجنات: ٣٦-٣٧].

وأعظم ما وهب الله عباده هو دينه الحق، ورحمته للخلق: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا

وَهَبْنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ أَوْهَابٌ ﴿٨﴾ [آل عمران / ٨].

• وهبات الرب جل جلاله لخلقه لها ثلاث حالات:

فهي إما إكرام .. أو عقوبة .. أو ابتلاء.

فالإكرام: على حسن الطاعة لله: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص / ٣٠].

والعقوبة: على الكفر والمعاصي ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام / ٤٤-٤٥].

والابتلاء: ليتين من يقدم أوامر الله على شهوات النفس، ومن لا يلهيه المخلوق عن الخالق: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء / ٣٥].  
﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت / ٢-٣].

فسبحان الحكيم العليم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى، الوهاب الذي خيره وفضله يرتع فيه كل مخلوق؛ الإنسان والحيوان، والبر والفاجر، والمطيع والعاصي، لا نحصي ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [القصص / ٧٠].  
﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨٢].

## التعبد لله ﷻ باسمه الوهاب

اعلم زادك الله علماً وفقهاً أن الوهاب الحق هو الذي وهب جميع الهبات المتنوعة في كل زمان ومكان، في الدنيا وفي الآخرة، في العالم العلوي والعالم السفلي، وذلك كله من فضله وإحسانه إلى عباده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام / ١٠٢].

﴿فَأَطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) له، مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٢) [الشورى / ١١-١٢].

فاعرف مولاك الكريم، ثم اذكره، ثم اشكره، واعبده بمقتضى أسمائه وصفاته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٣) [الطلاق / ١٢].

ثم اعلم أن الوهاب جل جلاله أظهر في هذه الدنيا من هباته وعطاياه ما نراه وما لا نراه، وما نعلمه وما لا نعلمه، ونسبة ما نعلمه وما نراه إلى ما لا نعلمه وما لا نراه كنسبة القطرة إلى البحر والذرة إلى الجبل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٨٥) [الإسراء: ٨٥].

﴿وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٧) [المنافقون / ٧].

ويوم القيامة يظهر الملك الوهاب من كرمه وعطاياه ما لم يخطر على العقول، وما لم تره العيون، وما لم تسمعه الأذان: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة / ١٧].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، مُصَدِّقٌ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧]» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٧٧٩)، ومسلم برقم (٢٨٢٤)، واللفظ له.

فاجتهد رحمك الله في طاعة مولاك الملك العزيز الوهاب، وبادر إلى الأعمال الصالحة التي يزيدك بها الوهاب خيراً: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم / ٧].

واعلم أن ما وهب الله لك في الدنيا من العافية والعقل والرزق جعله عوناً لك على طاعته، فلا تستخدمه في غير ما يرضيه، ولا تستعن به على معاصيه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة / ١٧٢].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ ءِخْبَارٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء / ٣٦].

وما ادخر لك الكريم في الآخرة من الخير والنعيم خير لك من جميع ما في الدنيا من ألوان النعيم: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَنَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الشورى / ٣٦].

فلا تبع رحمك الله غائباً بشاهد، ولا تبع آخرتك بدنياك، ولا تشغلك دنياه عن تحصيل رضاه: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت / ٦٤].

وخذ من الأعمال الصالحة ما تسعد به في الدنيا والآخرة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص / ٧٧].

فهب رحمك الله ما أعطاك من العافية في طاعة مولاك، والقنوت له، والسجود له: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر / ٩].

وهب ما أعطاك الوهاب من الخلق الحسن في القول الحسن، ودوام الذكر والشكر لله، وتأليف قلوب الناس على دينه، وهب ما أعطاك من المال في مواساة المحتاجين، وإكرام الناس والأشراف، وهب ما أعطاك من نعمة العلم في تعليم الخلق أحكام ربهم: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ



﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وسل ربك الوهاب كل ما تحتاجه مما يعينك على عبادته وطاعته، كما سأله سليمان ﷺ: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطَانَ كُلَّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَقَابٍ ﴿٤٠﴾ [ص/ ٣٥-٤٠].

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الأولاد، وأكرمك بصلاحهم؛ فاحمد الوهاب على إحسانه، كما حمده خليله إبراهيم ﷺ فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ [إبراهيم/ ٣٩-٤٠].

واشكر الله على ما وهبه لك من الهداية، وحسن الخلق، وما أسداه إليك من النعم؛ يزدك خيراً، ويعظم لك أجراً: ﴿وَلَقَدْ ءَانَيْنَا لَقْمَنَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ﴿١٢﴾ [لقمان/ ١٢].

فالحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً لا ينقطع ولا يبديد، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، على أسماؤه الحسنى، ونعمه التي لا تحصى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة/ ١-٧].

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١١٤﴾ [النحل/ ١١٤].

ولنعلم أن العبد إذا عرف ربه باسمه الوهاب؛ أحب ربه العظيم، وقام بحمده وشكره على نعمة الإسلام أولاً، وعلى نعمه التي لا تعد ولا تحصى ثانياً: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ ﴿المائدة/ ٣﴾.

وهذه المعرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظيم نعمه وإحسانه، تورث العبد قوة الرجاء، والتعلق بالله الذي بيده مفاتيح خزائن السموات

والأرض: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُنُونَكُمْ ﴾ [محمد: ١٩].

واعلم أن الوهاب جل جلاله وهبك الحياة والرزق، والرحمة والهداية؛ فاشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون / ٥١].

وشكر الملك الوهاب يستلزم تصديق أخباره، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، وتعظيم شرعه، والعمل بما يحبه ويرضاه؛ فكل نعمة منه جل جلاله، فالعبد له، والمال له، والعطاء منه، والإحسان منه: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣].

فكيف لا يحبُّ من هذا شأنه؟! وكيف لا يستحي العبد أن يصرف شيئاً من محبته إلى غيره؟! ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦]. ومن عرف ربه الوهاب تعلق قلبه بالله وحده دون غيره، ولجأ إليه، وسأله جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره، وحرص على سؤال الوهاب أن يهبه لذة النظر إلى وجهه الكريم، وأن يرضى عنه ويدخله الجنة: ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران / ٨].

وإذا وهبك الوهاب من نعمه فكن الأول في الاستقامة على دينه: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]. وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يتعبد لله به، بأن يهب لغيره مما وهبه الوهاب من مال وعلم وجاه، وأن يكون سخيًّا بما في يده، يهبه للفقراء والمساكين والمحتاجين؛ لأن المال مال الله، وهو المعطي على الحقيقة، كما قال سبحانه ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْفِلِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد / ٧].

وكذا يتعد عن صفة المنة على الخلق؛ لأن الله سبحانه هو المنان الذي من على عباده بكل نعمة: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ

وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١٤﴾  
[آل عمران / ١٦٤].

ومن آذى الفقراء ومن عليهم؛ بطلت صدقاته وهباته: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نُبْطَلُوا  
صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ [البقرة / ٢٦٤].

واعلم أنك تعيش في كل حين مع الوهاب، وتتقلب في نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛  
فاحمد الوهاب الذي وهبك كل خير، ودفع عنك كل شر: ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ  
الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ  
الصَّالِحِينَ﴾ [النمل / ١٩].

وقال إبراهيم ؑ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ  
الدُّعَاءِ﴾ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾  
[إبراهيم / ٣٩-٤٠].

واعلم أن الملك العزيز الوهاب يستحي من عبده إذا مد يديه إليه بالدعاء أن يردهما  
صفراً خائبين؛ فاسأل الله ما شئت من خيري الدنيا والآخرة، فإنه غني كريم، وهاب  
لكل شيء، والعطاء أحب إليه من المنع: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ  
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾  
[البقرة / ١٨٦].

ومن دعاء سليمان ؑ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ  
الْوَهَّابُ﴾ ﴿٣٥﴾ [ص / ٣٥].

طلب ملكاً فريداً محشواً بالمستحيلات، فوهبه الله النبوة، والملك، والعلم، والحكمة،  
وسخر له الريح، والجن، والطير، والإنس، والخيل، والوحش: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ  
نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّفِيَنَتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ  
الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رَدُّوَهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالْسُوقِ وَالْأَعْنَاقِ  
﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا  
يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ

﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ  
بِعَيرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسْنَ مَقَابٍ ﴿٤٠﴾ [ص / ٣٠-٤٠]

واعلم رحمك الله أنه ليس من الزهد التواضع في الدعاء، فارفع سقف دعائك في الدنيا والآخرة؛ فإن الوهاب غني كريم، والعطاء أحب إليه من المنع.  
قال النبي ﷺ: «فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

فأحسن الظن بالله، واسأله المزيد من فضله، واسأله العظيم من الأمور؛ فإن العظيم سبحانه لا يعطي إلا العظيم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر / ٦٠].

وهب مما أعطاك الله، ولا تنتظر الشكر من أحد: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتٍ وَإِنَّمَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَتَبْذِيرًا﴾ ﴿٨﴾ إِنَّمَا تُطْعَمُونَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نَزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطًا ﴿١٠﴾ فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ [الإنسان / ٨-١٢].

وأعظم شيء تهبه أن تهب نفسك لله في حياتك، فتقوم بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلقه، وتحقق العبودية لله في كل حال: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّمْلَةً إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام / ١٦١-١٦٣].

وبكمال الإيمان والتقوى تنال أعلى الدرجات عند المولى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

واعلم أن جميع الهبات من الله لا تقدم ولا تؤخر، إلا عطاءً واحداً؛ هو تقوى الله ﷻ،

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٩٠).

فعليك بتقوى الله ﷻ، ولا تحقر من سواك: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات / ١٣].  
﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبا / ٣٧].

واعلم يا عبد الوهاب أن الدنيا دار عمل وتكليف، والآخرة دار جزاء وتشريف للمؤمنين، ودار عقوبة وتعذيب للكافرين، فاستعمل ما أعطاك الله من هبات في طاعة الله ومرضاته، تنال أحسن ثوابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَىٰ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَلْنَا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

واحذر أن تعصي الوهاب بما أعطاك من النعم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

واعلم أن الوهاب وهبك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية والإسعاد، وشكر هذه النعم يكون بالأعمال الصالحة التي ترضي الملك الوهاب الذي وهبها لك: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سبا / ١٣].  
والحياة الطيبة تحصل بالصفات الطيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل / ٩٧].

• وكل إنسان مبتلى بأمرين:

مبتلى فيما أعطاه الوهاب .. ومبتلى فيما سلب منه من مال أو صحة.

فأنت ممتحن فيما أعطاك الله، وفيما زوى الله عنك: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فاللهم اجعل ما وهبتنا من خير عوناً لنا على طاعتك، وما زويت عنا من خير فاجعله فراغاً لنا فيما تحب.

واعلم أن الوهاب جل جلاله إذا رضي عنك أخدمك عدوك، وإذا غضب عليك تطاول عليك أصغر أولادك، فاتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة بالحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَىِ النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ﴾ [هود / ١١٤].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج / ٧٧].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران / ٨].

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُنْقِذِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان / ٧٤].

«اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءُ السَّمَاوَاتِ وَمِلءُ الْأَرْضِ، وَمِلءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالْمُجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتَ، وَلَا مُعْطِيٍّ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجُدِّ مِنَ الْجُدِّ»  
أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.  
اللهم إنك عفو تحب العفو فاعفُ عنا يا أرحم الراحمين.

اللهم لك الحمد كله، لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك ورزقك إنك أنت الكريم الوهاب.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٧١).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الهادي

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الهادي

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله في باب التوحيد بمنزلة الرأس من الجسد، والقلب من البدن: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَّمَثَلِكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

الله ﷻ هو الهادي الحق الذي هدى خلقه إلى معرفته، وهداهم إلى جميع المنافع، وأرشدهم إلى دفع المضار، وعلمهم ما لا يعلمون: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

هو الهادي وحده إلى كل خير في الدنيا والآخرة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان / ٣١].

هو الهادي الحق الذي هدى جميع خلقه إليه، بما أظهره من أسمائه وصفاته وأفعاله، وآياته ومخلوقاته، ونعمه وإحسانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

وهو سبحانه الهادي الذي خلق جميع المخلوقات في السماوات والأرض، وهداها إلى جلب مصالحها، ودفع مضارها، وعبادة ربه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ [الأعلى / ١-٥].

وجميع مخلوقات الهادي تشهد بتوحيده، وتسبح بحمده، وتسجد لكبريائه، وتذل لعزته: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء / ٤٤].

فسبحان الخلاق العليم الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.



وهو سبحانه الهادي لكل مهتدٍ من مخلوقاته، هدى كل شيء من مخلوقاته إلى التسييح بحمده، وهدى كل مخلوق إلى الإقرار بوحدانيته، وهدى الطفل إلى التقام الثدي عند خروجه، وهدى الفرخ إلى التقاط الحب بعد خروجه، وهدى النحل إلى بناء بيوتها بما يناسب حالها: ﴿وَكَفَىٰ بَرِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١) [الفرقان / ٣١].

وهدى النبات أن يشق في الأرض عروقًا، وفوق الأرض أغصانًا وأوراقًا، وأزهارًا وثمارًا، وهدى الملائكة للتسييح بحمده، وهدى السحب للمطر، وهدى الأرض للإنبات، وهدى اللسان للكلام، وهدى الأذن للسمع، وهدى الرجلين للمشي، وهدى الشمس والقمر والنجوم للسير والإنارة، وهدى كل طير وحيوان في البر والبحر والجو، إلى ما يصلحه وينفعه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ (١٣) [الليل / ١٢-١٣].

وهدى الهادي سبحانه الإنسان إلى ما يسعده في دنياه وأخراه: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمْتُمْ بِلِ اللَّهِ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧) [الحجرات: ١٧].

وهو سبحانه الهادي المبين لعباده طريق الحق والإيمان بما أرسل إليهم من الرسل، وما أنزل عليهم من الكتب، وما نصب لهم من الآيات والدلائل في السماوات والأرض، وما أكرمهم به من الأسماع والأبصار والعقول: ﴿ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (٢٣) [الزمر / ٢٣].

وهو سبحانه الهادي الحق الذي يهدي من يشاء بفضله، ويضل من يشاء بعدله: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۗ وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّيَ ۖ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ (٥٠) [سبأ / ٥٠].

وهو الحكيم العليم بمن يصلح للهدى ويزكو عليه فيهديه، ومن لا يصلح للهدى فيضله بعد إقامة الحجة عليه، فجميع العباد يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله، وهو

على كل شيء قدير: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْتَأْنِفَنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النحل / ٩٣].

هو الحكيم العليم الذي كل أفعاله في منتهى الحكمة والعدل والرحمة والإحسان: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام / ١٤٩].

وهو سبحانه الهادي الذي أعطى للإنسان حرية الاختيار، فمن شاء الهدى هداه إلى الصراط المستقيم، ومن شاء الضلال تركه وما اختار: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

وهو سبحانه الهادي الذي بهدائه اهتدى أهل الإيمان بما بين لهم سبحانه من أسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الجميلة، وآياته ومخلوقاته، فاهتدوا بهدائه لهم: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدَارِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحج / ٥٤].

وهو سبحانه الهادي الذي أنزل كتبه هداية للناس: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩١﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ءَاعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء / ٩-١٠].

وهو سبحانه الهادي الذي أرسل رسله هداية الناس إلى الحق، وتكفل بإظهار دينه على الدين كله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الصف / ٩].

وهو سبحانه الهادي الذي جعل بيته العتيق مباركًا وهدى للعالمين إلى يوم القيامة: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عمران / ٩٦].

وهو سبحانه الهادي الذي يهدي من يشاء من عباده، الهادي الكريم الذي فتح جميع أبواب الهداية إليه، عن طريق آياته ومخلوقاته، وعن طريق معرفة أسمائه وصفاته، وعن طريق نعمه وآلائه، وعن طريق كتبه المنزلة، وعن طريق رسله المرسله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا

أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَصَرِيفِ  
الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ [البقرة: ١٦٤].

والهدى عن طريق الخلق أقرب طرق الهدى، وباب الكون المفتوح أوسع أبواب الهدى،  
فبالخلق نهتدي إلى الخلق، وبالصور نهتدي إلى المصور، وبالرزق نهتدي إلى  
الرازق: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ  
مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَى لِكُلِّ عَبْدٍ  
مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/٦-٨].

فإذا نظرت إلى الكون رأيت الخالق يخلق، والرزاق يرزق، والرحمن يرحم، والكريم  
يحسن، والهادي يهدي، والجبار يقهر: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ  
شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ  
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/١٠٢-١٠٣].

وهو سبحانه الهادي الذي إذا هداك بخلقه؛ فالهادي اسم من أسماء أفعاله، وإذا هداك  
بكلامه؛ فالهادي اسم من أسماء ذاته: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ  
مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ  
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾  
[المائدة: ١٥-١٦].

واعلم أن الكون العظيم أعظم أبواب معرفة العظيم، والقرآن هادٍ إلى معرفة العظيم،  
لكن الكون العظيم لغة عالمية، يراه ويقراه ويفهمه كل إنسان حيثما كان، ومن كان:  
﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾  
[يونس: ١٠١].

ومن آياته التي نهتدي بها إليه الشمس والقمر، والليل والنهار، والجبال والبحار، والماء  
والجماد، والنبات والحيوان: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ  
السَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ

﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ أُثْنَيْنِ يُغْشَى  
الَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ [الرعد / ٢-٣].

وقد ورد اسم الله الهادي في القرآن مرتين هما: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾  
[الفرقان / ٣١].

وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٥٤﴾ [الحج / ٥٤].  
والله ﷻ هو الهادي الذي من بهدايته على من شاء من عباده، الذي يهدي ويرشد ويدل  
عباده إلى جميع ما ينفعهم، وإلى دفع ما يضرهم، الهادي الذي بهدايته اهتدى أهل هدايته،  
وبهدايته اهتدى الحيوان إلى ما يصلحه، كما قال فرعون لموسى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ  
﴿٤١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ ﴿٥٠﴾ [طه / ٥٠].

والصفة المشتقة من اسم الله الهادي هي صفة الهداية، وهي صفة فعلية لله ﷻ وصفه  
ذاتية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾  
[القصص / ٥٦].

فالأرزاق بيد الرزاق، والهداية بيد الهادي: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾  
[الفرقان / ٣١]. وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ،  
فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ»<sup>(١)</sup> أخرجه مسلم.

وقد اقترن اسم الله النصير مع اسم الله الهادي مرة واحدة في القرآن الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ  
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ﴿٣١﴾ [الفرقان / ٣١].

وسر ذلك والله أعلم أن من سنة الله أن يقيض لكل نبي عدوًّا من المجرمين؛ ليظهر عجز  
هؤلاء المجرمين وخذلانهم أمام أنبياء الله ورسله، فيثبت رسله وأنبياءه على الحق،  
وينصرهم على من عاداهم، ويهدي رسله إلى الطريق الذي بمقتضاه ينتصرون على  
أعدائهم: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ﴿٥١﴾  
﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ ﴿٥٢﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

هو سبحانه الهادي الذي أظهر لعباده دلائل التوحيد والإيمان التي تشهد أنه الرب الحق، والملك الحق، والإله الحق، الهادي إلى الصراط المستقيم: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس / ٢٥].

فسبحان من أظهر أسماءه وصفاته في آياته ومخلوقاته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

هو سبحانه الهادي إلى الإيمان به بما أظهره لعباده من أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الحميدة، ونعوته الجميلة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

هو سبحانه الهادي الذي هدى خواص عباده إلى معرفته والإيمان به، وهدى جميع المخلوقات إلى التسبيح بحمده، وهداها إلى جلب المنافع، ودفع المضار: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى / ١-٣].

وهو سبحانه الهادي الذي هدى العارفين إلى القربة، وهدى المذنبين إلى التوبة، وهدى الجاهلين إلى المعرفة: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان / ٣١].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن القرآن العظيم من أعظم أبواب الهدى لمن قرأه وتدبره، ولا بد للإنسان من الاهتداء بما خلقه الله في هذا، الكون العظيم، وبما أنزله من هذا الكتاب العظيم؛ فلا بد للإنسان من الاهتداء بهذا وهذا ليكتمل نور الهداية في القلب، فالكون كتاب الآيات والمخلوقات، والقرآن كتاب العلوم والأخبار، والأوامر والنواهي: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [يهدى به الله من أتبع رضوانه، سئل أسلم ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم] [المائدة / ١٥-١٦].

فبآيات الكون نعرف ربنا، وبآيات القرآن نعبده، فالكون دلنا عليه سبحانه، فكل مخلوق يشير إلى ربه، ويعرّف بصفات جلاله وجماله، والقرآن علمنا أسماء الله وصفاته وأفعاله، وبين لنا منهجه، وأمره ونهيه، ونعمه وإحسانه ووعدته ووعدته: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل / ٨٩].

فسبحان الهادي الذي يهدي إليه تارةً بخلقه، وتارةً بكلامه، وتارةً بأفعاله، وتارةً بالفطرة، وتارةً بالإلهام، وتارةً بالرؤيا، وتارةً بالأشخاص، وتارةً بالانسراح، وتارةً بالتفكير والتدبير: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَدِّدًا مَّثَانِي فَنَقَّشَهُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضَلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٢٣﴾ [الزمر / ٢٣].

واعلم أن الهادي جل جلاله هو الله وحده لا شريك له، هو الهادي الغني الذي يملك جميع خزائن الهداية، وهو الهادي لكل مهتدٍ وهادي، ومن يضل فلا هادي له سواه: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَنْ يُضِلِّ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾ [الأعراف / ١٧٨]. فسبحان من أظهر قدرته وحكمته، وأسماءه وصفاته، في تدبير ملكه ومماليكه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٦﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

فالحمد لله رب العالمين الذي أرسل إلينا أفضل رسله، وأنزل علينا أحسن كتبه، وشرع لنا أحسن شرائع دينه، وهدانا للإسلام: ﴿ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٢٣﴾ [الزمر / ٢٣].

والحمد لله الذي هدانا إلى التوحيد والإيمان، وحفظنا من الكفر والشرك ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَىٰ اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۖ فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأُولَٰئِبِ﴾ ﴿١٨﴾ [الزمر / ١٧-١٨].

واعلم -رحمك الله- أن كل أحد محتاج إلى الهداية، والأنبياء والرسل أكمل الخلق هداية، يسألون ربهم الهداية في كل وقت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَتْهُمْ أُقْتَدَةُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنعام / ٩٠].

والهداية أكبر نعمة ينعم بها الهادي على عباده، وكل نعمة دونها فناقصة وزائلة، وبقدر هداية العبد تكون سعادته في الدنيا والآخرة: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ [الحجرات / ١٧].

وأعظم سؤال في القرآن هو طلب الهداية من الهادي، ولهذا أمرنا الهادي جل جلاله أن نسأله الهداية في كل ركعة من الصلاة؛ ليهدينا إليه وللطريق الموصل إليه، ويهدينا إلى معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويهدينا إلى معرفة عظمة ملكه وسلطانه، ويهدينا إلى معرفة دينه وشرعه، ويهدينا إلى معرفة ثوابه وعقابه، ووعدته ووعيده: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة / ١-٧].

فلا إله إلا الله! ما أعظم شأنه! وما أرحمه بعباده! وما أعظم نعمه على خلقه! وما أعظم حلمه على من عصاه وكفر به! ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ [البقرة / ١٤٣]. اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، يسكنون في أرضه، ويأكلون من رزقه، ويكفرون به: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ [المائدة: ٧٤].

هو الهادي الذي يهتدي خلقه إليه بالمحبوب والمكروه: ﴿وَأَخْبَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَآيَتِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ [الأعراف / ١٥٥].





الهدى، فكذب وتولى، وزاغ وانصرف، واختار الضلال، فله العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صِعْقَةٌ أَلْعَابٍ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت / ١٧].

وقال ﷺ: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [١٢٣] وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمِحْشَرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَد كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَتَيْنَا فَسَيْنَاهُ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسِي﴾ [١٢٦] [طه / ١٢٣-١٢٦].

والله سبحانه هو الهادي البصير بعباده، العليم بما في نفوسهم، الذي يهدي إلى الحق، ويوفق إليه من يعلم أنه يزكو به، ويصلح لمجاورته في الجنة: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [٥٣] [الأنعام: ٥٣].

ويضل الله من عباده من يعلم أنه لا يقبل الحق، ولا يرضى به، ولا يصلح لمجاورته في الجنة، وهو العليم الخبير بمن يستحق هذا أو هذا: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِن لَّمْ يَضِلُّ مِن يَشَاءٍ وَيَهْدَىٰ مِن يَشَاءٍ فَلَا نُذِيبْ نَفْسًا عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّا اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر / ٨].

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [٦] خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة / ٦-٧].

فسبحان الهادي الحق الرحيم بعباده الذي بين لهم سبل الهداية ليسلكوها، وبين لهم سبل الضلالة ليركوها: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام / ١٥٣].

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [٢] إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [٣] [الإنسان / ٢-٣].

هو سبحانه الهادي الكريم الرحيم، الذي بين للإنسان طريق الخير والشر، وذكره بنفسه ونعمه عليه؛ ليوحده ويطيعه ويعبده ويشكره ويستحي منه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

وقال ﷺ عن الإنسان: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْتُهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد/ ٨-١٠].

فهذا أول الهداية، وأما متنهاها فلا نهاية له، وهي التي نطلبها كل يوم من الهادي بقولنا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ٦-٧].

فسبحان الهادي الحق الذي بهدائه اهتدى جميع خلقه من جماد ونبات، وحيوان وطيور، وإنسان وجان وملك: ﴿وَكَفَىٰ بَرِيءًا هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان/ ٣١].

هو الهادي الحق الذي بهدائه اهتدى أهل ولايته إلى ما يحبه ويرضاه، والذي بهدائه اهتدى الحيوان لما ينفعه، واتقى ما يضره: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف: ١٧].

هو الهادي الذي جعلك بفطرتك موحدًا، تميل إلى حب الخير، والحق، ومحاسن الأقوال والأعمال والأخلاق، وتكره الشر والباطل، ومساوئ الأخلاق: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم/ ٣٠].

وقال ﷺ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف/ ١٧٢].

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي: «خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا» أخرجه مسلم (١).

واعلم أن الله هداك؛ لأنه علم أنك تحبه فهداك، وعلم صدقك فاصطفاك، ونظر إلى قلبك فوجده قابلاً فأعطاك: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُضِلْ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ۗ﴾ (٧٣) يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤].

ولم يهد غيرك؛ لأنه علم أنه لا يجبه فلم يهده، وعلم أنه ليس صادقاً فأعرض عنه، ونظر إلى قلبه فمنعه: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۗ﴾ (١٧) [فصلت / ١٧].

واعلم يا عبد الهادي أنك إن شكرته على نعمة الهداية والأعمال الصالحة زادك هداية: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۗ﴾ (١٧) [محمد / ١٧].

وشكر كل نعمة من الله العمل بموجبها، والدعوة إليها: ﴿اعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ۗ﴾ (١٣) [سبأ / ١٣].

الرابعة: هداية أهل الجنة للجنة، وهداية أهل النار للنار؛ فالله يهدي أهل الجنة لأعمال أهل الجنة، ويهدي أهل النار لأعمال أهل النار، هذا في الدنيا. وأما في الآخرة فيهدي المؤمنين إلى بيوتهم وقصورهم في الجنة، ويهدي الكفار إلى بيوتهم وسجونهم في النار.

قال سبحانه عن أهل الجنة: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۗ﴾ (٥٤) [الحج / ٥٤].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۗ﴾ (٩) [يونس / ٩].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٨٦٥).

وقال ﷺ: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣].  
 وقال ﷺ عن أهل النار: ﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ [٢٢] من دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات / ٢٢-٢٣].

هو سبحانه الهادي الذي دل خلقه عليه بآياته الكونية، وآياته القرآنية.

فهو سبحانه القوي، وفي كونه مظاهر القوة، من رفع السموات بغير عمد، ومن خلق هذه الأرض العظيمة، وما عليها من المخلوقات.

وهو الرحمن وفي كونه مظاهر الرحمة، وهو الهادي وفي كونه مظاهر الهداية، فالكون مظهرٌ لأسماء الله الحسنى، وصفاته العلاء، وأفعاله العظيمة، وكذا كتابه، أظهر فيه أسماءه وصفاته وأفعاله: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس / ١٠١].

وقال ﷺ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

والكون العظيم أعظم مظهر لأسماء الله وصفاته وأفعاله، وكل ما في الكون يدل على الله، وكل ما في الوجود يضع الإنسان وجهًا لوجه أمام عظمة الله، أمام قدرة الله، أمام رحمة الله، أما كرم الله، أمام جبروت الله، أمام حكمة الله، أمام علم الله، أمام ملك الله: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ [٦] وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٧] تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُثِيبٍ ﴾ [٨] وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ [٩] وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾ [١٠] رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ [١١] [ق: ٦-١١].

فاللهم اهدنا فيمن هديت، وارزقنا حسن الإنابة إليك.

فالكون وما في الكون أوسع أبواب الهدى، وأيسر طرق الهدى، فالكون هداك إلى ربك بخلقه، والقرآن يهديك إلى ربك بكلامه، فانظر في الكون والقرآن ترى الخالق العظيم

يخلق، والرزاق يرزق، والكريم يعطي، والرحيم يرحم، والهادي يهدي، والرءوف يراف؛ فلكي تعرف ربك العظيم الهادي، انظر في الكون وتدبر القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء / ٨٢].

ولكي تعرف منهج حياتك انظر في كتاب ربك، فعن طريق الكون تعرف ربك، وتؤمن بمن خلقك، ولكي تعبه اقرأ كتابه واطلع على سنة نبيه؛ فلا بد للمؤمن أن ينظر في هذا وهذا لكي يعرف ربه، ويعبده، ويكبره، ويعظمه، ويحبه، ويحمده، ويسأله.

فسبحان الهادي الذي يهدي خلقه إليه بكونه، وكتابه، وأسمائه وصفاته وأفعاله، وفطرته ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام / ٨٨].

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَهُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِلْإِسْلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام / ٧١].

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

والله سبحانه هو الهادي الذي أنزل كتبه هداية للناس، وأرسل رسله هداية للناس: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف / ٩].

وقال ﷻ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد / ٧].

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى / ٥٢-٥٣].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء / ٩].

واعلم رحمك الله أن الهادي جل جلاله يهدي عباده إليه، وإلى الطريق الموصل إليه، وإلى ما لهم بعد القدوم عليه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

فالله ﷻ هو الحق المبين، الظاهر الباطن لا خفاء به، لا إله غيره، ولا رب سواه: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

وأما سبيله الموصل إليه فهو الإسلام، وقد أفرغه في قالب العالم، وصوره في صور الخليقة، وفطر عليه كل شيء: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [٤٣]، تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء/ ٤٣-٤٤].

فكل مخلوق في العالم العلوي والسفلي مستسلم لربه، خاضع لعظمته، شاهد بوحدانيته، مسبح بحمده، مستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْتَكْبِرُونَ﴾ [٤٩]، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل/ ٤٩-٥٠].

وكل مخلوقاته تهدي إليه، وتشير إليه، وكلها ساجدة لعظمته، متصاغرة لكبريائه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتِ كُلُّ قَدِّعِلْمٍ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [٤١]﴾ [النور: ٤١].

ثم كتابه العزيز أظهر فيه ما أبطن في الخليقة، وأبدى في سورة وآياته ما أخفاه في العالم، ونص فيه على ما أجمله في المخلوقات، وجمع فيه ما فرقه في الموجودات، وأشار بجملته إلى ما حواه اللوح المحفوظ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [٤١]، لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [٤٢]﴾ [فصلت/ ٤١-٤٢].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [٨٩]﴾ [النحل/ ٨٩].

فمن آمن به فقد اهتدى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [٢]، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [٢]، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [٤]، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٥]﴾ [البقرة/ ٢-٥].

واعلم أن الله مالك لكل شيء، وغني عن كل شيء، وكل ما سواه محتاج إلى كل شيء: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر / ١٥].

وإرادة الإنسان نزوع نفسه إلى شيء يكمل به نقصه، وضعفه، وحاجته، بأكل أو شرب أو ملبس أو مركب ونحو ذلك، أما إرادة الله فهي حكمه على الشيء، وإذا حكم سبحانه فلا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه؛ فكل شيء مستجيب لمشيئته، ومسرع إلى إرادته ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [سجدة / ٨٢] ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِينُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس / ٨٢-٨٣].

واعلم زادك الله علماً وإيماناً و يقيناً أن جميع المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي مسخرة في عبادة الله، وجميع الإنس واجن مخيرون، وإرادة الله مع المسخرات أمر، وإرادته مع المخيرات سماح بالفعل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠﴾ [لقمان / ٢٠].

سبحان الهادي الذي هدى جميع مخلوقاته لعبادته: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۝١٨﴾ [الحج / ١٨].  
وقال ﷻ عن مخلوقاته المخيرة من الإنس والجن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝٢٧﴾ [التكوير / ٢٧-٢٩].

وقال الله ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ [الأنعام / ٢٩-٣٠].  
﴿عَمَلًا ۝٣٠﴾ [الكهف / ٢٩-٣٠].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١].

فسبحان ربنا العظيم الذي يسوق بإرادته ظالمًا لظالم، ويسوق من لا يعرفه إلى من يعرفه، ليؤدبه فيتوب إلى ربه: ﴿وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف / ١٦٨].

وإرادة الله مع الإنس والجن إرادة إذن وسماح، فيأذن سبحانه للعبد أن يفعل المحرم حينما تعلق الشهوة، ويشد الإصرار، ولكنه لا يرضى بذلك، ويصرفه عن الشهوة المحرمة رحمةً به إذا لم يكن هناك إصرار، كما قال الله ﷻ عن يوسف ﷻ: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف / ٢٤].

وإذا أذن الله لهذا الإنسان بفعل شيء محرم فإنما يطلقه على من يستحق التسليط؛ ليؤدبه ليتوب إلى ربه: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّدُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام / ١٢٩].  
وإذا أراد الله هداية أحد أو إضلاله فتلك هي الإرادة الإلهية الجزائية المبنية على إرادة الإنسان الاختيارية: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام / ١٢٥].

فمن أراد الهداية واختارها أعانه الله فشرح صدره للإسلام، ومن أراد الضلالة ضيق الله عليه نفسه، وعثر أموره، ليتوب إليه، وهذا وهذا كله من رحمة الله بالعبد: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجنات: ٣٦-٣٧].

وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، هو الذي يقلب القلب لصالح العبد، فإن شاء العبد الهدى شرح الله صدره للهدى، وإذا شاء الضلالة ضيق الله



صدره، ليكف عن الشر، ويتوب إلى ربه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

ولهذا جعل الله القلوب كلها بيده، لسعة وعظمة رحمته بعباده: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [٢٦] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [٢٧] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [٢٨] [النساء/ ٢٦-٢٨].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [٧] [غافر/ ٧].

واعلم رحمك الله أن نور الهداية إذا دخل في القلب انشرح له الصدر، وانشرح الصدر اتساعه للصفات المحمودة التي يحبها الله من الإيمان واليقين، والصدق والتقوى، وانبساط تلك الصفات على أضدادها المذمومة التي يضيق بها الصدر: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [٢٢] [الزمر/ ٢٢].

فإذا أراد الله جل جلاله أن يبلغ بعبده إلى معاني الإيمان واليقين، أنزل السكينة في قلبه فزاد إيمانه، وزادت تقواه، ثم حسنت أفعاله وأخلاقه، وسكنت مساوئ طباعه، وأبعدت سفال أخلاقه، وانقادت الجوارح للقلوب، وكانت عوناً لها على ما يرضي الرب جل جلاله ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [٤] [الفتح/ ٤].

ومن يرد الله أن يضلّه يطفى نور قلبه، فيضيق متسع أخلاقه ويزهد بمعاليتها، ويمتلئ بأضدادها؛ فيثقل عليه كل عمل صالح، ويخرج لذلك صدره، لشدة ظلمته، وضيق باطنه، كأنها يروم الصعود إلى السماء من الضيق والشدة والظلمة: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٦٥] [الأنعام/ ١٢٥].

فمن أراد الوصول إلى محبوه ومعبوده فعليه بمعرفة ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة نعمه وإحسانه، ومعرفة جلاله وجماله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

واعلم أن من آمن بالله وأطاعه، وصبر على بلائه، فهو من المهتدين حقاً: ﴿وَلَنَبَلِّغُكُمْ  
بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا  
أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ  
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

والله سبحانه هو الهادي الحق الذي يرشد عباده إلى كل خير ينفعهم في الدنيا والآخرة. وهو الهادي الذي أرشدهم إليه بآياته الكونية وآياته الشرعية، وأسمائه الحسنی، وصفاته العلا، وأفعاله الجميلة: ﴿وَكَفَىٰ بَرِّيكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان / ٣١].

هو سبحانه الهادي الحق الذي أرشد عباده إلى ما يحبه ويرضاه، وبصرهم بسبل الفلاح والنجاح والنجاة، الهادي الذي أنزل على خلقه من آياته ما يرشدهم إليه، وما يرشدون به: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ  
وَصَّيَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام / ١٥٣].

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ  
شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران / ١٠٣].

فلا إله إلا الله الملك الحق الهادي، الذي أرشد جميع مخلوقاته إلى توحيدهِ، وفطرهم على الإيمان به، وأشهدهم على ربوبيته، واستعملهم في عبوديته من جماد ونبات وحيوان، ومن ملك وإنس وجان: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ  
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُسْكَرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٤٩-٥٠].

كل عالم من المخلوقات التي خلقها الهادي جل جلاله يسقيه الله بكأسه، وكل عالم يسبح بحمده، وكل عالم يشهد بتوحيده، وكل عالم خاضع لأمره، وكل عالم يخاطب بعجزه وفقره إلى ربه، فلا إله وحده لا شريك له ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج / ١٨].

فاطلب العلم رحمك الله تسلم من الجهل، وارغب إلى مولاك الهادي أن يوفقك ويهديك إلى أحسن ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [٣] مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ [٤] إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [٥] أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ [٦] صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ [٧]﴾ [الفاتحة / ٢-٧].

واعلم هداك الله لما يسعدك في دنياك وأخراك أن العلم الإلهي هو سلاح المجاهدة، ونور البصيرة، ومركب النجاة، وأصل الهداية والاستقامة: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد / ١٩].  
﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِئٌ بِأَنَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ٩].

فبالعلم الإلهي يشرف العبد، وبالعلم الإلهي يطلع الإنسان على معالم الدنيا والآخرة، فيرى ما لا يدرك بالحواس، ويبصر ما لا يدرك بالأبصار، ويعلم ما يعجز عنه الفكر، ولا يتوهمه الذهن، فيقف بين يدي ربه العلي العظيم، قائمًا وساجدًا، وحامدًا وشاكرًا، وسائلًا ومستغفرًا، مع ذل الانكسار له، وشدة الحياء منه، وعظمة الحب له، وعظمة الخوف منه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال / ٢-٤].

واعلم أن من وفقه الهادي للوصول إليه فقد اهتدى، ووصل عقله بروح الإيمان إلى رؤية ربه الخالق الرحمن، وأشرق قلبه بنور الإيمان الواصل إليه، وامتلاً صدره من ذلك النور: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيَّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام / ١٢٢].

هذا العبد الذي وفقه الله ﷻ معرفته، والوصول إليه، والاهتداء بهداه، هو المفلح حقاً، هو الفائز حقاً، هو الناجي حقاً؛ لأنه يشاهد الملك الحق يدبر، والخالق يخلق، والمصور يصور، والرزق يرزق، والكريم يعطي، والرحيم يرحم، والحكيم يحكم، والعزيز يعز، والجبار ينتقم، والقوي يقهر، والسلام يسلم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

فاعلٌ رحمك الله بهمتك لمعرفة الملك جل جلاله، ومعرفة الملك والملكوت، ومعرفة مالك الملك؛ لترى العظمة والعظيم، والقدرة والقدير، والعزة والعزيز، والرزق والرزاق، والحكمة والحكيم، والعلم والعليم، والقوة والقوي، واللطف واللطيف: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَهُمْ فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ [الأعراف / ١٨٥].

واعلم رحمك الله أن من أجال فكره في ذلك ابتغاء مرضاة الله صفى له قلبه من كدر الشرك والشبه وسوء الأخلاق، وامتلاً قلبه بشعب الإيمان: ﴿وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ [فاطر / ٢٨].

والعلم يورث الخشية، وعظيم الأجر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ [الملك / ١٢].

ومن رضي بأول العلم، وظاهر الأمر؛ حُجب عن الإصابة في كثير من أموره وبقي على كدره بغير تهذيب، فخلط عملاً صالحاً، وآخر سيئاً: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر / ٣٢-٣٣].

واعلم أن الأفكار لا تدرك غوامض الأسرار ما دامت في حجب الكبر والغرور، ولا تبصر عيون الغيب ما دامت محجوبةً بالجهل والغفلة؛ فتحرر من الهوى، وتبرأ من حولك وقوتك، والبس لربك لباس الخشوع، وأكثر إهمال الدموع، لعله يعطيك ويهديك ويرضيك: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة / ١٨٦].

واعلم هداك الله لما يحبه ويرضاه أن النفوس إذا عكفت على محبوباتها، وسُجنت الأذهان في أهوائها، عاقها عدم الصفو، وقلة اعتياد السفر والهجرة إلى مولاها، فقعدت على موائد الدنيا، وحبستها موائد شهواتها، وأصمتها المشاهدات، وشغلها هوى المحبوب عن هدى الرب المعبود، فخرست مولاها ودنياها وأخراها: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف / ١٧٩].

فاللهم اهدنا فيمن هديت، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. واعلم أن المؤمنين من الإنس والجن، هم المهتدون الذين قبلوا الهدى والرشد، وسلكوا سبيل الرشاد، واجتنبوا ما سواه، كما قالت الجن: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن / ١-٢].

والراشدون من البشر هم المؤمنون وهم درجات، وفي مقدمتهم الرسل والأنبياء، ثم الصديقون والشهداء والعلماء والصالحون: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ [النساء / ٦٩-٧٠].

فهؤلاء هم الراشدون الذين هداهم الهادي إلى الرشد، وتولاهم بالحفظ والنصر والعون؛ لأنهم يوالونه بالتوحيد والإيمان والطاعات: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ ﴿٧﴾ فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ [الحجرات / ٧-٨].

ولكل مؤمن من الهدى والرشاد، والولاية والمقام، والأجر والثواب وإجابة الدعاء؛ بقدر إيمانه وبقينه، وطاعته وعبادته، وتعليمه ودعوته: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَى تَحَرُّرٍ تُنجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ نَاعِمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٣﴾ [الصف / ١٠-١٣].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران / ١٠٤].

### التعبد لله ﷻ باسمه الهادي

اعلم رحمك الله أن من آتاه الله هدايةً خرج بها من الضلالة، وآتاه علماً خرج به من الجهل، وآتاه استقامةً خرج بها من الانحراف، وجب عليه ما لم يجب على غيره من

حسن العبادة لله، والدعوة إلى الله، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه، والنصح لعباده، كما قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿يَتَأْتِيَ إِنِّي قَدْ جَاءَ فِي مِصْرٍ أَلِيمٌ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم / ٤٣].

وإذا خصك الكريم الهادي بنعمة الهداية؛ فكن هاديًا إليه بلسانك، وحالك، وأخلاقك ومالك: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

وكن عبدًا سامعًا مطيعًا لمولاك الهادي، ولا تقعد إلا متفكرًا، ولا تنظر إلا معتبرًا، ولا تنطق إلا ذاكراً أو حامداً أو مستغفراً أو معلماً أو داعياً؛ لتكون ربانياً من أولي الألباب ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران / ١٩١].

وعود عينيك بعد أن هداك الهادي إليه على السهر آخر الليل في مناجاة مولاك في السحر، ففي الظلم الداجية توجد الأنوار الغائبة، لعلك تفوز مع الفائزين الذين: ﴿نَتَجَافَىٰ جُنُوبِهِمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] فلا تعلم نفسٌ ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴿[السجدة / ١٦-١٧].

فما أحسن أعمالهم، وما أعظم ثوابهم: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [١٥] ءأخِذِينَ مَا آتَاهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ إِتْمَامًا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هُمُومًا وَلَا تَوَلَّوْا سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ [الذاريات / ١٥-١٩].

وتطهر للوقوف بين يدي مولاك، وتضرع منكسراً بين يدي ذي العزة والجبروت، وذي الملكوت والكبرياء والعظمة: ﴿يَأْتِيهَا الْمُرْمِلُ﴾ [١] ﴿فَرِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٢] يَصْفَهُ؛ أَوْ انْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ [المزمل / ١-٤].

وتجرد حين وقوفك بين يدي من لا يخفى عليه شيء من كل دعوى في كل علم كنت تعمله، وكل عمل قمت به، واستغفر من كل ذنب تعلمه أو لا تعلمه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا

فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ، مَا زَكَى مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ [النور / ٢١].

واعلم يا عبد الهادي أن أبواب الهداية مفتوحة، وسبلها مسيرة بعدد الذرات والمخلوقات؛ فاتبع آثار الخالق في مخلوقاته، وآثار المصور في مصوراته، واستشهد شواهد في مصنوعاته، وانظر إلى حسن تصويره لمصوراته، وتفكر في عظمة كبريائه، وجلاله وجماله، وقدرته وقوته، وحسن تدبيره وتصريفه للمكوتة؛ ليمتلئ قلبك بتوحيده: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُنْقِنُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَإِنِّي تُصَرِّفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس / ٣١-٣٢].

﴿إِنِّي رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالسَّمَاسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِي ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

وبذلك تزداد إيماناً و يقيناً ومعرفةً بمن هداك إليه: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس / ١٠١].

وتعلم أسماء الله الحسنى؛ فهي أعظم مفاتيح العلم والمعرفة والهداية؛ وبها تفتح مغاليق المنظور والمستور والمشتبه، ويظهر لك الظاهر ما أبطنه عن غيرك من لطيف تدبيره وعجيب صنعه في مخلوقاته: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد / ١٩].

فما خلق الله ما خلق في السماوات والأرض إلا ليظهر لنا أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة في مخلوقاته؛ فاعلم ذلك، ولا تكن من الغافلين؛ فربك ليس بغافل عنك: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف / ٢٨].



﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [١٢] [الطلاق / ١٢].

واطلب رحمك الله جميع حوائجك من ربك الصمد، وارفع إليه كل شكوى، متوسلاً إليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وقل يا هادي اهديني، يا رحمن ارحمني، ويا عفو اعف عني، ويا رزاق ارزقني، ويا عليم علمني: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۗ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١٨٠] [الأعراف / ١٨٠].

وكما هدك ربك إليه؛ فاجتهد في القيام بين يديه، وهداية الناس إليه، وعرفهم بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ ليكبروه ويعظموه، ويحبهه ويمجده، ويطيعوه ويعبدوه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [١٣٥] [النحل / ١٢٥].

واعلم يقيناً أن ربك الهادي أرشدك إليه، وأرشدك إلى ما يحبه ويرضاه، فاعمل بما أرشدك إليه، واحذر مخالفته؛ فإنك راجع إليه: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [١١] [الحديد: ٢١].

وأرشد العباد إلى ما أرشدك ربك إليه؛ من كافر تدعوه، أو جاهل تعلمه، أو ضال ترشده؛ تكن من الراشدين المفلحين: ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٠٤] [آل عمران / ١٠٤].

واحذر من معصية الله ورسوله؛ لئلا تشقى في دنياك وأخراك: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [١١٥] [النساء / ١١٥].

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [١٣] [النور: ٦٣].

واعلم أن من عرف ربه ﷻ باسمه الهادي أحبه وحمده وشكره، وعظمه وكبره؛ لما أبان لعباده من الحق، والآيات البيّنات الدالة على وجوده، ولكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، ولما أنزل من الكتب، وأرسل من الرسل: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبْنَوتُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد / ٩].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يفتقر إلى ربه الهادي في طلب الهداية له وللمؤمنين، كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكُ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة / ١-٧].

وأن يسعى كذلك إلى أن يكون هادياً إلى الله وإلى صراطه المستقيم، وذلك بالدعوة إلى الله، ونشر العلم الشرعي بين خلق الله، وبيان الحق للناس، وترغيبهم فيه، وبيان الباطل وتحذيرهم منه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف / ١٠٨].

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة / ١٥-١٦].

وكان النبي ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَائِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

واعلم يا عبد الهادي رحمك الله أن من أعظم أسباب الهداية كثرة ذكر الله ﷻ في كل حال، وكان النبي ﷺ يذكر الله في كل أحيانه؛ وذلك لأن من ذكر الله أطاعه ولم

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٧٠).

يعصه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٣].

ومن أسباب الهداية المحافظة على الصلاة فرضها ونفلها كما جاءت في أوقاتها: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النُّهَارِ وَرُفُلًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبْنَ بِالسَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود / ١١٤].

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنِّي الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت / ٤٥].

ومن أسباب غض البصر عما حرم الله، فمن غض بصره أنار الله بصيرته، ومن أطلق بصره أظلمت بصيرته: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خِطْمِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴿٣١﴾﴾ [النور / ٣٠-٣١].

فاعمل ما تشاء فإنك ملاقيه: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق: ٦].

واكتب بقلمك وجوارحك ما تشاء فإنك ستقرؤه غداً، واسمع ما تشاء فإنك ستراه غداً: ﴿يَوْمَ إِذِ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

واعلم أن الهداية أنواع كثيرة لا تحصى، وأبواب الهداية كثيرة لا تحصى، وأعظم شيء سؤال ربك الهداية في كل مكان وزمان وحال.

ومن أنواع الهداية التي يطلبها العبد من ربه الهادي:

الهداية إلى الصراط المستقيم، والهداية إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والهداية إلى معرفة دينه وشرعه ووعده ووعيده، والهداية إلى العمل الصالح، والهداية إلى الدعوة إلى الله، والهداية إلى الإحسان، والهداية إلى حسن الخلق، والهداية إلى التقوى، والهداية إلى البر، والهداية إلى معرفة ما في اليوم الآخر من الثواب والعقاب، ومعرفة ما في الجنة والنار من النعيم والعذاب.

ومن سأل ربه الهادي صادقاً وجاهد للوصول إلى الهداية هداه الله سبل رضاه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [٦٩] [العنكبوت / ٦٩].

• ومن أسباب الهداية:

١- تلاوة القرآن وتدبره: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١٦] [المائدة / ١٥-١٦].

٢- طاعة الرسول ﷺ في كل ما أمر الله به؛ ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [١٥٨] [الأعراف / ١٥٨].

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور / ٥٤].

٣- امتثال أوامر الله؛ بفعل الأوامر، واجتناب المناهي، وذلك من أعظم أسباب الهداية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ [٦٦] [النساء: ٦٦-٦٨].

﴿وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [٦٨] [النساء: ٦٦-٦٨].

وعلى من هداه الله إلى ما يحبه الله ويرضاه أن يدعو لنفسه ولغيره بالهداية، ويستقيم على أوامر الله في جميع أوقاته: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١١١] [النور / ١١١].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١١٢] [النور / ١١٢].

﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١١٣] [النور / ١٦١-١٦٣].

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٥٢] [الشورى / ٥٢-٥٣].

﴿وَالْأَرْضُ ظِلٌّ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [٥٣] [الشورى / ٥٢-٥٣].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالتَّقَىٰ، وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.  
وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وإذا أردت أن تسأل ربك الهداية؛ فمجد ربك، واحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى؛  
ثم سله الهداية لك ولغيرك: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ تِلْكَ يَوْمَ  
الَّذِينَ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ  
الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة / ١-٧].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾  
[آل عمران / ٨].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ  
﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء / ٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا  
أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ،  
تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» أخرجه أبو داود والترمذي<sup>(٣)</sup>.

اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب  
والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهديني لما اختلف فيه من الحق  
بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم اهدنا، واهد بنا، واجعلنا سبباً لمن اهتدى يا رب العالمين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢١).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٩٣٧)، ومسلم برقم (٢٥٢٤)، واللفظ له.

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥)، وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤) وهذا لفظه.



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الصادق

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الصادق

الله جل جلاله هو الصادق الحق في كل ما يخبر به، فهو الصادق في قوله الحق، وهو الصادق في دينه الحق، وهو الصادق في وعده ووعيده، وهو الصادق الذي لا يخلف الميعاد: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وهو سبحانه الصادق بتوفية العاملين بطاعته أجورهم، ومضاعفة الحسنات لهم، وتكفير سيئاتهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصِّدْقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف / ١٦].

وهو سبحانه الصادق الكريم الذي يضاعف الحسنات، ويمجزي السيئة بمثلها، ويمحطها عن المسيء بالتوبة، أو الاستغفار، أو الحسنات الماحية، أو المصائب المكفرة: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء / ١١٠].  
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي الْتِهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلْيَلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرْتِ لِلذَّكْرَيْنِ﴾ [هود / ١١٤].

هو جل جلاله الصادق الذي لا يخلف الميعاد: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الأنعام / ١٤٦].

والصديق من الناس الكثير الصدق، الذي استوى ظاهره وباطنه في حكم الحق، فمن صدق بآيات الله، وأجال فكره في ملكوت السماوات والأرض، لا يكاد يمر بآية من آيات الله، أو يرى عجائب مخلوقات الله؛ إلا ازداد بها إيماناً و يقيناً وتصديقاً بأن ربه هو الملك الحق، الرب الحق، الإله الحق، وأن دينه الحق، ورسله حق، وكتبه حق، ووعد



حق: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمْ أَوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ  
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾﴾ [الرعد / ١٩ - ٢٠].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات / ١٥].

واعلم أن الصديق أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل، وثواب الصدق الرضوان والجنة  
يوم القيامة: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة / ١١٩].

والصديق الذي صدق الله في آياته وشواهدة، وصدق بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله  
وخزائنه، ووعدته ووعيدته، وصدق برسله، وملائكته، وكتبه، وقضائه وقدره،  
وأحكامه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾  
[الزمر / ٣٣].

وقد ورد اسم الله الصادق في القرآن الكريم مرة واحدة؛ في قوله سبحانه في سورة  
الأنعام: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام / ١٤٦].

هو سبحانه الصادق في أخباره وأحكامه، وفي دينه وشرعه، وفي وعده ووعيدته: ﴿لَقَدْ  
صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ  
رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح / ٢٧].  
فدخلوا أعزة مكرمين.

وقال أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَّهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ  
حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر / ٧٤].

فسبحان من أخباره صدق، وأحكامه صدق: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ  
لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام / ١١٥].

هو سبحانه الصادق الذي وعد الصادقين بحسن الجزاء: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة: ١١٩].

هو سبحانه المؤمن الصادق الذي وحد نفسه، وشهد على نفسه أنه المتفرد بأسائه الحسنی، وصفاته العلی، والعبودية له وحده لا شريك له: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران / ١٨].

هو سبحانه الصادق الذي وقع كل ما أخبر به، وكل ما قدره وكتبه، وشاءه، صادق الوعد، فلا بد من حصول ما وعد به وما توعد به: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة / ٧٢].  
 ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة / ٦٨].

فالمؤمن الذي آمن بالله فصدق أخباره، وطبق أحكامه، وامثل أوامره، واجتنب نواهيه يثق بصدق وعد ربه العظيم، فيعلم أن الصادق سبحانه لا يخلف الميعاد. فمن آمن وعمل صالحًا سيدخله الجنة، ومن كفر بالله وعصاه سيدخله النار: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

والصدق صفة ذاتية لله ﷻ؛ لأن الله هو الحق، والحق لا يقول إلا الحق، وقوله أصدق القول، وحديثه أصدق الحديث: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنعام / ١١٥].

ومن لوازم الصدق ومظاهره اتفاق الكتاب المشهود مع الكتاب المقروء في الدلالة على وحدانية الله، وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، وكل واحد منهما يصدق الآخر: ﴿قُلْ

أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾  
[يونس / ١٠١].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿الْم ١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة / ١-٢].

هو سبحانه الصادق في كل ما أخبر به، هو الصادق الذي أمر الداعين فدعوه فأجابهم: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر / ٦٠].

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْرَضًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء / ٨٧-٨٨].

وهو الصادق الذي وعد السائلين فأعطاهم، وأجاب دعاءهم: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۚ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة / ١٨٦].

وهو الصادق الذي وعد التائبين من الذنوب بالتوبة فتاب عليهم: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة / ٣٩].

وهو سبحانه الصادق الذي وعد الخائفين فسألوه الأمن فأمنهم: ﴿لَا يَلْفِيفُ قَرْشٍ مِنْهُمْ إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش / ١-٤].

وهو سبحانه الصادق الذي وعد الضالين بالهداية فسألوه الهداية فهداهم.

قال عَجَبٌ فِي الْحَيْثِ الْقَدْسِيِّ: « يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ »  
أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وهو سبحانه الصادق الذي وعد المؤمنين بالأمن فأمنهم: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا  
إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأَنْعَامُ / ٨٢].

وهو سبحانه الصادق الذي وعد المطيعين بالثواب العظيم فأثابهم بما وعدهم به: ﴿فَلَا  
تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجْدَةُ / ١٧].

فهو سبحانه الصادق الذي لا يخلف الميعاد: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ  
قِيلًا﴾ [النِّسَاءُ / ١٢٢].

هو سبحانه الصادق الذي أرسل رسوله بالصدق، وهياً له من يؤمن به  
ويصدق: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَرُ / ٣٣].

هو سبحانه الصادق الذي وعد رسله بالنصر فنصرهم، وأظهر دينه بواسطتهم: ﴿هُوَ  
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۗ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصَّفِّ / ٩].

هو سبحانه الصادق في عدله وإحسانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكْ حَسَنَةً  
يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النِّسَاءُ / ٤٠].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النَّحْلُ / ٩٠].

هو سبحانه الصادق الحق، الذي الصدق كله في معاهد كلماته الصادقة، في دينه وشرعه،  
وفي عهده وميثاقه، وفي خلقه وأمره، وفي بسطه وقبضه، وفي عطائه ومنعه، وفي نصره  
وخذلانه، في وعده ووعيده: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأَنْعَامُ: ١١٥].

خلق الله جل جلاله كل شيء، وجعل خلقه وأمره شواهد على قدرته، وكمال أسمائه  
وصفاته وأفعاله، وجعلها نواطق على صدقه وعدله وإحسانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزَلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَ مَا أَفْعَلْنَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ [الطلاق / ١٢].

فسبحان الصادق الحق الذي لا أصدق منه، الصادق الذي يملك خزائن الصدق كلها، والذي خلق الصدق في كل صادق، وأظهر صدقه في جميع ملكوته.

خلق الصادق الحق سبحانه آدم ﷺ بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وصدقت كلمته في ذريته في طباعهم، وأخلاقهم، وأجسامهم، وصفاتهم، وأقوالهم، وأعمالهم، وأرزاقهم، وأجالهم، فأمن آدم ﷺ وأمنت ذريته، وأطاع فأطاعت ذريته، وصدق فصدقت ذريته، وجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفَلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين / ٤-٨].

وخلق الله ﷻ آدم ﷺ من قبضة من الأرض، فيها السهل والحزن، والأبيض والأسود، واللين والشديد، والطيب والخبث، فخرجت ذريته على مثل ذلك صدقاً وعدلاً: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦-٨].

فانظر رحمك الله إلى صدق الكلمة التامة في آدم ﷺ وذريته: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات / ٢٠-٢٢].

والأرض عالم كبير، وخلق عظيم، لها نسل وذرية عظيمة من النباتات المختلفة التي لا يحصيها إلا الله العليم بكل شيء: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الشَّرَاةِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مِّنْ مَّجْرُورَاتٍ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ وَصِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفْضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد / ٣-٤].

ولما كان من الأرض ما يخرج نباته بإذن ربه طيباً كالزروع، والزيتون، والنخيل، والرمان، والعنب، والفواكه، وغير ذلك من الثمار الطيبة؛ فكان من ذرية آدم الأنبياء والرسل، والمسلم، والمؤمن، والصادق، واللطيف، والمحسن، والكريم، والرحيم، والشاكر، والطيب، والحليم، ونحوهم.

ولما كان من الأرض ما لا ينبت؛ كالسبخ والبقاع الجذبة، ورؤوس الجبال الحجرية؛ كان من ذريته ﷺ الكافر القاسي الذي لا ينتفع بالهدى، كما لا ينتفع الحجر بالماء، وكان منهم المجرم والخبيث، والظالم والفاسق، والغليظ والكريه، ونحوهم، ولما كان من الأشجار الشائكة ما منظره حسن، وريحه طيب، وقد يطلع القبيح المنظر منها زهراً، وينضج ثمراً؛ كان من ذريته المنافق والمرائي بعمله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّئُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج / ٥-٧].

وفي السماء آيات، وفي الأرض آيات، وفي الأنفس آيات، وفي الآفاق آيات وكلها تشهد بوحدانية الله: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت / ٥٣].

فانظر رحمك الله في ملك الله الواسع العظيم؛ لتزداد إيماناً و يقيناً ومعرفةً بربك العظيم، ثم تحبه وتحمده وتشكره وتعبده: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مِثْنًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق / ٦-١١].

فما أعظم سريان صدق الكلمة بين آدم ﷺ وذريته! وبين الأرض ونباتاتها! ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام / ١١٥].

فلا إله إلا الله! كم في الأرض من آيات وعبر وشواهد تشهد بوحداية الله، وعظمة أسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه، ولكن لا يراها إلا أهل الأبصار والبصائر، مع أنها أبين وأظهر من نور الشمس! ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج / ٤٦].

واعلم أن طرق معرفة صدق كلمات ربنا في أطباق خليقته، وتدابير أمره في السماوات والأرض مما لا تحيط به العقول، ومما تقصر دونه الأعمار والقرون: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤]. فسبحان ربنا الصادق الحق الذي لا يكذب صادقاً، ولا يصدق كاذباً، الذي من صدق الله في طلبه صدق في وعده.

وسبحان الصادق الذي لا أصدق منه، العظيم الذي لا أعظم منه، الكبير الذي لا أكبر منه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

واعلم رحمك الله، وجعلك من الصادقين، أن الله ﷻ هو الصادق الحق، وأن الصدق صفة من صفاته العلي التي لا تنفك عنه أبداً، فهو الصادق حقاً في خبره وأمره، وفي وعده ووعيده، وكلماته تامات من كل وجه، صادقات من كل وجه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢].

ورسله صادقون، وملائكته صادقون، وكتابه صادق كما أنزله، ورسوله صادق بما بينه: ﴿فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن / ٨]. فعليك بالصدق والتصديق بكل ما جاء عن الله ورسوله في إيمانك وأعمالك؛ تكتب من الصادقين: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

واعلم رحمك الله أن الصّدق من الصفات العليا الرفيعة، والحلي الثمينة الغالية، والألبسة الجميلة الفاخرة، فالبسها في جميع أوقاتك وأحوالك تُعرف بذلك، وتَنَلْ أَجْرَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِينَ وَالْقَانِينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالصّٰدِقَاتِ وَالصّٰبِرِينَ وَالصّٰبِرَاتِ وَالْخٰشِعِينَ وَالْخٰشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصّٰتِمِينَ وَالصّٰتِمَاتِ وَالْحٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحٰفِظَاتِ وَالذّٰكِرِينَ اللّٰهَ كَثِيرًا وَالذّٰكِرَاتِ أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب / ٣٥].

واعلم وفقك الله هده أن باب الصّدق التقوى؛ فادخل منه تجد الصّدق، وتكن من الصادقين: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ [التوبة / ١١٩].

والصدق من أحسن الصفات، ومن صدق الله في طلبه زينه الله به: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطٰنًا نّٰصِرًا ﴿٨٠﴾ [الإسراء: ٨٠].

واعلم أن الصدق مفتاح أبواب البر كلها، فافتح به ما تشاء من أبواب الخير، يرضى الله عنك، ويكتبك مع الصادقين: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصّٰدِقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ [الزمر / ٢٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إِنَّ الصّٰدِقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكٰذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذّٰبًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم أن ما يحبه الله ويرضاه من الطاعات إما أن تكون ظاهرة على الجوارح، أو باطنة في القلب، فحكم الجوارح المسارعة إلى ما يرضي خالقها بصدق النية في إنفاذه ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أدائه، وحكم ما بطن في القلب التصديق بالله، وأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الحميدة، وصدق النية في التقوى، والحب لله، والذل له، والتعظيم له:

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٤)، ومسلم برقم (٢٦٠٧)، واللفظ له.



﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ ۖ فَنَ كَانِ يَرْجُو أَفْقَاءَ رَبِّهِ ۖ فَلَيعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ۝۱۱۰﴾ [الكهف / ۱۱۰].

وإياك والكذب، فما هلك هالك إلا بالكذب على الله ورسوله ودينه وخلقه: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۝۳۲﴾ [الزمر / ۳۲].

وعليك بالصدق الذي به نجاتك في الدنيا والآخرة، فالبسه في جميع أحوالك، وجاهد نفسك عليه، فالصدق يحتاجه الإنسان من بدء إيمانه إلى أن يلقي ربه، ليصل إلى أعلى درجات الصديقين بكمال الإيـان والتقوى والطاعة لله ورسوله: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۖ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۝۶۹﴾ [النساء / ۶۹-۷۰].

والإيمان بأن الله ﷻ هو الصادق يقتضي من المؤمن التصديق بكل ما أخبر الله ورسوله به، والإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ويقتضي السعي والعمل؛ لنيل الأجر والثواب، والاتصاف بالصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿التَّابُونَ الْعَبِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّابِقُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ۝۱۱۲﴾ [التوبة / ۱۱۲].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝۷۱﴾ [التوبة / ۷۱-۷۲].

واعلم أن من سأل الله صادقاً أجاب دعاءه، والأنبياء والأولياء صدقوا في يقينهم وفي دعائهم؛ فاستجاب الله لهم.

فإبراهيم عليه السلام: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَبَجَيْنَهُ وُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء/ ٦٨-٧٣].

﴿وَنوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَجَعَلْنَاهُ وَاَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَضَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء/ ٧٦-٧٧].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۗ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۗ وَكَذَلِكَ نُفَصِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٩٠].

## التعبد لله ﷻ باسمه الصادق

حظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون صادقاً مع ربه بتوحيده وإيمانه، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١٩) [التوبة/ ١١٩].

فكن صادقاً في جميع أمورك، والزم الصادقين؛ تزدد إيماناً وصدقاً، وهدايةً وعلماً: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨) [الكهف/ ٢٨].

واعلم يا عبد الصادق أن برهان الصدق البذل والعطاء لإعلاء كلمة الله، فاحفظ أوقاتك فيما ينفعك وينفع الناس، وابذل ما تملك من قوة وعلم ومال فيما يحبه الله ويرضاه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (١٥) [الحجرات/ ١٥].

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١) ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦٢) لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (١٦٣) [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

واعلم وفقك الله لهده أن الصديقية أفضل مراتب البشر بعد الأنبياء والرسل، وأهلها في مقعد الصدق عند ربهم يوم القيامة؛ فالصديق يصحب النبي في نبوته، والرسول في رسالته، والصديق في صديقيته، والتقي في تقواه، والرحيم في رحمته، والمؤمن في إيمانه، والكريم في إكرامه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ (٥٤) في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مُّقَدِّرٍ (٥٥) [القمر/ ٥٤-٥٥].

فاسأل الصادق أن يرزقك صفة الصدق: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) [البقرة: ١٨٦].

واعلم أن العبد إذا عبد ربه بالصدق؛ أوصله ذلك إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وهذا العلم يوصله إلى اليقين، واليقين يوصله إلى مقام التوكل على الله، وصدق

التوكل يورثه الغنى عما سوى الله، والرضا عن ربه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق / ٢-٣].

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد / ١٩].

واعلم أنه كلما ارتقى المؤمن في درجات الصدق زاد بره، وإخلاصه، وإيمانه، وبقينه، وحيائه، وطمأنينته، ونزل عليه من العزيمة بقدر صدقه؛ لأنه لا يرى في الكون إلا رباً واحداً يفعل ما يشاء وحده لا شريك له: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا يَذَكِّرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا بَدَأَ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد / ٢٨-٢٩].

وإذا دخلت العزيمة في القلب؛ ارتحل منه حب الدنيا، والتعلق بشهواتها، وحل مكانه حب الله والدار الآخرة، وبذل كل شيء من أجل رضاه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات / ١٥].

والصادقون هم الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه؛ فأعطوا جهدهم فيما بينهم وبينه بالصدق، فهداهم إليه، وإلى ما يجب، وجعلهم من الصادقين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت / ٦٩].

واعلم رحمك الله أن الفتح سبحانه إذا فتح للمؤمن باب الصدق، صار صديقاً؛ فرأى ببصره وبصيرته نور الهداية، وقام على قلبه ولسانه وجوارحه شاهد الصدق، وبدت له فتوحات الحق، ورأى الخالق الرزاق يخلق ويرزق، ورأى الملك الحق يتصرف في ملكه وعبيده، وذاق طعم الأذكار، وحلاوة الإيمان، وصدق اليقين، ورأى حلول الأنوار في الصدور والقلوب: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [النور: ٣٥].

﴿أَوْ مَن كَانَ مِئًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام / ١٢٢].

واعلم أن أول الصديقية: الإيـان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وتصديق رسل الله وكتبه، والعمل بها جاء عن الله ورسوله، وترك ما سوى ذلك: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴿١٩﴾﴾ [الحديد / ١٩].

ونقيض الصديقية: الزندقة، وهي كالشرك مع التوحيد، فهما متقابلان لا يجتمعان أبداً، كالنور والظلام: ﴿فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزمر / ٣٢].

وأول الزندقة: الكفر بالله، وجحد ما لله من الأسماء والصفات، والطعن في النبوة، ورد ما جاءت به الرسل، وهذا هو النفاق الذي جمع أخطر أنواع الكفر، وعقوبته أشد أنواع العذاب: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَآخِضُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء / ١٤٥-١٤٦].

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء / ١١٥].

واعلم أن كل من ادعى علم معرفة الله ﷻ، ومعرفة دينه، ثم خالف ما جاء به الرسول ﷺ؛ فهو زنديق عدو لله ورسوله، قد مكر الشيطان به، وأضله عن سواء السبيل، بالإصرار على تعطيل أحكام الله ورسوله، وعلمه حجة عليه: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِم نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرِكَهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا ۗ بَيَّيْنُنَا فَأَقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الصدق يكون بنبد الشواغل التي تشغل العبد عن مناجاة ربه، وامثال أوامره، واجتناب نواهيه، ويكون الصدق ببذل المجهود في طلب المقصود على سبيل الحق المشروع؛ من عبادة الله ﷻ، والدعوة إليه، وتعلم وتعليم

شرعه، والإحسان إلى خلقه، ومن أسرع سبق ونجا، ومن تأخر خسر وأسره عدوه،  
ومن أخلص لله ما يحبه خلصه الله مما يضره، وأكرمه بما يسره: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ  
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ  
وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾  
[آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

فسارع إلى مرضاة ربك مع الصادقين بأقوالك الحسنة، وأعمالك الصالحة، وأخلاقك  
الكريمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ  
إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ  
هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال / ٢-٤].  
فسارع وسابق إلى مرضاة ربك مع الصادقين تكن من المفلحين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا  
ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾  
وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّثْلَ مَا أَنزَلَ  
إِلَيْكُمْ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا  
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ  
النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج / ٧٧-٧٨].

واعلم رحمك الله أن خشوع الجوارح من خشوع القلب، وسيرى على الوجوه ما تضمه  
القلوب: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر / ٢٨].  
واللسان يغرف من القلب حلواً أو مرراً، حقاً أو باطلاً، وفضول اللسان من فضول  
القلب، وميزان ذلك الصدق: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو  
رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾﴾  
[الزمر / ٩].

ومن عرف الله اتقاه، وشغل قلبه ولسانه وجوارحه بعبادته: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشِيَةِ  
رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يُرَائِبُونَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ  
يُؤْتُونَ مَّا ءَاتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا  
سَاهِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون / ٥٧-٦١].

ومع العزم يكون العون من المستعان، ومع العجز والكسل يكون الخذلان والحرمان:  
﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى  
الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾  
[هود: ١١٢-١١٣].

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة / ١٥٣].  
والصدق أعلى الدرجات، والكذب أسفل الدرجات، وكلاهما مسؤل عن حقيقته،  
وجزاء العبد بحسبه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى  
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ  
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧-٨].

وإذا أكرمك الله بالصدق؛ فكن صادقاً مع الله في جميع أمورك، البس لباس الصدق،  
وكن صادقاً مع الله وخلقته، واعمل بالصدق، وانشر الصدق، وعلم الناس الصدق:  
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾  
[فصلت: ٣٣].

وعليك بالصدق في المواطن كلها، واصبر على ما أصابك؛ تسلم وتغنم وتؤجر: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ  
الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الحشر / ٨].

أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأكملها  
صدقاً، وأعظمها برّاً، وأجودها بذلاً وتضحية، أولئك أصحاب محمد ﷺ من المهاجرين  
والأنصار: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا  
زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى  
نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ  
الْمُنْفِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأحزاب / ٢٢-٢٤].

ولما صدق هؤلاء في توحيدهم وإيمانهم، وفي أقوالهم وأعمالهم، وصدقوا مع ربهم  
وصدقوا مع خلقه، رضي الله عنهم ورضوا عنه: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي  
تحتها الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ [التوبة/ ١٠٠].

فاسأل الله العزيز الصادق أن يرزقك الصدق لتكون مع الصادقين من الأنبياء والرسل  
وأتباعهم، وجاهد نفسك على ذلك في جميع أحوالك؛ تفز بمرضاة ربك مع  
الصادقين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَّجِزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَّ  
الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف/ ١٦].

ثم تكون يوم القيامة بجوار الرحمن في مقعد الصدق: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي  
مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر/ ٥٤-٥٥].

﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا  
نَصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء/ ٨٠].

﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ  
﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ الْجَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشعراء/ ٨٣-٨٥].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا  
اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ  
لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

اللهم إنا نسألك نفوسًا مطمئنة تؤمن بقلائك، وتقنع بعطائك، وترضى بقضائك،  
وتصبر على بلائك.

اللهم إنا نسألك إيمانًا يباشر قلوبنا، ويقينًا صادقًا تملأ به صدورنا، حتى نعلم أنه لا  
يصيبنا إلا ما كتبت لنا، إنك على كل شيء قدير.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، يا أرحم  
الرحمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الوارث

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الوارث

العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله من أعظم العلوم وأنفعها للعبد.

فهذا العلم العظيم هو الجالب لتعظيم الرب ومحبته، وحمده وشكره، الفاتح لباب الطاعات والقرب، الواقي من المعاصي والذنوب، الدافع للشك والريب، المعين على الصبر، السلوان في المصائب، الحرز الحامي من الشيطان، المحرك للبذل والعطاء والإحسان: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١٩) ﴿محمد / ١٩﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِئَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢) ﴿الطلاق / ١٢﴾.

فلا إله إلا الله! لا يحصي ثمار هذا العلم، وهذه المعارف إلا هو، ولا يذوق حلاوتها إلا من علمها، واتصف بها، وعبد الله بمقتضاها، ودعا الخلق إلى معرفتها، والتعبد لله بموجبها: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٨٠) ﴿الأعراف / ١٨٠﴾.

وكل اسم من أسماء الله الحسنى يقتضي آثاره من الخلق والأمر، فاسمه الملك يقتضي ملكاً وتصرفاً، واسمه الخالق يقتضي خلقاً ومخلوقاً، واسمه الرزاق يقتضي رزقاً ومرزوقاً، واسمه التواب يقتضي توبةً تقبل، واسمه الغفار يقتضي جنابةً تغفر، واسمه الحكيم يمنع ترك الإنسان سدىً مهملاً لا يؤمر، ولا ينهى، ولا يحاسب، واسمه السميع يقتضي مسموعاً من مخلوقاته، واسمه البصير يقتضي مبصرات يبصرها، وهكذا الشأن في جميع أسماء الله الحسنى، واسمه الوارث يقتضي موروثاً: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) ﴿الحشر: ٢٢-٢٤﴾.

وكل اسم من أسماء الله الحسنى له تعبد خاص به، لا يتحقق إلا بمثل هذا النظر والتدبر في الآيات الكونية والشرعية، والتفكر في كل اسم وما يقتضيه: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصْرَةَ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/٦-٨].

وأكمل الناس عبودية الله من تعبد بجميع أسماء الله وصفاته؛ فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، ولا عبودية صفة عن عبودية صفة أخرى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

فسبحان ربنا العظيم الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾﴾ [طه/ ٨].

هو جل جلاله الوارث الحق، الباقي بعد فناء الخلق، الوارث الذي يستردهم، ويسترد أملاكهم وأموالهم بعد موتهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر/ ٢٣].

وهو سبحانه خالق الخلق ومالك الملك الذي يتصرف في البقاع والأموال، والأشخاص والأشياء، كيف شاء، يورثها من يشاء، ويستخلف فيها من يشاء من أوليائه: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف/ ١٢٨].

هو سبحانه الوارث الذي ترجع إليه جميع الأملاك بعد موت الملاك: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم/ ٤٠].

هو سبحانه الوارث الذي كل شيء ملكه، وهب لك منه ما شاء ليتمتحنك، فهو ملكه في يدك، وسيرته من وهبه لك، والأرض لله يورثها من استقام على أمره؛ ليستعين بها على طاعته: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّادِقُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء/ ١٠٥-١٠٦].

وهو سبحانه الوارث الحي الذي لا يموت، وارث الخلق أجمعين، ووارث كل وارث من خلقه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم/ ٤٠].

فسبحان ربنا الوارث الباقي بعد فناء الخلائق، الحي الذي لا يموت: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ [البقرة: ٢٥٥].

هو الوارث الذي له ميراث السموات والأرض، الوارث لكل مالك وما ملك: ﴿ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خير﴾ [آل عمران / ١٨٠].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الملك الحق جل جلاله صادق الوعد، وعد عباده المتقين بالخلافة في الأرض في هذه الدنيا على أحسن حال، وصدق: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولم يكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [النور / ٥٥].

ووعد عباده المتقين أن يورثهم الجنة يوم القيامة، والتي فيها من الرحمة والحسن والنعيم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر: ﴿جنت عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب إنه كان وعده مائياً﴾ [٦١] لا يسمعون فيها لغواً إلا سلباً وهم رزقهم فيها بكرة وعشيماً [٦٢] تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ [مريم / ٦١-٦٣].

فسبحان الملك الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، الوارث الباقي بعد فناء الخلق، وكل ما سواه فان زائل: ﴿كل من عليها فان﴾ [٦١] ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [٢٧] [الرحمن / ٢٦-٢٧].

هو الملك الذي إليه المرجع والمنتهى، وإليه المال والمصير، وإليه يرجع الأمر كله: ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾ [النجم / ٤٢].

﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ [٦٢] له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا يعاين الله أولئك هم الخسروا﴾ [٦٣] [الزمر: ٦٢-٦٣].  
 ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا يرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ [فاطر / ٢].

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ  
عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [هود / ١٢٣].

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿١٥﴾﴾  
[مريم / ٦٥].

هو الملك الحق، الذي له ملك السماوات والأرض وما فيهن، وهو على كل شيء  
قدير: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٠﴾﴾ [المائدة / ١٢٠].

هو الوارث الذي يرث الملك والملكوت، والملوك والعميد، والخلق أجمعين: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ  
نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الحجر / ٢٣].

واعلم أن الملك الحق بيده الملك كله، يؤتي الملك من يشاء من عباده المؤمنين، وينزع  
الملك ممن عصاه من أعدائه، وأعداء رسله وعباده المؤمنين، ويورثه من آمن به  
وأطاعه: ﴿وَأَوْزَرْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِكِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي  
بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ  
فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأعراف / ١٣٧].

فسبحان ربنا العظيم! وسبحان من يؤتي الملك هذا، وينزعه من هذا، بأمر واحد، ووقت  
واحد! ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ  
وَتُذَلِّقُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران / ٢٦].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٠].  
وسنة الله جارية لا تتبدل أبداً، يورث المؤمنين ديار الكافرين؛ لأنه القادر على كل شيء،  
الوارث لكل شيء: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ الَّذِينَ إِنْ  
مَكَنتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج / ٤٠-٤١].

هو القوي العزيز الذي يمكن لأوليائه في الأرض، ويكفيهم شر أعدائهم، ويدافع  
عنهم، ويورثهم ملكهم بعد أن يملأ قلوب الكفار بالرعب: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا  
بِعِظَتِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ  
ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِيهِمْ وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ

وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٣٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٣٧﴾ ﴿[الأحزاب / ٢٥-٢٧].

واعلم أن الله كريم رحيم، ودينه وكتابه كريم، فيه كل الهدى والرحمة والفلاح، يورثه من اصطفاهم لعبادته، واجتباهم لدار كرامته: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر / ٣٢-٣٣].

وقد ورد اسم الله الوارث في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ منها قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر / ٢٣].

والله سبحانه هو الوارث الحي القيوم الذي لا يموت، الباقي بعد فناء الخلق، الذي يرث الخلائق بعد فنائهم، ويرث الأرض ومن عليها: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم / ٤٠].

والصفة المشتقة من اسم الله الوارث هي الوراثة، وهي صفة ذات وفعل لله ﷻ.

فهي صفة ذات إن كانت بمعنى الباقي بعد فناء الخلق: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عمران: ٢].

وإن كانت بمعنى الوراثة فهي صفة فعل؛ لأن الله يرث جميع الأشياء بعد فناء الخلق، وتعود الأشياء إلى مالكة الحقيقي، ويورث جل جلاله منها ما شاء لمن شاء في ملكه: ﴿إِنِ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف / ١٢٨].

هو سبحانه الوارث لجميع الخلائق والأشياء بعد فناء الخلائق، الوارث الباقي الذي ليس لملكه أمد: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحجر / ٢٣].

هو سبحانه الملك الذي يورث أولياءه ما يسعدهم في الدنيا والآخرة.

فيورثهم في الدنيا ديار الكفار: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب / ٢٧].

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء / ١٠٥].

ويورثهم الوارث جل جلاله في الآخرة الجنة ومساكن الكفار في الجنة: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم / ٦٣].  
فهو سبحانه الكريم الذي يورث أوليائه أجل ميراث وأعظمه، وهو دينه وكتابه،  
ويورثهم الجنة في الآخرة.

واعلم أن كل شيء تملكه هو الله في يدك، وأنت مستخلف فيه، ويدك عليه يد أمانة، ثم  
يعود إلى الوارث الذي أعطاك إياه: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد / ٧].  
هو الوارث لكل وارث: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم / ٤٠].

فسبحان ربنا العظيم الذي له الملك والملكوت، وله ملك العالم العلوي والعالم السفلي،  
وله ملك عالم الغيب والشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك السموات  
والأرض، وله ملك ما بين السموات والأرض، وله جنود السموات والأرض، وله  
خزائن السموات والأرض، وله غيب السموات والأرض، وله ملك ما بين السموات  
والأرض، وله مقاليد السموات والأرض، وله ميراث السموات والأرض: ﴿تَبَارَكَ  
الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

فسبحان من خلق هذا الملك العظيم، ثم يرث ذلك كله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ  
الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر / ٢٣].

هو الملك الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت  
الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

## التعبّد لله ﷻ باسمه الوارث

اعلم رحمك الله أن ربك هو الملك الحق الذي بيده مقاليد الأمور، وله خزائن السماوات والأرض، يورث من يشاء من عباده ما يحبّه ويرضاه، فاسأله أن يورثك علم النبوة والكتاب، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، والعمل بطاعته، والكف عن معصيته، والإحسان إلى خلقه، وأن يجعل ذلك في ذريتك، كما سأله زكريا ﷺ الولد ليرثه في الدعوة إلى الله وعبادة الله، فأجابته سبحانه بقوله: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩) ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَاهُ إِنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ (٩٠) ﴿[الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

واجتهد وفقك الله لما يرضيه أن تكون بعد الموت وارثًا مع الوارثين الذين يرثون الفردوس في الجنة بآيماهم وتوحيدهم، وحسن صفاتهم، وعبادة ربهم، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، والإحسان إلى خلقه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٢) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (٣) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (٤) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ (٥) ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ (٦) ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٧) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (٨) ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٩) ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ (١٠) ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١١) ﴿[المؤمنون/ ١-١١].

وإذا أورثك الله علم ما لم تعلم من العلم بأسماء الله، وصفاته، وأفعاله، ودينه؛ فعلمه عباده تكن ربانيًا من ورثة الأنبياء والرسل، فالأنبياء والرسل لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر يستفيد منه، ويفيد غيره، وكن وارثًا للنبي ﷺ، ونائبًا عنه في أمته: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩) ﴿[آل عمران/ ٧٩].

واعلم رحمك الله أن جميع الأقوال والأفعال موروثه ومحاسب عليها، فأحسن أقوالك وأفعالك وأعمالك وأخلاقك، وأخلصها لربك؛ يسرّك ما فعلته يوم تلقاه: ﴿وَمَا أُمِرُوا



إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾  
[البينة / ٥].

واعلم أنك ستلقى ربك بما عملت، وسترى كل ما قدمت وما أخرت: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْنَاءًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. ﴿٨﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

واعلم أن الإنسان إذا مات قال الناس: ماذا خلف؟ وقالت الملائكة: ماذا قدم؟ فاجتهد أن تكون قبل الموت جامعاً للخيرات، مسارعاً إلى كل عمل صالح، وتكون بعد الموت وارثاً يرث ثواب الإيمان والتوحيد والأعمال الصالحة في الجنة: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ [الزخرف / ٧٢-٧٣].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه - أن الإيمان والعمل الصالح هو خير ميراث يرثه العبد بعد موته، وهذا هو الميراث الحقيقي الذي يبقى ولا يفنى، ويورث الجنان ورضوان الرحمن: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿١٢٣﴾ [مريم / ٦٣].

فاجتهد أن تكون بعد الموت وارثاً، وسل ربك أن يورثك من فضله، ويبقي لك السمع والبصر والعافية؛ لتتفجع بذلك في دينك ودنياك، وتنفع غيرك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٠-٣٣].

ومن دعاء رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِبَصْرِي، وَاجْعَلْهَا الْوَارِثَ مِنِّي» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

ومن عرف ربه باسمه الوارث تعلق به وحده، وتوكل عليه وحده؛ لعلمه أن ربه الوارث الحفيظ الذي يحفظ ما يبقى للعبد بعد موته من مال وولد، وعلم وعمل: ﴿ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٣٩٧٢)

وهو خير الوارثين، فلا تغرنك الدنيا وزينتها، واحذر من الركون إليها؛ لأن مآلها إلى الفناء، ولا يبقى لك إلا ما قدمته لنفسك من الأعمال الصالحة التي تجد ثوابها، وترثه يوم القيامة: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر / ٥-٦].

وقال النبي ﷺ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَقْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>. فاجتهد أن تكون وارثاً للجنة في الآخرة بما تقدمه لنفسك من أنواع الأعمال الصالحة؛ عبادة، ودعوة، وتعليمًا، وجهادًا في سبيل الله، وإحسانًا إلى الخلق، وإنفاقًا مما أعطاك الله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>. واعلم أن حظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يعلم أنه وما يملك على شرف الزوال، ولا يبقى له في الآخرة إلا ثواب الأعمال الصالحة، كما قال سبحانه: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢]. وقال ﷺ: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ [مريم / ٧٦]. ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران / ٨].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٤٤٢).

﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ [البقرة / ١٢٧-١٢٨].  
 «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

اللهم يا عالم الخفيات، يا رفيع الدرجات، يا ذا العرش المجيد، يا وارث كل وارث، يا غافر الذنب، يا قابل التوب، لا إله إلا أنت، أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار، يا أرحم الرحيم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨٢].  
 وهذا الاسم الكريم، اسم الله الوارث، آخر الأسماء الحسنى التي أحصيناها من القرآن الكريم بفضل الله وحده.

وهذه الأسماء الحسنى الواردة في القرآن الكريم، والتي أحصيناها بفضل الله ﷻ وهي:  
 الله، الإله، الرب، الرحمن، الرحيم، الملك، المليك، الواحد، الأحد، الصمد، الأول، والآخر، الظاهر والباطن، الحق، المبين، الحي، القيوم، السميع، البصير، العلي، الأعلى، المتعال، الكبير، المتكبر، العظيم، القوي، المتين، القاهر، القهار، العليم، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، الخالق، الخلاق، البارئ، المصور، الغني، الرزاق، الرازق، الكريم، الأكرم، الحميد، المجيد، الولي، المولى، الناصر، النصير، القادر، القدير، المقتدر، اللطيف، الخبير، الحكيم، الحكم، الشكور، الشاكر، الحليم، العفو، الغفور، الغفار، الودود، البر، الرؤوف، القريب، المجيب، المستعان، التواب، الرقيب، الشهيد، الواسع، المحيط، الحسيب، المقيت، الحفيظ، الحافظ، الكافي، الكفيل، الوكيل، الفتاح، الوهاب، الهادي، الصادق، الوارث.

وقد بلغ مجموع هذه الأسماء الحسنى التي أحصيناها بفضل الله من كتاب الله ﷻ، اثنين وتسعين اسماً من أسماء الله الحسنى.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

ويلى ذلك أسماء الله الحسنى الواردة في السنة النبوية الصحيحة، ومجموعها اثنا عشر اسماً من أسماء الله الحسنى، وأولها: اسم الله الوتر، وآخرها اسم الله المحسن.  
 نسأل الله ﷻ أن يرزقنا وإياكم فهم أسماء الله الحسنى، وحفظها، والعمل بموجبها، والتعبد لله بمقتضاها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

وقد بلغ مجموع الأسماء الحسنى التي أحصيناها من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة مائة وأربعة اسم من أسماء الله الحسنى، فله الحمد والمنة على تمام النعمة والمنة: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

# أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

## الباب السادس عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٩٢ - اسم الله الوتر .

التعبد لله عز وجل باسمه الوتر .

٩٣ - اسم الله السبوح .

التعبد لله عز وجل باسمه السبوح .

٩٤ - اسم الله الطيب .

التعبد لله عز وجل باسمه الطيب .

٩٥ - اسم الله الجميل .

التعبد لله عز وجل باسمه الجميل .

٩٦ - اسم الله النور .

التعبد لله عز وجل باسمه النور .

٩٧ - اسم الله الرفيق .

التعبد لله عز وجل باسمه الرفيق .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الوتر

# موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

## اسم الله الوتر

هذا هو الاسم الأول من أسماء الله الحسنى الواردة في السنة النبوية الصحيحة. فله الحمد على إتمام إحصاء وشرح أسماء الله الحسنى الواردة في القرآن الكريم. وله الحمد على ما وفقنا إليه من شرح أسماء الله الحسنى الواردة في السنة النبوية، وعددها اثنا عشر اسمًا نبدأها باسم الله الوتر.

الله جل جلاله هو الوتر الحق الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، ولا أحد مثله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرٌّ، يُحِبُّ الْوَتِرَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

الله جل جلاله هو الوتر الواحد الأحد، الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣].

وهو سبحانه الوتر الواحد الأحد الصمد الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، الذي ليس كمثلته أحد، في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

وهو سبحانه الوتر الذي تفرد بالملك والخلق والأمر والتصريف والتدبير وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٧٧)، واللفظ له.

الْعَرْشِ يُعْشَى أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ  
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف: ٥٤].

هو الملك الذي بيده ملكوت كل شيء: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ  
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ  
فَقُلْ أَفَلَا نُنْفِقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ [يونس / ٣١-٣٢].

هو سبحانه الوتر الواحد الأحد، الذي تفرد بأسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله  
الجميلة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ  
اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ  
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ  
الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

وهو سبحانه الوتر القادر على كل شيء وحده لا شريك له، تفرد وحده بخلق  
المجتمعات والمتفرقات، والعلويات والسفليات، والذرات والمجرات، القادر الذي  
يسيل الجامدات، ويجمد السائلات، ويحرك الساكنات، ويسكن المتحركات، ويجمع بين  
المتضادات، ويؤلف بين المختلفات: ﴿سُبْحَانَهُ ۗ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ [الزمر / ٤].

بيده الخلق والأمر وحده: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾  
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ [يس: ٨٢-٨٣].

هو سبحانه الوتر الذي تفرد بالخلق والأمر، وله مقاليد السماء والأرض وحده لا شريك  
له: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ  
فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ  
الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ [الشورى / ١١-١٢].

هو سبحانه الوتر الذي تفرد بالعلم بكل شيء وحده لا شريك له: ﴿الَّذِينَ تَرَأَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ



وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ [المجادلة / ٧].

هو وحده عالم الغيب والشهادة: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ [السجدة: ٦ - ٨].

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ أَرْضٍ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام / ٥٩].

﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان / ٣٤].  
هو سبحانه الوتر الذي بيده مفاتيح كل شيء: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر / ٢].

هو جل جلاله الوتر الواحد الأحد الذي تفرد بخلق كل شيء في ملكه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر / ٦٢ - ٦٣].

واسم الله الوتر لم يرد في القرآن الكريم، وإنما ورد في السنة الصحيحة.  
قال النبي ﷺ: «لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَإِنَّ اللَّهَ وَتَرٌ، يُحِبُّ الْوِتْرَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الوتر الذي يجب أن تصرف له العبادة وحده لا شريك له، لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٧٧)، واللفظ له.

هو جل جلاله الوتر الواحد الأحد، وجميع خلقه في العالم العلوي والعالم السفلي خلقهم أزواجًا، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٤٩) ﴿فَقُرُوبًا إِلَى اللَّهِ إِيَّايَ لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥٠) ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٥١) ﴿

[الذاريات: ٤٩-٥١].

والوتر من أسماء الله الذاتية التي لا تنفك عنه أبداً، فهو وتر واحد أحد، لا شريك له، ولا شبيهه، ولا مثيل، واحد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١) ﴿[الشورى / ١١].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) ﴿[الإخلاص / ١-٤].

هو سبحانه الوتر الذي تفرد بالربوبية، فلا شريك له في الخلق والتدبير، والمملك والسلطان، والإحسان والإنعام: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِزُكُمْ﴾ (٣١) ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ (٣٢) ﴿

[يونس: ٣١-٣٢].

وهو سبحانه الوتر الذي تفرد بالألوهية، فلا يستحق العبادة إلا هو، وكل معبود سواه باطل؛ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٦٢) ﴿[الحج / ٦٢].

هو سبحانه الوتر الذي تفرد بالخلق وحده فيجب أن تصرف له العبادة وحده: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٦) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢٢) ﴿[البقرة / ٢١-٢٢].

وهو سبحانه الوتر الذي انفرد بالوحدانية والربوبية والألوهية، وخلق كل ما سواه شفعا، فلا تستقر هذه المخلوقات ولا تنها ولا تعطل إلا بالزوجية، ولا تستقيم ولا

تسعد ولا تنها على الفردية: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤٩﴾  
 [الذاريات: ٤٩].

فخلق الوتر كل ما سواه على الزوجية، وجعل كل واحد منهما محتاجاً إلى الآخر، فلا يتم نفع أحدهما إلا بالآخر، من الجماد، والنبات، والحيوان، والإنس والجن، وفي ذلك إشارة إلى أنه لا بد أن ينتهي الأمر إلى واحد لا شريك له، هو الله الواحد الأحد: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص / ١-٤].

﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١١٣﴾ [البقرة / ١٦٣].

فسبحان الوتر الذي لا إله غيره، ولا رب سواه، الذي خلقه كله شفع، الليل والنهار، والبر والبحر، والذكر والأنثى، والنور والظلام، والرطب واليابس، والله وحده هو الوتر الذي خلق كل شفع: ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠١-١٠٢].

وهو سبحانه الوتر الذي جعل الصفات والمعاني كلها شفعا، التوحيد والشرك، والإيمان والكفر، والصدق والكذب، والحق والباطل، والخير والشر، والربح والخسارة، والطاعات والمعاصي، والحسنات والسيئات، والثواب والعقاب: ﴿ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

والله وحده هو الوتر الواحد الأحد، الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، القادر على كل أحد، المحيط بكل أحد: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥].

وهو الوتر الذي جعل أحوال الناس كلها شفعا؛ المؤمن والكافر، والغني والفقير، والقوي والضعيف، والقادر والعاجز، والصادق والكاذب، واللين والقاسي،

والصحيح والمريض: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾  
[يونس: ٣].

هو سبحانه الوتر الذي كل ما سواه شفع، الوتر الذي خلق كل شفع: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي  
خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ [يس / ٣٦].  
واعلم أن الوتر سبحانه غني عن كل ما سواه، والشفع كل ما سوى الله، والشفع يحتاج  
إلى الوتر، والوتر لا يحتاج إلى الشفع، وكل شفع من المخلوقات يحتاج إلى غيره لبقية  
ويعيش وينفع، فالرجل يحتاج إلى المرأة، والمرأة تحتاج إلى الرجل، والذكر من النبات  
والحيوان يحتاج إلى الأنثى، والأنثى محتاجة إلى الذكر، والكل محتاج إلى الوتر في خلقه  
وبقائه ورزقه وتدبيره: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿١٥﴾  
[فاطر / ١٥].

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ  
يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [الرعد: ٣].  
والفرد محتاج إلى المجتمع، والمجتمع محتاج إلى الفرد، والناس محتاجون إلى الحاكم،  
والحاكم محتاج إلى الناس، والجميع محتاج إلى الوتر الواحد الأحد: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا  
زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ  
﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ [الذاريات / ٤٩-٥١].

فكن وترًا متميزًا علمًا وتعبدًا وأخلاقًا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ  
قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وكن متفوقًا إمامًا في هذا المجتمع الذي تعيش فيه؛ لتنفع نفسك، وينتفع الناس بما  
عندك: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَابِطٍ وَبِغَيْبٍ وَرَهْبٍ وَأَكَانُوا لَنَا  
خَاشِعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء / ٩٠].

﴿سَابِقُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ  
وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد / ٢١].

﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران / ٧٩].

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ  
﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن الله واحد لا مثل له، أحد لا شبيه له، وتر لا شفع له: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ  
﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص / ١-٤].

فسبحان ربنا العظيم الذي انفرد بالأحدية، والوحدانية، والوترية، والربوبية،  
والألوهية، وأقام خلقه على الشفعية والزوجية؛ إظهاراً لفقرهم، وحاجة بعضهم إلى  
بعض، وحاجة الكل إلى ربهم الوتر الغني عن كل شفع وزوج، وانفرد سبحانه  
بالوحدانية وحده لا شريك له: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر / ٤].

والله سبحانه له الأحدية، والوحدانية، والوترية المطلقة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن،  
لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۗ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن  
دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يَسْعُوا مَا اسْتَجَابُوا  
لَكُمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۗ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر / ١٣-١٤].

أما الإنسان فحياته قائمة على الزوجية؛ فهو إما أن يكون عبداً لله أو عبداً لغير الله، وإما  
أن يكون عبداً للرحمن أو عبداً للشيطان: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ  
فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان / ٢-٣].

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾ [التغابن / ٢].  
فإنه هداك للنجدتين، وأنت تختار ما تشاء، فإن اخترت الله كنت عبداً لله، وإن اخترت  
غيره كنت عبداً لغيره، وهذه الحرية الإنسانية خاضعة للمشيئة الإلهية: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ

لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ [التكوير / ٢٧-٢٩].

﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١].

فسبحان ربنا الوتر الواحد الأحد، الذي بنى خلقه على الزوجية؛ لينفرد وحده بالوترية، والألوهية، والعبودية، والربوبية: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه الوتر الملك الحق، الذي وسم جميع المخلوقات بسمة الحدث والصنع، والعجز والفقر، وانفرد عنها جل جلاله بصفات السلام، والكمال، والجلال، والجمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه / ٨].

فانفرد سبحانه عن كل ما سواه بالملك دون المملوك، وبالربوبية دون المربوب، وبالعبادة دون المخلوق، وبالألوهية دون الواله العبد الفقير المحتاج إلى الإله: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم / ٦٥].

هو سبحانه الوتر الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود / ١٢٣].

أفرد سبحانه المؤمنين بإكرامه، وأفرد الكافرين بإهانتته، وأفرد كل ذي شكل بشكله، وكل ذي صورة بصورته، وكل ذي لون بلونه، وكل ذي حجم بحجمه، وكل ذي سمع بسمعه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام / ١٠٢].

وهو سبحانه الوتر الذي خلق كل وتر، وخلق كل شفع، ومخلوقاته كلها شفع ووتر: السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والذكر والأنثى، واليابس

والرطب، والخير والشر، والنور والظلام: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يس / ٣٦).

وهو سبحانه الوتر الذي يجب الوتر، ويأمر به فيما شرعه من الأقوال والأعمال والطاعات التي شرعها؛ في الأذكار، والصلوات الخمس، ووتر الليل، والطهارة، وغير ذلك.

عن علي ؑ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ أَوْتِرُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ وَتَرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ» أخرجه أبو داود والترمذي (١).

فسبحان الوتر الحق الذي لا مثل له، ولا شريك له في أسمائه وصفاته وأفعاله، الذي تفرد بخلق المخلوقات، وإبداع البريات، وتدبير جميع الكائنات: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ١٦٣).

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، وهذا ملكه، هو وحده الذي يستحق العبادة دون سواه: ﴿فَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَيَشْرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (الذين إذا ذكروا الله ووجلّت قلوبهم والصّبرين على ما أصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون) (٣٥) [الحج/ ٣٤-٣٥].

هو سبحانه الوتر الذي يجب إخلاص العبادة له وحده لا شريك له: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف/ ١١٠).

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشَّرْكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشَرَكُهُ» أخرجه مسلم (٢).

هو سبحانه الوتر الواحد الأحد الذي من جاء إليه مؤمناً يوم القيامة ضاعف حسناته وغفر ذنوبه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَجْرَقٍ يُشْجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ الْعِمْ﴾ (تؤمنون بالله ورسوله وجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (١١) يغفر لكم ذنوبكم

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤١٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٨٧٧) وهذا لفظه.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

وَيَدْخُلُكُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَيُسِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ [الصف: ١٠-١٣].

ومن جاءه مشركاً عاصياً أدخله النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ ﴿١١٦﴾ [النساء/ ١١٦].  
﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ ﴿٧٢﴾ [المائدة/ ٧٢].

فاستقم لمولايك الذي خلقك ورزقك وهداك: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِي يُدْرِكُ الْقِيَمَ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ [الروم/ ٣٠].

واستقم لربك كما أمرت لا كما اشتهيت: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ [هود: ١١٢-١١٣].



## التعبد لله ﷻ باسمه الوتر

اعلم وفقك الله لطاعته، وحسن معرفته، أن الله وحده هو الملك الحق الوتر الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحميدة، الملك الحق الذي تفرد بالخلق والأمر، وتفرد بالعطاء والمنع، والبسط والقبض: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

فربنا جل جلاله هو الملك الحق الذي تفرد بالأمر من ثلاثة أوجه:

فهو الذي تفرد بالأمر الكوني القدري، فهو الذي يدبر الأمر في العالم العلوي والعالم السفلي.

وله الأمر الشرعي، بما شرعه على ألسنة رسله من الدين الحق الذي يتعبد الناس به لربه.

وله الأمر الجزائي يوم القيامة، فوعد من آمن بالجنة والرضوان، ووعد من كفر وعصا بالنار وسخط الرحمن.

فيا عبد الله خلقك الله ورزقك، وأكرمك بالسمع والبصر والفؤاد، وأفردك بذلك كله، ولم يشرك معك أحداً؛ فأفرده أنت بالتوحيد والإيمان والعبادة، وأطعه بأداء ما أوجبه عليك من أعمال صالحة، وأخلاق كريمة، واشكره على نعمه التي أنعم بها عليك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ

﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥-٦٦].

وقال ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة / ١٧٢].

وكما تفرد جل جلاله بالعظمة، والخلق، والعزة، والكبرياء، والجلال، والجمال، والجبروت؛ فأفرده وحده بالذلة والخضوع له، والحب والتعظيم له، والخوف والرجاء، والتوكل والاستعانة، وسائر أنواع العبادة: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءَ فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة/ ٢١-٢٢].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج / ٧٧].

واعلم أن الكريم سبحانه إذا أفردته وحده بعملك أفرد لك عنده نعيماً كاملاً خالداً، سليماً من أي عيب أو نقص، خالصاً من كل كدر ونكد، فصل لك بعضه، وأجل لك جله؛ لأن أحداً من الخلق لا يمكنه أن يحيط بعلمه، ولا تبلغ آماله إلى بعضه؛ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٧].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلًا مِّنْ عَفْوَ رَبِّحِيمٍ﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

وقال ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَّرِضْوَانٍ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].

فيا بشرى أهل التوحيد والإيمان، والطاعات والقربات، بالنعيم المقيم الذي جمع الله فيه كل نعيم! ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/ ٢٥].

هؤلاء الذين اختارهم الله ﷻ واصطفاهم واجتباهم لتوحيده والإيمان به، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ

يُنْفِقُونَ ﴿٢﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

والله ﷻ وتر، أفرد لمن كفر به وعصاه عذاباً أليماً خالداً، عارياً من أقل راحة، مسلوباً من أي نعمة، لا يحيط به علم أحد، ولا يقوم لأدناه صبر أحد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نُصَلِّبُ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ [النساء / ٥٦].

وقال ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ لَئِبٍ لَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ [التوبة / ٦٨].

واعلم أن ربك القادر على كل شيء، أفرد لك زوجين: نعيم وعذاب، لزوجين من فعلان: طاعة، ومعصية، وأفرد لك أسماءها وصفاتها، وثوابها وعقابها، فأفرد له العبودية؛ يفرد لك النعيم: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧﴾ [الفتح / ١٧].

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ [الزمر / ١١-١٣].

وأفرد لك الوتر سبحانه الحق من الباطل، والخير من الشر، فأفرده بفعل الحق والخير، واحذر ما يسخطه من الباطل والشر: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ [الأنفال / ٢٤-٢٥].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام / ١٥٣].

واعلم أن الله غني عن العالمين كلهم، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصًا لوجهه، على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿وَمَا أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ۗ﴾ [البينة/ ٥].

وقال النبي ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَعْنَى الشَّرْكَاءِ عَنِ الشَّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشَرَكْتُهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

﴿فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۗ﴾ [الكهف/ ١١٠].

فلا توجه عملك لسواه؛ فتخسر نفسك وعملك، ودنياك وأخراك: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۗ﴾ [المائدة/ ٧٢].

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُمِينُ ۗ﴾ [١٥] هُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمَنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُ فَاَنْتَقُونَ ﴿١٦﴾

[الزمر: ١٥-١٦].

واختم رحمك الله أعمالك بالوتر حسب الشرع؛ لما علمته من بركة الوتر، وحب الله له: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ﴾ [الحشر: ٧].

واعلم أن الله إذا أحب عملاً أعطى عليه ما لا يعطي على ما سواه، وأحب العامل به، فاطلبه واعمل به: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ ۗ﴾ [١١٤] وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ [هود/ ١١٤-١١٥].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [٤١] وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

[الأحزاب/ ٤١-٤٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ۗ﴾ [الأحزاب/ ٥٦].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٨٥).

واعلم أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وإياك أن تتقرب إلى ربك بعمل ليس خالصاً له، أو لم يشرعه الله ورسوله؛ فيرده الله عليك: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف/ ١١٠].

وعن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم هدايا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن العبد إذا عرف ربه باسمه الوتر؛ أثمر له ذلك توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتوحيده بجميع أنواع العبادة، وتوحيده بالمحبة والتعظيم، والحمد والشكر، والخوف والرجاء، والاستعانة والتوكل؛ لعلمه أن ربه الوتر الواحد الأحد، الذي تفرد بالربوبية والألوهية، هو الله وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

ومن عرف ربه باسمه الوتر؛ آمن به وحده، ولم يلتفت لأحد سواه، وتعلق قلبه بالله وحده، وأسلم له وجهه وقلبه وجوارحه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء/ ٢١٣].

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ [الإسراء/ ٢٢].

مذمومًا: لا حامد لك، مخذولًا: لا ناصر لك: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكَرُمَةٌ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٦٩٧)، ومسلم برقم (١٧١٨)، واللفظ له.

ومن عرف ربه باسمه الوتر الواحد الأحد؛ أفردته بالطاعة والعبادة، والتشريع والتسليم، والتلقي والقبول، وأفراد رسوله بالاتباع: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء/ ٦٥].

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١١٢﴾ [البقرة/ ١١٢].

﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ۖ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٢٤﴾ [لقمان/ ٢٢-٢٤].

وحظ العبد من اسم الله الوتر، أن يفرد حياته كلها في عبادة الله، ودعوة الخلق إليه، وتعليم شرعه، والإحسان إلى خلقه بأنواع الإحسان: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَيْرًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١١١﴾ ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿١١٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾ [يوسف/ ١٠٨].

﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ ۖ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ﴿٧٩﴾ [آل عمران/ ٧٩].  
﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

وكذا يفرد ربه الوتر بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويفرده بعبادته وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس/ ٣].

فكن وترًا متميزًا إمامًا بأحسن الأقوال والأفعال، والأخلاق والآداب: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَيْرًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١١٠﴾ ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١١١﴾ ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ [النحل/ ١٢٠-١٢٢].

وكن سباقاً إلى كل عمل صالح، وليكن قدوتك سيد الأنبياء والرسل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

فكن إماماً للمتقين، إماماً للمحسنين، إماماً للصالحين، إماماً في الحكمة، إماماً في العلم، إماماً في الدعوة، إماماً في الكرم، إماماً في الحلم، إماماً في الإحسان: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان/ ٧٤].

واعلم أن الانتهاء للجماعة دين وعزة وقوة؛ لأن الجماعة رحمة، ويد الله مع الجماعة، ونصرته للجماعة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد/ ٧].

﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٤٠] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج/ ٤٠-٤١].

والانتماء الفردي شذوذ وضعف، وغرور وعذاب؛ لأن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شد في النار ﴿وَالْعَصْرِ﴾ [١] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي حُسْرٍ﴾ [٢] ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾ [٣] [العصر/ ١-٣].

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٢] [المائدة/ ٢].

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [١٠٤] [آل عمران/ ١٠٤].

والتعبد لله باسمه الوتر: أن تتوضأ وتغتسل وتستجمر وترأ، وتختتم صلاتك بالليل بالوتر، وأن تعبد ربك الوتر كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [١٢] [الملك/ ١٢].

ومن التبعيد لله ﷻ باسمه الوتر أن تصدق رحمك الله في إخلاص العمل لله وحده، وتخص رسوله ﷺ بالاتباع وحده: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف / ١١٠].

﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٧) [الحشر / ٧].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٢٣) [الأعراف: ٢٣].  
﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (١٦٩) [التوبة / ١٢٩].

«اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحَيُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

اللهم أنت الملك، لا إله غيرك، ولا رب سواك، أنت الواحد لا شريك لك، أنت الأحد لا شبيه لك، أنت الوتر لا مثيل لك، لن تطاع إلا بإذنك، ولن تعصى إلا بعلمك، تطاع فتشكر، وتعصى فتغفر، فلا إله إلا أنت.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، يا أرحم الرحمين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (١٨٠) ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٨١) ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٨٢) [الصفافات / ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك ونتوب إليك.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧١٨).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٣١٧)، ومسلم برقم (٢٧١٧)، واللفظ له.



# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

السبوح

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله السبوح

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

اعلم رحمك الله أن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله ثمرة لجميع الخيرات والبركات، العاجلة والآجلة، ومن أعظم ثمارها وآثارها في حياة المسلم:

أولاً: عبادة الله وحده لا شريك له، والعبادة بأنواعها أجل ثمرات العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثُونَكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد / ١٩].

فمن عرف ربه بالملك والجبروت، والعظمة والكبرياء، وعرفه بالغنى والإحسان، والرحمة واللطف، وعرفه بالعلم والإحاطة، والقوة والقدرة، وعرف أنه السميع البصير، العليم الحكيم، القوي القادر، تضرع إليه بالذكر والدعاء، وتوجه إليه بالحمد والثناء: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠].

ثانياً: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: محبة الله ﷻ، ومحبة الله ﷻ قوت القلوب، وشفاء الصدور، وقرّة العيون، ومن أحب الله؛ أحبه الله، ورضي عنه وأرضاه، فتقبل منه وهداه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي ﴿٢٩﴾﴾

[الرعد: ٢٨-٢٩].

فإذا اجتمع للعبد معرفة داعي الإحسان والإنعام، إلى جانب معرفة داعي جلال ربه وجماله، كان على بينة من ربه: ﴿تُورُّ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور / ٣٥].

ولا يتخلف عن محبة الله ﷻ إلا أردأ القلوب وأحبثها: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف / ١٧٩].

ثالثاً: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته: التعظيم والذل لله ﷻ، فإذا شهد العبد عظمة ربه؛ أفاض ذلك على قلبه الذل والانكسار بين يدي العزيز الجبار.

وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلًّا لربه، وتعظيماً له، وحبًّا له، وأكثرهم سجوداً لربه أكملهم معرفةً بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن سجد هذه السجدة القلبية سجدت معه جميع الجوارح، واكتملت عبوديته: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥-١٧].

رابعاً: ومن ثمرات العلم بالله وأسمائه وصفاته: الخوف والخشية من الله ﷻ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف، وكان له أشد خشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ رَبَّكَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر / ٢٨].

خامساً: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته: اليقين والطمأنينة بالله جل جلاله. فإذا عرف العبد ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى؛ امتلأ قلبه إيماناً ويقيناً، ونوراً وإشراقاً، ومحبةً لله وتعظيماً له، وانتفى عنه كل ريب وشك وشرك: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَكَابِرٍ﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

سادساً: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: الرضا عن الله ﷻ.

فمن عرف ربه بعدله وإحسانه، وحلمه ورأفته، ورحمته وحكمته، وعرف أسماءه الحسنى، وصفاته العلى؛ أثمر له ذلك الرضا بحكم الله وأقداره، والتسليم لأمره ونهيه؛ لعلمه بأن تدبير الله أحسن من تدبيره، وأحكام الله خير من هوى نفسه، وثواب الله أعظم من عمله، ورحمة الله أرجى من أعماله: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٣].

سابعاً: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته: التوكل على الله وحده.

فمن عرف ربه العظيم بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ سكن إليه، وتوكل عليه وحده في جميع أموره؛ لعلمه بكمال كفايته، وقيامه بشأن خلقه كلهم إيجاباً وإمداداً وتدبيراً: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

وكلما كان العبد بالله أعرف؛ كان إيمانه بالله أعظم، وكان توكله على ربه أقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ثامناً: ومن ثمرات معرفة أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى: إخلاص العمل لله ﷻ.

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله أخلص له العمل؛ لعلمه بكمال غناه عن كل ما سواه، وشدة حاجة الخلق إليه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦٥﴾ [غافر/ ٦٥].

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾ [فاطر/ ١٣] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ ۚ وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ۝١٤﴾ [فاطر/ ١٣-١٤].

تاسعاً: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: التوبة والإنابة إلى الله.

فمن عرف ربه العظيم بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، سارع إلى طاعته وتاب إليه من

معصيته؛ لعلمه بكمال حبه لعبده، ورحمته به، وفرحه بتوبته: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء / ٢٧-٢٨].

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥٣) [الزمر / ٥٣].

عاشراً: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته: حلاوة العبادة.

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ كانت قرة عينه في مناجاة ربه، والأنس به، وليس في الدنيا نعيم يشبه نعيم الجنة إلا هذه المعرفة، ولا حلاوة تشبه حلاوة الجنة إلا عبادة الله بهذه المعرفة، وكلما ازداد العبد معرفةً بربه؛ ازداد إيماناً وحباً وتعظيماً وحمداً لربه العظيم، ووجد حلاوةً ولذةً في كل ما يحبه ويرضاه، واستأنس بربه، واستوحش من كل ما يشغله عنه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

الحادي عشر: ومن ثمرات معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله: السعادة في الدنيا، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

فمن عرف ربه العظيم جل جلاله عبده بما يحبه ويرضاه، ثم الله يثيب عبده على دينه في الدنيا، ويسعده بالأمن والهداية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [الأنعام / ٨٢].

أما في الآخرة فيكرمه الله بدخول الجنة، ورؤية الله سبحانه، والقرب منه، وسماع كلامه، والفوز برضوانه، والتلذذ بنعيم الجنة، والخلود في دار المتقين، والنجاة من نار الجحيم: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَمَسْكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة / ٧٢].

واسم الله السبوح لم يرد في القرآن؛ وإنما ورد في السنة في قوله ﷺ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ  
الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه السبوح الذي تنزه عن جميع النقائص والآفات والعيوب، وتنزه عن كل  
شيء ينافي صفات كماله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾  
[الشورى / ١١].

فذاته سبحانه منزهة عن النقائص والعيوب، وعن الفناء والزوال، وعن الشبيه والمثيل؛  
لكمال ذاته وصفاته، وجلاله، وجماله ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ  
الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر / ٦٥].

وأسمائه جل جلاله منزهة عن السوء والشر، وعن المثل والشبيه؛ فأسمائه أحسن  
الأسماء، وليس في الأسماء أحسن منها: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾  
[طه / ٨].

وصفاته أحسن الصفات وأكملها، ليس فيها صفة نقص أو عيب أو ذم؛ بل كلها  
صفات جلال وجمال وكمال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا  
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ  
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة / ٢٥٥].

وأفعاله جل جلاله أحسن الأفعال؛ لتضمنها الحكمة والرحمة والعدل والإحسان، ليس  
فيها عبث ولا سفه، ولا تناقض ولا خلل: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَاللَّيْلِ فِي  
الْأَرْضِ رَوَّسَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧).

زَوْجِ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلَقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان: ١٠-١١].

وهو سبحانه السبوح المنزه عن كل ما لا يليق بربوبيته وألوهيته.

هو السبوح المنزه في أمره الكوني، وأمره الشرعي، وأمره الجزائي، عن كل عيب ونقص، وعن كل ما ينافي الحكمة: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۗ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۗ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ [الأعراف / ١٨٠].

وهو سبحانه السبوح العظيم الذي له العظمة والجلال والجمال والكبرياء، المنزه عن كل ما يقوله الكفار في حقه: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ ۗ عَلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۗ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ۗ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٣-٤٤].

فسبحان من سبح نفسه، وحمد نفسه، قبل أن يخلق المسبحين بحمده: ﴿سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨٢].

هو سبحانه السبوح المنزه عن كل عيب ونقص وسوء، البريء من النقائص والآفات والعيوب، المنزه عن الشريك والمثيل والشبيه، وكل ما لا يليق بجلاله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

وهو سبحانه السبوح رفيع الذكر والصفات، الذي سبحانه الوجود كله؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة والمثل الأعلى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ [الجمعة: ١].

فسبحان الملك القدوس الذي يقده، ويسبح بحمده، كل من في العالم العلوي، وكل من في العالم السفلي، في جميع الأوقات بمختلف اللغات، وأنواع الأصوات: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ النَّبِيَّ الْمُرْسَلِينَ يَجْعَلُ اللَّهُ لَهُمْ مَخْرَجًا ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَجْعَلُ لَهُمْ اللَّهُ أَسْفَلَ سَعْدًا ۖ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مَخْرَجٌ ﴿١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

اللَّهُ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَسَبِّحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا  
يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ [النور / ٤١].

وسبحان من له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، السبوح القدوس الذي ليس له مثل  
في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الموصوف بجميع المحامد، المنزه عن جميع العيوب  
والنقائص، وحده لا شريك له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾  
[الشورى / ١١].

هو السبوح الذي تسبح بحمده جميع مخلوقاته، لما له من الأسماء الحسنی، والصفات  
العلی، والأفعال الحميدة، فهو القوي الذي ليس كمثلته شيء في القوة، وهو العليم الذي  
ليس كمثلته شيء في العلم، وهو الحي الذي ليس كمثلته شيء في الحياة، وهو الرحمن  
الذي ليس كمثلته شيء في الرحمة؛ وهكذا في سائر الأسماء والصفات.

هو السبوح الذي يسبح بحمده جميع خلقه، وبحمده أسبحه وأنزهه عن جميع ما لا  
يجوز عليه من نقائص البشر، وآفات المحدث، وكل ما يستحيل عليه، ولا يليق  
بجلاله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُهُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢٢﴾ هُوَ  
اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ  
الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ  
الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].  
وأسبحه بمحامده مع المسبحين بحمده في السماء والأرض: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾ [الجمعة / ١].

فما أعظم تسبيح الرب جل جلاله! وما أيسر أداءه! وما أعظم ثوابه!: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ  
الْعَظِيمِ﴾ ﴿٥٢﴾ [الحاقة / ٥٢].

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ [الأعلى / ٣].  
وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي



الميزان، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
والفرق بين اسم الله السبوح، واسم الله القدوس:

أن السبوح هو المنزه عن كل سوء، المبرأ من كل نقص وعيب، وكل ما لا يليق بجلاله. والقدوس هو الطاهر الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، المنزه عن كل نقص وعيب وشر، فالسبوح تصريح بالتنزيه، يتضمن التعظيم، والقدوس تصريح بالتعظيم، يتضمن التنزيه؛ وقد جمع الله بينهما في سورة الإخلاص، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢﴾؛ فهذا تقديس، ثم التسييح: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص / ١-٤].

والتقديس إثبات ما يليق بجلال الله من الأسماء الحسنى، والصفات العلى. والتسييح تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله كما قال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۝﴾، ثم قال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى / ١١]؛ فهذا تقديس.

وقد اقترن اسم الله القدوس بالسبوح مرة واحدة في قوله ﷺ: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وسر ذلك: أن الاسمين يرجعان إلى معنى واحد، وهو تنزيه الله عما لا يليق به على وجه التعظيم له.

هو سبحانه السبوح القدوس العظيم في ذاته وأسمائه، وصفاته وأفعاله، ومملكه وسلطانه، المنزه عن كل عيب ونقص، وسوء وشر، فأسمائه كلها حسنى لا عيب فيها، وصفاته كلها عليا لا نقص فيها، وأفعاله كلها حكمة ورحمة، وعدل وإحسان، لا خلل فيها ولا نقص ولا شر: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۝٨﴾ [طه / ٨].

واعلم أن تسييح اللسان، والقلب غافل سابح في بحار الشهوات، ليس كتسييح صدر عن قلب سابح في بحار عالم الملكوت: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٦٩٤)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤٨٧).

سَجَدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٥-١٧].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه، ورزقنا جميعاً العلم النافع، والعمل الصالح، أن التسييح تنزيه الله عمالاً يليق به من صفات النقص، والتقديس إثبات الكمالات لله ﷻ، فنفي الشرك تسييح، والتوحيد تقديس: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ [البقرة / ١١٦]؛ تسييح: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَدِينُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ تقديس: ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة / ١١٧]؛ تقديس.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء / ١١٠]؛ تقديس ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ تقديس ﴿الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ ﴿١١١﴾﴾؛ تسييح وتنزيه ﴿وَكِبْرَةٌ كَثِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء / ١١١]؛ تقديس.

والتسييح والتقديس من أعظم العبادات التي يحبها الله، ولهذا قالت الملائكة لربها لما أخبرهم بخلق آدم ﷺ، وجعله خليفةً في الأرض، قالوا عن عبادتهم أنهم يسبحونه ويقدسونه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة / ٣٠].

ثم سجدوا لله لطاعته في أمره لهم بالسجود: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة / ٣٤].

فسبحان ربنا العظيم الذي سبح نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات / ١٨٠-١٨٢]. ﴿وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾﴾ [الصافات / ١٨١]. ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات / ١٨٢]. وقال ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء / ١].

وسبح بحمده جميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) [الحديد / ١].

ويسبح بحمده إلى أن تقوم الساعة جميع مخلوقاته ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ  
وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤٤) [الإسراء / ٤٤].

وأنت ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) ﴿[الأعلى / ١-٥].

وسبح باسم ربك العظيم: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٧٤) [الواقعة / ٧٤].  
وتسبح الله أحب شيء إليه، كما قال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي  
المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٦٤٠٦)، ومسلم برقم (٢٦٩٤)، واللفظ له.

## التعبد لله ﷻ باسمه السبوح

اعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق، أن الله وحده لا شريك له هو الذي يستحق التكبير كله، والتحميد كله، والتسبيح كله، والتعظيم كله؛ لما له من الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الكبرى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

فانظر رحمك الله إلى جميع أسماء الله وصفاته؛ فسبحه بها، وادعه بها، ونزهه عن أصدادها: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١١٠] وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء / ١١٠-١١١].

سبح بحمد ربك العظيم الذي له العزة والعظمة، والكبرياء والجلال والجلوت، وله الخلق والأمر في الملك والملكوت: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [٨٢] فَسَبِّحْهُنَّ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٨٢] [يس / ٨٢-٨٣].

وسبح بحمد ربك الأعلى بالقول والفعل، واملأ الكون بتسبيحه وحمده كما ملاء لك وحده بنعمه وأرزاقه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [١] الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ [٢] وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [٣] وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ [٤] فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى﴾ [٥] [الأعلى / ١-٥].

واعلم رحمك الله أنه لا يصح لمسبح حقيقة التسبيح حتى يتنزه عن الأوصاف الذميمة؛ فيتنزه عن الشهوات المحرمة، وينزه مطعمه من الحرام، وأعماله من الرياء، ولسانه عن القبيح، وقلبه عن النفاق والرياء، وسيئ الأخلاق: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة / ٢٢٢].

وإذا صفت نفسك وأعمالك من كل شيء سيئ ومذموم فقد وصلت: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [١٧] فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾ [٩٨] وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر / ٩٧-٩٩].

فارفع الشكر والتحميد، والتمجيد والتكبير، والتسبيح والتقديس، لربك العظيم في كل

حال؛ فإنه لا يستحق ذلك إلا الواحد الأحد العظيم الذي شهدت الكائنات بعظمته، الكريم الذي ملأ الكون بنعمه، وسبحت جميع المخلوقات بحمده: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء / ٤٤].

ارفع لربك التحميد مرةً مفردًا، ومرةً مقرونًا بالتسبيح؛ فهو أهل أن يُحمد، وأهل أن يسبح بحمده؛ فالمفرد مثل قوله ﷺ في سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرحمن الرَّحِيمِ ٢) مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ١)﴾ [الفاتحة / ٢-٤].

ومثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرَبِّعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر / ١].

ومثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف / ١].

ومثل: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءُ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءُ الْأَرْضِ، وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ النَّوَاءِ وَالْمُجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجُدِّ مِنْكَ الْجُدُّ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

والتحميد المقرون بالتسبيح مثل: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

ومثل: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ ، وَتَعَالَى جَدُّكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ» أخرجه أبو داود والترمذي<sup>(٣)</sup>.

فما أعظم شأن التسبيح والتحميد لربنا العظيم! وما أجزل ثواب ذلك! وما أنفعه للعبد!: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر / ٣].

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٩٦)، ومسلم برقم (٤٧١)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٧٧٦)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٤٣) وهذا لفظه.

تَمَلُّا الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّانِ - أَوْ تَمَلُّا - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»  
أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

واعلم أن من عرف ربه باسمه السبوح سبحة مع المسبحين، وطهر ظاهره وباطنه من أمراض الشهوات والشبهات، ونزه ربه عن كل ما لا يليق بجلاله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾<sup>(٤٣)</sup> تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٣-٤٤].

والتسبيح من أعظم العبادات، وأجل القربات، ومن أعظم أسباب تفريج الكربات، وإجابة الدعوات.

قال النبي ﷺ: الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّا الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلَّانِ - أَوْ تَمَلُّا - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وأما كون التسبيح سبباً لتفريج الكربات وإعطاء السؤالات، فدل عليه قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ إِذْ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾﴾ [الحجر / ٩٧-٩٩].

وقوله سبحانه: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء / ٨٧-٨٨].

والله سبحانه سبوح قدوس، ومن كان هذا وصفه فإن النفوس مجبولة على حبه وتعظيمه، وتقديسه وتسبيحه، وتنزيهه في أسمائه وصفاته، وفي أقواله وأفعاله، وتنزيهه عن الشريك والمثيل، وعن الصاحبة والولد، وتنزيه حكمه وشرعه عن الظلم والجور، والنقص والعيب، والإكثار من ذكره وتسبيحه وتحميده وتقديسه آناء الليل والنهار، والثقة بوعد الصادق، وحسن الظن به، واجتناب سوء الظن به؛ لأن سوء الظن بالله

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٣).

يقدر في تنزيهه، كما قال سبحانه: ﴿وَيَعَذِّبُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُرِبَ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦].

واعلم أن شأن التسبيح عظيم، وأحب الكلام إلى الله تسبيحه، وتحميده، وتكبيره، والثناء عليه، وذكر محامده، كما قال النبي ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن دعاء النبي ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمَدَادَ كَلِمَاتِهِ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» أخرجه مسلم<sup>(٣)</sup>. وكان ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» متفق عليه<sup>(٤)</sup>.

وكان ﷺ لا يقوم من مجلس إلا قال: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» أخرجه أحمد وأبو داود<sup>(٥)</sup>.

وكان ﷺ يقول في ركوعه: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» أخرجه مسلم<sup>(٦)</sup>. وفي سجوده: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» أخرجه مسلم<sup>(٧)</sup>.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة / ٧٤].

وسبح مع المسبحين: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢١٣٧).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٦).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣١).

(٤) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم (٧٩٤)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٨٤).

(٥) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٩٧٦٩)، وأبو داود برقم (٤٨٥٩).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٧٧٢).

(٧) أخرجه مسلم برقم (٧٧٢).

واعلم رحمك الله أن تسييح اللسان إذا صدر عن سكينه الإيمان فهو حسن، لكنه ليس كتسييح صادر عن قلب سابع في بحار عالم الملك والملكوت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ [آل عمران / ١٩١].

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [السجدة / ١٥-١٧].

فسبحان ربنا الملك الحق الذي يسبح بحمده العرش وحملته ومن حوله، ويسبح بحمده كرسيه الواسع، وتسبح بحمده السماوات السبع، والأرضون السبع، وما فيهن وما عليهن وما بينهن، وتسبح بحمده كل ذرة في ملكه العظيم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِءِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ﴾ ﴿٧﴾ [غافر / ٧]:

واعلم أن الناس في معرفة تسييح المخلوقات من الذرات، والمجرات، الجمادات، والنباتات، والحيوانات، على درجتين:

الأولى: الإيمان بأن كل مخلوق يسبح بحمد ربه، وهذه يعلمها كل مؤمن، كما قال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ ﴿٤٤﴾ [الإسراء / ٤٤].

الثانية: شهادتها على نفسها بالنقص، ولخالقها بالكمال، مع التعظيم والتحميد والتمجيد لبارئها، وهذه يعلمها أولو الألباب: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِثٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩].



﴿ أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ أَوَّلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الرعد / ١٩].

فسبحان ربنا العظيم، وسبحان ربنا الأعلى، وسبحان ربنا الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٠].

واعلم أن للكائنات كلها في العالم العلوي والعالم السفلي تسبيحًا باطنًا، يعلمه ويسمعه منها خالقها الذي: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤].

وقد يُسمع الجبار جل جلاله من شاء من عباده تسبيح بعض مخلوقاته، كما أسمع داود ﷺ تسبيح الجبال والطيور: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء / ٧٩].

وكما أسمع سليمان ﷺ منطلق الطير والنمل، وكما أسمع محمدًا ﷺ حين الجذع في المسجد لما ترك الخطبة عليه، وكما أسمعه ﷺ شكوى الجمل الذي كان أهله يستعملونه ويبيعونه، وكما أسمعه تكليم ذراع الشاة المسمومة، وسلام الحجر عليه بمكة، وغير ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [فاطر: ٢٢].

فسبحان الرب المعبود بكل مكان يليق بجلاله، الذي يسبح بحمده كل لسان، سبحانه وبحمده، لا نحصي ثناءً عليه، إليه نسعى ونحفد، وله نصلي ونسجد: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

سبحان الله وبحمده، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى.

هو العليم القدير، المنزه عن النسيان والغفلة، وعن العجز والتعب واللغوب.

هو الحي القيوم المنزه عن السنة والنوم، والموت، القائم على كل نفس: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ ۚ

إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة / ٢٥٥].

هو الحكيم المنزه عن العبث والسفه، هو الغني المنزه عن الحاجة إلى غيره، هو الكريم الحق المنزه عن البخل والظلم: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨].

هو الرحمن الرحيم المنزه عن الظلم والقسوة، وهكذا الحال في جميع أسمائه وصفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١١﴾ [الشورى / ١١].

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨٢].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا آتَيْتَنَا وَتَبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُفِنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [آل عمران: ٥٣].

«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ.»

اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدَّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ «متفق عليه»<sup>(١)</sup>.

اللهم لك الملك كله، ولك الخلق كله، ولك الحكم كله، وإليك يرجع الأمر كله، علانيته وسره، لا إله إلا أنت، أنت الغني ونحن الفقراء، وأنت القوي ونحن الضعفاء، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (١١٢٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٩٩).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الطيب

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الطيب

الله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) [الحشر: ٢٤].

الله ﷻ هو الطيب الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، المنزه عن جميع النقائص والآفات والعيوب، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والنعوت الحميدة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) [طه/ ٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ» [المؤمنون: ٥١] أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وهو سبحانه الطيب الذي هدى عباده المؤمنين إلى كل طيب من الاعتقاد، والقول، والعمل، والخلق، فأطيبه كلمة التوحيد والإخلاص، ثم سائر الأقوال والأعمال والأخلاق الطيبة، التي يطيب بها العبد ويزكو: ﴿وَهُدُّوْا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوْا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ (٢٤) [الحج/ ٢٤].

وهو سبحانه الطيب الذي أسماؤه أطيب الأسماء، وصفاته أطيب الصفات، وأفعاله أطيب الأفعال، وكلامه أطيب الكلام، ودينه أطيب الأديان، وثوابه أحسن الثواب.

وهو سبحانه الطيب الذي لا يقبل من الأقوال والأعمال إلا ما كان طيبًا، وطيبه أن يكون خالصًا لله وحده، على ما جاء به رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١١٠) [الكهف/ ١١٠].

وهو سبحانه الطيب الذي لا يصعد إليه إلا الطيب، ولا يقرب منه إلا الطيب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

شَدِيدٌ وَمَكْرٌ أُولَئِكَ هُوَ يُؤْوَى ﴿١٠﴾ [فاطر / ١٠].

ودينه الحق كله طيب، كامل في عقائده، وأحكامه، وآدابه، وسننه، وشرائعه: ﴿يَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة / ٣].

﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٠﴾ [الأنبياء / ١٠].

فعقائد هذا الدين هي الإيمان وأركانه؛ وهي: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ فعقائده تطيب بها النفوس وتزكو، وتطمئن بها

القلوب وتسكن: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر / ٨٧].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿٢٨﴾ [الذِّكْرِ

ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

وأحكامه أطيبت الأحكام وأحسنها وأعدلها، وآدابه أطيبت الآداب التي تصلح بها أحوال الدنيا والآخرة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ

﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ

إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿١٦﴾ [المائدة / ١٥-١٦].

والمؤمن كله طيب؛ قلبه، ولسانه، وجوارحه، وذلك بما سكن في قلبه من التوحيد والإيمان والتقوى، وبما ظهر على لسانه من الذكر، والحمد، والتسبيح، والاستغفار،

والقول الحسن، وبما ظهر على جوارحه من الطهارة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الحسنة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ

هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا

خَاشِعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء / ٩٠].

واعلم أنه لما طاب المؤمن في هذه الدار بالإيمان والتقوى؛ أكرمه الله يوم القيامة بدخول دار الطيبين، وهي الجنة دار السلام: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّئُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [النحل / ٣٢].

ومن طاب قلبه في الدنيا بمعرفة الله ومحبه وخشيته وتقواه، وطاب لسانه بذكره وحمد

وشكره، والدعوة إليه، وتعليم شرعه، وطابت جوارحه بالعمل الصالح؛ أسعده الله في الدنيا، وأدخله الجنة في الآخرة؛ لأنها الدار الطيبة التي لا يستحقها ولا يليق بها إلا الطيبون: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر / ٧٣].

فسبحان الكريم الذي وعد عباده المؤمنين والمؤمنات بالحياة الطيبة في الدنيا، والجنة في الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل / ٩٧].  
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام / ٨٢].

• واعلم أن الدور يوم القيامة اثنتان:

الأولى: دار الطيب المحض، وهي الجنة، وهي لكل من جاء بطيب لا يشينه خبث.

وهؤلاء هم المؤمنون الكمل، وفي مقدمتهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

الثانية: دار الخبث المحض، وهي النار، وهي لكل من جاء بخبث لا طيب فيه، وهم الكفار والمشركون والمنافقون، وفي مقدمتهم إبليس وجنوده من شياطين الإنس والجن.

ومن معه طيب وخبث من الأقوال والأعمال، وهم عصاة المسلمين؛ فهؤلاء من دخل النار منهم عُدب بقدر ذنوبه، ثم أُخرج إلى الجنة دار الطيبين، التي لا يدخلها إلا من طابت أقواله وأعماله، وخلص من الخبث: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَادَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّتًا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم / ٧١-٧٢].

وهاتان الداران موجودتان باقيتان لا تفتيان أبدًا، وأهلها مخلدون فيها أبدًا، الجنة دار الطيب المحض، والنار دار الخبث المحض: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء / ١٣-١٤].

واسم الله الطيب ورد في السنة النبوية الصحيحة، ولم يرد في القرآن.  
قال النبي ﷺ: « أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا » أخرجه مسلم (١).

هو سبحانه الطيب المنزه عن الآفات والنقائص والعيوب، القدوس الطاهر الذي طيب كل طيب، الطيب الطاهر الجميل الذي له من كل حسن أفضله وأكملة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

هو سبحانه الطيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الطيب الذي لا أطيّب منه، ولا أحسن منه، فهو الجميل الذي لا أجمل منه، الكريم الذي لا أكرم منه.

فذاته أكمل الذوات، وأسمائه أجمل الأسماء، وصفاته أحسن الصفات، وأفعاله أحسن الأفعال؛ لأنها في غاية الحكمة والحق والصواب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (١) ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٢) ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٤) [الإخلاص / ١-٤].

وهو سبحانه الطيب في أحكامه وأوامره، فهو الطيب في أحكامه الكونية؛ لأن كل ما يقضيه حسن منزّه عن الشر والسوء، وكل ما يخلقه طيب حسن: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٦) ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٧) [السجدة / ٦-٧].

وهو الطيب في أحكامه الشرعية؛ لأنها قائمة على الحق والرحمة، والعدل والإحسان، ومصالح العباد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) [النحل / ٩٠].

وهو الطيب في أحكامه الجزائية؛ لأنه يحكم بعدله وفضله في الدنيا والآخرة. فيحكم للمؤمنين بالفضل، ويحكم للكفار بالعدل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٦٠) [الأنعام: ١٦٠].  
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤٠) [النساء / ٤٠].

والصفة المشتقة من اسم الله الطيب هي الطيب، وهي صفة ذاتية وفعلية.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠١٥).

فالذاتية أن الله هو الطيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ  
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (طه: ٨).

والفعلية أن الله سبحانه طيب الجنة فجعلها أطيّب ما يكون، فهو الطيب الذي طيب كل  
طيب.

وهو سبحانه الطيب الذي نزه نفسه عن كل النقائص والعيوب، وكل ما لا يليق  
بجلاله، ونزه نفسه عن الشريك، والشبيه، والمثيل، والعديل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ  
﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾  
[الإخلاص / ١-٤].

وهو سبحانه الطيب الموصوف بكل طيب؛ فكلامه أطيّب الكلام، وأفعاله أطيّب  
الأفعال، وأوامره أطيّب الأوامر، وثوابه أطيّب الثواب، وإحسانه أطيّب الإحسان،  
وحلمه أحسن الحلم، وهكذا في سائر الأسماء والصفات: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ  
الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾  
[الحشر / ٢٤].

هو سبحانه الطيب القدوس الذي تقدس بكل طيب، وتنزه عن كل ما ليس بطيب،  
العلي عن كل ما ليس بطيب، الطيب الذي يرزق ويكرم، ويحلم ويصفح، ويعفو ويغفر،  
ويرحم ويلطف: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة / ١٤٣).

هو الطيب الذي يؤذيه الخلق ويسبونونه، ويدعون له الصاحبة والولد، وهو يرزقهم  
ويعافهم، ويدعوهم إلى التوبة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا  
مِنَ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ  
أَلِيمٌ﴾ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾  
[المائدة: ٧٣-٧٤].

وقال النبي ﷺ: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَدَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ، يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ، ثُمَّ يُعَافِيهِمْ  
وَيَرْزُقُهُمْ» أخرجه البخاري (١).

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة / ٧٤).

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٨).



وهو سبحانه الطيب الذي له الصلوات والتحيات، والطيبات من الأسماء والصفات، والأقوال والأفعال كلها وحده لا شريك له.

قال النبي ﷺ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الطيب الذي أرسل رسله بالحق، وأنزل كتبه بالحق، وبكل طيب: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

﴿قَالَ عَدَايَ أُصِيبُ بِهِ مِنْ أَشَاءِ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [١٥٦] الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف / ١٥٦-١٥٧].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن كل ما أمر الله ورسوله به فهو طيب ونافع، وكل ما نهى الله ورسوله عنه فهو خبيث وضار، وما أمر الله بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه.

وأكمل الخلق في فعل الطيبات، واجتناب الخبائث، هم الأنبياء والرسل، وفي مقدمتهم سيد الخلق ﷺ؛ ولهذا أمرنا الله بطاعته واتباعه في كل ما جاء به: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف / ١٥٨].

وقال ﷺ: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [الحشر / ٧].

واعلم أن الله طيب؛ لا يقبل من الأعمال والأموال إلا ما كان طيباً: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٣٨١)، ومسلم برقم (٤٠٢)، واللفظ له.

تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِتَاخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ ۚ وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ عِنْدَ حَكِيمٍ ﴿٣١٧﴾ [البقرة / ٢٦٧].  
والطيب من الأقوال والأعمال ما كان خالصاً لله ﷻ، موافقاً لسنة النبي ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ۚ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠].

واعلم رحمك الله أن الطيب من كل شيء جوهره ونفيسه، وهو ما سلم من الخبث كله، وجمع الطيب كله.

والطيب قريبٌ من معنى الطهارة، وفي الطيب معنى زائدٌ على الطهارة؛ فالطهارة عبارة عن ذهاب النجاسة، والطيب فيه شيءٌ زائدٌ على الطهارة، وهو في الشم طيباً، وفي الأفعال جودةٌ وحسناً.

فالأعمال الصالحة متى ألفت بفاعلها رجزاً طهرته، وإن لم تجد ما منه تطهره طبيته؛ ليلقى ربه طاهراً طيباً: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل / ٣٢].

وقال ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود / ١١٤].

و ضد الطيب الخبيث، وفي بني آدم خبثٌ كخبث الحديد والذهب والفضة، وهو حظ الشيطان من أحدنا، ويظهر ذلك بالإيمان والتقوى، ويطيب ويزكو بكمال التوحيد والإيمان والتقوى، كما يظهر خبث الحديد بالنار، فطهر نفسك من كل نجاسة ومعصية بالتوبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة / ٢٢٢].

وقال ﷻ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس / ٧-١٠].

واعلم أن مكائد الشيطان للإنسان كثيرة، وأن مكان الشيطان في الإنسان على موضع الخبث يزينه ويزيده؛ ليزداد الإنسان خبثاً بعد خبث، ورجزاً بعد رجز، بالشرك والكفر، والنفاق والظلم، والكذب والكبر، والحسد والحقد، والبخل والطمع، وغيرها من مساوئ الأخلاق: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر / ٦].

والشيطان عدو مبين للمؤمن، ينقله من المباحات إلى الصغائر، ومن الصغائر إلى الكبائر، ومن الكبائر إلى الردة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور / ٢١].

وعن صفة زوج النبي ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج معها، فلقيه رجлан من الأنصار فقال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْدَفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا» أَوْ قَالَ «شَيْئًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم أن من أراد الله برحمته يسر له أسباب الهداية، وفتح له أبواب المعرفة، ونقله من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشر إلى الخير، ومن المعاصي إلى الطيبات، والطاعات: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران / ١٦٤].

وقال ﷺ: ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات: ١٧].

ثم يجعل ما كان له من خلق مذموم محموداً على مراد ربه، فيجعل كبره على أعداء الدين، وحرصه على طاعة ربه، وإبائه عن معاصيه، وبطشه بمن أصر على الكفر، وחסده على الخير والحكمة، وبذل النفس والمال في ذات الله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح / ٢٩].

فسبحان الحكيم العليم الذي يبذل عبده بسيئاته حسنات؛ ليحييه بذلك حياة طيبة، ويزيل عنه خبث باطنه، ورجز أعماله الظاهرة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب / ٣٣].

والله سبحانه هو الطيب الذي يزكي بالمحامد والمحاسن والفضائل من يشاء من عباده، ويزكي قلوبهم بالتوحيد والإيمان والتقوى: ﴿لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٠٣٨)، ومسلم برقم (٢١٧٥)، واللفظ له.

أَحَدٌ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ [النور / ٢١].

هو جل جلاله الواحد الأحد في ذاته وأسمائه وصفاته، الطيب القدوس في جميع أسمائه وصفاته، الذي له المثل الأعلى في السماوات والأرض: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهٗ قَلْبُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْحَقَّ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم / ٢٦-٢٧].

فسبحان ربنا الملك القدوس الطيب الذي لا تلحقه الآفات، ولا يليق به نقص، له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [طه / ٨].

أفمن هو جبار لا نقص فيه كمن هو مجبور لا غنى به؟! أو من هو كبير لم يزل كمن هو حقير لم يكن؟! أيستوي الملك والمملوك؟! أيستوي الخالق والمخلوق؟! أيستوي الرزاق والمرزوق؟! ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل / ١٧-١٨].

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُنَبَّعَ أَمَّن لَّا يَهْدِي إِلَّا أَن يَهْدِيَٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس: ٣٥].  
﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢].

كل المخاليق أبان بجبروته، وأخبر بدوام ملكوته، وشهد بوحدانيته: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَابِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨].

وجميع مخلوقاته في العالم العلوي والعالم السفلي، الكبير منها والصغير، والعالى والسافل، والسائل والجامد، والمتحرك والساكن، الكل يسبح بحمده، وبطهارة قدسه، وطيب أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤].

## التعبد لله ﷻ باسمه الطيب

اعلم غفر الله لنا ولك أنه يجب على كل من ذكر الله باسم من أسمائه الحسنی، أو أثنى عليه بصفة من صفاته العلی، أن يطالب نفسه بمقتضى ذلك الاسم، وموجب تلك الصفة، بما يرضي ربه عنه.

فمن عرف ربه بأسمائه وصفاته فلا يقف بنفسه على العلم به دون العمل له، والتعبد لجلاله بما يحبه من أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فاجتهد رحمك الله في العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله، واستعمل نفسك بمقتضاها، فإذا ذكرت الرحمن فتذكر ما عندك من الرحمة، وكم رحمت من الخلق، وتعبد لله بصفة الرحمة لأهل الأرض يرحمك من في السماء: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقال ﷻ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۚ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران / ١٥٩].

وإذا ذكرت العليم سبحانه فتذكر ماذا عندك من العلم، وكم علمت من الخلق من شريعة الله، وتعبد لله بصفة العلم؛ يورثك التقوى والخشوع له، والخشية له: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون / ١-٢].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر / ٢٨].

وإذا ذكرت ربك الكريم فتذكر كم أكرمت من الخلق مما أعطاك الله، وتعبد لله بصفة الكرم، ونفع نفسك، ونفع العباد، والإحسان إلى الخلق: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى الْخَلْقِ مِنَ رِيبِكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر / ١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر / ١٣٤].

[آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

وهكذا في بقية الأسماء والصفات، تخلق بها، وتعبد الله بموجبها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْرَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾  
[الأعراف: ١٨٠].

ونزه نفسك عن الصفات السيئة، والأفعال المذمومة، وطيب نفسك وزكها بكل عمل صالح، وخلق حسن؛ تسعد وترضى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس / ٧-١٠].

ومن أعظم التزكي: العمل بطاعة مولاك الحق؛ لتزكى بذلك عنده، وتقرب منه ﴿إِنَّمَا نُزِرُ الَّذِينَ يُخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ ﴿١٨﴾﴾ [فاطر: ١٨].

واعلم أن الزكاة استواء ظاهر الشيء وباطنه جودةً وحسنًا، والنهوض إلى الخيرات صعودًا بكل عمل طيب زكي صالح: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى / ١٤-١٧].

واعلم أنه لا يكون عن الطيب سبحانه إلا كل شيء طيب، ولا يكون عن الخير إلا الخير، وأفعال الله كلها خيرٌ ورحمةٌ وإحسان، وهو المحمود على أسمائه وصفاته وأفعاله، وإنعامه وإحسانه، وعلى دينه وشرعه، وعلى عدله وإحسانه: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافَتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١١﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ لِدَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِن الدَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء / ١١٠-١١١].

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران: ٢٦].

فاجتهد رحمتك الله على أن يخرج منك كل عمل طيب يرضى به ربك الطيب؛ من ذكر وشكر، وحمد وثناء، وحسن عبادة، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وإحسان إلى الخلق: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج / ٧٧].

واعلم أنك لن تنال البر والمقام الأسمى إلا ببذل كل طيب من الأوقات، والأموال، والأقوال، والأفعال، والأعمال، في مرضاة الله وفي سبيله: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ﴿٩٢﴾ [آل عمران / ٩٢].

واعلم يا عبد الله أن ما عملته من طيب أو خبيث مثبت في صحائفك، وأنت مرتين بقولك وفعلك، وأنت عما قليل راجع إلى ربك الذي لا يقبل إلا الطيب من كل شيء، فاختر رحمك الله من العمل ما طابت ثمرته، وسرتك رؤيته: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصُدُّرُ النَّاسُ أَشْتَانًا لِيرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٦-٨].

والجزء من جنس العمل: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَكَوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾ [القارعة / ٦-١١].

واعلم أن التزكي المشروع يكون بالتطهر من الأدناس والآثام، والتطيب بطاعة الله وصالح الأعمال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [النحل / ٣٦].

ومن أراد تمام التزكي فكل خلق في القرآن محمود يفعلُه، وكل خلق في القرآن مذموم يحذره: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾ [الحشر / ٧].

يا عبد الله تزين لربك الطيب بكل طيب، واعلم أن زينة القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى، وزينة الجوارح بالأقوال الحسنة، والأعمال الصالحة؛ فبادر إلى الاتصاف بالصفات التي يحبها الرب، تطب ويطب جزاؤك، ويرضى عنك ربك، ويؤتكَ أجرًا عظيمًا: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَلِيعِينَ وَالْخَلِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ  
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ  
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾  
[الأحزاب / ٣٥].

واعلم هداك الله لما يسعدك في دينك ودنياك وأخراك أن التطهر من الخبث الخُلقي ليس  
من قبيل الاكتساب؛ لِأَنَّهُ تَرَكِبَ فِي الْخَلْقَةِ، فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَطَهِّرَ قَلْبَكَ مِنْهُ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ  
أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا  
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾  
[الأنعام / ١٢٥].

وقال ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ  
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ  
الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

لكن الكريم سبحانه ما خلق داءً إلا جعل له دواءً، ولا أغلق غلقاً إلا وجعل له  
مفتاحاً: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر / ٢].

وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم (١).

ومفتاح هذا الغلق، ودواء هذا الداء، الدعاء والتضرع إلى من بيده مفاتيح كل شيء أن  
يزيله ويبدله بخير منه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا  
دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].  
والتبري من الحول والقوة، وانتظار الفرج من عند الله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).



﴿٢﴾ وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ [الطلاق: ٢-٣].

والاستقامة على أوامر الله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ [النساء/ ٦٦-٦٨].

وقطب ذلك كله معرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة ما يجب له، ومعرفة النفس، وما يجب عليها، ومخالفة الهوى، ولزوم الطاعات، والفرار من المعاصي، والبعد عن مواضع الآثام والفواحش، ولزوم باب العبودية حتى الممات: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ [الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

وقال ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ [الكهف/ ٢٨].

وتوسل إلى ربك بأحسن الوسائل وأحبها إليه، وتحين وقت رقة قلبك، وناج ربك بلسان الافتقار، وتضرع إليه بصدق الانكسار، وقف بين يديه بجلال الاضطرار: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨١﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْأَخْيَارِ وَيَدْعُونَكَ رِعْبًا وَرَهْبًا ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ ٨٩-٩٠].

ومن عرف الله حقاً عبده حقاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وابك على تقصيرك وجهلك بربك إذا أتاح لك البكاء عند مناجاته: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ ﴿٥٨﴾ [مريم / ٥٨].

واعتذر إليه من عجزك؛ فإنك لا تدري متى تكون الاستجابة، وأفضل العبادة انتظار الفرج مع لزوم الدعاء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا التَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَجَعَلْنَاهُ مِنَ الْغَنِيِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [الأنبياء / ٨٣-٨٨].

رزقنا الله وإياك والمسلمين حسن هدايته، ولا حرمانا كريم إجابته: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿١٨٦﴾ [البقرة / ١٨٦].

واعلم علمنا الله وإياك علم ما لم نعلم أن من عرف ربه باسمه الطيب كبره وعظمه ومجده، وأحبه وحمده وشكره، وطهر باطنه من أدران الذنوب والمعاصي، وطهر ظاهره وطيبه بأحسن الأقوال والأفعال والأخلاق والآداب: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَثَوَلِكُمْ﴾ ﴿١٩﴾ [محمد: ١٩].

وتحرى الحلال الطيب في مأكله ومشربه وملبسه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾ [البقرة / ١٧٢].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يطيب قلبه بالتوحيد والإيمان، والصدق والإخلاص، فيوحده ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويوحده بعبادته وحده لا شريك له، ويوحده في دينه وشرعه، فلا يتلقى الأحكام إلا منه: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ [يوسف / ٤٠].

ويجتهد أن لا يصعد منه إلى خالقه إلا أطيب الأقوال والأفعال ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر / ١٠].

والمؤمن طيب يطيب نفسه بكل خير، ويبعدها عن كل شر، وكذا يطيب غيره بكل خير؛ بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله؛ فهو صالح مصلح، وطيب مطيب، يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ مَنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةِ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّيِّئَاتِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) [فصلت / ٣٣].

﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٩) [آل عمران / ٧٩].  
ومن عرف ربه باسمه الطيب أحبه ووحده؛ لأنه الطيب في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الطيب الذي كل جمال وحسن وطيب فمن آثار طيبه وجماله، وهذه المحبة تثمر أعظم أنواع العبوديات من تعظيم الله وتكبيره، وحمده وشكره، وإخلاص العمل له، والإكثار من ذكره، وامثال أوامره، واجتناب نواهيه، والتقرب إليه بأنواع القربات: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) ﴿نَتَجَافَى جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) [السجدة: ١٥-١٧].

ومن عرف ربه باسمه الطيب يتقن أن كل طيب منه، فلا فلاح ولا سعادة في الدنيا والآخرة إلا من جهته؛ وذلك يثمر للعبد القبول التام لشريعته، والتسليم الكامل لأمره، ولأحكامه الكونية، والشرعية، والجزائية؛ لأنها كلها خير وحكمة، ورحمة وإحسان: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١١٢) [البقرة: ١١٢].

والله سبحانه جميل طيب لا يفعل ولا يأمر إلا بكل طيب جميل، ولا ينهاى إلا عن كل خبيث ضار، وقبيح وسيئ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل / ٩٠].

ومن عرف ربه باسمه الطيب اطمأن إليه، واطمأن إلى أقداره الكونية، واطمأن إلى أوامره الشرعية، وأحسن الظن بربه الطيب؛ لأن الطيب لا يصدر منه إلا كل فعل طيب، وأمر طيب: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل / ٩٧].

ومن عرف ربه باسمه الطيب الجميل؛ اشتاق إلى رؤيته التي هي أعظم نعيم الجنة، وبادر وسارع إلى كل عمل صالح يقربه إلى رضوان الله وحبته: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧١-٧٢].

﴿ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٧٢-٧٣].

ومن علم أن الله طيب لا يقبل إلا طيباً حرص على المال والكسب الطيب أخذاً وعتاءً وتقرباً إلى الله ﷻ؛ فكل خير وبركة في العمل الطيب، والكسب الطيب، وكل شر ومحق في الخبيث من الأقوال والأفعال والمكاسب.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلَّا الطَّيِّبُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّهَا لِصَاحِبِهَا، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوهُ، حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ومن آثار اسم الله الطيب: أن تحب الطيبين، وتصاحب الطيبين، وتحب الطيب من كل مجلس أو صفة، أو قول، أو فعل، أو إنسان، أو مال: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَبْدُونَ

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (١٠١٤).

الْحَمْدُوتِ السَّخِيحُونَ الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالْتَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [التوبة: ١١٢].

وإذا أردت أن تعرف مقدار طيبك ومنزلتك عند الله، فانظر إلى قربك وبعدهك من الطيب  
جل جلاله، وأطيب الطيب كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، ومن الناس رسله وأنبياءه  
وأولياؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا  
وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجْرَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ  
إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

واعلم رحمك الله أن قلبك ولسانك وجوارحك كلها طيبة، فلا تنجس قلبك بالكفر،  
والشرك، والنفاق، والكبر، والحسد، ولا تنجس لسانك ولا عينك ولا أذنك ولا يدك  
ولا رجلك ولا بطنك ولا فرجك بما يغضب الله ويسخطه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ  
أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ  
الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦-١١٧].

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾  
[الإسراء: ٣٦].

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
فَلَهُمْ أَجْرٌ عَزِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤-٦].

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٤].  
واعلم رحمك الله أن الطيب قليل، والطيبون قليلون، والطيبة قليلة، والخبيث كثير،  
والخبيثون كثيرون، فلا يغرنك ذلك، وكن مع الطيبين: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ  
حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يوسف: ١٠٣].

﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: ١٣].  
﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: ١٠٢].  
﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي  
بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا  
نَارًا ﴾ ﴿٢٨﴾ [نوح / ٢٨].

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ  
أَنْتَ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَاةَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَاةَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا.  
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ  
لَا يُسْتَجَابُ لَهَا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألستنا من الكذب، وأعيننا من  
الخيانة، إنك تعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور.

اللهم أنت العظيم الذي لا أعظم منك، وأنت الكبير الذي لا أكبر منك، وأنت الطيب  
الذي لا أطيب منك، اللهم يا طيب طيب نياتنا وأقوالنا، وأفعالنا وأعمالنا، وطيب  
سرائرنا وبواطننا وظواهرنا، وطيب أحوالنا وأموالنا، وطيب أهلنا وأولادنا، وطيب  
أخلاقنا وبيوتنا وأسواقنا، وطيب أرزاقنا ومكاسبنا، وطيب قلوبنا وجوارحنا، وطيب  
حياتنا وأوقاتنا، إنك على كل شيء قدير.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٨٢﴾ [الصافات / ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الجميل

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الجميل

الله ﷻ هو الجميل في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فأساؤه كلها حسنى، وصفاته كلها عليا، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة، وعدل وإحسان ورحمة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

وجمال ذاته ﷻ أمر لا يدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وهو محبوب بستر العظمة والعزة والكبرياء والنور.

عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَدْبَتُهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فسبحان الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، الذي خلق كل جميل، وأمر بكل جميل من الأقوال والأعمال والأخلاق.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ تَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً.

قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

هو سبحانه الجميل الحق الذي لا منتهى لجماله؛ فجماله لا أول له ولا آخر، ولا بداية له ولا نهاية، كسائر أسمائه الحسنى، وصفاته العلى.

هو الجميل الذي لا أجمل منه، الجميل الذي يملك خزائن الجمال، الجميل الذي خلق الجمال في كل جميل، الجميل الذي وهب الجمال الظاهر والباطن لمن شاء من خلقه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٩١).



السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

هو سبحانه الجميل الذي كل جمال في العالم فمن آثار صنعه، الجميل المحسن إلى عباده بكل جميل، واهب الجمال والحسن والزينة لكل مخلوق: ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾﴾ [السجدة: ٦-٨].

هو الجميل الذي جعل الأرض بكل جميل من المياه والنبات، والأزهار والثمار، والسهول والجبال، والبحار والأنهار، والشجر والدواب: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف / ٧].

هو الجميل الذي جعل السماء الدنيا بالنجوم والمصابيح، والشمس والقمر: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾ [الملك / ٥].

﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾﴾ [الصافات / ٦].

هو الجميل الذي جعل القلوب بالتوحيد والإيمان والتقوى، وجعل الأجساد بالطاعات والأخلاق: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات / ٧-٨].

فسبحان من خلق الإنسان في أحسن تقويم، ثم جملة بالدين: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾ [التين: ٤-٨].

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾

وهو سبحانه الجميل الذي يستحق أن يُعبد لذاته، ويُحب لذاته، ويُحمد لذاته: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم / ٦٥].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة / ٢١-٢٢].

فكيف إذا انضاف إلى ذلك حسن أسمائه، وعلو صفاته، وجمال أفعاله، وإحسانه

وإنعامه، وعفوه وبره، ورحمته وحلمه؟! ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (٨) [طه / ٨].

فسبحان الجميل الذي خلق كل جميل: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِي الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) [الحشر / ٢٤].

وهو سبحانه الجميل المحمود على حسن أسمائه وصفاته وأفعاله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٧٠) [القصص / ٧٠].

هو الجميل الذي كل جمال ظاهر أو باطن في الدنيا والآخرة فمن آثار صنعه وجماله: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (٨٨) [النمل: ٨٨].

واعلم رحمك الله أن معرفة الله بالجلال والجمال من أعز أنواع المعرفة، وأعظمها شأنًا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩٨) [المائدة / ٩٨].

وقال سبحانه: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ (٥٠) [الحجر / ٤٩-٥٠].

فسبحان الملك الحق الذي له الكبرياء كله، وله العز كله، وله الجلال كله، وله الإحسان كله، وله الحمد كله، وله الفضل كله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٠٣) [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن اسم الله الجميل لم يرد في القرآن الكريم، وإنما ورد في السنة في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فالله ﷻ هو الجميل الذي له نعوت الحسن والإحسان والجمال، الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فله الجلال المطلق من جميع الوجوه، وكل ما في المخلوقات العلوية والسفلية من جمال فهو من آثار جماله، فهو الجميل الذي وهب كل جميل جماله.

فسبحان الجميل الذي جعل كل جميل من جماد، ونبات، وحيوان، وإنسان، وملك.

الجميل الذي لو جُمع كل جمال المخلوقات في واحد، ثم جعلت جميعها على جمال ذلك

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

الواحد، ثم نسب هذا الجمال كله إلى جمال الرب؛ لكان أقل من نسبة سراج ضعيف إلى عين الشمس: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

والصفة المشتقة من اسم الله الجميل هي صفة الجمال، وهي صفة ذاتية لله ﷻ، لا تنفك عنه أبداً: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [طه / ٨].

وهي كذلك صفة فعلية، فالله جمل من شاء بما شاء، وكل وقت يجمل من شاء بما شاء: ﴿ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ [الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنس من طين] ﴿ [السجدة: ٦-٧].

وهو سبحانه الجميل الذي الجمال كله له، والجمال كله منه، فكل جمال في الدنيا والآخرة فمن آثار جماله، فكم يكون جمال من صدر عنه هذا الجمال؟! ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر / ٦٥].  
﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الإخلاص / ١-٤].

• وجمال الجميل سبحانه على أربع مراتب:

جمال الذات .. وجمال الأسماء .. وجمال الصفات .. وجمال الأفعال.

أما جمال الذات: فذاته سبحانه أكمل الذوات، وأجمل من كل شيء من جميع الوجوه؛ وذلك أمر لا يدركه سواه، وأهل الجنة مع ما هم فيه من النعيم المقيم إذا رأوا ربهم الجميل نسوا ما هم فيه من النعيم؛ لما رأوه من عظيم جماله، وحسنه وبهائه وكماله.

فإذا رأوه زادت محبتهم له، وزاد شوقهم إليه؛ لما يرونه من جلاله وجماله، وكلما قويت المعرفة بالجميل، زادت المحبة له، والشوق إليه، فكيف إذا حصلت الرؤية له؟! ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣].

أما جمال الأسماء: فأسماء الله ﷻ كلها حسنى، بل هي أحسن الأسماء على الإطلاق وأجملها، فأسماءه في غاية الحسن والجمال: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون] ﴿ [٢٣].

هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

أما جمال الصفات: فصفاته سبحانه أجمل الصفات، وأحسنها وأعظمها.

فجميع صفاته صفات مدح وحمد، وثناء وجمال، وكل صفات جمال في الخلق فمن آثار  
جمال صفاته جل جلاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا  
يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ  
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

أما جمال أفعاله: فأفعاله كلها في غاية الجمال، أفعاله في ملكه العظيم، وأفعاله مع أوليائه،  
وأفعاله مع أعدائه، فأفعاله جل جلاله في غاية الحسن والجمال؛ لأنها دائرة بين أفعال البر  
والإحسان التي يُحمد عليها، ويثنى عليه بها، ويُشكر عليها، وبين أفعال العدل التي  
يحمد عليها، ويشكر لموافقها للحكمة.

فأفعاله كلها في منتهى الحسن والجمال، والحكمة والعدل والإحسان، وليس في أفعاله  
عبث ولا سفه، ولا ظلم ولا جور: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً  
يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء: ٤٠].

فسبحان الجميل الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ  
﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ [السجدة: ٦-٧].

وليس في أفعاله قبيح؛ بل أفعاله ومخلوقاته ما بين حسن وأحسن، وجميل وأجمل.

هو سبحانه الجميل الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الجميلة، والمثل  
الأعلى، وجلاله وجماله حجب عنه خلقه بالنور؛ فلا يروونه إلا إذا أذن لهم برؤيته يوم  
القيامة، لمن آمن به، وعمل بشرعه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾  
[القيامة: ٢٢-٢٣].

وقال النبي ﷺ: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ  
خَلْقِهِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٩).

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم <sup>(١)</sup>.

فسبحان الجميل الذي جعل عباده بزينة اللباس لأبدانهم، وزينة التقوى لقلوبهم: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا يُورِي سَوْءَ تِكْمٍ وَرَيْشًا وَيَلِاسَ الثَّقَوِي ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف / ٢٦].

هو سبحانه الجميل الذي يحب الجميل من الأقوال، والجميل من الأفعال، والجميل من الأخلاق، والجميل من الدعاء، والجميل من الإحسان، هو الجميل الذي جعل أوليائه بحسن عبادته: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح / ٢٩].

هو الجميل الذي أمر عباده وأوليائه بالتجمل حال التعبد له في بيوته: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [٣١] قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف / ٣١-٣٢].

هو سبحانه الجميل الذي جعل أنبياءه بأحسن الأخلاق، وأعطى يوسف عليه السلام شطر الحسن، وأعطى محمداً ﷺ الحسن كله؛ فهو أحسن وأجمل الناس خلقاً وخلقاً، ظاهراً وباطناً، وقد أثنى عليه ربه بجميل صفاته فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم / ٤].

فنعم الراكب، ونعم المركوب، ووجهه ﷺ كأنه قطعة قمر، وكان خلقه القرآن، يتأدب بأدابه، ويعمل بأحكامه، ويحل حلاله، ويحرم حرامه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

هو سبحانه الجميل الذي كل أوامره جميل، وكل خلقه جميل، وكل ثوابه جميل، وكل

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨١).

عقابه جميل، وكل ملكه جميل: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

واعلم رحمك الله أن معرفة الله بالجلال والجمال من أعز أنواع المعرفة وأعظمها شأنًا: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم أن الجميل الحق سبحانه بجماله السني البهي يراه المؤمنون في الجنة، فيرون حسنًا لا يتوهم وصفه، وجمالًا لا يقدر قدره، ينسون معه كل جميل ونعيم، جعلنا الله وإياكم منهم: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

ويرى المؤمنون بالله جلاله وجماله في هذه الدنيا ببصائرهم، بواسطة آياته ومخلوقاته الدالة عليه، وعلى أسمائه الحسنی، وصفاته العلی، وأفعاله الحميدة، ونعوته الجميلة، فيكشف الجميل قلوبهم مرةً بوصف جلاله، ومرةً بوصف جماله، ولحقائق جلاله وجماله سلطان يغلب القلوب، فتحضع وتحشع، وتخر وتبكي، وتسبح بحمد ربها العلي العظيم، كلما نظر المؤمنون في آياته الكونية، وآياته الشرعية: ﴿يَخْرُجُونَ لِلْآذِقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخْرُجُونَ لِلْآذِقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء/ ١٠٧-١٠٩].

فسبحان الجميل الذي خلق كل جميل، وأمر بكل جميل، وزين أوليائه بكل جميل من الأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ نَتَجَافَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

اتصف جل جلاله بأحسن الأسماء والصفات والأفعال، وخلق الأشياء بحسن وجمال وزينة، أو جد الخير كله، وتنزه عن الشر كله، وتجمل بالحسن كله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنعام/ ٢٢].

الْقُدُوسِ السَّلَامِ الْمُؤْمِنِ الْمُهَيْمِنِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ الْمُتَكَبِّرِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

له الملك كله، وله الخلق كله، وله الأمر كله، وبيده الخير كله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوْتِي الْمَلِكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران / ٢٦].

أوجد سبحانه الشر كله، لا لنفسه؛ بل لعله الابتلاء: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

فكل خير وحق وحسن وجمال في العالم كله أوجده الله من نفسه لنفسه؛ وهو يحبه ويرضاه، سواء كان في الذوات أو الأفعال؛ لأنه الجميل الذي يجب كل جميل، ويأمر بكل جميل، ويثيب على كل جميل أجمل منه في المقدار والمقام: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة / ٢٥].

ومن جعل قلبه بالتوحيد والإيمان تجملت جوارحه بأحسن الأعمال، ونال أحسن الثواب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال / ٢-٤].

وكل جميل خلقه الله وأحدثه أوجد له ضدًا، ليميز به الحسن من القبيح، والمحمود من المذموم، ولينذر بالقبيح عن الشكل والفعل القبيح؛ وليدل به على كمال قدرته في خلق المتضادات كالخير والشر، والحسن والسيء، واللجنة والنار، والأبرار والفجار: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور / ٤٥].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص: ٦٨].

فسبحان من خلق كل جميل، ورغب فيه وأمر به، وخلق ما سواه، وحذر منه، ونهى عنه:  
﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام / ١٠٢].

• واعلم أن ما خلقه الله من الجمال وما وهب لعباده منه قسمان:  
جمال ظاهر .. وجمال باطن.

فالجمال الباطن: أعظمه التوحيد والإيمان، والصدق والإخلاص، والعدل والإحسان،  
والعلم بالله، والمحبة له، والتعظيم له، والتوكل عليه، والخوف منه، والرجاء له، والزهد  
في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وحسن الخلق، ومعرفة الحق، وما يدل عليه، ويشهد له:  
﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ  
وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ  
وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٣٥) [الأحزاب / ٣٥].

والجمال الظاهر: الطاعة لله ورسوله، والأعمال الصالحة كلها؛ من صلاة وزكاة وصيام  
وحج، ونحو ذلك من الطاعات والقربات: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ  
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ  
وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) [التوبة / ٧١].  
فالباطن جمال القلوب، والظاهر جمال الجوارح، وهذا مراد الله من خلقه: ﴿صَبَغَةَ اللَّهُ  
وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (١٣٨) [البقرة / ١٣٨].

فسبحان من جعل أوليائه بالجمال الظاهر والباطن: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ  
الْحَامِدُونَ السَّاعِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ  
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١١٢) [التوبة / ١١٢].

فما تزين به العبد من هذه الصفات والأخلاق، والأقوال والأعمال، على وجه الشرع،  
فهو جمال وحسن وزينة عند الله ﷻ، يقبله ويثيب عليه بأحسن منه: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا



الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذَلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٦﴾  
[يونس / ٢٦].

واعلم زادنا الله وإياك علماً وإيماناً وتقوى أن من ظاهر الزينة حلي الذهب والفضة، والبساتين والأشجار، والأزهار والثمار، وحسن الصور، وحسن الأصوات، وهذا ليس بجمال إذا انفرد عن الجمال الباطن، وإنما هو زينة وزخارف ومتاع الحياة الدنيا؛ خلقه الله إكراماً لبني آدم، وجعله الله دليلاً على ما في الجنة من أنواع النعيم؛ ليشكروه ويعبدوه: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران / ١٤].

وأجل من ذلك كله الإيمان والتقوى الذي ثمرته رضوان الله، وجنة المأوى: ﴿قُلْ أُو۟نَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا۟ عِنۡدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنۡ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران / ١٥].

فسبحان جميل الأفعال بعباده؛ يطعمهم ويسقيهم، ويرزقهم ويعافهم، ويكلفهم باليسير من العمل، ويعين عليه، ويثيب عليه بأفضل منه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة / ٢٤٥].

وقد خلق الله الجميل البشر متفاوتين في الحسن والجمال، والأعمال والأخلاق، فأعطى الجميل سبحانه سيد الأولين والآخرين محمداً ﷺ حظاً وافراً من الجمال والحسن الظاهر والباطن؛ فهو أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وأفضلهم سيرةً وسريرة، وكان خلقه القرآن، يتأدب بأدابه، ويعمل بأحكامه، ويدعو إلى فضائله؛ ولهذا مدحه ربه وأثنى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم / ٤].

وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة / ١٢٨].

وجعله ربه أسوةً لكل مسلم في نيته وأقواله وأعماله وأخلاقه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

اللَّهُ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٣١﴾ [الأحزاب / ٢١].

وهو سبحانه الجميل الذي يحب الجمال والتجمل في غير إسراف ولا مخيلة، ولا بطر ولا كبر، ويجب أن يرى أثر نعمته على عبده: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف / ٣٢].

فسبحان الجميل الذي كل جمال في المخلوقات في العالم العلوي والعالم السفلي فمن آثار جماله، جمال السماء بالنجوم، وجمال الأرض بالنبات، وجمال الجو بالهواء والنور، وجمال الشمس بالضياء، وجمال القمر بالنور، وجمال الملائكة بالطاعات، وجمال الإنسان بالإسلام، وجمال القلوب بالإيمان، وجمال الجوارح بالأعمال الصالحة، وجمال الدنيا بالدين، وجمال الآخرة بالجنة والرضوان، وجمال الجنة بكل جميل ونعيم؛ ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَإِنِّي تُؤْفِكُونَ﴾ [غافر / ٦٢].

ثم أظهر ذاته وجماله لعباده الذين تجملوا له في الدنيا بطاعته: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

فسبحان الجميل الذي جعل الدنيا بالدين، وجعل الجنة برؤية وجهه الكريم، الذي إليه منتهى الكمال والجلال والجمال: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣]. وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: « خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَقَالَ: « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ » متفق عليه<sup>(١)</sup>.

اللهم جعل قلوبنا بالتوحيد والإيمان، والصدق والإخلاص، وجعل ألسنتنا بالذكر والدعاء، والتسبيح والتحميد، والتقديس والتمجيد لك يا رب العالمين، وجعل جوارحنا بأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، فإنك جميل تحب كل جميل: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل: ٥٣].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

## التعبد لله ﷻ باسمه الجميل

اعلم وفقك الله لكل خير أن الجميل والحسن من الأقوال والأفعال والأخلاق هو ما رضىه الله وحسنه، لا غير: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣].

فاعمل بموجبه، واجتنب ضده: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر/ ٧].

واعلم أن الله جميل يحب الجمال والتزين ظاهر وباطناً، فتزين لربك الجميل بالإيمان والطاعات، وأنواع القربات، وحسن اللباس والطيب، وجميل الصفات والأخلاق.

• واعلم أن الناس في التجميل الظاهر ثلاثة أقسام:

الأول: من حسن ثوبه، ورجل شعره، وطيب ريحه، ونظف بدنه، وتجميل بذلك باقتصاد لربه الجميل جل جلاله، وهذه طريقة الشاكرين الذين أظهروا نعمة الله عليهم، وعلى هذا درج الكثير من الصحابة والتابعين، ولكل منهم ثوابه بقدر نيته: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ٣٢].

الثاني: من لزم البذاذة والشعث، واحتمل التفت في الهيئة، إلا ما أقام به السنة، ولو وجدها حلالاً، زاهداً في التمتع، ومؤثراً لشطف العيش؛ حتى لا يشغله التمتع عن ربه؛ وهذه طريقة الخائفين الذين قدموا كل شيء إلى الآخرة، وعلى ذلك درج الخلفاء الراشدون وكثير من الصحابة والتابعين، ولكل منهم ثوابه بقدر نيته: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [٨] ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٩]. [الحشر: ٨-٩].

الثالث: من يتقلب بين هذا وهذا، إذا وجد تنعم، وإذا فقد احتمل.

وهذه كانت سنة إمام المتقين والزاهدين، وطريقة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ.

فقد كان ﷺ يلبس الحلة الحمراء تارة، ويلبس الرداء الغليظ تارة، ويركب الفرس تارة، ويركب الحمار تارة، وكان ﷺ يأكل اللحم تارة، ويأكل العصيد تارة، ويجوع مرة، ويشبع مرة، لا يتكلف في مطعمه ومشربه، وملبسه ومسكنه ومركبه؛ لأنه يعلم أن الله أحق أن يتزين له، وقد آتاه الله من التقى، وحسن الخلق، وحسن الأدب ما لا تبطره به النعمة، ولا يقعه الفقر عن عبادته لربه، فصلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم: ٤].

فسن لنا ﷺ بفعله الطرق الثلاث، وأعلى المقامات والفوز والنجاة والفلاح بالافتداء به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ﴿٦١﴾ [الأحزاب: ٢١].

واعلم أن الجمال كله بالاستقامة على أوامر الله فيما بين العبد وربه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ [الأحقاف: ١٣-١٤].

وفيا بين العبد وبين خلقه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وتلك حقيقة الزينة العليا والحسن الذي يتجمل به العبد في هذه الدنيا: ﴿زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَعَآبِ ﴿١٤﴾ ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّن ذٰلِكُمْ ۗ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ [آل عمران: ١٤-١٧].

فجمل نفسك وأعمالك وأخلاقك لربك؛ تجد ثوابه يوم القيامة حسن الوجوه، وحسن النعيم، وغاية الجمال، فالؤمنون يصورهم ربهم في الحسن على حسب درجات إيمانهم وأعمالهم وأخلاقهم: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس / ٢٦].

وقال ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣].

وقال ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس / ٣٨-٣٩].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوَكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>. أما الكفار فيصورهم الله ﷻ على حسب درجات كفرهم ومعاصيهم: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَّ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس / ٢٧].

وقال ﷺ: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر / ٦٠].

واعلم أن الله جميل يحب الجمال، فتجمل له بما يحبه ويرضاه في ظاهره وباطنه، واعرف جمال ربك وأسمائه وصفاته وأفعاله الجميلة، وكن كريماً يحبك الكريم، جميلاً يحبك الجميل، عفواً يحبك العفو، وتعبد لربك بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

واعبد ربك الكريم بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأعمال، والأخلاق والآداب. جمل لسانك بالصدق والذكر، وجمل قلبك بالإيمان والإخلاص، والمحبة والتوكل، والإنابة والتقوى، وجمل جوارحك بطاعة الله ورسوله، وجمل بدنك بالنظافة، وحسن اللباس والطيب، وتجميل لمن خلقك في أحسن تقويم بإظهار نعمة الله عليك.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٣٤).

قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

واعرف ربك بالجمال الذي هو اسمه ووصفه، واعبده بالجمال الذي هو دينه وشرعه، وذلك من شكره على نعمه، ومن الجمال الذي يحبه ويأمر به: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم/ ٧].

وعرف الناس بالجميل سبحانه؛ تزدد إيماناً ونوراً: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وانشر جمال هذا الدين بسننه وآدابه وأحكامه للعالم؛ تكن ربانياً: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران/ ٧٩].

واعلم زادنا الله وإياك علماً وتقى أن من أعز أنواع المعرفة وأكملها: معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، ومعرفة أسماء جلاله وجماله، وهي معرفة خواص الخلق من الأنبياء والأولياء: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

والله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والنعوت الجميلة، وله المثل الأعلى في السماوات والأرض؛ ليس كمثل شيء في أسمائه وصفاته وأفعاله، هو الجميل الذي ليس كمثل أحد في الحلال والجمال.

فإذا تجلى الله سبحانه لعباده بصفات الجمال والجلال؛ استنفذ حبه من قلب العبد قوة الحب كلها، وقوة التعظيم كلها، وقوة الحمد كلها: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

(١) أخرجه مسلم برقم (٩١).

• وحظ العبد من هذا الاسم الكريم:

أن يتعبد به لربه، فيجمل ظاهره وباطنه، وقلبه وقالبه، بالجمال الذي يحبه الله ﷻ. فيجمل باطنه بالتوحيد والإيمان والتقوى، وحب الله ورسوله والمؤمنين، والخوف من الله، والرجاء له، والتوكل عليه، وحسن الظن به، وإخلاص العمل له: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خِشَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ويجمل ظاهره وجوارحه بأنواع الطاعات القولية والفعلية، ويجمل بدنه بإظهار نعمة الله عليه في لباسه وطعامه وسكنه؛ لأنه سبحانه جميل يجب أن يرى أثر نعمته على عبده: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وقال رسول الله ﷺ لأبي الأحوص حين رآه رث الثياب «ألك مال؟ قلت: نعم يا رسول الله، من كل المال، قال: إذا أتاك الله مالا فلير أثره عليك» أخرجه النسائي<sup>(١)</sup>. ومن عرف الله باسمه الجميل أحبه وحمده على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وأحسن الظن به، واشتاق إلى رؤيته، وسارع إلى ما يحبه ويرضاه، وجمل ظاهره وباطنه بكل ما يحبه الله ويرضاه، ونال من ربه فوق ما تمناه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤] [الأنفال/ ٢-٤].

فجمل نفسك لربك بأنواع الطاعات والقربات، وجمل نفسك بين خلقه بحسن الأقوال والأفعال والأخلاق، وجمل غيرك من الناس بالدعوة إلى التوحيد والإيمان: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت/ ٣٣].

(١) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (٩٤٨٤).

وتجمل بمكارم الأخلاق، وجميل الفعال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْفَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

واجتنب يا جميل ما يضاد الجمال من الشرك والنفاق، والكبر والحسد، والظلم والعدوان: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ خُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ، وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج / ٣٠-٣١].

واعلم يا عبد الجميل أن جمال المسلم في تحقيق كمال العبودية لله ﷻ في كل حال، وجمال القلوب هو الأصل، وجمال الأبدان ابتلاء، فجمال العبد حقاً في توحيد ربه، في الإيثار به، في الاستقامة على أوامره، في الأخلاق الحسنة، هذا جمال العبد الحقيقي: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّنِي فِيكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَنَعْنَمَنَّ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرُّشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾ [الحجرات / ٧-٨].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل / ٩٠]. فكن جميلاً في الإيثار، في الرحمة، في التوبة، في العفو، في الدعوة إلى الله، في تعليم شرع الله، في الحكمة، في الإحسان إلى الخلق: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠].

فسبحان الجميل الذي تسبح بحمده جميع مخلوقاته: ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٣-٤٤].



وسبحان الجميل الذي حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك  
بجمال حُجب بأوصاف الكمال، وسُتر بنعوت العظمة والجلال: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

والمؤمن حقًا، والعارف حقًا، من ترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات، ومن  
معرفة الصفات إلى معرفة الذات؛ فيوحده ربه سبحانه بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله؛  
ويعبده وحده لا شريك له: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ  
لِنَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

وإذا عرفت الجميل فكبره وعظمه، لما رأيت من جماله وجلاله، وعظمة أسمائه وصفاته  
وأفعاله، واحمد الجميل؛ لما تراه من جمال إنعامه وإحسانه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا  
وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلِّ وَكِبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء / ١١١].

فاللهم زينا بزينة الإيوان، واجعلنا هداة مهتدين، وجمالنا بما تحبه وترضاه من الأقوال  
والأعمال والأخلاق.

واعلم رحمك الله أن الجميل سبحانه يجب أن يرى على عبده الجمال الظاهر، بالزينة  
والطيب واللباس، والجمال الباطن بالإيمان وشكر النعم والتقوى؛ فتجمل بذلك  
كله: ﴿يَبْنَیْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تِكْمٍ وَرِيشًا وَلِبَاسَ النَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ  
ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف / ٢٦].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا  
إِنَّكَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر / ١٠].

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةٌ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي،  
وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ  
رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

اللهم يا من يملك الجمال كله، ويده الأمر كله، زين قلوبنا بالإيمان واليقين، وجمل  
ألسنتنا بذكرك وشكرك، وجمل جوارحنا بحسن عبادتك وطاعتك، وجمل أوقاتنا بأنواع  
البر والعمل الصالح، يا أرحم الراحمين.

اللهم يا من أظهر الجميل، وستر القبيح، يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع  
الرحمة، يا واسع المغفرة، يا واسع العلم، يا سامع كل نجوى، يا منتهى كل شكوى، يا  
كريم الصفح، يا واسع الفضل، نسألك العفو والعافية، والفوز بالجنة، والنجاة من النار  
يا أكرم الأكرمين: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

النور

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله النور

الله جل جلاله له الأسماء الحسنى والصفات العلى والنعوت الجميلة والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

الله جل جلاله هو النور الحق الذي أنار كل شيء ظاهراً وباطناً، فهو النور، ومنه النور، يهدي بالنور الظاهر الأبصار الظاهرة إلى المبصرات الظاهرة، ويهدي بالنور الباطن البصائر الباطنة إلى المعارف الباطنة: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [١٥] يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [١١]. [المائدة / ١٥-١٦].

وهو سبحانه النور الذي أمد الأبصار والبصائر بالنور، وأنار به الآفاق والأقطار، والعالم العلوي والعالم السفلي: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [٣٥]. [النور / ٣٥].

وقد ورد اسم الله النور في القرآن مقيداً في قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور / ٣٥].

وورد في السنة مفرداً مطلقاً صريحاً في قوله ﷺ حين سُئِلَ: هل رأيت ربك؟ فقال: «نورٌ أنى أراه» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فهو سبحانه النور الهادي لجميع خلقه من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدِيلَ لِمَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقُوا الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٣٠]. [الروم / ٣٠].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

وهو النور الذي أنار بنوره العالم العلوي، والعالم السفلي، وأنار الدنيا والآخرة بالأنوار التي خلقها.

وهو سبحانه النور الظاهر الذي به كل ظهور؛ فهو الظاهر المظهر لكل ما سواه من مخلوقات من ظلمة العدم إلى نور الوجود: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

هو سبحانه النور الذي هدى بنوره إلى الحق من شاء من عباده؛ فبين له الحق، وغوامض المسائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الحديد / ٢٨].

وهو سبحانه النور المبين الذي نوره لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه؛ لعظمة نوره الذي لا منتهى له.

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

والمخلوقات كلها لا تطيق الثبوت لنور وجهه لو تجلى لها: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِنِي وَلَكِنِ نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف / ١٤٣].

هو سبحانه النور الظاهر بنفسه، المظهر لغيره من جميع مخلوقاته.

فسبحان النور الظاهر بذاته وأسمائه وصفاته، المظهر لكل ما سواه من مخلوقاته وآياته: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت / ٣٧].

هو سبحانه النور الهادي الذي يرشد بهديته من يشاء من عباده؛ فبين له الحق، ويلهمه

اتباعه: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنِ اسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

(١) أخرجه مسلم برقم (١٧٨).

هو سبحانه النور الظاهر الذي ظهر به كل ظاهر وباطن: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾ [آل عمران: ٥-٦].

هو سبحانه النور الذي نور الكون كله بنوره الذي وسع كل شيء، ونور المخلوقات الظاهرة بالشمس والقمر والنجوم، ونور القلوب بالتوحيد والإيمان: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

واعلم رحمك الله أن الله نورٌ، إن اتصلت به أعطاك من نوره ما يدلك عليه، ويعينك على عبادته، ويهديك إلى سبل مرضاته: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنفَوُا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال/ ٢٩]. هو النور الذي ملأ قلوب عباده بكل نور، ومعاني الجمال والبر، والإحسان والإكرام، تملأ قلوب أوليائه بأنوار المحبة والود والشوق إلى مولاهم تبارك وتعالى. ومعاني اللطف والرفقة والرحمة تملأ قلوب المؤمنين بأنوار الحب، والحمد والشكر، للمولى جل جلاله.

ومعاني العلم والإحاطة، والمشاهدة والمراقبة والقرب، تملأ قلوبهم بأنوار مراقبة ربهم، والخوف منه، وطاعته، وتوصلهم إلى مقام الإحسان: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر/ ٢٣-٢٤].

وجميع أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، تملأ القلوب بأنوار التعظيم والحب، وحسن التبعيد لله، والتعلق التام بالله وحده، وعدم الالتفات إلى أحد سواه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

واعلم علمنا الله وإياك ما يسعدنا في الدنيا والآخرة، أنه إذا امتلأ قلب المؤمن بنور

التوحيد والإيمان واليقين، فاض ذلك على الوجه نوراً فاستنار الوجه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾<sup>(٣٨)</sup> صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ [عبس / ٣٨-٣٩].

واطمان القلب، وانقادات الجوارح لطاعة الله، وقيدها هذا النور عن معصية الله. فسبحان النور الحق الذي أسماؤه وصفاته كلها نور، وكتبه كلها نور، ورسله كلهم نور، وأولياؤه كلهم نور، ودينه نور، ودار كرامته نور: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١٢)</sup> [الحديد / ١٢].

﴿فَأَمَّا نُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْتُمْ أَلَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٨)</sup> [التغابن / ٨].  
 ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>(١٥)</sup> يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

واعلم أن المؤمنين كما يتفاضلون في الدنيا في معرفة هذه الأنوار، كذلك يتفاضلون في الآخرة في رؤيتهم ربهم جل جلاله، بحسب ما حصلوه من النور في الدنيا. عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة: "يعني البدر" فقال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ هَذَا، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْتِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

• واعلم هداانا الله وإياك لحسن معرفته وحسن عبادته أن النور قسمان:

الأول: نور ظاهر.

الثاني: نور باطن.

فالنور الباطن: إذا دخل في قلب العبد انفسح وانشرح واتسع، فاتسع العلم، وحصل اليقين، وزاد الإشراق، ونشطت النفس والجوارح للعمل بالطاعات والقربات، وكفت عن المعاصي والسيئات.

وكل سبيل يؤدي إلى مقصود ظاهر أو باطن من الخير فهو من هذا النور، فالله جل جلاله نور، والقرآن نور، ورسوله نور، وآيات الله الكونية نور، وآيات الله الشرعية كلها نور: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>(١٥)</sup> يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٣٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٦٣٣).

اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ  
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ [المائدة/ ١٥-١٦].

ومتى حل نوره جل جلاله بمكان طرد عنه كل الظلمات، وأبعد عنه الظلمة، فإن كان  
الجسم ثقيلاً أشرق، وكان سراجاً يضيء به ما حوله كالشمس والقمر: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ  
الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي  
خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ [فصلت/ ٣٧].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ  
وَأَحْسَابًا مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [يونس: ٥٠].  
واعلم أن الحكيم جل جلاله لما أنزل الحق جعل ضده الباطل، ولما أوجد النور أوجد  
الظلام؛ فإذا جاء النهار أذهب الليل، وإذا جاء النور طرد الظلام: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا  
رُوحَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ  
إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿٥١﴾ [الذاريات/ ٤٩-٥١].

وكذلك إذا جاء الحق زهق الباطل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ  
زَهُوقًا﴾ ﴿٨١﴾ [الإسراء/ ٨١].

وقد خلق الله جل جلاله الملائكة من نور، وخلق الجان من نار، وخلق آدم من تراب،  
فخلق سبحانه الجان من نار السموم، وخلق آدم من تراب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن  
صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ ﴿٣٧﴾ [الحجر/ ٢٦-٢٧].  
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ  
الْجَانُّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» أخرجه مسلم (١).

وإبليس من الجان، أضله الله من بينهم، ولعنه حين استكبر وكفر بالله، وطرده سبحانه  
من ملكوت السماء هو وذريته: ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَچِيمٌ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى  
يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿٣٥﴾ [الحجر/ ٣٤-٣٥].

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ  
الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٤﴾ [البقرة/ ٣٤].

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٦).



﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ﴾ [الكهف: ٥٠].

فلا إله إلا الله، ما أعظم خلقه، وما أبين حكمته، وما أطفه في تدبيره، وما أعظم نوره! من كان مخلوقاً من خالص النور كالملائكة جعله الله خيراً كله يعمل بالخير، ويدعو إلى الخير، ويعين على الخير: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء/ ١٩-٢٠].  
﴿ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت/ ٣٨].

ومن كان مخلوقاً من النار وهم الجان، جعل سبحانه على يديه عقاب من كفر، وكذب الله ورسله، وجعل إبليس وذريته وأتباعه يدعون إلى النار: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر/ ٦].

ومن كان مخلوقاً من الممتزج وهو الإنسان المخلوق من ماء وتراب، جعل أعمالهم ممزوجة إلا ما رحم ربك، فمنهم المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والكريم والبخيل، والمحسن والمسيء، والسعيد والشقي، وأعمالهم ممزوجة بالخير والشر، والحسنات والسيئات، والطاعات والمعاصي، ومآلهم يوم القيامة بحسب أعمالهم: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى/ ٧].

وقال ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم/ ١٤-١٦].

ولو شاء لهداهم أجمعين، وجعلهم أمة واحدة؛ لكنه سبحانه الحكيم العليم الذي شرع السنن والأحكام؛ ليبين للمعتبرين عظمة ملكه، وكمال أسائه وصفاته، وأصناف مخلوقاته، وأحكم الأحكام، وصالها عن الإضاعة والفوضى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام/ ١٤٩].

وقال ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦].

فسبحان الملك الحق الذي يجري في ملكه العظيم من التصريف والتدبير ما لا يحصيه إلا هو، من ليل ونهار، ونور وظلام، وحر وبرد، وحياة وموت، وأمن وخوف، وبسط وقبض، وعطاء ومنع، وخير وشر: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَفْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٩﴾ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات: ٤٩-٥١].

كل مخلوقاته خاضعة لأمره، ومسبحة بحمده، ومسرعة إلى إرادته: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٣٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧].

أما النور الظاهر: فما جعله الله ﷻ في الشمس، والقمر، والنجوم، والنار، والأبصار: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [يونس / ٥].  
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

واعلم رحمك الله أن ما فوقنا نورٌ ساطع يزداد على التدرج في العلو، وما تحتنا ظلام معتم يزداد على التدرج في السفل، فما فوقنا كله نور يزداد من سماء إلى سماء، ثم يزداد في الكرسي، ثم يزداد في العرش، حتى يصل إلى النور الحق جل جلاله الذي كل نور في العالم من نوره: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿٣٥﴾ [النور / ٣٥].

فمن عمل بطاعة الله رفعه الله إلى موضع النور في الجنة في السماء في العلو: ﴿وَفِي الْأَرْضِ

آيَاتُ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ [الذاريات/ ٢٠-٢٢].

وقال ﷺ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾ [الحديد: ١٢].

ومن عمل بمعصية الله سبحانه سجنه الله في الظلام، في طبقات النار، في الأرض، في أسفل سافلين، فهذا مكان الكفار والعصاة في نار جهنم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين/ ٤-٨].

واعلم رحمك الله أن أصل النار الظلام واليبس، فمتى حل اليبس مع الحر كانت النار، ومتى حل اليبس مع البرد كان الزمهرير، وكلاهما مفسد بذاته ما لم يجعل الله له ضدًا من رحمته يقاومه، فمن عبد هذه النار في الدنيا يريد النور، ساقه الله إلى ظلمات النار يوم القيامة: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُغُرُوا بُكُورًا فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلُهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿٣٩﴾ [الأنعام/ ٣٩].

فإن جهنم أعادنا الله وإياكم منها، أصل وجود النار في هذه الدار، ولها أنفاس مؤلمة في هذه الدار، من حر شديد، أو برد شديد، تذكراً من الرحيم بالنار الكبرى. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رَبِّ أَكَلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ونار الدنيا جزء يسير من نار جهنم، يذكر الله بها عباده ليتقوه ويخافوه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكَرًا وَرَمْتَنَا لِلْمُقِيمِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الواقعة/ ٧١-٧٣].

وهذه النار التي خلقها الله في الدنيا هي جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم. عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقَدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءًا مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالُوا: وَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ لِكَافِيَةٍ، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَإِنَّهَا فَضَلَّتْ عَلَيْهَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٦١٧).

بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فسبحان الملك الحق الذي ملأت العالم عزته، ووسعت كل شيء رحمته، وملأ العالم نوره، وأحاط بكل شيء علمه، ووسع كرسيه السماوات والأرض، وأحاط بجميع مخلوقاته بعرشه العظيم، وهو الحي القيوم الذي يرى ويعلم كل ذرة في ملكه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة / ٢٥٥].

سبحانه لا تعد مخلوقاته، ولا تحصى نعمه، ولا يحاط بجنوده: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر / ٦٥].

والنور الحق سبحانه خالق كل شيء، ويده كل شيء، والعالم كله دليل على وجوده، قائم كله بأمره، مقهور بإرادته، ومستجيب لمشيئته، ومسرع إلى طاعته: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود / ٥٦].

هو النور الذي خلق كل نور، ويده الخلق والأمر وحده لا شريك له: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

هذا نور من العلم ساطع لأبصار العقول، وضياء واضح لبصائر الفهوم: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِئَةُ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [إبراهيم / ١٠].

والعالم كله مشرق بنور الله، المشرق فيه ظاهراً وباطناً، كالبيت ملى سروجاً ومصابيح، فأشرق بالنور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور / ٣٥].

فاصعد بفكرك لتعرف جلال أسماء الله الحسنی وصفاته العلی، وأفعاله الكبرى، وتبصر الهدى بنور الحق المبین: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٢٦٥)، ومسلم برقم (٢٨٤٣) واللفظ له.

مَثَلُهُ فِي الظُّلْمَتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾  
[الأنعام/ ١٢٢].

﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ، فَوَيْلٌ لِلْفَاسِقِينَ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ﴾  
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ [الزمر/ ٢٢].

فإذا وصلت بإيمانك إلى النور الحق جل جلاله، سطع نوره في قلبك، وغلب كل نور، فأبصرت ربك الملك العظيم ملكاً عظيماً ملاً الكون نوراً وجمالاً، وإحساناً ورحمةً.

كلامه نور، وأسمائه وصفاته وأفعاله كلها نور، وكتبه نور، ورسوله نور، ودينه نور: ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

وَكَيْلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾  
[الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

فسبحان النور الذي يهدي بنوره من في السماوات ومن في الأرض، الذي بنوره يبصر ذو العماية، وبهدايته يرشد ذو الغواية، الذي نور السماوات والأرض من نور وجهه جل

جلاله: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ

مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

هو سبحانه النور الذي ملاً الدنيا بنوره، وملاً الآخرة بنوره، وملاً الجنة بنور وجهه، وتشرق الأرض بنوره يوم القيامة عند مجيئه لحساب الخلائق: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

[الزمر/ ٦٩].

ويُمنع النور نوره يوم القيامة عن كل كافر وظالم لم يقبل نوره في الدنيا، ورضي أن يعيش في ظلمات الكفر والجهل، ثم يسوق كل كافر وظالم إلى دار الظلام والعذاب واللعنة،

نعوذ بالله من سخط الجبار، وعذاب النار: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا

اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأحزاب/ ٦٤-٦٦].

فما أشد عذاب هؤلاء، وما أشد حسرتهم على خسارتهم: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا

الصَّلَاةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ [البقرة / ١٧٥].

اللهم يا رحمن يا رحيم لا طاقة لنا بنار جهنم، فارحمنا وأنت خير الراحمين، واغفر لنا يا خير الغافرين: ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

هو سبحانه النور المين الذي نور قلوب الصادقين بتوحيده، ونور قلوب العارفين بمعرفته، ونور قلوب المتقين برويته، ونور قلوب العابدين بحسن عبادته، ونور العالم كله بنوره: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور / ٣٥].

هو سبحانه النور الذي خلق النور والظلام، والليل والنهار: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [١] [الأنعام / ١].

هو النور الذي نور قلوب عباده بالحق الذي أنزله إليهم ليهديهم إليه، ويخرجهم من الظلمات إلى النور: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد / ٩].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [١٧٤] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [١٧٥] [النساء / ١٧٤-١٧٥].

والجزاء من جنس العمل: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [١٧٣] [النساء / ١٧٣].

## التعبد لله ﷻ باسمه النور

أحرص هداك الله لنوره على إدراك حقيقة الأنوار، فبذلك تصل بالفهم إلى النور الحق جل جلاله، وتنعم بالنور في الدنيا والآخرة.

واعلم أن من عرف النور الظاهر من الباطن ومواضعه ومسالكه في العالم؛ يجد أن الله هو النور الحق المبين، الذي لا إله إلا هو، ملاً الكون كله بنوره، كما ملاًه برحمته، كما ملاًه بإحسانه.

هو النور الذي نور السماوات والأرض، ونور الظواهر والبواطن، ونور الآفاق بالشمس والقمر والنجوم، ونور الوجود كله بمعاني أسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

هو سبحانه النور الذي نور قلوب المؤمنين وصدورهم بالتوحيد والإيمان والإخلاص، ونور سبحانه العقول بأصناف العلوم والمعارف، وأنواع الدلائل والبيانات، ونور سبحانه الأبدان بأنواع العبادات، وأصناف الطاعات والقربات، ونور سبحانه الأسرار بمحاسن الأخلاق، وجميل الصفات: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن / ٨].

ونور جل جلاله العالم كله بما نصبه من الدلائل الحسية والعقلية والشرعية الدالة على وحدانيته وكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [٣] ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ سَبِّدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس / ٣-٤].

ويرى ذلك النور العظيم من صدق في الطلب، ونقى قلبه من جميع ما تراكم عليه من ظلمات الجهل، وذلك بالعلم والمعرفة، ونقاه من الذنوب بالتوبة النصوح والعمل بما يرضي الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ [٥٧] وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ

﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ

﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦١].

﴿٦٢﴾ أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ عِندَ آتَاءِ الْيَتِيمِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ

يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ ﴿٦٣﴾ [الزمر / ٩].

فاجتهد رحمك الله في إزالة ما يحول بينك وبين نور الإيمان، ونور القرآن، لترى الحق حقًا

وتتبعه، وترى الباطل باطلاً وتجتنبه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن

دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٤﴾ [الحج / ٦٢].

واستعن على ذلك بتقوى الله تزداد إيمانًا و يقينًا و علمًا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٥﴾ [البقرة / ٢٨٢].

والزم الذكر والفكر والعمل بطاعة مولاك، يشرق النور في قلبك وجوارحك، ويحيط

بك نور الإيمان ظاهراً وباطناً، ويشع النور منك لنفسك ولغيرك: ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ

لنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ [النور / ٣٥].

واعلم أن هذا النور المشرق ليس بشيء يكتسب، بل هو من قبيل العطايا والمواهب

الربانية، وهو ميراث حسن التقرب إلى الله بما يحبه ويرضاه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا

لنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٦﴾ [العنكبوت / ٦٩].

وذلك لأن الله ﷻ جعل لمثل هذه الأمور الرفيعة عن الاكتساب مفاتيح من أمور

مكتسبة لا تنال إلا بها: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنُ مَّثَابٍ ﴿٢٩﴾

[الرعد / ٢٨ - ٢٩].

والمفتاح الذي نحتاجه للحصول على هذا النور تقوى الله ﷻ، وتقوى الله ثمرة معرفته

بأسائه وصفاته: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ

وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَعْرِفْ لَكُمْ ءَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٨﴾ [الحديد / ٢٨].

فجعل سبحانه النور والرحمة والمغفرة ثمنًا للإيمان والتقوى، وعلى قدر معرفة الله تكون

التقوى، وعلى قدر تقوى الله يكون حسن الطاعات، والتطهر من الأدناس والمعاصي،



والطاعات كلها نور، والمعاصي كلها ظلام: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ ۖ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤ - ١٧٥].

وعلى قدر ذلك يقتبس العبد النور فيمتلئ قلبه نورًا، ثم تضيء الجوارح بالنور الذي يطرد كل ظلام، فتصبر بالنور، وتسمع بالنور، وتفكر بالنور، وتتكلم بالنور، وتعمل بالنور، وتدعو إلى الله بالنور، وتتعلم بالنور، وتعلم بالنور، وتعيش بالنور، وتمشي بالنور: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ ۚ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام / ١٢٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنَّهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

واعلم رحمك الله أنك إن بالغت في الطهارة والعبادة، ولم تنفرغ للنظر والتدبر والتفكير في معاني أسماء الله الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الكبرى، والنظر في ملكوت الله، والنظر في الآيات الكونية، والنظر والتدبر للآيات الشرعية لم يتم لك هذا الأمر، ولم ترتفع عن درجة عموم المؤمنين إلى درجة العلماء الربانيين الناظرين في ملكوت ملك الملوك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ [محمد / ١٩].

وانظر وتفكر وتدبر في ملكوت ملك الملوك: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق / ١٢].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

فإذا عرفتم ذلك؛ عظمتم الله وكبرتموه، لما ترونه من عظمته وجلاله وكبريائه، وحمدتموه وشكرتموه، لما ترون من عظمة نعمه وإحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام: ١٠٢].

وأقبلتم على طاعته لما وعدكم به على ذلك من الجنة والرضوان، وابتعدتم عن معصيته لما توعدكم به من ناره وغضبه وسخطه: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (١٤) [النساء/ ١٣-١٤].

واعلم هداانا الله وإياك إلى معرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، أن الله إذا أراد بك خيراً فتح لك أبواب التعرف عليه، والقرب منه، ووصلت التقوى بالنظر والفكر والتدبر، ولم يشغلك ظاهر العلم عن باطنه، ولم يقعدك علم الحق عن العمل به، وجمعت بين علم الجوارح، وعلم القلوب، وأخلصت العمل كله لله الذي ينظر إليك، وتجنب ما يسخط الله عليك، وآثرت ما يرضيه في جميع أحوالك.

فانظر وتدبر في ملكوت السماوات والأرض، ليمتلئ قلبك بالإيمان والخوف والحشية: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ (٢٧) ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢٨) [فاطر/ ٢٧-٢٨].

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٦) ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٧) ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذَكَرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ (٨) [ق/ ٦-٨].

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ (١٩) ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (٢٠) [الغاشية: ١٧-٢٠].

وإذا علمت هذا فحينئذ اتصل بك الحبل، واستبان لك السبيل: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۗ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف/ ٤٣-٤٤].

فداوم على ذكر ربك، وحسن عبادته بالقلب والجوارح: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيٰ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب/ ٤١-٤٣].

فإذا امتلأ قلبك بالإيمان أحببت ربك، وعظمت ربك، وحمدت ربك، وذلك أن صفاء النور يشرق في القلوب بقدر طهارة العبد وتقواه، وحدة بصره وعقله بقدر تفرغه لمعرفة ربه، وتدبر آياته، والعمل بشرعه، وظهور الثمار والفوائد والخشوع لله ﷻ بقدر التفكير والتدبر: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَن عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَيَأْتِي حٰدِثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف/ ١٨٥].

﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس/ ١٠١].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيٰتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَطْلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران/ ١٩٠-١٩١].

واعلم رحمك الله، وفقهنا الله وإياك في دينه، أن إصابة الصواب بقدر اللجوء إلى الله، وطلب المعونة منه في كل صغيرة وكبيرة، والتبري من الحول والقوة، وعلى قدر الإخلاص والتقوى تكون المعونة والمؤونة، وكشف المصائب والبلوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِن حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق/ ٢-٣].

وإذا وصلت نوره الحق الذي خلق به السماوات والأرض بنوره الحق الذي أنزله على رسله، أشرق النور في قلبك، فأبصرت به النور الحق المبين جل جلاله، يدبر ملكه وملكوته، ويفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد: ﴿بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ

تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠١-١٠٣].

هو سبحانه بديع السماوات والأرض: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ﴿١١٧﴾ [البقرة: ١١٧].

وإذا فتح الله لك أبواب معرفته فاسجد له واعبده وحده لا شريك له: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾ [مريم/ ٦٥].

وتوكل عليه وحده: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُ فِي السَّجْدِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ [الشعراء/ ٢١٧-٢٢٠].

وكبره واشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، ومن أعظمها نعمة معرفته بأسمائه وصفاته: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ ﴿١١١﴾ [الإسراء/ ١١١].

وقال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

وإذا علمت أن ربك أنزل النور، وهداك لهذا النور الذي أبصرت به الحق من الباطل، وعرفت به الخير من الشر، فانشر. هذا الدين بين الخلق؛ لتمتلى قلوب البشرية بنور الإيمان، وتنقاد الجوارح لطاعة الرحمن: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

واستغفر ربك في كل وقت، وسبح بحمده ما بقيت، واحمده على إنزاله الهداية عليك وعلى الخلق: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [النصر/ ١-٣].

واعلم رحمك الله أن أشد الناس حباً لله، وأكثرهم ذكراً له، وأصدقهم مناجاةً له، وأحسنهم عبادةً له، هم أعرف الناس بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وإحسانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٢٨﴾ [فاطر/ ٢٨].

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وتب إلى ربك توبةً نصوحاً مما عملته من المعاصي، أو قصرت فيه من الطاعات، لتنال مغفرته وإكرامه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا رَبَّنَا نُورًا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحریم/ ٨].

فمن عاش في الدنيا مع النور، وعمل بالنور، صار يوم القيامة إلى النور، وتنعم برؤية ربه النور: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

واعلم أسعدك الله في الدنيا والآخرة، أن من عرف ربه باسمه النور، استنار بنور وحيه، وعبد ربه كأنه يراه، وعبادة الله وحده تكسب البدن والوجه نورا: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة/ ٢٢-٢٣].

وقال ﷺ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ففِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

• واعلم أن النور نوعان:

الأول: نور إشراقي؛ تُرى به الأشياء، كما نرى الجبال والبيوت بنور الشمس والقمر.

الثاني: نور بياني؛ تُعلم به الحقائق.

فالأول: نور البصر: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الملك: ٢٣].

والثاني: نور البصائر: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنعام/ ١٠٤].

فخذ نصيبك من هذا وهذا بالنظر في الآيات الكونية، والنظر في الآيات الشرعية: ﴿فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن / ٨].

واعلم أن جميع الطاعات والأخلاق الحسنة كلها نور تصل صاحبها بالنور المبين جل جلاله، الذي خلق كل نور، والمعاصي والأخلاق السيئة كلها ظلمة تؤدي بصاحبها إلى ظلمات الجحيم، فاحمد لله ﷻ الذي أنزل عليك النور، وهداك إلى النور، وحبب إليك النور: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة / ٢٥٧].

هو سبحانه النور الذي أكرم خلقه بنور الأبصار، وأكرم أوليائه بنور البرهان الإشراقي، ثم أكرمهم بنور العرفان البياني: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور / ٣٥].

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

واعلم أن جميع الفضائل كلها نور، نور الإيمان، نور التوحيد، نور العلم، نور الحكمة، نور الصدق، نور الطاعات، نور القربات، نور الحق، نور الهداية، نور الفطرة: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم / ٣٠].  
وقال ﷻ: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور / ٤٠].

واعلم أن الكفار يسعون إلى إطفاء نور الله وهو الحق في الأرض، ولكن لم يستطيعوا ولن يستطيعوا؛ لأن الله حافظ كتابه ودينه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [٨] هو الذي أرسل رسوله، بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون [١] [الصف / ٨-٩].

وقد وكلك النور سبحانه بالعمل بهذا النور، وإبلاغه للناس، ليعم أقطار الأرض كلها: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ ۖ وَيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَجِدٌ ۖ وَلِيَذْكُرُوا لِلْآلِبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم / ٥٢].

وقال ﷻ: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ۖ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل / ١٢٥].

فنور قلبك بالإيمان، ونور عقلك بالعلم، ونور لسانك بدوام ذكر الله ﷻ، وحمده وشكره، والدعوة إلى دينه، وتعليم شرعه، ونور جوارحك بالطاعات، ونور مجالسك بالدعوة إلى الله وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٢].

﴿ كُونُوا رَبَّيْنَكَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ ۖ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ۝٧٩﴾ [آل عمران / ٧٩].  
﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ۖ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ۖ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحٰنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف / ١٠٨].

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ۖ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ ۖ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

وقال ﷻ: ﴿ وَأَحْسِنُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة / ١٩٥].  
وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يكون منورًا بأنواع الطاعات في جميع أحواله وأوقاته، مستعملًا جوارحه فيما يرضي ربه النور جل جلاله: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وينقل نور الوحي إلى من هم في الظلمات: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ۖ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ۖ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحٰنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ [يوسف / ١٠٨].

واعلم رحمك الله أن من أراد الله ﷻ عصمته عاد عليه برحمته؛ فأعانه على طاعته، وحماه من معصيته، وردع قلبه عن الفكر فيما سواه، وأشغل أوقاته فيما يقربه إليه مما يجب ويرضاه، فتراه ذاكرًا لربه، مسبحًا بحمده، مكبرًا له، مستحيًا منه، مجلًا له، مطيعًا له.

قد بهرته طوارق العظمة والكبرياء، والجلال والجمال، وأذهلته هيبة الجلال والجبروت، وملكته مظاهر الرحمة والإحسان: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

وتلك سنة الله في عباده الذين وصلوا إليه بصحيح المعرفة، وناجوه حبًا له، وتعظيمًا له، وكلفًا بقربه: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولَئِكَ﴾ [الزمر / ١٧-١٨].

وأسعد الناس من رجع من معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله بالتعظيم والإجلال لربه، وحمده وشكره على نعمه وإحسانه، وخشيته والافتقار إليه، وكثرة التسبيح والتحميد له، ولزوم الاستغفار، واتباع السنة، وحسن الأدب مع الله بحسن عبادته، والسجود له بالقلب والقالب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال / ٢-٤].

وفي مقدمة هؤلاء الصفة الأنبياء والرسل، ثم أتباعهم من المؤمنين الذين اتبعوهم بإحسان: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦١﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء / ٦٩-٧٠].



فهنيئاً للأنبياء والرسل وأتباعهم بالجنة والرضوان: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وصلوات الله وسلامه على أنبياء الله ورسله، وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد الذي بلغ البلاغ المبين، فأزال الله به الشرك والجهل، ورضي عنه وصى عليه، فصل أنت عليه كما أمرك ربك بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب / ٥٦].

واعلم هداك الله لما يرضيه أن من قعد على كرسي الجهل، والكفر، والشرك، والهوى، والكبر، فلن يبصر الحق أبداً، ولن يقوم من كرسيه إلا إلى نار جهنم: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].  
وقال ﷺ: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْت رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [٧٤] وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ [٧٥] [طه / ٧٤-٧٥].

ومن ارتقى إلى درجات التوحيد والإيمان والتقوى، وصل إلى الدرجات العلى في الجنة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [٧٢] [التوبة / ٧٢].

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَسْعَى الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [١٢] يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد / ١٢-١٣].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران / ٨].  
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف / ٢٣].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران / ٥٣].

﴿رَبَّنَا أْتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحریم / ٨].  
«اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ  
يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظْمٌ لِي  
نُورًا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

اللهم يا نور السماوات والأرض، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح  
عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العتبي حتى  
ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم إنا نسألك مسألة المساكين، ونبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وندعوك دعاء  
الخائف الضعيف، فاغفر لنا وارحمنا يا أرحم الرحمين، سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن  
لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٣).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الرفيق

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الرفيق

الله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

الله ﷻ هو الرفيق العظيم الرفق، الذي يسهل الأمور، وييسر أسباب الخير كلها لعباده كلهم: ﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصْبَاً أَغْيَرَ اللَّهُ نَبْقُونَ﴾ [٥٢] وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل / ٥٢-٥٣].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الرفيق الحق في قدره وقضائه وأفعاله، الرفيق في أوامره وأحكامه، الرفيق في دينه وشرعه: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل / ٧٣].

وهو سبحانه الرفيق الحليم الذي لا يعجل بعقوبة العصاة؛ ليتوب من سبقت له العناية، ويظهر كمال حلمه فيمن سبقت له الشقاوة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَٰئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر / ٤١].

فسبحان الملك القادر على كل شيء، الرفيق بعباده الذي ليس بعجول على من عصاه، وإنما يعجل من يخاف الموت، أو الفوات، أما الملك القادر القهار الذي في قبضته كل شيء؛ فليس من شأنه العجلة؛ لأنه القاهر لكل قاهر ومقهور: ﴿سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الزمر / ٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

هو سبحانه الرفيق في أفعاله حيث خلق المخلوقات كلها بالتدرج شيئاً فشيئاً، مع أنه قادر على خلق جميع المخلوقات دفعةً واحدة، بأمر واحد، في لحظة واحدة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٠].

لكنه الرفيق الحكيم في خلقه، اللطيف في تدبيره، الحليم في فعله.

هو الرفيق الذي أفعاله كلها على سنن الحكمة والتدرج، يأتي بالليل بعد النهار، ويأتي بالشتاء بعد الصيف، ويأتي بالحر بعد البرد، ويأتي بالعافية بعد المرض، ويجري الشمس والقمر والنجوم في الفلك: ﴿وَأَيُّهُ لَّهُمْ أَيْلٌ نَسَلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلٌ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس / ٣٧-٤٠].

ويصرف سبحانه الرياح في الجو، ويصرف المياه بين السماء والأرض، ويحيي به الأرض بعد موتها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف / ٥٧].

وهو سبحانه الرفيق الذي يخرج الموالي من الأرحام، ويخرج الثمار من الأشجار، ويخرج الحبة من النبات: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنعام / ٩٩].

كل ذلك يجري بسنن الحكمة والقدرة والعلم، ليعلم الخلق أن لهذا الكون العظيم رباً يصرفه، ويدبره، ويحكمه بأمره؛ وليعلموا أن من قدر على هذا قادر أن يذهب بالدنيا ويأتي بالآخرة، ويعيد الخلق كما بدأه: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكُمْ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم / ٥٠].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم / ٢٧].

فسبحان من أظهر قدرته في خلق الكبير والصغير، والكثير والقليل: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ ٢٤ ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ ٢٥ ﴿ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَاقًا﴾ ٢٦ ﴿فَأَبْتَنَّا فِيهَا حَبًّا﴾ ٢٧ ﴿وَعَبْنَا وَقَصَبًا﴾ ٢٨ ﴿وَزَيَّنَّاهَا﴾ ٢٩ ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ ٣٠ ﴿وَفَكَهَةً وَأَبًّا﴾ ٣١ ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِيَنْعَمَ عَلَيْكُمْ﴾ ٣٢ ﴿[عبس / ٢٤-٣٢].

وقد ورد اسم الله الرفيق في السنة النبوية، ولم يرد في القرآن الكريم. قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفِيقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفِيقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعَنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فسبحان ربنا العظيم الرفيق في أفعاله، الرفيق في أحكامه، الرفيق بعباده، الرفيق بأهل طاعته بتيسير الشعائر والشرائع لهم، وعدم تكليفهم بما لا يطيقون، الرفيق بأهل معصيته بحلمه عليهم، حيث أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة؛ ليتوبوا إليه: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة / ١٦٣].

والصفة المشتقة من اسم الله الرفيق هي صفة الرفق، وهي من صفات الله الذاتية، ومن صفات الله الفعلية الثابتة في السنة.

قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ، مَنْ وَليِّ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَليِّ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

هو سبحانه الرفيق اللطيف بعباده، الرفيق الذي أحسن إلى عباده بأنواع الإحسان، الرفيق الحليم الذي أمهل العاصي فلم يعاجله بالعقوبة؛ لعله يتوب إليه من سبقت له العناية: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى / ١٩].

وهو سبحانه الرفيق القريب من عباده، إن فعلوا فهو بصير، وإن تكلموا فهو سميع، وإن أضمرُوا فهو خبير: ﴿وَاسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١٣ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك / ١٣-١٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (١٨٢٨).

هو سبحانه الرفيق الذي يسر على خلقه ما يسعدهم ويصلح حياتهم في الدنيا والآخرة، الرفيق الذي لا نهاية لرفقه، خلق الخلق ويسر أمور معاشهم، وسهل لهم أسباب الخير، وأكمل لهم الدين الحق، وضاعف لهم الأجور على أعمالهم الصالحة، وأمرهم بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم، وأعانهم على ذلك، وشرع لهم من الرخص الشرعية ما يدفع عنهم الحرج: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء/ ٧٠).

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج: ٧٨).

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة/ ٢٨٦).

وكان النبي ﷺ أرفق الناس بالناس، وأحلم الناس على الناس، وحياته ﷺ كلها رفق وحلم، ورحمة، وإحسان.

عن أنس ﷺ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْ مَهْ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا تُزْرِمُوهُ دَعْوَهُ، فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَدْرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَمَرَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وعن أبي أمامة ﷺ قال: «إِنَّ فَتَى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُذَنُّ لِي بِالرَّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: أَذْنُهُ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٢٥)، ومسلم برقم (٢٨٥) واللفظ له.

فَجَلَسَ قَالَ: أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ.

قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخْوَاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَاتِكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ.

قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ» أخرجه أحمد<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الرفيق اللطيف الكريم، الذي سخر لعباده جميع ما في السماوات وما في الأرض: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

هو سبحانه الرفيق اللطيف بك، الرفيق الذي يرافقتك، الرفيق الذي يتصرف برفق، الرفيق الذي أحسن لعباده بأنواع الإحسان: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨].

﴿وَمَا يَكُفُّم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥٣]. هو سبحانه الرفيق اللطيف الذي يرفق بك من دون عوض، فيجيبك إذا دعوته، ويعطيك إذا سألته، ويشفيك إذا مرضت، ويغفر لك إذا استغفرت: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج / ٦٥].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة / ١٨٦].

وقال النبي ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٢٢١١).



عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الرفيق الذي سهل تلاوة القرآن، وحفظه وفهمه، والعمل بموجبه: ﴿وَلَقَدْ سَرَّنا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ [القمر / ١٧].

هو الرفيق الذي بين خلقه في كتابه كل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل / ٨٩].

واعلم أن الرفيق سبحانه يبتلي عباده بأنواع الابتلاء؛ لأنه يجب من عباده أن يدعو، أن يكشف عنهم الكروب والمصائب، وأن يتوجهوا إليه في حال السراء والضراء: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام / ٤٣].

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا لَهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا رَبَّهُمْ وَمَا يَضُرَّعُونَ﴾ [المؤمنون / ٧٦].

وأحب العباد إلى الله من اتصف بصفاته على شاكلة العبودية.

فالله مؤمن يحب المؤمنين، شكور يحب الشاكرين، صادق يحب الصادقين، جميل يحب الجمال، عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، رفيق يحب الرفق وأهله، تواب يحب التائبين: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

وأبغض الخلق إلى الله ﷻ من اتصف بضد صفاته، فالله لا يحب الكافرين، ولا يحب المفسدين، ولا يحب الظالمين، ولا يحب المجرمين، ولا يحب الفاسقين، ولا يحب الخائنين.

واعلم أن العبد كلما اتصف بصفة من صفات الله كلما تنزلت عليه بركات تلك الصفة. فمن رحم الناس رحمه الله، ومن كان عفوا عفا الله عنه، ومن كان محسناً أحسن الله إليه، ومن كان رفيقاً رفق الله به.

وما مُنِعَ الخير عن الإنسان إلا بسبب الشدة، والقسوة، والاستعجال والغلظة، وعدم الرفق بالناس ورحمتهم، وكل عداوة وبغضاء، وكل فرقة وخلاف سببها عدم الرفق

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

واللطف، وعدم الرحمة والحلم، ومن حُرِّم الرفق حُرِّم الخير: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِدَلِيلٍ لَوَّكُنْتَ فَعَطًا غَلِيظًا لَأَلْقَى الْقَلْبَ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران / ١٥٩].

هو سبحانه الرفيق بعباده الذي رفق بهم في أحكامه، وأمره ونهيه؛ فلم يكلفهم بما لا يطيقون فعله، ولم يحملهم ما لا يستطيعون.

هو الرحمن الرحيم الذي جعل فعل الأوامر على قدر الاستطاعة: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شِحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦].

هو الرفيق الذي أسقط عن عباده كثيرًا من الأعمال بمجرد المشقة، وخفف عنهم كثيرًا من الأحكام في حال المشقة والحاجة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة / ١٨٥].

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء / ٢٧-٢٨].

كل ذلك رخصة من الرحمن الرحيم الرفيق بعباده، ورحمة بهم، ورفقًا بهم؛ لأنه الرحيم الرفيق بعباده: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج / ٦٥].

هو الكريم الذي اجتنبى هذه الأمة، لتقوم مقام الأنبياء في الأمم إلى يوم القيامة بالعبادة والدعوة إلى الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا بِيَوْمِ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج / ٧٧-٧٨].

فسبحان الحكيم العليم الذي لم يأخذ العباد بالتكاليف والأوامر دفعةً واحدة؛ بل تدرج بهم من حال إلى حال، حتى تألف النفوس، وتلين الطباع، ويتم الانقياد، فقد أمر الله نبيه

ﷺ أن يعلم التوحيد والإيمان لأصحابه في مكة، ثم بعد ذلك لما امتلأت قلوبهم بالإيمان نزلت الأحكام في المدينة: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢].

ومن رفقه سبحانه إمهال مرتكب الخطيئة، ومقترف الذنب، وعدم معاجلته بالعقوبة؛ لعله ينيب إلى ربه، ويتوب من ذنبه: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَّ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ [الكهف / ٥٨].

فسبحان الرفيق الرحيم الحق الذي لو يؤاخذ الناس بما كسبوا من الذنوب والكفر والمعاصي؛ لعجل لهم العذاب، لشناعة ما يرتكبونه، ولكنه الحليم الرفيق، الذي لا يعجل بالعقوبة، بل يمهل ولا يهمل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر / ٤٥].

ومن رفقه سبحانه أن دينه كله رفق ويسر، وهدي وشفاء، ورحمة وسماحة، وتذكير وموعظة: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران / ١٣٨].

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء / ٨٢].

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل / ٨٩].

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فسبحان الرفيق الذي وهب الرفق لكل رقيق، وخص أوليائه بأحسن الرفق وأجمله، ما أمر بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٩٣).

وَيَهْدِيكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾  
[النساء / ٢٦].

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥].

هو سبحانه الرفيق الذي بيده مقاليد الأمور كلها: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

هو سبحانه الغني الذي لا أغنى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، الرفيق الذي لا أرفق منه، الرحيم الذي لا أرحم منه: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ يَبَيِّنُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿٩١﴾ [الحديد / ٩].

واعلم رحمك الله أن الله ﷻ رقيق يجب الرفق في الأمر كله، ومظاهر رفقهِ ظاهرة في العالم كله، في العالم العلوي وفي العالم السفلي، في عالم الجهاد، وفي عالم النبات، وفي عالم الحيوان، وفي عالم الإنسان، وفي عالم الملائكة، وفي الخلق والإيجاد، وفي التدبير والتصريف: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

وقال ﷻ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ رَوْسِيًّا أَنْ تَعْبُدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۗ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ [لقمان: ١٠-١١].

ورسوله ﷺ أرفق الناس بالخلق، وشواهد رفقته ﷺ في سنته ظاهرة، ودلائل حلمه وأناته ورحمته في سيرته واضحة، حتى أثنى عليه ربه في حسن خلقه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم / ٤].

فهو أحسن الناس خلقاً وخلقاً، وأحسنهم عبادة ودعوة، وأكملهم علماً وعملاً، وأرفقهم معاملة، وأشدهم رحمة: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَيَّ بَوْلَهُ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

فربنا سبحانه رفيق يحب الرفق، ورسولنا إمام أهل الرفق، وديننا كله رفق ويسر ورحمة. فعليك بالرفق في جميع أمورك، في عبادتك، ومعاملتك، ومعاشرتك، وجميع أعمالك، يحبك الله ورسوله وخلقته: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران / ١٥٩].

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٢٠).

## التعبد لله ﷻ باسمه الرفيق

اعلم وفقك الله لما يرضيه أن الرفق زينة الإنسان، والرفق من الرحمن، والعجلة من الشيطان.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» أخرجه مسلم (١).

واعلم أن من أعطي حظه من الرفق؛ فقد أعطي حظه من خيري الدنيا والآخرة، والله ﷻ يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، ومن حُرِمَ الرفق حُرِمَ الخير كله.

فاحرص رحمك الله أن تكون رفيقاً في أمورك كلها، بعيداً عن العجلة والسرعة، وعن التهور والاندفاع، وعن الغضب والتكلف، فالعجلة في الأمور من الشيطان، والرفق

صفة الرحمن، وحلية أهل الإيمان: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة / ٧١].

وعن جرير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ» أخرجه مسلم (٢).

ارفق بنفسك ولا تحملها ما لا تطيق، ولا تكلفها ما لم يأذن به الله، ولا تزد في عمل زيادة

تقعديك عن غيره، ولا تخرج عن السنة إلى البدعة والشدة والتكلف: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء / ٢٨].

وارفق رحمك الله بالخلق كلهم يرفق بك رب الخلق، وارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وخالق الناس بخلق حسن تلقى أحسن منه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ

عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف / ١٩٩].

وأحسن إلى الخلق بما تملك يعطيك الله أحسن منه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس / ٢٦].

واعلم أن أعلم الناس، وأسعد الناس، وأتقى الناس، من عرف ربه بأسمائه وصفاته

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٤).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٢).

وأفعاله، وخزائنه ووعدته ووعيده، وعرف عظمة ملكه وسلطانه، وعرف دينه وشرعه، وعرف وعده ووعيده، وتعبد لله بموجب ذلك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

فهؤلاء أعمالهم عظيمة، وأجورهم عظيمة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

ومن عرف ربه باسمه الرفيق أحبه وحمده وشكره، لما يراه من عظيم نعمه وإحسانه، ولطفه ورحمته بعباده: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [٣٢] وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ [٣٣] وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم/ ٣٢-٣٤].

ومن هذا خلقه، وهذه نعمه، وهذا كرمه، هو الرب الذي تجب عبادته وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣].

وحظ العبد من اسم الله الرفيق أن يرفق بنفسه فيحملها على طاعة الله، واجتناب معاصيه، ولا يكلف نفسه ما لا يطيق: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [٧] فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا [٨] قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا [٩] وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا [١٠]﴾ [الشمس/ ٧-١٠].

وأن يجعل الرفق قائده ودليله مع جميع الخلق في الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ومعاملة الناس، ليصل إلى قلوب الناس بجميل رفقته ولطفه، ورحمته وحلمه، وتؤثر فيهم حسن أخلاقه؛ فيكون لأمره ونهيه وقعا في قلوبهم، ويكون ذلك عوناً لهم على فعل ما يريد منهم: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَلَبْتَ لَا تُفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعُفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران/ ١٥٩].

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) ﴿[التوبة / ١٢٨].

فعلبك بالرفق والتأني في كل الأمور، مع النفس، ومع الخلق، ومع الإنسان والحيوان، خاصة مع الأهل والأولاد والأقارب والجيران: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٤) ﴿[التغابن / ١٤].

وقال ﷺ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) ﴿[آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن من عرف ربه باسمه الرفيق اطمأن إلى قضائه وقدره، وشرعه وأمره، وزرع ذلك في قلبه شجرة الإيثار، التي تورث ثمرة الإحسان، الذي يورث حسن التبعيد للرحمن، الذي يورث له الجنة والرضوان: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ﴾ (٢٩) ﴿[الرعد / ٢٨-٢٩].

ومن عرف ربه باسمه الرفيق راقب نفسه، وحاسبها على كل صغيرة وكبيرة من الأقوال والأفعال، لعلمه أن ربه قريب رقيب عليه، رفيق لطيف لا يخفى عليه شيء: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) ﴿[الملك / ١٣-١٤].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١٩) ﴿[الحشر: ١٨-١٩].

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.  
واعلم يا عبد الرفيق أنك إذا رفقت بمن سبك وأذاك وشتمك من الخلق، فإن الله

(١) أخرجه مسلم برقم (١٣٤٢).



سيدفع عنك شرهم، ويتولى الدفاع عنك في كل وقت: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج / ٣٨].

وسوف يندفع عنك من شرهم ما لم يندفع عنك بمقابلتهم بمثل أقوالهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [٣٣] وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [٣٤] الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أَلَّا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [فصلت / ٣٦-٣٣].

وقال ﷺ لموسى وهارون: ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [٤٣] فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لَنَا لَعَلَّهُ يُتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [٤٤] قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [٤٥] قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه / ٤٦-٤٣].

الرفيق حقاً هو الذي يرفق بنفسه، ويرفق بغيره، فيصل من قطعه، ويعطي من حرمة، ويعفو عن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف / ١٩٩].

ومن عرف ربه باسمه الرفيق علم أن الله معه يراه ويسمعه، ويرفق به، ويعلم بجميع أحواله، وذلك يثمر له الحياء من الله، والحب له، ورجاءه، والخوف منه، ولزوم الاستقامة على أوامره في كل حال: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [١٦] فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة / ١٥-١٧].

وكن رفيقاً في جميع معاملاتك ومعاشراتك، رفيقاً بالديك الذين هما سبب وجودك: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [٢٣] وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء / ٢٣-٢٤].

وخط الحاكم من هذا الاسم أن يرفق برعيته؛ فيحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن

مسيئتهم، ويأخذ بأيديهم إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة، بالحكم بالحق، والعمل بالحق، وإشغالهم بما ينفعهم في دنياهم وأخراتهم: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾ [ص / ٢٦].

وحظ المعلم من هذا الاسم الكريم أن يرفق بطلابه، ويشجعهم ويرغبهم في العلم والعمل به، بحسن أدبه وخلقه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِذِ الْأَلِيلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ [الزمر / ٩].

وقال ﷺ: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧١﴾ [آل عمران / ٧٩].

وحظ الداعي إلى الله من هذا الاسم الكريم أن يكون رفيقًا فيما يأمر به، رفيقًا فيما ينهى عنه، رفيقًا في أموره كلها: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فصلت / ٣٣].

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [النحل / ١٢٥].

وحظ المدير والمسئول من هذا الاسم الكريم أن يكون قدوةً حسنة لموظفيه، يأمرهم بما ياتمر به، وينهاهم عما ينتهي عنه، ولا يكلفهم ما لا يطيقون، ويشكر محسنهم، ويرفق بمن أساء منهم، ويرشدهم إلى معالي الأمور كلها، ولا يخالف أقواله بأفعاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ مَقَاتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ [الصف / ٢-٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنِ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٥٨٨) واللفظ له، ومسلم برقم (١٨٢٩).

وإذا أكرمك الرفيق جل جلاله بالرفق؛ فارفق بنفسك: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

وارفق بالبشر، وارفق بكل مسلم وكافر، وبكل بهيمة وحيوان؛ فما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

ومن كمال رحمة النبي ﷺ ورفقه أن حن إليه الجذع الذي كان يخطب عليه، ثم تركه حين صنعوا له المنبر.

وإذا أراد الله بأهل بيت خيرا، أدخل عليهم الرفق، وإذا صلح البيت صلح السوق، والمجتمع، والأمة: ﴿فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِيَخْلُقَ اللَّهُ ذَلِكَ الْدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِن كَثُرَ النَّكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

وهذه وظيفة الأمة عبادة الرب، والإحسان إلى الخلق، ومن قام بذلك فهو نائب النبي ﷺ في أمته: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة/ ٧١].

فنعم العمل والعامل، ونعم الأجر والثواب: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

وإذا رأيت أخاك زل في معصية فخذ بيده للخير، فقد جره الشيطان إلى معصية الله، وأغرقه في بحر الشهوات والمعاصي، فكن رفيقا به، ولا تسب أخاك، واحمد الله الذي عافاك: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف/ ١٩٩].

وإذا اشتدت عليك الأمور، وأغلقت عليك الأبواب، فقف بباب الرفيق الرحيم الذي يسهل الأمور، ويفتح ما أغلق من الأبواب: ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فاللهم يا رفيق ارفق بأحوال أمة محمد ﷺ، وارزقنا الرفق في الأمور، والحلم والتأني، وباعد بيننا وبين العجلة والشدة، وسهل أمورنا كلها إنك أنت العزيز الرحيم: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران/ ٨].

﴿رَبَّنَا ءَاثِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة/ ٢٠١].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة/ ٢٨٦].

«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

اللهم يا عظيم الصنح، يا حسن التجاوز، يا حليماً على من عصاه، يا سميعاً لمن دعاه، يا رفيقاً بمن ناداه، نسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت غير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم ارحمنا وارفق بنا فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض يا أرحم

الراحمين: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠] وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ [١٨١] وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٨٢] [الصافات/ ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٩)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

# أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

## الباب السابع عشر

ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية :

٩٨ - اسم الله الشافي .

التعبد لله عز وجل باسمه الشافي .

٩٩ - اسم الله الحيي .

التعبد لله عز وجل باسمه الحيي .

١٠٠ - اسم الله الستير .

التعبد لله عز وجل باسمه الستير .

١٠١ - اسم الله المعطي .

التعبد لله عز وجل باسمه المعطي .

١٠٢ - ١٠٣ - اسم الله المقدم .. المؤخر .

التعبد لله عز وجل باسمه المقدم .. المؤخر .

١٠٤ - اسم الله المحسن .

التعبد لله عز وجل باسمه المحسن .

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الشافي

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الشافي

الله سبحانه هو الرب الكريم الشافي الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ (طه: ٨).

هو سبحانه الشافي الحق لجميع الأسقام والأمراض الظاهرة والباطنة، لا يشفي أحد من ذلك غيره: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٢٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اشْتَكَى مِنَّا إِنْسَانٌ، مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَذْهَبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فهو سبحانه الشافي الكافي، الذي يملك خزائن الشفاء، الذي يشفي أبدان خلقه من الأسقام والآفات والأمراض وحده لا شريك له: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء/ ٨٠).

وهو جل جلاله الشافي الذي يشفي الأبدان من الأسقام، ويهديها لما يصلحها، ويغذيها بما ينفعها من الطعام والشراب: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) [الشعراء/ ٧٧-٨٠].

وهو سبحانه الشافي الحق الذي يشفي الصدور والقلوب من أمراض الكفر والشرك، والنفاق، والشبه، والشكوك، وأمراض الحقد والحسد والرياء، وغيرها من أمراض القلوب، ويعافيها بالهداية إلى الدين القيم، والصراط المستقيم الذي يوصل إليه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الجمعة/ ٢).

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩١) واللفظ له.

فسبحان ربنا الشافي من كل داءٍ ظاهر أو باطن، الشافي الذي لا يدعى بهذا الاسم سواه، الشافي الذي يشفي بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران / ١٨٩].

هو الشافي الذي خلق الداء والدواء والشفاء، وما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواءً، علمه من علمه وجهله من جهله، وجميع الأدوية لا تنفع بذاتها؛ بل بما قدره الله تعالى فيها من الشفاء: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [٦٢] لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

وقد أنزل الله ﷻ القرآن الكريم شفاءً من كل داء يستشفى به المؤمنون من الجهل والضلالة، ويصرون به من العمى، ويعرفون به الحق من الباطل، والحلال من الحرام، والخير من الشر، ويعملون بأحكامه، فيسعدهم ربهم في الدنيا، ويدخلهم الجنة في الآخرة، وينجيهم من عذاب النار: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل / ٨٩].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٥٧] قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ [يونس / ٥٧-٥٨].

أما الكفار فلا يزيدهم القرآن إلا خسارة؛ لأنهم لا يؤمنون به، ولا بمن أنزله، ولا يعملون به؛ فخسروا دنياهم وأخراهم: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء / ٨٢].

فأخسر الناس من كفر برب الناس، وأعرض عن شرعه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٠٣] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوعًا ﴿١٠٦﴾ [الكهف / ١٠٣-١٠٦].

واعلم أن المؤمن يعتقد أن الله هو الشافي وحده لا شريك له، وأن الشفاء من جميع الأسقام بيد الله وحده لا شريك له، ولكنه مأمور بفعل الأسباب النافعة، وتناول الأدوية المفيدة المشروعة؛ لأن الله على العبد أوامر حال الصحة، وأوامر حال المرض،



والله يجب أن نمتثل أوامره في كل حال، ولكن الشفاء بيده وحده لا شريك له: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِيحَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

واعلم رحمك الله أن التداوي وطلب العلاج لا ينافي التوكل على الله؛ فنأخذ بالأسباب المشروعة بجوارحنا، ولا نتوكل إلا على الله، فنفعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

فلا نتوكل إلا على الله الذي جعل في تلك الأدوية الشفاء، وهو الشافي الذي يشفي بها، وبدونها، وبضدها: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [سُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس/ ٨٢-٨٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

والتداوي لا ينافي التوكل على الله الذي يملك خزائن كل شيء: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعَدْنَا خِزَايْنَهُ وَمَا نُنزِلْهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر/ ٢١].

فكما أن دفع الجوع والعطش بالأكل والشرب لا ينافي الإيثار بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء/ ٧٩].

فكذلك دفع المرض بالدواء النافع، والعلاج المفيد، لا ينافي الإيثار بقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء/ ٨٠].

فهو الشافي وحده لا شريك له؛ ولكن الله ﷻ جعل الطبيب سبباً، وجعل الدواء سبباً، أما الله ﷻ فهو الشافي وحده لا شريك له، وهذه أسباب؛ فالطبيب أكرمه الله بأن جعل الشفاء على يديه؛ إكراماً له لصدقه في عمله، وبر قبله منه.

وهذا الحديث أصل عظيم في الشفاء من الأمراض قاطبة: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦٧٨).

فهذا الحديث يدفع الأطباء إلى البحث عن الدواء، ويدفع العلماء إلى معرفة الأحكام، ويملاً قلوب المرضى بالأمل بالله في حصول الشفاء؛ فما من داء خلقه الله إلا خلق له دواءً يشفي بإذن الله، وما من أمر إلا وله حكم عند الله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

والله ﷻ هو الشافي وحده لا شريك له، والدواء والطبيب أسباب مشروعة، قد تشفي وقد لا تشفي، أما الشافي وحده فهو الله وحده: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ [الأنعام/ ١٧].

وخزائن كل شيء عنده، وبيده وحده لا شريك له: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢﴾ [فاطر/ ٢].  
ومن أراد الشفاء من كل داء، فليتصل بالشافي من كل داء: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

فسبحان الشافي الذي يشفي الأجساد والقلوب من جميع الأمراض والأدواء: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

واسم الله الشافي لم يرد في القرآن؛ وإنما ورد في السنة الصحيحة، في قوله ﷻ: «اللهم رب الناس، أذهب البأس، رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الشافي الذي يشفي الأبدان من الأمراض والآفات، ويشفي الصدور من الشبه والشكوك، الشافي الذي يشفي من جميع العلل والأسقام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿٨٠﴾ [الشعراء/ ٨٠].

هو سبحانه الشافي الذي يطعم عباده من الجوع، ويؤمنهم من الخوف، ويشفيهم من الأمراض، ومن أكرمه الله بذلك؛ فليعبد ربه كما أمره، وهو يرزقه ويعافيه كما وعده: ﴿إِلَّا يَلْفُ قَرِيشٍ﴾ ﴿١﴾ إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصِّيفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٣)، ومسلم برقم (٢١٩١) واللفظ له.

الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ [قریش / ١-٤].  
﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ  
اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات / ٥٦-٥٨].

ومن أكرمه الله ﷻ بهذه النعم الثلاث؛ فكانت حيزت له الدنيا بحذافيرها.  
قال ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَانَتْ حِيزَتْ  
لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

والصفة المشتقة من اسم الله الشافي هي الشفاء، وهي صفة فعلية لله ﷻ كما قال سبحانه  
عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ ﴿٨٠﴾ [الشعراء / ٨٠].  
هو سبحانه الشافي الذي يشفي الأبدان من أمراضها، ويشفي القلوب من أسقامها،  
ويشفي الصدور من ضيقها، ويشفي النفوس من عللها: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ  
فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٣﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الشافي وحده لا شريك له، يشفي من يشاء، ويطوي علم الشفاء عن الأطباء  
إذا لم يقدر الشفاء: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ  
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ [الأنعام / ١٧].

وقال النبي ﷺ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»  
أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

هو سبحانه الشافي الذي يشفي وحده لا شريك له: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ  
كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٨٢﴾ فَسَبَّحْنِ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾  
[يس / ٨٢-٨٣].

هو سبحانه الشافي الذي ما أنزل داءً إلا أنزل له دواءً، علمه من علمه، وجهله من  
جهله.

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٣٤٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠٤).

قال النبي ﷺ: «تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ  
الهِرْمُ» أخرجه أبو داود<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الشافي الذي أنزل أعظم شفاء وأكمّله وأحسنه؛ وهو: القرآن الكريم، فهو  
شفاء من كل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا  
خَسَارًا﴾ [٨٢] [الإسراء / ٨٢].

والله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلاء، والأفعال الجميلة، والمثل الأعلى وحده لا  
شريك له، وكل اسم من أسماء الله الحسنى له صفة مشتقة منه؛ فالخالق سبحانه يخلق،  
والرزاق يرزق، والحي يحيي، والشافي يشفي، والعليم يعلم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ  
الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا  
يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢٤] [الحشر: ٢٢-٢٤].

وكل صفة فعلية لله صادرة عن صفات ثلاث:

القدرة المطلقة، والمشيئة النافذة، والحكمة الشاملة، المقرونة بالخير المطلق: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ  
مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلُوكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلُوكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ  
بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٢٦] ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ  
مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [٢٧] [آل عمران: ٢٦-٢٧].

وفي سورة الفاتحة شفاء من جميع الأمراض؛ خاصة أمراض القلوب ف: ﴿إِيَّاكَ  
نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة / ٥]؛ شفاء من مرض الرياء.

و﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة / ٥]؛ شفاء من مرض الكبر.

وكذلك قراءة المعوذات.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٣٨٥٥).

عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعْوَذَاتِ وَيَنْفُثُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

والمعوذات: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس.

والله ﷻ هو الشافي، الذي يملك الشفاء وحده لا شريك له، ويملك أسباب الشفاء، ويعلم وقت الشفاء، وأنواع الشفاء، وكيفية الشفاء، كما قال إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء / ٨٠].

والله سبحانه قدير حكيم، فبالقدرة خلق الأشياء، وبالحكمة رتب الأسباب، افعل كذا تجد كذا، تفعل كذا يصيبك كذا: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف / ٩٦].

﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء / ١٢٣].  
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [١٠٧] خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ [الكهف / ١٠٧-١٠٨].

واعلم أن الرحمن الرحيم خلق الإنسان للعبادة والجنة، ولئلا يسكن إلى الدنيا والشهوات، ويغفل عن الآخرة والعبادات، ابتلاه الله بالمرض؛ ليذكره بربه، ويرفع درجاته ويكفر سيئاته، وشرع له الدعاء لرفع البلاء رحمةً به: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

فالمصائب والأمراض للكفار تأديب وتعذيب، وللمؤمنين تربية وتهذيب، ومصائب الأنبياء لكشف ما عندهم من الأخلاق، كما قال النبي ﷺ: «أشد الناس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الرجلُ على حسب دينه» أخرجه أحمد<sup>(٢)</sup>.

فالمصائب والأمراض للكفار تأديب وتعذيب، وللمؤمنين تربية وتهذيب، ورفع وتطهير: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة / ٥١].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠١٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩٢).

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٤٨١).

والمصائب والأمراض للكفار تأديب وتعذيب: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٤].  
 وقال ﷺ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَةَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ ﴿١٠٢﴾ [هود/ ١٠٢].

واعلم أن الأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له، فافزع إليه وحده في قضاء حوائجك الدينية والدينية: ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر: ٦٥].  
 ﴿ فَتَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الذاريات/ ٥٠-٥١].

واعلم أن الكفار ألهوا الأسباب، واعتمدوا عليها، فوقعوا في الشرك، والمؤمنون أمروا بفعل الأسباب، وأن يتوكلوا على ربهم بقلوبهم، وإذا قصرُوا في الأسباب وقعوا في المعصية فنالوا عقوبتها، كما قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [التوبة/ ٢٥-٢٦].

واعلم رحمك الله أن فعل الأسباب أحد ركني التوكل، فكما لا ينافي دفع الجوع بالأكل والشرب، في قول إبراهيم: ﴿ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الشعراء/ ٧٩].  
 كذلك دفع المرض بالعلاج النافع، لا ينافي الإيثار بقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الشعراء/ ٨٠].

فسبحان ربنا الشافي الذي خلق الداء، وخلق الدواء، وبيده مفاتيح الشفاء: ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ

الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ [الأنعام/ ١٧-١٨].

وقال ﷺ: ﴿٨٣﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ، وَعَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا، وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء/ ٨٣-٨٤].

وقال ﷺ: ﴿٨٧﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ، رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، وَيْحَى وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُ، إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ ٨٧-٩٠].

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن لكل داء دواء، علمه من علمه، وجهله من جهله؛ فليطمئن المريض إلى الشفاء، وليجتهد الطبيب في معرفة الدواء، وبعد أخذ الدواء اعلم أن الشفاء بيد ربك الشافي وحده من جميع الأمراض البدنية والقلبية: ﴿٩١﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٩١﴾ [الحجر: ٢١].

وقال النبي ﷺ: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مَحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيْتَةِ بَنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم أن الشافي نزع الشفاء من كل شيء حرمه، من خمر، أو لحم خنزير، أو ميتة، أو دم، أو ما ذبح لغير الله، وما أمر الله بشيء إلا أعان عليه، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه: ﴿٩٢﴾ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩٢﴾ [الحشر: ٧].

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ فِي حَرَامِ شِفَاءٍ»؛ أخرجه أحمد<sup>(٢)</sup>.

فاطلبوا الشفاء من الشافي وحده لا شريك له، وخذوا بالأسباب المشروعة؛ فما أنزل الله

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٦٨١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٢٠٥).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٥٩٩٤).

داء إلا أنزل له دواءً؛ فيجب علينا فقه أحكام الله، وفعل الأسباب التي نصبها الله مقتضيةً لمسيباتها قدرًا وشرعًا، فللصحة أسباب، ولدفع المرض أسباب، ولكسب الحسنات أسباب، ولدفع السيئات أسباب، ولدخول الجنة أسباب، ولدخول النار أسباب، وللنجاة من النار أسباب: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

﴿إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ [طه: ٧٤-٧٥].

وقد جعل الله ﷻ لكل شيء سببًا، ونحن في دار الأسباب؛ فعلينا فعل الأسباب المشروعة، والتوكل على الله وحده: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ﴿١١٠﴾ [الكهف / ١١٠].

والأسباب مهما عظمت فهي مخلوقة خاضعة للجبار جل جلاله، لا خروج لها عن أمره، والله يتصرف فيها بما يشاء، إن شاء أبقى سببيتها، وإن شاء أبطلها كما أبطل مفعول إحراق النار عن خليله إبراهيم ﷺ وهي تشتعل: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [الأنبياء / ٦٨-٧٠].

يفعل ذلك جل جلاله؛ ليعلم العباد كمال قدرته في التصرف في مخلوقاته؛ ولئلا يعتمد العباد على تلك الأسباب من دون الله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٣﴾ [آل عمران / ١٢٣].

واعلم أن الله في هذه الدنيا أظهر سنته، وأخفى قدرته، ابتلاءً لعباده، وجعل الأسباب تعمل مرة، وتقف مرة؛ ليظهر لعباده أنه الملك الحق الذي يتصرف في جميع ملكه ومخلوقاته وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ءَفَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

فسبحان مالك الملك الذي بيده ملكوت كل شيء، والذي خلق فسوى، وقدر فهدى، وأطعم وأسقى، وأمات وأحى، وابتلى وشفى، وتجاوز وعفا: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ الَّذِي



خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ [الشعراء / ٧٧-٨٢].

واعلم رحمك الله أن أصل المرض الخروج عن منهج الله، ومرض الأبدان والقلوب أصله الخروج عن منهج الله؛ لأن الله ﷻ كامل الذات والأسماء والصفات والأفعال؛ فإذا خلق شيئاً خلقه كاملاً سليماً لا عيب فيه: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا ۗ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ [المالك / ١-٤].

وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالِّدِينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ [التين / ٤-٨].

فسبحان ربنا الخلاق العليم، الذي إذا خلق شيئاً أحسنه وأتقن صنعه: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَفْنَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ [النمل / ٨٨].

﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة / ٦-٧].

أما الإنسان فهو الذي يخطئ ويصيب، ويستقيم وينحرف، ويصلح ويفسد، ويحسن ويسيء، ويعدل ويظلم؛ لأنه خير في أفعاله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ [الإنسان / ٢-٣].

وقد أودع الله في الإنس والجن حب الشهوات، وحرية الاختيار، فإذا كان هذا الإنسان متصللاً بالله، على منهج الله؛ أسعده الله في الدنيا والآخرة، وإذا لم يكن متصللاً بالله ولا سائراً على منهج الله، شقي في الدنيا والآخرة: ﴿قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩].

وإذا مشى الإنسان في الدنيا دون مقود ولا ضابط، وهو الإيمان والعمل الصالح فالدمار والعذاب صافع له لا محالة: ﴿وَكَايِنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنَتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَبْنَهَا عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾﴾ [الطلاق: ٨-٩].

والذي يحرك الإنسان شهواته؛ فإذا تحرك دون اتصال بالهادي، ولا توجيه منه؛ هلك وفسد وخسر: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيْمُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُوْنَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢].

فكل إنسان فيه شهوات، وفيه حرية الاختيار، أن يؤمن أو يكفر، أن يطيع أو يعصي، ومع هذه الحرية أعطاه الله عقلاً بمنزلة الميزان الدقيق، وأعطاه فوق هذا الميزان الدقيق ميزاناً مهيمناً هو الشرع: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِيْنٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوْرِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

فما أعظم نعم الله على الإنسان، فطره على التوحيد، وأعطاه العقل الذي يميز به، وأكرمه بإرسال الرسل، وإنزال الكتب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُوْنَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣].

ومع هذا التكريم للإنسان بالعقل، والفطرة، والشرع، وضع الإنسان كل شيء وراء ظهره، وانطلق مع شهواته بلا هدى ولا كتاب منير فخرس دنياه وأخراه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيْرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوْبٌ لَا يَفْقَهُوْنَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُوْنَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُوْنَ بِهَا ؕ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُوْنَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

• ومن رحمة الله بهذا الإنسان أن هياً له شفاءين:

الأول: شفاءً لروحه وهو القرآن الكريم.

الثاني: شفاءً لجسده وهي الأدوية المشروعة.

واعلم أن الشفاء لا يكون إلا من مرض، والمرض في الأصل خروج عن منهج الله، فإذا أعرض القلب عن منهج الله ظهرت عليه أعراض هذا المرض، من الكفر والشرك، والشك والنفاق، والكبر والظلم، والحسد والغش، وغيرها مما يفسد حياته وحياة غيره: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣].

وسبب ذلك أنه تعلق بالشهوات وأعرض عن منهج الله ففسد وخسر: ﴿فَلْخَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم / ٥٩]. ولا شفاء لهذا القلب أبداً إلا بالإيمان والقرآن: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء / ٨٢].

وكذلك الجسم يصاب بالعلل إذا خالف منهج الله في الأكل والشرب، والنوم والعمل، وما خلق الله داءً إلا خلق له دواءً، علمه من علمه، وجهله من جهله: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

واعلم أن أمراض القلب أخطر من أمراض الجسم؛ لأن أمراض الجسم تنتهي بالموت، الذي ينهي كل ما له علاقة بالجسم، أما أمراض القلب فيشقى الإنسان بها قبل الموت، وتزيد خطورتها بعض الموت: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ ءَاتَى اللَّهَ يَنْفَعُ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء / ٨٨-٨٩].

والقلب السليم هو الذي سلم من أمراض الشبهات والشهوات؛ فأمن بالله، وعمل بشره: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود: ١١٢-١١٣].

والقلب محل نظر الرب جل جلاله؛ كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

فإذا كان القلب متصلاً بربه بالإيمان والتقوى انفسح وانشرح، وأشرق بالتوحيد والإيمان، والصفات الحسنة، والأعمال الصالحة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُ ﴿٢٩﴾ [الرعد/ ٢٨-٢٩].

وإن لم يكن القلب متصلاً بربه ضاق وأظلم بالكفر والشرك والصفات السيئة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشُرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنتَ أَتَىٰ آيَاتِنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيكَ ﴿١٢٦﴾ [طه/ ١٢٣-١٢٦].

وقال ﷺ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ (٣١٣) [الشعراء/ ٢١٣]. وعن النعمان بن البشير رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم أن سبب أمراض الأبدان أمراض القلوب؛ فكل مرض خارجي سببه مرض داخلي، وكل مرض داخلي سببه مخالفة منهج الله ﷻ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۗ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَانِهِمْ وَقُرْءَانُهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادُونَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٤٤) [فصلت/ ٤٤].

فالقرآن العظيم، والإيمان بالله، شفاء من أمراض القلوب والقوالب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢) واللفظ له، ومسلم برقم (١٥٩٩).

## التعبد لله ﷻ باسمه الشافي

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، وبيده الخلق والأمر هو الله وحده لا شريك له: ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ ۗ إِلَهُ وَاحِدٌ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة/ ١٦٣].

فتوسل إلى ربك الشافي بأسمائه وصفاته، واطلب منه أن يشفيك من جميع أمراض القلوب والأبدان، فلا شفاء لأحد إلا بإذنه، ولا حول ولا قوة إلا به، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون أبداً: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ [التغابن/ ١٣].

واعلم رحمك الله أن العلاج والتداوي إن لم يوافق إذناً من الله بالشفاء؛ فإنه لا ينفع ولا يجدي: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ ۗ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۗ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس/ ١٠٧].  
وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وإذا أنعم الله عليك بنعمة الإسلام؛ فاعلم أن أعظم داءٍ انتشر بين البشرية هو داء الكفر والشرك والمعاصي؛ فاجتهد في رفع هذا الداء بما أعطاك الله من نور العلم والهدى، وبلغ به رسالة ربك في كل مكان وزمان، فلا شفاء للأمة إلا به: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ ۗ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَنْبِيَاءَ﴾ [إبراهيم/ ٥٢].

ولن يقوم بهذا إلا أنت، فقم به كما قام به نبيك ﷺ، وشرعه لك ربك بقوله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي ۗ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ۖ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۗ وَسُبْحَانَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف/ ١٠٨].

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٠٤).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران / ١٠٤].

وارفع الجهل عن الأمة بتعليم أحكام الله لعباده؛ يكتب الله لك أجرهم، ويرفع مقامك في الدنيا والآخرة: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِنَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران / ٧٩].

واعلم أن من عرف ربه حقاً آمن به حقاً، وعبده حقاً، وكبره حقاً، وأحبه حقاً: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتَ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر / ٩].

واعلم هداك الله لما يرضيه أن من علم أن ربه هو الشافي وحده لا شريك له أحبه وتعلق به وحده لا شريك له، وحده على سوابغ نعمه، وعنايته بخلقه، ولجأ إليه وحده بطلب الشفاء والعافية في الأبدان، وطلب الأمن في الأوطان، وتوكل عليه في كشف الكربات، ودفع البليات: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ [التغابن / ١٣].

﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

وقد وعد الله سبحانه كل من آمن به واستقام على دينه بالأمن والهداية: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام / ٨٢].

ومن عرف أن ربه هو الشافي وحده لا شريك له صبر على ما قدره الله عليه من المصائب؛ لعلمه أن المصائب شفاء لأمراض القلوب التي قد فتكت به لو استمرت فيه، فليصبر على تجربته، ولا يسخط فيذهب نفعه: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن / ١١].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة / ٢١٦].

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فليتوكل المؤمنون﴾ [التوبة / ٥١].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن الله ﷻ إذا شفاه وهداه أن يسعى لشفاء الناس من أمراض الشبهات والشهوات، ومن أمراض الكفر والشرك، ومن أمراض الظلم والكذب، ومن أمراض الكبر والحسد، وأن يسعى في إيصال الخير إلى الناس، وقضاء حاجاتهم، وكشف كرباتهم: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.  
واعلم بأن الشفاء وغيره بيد الله وحده، والله سبحانه يشفي المريض بالأسباب، وبدون الأسباب، وبضد الأسباب؛ لأنه فعال لما يريد، ولا بد للمؤمن من فعل الأسباب بجوارحه، والتوكل على الله بقلبه: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

ورقى جبريل النبي ﷺ فقال: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.  
• وفعل الأسباب له ثلاثة شروط:

الأول: ألا يجعل من الأسباب سبباً إلا ما ثبت أنه سبب شرعاً أو قدراً.

الثاني: أن يفعل السبب ولا يعتمد عليه؛ بل يعتمد على الله، ففعل الأسباب بجوارحنا، ونتوكل على الله بقلوبنا.

الثالث: أن يتيقن أن الأسباب مهما عظمت فهي مقيدة بقضاء الله وقدره، إن شاء الله أبقي سببيتها، وإن شاء سلبها؛ لئلا يتعلق الناس بها، ويعتمدون عليها من دون

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢١٩٩).

(٢) أخرجه مسلم برقم: (٢١٨٦).

الله: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾<sup>١</sup>  
يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ [يونس / ١٠٧].

فيا عبد الشافي إذا أصابك مرض فارق نفسك، واطلب من الله الشفاء.  
قال ﷺ: «ضَعُ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمُ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ  
بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَحَدٌ وَأَحَاذِرُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن أصيب ببلاء فهو مخير؛ إن شاء صبر، وانتظر الفرج، وإن شاء فعل السبب، كما قال  
النبي ﷺ للمرأة التي تُصرع وتتكشف: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ  
اللَّهَ أَنْ يَعْفِيكَ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

ومن الأدعية النبوية لرفع البلاء، ودفع الأمراض: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ الْبَاسِ،  
اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يَعَادِرُ سَقَمًا» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان الرسول ﷺ يقول في الرقية: «بِسْمِ اللَّهِ، تَرْبَةُ  
أَرْضِنَا، بَرِيْقَةٌ بَعْضِنَا، يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا» متفق عليه<sup>(٤)</sup>.

وعن أبي سعيد، أن جبريل، أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اشْتَكَيْتَ؟  
فَقَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: «بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنٍ  
حَاسِدٍ، اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ» أخرجه مسلم<sup>(٥)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يُخْضَرْ أَجَلُهُ، فَقَالَ  
عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ  
ذَلِكَ الْمَرَضِ» أخرجه أبو داود والحاكم<sup>(٦)</sup>.

ومن الأدوية التي جعلها الله سببًا للشفاء، وأخبر بها رسول الله ﷺ: العسل، والحبة  
السوداء، وماء زمزم، والقسط الهندي، والحجامه، وألبان الإبل، وأبوالها، والسنا

(١) أخرجه مسلم برقم: (٢٢٠٢).

(٢) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٦٥٢)، ومسلم برقم (٢٥٧٦).

(٣) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩١).

(٤) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩٤).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٢١٨٦).

(٦) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٣١٥٦)، وأخرجه الحاكم برقم (١٢٦٨) وهذا لفظه.



والسنوت، وهو الكمون، والصيام، والصدقة، وكل ذلك ثبت في السنة النبوية: ﴿وَمَا  
 ءَأْتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٧﴾  
 [الحشر: ٧].

واعلم علمك الله ما يسعدك في دنياك وأخراك أن المرض جندي من جنود الله الشافي،  
 يتبلي به المؤمن، ليرفع درجاته، ويكفر سيئاته، ويسلطه على الكافر والعاصي، ليعاقبه،  
 ولعله يكون سبباً لهدايته: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ  
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَآخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١١﴾ [الأعراف: ٩٦].  
 وقال النبي ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذَى  
 وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشُّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» أخرجه البخاري (١).

واعلم يا عبد الشافي أن الله ﷻ أرحم بالعبد من نفسه، فما ابتلى إلا ليعافي، وما منع إلا  
 ليعطي، وما قبض إلا ليبسط، فاصبر، وفوض الأمر إلى الله، وانتظر الفرج: ﴿وَلَنَبَلِّغَنَّكُمْ  
 يُشْرَىٰ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا  
 أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ  
 وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

واعلم أن من ابتلى بمرض أو غيره فإن الله معه معية خاصة: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ  
 وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ [البقرة: ٤٥].  
 قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ  
 فَلَمْ تُعِدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي  
 فَلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تُعِدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟» أخرجه مسلم (١).

فاصبر ولا تجزع، واصبر فإن الله يحب الصابرين، والله مع الصابرين.  
 والبلاء سبب لدخول الجنة: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ  
 اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٩).

قال الله ﷻ في الحديث القدسي: «إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبْرٌ، عَوَّضْتُهُ مِنْهَا الْجَنَّةَ»  
أخرجه البخاري (١).

ومن المرض ما ينال به المؤمن أجر الشهيد.

قال النبي ﷺ: «الطَّاعُونَ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» متفق عليه (٢).

وقال ﷺ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: الْمُطْعُونُ، وَالْمُبْطُونُ، وَالْغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الْهُدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» متفق عليه (٣).

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يسعى في شفاء غيره بالدعاء له، عند من يملك الشفاء بلا دواء، وهو الله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وأن يسعى في شفاء نفسه، ويزكيها بالإيمان والتقوى: ﴿وَقَسِّمِ وَمَا سَوَّيْتَهَا﴾ [الشمس / ٧-١٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران / ٨].

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [٢٥] ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ [٢٦] ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ [٢٧] ﴿يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ [٢٨] [طه / ٢٥-٢٨].

«اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ الْبَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا» متفق عليه (٤).

اللهم يا من لا يشفي من الأسقام إلا هو، ولا يعين على الحق إلا هو، ولا يؤتي الخير إلا هو، نسألك عافية نقوى بها على طاعتك، وعبادة نستحق بها جزيلا مثوبتك، إنك على كل شيء قدير.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٦٥٣).

(٢) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم (٥٧٣٢)، ومسلم برقم (١٩١٦)، واللفظ له.

(٣) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٩)، ومسلم برقم (١٩١٤)، واللفظ له.

(٤) متفق عليه / أخرجه البخاري برقم (٥٧٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٩١).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الحيي

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الحبي

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].  
وأسماء الله ﷻ كلها مترادفة في الدلالة على الذات، متباينة في الدلالة على الصفات، لدلالة كل اسم منها على معنى خاص مستفاد منه، كالعظيم، والكبير، والعزیز، والخالق، والرزاق، والكریم وغيرها من أسماء الله الحسنى.

فكل أسماء الله الحسنى تدل على ذات الله، وتدل على صفات متعددة للرب، كالخلق والتصوير، والقدرة، والرزق، والكرم.. وهكذا: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [١١٠] وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَنْخُدْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١٠-١١١].

فأسماء الله الحسنى أعلام وأوصاف، فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات، وهي أوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني من صفات الجلال والجمال لله ﷻ.  
فالحي القيوم، والسميع البصير، والعزیز العليم، وغيرها من الأسماء الحسنى، كلها أسماء لمسمى واحد هو الله ﷻ، لكن للحي معنى خاص، وللقيوم معنى خاص، وللسميع معنى خاص، وللبصير معنى خاص، فالحي يدل على صفة الحياة، والسميع يدل على صفة السمع، والعليم يدل على صفة العلم، والرزاق يدل على صفة الرزق،.. وهكذا.

وأسماء الله الحسنى كما أنها متعددة؛ فهي كذلك متفاضلة في المعاني، وفيها اسم الله الأعظم الذي أخفاه الله ﷻ في أسمائه الحسنى؛ ليتعبد الخلق بجميع أسمائه الحسنى، ويدعونها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: «سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ» أخرجه الترمذي وابن ماجه <sup>(١)</sup>.

ومن أسماء الله الحسنى الواردة في السنة اسم الله الحيي .

عن يعلى رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسلُ بالبراز بلا إزارٍ، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله عزَّ وجلَّ حييٌّ ستيرٌ، يحب الحياءَ والسترَ، فإذا اغتسلَ أحدكم فليستترْ» أخرجه أبو داود والنسائي <sup>(٢)</sup>.

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ رَبُّكُمْ حَيِّيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مَنْ عَبَدَهُ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا» أخرجه أبو داود والترمذي <sup>(٣)</sup>.

الله تعالى هو الحيي العظيم الحياء، الذي لا يفعل ما لا يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه وعظيم عفوه وحلمه: ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون/ ١١٦].

وحياؤه جل جلاله على ما يليق بجلاله، فالعبد يبارز ربه بالمعصية، مع أنه أفقر شيء إليه، وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معاصيه، ويسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، وربّه مع كمال غناه، وتمام مقدرته عليه، يستحي من هتك ستره وفضيحته: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة/ ١٤٣].

فسبحان الحيي الستير الذي يستر من عصاه بما هيأه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر له: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى/ ٢٥].

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وابن ماجه برقم (٣٨٥٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، والنسائي برقم (٤٠٦).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٨٨)، والترمذي برقم (٣٥٥٦).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم أن حياء الرب من عبده حياء لا تدرکه العقول، ولا تحيط به الأفهام؛ فهو حياء عظيم، حياء كرم وبر، وجود وإحسان: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

فهو سبحانه حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراء، ويستحي أن يعذب ذا شبيبة شاب في الإسلام، ومن استحي من الله استحي الله منه أن يعذبه.

فاستح الآن من كل فعل تستحي أن تراه غداً، حيث لا تنفع المَعْدِرَةُ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [١٦] وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾

[آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

واسم الله الحيي لم يرد في القرآن؛ وإنما ورد في السنة كما تقدم في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ، يَحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتِرْ» أخرجه أبو داود والنسائي<sup>(٢)</sup>.

هو سبحانه الحيي الذي يترك ما لا يتناسب مع عظيم أسمائه وصفاته، وما لا يتناسب مع سعة رحمته وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه.

فهو سبحانه الغني عن كل أحد، الذي يحتاج إليه كل أحد، ونعمته عمت كل أحد: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا شَيْءٌ ﴿٣﴾ لَمْ يَكُنْ لَهُ يُولَدٌ ﴿٤﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٥﴾﴾ [الإخلاص/ ١-٤].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤١) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، والنسائي برقم (٤٠٦).

فهو سبحانه مع كمال غناه عما سواه، وكمال قدرته على كل ما سواه، يستحي من هتك ستر العاصي وفضيحته بين الناس، فيستره بستره ثم يعفو عنه، ويغفر له: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر/ ٥٣].

هو سبحانه الحبي الحليم الستير، الحليم الذي لا يعاجل العاصي بالعقوبة، بل يمهله ليتوب إليه؛ لأنه الحليم؛ ويستتر عليه ذنبه لأنه الستير، ويقبل توبته واعتذاره عندما يرجع إليه، ويتوب إليه، منظرًا بين يديه؛ لأنه التواب الرحيم، فيتوب عليه ويستحي منه ذو الجلال والإكرام، فيجيب دعاءه، ويغفر له ذنبه، لأنه الحبي جل جلاله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظِلْمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

فسبحان ربنا العظيم الذي إذا رفع العاصي يديه إلى ربه بالدعاء منظرًا بين يديه، خائفًا من شؤم معصيته استحي الله منه وأجاب دعاءه، وغفر ذنبه؛ لأنه الحبي جل جلاله.

والصفة المشتقة من اسم الله الحبي هي صفة الحياء، وهي صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيٰ ۚ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَأْفُوقَهَا﴾ [البقرة/ ٢٦].

وهي كذلك صفة فعلية؛ ففي السنة في الذين دخلوا المسجد، فقال النبي ﷺ: «أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَىٰ إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الحبي الذي حياؤه حياء كرم ورحمة، وبر وجمال.

هو سبحانه الحبي الستير الذي يحلم ويستر، ويستحي من عباده إذا فعلوا ما يغضبه، وأقدموا على معصيته.

ولحبه للستير يستر على العصاة، ولا يفضحهم مع أنهم أفقر شيء إليه.

هو سبحانه الحبي الذي لا يستحي من الحق أن يبينه، ولا يستحي من ضرب الأمثال في تقرير الحق، لأنه حق، والله لا يستحي من الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيٰ ۚ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَأْفُوقَهَا﴾ [البقرة/ ٢٦].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٦).

هو سبحانه الرؤوف بعباده، الحيي الكريم الذي أمرنا بالتوبة ليتوب علينا، وأمرنا أن نسأله ليعطينا، وأمرنا أن نستغفره ليغفر لنا: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠].

فسبحان الحيي في ذاته، وفي صفاته، وفي أفعاله، وفي أحكامه، ما أمر بشيء إلا واطمأنت النفوس إليه، وما أمر بشيء إلا وأعان عليه، وما أمر بشيء إلا وأثاب عليه، وما نهى عن شيء إلا أبغضته النفوس، واستحيت من فعله، وما نهى عن شيء إلا أغنى عنه، ومن عاش تقيًا عاش قويًا: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٥﴾ [غافر: ٦٥].

واعلم أن الحياء أن تستحي من الذي خلقك ورزقك وهداك أن تعصيه بنعمه، وأن ترى أن الله معك، فتبادر إلى طاعته، وتستحي من معصيته؛ لما تراه من عظمته وجلاله وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١١٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١١٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

ومن عرف الله حقاً أحبه حقاً، واستحيا منه حقاً: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿١١٩﴾ [محمد/ ١٩].

واعلم رحمك الله أن التوحيد ألا ترى مع الله أحداً، وكلما زاد العلم بالله في قلب العبد زاد إيمانه بربه، وزادت طاعته له، وزادت محبته له، وزادت تقواه، وزاد حياؤه من ربه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَابِ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خٰشِعِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [الأنبياء/ ٩٠].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾ [الملك/ ١٢].



واعلم هداك الله لمعرفة أن نهاية العلم التوحيد، ونهاية العمل التقوى، وهذا هو الدين كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف / ١١٠].

فاستحي من الله أن تشرك معه غيره، واستحي من الله أن تدعو غيره، واستحي من الله أن تعصيه بنعمه، وأنت تسكن في ملكه، وتأكل من رزقه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

واعلم أن العطاء العظيم أن تعرف ربك، وأن تحبه، وأن تعبه، وأن تستحي منه: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء / ١١٣].

ومن هذا إكرامه، وهذا إحسانه، وهو وحده الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء / ٧٠].

﴿الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن / ١-٤].

فما أعظم نعم الله على عباده! وما أشد إعراضهم عنه! وعن طاعته! وما أشد جرأتهم على معاصيه! ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

وإذا كان الله ﷻ حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إلى السماء أن يردهما صفرًا خائبين، فمتى يستحي العبد من ربه العظيم الغني عنه أن يعصيه وهو الذي غمره بأنواع نعمه؟! ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَكَ رِبِّكَ أَلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨].

﴿ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد: ٥ - ١٠].

ومن عرف ربه أحبه وأمن به: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢].

فإذا عرفتم عظمة الله وجلاله وجماله، وعرفتم عظيم نعمه وإحسانه، وعرفتم عظمة ملكه وسلطانه؛ فاستحيوا من الله حق الحياء، وذلك بتصديق أخباره، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، وعبادته بالحب والتعظيم والذل له: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشِّمْرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

فاعلم رحمك الله أن الله ﷻ له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والله ﷻ يحب أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، ويثني على نفسه بها، ويجب ظهور آثارها في خلقه على شاکلة العبودية، فهو كريم يجب أهل الكرم، محسن يجب المحسنين، حلیم يجب أهل الحلم، شكور يجب الشاكرين، تواب يجب التوابين، مؤمن يجب المؤمنین، حيي يجب أهل الحياء: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ولمحبته سبحانه لأسمائه وصفاته أظهرها الله لعباده في كتاب الكون المفتوح، وفي كتابه العظيم المقروء، وأمرهم بالتعبد له بموجبها ومقتضاها: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

وأحب عباده إليه من اتصف بالصفات التي يحبها، وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يبغضها، فعليك بالاتصاف بالصفات التي يحبها الله ﷻ: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَبِيدُونَ



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» أخرجه مسلم <sup>(١)</sup>.

والحياء خير كله؛ لأنه لا يأتي إلا بخير.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه <sup>(٢)</sup>.  
وأعظم الحياء وأحسنه وأجمله وأوجه الحياء من الله، ثم الحياء من الملائكة الكرام، ثم الحياء من الناس، ثم الحياء من النفس.

والحياء من الله يكون بإخلاص التوحيد له، واجتناب معصيته، وكمال الإيمان به، وإحسان العمل له، والحب له، والتعظيم له، والخوف منه، والتضرع إليه، والافتقار إليه في جميع الأحوال: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ <sup>(٦٥)</sup> [غافر: ٦٥].

وأشد الناس حياءً من الله هم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وذلك لكمال معرفتهم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظيم نعمه وإحسانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خِدْعِينَ﴾ <sup>(٩٠)</sup> [الأنبياء: ٩٠].

ثم يليهم أتباعهم من المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ <sup>(٥٧)</sup> وَالَّذِينَ هُمْ يَشَايَتْ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ <sup>(٥٨)</sup> وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ <sup>(٥٩)</sup> وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ <sup>(٦٠)</sup> أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ <sup>(٦١)</sup> [المؤمنون: ٥٧-٦١].

وأشد الخلق حياءً من الله هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ لكمال معرفته بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله ومعرفته بنعمه وإحسانه، فكان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه شاكرًا لربه، معظمًا له، مكبرًا له، مستغفرًا من ذنبه.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٥).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١١) واللفظ له، ومسلم برقم (٣٧).

خَدِرْهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ. متفق عليه (١).

واعلم رحمك الله أن الله يراك ويعلم بحالك في جميع الأوقات، فاستح من ربك الذي خلقك ورزقك وهداك: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضحى: ٦-٨].

واحفظ السمع والبصر والفؤاد واللسان، من جميع المعاصي: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل / ٧٨].

واستعمل جوارحك في طاعة مولاك، واحفظ السمع والبصر والفؤاد من جميع المحرمات، واحفظ اللسان من كل ما لا يغنيه، واحفظ البطن من دخول المحرمات، واحفظ الفرج من غشيان الفواحش: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء / ٣٦].

ومن علم أن السميع يسمعه، والبصير يبصره، والعليم يعلم بظاهره وباطنه؛ استحي منه أن يراه على معصيته، فاستح من ربك ألا تطيعه، فضلاً عن أن تعصيه بما أعطاك، وهو الذي يسمعك ويراك: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس / ٦١].

فسبحان العليم الخبير الذي اتصف بالحياة والحياء، وخلق الحياء، ومن به على من شاء من خلقه؛ فكل حياء في الملائكة والإنس والجن من فضله وخزائنه: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا إِتَيْنَا خَزَائِنَهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر / ٢١].

﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النحل / ٥٣].

واعلم فقها الله وإياك في الدين أن الحياء من الملائكة يكون بالاعتداء بهم في دوام الذكر والتسبيح والطاعة، وعدم إيذائهم بالمعاصي والمنكرات؛ لأنهم معنا يكتبون ويحفظون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ يَعْمُونَ مَا نَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار / ١٠-١٢].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٠٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٣٢٠).

وقال ﷻ: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء / ١٩-٢٠].  
 والملائكة لكمال معرفتهم بالله: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحریم: ٦].

ويستغفرون للمؤمنين، ويكتبون أعمالهم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر / ٧].

فعلينا أن نستحي من الملائكة حق الحياء؛ لأنهم معنا، ومع كل إنسان ثمانية من الملائكة يحفظونه، ويكتبون أعماله، حتى يلقي ربه، ثم يشهدون عليه بذلك يوم القيامة.

أما الحياء من الناس فيكون باجتناب كل ما يسوء ويقبح من الأقوال والأعمال والأخلاق، حياءً من الله والملائكة والناس: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْحَرُونَهُمْ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بئسَ الأسمُ الفسوفُ بعدَ الأيمنِ ومن لم يئب فأولئك هم الظالمون ﴿١١﴾ يتأيتها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إنك بعض الظن إنهم ولا تحسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحِبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وأنفوا الله إن الله توابٌ رحيم ﴿١٢﴾ يتأيتها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات / ١١-١٣].

أما الحياء من النفس فيكون بأن تحملها على طاعة الله، بعدم استعمال نعم الله في معصية الله؛ فمن لم يستح صنع ما شاء من الفواحش والمنكرات والقبائح؛ لأن الحياء هو المانع من فعلها: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال / ٢٢-٢٣].  
 ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

فمن رُزق الحياء من الله، والملائكة، والناس، ونفسه، فهو الحيي الذي يحبه الله، ومن

حُرْم ذلك سقط من عين الله .

عن أبي مسعود البديري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

واعلم رحمك الله أن من استحى من الله، استحى الله منه، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه، ومن نسي الله نسيه الله، فاعبد ربك كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتًا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٌ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ، قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةَ فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّلَاثُ فَأَذْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفْرِ الثَّلَاثَةِ؟» أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

اللهم إني في هذا المقام أشهدك أنك أنت الله الواحد الأحد، الذي بيده ملكوت كل شيء، وأستحي منك من التقصير فيما كتبت عنك يا مولاي؛ فأنت الكبير، وأنت العظيم، وأنت القوي، وأنت الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى، وأستغفرك من هذا العمل الذي يغني عنه كتابك العظيم، وأنت الحكيم الكريم الذي بعثت الهمة لكتابته، وبسطت اليد لتحريره، فأقبله، واغفر لصاحبه زلله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (١٣) [الأعراف: ٢٣].

وأنا أعلم أن الكلام عن العظيم لا بد أن يكون عظيمًا، والكلام عن الكبير لا بد أن

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٢٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢١٧٦).

يكون كبيراً؛ والكلام عن الواسع لا بد أن يكون واسعاً، والكلام عن القوي لا بد أن يكون قوياً.

فأستغفر الله وأتوب إليه مما كتبت، ومما قصرت، ومما أخطأت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، يا ذا الجلال والإكرام.

لك الحمد على ما قدرت، وأستغفرك وأتوب إليك مما عملت، فلست أنشد إلا رضاك؛ فاغفر لي ولوالدي وللمسلمين كافة يا واسع المغفرة والرحمة: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦].

واعلم رحمك الله أن من عرف ربه بأسمائه وصفاته وأفعاله استحيا من الله أن يعصيه، أو يخالف أمره، وهو يسكن في ملكه، ويأكل من رزقه، فلا يليق به أن يعصيه بنعمه: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود/ ١١٢].

وكن مع المؤمنين في محراب العبودية في كل حين: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج/ ٧٧].  
وعن عبد الله بن مسعود قال: قال النبي ﷺ: «اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قُلْتُ: إِنَّا لَنَسْتَحِي يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظْ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكَرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

واعلم أن من عرف ربه باسمه الحيي كثر حياؤه من الله وقوي، ومن صدق حياؤه من الله انقبضت نفسه عن محارم الله، وابتعد عن معصية الله في ظاهره وباطنه؛ لعلمه أن الله معه يراه ويسمعه: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِإِيَابِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [١٥] نَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ [١٦] فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [١٧]﴾ [السجدة/ ١٥-١٧].

ومن استحيا من الله، فعبده كما يليق بجلاله، استحيا من الله منه، وشكره على طاعته،

(١) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٢٤٥٨).



وضاعف أجوره: ﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١٧) عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْغَرِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ [التغابن/ ١٧ - ١٨].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم محبة الله وتعظيمه، وحمده وشكره، لما يعلمه العبد عن ربه من الصبر على العصاة؛ لكمال حلمه وحيائه، وعظيم رحمته.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فمتى يستحي العبد من ربه، ويستغفر من ذنبه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧٤) [المائدة/ ٧٤].

ولكمال رحمته، وعظيم حلمه، وعظيم حيائه، لم يعاجل العصاة بعذابه، ولو عاجلهم لم يبق على ظهر الأرض أحد: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١١) [النحل/ ٦١].

ومن عرف ربه باسمه الحيي استحيا من الله، ومقت نفسه؛ لما يراه من عظيم إحسان الله وإنعامه عليه وعلى غيره، وأن عبادته لربه لا تليق بجلال الله، وأن قدر الله أعلى وأجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ، وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١٧) [الزمر/ ٦٧].

ولن يعبد الله حقاً إلا من عرفه حقاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ [نوح/ ١٣ - ٢٠].

فاستحيوا من الله حق الحياء، وامثلوا أوامره، واجتنبوا نواهيه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٧) [الحشر/ ٧].

وعليك الحذر من غضب الله، وذلك باجتنب الكبائر والمعاصي التي تغضب الله؛ لأن الله تعالى إذا غضب لم يقم لغضبه شيء، والحليم لا يغضب إلا على من لا يستحق الرحمة، وعلى الجرم العظيم، وذلك بعد أن أمهله ليتوب فلم يستجب؛ فالله تعالى لا يغضب ولا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

ينتقم إلا على شناعة الجرم: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود/ ١٠٢].

وتخلق رحمك الله بخلق الحياء، فالله يحب الحياء وأهله، وكان ﷺ أشد الناس حياءً، وكان أشد حياءً من العذراء في خدرها، لما يراه من عظمة ربه، وجلاله، وعظمة ملكه وسلطانه، وعظمة نعمه وإحسانه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

### • واعلم أن حياء الناس أنواع:

الأول: حياء الجنائية: فمن عصى الله بكبيرة أو صغيرة استحى من الله ﷻ أن يعصيه بنعمه وفي ملكه.

الثاني: حياء الجلال: فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أجله، واستحى من تقصيره في حقه: ﴿ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام/ ١٠٢].

الثالث: حياء التقصير: فمن قصر في حق الله استحى منه.

الرابع: حياء السؤال: فيستحي العبد أن يسأل ربه، وهو مقيم على معاصيه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثَلَكُمْ﴾ [محمد/ ١٩].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق/ ١٢].

وإذا عرفتم ذلك آمنتم بالله، وأحببتموه واستحيتم من معصيته: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود/ ١١٢].

واعلم أنك في الصلاة تسمع وتتلوا أخبار وأوامر ربك العظيم، وفي خارج الصلاة يجب أن تعمل بموجها، في الطريق والسوق، في البيت والعمل، مع الزوجة والأولاد، ومع الأقارب والجيران، ومع المسلمين والكفار، ومع الخلق كافة: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٦١] ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٦٢] ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ. وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [١٦٣].

[الأنعام/ ١٦١-١٦٣].

فدينك معك نور تمشي به، في منزلك ومكتبك، ومعك في دكانك، ومعك في سوقك، وفي تجارتك، وفي معاملاتك.

واعلم أن الإيمان والحياء قرنا جميعاً، فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر، فالحياء من الإيمان، وكلما زاد الإيمان زاد الحياء من الله، ومن الملائكة، ومن الناس ومن النفس، وفي السنة

«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ، إِذَا لَمْ تَسْتَحِي فَأَفْعَلْ مَا شِئْتَ» أخرجه البخاري<sup>(١)</sup>.

فكن حياً من ربك فلا تعصه بنعمه، وكن حياً من الملائكة الذين يرونك ويكتبون أعمالك، وكن حياً من خلقه فلا تفعل ما يسوء بينهم، ولا تكن أسوة سيئة لهم في أقوالك، وأفعالك: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(١٩٩)</sup>

[الأعراف/ ١٩٩].

وبادر وسارع إلى مكارم الأخلاق مع الناس: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾<sup>(١٣٣)</sup> الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ<sup>(١٣٤)</sup>

[آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

والحياء درجات؛ فمن استحى من الناس، ولم يستح من نفسه؛ ف نفسه أخس عنده من الناس، ومن استحى من الناس، ولم يستح من ربه فهو جاهل بربه: ﴿يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾<sup>(١٠٨)</sup> [النساء/ ١٠٨].

فاستح من نفسك، واستح من الناس، واستح من ربك.

ومن قوي حياؤه استحى من الأحياء والأموات، واستحى في سره وعلانيته.

قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافٍ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنْ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٢٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف / ٢٣].  
 ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى  
 الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا إِنَّكَ  
 مُؤْتِنَا فَا نَصْرْنَا عَلَى الْفُؤْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].  
 ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ  
 لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف / ١٥].

اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك  
 حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك  
 حميد مجيد.

اللهم لك الحمد كله، ومنك الفضل كله، وببيدك الأمر كله، وإليك يرجع الأمر كله،  
 اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا  
 أنت نستغفرك ونتوب إليك.

اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك لا نحصي ثناءً  
 عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم إنا نسألك صدق الإيمان بك، وحسن التوكل عليك، والعمل بما يرضيك، وحسن  
 الحياء منك، ومن ملائكتك، ومن خلقك يا ذا الجلال والإكرام: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ  
 عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [١٨٠] وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ [١٨١] وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [١٨٢].  
 [الصفات / ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

الستير

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله الستير

الله سبحانه هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

واسم الله الستير من الأسماء الحسنى الثابتة في السنة النبوية الصحيحة، والتي لم ترد في القرآن الكريم.

عن يعلى رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يغتسلُ بالبراز بلا إزارٍ، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله عزَّ وجلَّ حَيٌّ سِتِيرٌ، يحب الحياءَ والسَّترَ، فإذا اغتسل أحدكم فليستترْ» أخرجه أبو داود والنسائي<sup>(١)</sup>.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

والله عزَّ وجلَّ هو الستير الحق الذي يستر الكثير من العورات، ويستر الكثير من عورات عباده ولا يفضحهم في المشاهد.

هو سبحانه الستير الذي يستر عيوب عباده مهما كانت مشينة، الستير الذي يستر على عباده كثيرًا من العيوب والقبائح والفضائح، ولا يفضحهم وهو قادر لعلمهم يتوبون إليه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة/ ٧٤].

فسبحان الستير الذي يستر الذنوب، الكريم الرحيم الذي سترها ودعا أهلها للاستغفار منها، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء/ ١١٠].

هو سبحانه الستير الرحيم الذي يفرح بتوبة التائب أشد من فرحة الظمان الوارد، والعقيم الوالد، والضال الواجد، من تاب إليه توبةً نصوحًا فرح به، وأنسى حافظيه

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٤٠١٢)، والنسائي برقم (٤٠٦).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠).

وجوارحه، وبقاع الأرض كلها خطاياها وذنوبه.

عن أنس رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «لله أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحته بأرض فلاة» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الستير الذي يغفر جميع الذنوب مهما عظمت، ويعفو عن جميع السيئات مهما كثرت: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الزمر/ ٥٣-٥٥].

فسبحان الملك الرؤوف الرحيم، الذي أظهر الجميل، وستر القبيح، وجبر الكسير، وشفى المريض، وأطعم المسكين، وأمن الخائف، وأشبع الجائع: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٧٧-٨٢].

هو سبحانه الستير الذي يستر عورات عباده وذنوبهم، ويقيض لهم من أسباب الستر ما يستترهم به: ﴿إِنِ اللَّهُ يَأْتِ الْنَّاسَ لِرِءُوفٍ رَّحِيمٍ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣].

هو سبحانه الستير الذي يستر على عباده المعايب، ولا يفضحهم بين الناس.

هو سبحانه الستير كثير الستر على عباده، يستر الذنوب مهما عظمت، ويعفو عن السيئات مهما كثرت، ويغفر الذنوب مهما تكررت: ﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

هو سبحانه الستير الذي يستر على العصاة مع غناه عنهم، مع أن العاصي يجاهره بالمعاصي مع فقره الشديد إليه، حتى أنه لا يستطيع أن يعصي الله إلا بنعمه: ﴿إِنِ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس/ ٦٠].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٩٥٠)، ومسلم برقم (٢٧٤٧) واللفظ له.

هو سبحانه الحيي الستير الذي مع كمال غناه عن خلقه، وكمال قدرته عليهم، وإحاطة علمه بهم، يستر العصاة منهم، ويسدل عليهم حبل ستره، ويستحي من فضيحتهم وإحلال العقوبة بهم، ويسدل عليهم ستره القدري والشرعي، فيغفر لهم، ويعفو عنهم، ويستر عليهم، ويبدل سيئاتهم حسنات؛ لكمال رحمته بعباده: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

والصفة المشتقة من اسم الله الستير هي الستر، وهي صفة فعلية لله ﷻ؛ فمتى وقع الذنب من العبد؛ وقع الستر من الرب، لكمال رحمته ورأفته بعباده. واعلم أن من رحمة الله بالعصاة أنه يمهلهم ويسترهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة، وهذا من لوازم اسمه الحلیم: ﴿تَسِيحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء / ٤٤]. ومن رحمته بالعصاة كذلك أنه يسترهم ولا يفضحهم؛ لعلهم يتوبون إليه، وهذا من لوازم اسمه الستير.

ومن رحمته بهم كذلك أنه يقبل اعتذارهم وتوبتهم؛ فيتوب على من رفع إليه يديه بالدعاء مفتقرًا إليه، منكسرًا بين يديه، خائفًا من شؤم معصيته؛ فيستحي ذو العظمة والجبروت من عبده إذا تاب من معصيته ألا يجيب دعاءه، ولا يرد يديه صفرًا خائبتين، وهذا من لوازم اسمه الحيي: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿٦٥﴾﴾ [غافر: ٦٥].

واسم الساتر والستار ليسا من أسماء الله الحسنی، لأنهما لم يردا في القرآن ولا في السنة. أما الستير فهو اسم لله ﷻ ثبت في السنة الصحيحة كما سبق، لكن يجوز أن يدعى وينادى الرب بأحدهما؛ فنقول: يا ساتر، كما نقول: يا مقلب القلوب، ونقول: يا ستار،



كما نقول: يا فائق الحب والنوى، يا فائق الإصباح؛ لأن الله ينادى ويدعى بأسمائه وصفاته وأفعاله، والستر من أفعاله سبحانه.

هو سبحانه الستير الذي يستر يوم القيامة على من ستر على عباده في الدنيا؛ وذلك لمحبه للستر.

قال النبي ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه الستير الذي له الملك كله، وله الخلق كله، وإليه يرجع الأمر كله، الستير الذي يظهر الجميل، ويستر القبيح، فأظهر الجميل، واستر القبيح يجبك الستير. ومن ستره الله في الدنيا لم يفضحه في الآخرة.

قال ﷺ: «لَا يَسْتُرُ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ فِي الدُّنْيَا، إِلَّا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

هو سبحانه الستير، والستير صيغة مبالغة تفيد كثرة الستر، وعظمته.

فالله ستر يستر على عباده مليارات الذنوب في كل لحظة، وهو ستر يستر الذنوب العظيمة الكبيرة مهما كانت: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢].

﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر / ٥٣].

فسبحان الستير الذي يستر الذنوب الكثيرة، ويستر الذنوب العظيمة؛ لأنه الستير الرحيم الذي يستر عباده ولا يفضحهم؛ لعلمهم يتوبون إليه.

قال النبي ﷺ: «يُؤْتَى بِالْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَعْمَلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقْرُرُهُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٥٩٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥١٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

فسبحان ربنا الستير الذي يستر عباده، ويجب الستر، وأهل الستر، ويجب من عباده من يستر على نفسه إذا عصاه، ويستر على غيره.

وهو الستير الذي يستر من عصاه في الدنيا، ويغفر ذنوبه في الآخرة بعد أن يقربها. هو سبحانه الستير الذي خلق عالم الغيب وعالم الشهادة، وكشف لنا برحمته عالم الشهادة، وستر عنا عالم الغيب، وخلق الملائكة وجعلهم معنا في مجالس الذكر، والملائكة الذين يكتبون أعمالنا، وبرحمته سترهم عنا، وخلق الجن والشياطين وبرحمته سترهم عنا، وكل ملك أو جني محتاج لستر خاص بعدد الملائكة والجن: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

فسبحان من خلق ما نراه وما لا نراه، وما نبصره وما لا نبصره: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

وسبحان الستير الذي لا يعزب عنه شيء، الذي يستوي عنده عالم الغيب وعالم الشهادة؛ فكله مكشوف بين يديه: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة/ ٦-٧].

وسبحان ربنا العظيم الذي لو كشف لنا هذه العوالم من الملائكة، والجن، والشياطين، والأرواح، لما استطاع المعيشة أحد: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة/ ١٤٣]. وسبحان من خلق الملائكة والجن بقدرته، وسترهم عنا برحمته: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

هو سبحانه الستير الذي ستر عنا الأقدار، فجميع الأقدار الكونية والبشرية مستورة من الستير، فلا يعلمها أحد حتى تقع: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩].

• وستر الله نوعان:

الأول: ستر كوني قدرتي، وهو ما ستره الله عن خلقه من عالم الغيب.

الثاني: ستر شرعي، وهو أن الله يستر عباده ولا يفضحهم، ليتوبوا إليه.

فالأول ستر متعلق بالربوبية، والثاني ستر متعلق بالألوهية والعبودية، فهو خاص بالمؤمنين فمن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة.

هو سبحانه الستير الذي يستر عنك البلاء والشر فلا يصل إليك، ويحجبه عنك فلا يضرك.

قال النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» أخرجه الترمذي<sup>(١)</sup>.

فله الحمد الذي ستر عنا ما يضرنا، وما يخيفنا، وستر علينا ذنوبنا، وستر بنا غيرنا، وستر فينا القبائح، وأظهر المحاسن، وستر عنا ما في قلوب أهلنا وأصدقائنا: ﴿إِنِ اللَّهُ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة / ٢٤٣].

هو سبحانه الستير الذي كشف الحق لأهل الحق فآمنوا: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

وستر سبحانه الحق عن أهل الباطل فلم يؤمنوا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف / ٥٧].

هو سبحانه الستير الذي ينسبك ذنوبك لكي لا تستحي منه؛ فتدعوه وتسأله، ولولا ذلك لاستحييت منه فلم تسأله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧-٢٨].

ضعيفاً ﴿٢٨﴾ [النساء: ٢٧-٢٨].

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

هو سبحانه الرحمن الرحيم الستير، العليم بكل شيء الذي يستر سوءات عباده، ولا يفضحهم ولا يخزيهم، ولا يظهر للناس ما يشينهم، لعلمهم يتوبون إليه من سيئات النيات والأقوال والأعمال والأخلاق: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة/ ٢٣٥].

فسبحان العليم الخبير الذي لا يخفى عليه مثقال ذرة: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [١٣] أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

هو سبحانه الملك الحق الذي يكرم عباده بجميع النعم، ويسترهم إذا أذنبوا، ويستحي من هتك ستر العاصي وفضيحته، وإنزال عقوبته به، ويقيض له من أسباب الستر ما يشكر به ربه، ويوفقه للندم والتوبة، ويعفو عنه، ويغفر له: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى/ ٢٥].

وهو سبحانه الستير الذي يحب الستر على عباده، ويجب من عباده الستر على أنفسهم وعلى غيرهم إذا زل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وقد رغب الله عباده في الستر، وحذرهم من المجاهرة والمفاخرة بالمعاصي، ومن أبغض الناس إليه من بات عاصياً لله والله يستره، ثم يصبح فيكشف ستر الله عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

### التعبد لله ﷻ باسمه الستير

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

اعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن مقصود الله من عباده في هذه الدار عبادته بموجب أسمائه وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

وإذا علمت أن الله حلیم ستر يجب الستر، ويأمر بالستر، فاستر على نفسك وعلى غيرك كل معصية بين العبد وربّه، يستر الله عليك في الدنيا والآخرة.

واعلم أن المجاهرة بالمعصية أمام الله والناس ذنب عظيم أعظم من المعصية؛ لما فيه من الاستخفاف بحق الله ورسوله، وصالح المؤمنين، وفيه ضرب من العناد والاستخفاف بأوامر الله على بساط ملكه، وبين خلقه: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر / ٨].

وفي الستر بالمعاصي السلامة من الفضيحة، والذلة بن الناس، والسلامة من إقامة الحد أو التعزير على العاصي، وامثال أمر الذي يعلم السر وأخفى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود / ١١٢].

فإن كانت المعصية بين العبد وربّه؛ فهو أكرم الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، والعفو أحب إليه من العقوبة، ومن ستره الله في الدنيا لم يفضحه في الآخرة: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران / ٣٠].

فاستر نفسك تسلّم، واستغفر ربك يغفر لك؛ فإنه ما ستره إلا ليغفر لك ويصون عرضك، فبادر بالتوبة، فإن ربك غفور يغفر الذنوب جميعاً، شكور يبدل السيئات بالحسنات، ثم يضاعفها: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء / ١١٠].

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [٦٨] يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخَلَّدُ فِيهِ مُهَكَمًا

﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴿الفرقان: ٦٨ - ٧٠﴾.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت الرسول ﷺ يقول: «يؤتى بالعبد المؤمن يوم القيامة؛ حتى يضع كنفه عليه، فيقول: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فيقول: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فيقول: نَعَمْ، فيقرّره، ثم يقول: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فيُعطي صحيفة حسناته» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واجتنب يا عبد الستير الذنوب كلها ما ظهر منها وما بطن، وإذا قارفت شيئاً منها فاستتر بستر الله الذي سترك، وتب إلى الله منها فهو التواب الرحيم: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿المائدة / ٣٩﴾.

وتجنب جميع أبواب الرذائل، واحذر مجالس الفساد والضلال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿الأنعام / ٦٨﴾.

والزم البيئة الصالحة، واحذر البيئة الغافلة: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿التوبة / ١١٩﴾.

واسأل ربك الحفيظ أن يحفظ عورتك، ويصون عرضك، ويؤمن روعتك، وأن يستر عيوبك في الدنيا والآخرة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿البقرة / ١٨٦﴾.

واستر على عباد الله، وتجنب هتك أستارهم، ولا تتبع عوراتهم؛ فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته.

واعلم أنه كلما زاد إيمان العبد أظهر المحاسن، وستر القبائح، وستر العيوب من نفسه ومن غيره: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ﴿محمد: ١٩﴾.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٥١٤) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٨).

فاستر رحمك الله على كل مسلم ومسلمة يسترك الله، ويستر عليك في الدنيا والآخرة.  
 عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ  
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وجاهد نفسك على البعد من جميع الذنوب، ومفارقتها وإذا ألمت بشيء منها فاستر  
 نفسك، وبادر إلى التوبة منها، وأتبعها بالحسنة تمحها.

عن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،  
 فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ  
 أَلْسِيَّاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّكْرَيْنِ﴾ [هود/ ١١٤]، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلِي هَذَا؟ قَالَ:  
 لَجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

واعلم زادك الله علماً وإيماناً وتقوى أن من عرف ربه باسمه الستير أحبه وحمده وشكره،  
 وأناناب إليه، واستحيا منه، لما يراه من عظيم نعمه وإحسانه، وعظيم ستره وحلمه على  
 العصاة، وعظيم مغفرته ورحمته بمن عصاه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ  
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

قال النبي ﷺ: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ  
 الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

ومن عرف ربه باسمه الستير مقت نفسه، واعترف بتقصيرها، وبادر إلى التوبة من ذنبه؛  
 لعلمه أن عبوديته لا تصلح لمعبوده العظيم، وأن قدر ربه أعظم وأعلى وأجل: ﴿وَمَا  
 قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ  
 بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر/ ٦٧].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٦٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٩٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٨٠٤).

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم، أن يحفظ نفسه من كل شيء يغضب الله، وأن يستر نفسه إذا وقع في ذنب، ولا يفضح نفسه إذا ستره الله، ويستر كذلك ما يراه من معائب الناس ولا يفضحهم؛ بل يسترهم وينصحهم فالله حليم يحب الحلم وأهل الحلم، حبي يحب الحياء وأهل الحياء، ستر يحب الستر وأهل الستر: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالنَّعِيطِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

واعلم أن من جاهر بالمعصية أمام الناس فهو فاجر استخف بستر الله عليه، ومن فعلها مستتراً فهو عاص، ومن ابتلي بالمعاصي فليستر، وليعلم أن الستير يراه فليتب من ذنبه: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصِّرُوا فَاَلْتَارِ مَثْوَىٰ لَهُمْ وَإِن يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [فصلت/ ٢٢-٢٤].

واعلم أنه كلما زاد إيمانك زاد تترك مما يستحي منه، فاستر نفسك، واستر عورات غيرك يحبك الستير ويستر، فإذا ابتليت بمعصية فاستر ولا تفضح نفسك وقد سترك الله.

قال النبي ﷺ: «مَنْ أُبْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْقَادُورَاتِ، فَلْيَسْتَرِ بِسِتْرِ اللَّهِ» أخرجه البيهقي<sup>(١)</sup>. فاحذر أن تعلن بالفاحشة بين الناس، أو تحب ذلك، فتصيبك عقوبة الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور/ ١٩].

فاستح من نفسك، واستحي من الناس، واستحي من الملائكة، واستحي من ربك، ولا تجاهر بمعصية من خلقك ورزقك وهداك: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

(١) صحيح/ أخرجه البيهقي برقم (١٧٣٧٩).



لَذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ [الحديد / ١٦-١٧].

وقال النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَاذِي إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

واحذر يا عبد الستير تتبع عورات الناس، فمن تتبع عورات المسلمين؛ فإن الستير سيفضحه.

قال ﷺ: «لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» أخرجه أبو داود<sup>(٣)</sup>.

واعلم أن الفطرة تحب الطاعات والستر، والنفس تحب الشهوات والمجاهرة.

فمن غلبت فطرته نفسه صار أعلى من الملائكة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم / ٣٠].

ومن غلبت نفسه فطرته صار أضل من البهائم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَكَا لَا نَعْمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان / ٤٤].

وقال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف / ١٧٩].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٩٩٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤٤٢) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٥٨٠).

(٣) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (٤٨٨٠).

واعلم أن من حق أخيك عليك أن تنصحه بينك وبينه، فإذا نصحته أمام الناس فتلك فضيحة لا نصيحة: ﴿قُلْ إِنْ أُرِيدُ أَنْ أَمُرَ بِدِينِ اللَّهِ يَأْتِيهِ مِنَ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ۗ﴾ (٧٣) يَخْصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤].

واعلم أنه كلما زاد إيمانك أظهرت الحسن، وأخفيت القبيح، وكلما نقص إيمانك أظهرت القبيح وأخفيت الحسن، وكلما عرفت الله كنت أكثر سترًا على نفسك وعلى إخوانك: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبْنَا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا يَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات / ١٢ - ١٣].

واعلم أن محاسن الأعمال تسترك من عذاب النار.

قال ﷺ: «مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» أخرجه البخاري (١).

واعلم أن المسلم مأمور أن يستر عورته البدنية بالثياب، ويستر عورته الأخلاقية بالإيمان والتقوى ومحاسن الأخلاق، فيستر الجهل بالعلم، والسفاهة بالحلم، والبخل بالكرم، والذنب بالتوبة، ويعطي من حرمة، ويعفو عن ظلمه، ويصل من قطعه ويحسن إلى من أساء إليه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت / ٣٢ - ٣٥].

وقال ﷺ: ﴿يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَأْسَا يُورَى سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِيَأْسَا التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف / ٢٦].

فاللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا.

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٩٩٥).

وإذا علمت أن الله هو الستير الذي يسترنا في حياتنا، ويستر عيوبنا وذنوبنا عن الناس؛ فأكثر من حمده وشكره، والزم عبادته، والإحسان إلى خلقه، وسارع إلى التوبة من الذنوب التي عملتها: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْكَافِرِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٥].

واعلم أن معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله هي جنة المعرفة في الدنيا، الموصلة إلى جنة الآخرة، لمن عرفها وتعبد لله بها: ﴿ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد / ١٩].  
وقال ﷺ: ﴿ وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الرحمن / ٤٦].

جنة في الدنيا، وجنة في الآخرة، فجنة الدنيا هي العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعدته ووعيده، والتعبد لله بموجب ذلك: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤].

وجنة الآخرة كما قال سبحانه: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة / ٧٢].

واعلم أن أشد العقوبة أن تذنّب ولا تشعر بالعقوبة التي أصابتك بسبب ذنبك: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام / ٤٤-٤٥].

وأشد منها أن تفرح بالعقوبة، وتراها مثوبة، وأشد منها أن تنفر ممن يذكرك بالعقوبة: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنفال / ٢٢-٢٣].  
وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر / ٤٥].

وقال ﷺ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَزَّهَقَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة / ٥٥].

واعلم يا عبد الستير أن الستير يسترك مرارًا، فإذا لم تتب فضحك ورفع عنك الستر؛ لعلك تتوب إليه، وتستحي منه، فالله حيي ستير يجب الحياء والستر، فإذا لم تستح وتتوب إلى ربك نزع عنك الستر كما نزعت عن نفسك الحياء.

فله ستر بين العبد وربه، وستر بينه وبين الناس، فإذا هتك العبد الستر الذي بينه وبين الله، هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس، وهذا أول إنذار لك لتتوب إليه، فإذا لم تتب زادت الفسائح، لتستحي من ربك، وتسلم من فضوح الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [يونس / ٦٠].

ومن عرف ربه باسمه الستير لم يجهر بذنوبه أبدًا، فكل عاص مسلم معافي إلا المجاهرين، فليثق الله من يجاهر بحلق اللحى أو يجاهر بشرب الدخان، أو يجاهر بشرب الخمر، أو يجاهر برؤية الفواحش والمحرمات، أو يجاهر بترك الصلاة أو يجاهر بسماع الأغاني، أو يجاهر بأكل الربا، أو تجاهر المرأة بالتبرج والسفور والعري: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور / ٦٣].

وقال ﷺ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [العلق / ١٤].

إن الجهر بالمعاصي فيه استخفاف بدين الله، وبأوامر الله ورسوله، وضرب من العناد لله ورسوله والمؤمنين: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ سَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء / ١١٥].

ومن جهل مقام ربه هانت عليه معصيته، وخان أمانته: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ  
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا ءَمَنَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال / ٢٧].

فاستتر رحمك الله إن عصيت الله، واستر على غيرك إذا زل، واستر نفسك، واستحي من  
الملائكة الذين لا يفارقونك: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا  
تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار / ١٠-١٢].

واعلم أن الذي سوف يحاسبك يوم القيامة هو الذي رآك وأنت تعصيه، وأنت ترتكب  
الفواحش، وأنت تشهد زورًا: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾  
[الغاشية / ٢٥-٢٦].

وقال ﷺ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحجر / ٩٢-٩٣].  
واحذر ذنوب الخلوات؛ فإنها مهلكات، وإذا ستر الله عليك مرارًا ولم تتب، فإنه  
سيفضحك؛ لعلك تتوب إلى الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ  
كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك / ١٢].

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾  
[آل عمران: ٥٣].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي ءَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾  
[آل عمران / ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم / ٤١].  
﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾  
[الإسراء / ٨٠].

«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا  
اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ  
لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري (١).

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

اللهم يا خبيراً بفقرتي وفاقتي، يا عليماً بضري ومسكنتي، يا خبيراً بطاعتي ومعصيتي، يا  
من بيده ناصيتي، أسألك أن توفر حظي من كل خير تنزله، ومن كل رزق تبسطه، ومن  
كل ذنب تغفره، ومن كل خطأ تستره، يا أرحم الرحمين.

اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واختم بالصالحات أعمالنا يا ذا الجلال والإكرام يا  
أرحم الرحمين: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المعطي

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المعطي

الله ﷻ هو الرب الكريم المعطي، الذي له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].

واسم الله المعطي من أسماء الله الحسنى الواردة في السنة النبوية الصحيحة، ولم يرد في القرآن الكريم إلا صفة كما قال سبحانه لنبيه ﷺ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى / ٥].

وقال ﷻ عن فرعون: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه / ٤٩-٥٠].

وقد ورد اسم الله المعطي صريحاً في السنة النبوية.

عن معاوية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي، وَأَنَا الْقَاسِمُ، وَلَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه المعطي الذي أعطى كل شيء خلقه، ثم هداه إلى ما يسير عليه، وتصلح به حاله، والكون كله مظهر لعطاء الله، ومظهر لكرم الله، ومظهر لأسماء الله وصفاته وأفعاله: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [٧] ﴿تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [٨] [ق: ٦-٨].

هو سبحانه المعطي الذي خلق الشمس وأعطاه قوة الإضاءة والحرارة، وخلق القمر وأعطاه قوة الإنارة والبرودة، وخلق الأرض وأعطاه قوة الإنبات، وخلق البحار وأعطاه قوة الإغراق والسيلان، وخلق الجبال وأعطاه قوة الرسو والثبات:

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١١٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).



﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

هو سبحانه الخلاق العليم، خلق العين للإنسان والحيوان وأعطاهما قوة الإبصار، وخلق الأذن وأعطاهما قوة السمع، وخلق اللسان للإنسان وأعطاه قوة الكلام، وخلق اليد للإنسان وأعطاهما قوة البطش والحركة، وخلق الرجل وأعطاهما قوة المشي والسرعة، وخلق المعدة وأعطاهما قوة الهضم، وخلق القلب وأعطاه قوة دفع الدم إلى سائر البدن: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام، وضع سبحانه على السماء فاستقلت، ووضع على الأرض فاستقرت، وعلى الجبال فرست، وعلى البحار فسالت، وعلى الأرض فأنتت، وعلى اللسان فتكلم، وعلى العين فأبصرت، وعلى الأذن فسمعت، وعلى الرجل فمشت: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

هو سبحانه المعطي الذي خلق آدم وذريته، وأكرمهم بنعم لا تعد ولا تحصى، وهداهم إلى ما يسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان / ٢٠].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء / ٧٠].

هو سبحانه المعطي لكل نعمة لجميع خلقه في كل زمان ومكان: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ [النحل / ٥٣].

هو سبحانه المعطي لكل عطاء في العالم العلوي والعالم السفلي ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [٣٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [٣٣] ﴿وَأَتَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تحصوها إيات الإنسنن لظلوم كقار﴾ [إبراهيم / ٣٢-٣٤].

هو سبحانه المعطي وحده لا شريك له، هو الذي أعطاك الروح فحييت، وأعطاك

اللسان فتكلمت، وأعطاك العينين فأبصرت، وأعطاك الأذنين فسمعت، وأعطاك اليدين فأكلت بها وشربت، وأخذت بها وأعطيت، وأعطاك الرجلين فمشيت بهما إلى حوائجك، وأعطاك الذكاء فحفظت، وأعطاك العقل فعقلت: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل / ٧٨].

هو سبحانه المعطي الذي علمك فعلت، وعلمك البيان فبينت باللسان أو الكتابة أو الإشارة: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ١ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ٢ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ٣ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ ٤ ﴿[الرحمن / ١-٤].

هو سبحانه المعطي الذي ملأ الكون بنعمه من أجلك؛ لتؤمن به، وتجهه، وتحمده وتشكره، وتعبده؛ فاملاً لربك الكون بأنواع عبادته كما ملأه لك بأنواع نعمه: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان: ٢٠].

والله سبحانه هو المعطي على الحقيقة لكل الخليقة، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فكل نعمة منه وكل فضل منه: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمُ كُلَّ شَيْءٍ بَرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [آل عمران: ٧٣ - ٧٤].

هو سبحانه المعطي أمر الوجود لكل موجود، المعطي الرزق لكل مرزوق، المعطي الحياة لكل حي، المعطي العقل لكل عاقل، المعطي العلم لكل عالم، المعطي القوة لكل قوي، المعطي الرحمة لكل راحم، المعطي السمع لكل سامع، المعطي البصر لكل مبصر: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١].

وعطاؤه جل جلاله ليس له حدود ولا قيود، يعطي جميع مخلوقاته ولا تنقص خزائنه مثقال ذرة: ﴿إِنَّ هَذَا الرِّزْقُ مَالُهُ مِّن نَّفَادٍ﴾ [ص / ٥٤].

وقال ﷺ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦ ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ ٥٧ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ٥٨ ﴿[الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ

هَدَيْتَهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتَهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي  
 أُطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ.  
 يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تَخْطُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ،  
 يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا صَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.  
 يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَنْتَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ  
 مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ  
 كَانُوا عَلَى أَنْفَجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي  
 فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ  
 الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصَيْهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا  
 فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه المعطي الذي يعطي من يستحق العطاء، ويمنع من لا يستحق إلا المنع  
 ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ  
 بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣].

فسبحان المعطي الذي يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويبسط الرزق لمن يشاء،  
 ويقدره على من يشاء وهو الحكيم العليم في عطاءه ومنعه، فإذا أعطى ففضل وإصلاح  
 وإكرام، وإذا منع فحكمة وتربية وصلاح ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ  
 وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّدُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٦﴾﴾  
 [آل عمران/ ٢٦].

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٦﴾﴾  
 [العنكبوت/ ٦٢].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَالنَّاقِسِمْ، وَلَا  
 تَرَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ ظَاهِرِينَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٧٧).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣١١٦) واللفظ له، ومسلم برقم (١٠٣٧).

هو سبحانه المعطي الذي ما بالعباد من نعمة وعطية إلا منه: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَكَادُّوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٥] ﴿غافر / ٦٥﴾.

ومن هذه أسماؤه، وهذه صفاته، وهذه أفعاله، وهذا إكرامه، هو الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] ﴿الأنعام / ١٠٢﴾.

والله ﷻ هو المعطي العطاء المادي والروحي لكل خلقه، فمنهم من شكره، ومنهم من كفره: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِينَكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [٢] ﴿التغابن / ٢﴾.

هو سبحانه المعطي لخلقه العطاء المادي والروحي؛ فمنهم من شكره، ومنهم من كفره: ﴿الَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنُبِّسَ أَلْقَارُهَا﴾ [٢٩] ﴿إبراهيم: ٢٨-٢٩﴾.

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ يَجِدْ وَأَسْتَفْتَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٤-١٠].

ومن شكر الله على نعمه زاده من فضله، ومن كفر فلن يسلم من عقوبته: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٧] ﴿إبراهيم / ٧﴾.

هو سبحانه المعطي والمالك لكل شيء، الذي أعطى من شاء من عباده الأموال، وجعلهم مستخلفين فيه، وبحسب الإنفاق منه يكون الثواب أو العقاب عليه ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [٧] ﴿الحديد / ٧﴾.

وقال ﷻ: ﴿فَأَنْفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: ١٦-١٧].

واعلم رحمك الله أن المال لله في يدك، وأنت مستخلف في التصرف فيه في حياتك، حسب أمر من أعطاه لك، كما يمثل الخازن أمر صاحب المال إذا أمره بإعطاء من عينه من الناس: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد / ٧].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى» متفق عليه<sup>(١)</sup>.  
والصفة المشتقة من أسم الله المعطي هي صفة العطاء، وهي من صفات الله الفعلية التي  
آثارها ظاهرة في الكون، فإذا شاء الله أعطى، وإذا شاء منع، وهو الحكيم العليم إذا  
أعطى أو منع: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ  
وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].  
وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا  
لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ  
الْجَدُّ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

• واعلم زادك الله فقهاً وإيماناً وتقوى أن عطاء الله نوعان:

الأول: عطاء عام لجميع الخلائق في العالم العلوي والعالم السفلي؛ فهو سبحانه الذي  
أعطاهم نعمة الإيجاد، ونعمة الأقوات، ونعمة الحياة، ونعمة الهداية: ﴿ذَلِكُمْ  
اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢].

وقال ﷺ: ﴿وَأَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ  
الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وهذا العطاء العام يشمل جميع البشر: مؤمنهم وكافرهم، برهم وفاجرهم، بما وهبه  
الوهاب لهم من الأرزاق والنعم والخيرات التي بها صلاح أمرهم في دينهم  
ودنياهم: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل/ ٥٣].

فالعطاء كله من المعطي جل جلاله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ  
نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [١٨] وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٧٧) واللفظ له، ومسلم برقم (٩٢٣).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٩٢٧)، ومسلم برقم (٢٥٩٣) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٣٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٤٧٧).

سَعِيهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعِيَهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴿[الإسراء: ١٨ - ٢١].

الثاني: عطاء خاص وهو قسمان:

الأول: عطاء في الدنيا لأنبيائه، ورسله، وعباده المؤمنين به، وذلك من الرزق الحلال، والذرية الصالحة، وحصول البركات، وأعظم هذا العطاء عطية الإيوان، واليقين، والتقوى، والعلم، والهدى؛ فالله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيوان والدين إلا من يحب: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحجرات / ١٧].

وقال ﷺ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىءِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَاحَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف / ٩٦].

الثاني: عطاء في الآخرة، وهو ثمرة عطاء الإيوان والتقوى في الدنيا، والكل من فضل الله ﷻ، وذلك هو العطية الكبرى بدخول الجنات يوم القيامة ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حُدُودًا وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكُوعًا أَبْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَأَسَا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [النبا / ٣١-٣٧].

وأعظم العطاء في الجنات يوم القيامة هو رؤية المؤمنين ربهم في الجنة، والقرب منه، وسماع كلامه، وحلول رضوانه: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة / ٢٢-٢٣].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

وقال ﷺ: ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس / ٥٨].

وقال ﷺ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة / ٧٢].

وقال النبي ﷺ عن ربه تبارك وتعالى: «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا،

أَعْطَيْنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>. فسبحان ربنا العظيم، الغني الكريم، المعطي الذي أعطى كل مخلوق ما يناسبه، وجعله شاهدًا على وحدانيته، مسبحًا بحمده، شاهدًا على عظمته وجلاله، وأعطاه ما أظهر به كمال قدرته، وما يحقق به مصالحه، وما يؤدي به وظيفته في الصورة والشكل، والحجم والمقدار، والطبع واللون، سواء كان من عالم الجهاد، أو عالم النبات، أو عالم الحيوان، أو عالم الطير، أو عالم الإنس، أو عالم الجن، أو عالم الملائكة: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه/ ٥٠].

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ بِقَدَرٍ﴾ [٤٩] وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ [القمر/ ٤٩-٥٠]. هو سبحانه المعطي الذي يدر على عباده العطاء، ويوالي عليهم النعم، ويغمرهم بأنواع الإحسان والإكرام والعطاء في كل زمان ومكان؛ فأرض يمشون عليها، وزروع وأشجار يأكلون من حبوبها وثمارها، وحيوان وطيور يأكلون من لحومها، وأنعام يشربون من ألبانها، ويأكلون لحومها، ومياه وعيون وأنهار يشربون من مائها، وبحار يأكلون من لحومها ويمشون على ظهرها، وهواء يتنفسون منه، وشمس وقمر يهتدون بنورهما، وأموا، وأزواج وأولاد، وصحة في الأبدان، وأمن في الأوطان: ﴿إِن آتَىٰ اللَّهُ لُذُوفَ فَضْلِ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة/ ٢٤٣].

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾ [القمان: ٢٠]. هو سبحانه المعطي لكل نعمة لجميع خلقه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ [١٠] يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٨٣).

حِيلَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَى أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَزَا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ وَيَا تَجْمِمْ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ [النحل / ١٠ - ١٨].

فسبحان المعطي الذي أعطى لعباده كل نعمة: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٢٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَعَاتَنَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

هو سبحانه المعطي الذي يوالي نعمه على خلقه في كل زمان ومكان: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنَ وَبَيْنَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل / ٧٢].

ومن هذا كرمه، وهذا عطاؤه، وهذا إحسانه، هو الرب الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢ - ١٠٣].

هو سبحانه الكريم المعطي على مر الدهور والأزمان، وعندة خزائن كل شيء، يعطي المؤمن والكافر، والبر والفاجر، ومن يطيعه ومن يعصيه، ومن ينصر دينه، ومن يجارب دينه، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وهو الحكيم الخبير: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء: ٢٠ - ٢١].

هو سبحانه الرؤوف الرحيم المعطي الكريم، الذي لا تزال عطاياه وهباته على عباده متوالية، في عطاء دائم، وسخاء مستمر، في آناء الليل والنهار: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرًا وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].



فسبحان الله العظيم هل يخفى عطاؤه وإحسانه على أحد؟ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس / ٣١ - ٣٢].

هو المعطي الذي أعطى قوت الأحساب وأعطى قوت القلوب: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَأَيْتٍ يَبْتَغِي لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحديد / ٩].

واعلم فقهاك الله في دينه أن كل اسم من أسماء الله الحسنى لا يمكن إثباته لله، إلا عن طريق الوحي من القرآن الكريم، أو السنة النبوية الصحيحة.

• وكل اسم من أسماء الله الحسنى لا يتم الإيمان به على وجه الكمال إلا بثلاثة أمور:

الأول: إثبات الاسم علماً على الذات الإلهية؛ فالله علم على الذات الإلهية، والحي والقيوم، والرحمن والرحيم، والمعطي والكريم، وغيرها من الأسماء الحسنى كلها علم على الذات، فمن لم يشتهها علماً على الذات فهو ملحد في أسماء الله الحسنى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠].

الثاني: أن تثبت الصفة التي يتضمنها هذا الاسم؛ فالرحمن يدل على صفة الرحمة، والقوي يدل على صفة القوة، والمعطي يدل على صفة العطاء، ومن لم يثبت ذلك فهو ملحد في أسماء الله وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠].

الثالث: إثبات مقتضى الاسم وحكمه؛ فالرحمن يدل على الذات اسماً، ويدل على إثبات صفة الرحمة صفةً لله، وإثبات مقتضى الرحمة وهو أن الله يرحم من يشاء: ﴿وَالْمُؤْمِنَاتُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وكذا اسم الله المعطي الذي ثبت في السنة يتضمن إثبات المعطي اسماً لله ﷻ، وإثبات

العطاء صفةً له، وإثبات مقتضى صفة العطاء، وهي أن الله يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع؛ وهكذا في بقية أسماء الله الحسنى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

فمن لم يثبت هذه الأمور الثلاثة لأسماء الله الحسنى فهو ملحد في أسماء الله وصفاته ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف / ١٨٠].

واعلم رحمك الله أن أحق ما قال العبد: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلءُ السَّمَاوَاتِ، وَمِلءُ الْأَرْضِ، وَمِلءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلُ الشَّاءِ وَالْمَجْدِ، لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فسبحان المعطي الذي ابتلى ليعافي، وقبض ليبسط، ومنع ليعطي وأذل ليعز: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [١٠٢] لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٠٣] [الأنعام / ١٠٢-١٠٣].

واعلم رحمك الله أن المعطي لكل خير من علم، أوفقه، أو مال، أو سلطان، هو الله وحده لا شريك له، أعطاك ما أعطاك وابتلاك به؛ لينظر أتؤمن به أم تكفر به، وهل تشكر نعمته على هذا العطاء، وتعطي مما أعطاك الله: ﴿إِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَايَاتُهُ مِنَ الْكُتُبِ مَا أَنْ مَفَاتِحَهُ لِنَسُوا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [٧٦] وَأَبْتِغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِكْ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [٧٧] [القصص / ٧٦-٧٧].

فماذا قال قارون؟ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [٧٨] [القصص / ٧٨].

فماذا فعل الله به؟ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لِيَلْبِتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [٧٩] وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٧١).

خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ [القصص / ٧٦-٨١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّخُّ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص / ٤].

فماذا فعل الله بفرعون وجنوده؟ ﴿فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦].

وقال ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة / ٢٥٨].

فسبحان من إذا أعطى أغنى في الدنيا والآخرة: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾﴾ [الضحى / ٦-٨].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفِرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرِ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر / ١-٣].

• هو سبحانه المعطي الحق الذي أعطى رسوله محمداً ﷺ أنواعاً كثيرة من العطاءات:

أعطاه النبوة والرسالة.. وأعطاه الرحمة وأحسن الأخلاق.. وأعطاه الحكمة، وحسن البيان.. وأعطاه الصبر والحلم.. وأعطاه العزة والنصر.. وأعطاه القوة والثبات.. وأعطاه حسن الدعوة والتعليم، وقوة المجاهدة.. وأعطاه الفصاحة والبيان.. وأعطاه

التمكين في الأرض، وغير ذلك من العطاءات الكثيرة التي أعطهاها الله لنبيه ﷺ في الدنيا.

جعل له ربه خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسالته عامة للثقلين، أرسله الله رحمةً للعالمين، وأسري به إلى بيت المقدس، وعُرج به إلى السماء، وناداه الله بوصف النبوة والرسالة وأعطى جوامع الكلم: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

وقد خصه الله دون الأنبياء بخمس.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: ﴿أُعْطِيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي

أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

• وما خصه الله به دون أمته:

الوصول في الصيام.. والزواج بلا مهر.. ونكاح أكثر من أربع نساء.. ولا تنكح أزواجه من بعده أبداً.. وعدم أكل الصدقة.. وأنه لا يورث.

وأنه ﷺ يسمع ما لا يسمع الناس.. ويرى ما لا يرون، كما رأى جبريل ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) [التوبة/ ١٢٨].

• أما في الآخرة فأعطى الله رسوله محمداً ﷺ أعظم العطاءات، وأرفع الدرجات:

فأعطاه نهر الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر/ ١].  
وأعطاه المقام المحمود: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء/ ٧٩].

فسبحان من أعطى رسوله ﷺ هذه العطاءات العظيمة: ﴿وَالصَّحْحَىٰ﴾ (١) ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ (٣) ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ (٤) ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ (٥) [الضحى/ ١-٥].

فسبحان المعطي الكريم الذي أعطى رسوله ﷺ هذه العطاءات العظيمة، وجعله صفوة ذرية آدم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ وَعِيسَىٰ ابْنَةَ مَرْيَمَ وَأَلَّاهُ مِمَّنَّاصْطَفَىٰ﴾ (٣٣) ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣٤) [آل عمران/ ٣٣-٣٤].

فهو ﷺ صفوة الخلق كلهم نسباً، وخلقاً وأدباً، وعلماً وعملاً، ورحمة وإحساناً: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (١١٣) [النساء/ ١١٣].

وقال ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) [القلم/ ٤].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٥) واللفظ له، ومسلم برقم (٥٢١).

مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَأَصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» أخرجہ مسلم<sup>(١)</sup>. فسبحان المعطي الذي أعطى رسوله ﷺ صفوة آدم، وشجاعة نوح، وحلم إبراهيم، وأدب إسماعيل، وصبر أيوب، ويقين شعيب، وقوة موسى، وشفقة هارون، وزهد عيسى ﷺ، وملك داود، وفهم سليمان، وحكمة لقمان، وعلم الخضر: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَفَرَضَ﴾ [الضحى / ٥].

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر / ١].

فسبحان المعطي العظيم الذي أعطى رسوله ﷺ هذا العطاءات العظيمة.

زكى الله عقله، ولسانه، وكتابه، وشرعه، وجليسه، وزكى بصره وفؤاده، فقال ﷺ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ١ ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ ٢ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ٣ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ٤ ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ٥ [النجم / ١-٥].

فصلوات الله وسلامه عليك يا رسول الله، لقد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده حتى أتاك اليقين.

أعطاك ربك فزكى صدرك فقال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ١ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ ٢ ﴿الَّذِي أَنْفَضَ ظَهْرَكَ﴾ ٣ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٤ [الشرح / ١-٤].

وأعطاك فزكى خلقك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم / ٤].

وأعطاك فزكى علمك فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمْنَاكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء / ١١٣].

وأعطاك فزكى الكتاب الذي أنزله عليك فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل / ٨٩].

هو سبحانه المعطي: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ ٢ ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ٣ ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ﴾ ٤ ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى / ٢-٥].

هو المعطي الذي لا نهاية لعطائه في الدنيا والآخرة: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩].

(١) أخرجہ مسلم برقم (٢٢٧٦).

ولكل مؤمن بقدر إيمانه واستقامته نصيب من قوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر / ١].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى / ٥].

هو المعطي الذي أعطى خلقه كل شيء، فكل ما نراه في هذا الكون من عطائه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

فهذا في الدنيا، وأما عطاؤه في الآخرة فعطاء دائم كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُوزٍ﴾ [هود / ١٠٨].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص / ٥٤].

هو سبحانه المعطي لذي علم الإنسان ما لم يعلم: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ [العلق / ١-٥].

وقال ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن / ١-٤].

واعلم أن كرامة العلم أعظم كرامة، وقد أودع الله في كل إنسان قوة إدراكية، وما لم يطلب العلم، ولم يبحث عن الحقيقة، فقد هبط من إنسانيته إلى مستوى لا يليق به: ﴿أَمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُ أُولَئِ الَّذِينَ لَا يَلْقَوْنَ فِيهَا كُرْسِيًّا فَاذْكُرُوا الْأَلْبَابَ﴾ [الرعد / ١٩].

فالعلم الإلهي مفتاح كل خير، ونور كل عمل، وزاد كل تقوى، فمن أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بالعلم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيتٌ ءَأَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِ الَّذِينَ لَا يَلْقَوْنَ فِيهَا كُرْسِيًّا﴾ [الزمر / ٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

والله سبحانه بين في القرآن الكريم أن العلم والعمل الصالح قيمتين مرجحتين بين الخلق، فالناس في الدنيا يعظمون الأغنياء والأقوياء، لكن القرآن الكريم يبين لنا أن رتبة العلم والإيمان والتقوى أعلى الرتب كما قال سبحانه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة / ١١].

وقال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْتَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات / ١٣].

• والعلم الإلهي الذي يثمر خشية الله وتقواه ثلاثة أنواع:

علم بالله.. وعلم بخلق الله.. وعلم بأوامر الله.

فالعلم بالله، والعلم بخلق الله، وهي آياته الكونية، كل ذلك يثمر معرفة الله، وهما يحتاجان إلى مجاهدة ونظر وتدبر في الآيات الكونية، والآيات الشرعية. فجاهد تشاهد ربك الحكيم العليم، الرحمن الرحيم، القريب المجيب.

وتدبر في الآيات الكونية والشرعية ترى الملك جل جلاله يدبر، والخالق يخلق، والمصور يصور، والرزاق يرزق، والمعطي يعطي: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت / ٦٩].

﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس / ١٠١].

واعلم أن العلم أعظم كرامة أكرم الله بها الإنسان: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء / ١١٣]. وأمر الله نبيه ﷺ أن يستزيد من هذا العلم الإلهي فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه / ١١٤].

أما العلم بأوامر الله فيحتاج إلى مدارس، إلى كتاب، إلى معلم: ﴿كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران / ٧٩].

﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لَيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لَيَنْفَقَهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة / ١٢٢].

فالمؤمن يتعبد لله بطلب العلم، والعمل به، ونشره، وطلب العلم جزء أساسي من حياة المؤمن لا يعلو عليه شيء: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمُنَوِّكَكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

أما من طلب العلم حسب فراغه، أو في أوقاته الهامشية؛ لأن عنده أموراً أساسية لا يعلو عليها شيء، فلن يحصل من العلم إلا صورته وشهادته: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا

مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَإِذَا نَادَى لَيْسَمِعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴿الأعراف: ١٧٩﴾.

فسبحان من أظهر أسماءه وصفاته في آياته ومخلوقاته: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِنَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿١٢﴾ ﴿الطلاق/ ١٢﴾.

واعلم أن الماء نعمة وعطاء من الله يوصله إلينا غيثاً من السماء، أو يخرج من عيون الأرض: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿الشورى/ ٢٨﴾.

ودور الإنسان أن يضعه في خزانات، أو يسوقه إلى البيوت بالأنابيب، أو يوزعه في قوارير: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿التَّحِيَّ بِهٖ بَلَدَهُ مَبْنًى وَنُشِقِيهِ، مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسًا كَثِيرًا﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿لَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿الفرقان: ٤٨ - ٥٠﴾.

هو سبحانه المعطي الذي بيده العطاء والمنع، يعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، وهو الحكيم العليم؛ ابتلى ليعافي، وأخذ ليعطي، وخفض ليرفع، وأذل ليعز، ومنع ليعطي؛ لأن الإنسان تحمل الأمانة، لكنه قصر في حملها، فلا بد له من الابتلاء والمعالجة: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿لُعِدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿الأحزاب/ ٧٣﴾.

وقال ﷺ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُمْ بِالْبَشْرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿الأنبياء/ ٣٥﴾.

واعلم أن الله يربي عباده بالعطاء والمنع، كلما انحرفوا أو قصروا، وصاحب المؤسسة إذا أراد أن يعين موظفًا لديه أعطاه مهلة كثلاثة أشهر ليمتحنه، فإذا لم ينجح ألغى عقده؛ لأنه لا يحقق له مصالحه، لكن لو كان هذا الموظف ابنه، فإنه سوف يتابعه ويوجهه ويربيه إذا أخطأ؛ لأن رحمة الأب تقتضي المتابعة والتوجيه والتربية والرحمة: ﴿وَنَبَلُوكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبَلُوكُمْ أَخْبَارَكُمْ﴾ ﴿٣١﴾ ﴿محمد: ٣١﴾.



والله سبحانه أرحم بعباده من أنفسهم، فإذا أخطأ أو قصر العبد تابعه ربه بالعطاء والمنع والتوجيه، ليعود إلى ربه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحج / ٦٥].

فسبحان من يربي عباده بالعطاء والمنع، والبسط والقبض، ويسوقهم إلى ما يحبه ويرضاه بأنواع النعم والمصائب، هذا بعطاء، وهذا بمرض، وهذا بقلق، وهذا بضيق، وهذا بمصيبة، وهذا بمحسوب، وهذا بمكروه: ﴿وَلَنْبَلُوتَكُمْ شَيْءٌ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّادِرِينَ﴾ [١٥٥] الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [١٥٦] أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ [١٥٧] [البقرة / ١٥٥-١٥٧].

وقال ﷺ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة / ٢١٦].  
واعلم رحمك الله أن هذه الدنيا دار الإيمان والعمل، وهي دار التواء وتقلب، لا دار استواء واستقرار، فلا تستقيم الدنيا لأحد، فيها أحزان وآلام، فيها فراق الأحبة، فيها أمراض تصيب الإنسان وأهله، فيها مصائب تعض الإنسان، فيها خوف وقلق، وجوع وألم، وذلك كله لحكمة بالغة أرادها الله، ليربي عباده بها.

والمصائب والمكارة عطاء من المعطي تجر الأشرار إلى أعمال الأبرار، وتجذب النفوس إلى الملك القدوس، وتجرب الناس من دار الغرور إلى دار السرور: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

والموت آية من آيات الله كالحياة، الموت ينهي كل شيء، ينهي كل شدة، ينهي قوة القوي، وينهي غنى الغني، وينهي ذكاء الذكي، وينهي سلطان السلطان، ومن عرف ذلك لم يفرح لرخاء، ولم يجزن لشدة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلُ أَنْ نَبْرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [٢٢] تَأْسُؤًا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [٢٣] [الحديد / ٢٢-٢٣].

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى

الدنيا سبباً لعظيم أجر الآخرة، وجعل ثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ المعطي ويبتلي، ليجزي ويعطي: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة / ٥١].

وقال ﷺ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ [التغابن: ١١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ.

يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أُطْعِمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي.

يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي»  
أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

هو سبحانه المعطي الذي نعمه علينا لا تعد ولا تحصى، ولا يحيط أحد بجملتها ولا تفاصيلها.

وأعظم نعم الله على البشر ثلاث:

الأولى: نعمة الخلق والإيجاد.

الثانية: نعمة القوت والإمداد.

الثالثة: نعمة الهدى والرشاد.

فالنعمة الأولى: نعمة الخلق والإيجاد: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام / ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٩).

تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

والنعمة الثانية: نعمة القوت والإمداد: فبعد الإيجاد أعطاك المعطي هواءً وجهازًا لتنفس به، وأعطاك جهاز هضم، وأعطاك أنواع الطعام والشراب من الحبوب والفواكه واللحوم والمياه والألبان، وأعطاك الزوجة والولد: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم / ٣٤].

والنعمة الثالثة: نعمة الهدى والرشاد: وهذه أعظم النعم، فبعد أن منحك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، منحك المعطي نعمة الهدى والرشاد: ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات / ١٧].

وقال ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران / ١٦٤].

هو سبحانه المعطي الذي سخر جميع ما في هذا الكون للإنسان تسخير تعريف، وتسخير تكريم، كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان / ٢٠].

فموجب تسخير التعريف أن تؤمن بالله، وموجب تسخير التكريم أن تشكر الله: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَائِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

واعلم رحمك الله أن الإنسان هو المخلوق المكرم المكلف، والمسخر له وهو الإنسان أكرم على الله من المسخر: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء / ٧٠].

فمن سما بتوحيده وإيانه على شهواته، أصبح بإيانه وتوحيده فوق الملائكة، وإن غلبت شهواته على إيانه وتقواه أصبح دون الحيوان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ] ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ

وَرَزَقُ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ [الأنفال / ٢-٤].

فهذا الذي ارتقى بإيمانه، أما الكافر الذي غلبت شهواته على إيمانه فهو دون الحيوان: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْإِنسِ وَأَلْبَسْنَا لَهُمْ قُلُوبًا لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَأَلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَقِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف / ١٧٩].

واعلم أن الله خلق الملائكة عقولاً بلا شهوات، وخلق الحيوانات شهوات بلا عقول، وخلق الإنسان مركباً منهما: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ [البينة: ٦-٨].

فسبحان ربنا العظيم الذي سخر لنا هذا الكون تسخير تعريف، وتسخير تكريم، فله الحمد والشكر على هذا التسخير العظيم لما في الكون للإنسان: ﴿وَسَخَّرْنَاكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴿١٣﴾ [الجاثية / ١٣].

ومقتضى تسخير التعريف أن تؤمن بمن سخره لك، ومقتضى تسخير التكريم أن تشكر من سخره لك، وإذا آمنت بربك، وشكرت ربك، فقد حققت الهدف من وجودك، فأبشر بما يسعدك في الدنيا والآخرة ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ [النساء / ١٤٧].

وقال ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رُّزِقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأَتُوا بِهِءُ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ [البقرة / ٢٥].

إنه يجب علينا أن نقرأ آيات الله في الكون قراءة إيمانية تثمر تعظيم الله ومحبته وحمده وشكره، وحسن عبادته: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١١١﴾ [آل عمران / ١٩٠-١٩١].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ سَمَاءٍ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وقال ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [٦] ﴿وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ نَبَاتٍ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [١] ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾ [١٠] ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [١١]. [ق/ ٦-١١].

هو سبحانه المعطي وحده لا شريك له، يعطينا في الدنيا نعمًا لا تعد ولا تحصى.

يعطينا نعمًا خاصة من الصحة والعافية، والعقل والذكاء، والسمع والبصر، والحسن والجمال، ويعطينا نعمًا عامة من الأموال والأولاد، والزوجات، والماء والهواء، والطعام والشراب، والمسكن، والمراكب، والملابس: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٧٨]. [النحل: ٧٨].

وقال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ الْأَشْجُورُ﴾ [١٥]. [الملك/ ١٥].

هو سبحانه المعطي الذي يعطينا نعمًا دنيوية من الصحة والمال والأولاد وغيرها، ويعطينا نعمًا إيمانية من الإيمان والسكينة والطمأنينة، والأمن والرضا والهداية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [٨٢]. [الأنعام/ ٨٢].

وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَجْرُهُمْ﴾ [٢٩]. [الرعد: ٢٨-٢٩]. ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [٤]. [الفتح/ ٤].

فالنعم المادية تنقضي بانقضاء الدنيا، وهي تُعطى للكثيرين من الناس، أما النعم والكرامات الإيمانية فيعطئها المعطي لأصفيائه من خلقه الذين يعلم أنهم يشكرون هذه

النعم: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران / ٧٣-٧٤].

واعلم أن من عطاء الله لك أنه يذكرك ولا ينسأك، ويسوق لك رزقك في عقر دارك، فإن شكرته زادك، وإن كفرت بذلك ابتلاك، ليردك إليه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم / ٧].

ومن ذكر الله ذكره، وذكرك الله أكبر من كل شيء، لكن ذكر الله لك أكبر من ذكرك له: ﴿أَنْتَ لِمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت / ٤٥].

فإذا ذكرت ربك وشكرته فقد أديت واجب العبودية المثمرة لكرم الألوهية: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة / ١٥٢].

لكن ربك إذا ذكرك هداك، وأعطاك الأمن، وأعطاك السعادة في الدنيا والآخرة: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام / ٨٢].

هو المعطي الذي إذا ذكرك آتاك الحكمة: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِ ﴿٧٣﴾ يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣-٧٤].

فالنعم المادية والدينية تنقضي بانقضاء الدنيا، أما النعم الإيمانية فتسعد بها في الدنيا وفي الآخرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلًا مِّنْ عَفْوِرٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت / ٣٠-٣٢].

واعلم أن ربك سبحانه هو المعطي، الذي عطاؤه ابتلاء، ومنعه دواء، فليس عطاؤه إكرامًا، ولا منعه حرمانًا: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْتَضِنُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٥-٢٠].

فالله عز وجل هو المعطي الذي يعطي بالحكمة والرحمة، وقد خلق الله الإنسان مختارًا قد يختار

الطاعة أو الفجور، قد يختار الغناء ثم يموت وتبقى أغانيه المفسدة للخلق في الإذاعات والقنوات إلى يوم القيامة، وقد يختار تلاوة القرآن مثلاً ثم يموت، وتبقى تلاوته تزداد إلى يوم القيامة تجري له بالحسنات، وقد بيني الإنسان مسجداً وقد بيني خمارةً أو ملهى؛ فالإنسان مخير، فاختر ما شئت فإنك محاسب عليه: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَن أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٢٩ - ٣٠].

فمن أثر دنياه على آخرته خسرهما معاً، ومن أثر آخرته على دنياه ربحتها معاً: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِن عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء: ١٨ - ٢٠].

فسبحان المعطي الحكيم الرحيم، لا مانع لما أعطى، لا معطي لما منع، وربما أعطاك فممنعك، وربما ممنعك فأعطاك: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُم نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان / ٢٠].

فأنواع الأرزاق المادية نعم ظاهرة، والمصائب والمكروهات نعم باطنة، والله المعطي هذا وهذا.

هو سبحانه المعطي وحده لا شريك له، إذا أعطاك من يمنعه؟ وإذا ممنعك من يعطيك سواه؟ ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٠﴾﴾ [فاطر / ٢٠].

ومن فقهه الله في الدين آمن إيماناً قطعياً أن المصائب نعم باطنة كالنعم الظاهرة.

وكلها يذكر العبد بربه، ليكثر من ذكره وشكره، ويتوب إليه، فكم من مصيبة كانت سبباً للهداية والاستقامة؟!!

وكم من نعمة كانت سبباً للتوبة والرجوع إلى الله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴿التغابن: ١١﴾.

وكذا يجب أن يؤمن المؤمن إيماناً قطعياً بأن الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى، والأفعال الحميدة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ﴿٨﴾ ﴿طه/ ٨﴾.

والرضا بمكروه القضاء أرفع درجات الإيثار واليقين، وإذا حلت بك المصائب فاعلم أنك ضمن عناية الله، وضمن رحمة الله: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿التوبة/ ٥١﴾.

وقال ﷻ: ﴿وَلَنْبَلُوكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ ﴿١٥٧﴾ ﴿البقرة: ١٥٥ - ١٥٧﴾.

وقال ﷻ: ﴿قُلْ يَعْجَبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُوا رَبِّكُمْ لَلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿الزمر: ١٠﴾.

والصبر إنما يكون على الابتلاء بمر القضاء.

واعلم أن الإنسان خلق شحيحاً حريصاً على ما في يده، فإذا آمن بالله أصبح كريماً سخياً بما في يده: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿المعارج: ١٩ - ٢٥﴾.

والمؤمن كما أنه يتلقى العطاء من المعطي في كل وقت، فكذلك هو عبد يتقرب إلى الله فيعطى مما أعطاه الله كل وقت: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾ ﴿البقرة/ ٢٧٤﴾.

وقال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ ﴿آل عمران/ ١٣٣ - ١٣٤﴾.

واعلم رحمك الله أن الأنبياء أعطوا للناس، وعلموهم التوحيد والإيمان، ورغبوهم في طاعة الله، ليسعدوا في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا



اللَّهُ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في  
الأرض فانظروا كيف كان عقبة المكذِبين ﴿٣٦﴾ [النحل: ٣٦].

فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أعطوا للناس ولم يأخذوا؛ لأن أجرهم على الله.  
أما الكفار والأقوياء فقد أخذوا ولم يُعطوا؛ لأنهم لم يعرفوا من أعطاهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا  
يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ﴿٢٧﴾ وكذبوا بآيَاتِنَا كَذَابًا ﴿٢٨﴾ وكلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فذوقوا فلن  
نزيديكم إلا عذابًا ﴿٣٠﴾ [النبا/ ٢٧-٣٠].

فالمؤمن يبني حياته كلها على العطاء والإكرام، يعطي من نفسه، ويعطي من ماله،  
ويعطي من علمه، ويعطي من وقته، ويعطي من خبرته، ويعطي من قوته، ويعطي من  
أخلاقه؛ وذلك ابتغاء مرضاة الله: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ  
أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا  
عَظِيمًا﴾ ﴿١١٤﴾ [النساء/ ١١٤].

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ  
﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ  
يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ  
﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل/ ٤-١٠].  
وقال ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

## التعبد لله ﷻ باسمه المعطي

اعلم رحمك الله أن العبد إذا عرف أن ربه الغني الذي لا تنقص خزائنه أبداً، الكريم المعطي الذي كل ما في الكون من عطائه وإحسانه، وأنه واسع العطاء، كثير المواهب، بيده الخلق والأمر، وبيده البسط والقبض، وبيده العطاء والمنع، إذا عرف ذلك آمن بربه وعبده، وكبره، وعظمه، وأحبه، وتعلق به، وحمده وشكره، لما عرفه من عظيم أسماؤه وصفاته، وعظيم عطاياه ونعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

وقال ﷻ: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف / ٥٤].

واعلم أن شكر الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وعلى عطاياه التي لا تنقطع أبداً يستلزم العمل بشرعه، بامثال أوامره، واجتناب نواهيه، والبعد عن محارمه، وتعظيم شرعه؛ فكل نعمة منه، فهو المعطي أولاً وآخرًا، فله الحمد والشكر على عظيم عطائه وإحسانه: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٣٦] ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧].

وقال ﷻ: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبا / ١٣].  
وقال ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [١١] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة / ٢١-٢٢].

ومن عرف الله باسمه المعطي سألَهُ وحده جميع حوائجه، وتعلق به وحده في جلب المنافع، ودفع المضار: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].  
وقال ﷻ: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٥٠] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [٥١].

وقال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنِ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ

اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» أخرجه الترمذي (١).

ومن عرف ربه باسمه المعطي طمع في ثوابه، وخاف من عقابه، وتصاغر لكبريائه، لما يراه من عظيم أسمائه وصفاته، وعظيم كرمه وإحسانه وعطائه، وذلك يُثمر الاعتراف من العبد بالنقص والضعف والتقصير في حق الله ﷻ، وأن الإنسان الضعيف لو وكل إلى نفسه طرفة عين لهلك وخسر، ولكن فضل الله عليه الذي غمره بإحسانه، ويسر له أموره، وأعطاه سؤله: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١٧) [الحجرات / ١٧].

﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ﴾ (٥٣) [النحل / ٥٣].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يعطي للخلق مما أعطاه المعطي جل جلاله. فإن أعطاه الله مالا أنفق منه في وجوه البر والإحسان، وأنفق على الفقراء والمحتاجين، فمن شكر الله على نعمة المال الجود به، وإعطاؤه لمستحقه: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧) [الحديد: ٧].

وقال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

وقال ﷻ: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْيَالِ وَالتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٤) [البقرة / ٢٧٤].

ومن أعطاه الله علما فعليه العمل بموجبه، وبذله ونشره وتعليمه للناس: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُ عَائِذِ النَّاسِ بِاللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٩) [الزمر / ٩].

وقال ﷻ: ﴿كُونُوا رَبَّيُنَّ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتَّابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧١) [آل عمران / ٧٩].

(١) صحيح / أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٦).

ومن أعطاه الله خلقًا حسنًا فعليه أن يشكر ربه على هذا العطاء، وأن يخالق الناس بخلق حسن، فيصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، ابتغاء وجه الله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۝٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝٦٤﴾ [الفرقان / ٦٣-٦٤].

ومن أعطاه الله جاهًا ومنصبًا فعليه أن ينفع الناس، خاصة الفقراء والمحتاجين، ويتعبد لله بقضاء حوائجهم، وتسهيل أمورهم: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝٢٦﴾ [ص / ٢٦].

وقال ﷺ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

وعلى من وهبه الله مالًا أو علمًا أو جاهًا أو أي نعمة أن ينفع الناس بذلك، ويشكر نعمة الله عليه، ولا يمن على الخلق؛ لأنه يعطيهم مما أعطاه الله والله هو المان الحقيقي بكل نعمة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝٢٦٤﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ: الْمَنَانُ الَّذِي لَا يُعْطَىٰ شَيْئًا إِلَّا مِنْهُ، وَالْمُنْفِقُ سَلْعَتَهُ بِالْحَلْفِ الْفَاجِرِ، وَالْمُسْبِلُ إِزَارَهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن عرف الله باسمه المعطي سأله ودعاه وحده لا شريك له، كما قال زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝٣٨ فَادَّهَىٰ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ۝٣٩﴾ [آل عمران / ٣٨-٣٩].

وقال سبحانه عن دعاء سليمان: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٦).

﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَحَرْنَا لَهُ الرِّيحَ  
تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ  
﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَازْفَاقًا وَحَسَنَ مَّكَابٍ ﴿٤٠﴾

[ص / ٣٤-٤٠].

وقال سبحانه عن دعاء الراسخين في العلم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ  
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران / ٨].

ولما من الله على خليله إبراهيم بالولد والذرية الصالحة حمد الله على هذه النعمة العظيمة  
كما قال سبحانه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ  
الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾﴾

[إبراهيم / ٣٩-٤٠].

وإذا علم العبد أن ربه هو الكريم المعطي، وعرف سعة عطاء الله خلقه فعليه أن يتعبد  
لربه بما يقدر عليه من العطاء بقوله وفعله، وقلبه ولسانه وجوارحه: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى  
مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي  
السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أُرْكُوعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ  
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وقال ﷺ: «(الأيدي ثلاثة، يد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى؛ أعط  
الفضل، ولا تعجز عن نفسك» أخرجه أبو داود<sup>(١)</sup>.

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن توحيد الله باسمه المعطي يقتضي تعلق القلب  
بالموحد بالعطاء، والتعفف عن سؤال غيره أو دعائه: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ  
﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره خير له

(١) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٦٤٩).

مَنْ أَنْ يَأْتِي رَجُلًا فَيَسْأَلُهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ» أخرجه البخاري (١).

وحظ العبد من هذا الاسم العظيم أن يكون كريماً معطاءً لا يخشى الفقر ولا الفاقة.  
عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَلْقَاهُ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ، يَعْرُضُ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» أخرجه البخاري (٢).

وجاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم أسلموا، فإنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً لَا يَخْشَى الْفَاقَةَ» أخرجه مسلم (٣).

وإن كان الرجل ليحجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يمسي حتى يكون الله أحب إليه أو أعز إليه من الدنيا بما فيها.

وكان صلى الله عليه وسلم: «إِذَا قُرِبَ إِلَيْهِ طَعَامُهُ يَقُولُ: «بِسْمِ اللَّهِ»، وَإِذَا فَرَّغَ مِنْ طَعَامِهِ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَطْعَمْتَ وَأَسْقَيْتَ، وَأَغْنَيْتَ وَأَقْنَيْتَ، وَهَدَيْتَ وَأَحْيَيْتَ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَعْطَيْتَ» أخرجه أحمد (٤).

ومن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»  
أخرجه أبو داود والترمذي (٥).

وإذا علم العبد أن عطاء الله لخلقه يشمل البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ساق إليهم أرزاقهم جميعاً، ودعاهم إلى الإيثار به جميعاً.

إذا عرف ذلك العبد فالواجب عليه أن يعطي مما أعطاه الله، فيعطي كما أعطاه ربه، ويحسن كما أحسن إليه ربه، فيدعو للناس بالهداية، ويعطيهم مما أعطاه الله، ويدعوهم إلى

(١) أخرجه البخاري برقم (١٤٧٠).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٩٠٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٣١٢).

(٤) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٨٩٩١).

(٥) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

الله، ويعلمهم شرع الله، ويحسن إلى محتاجهم ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ [القصص/ ٧٧].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت/ ٣٣].

فحاسب نفسك يا عبد المعطي، واعلم أنك خلقت للأبد، فإذا بعثك الله بعد الموت؛ فما أن تصير إلى الجنة في عطاء غير مجدود إن كنت مؤمناً، وإما أن تصير إلى النار إن كنت غير ذلك في شقاء دائم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم/ ١٤-١٦].

وأسعد الناس من خلقه الله للأبد والنعيم، ففاز بالأبد والنعيم، وأخسر الناس من خلقه الله للأبد، ثم خسر الأبد في شقاء من أجل سنوات معدودة قضاهها الإنسان في المعاصي والشهوات والآثام: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُولًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

واعلم يا عبد المعطي أن الله يحمي صفيه من الدنيا كما يحمي الإنسان مريضه من الطعام؛ فتيقن أن ما أصابك من الله عين الحكمة والرحمة؛ فأنت بعين الله ورعايته، وعنايته وحمايته، وما ساقه إليك من النعم والمصائب هو محض محبته لك، وعنايته بك، فاحمد الله على ما أصابك: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة/ ٥١].

وحظ العبد من هذا الاسم الكريم أن يرضى بما قسم الله له من العطاء، وعلامة ذلك أن يكون سروره بالمصائب كسروره بالنعيم: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا

فَاتَّكُمُ وَلَا تَقْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ

مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾

[الحديد: ٢٢ - ٢٣].

فالنعمة والمصائب كلها خير من الرحمن الرحيم: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١﴾ [التغابن: ١١].

فالمؤمن حقاً من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، يرضى بالله رباً وإلهاً، يرضى بقضائه وقدره، يرضى بدينه وشرعه، وكتابه ورسوله، يرضى بحكمه وأمره،

ووعده ووعدته: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٦﴾ [التوبة: ٦٢].

يا عبد المعطي إن كنت غنياً فاشكر ربك، وانفق في وجوه البر مما أعطاك الله؛ فهذه عبوديتك الخاصة: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْمَانِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وإن كنت فقيراً فاصبر، فهذه عبوديتك الخاصة، واشكر الله أن منع عنك ما يشغلك عنه: ﴿قُلْ يَعْبادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ﴿١٠﴾ [الزمر: ١٠].

وإن كنت صحيحاً فاحمد الله أن أعطاك العافية تتعبد بها وتركع وتسجد لربك: ﴿أَمَنْ هُوَ قَنِيئٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ﴿٩﴾ [الزمر: ٩].

وإن كنت مريضاً فاصبر على البلاء، واحمد الله أن قيدك عن معاصيه، وذكرك بنعمه، لتتوب إليه، فالمؤمن أمره كله خير: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة: ٥١].

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

واعلم أن المعطي سبحانه كريم فأعط مما أعطاك الله، يعطك الله خيراً منه: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٩٩).



يُقْرِضُ اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ [البقرة / ٢٤٥].

وقال ﷺ: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ﴿١٧﴾ [التغابن / ١٧].

وكلما أعطيت أعطاك الله أكثر حتى ترضى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ﴿٥﴾ [الضحى / ٥].

فتعبد للمعطي جل جلاله بحسن العطاء في أقوالك، وأفعالك، وأخلاقك.

تعبد لله ﷻ بالدعوة إلى دينه، وعلم شرعه، وأحسن إلى خلقه؛ تعبد لله ﷻ بالعطاء في كل حين: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وإذا أردت أن تعطي فوازن بين الأمور، فأنت تأخذ العطاء من المعطي سبحانه، فتعبد لله به فالله محسن يجب الإحسان والمحسنين: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

• واعلم أن الدين ركنان:

الأول: عبادة الحق.

الثاني: الإحسان إلى الخلق.

فأعط كل ذي حق حقه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ ﴿٣٦﴾ [النساء: ٣٦].

وقال سلمان ﷺ لأبي الدرداء: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا؛ فأعط كل ذي حق حقه؛ فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ:

«صدق سلمان» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وكان ﷺ يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، والمؤمن كريم، والكرم من أعظم صفات إيمانه؛ لأنه يعلم أن الدنيا دار التزود للآخرة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿٧٧﴾ [القصص: ٧٧].

واعلم أن العطاء من أعظم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، وثواب العطاء من أعظم الثواب، فأعط الله من وقتك، من مالك، من علمك، من فكرك، من قوتك، من جاهك، وتعبد لله بإعطاء حق ربك، وحق نفسك، وحق أهلك، وحق ضيفك، وحق إخوانك؛ فأعط كل ذي حق حقه، وأبشر بالعطاء الكبير من ربك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ ﴿٣﴾ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

فإن كنت حاكماً فأد حق الرعية عليك من إقامة شرع الله فيهم، والحكم بينهم بالعدل والحق: ﴿يٰۤاُدُوۤدُ اِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِى الْاَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوٰى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ اِنَّ الَّذِيْنَ يَضِلُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيۡدٌۢ بِمَا نَسُوۤا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٢٦﴾ [ص / ٢٦].  
وإن كنت مسؤولاً فأد حق من تحت يدك بالنصح له، والأخذ بيده، وأن تحب لأخيك ما تحب لنفسك.

قال النبي ﷺ: «أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُوْلٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

واعلم أنك إن كنت معلماً فللطلاب حق عندك، وإن كنت غنياً فللفقراء والمساكين والمحتاجين حق عندك، وإن كنت طبيباً فللمرضى حق عندك؛ وهكذا، فأعط كل ذي حق حقه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوٰى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْاِثْمِ وَالْعُدُوۡنِ ۗ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ شَدِيۡدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢﴾ [المائدة / ٢].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: «جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَىٰ بُيُوتِ اَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦١٣٩)، ومسلم برقم (٢٩٥١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٤١٩)، ومسلم برقم (١٨٢٩).

وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غَفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوِّجُ أَبَدًا.

فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوِّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم رحمك الله أن الدين كله عطاء، فالله أعطاك التوحيد والإيمان، والعقل والسمع والبصر، فأعط نفسك بالتعبد لله ﷻ بما أمرك الله ورسوله به: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر / ٧].

وتعبد لله يا عبد المعطي بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل / ١٢٥].

﴿كُونُوا رَبَّيْنَ عِن يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ [آل عمران / ٧٩].

فالدين كله عطاء، المعطي جل جلاله أعطانا، فنعطي لأنفسنا، ونعطي لغيرنا: ﴿وَالْعَصْرُ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [العصر / ١-٣].

فالعطاء عبادة من العبادات التي يحبها الله، يجب إخلاصها لله ﷻ، ومن أحب في الله وبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ٢﴾ أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٣﴾ [الزمر / ٢-٣].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ٥﴾ [البينة / ٥].

وإذا عرفنا أن الله هو المعطي جل جلاله فعلينا أن نتعبد لله بخلق العطاء، ومن أعطى أعطاه الله أكثر، ومن أنفق أنفق الله عليه أكثر، ورسولنا ﷺ، إمام المعطين، وأكرم الخلق أجمعين، يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة والفقر، فصلوات الله وسلامه عليه،، سأله أحد

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٠٦٣) واللفظ له، ومسلم برقم (١٤٠١).

رؤساء القبائل: لمن هذا الوادي من الغنم؟ فقال له: هو لك، قال: أتهزأ بي؟ فقال له: لا والله هو لك؛ فقال: أشهد أنك رسول الله تعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

واعلم رحمك الله أن المعطي سبحانه كما أعطاك نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهداية والرشاد، فأصبحت مؤمناً فيجب عليك أن تبني حياتك على العطاء في كل ما يحبه الله ويرضاه: ﴿يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].

فأعط مما أعطاك الله، ابتغاء مرضاة الله، يعطك الله خيراً منه في الدنيا والآخرة: ﴿وَيَسِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ [البقرة / ٢٥].

وقال ﷺ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة / ٧٢].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ﴿٨﴾ [آل عمران: ٨].  
﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهم أن نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.  
اللهم يا فاطر السموات والأرض، يا عالم الغيب والشهادة، اهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم.

اللهم اعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، يا ذا الجلال والإكرام: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ [الصفات / ١٨٠-١٨٢].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المقدم.. والمؤخر

## موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المقدم.. والمؤخر

الله ﷻ له الأسماء الحسنى، والصفات العلى والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

واسم الله المقدم والمؤخر لم يرد في القرآن، وإنما ورد في السنة النبوية الصحيحة.

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

فالله جل جلاله هو الملك الحق الذي له الملك والملكوت خلقًا وتدبيرًا.

له ملك العالم العلوي والعالم السفلي، وله ملك عالم الغيب وعالم الشهادة، وله ملك الدنيا والآخرة، وله ملك السماوات والأرض، وله ما في السماوات والأرض، وله

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (١١٢٠) واللفظ له، ومسلم برقم (٧٧١).

خزائن السماوات والأرض، وله غيب السماوات والأرض، وله جنود السماوات والأرض، وله مقاليد السماوات والأرض، وله ميراث السماوات والأرض.

فسبحان من هذا ملكه وسلطانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك/ ١].

هو الملك الذي يفعل ما يشاء، ويخلق ما يشاء، ويحكم بما يشاء، ويقدم من يشاء ويؤخر من يشاء، ويعطي من يشاء، ويمنع من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، لا راد لقسائه، ولا معقب لحكمه: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٦٦﴾ [آل عمران/ ٢٦].

هو سبحانه المقدم الذي يرفع أوليائه المؤمنين إلى عوالي الرتب والمنازل، المؤخر الذي يؤخر من كفر به وعصاه وغشى حماه عن تلك الرتب والمنازل: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾ [التين/ ٤ - ٨].

وهو الحكيم العليم بمن يصلح لهذا، ومن يصلح لهذا: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ [المجادلة/ ١١].  
﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ﴿٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣].

وهو سبحانه الملك القادر على كل شيء، العليم بكل شيء، المحيط بكل شيء، الذي يملك التقديم والتأخير، والرفع والخفض، والحياة والموت، وحده لا شريك له.  
والتقديم والتأخير وصفان لله ﷻ يدلان على كمال قدرته، وكمال مشيئته، وكمال حكمته وكمال علمه وكمال عدله: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿١٠٢﴾ [الأنعام: ١٠٢].

فسبحان المقدم الذي يقدم الأشياء ويضعها في موضعها، المؤخر الذي يؤخر الأشياء ويضعها في موضعها، وكل ذلك بعلمه، وإرادته، وحكمته: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ

وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ [فاطر / ١٣].

قدم سبحانه المقادير قبل أن يخلق الخلائق، وقدم من أحب من أوليائه بفضله، ورفع الخلق بعضهم فوق بعض بحكمته: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر / ٤٩-٥٣].

وأخر سبحانه الشيء عن حين توقعه؛ لعلمه بما في عواقبه من الحكمة، وأخر من شاء من عباده بعدله، لا مقدم لما أحر، ولا مؤخر لما قدم، وهو الحكيم العليم: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة / ٢١٦].

وهو سبحانه المقدم والمؤخر بأمره الكوني، وأمره الشرعي.

فتقديمه الكوني كتقديم بعض المخلوقات على بعض في الوجود، وتأخير بعضها عن بعض كالليل والنهار، وأنواع المواليد من نبات وحيوان وإنسان، وأنواع الثمار، والتصريف والتدبير في الكون: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

فكل مخلوق له وقت، وله مكان، وله حجم، وله مسار، لا يتعداه فيسبق غيره، ولا يزاحمه فيبطل حكمته: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس / ٣٧-٤٠].

فسبحان ربنا العظيم الملك الحق، الذي يملك أنواع التقديم والتأخير في الخلق والتقدير: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم / ٤٠].



﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ [الحج / ٥].

أما تقديمه وتأخيرهِ الشرعي؛ فكما فضل الأنبياء والرسل على الخلق، وفضل بعض الأنبياء على بعض، كما قال سبحانه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ﴾ [البقرة / ٢٥٣].

وكما فضل سبحانه بعض العباد على بعض، وفضل بعض المؤمنين على بعض، وقدمهم في العلم والإيمان والأعمال والأخلاق، بفضله، وآخر منهم من آخر منهم بحكمته وعدله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَلْبُكَ إِذْ أَنْزَلَ إِلَيْنَا لُؤْلُؤًا مِّمَّا يَخْتَارُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر / ٩].

وقال ﷻ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾﴾ [الرعد / ١٩].

وقال ﷻ: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة / ١١].

وقال ﷻ: ﴿أَفَمَن اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُكُمْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران / ١٦٢-١٦٣].

فسبحان ربنا العظيم الذي يقدم من يشاء من خلقه إلى رحمته بتوفيقه وفضله، ويؤخر من يشاء عن ذلك بعدله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة / ١٨-٢٠].

وقال ﷻ: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا  
الْحُرُورُ ﴿٢١﴾﴾ [فاطر / ١٩-٢١].

هو سبحانه المقدم والمؤخر الذي قدم بعض العبادات على بعض، كتقديم الفرض على  
النفل، وتقديم حق الله على حق غيره، وتقديم الوضوء على التيمم.  
وكما فضل بعض الأيام على بعض، وبعض الليالي على بعض، وبعض الشهور على  
بعض، وبعض الأوقات على بعض وبعض الأماكن على بعض.

ففضل يوم الجمعة على ما سواه من الأيام، وفضل أيام عشر ذي الحجة من كل عام،  
وفضل يوم النحر ويوم عرفة على سائر الأيام، وفضل بعض الليالي على بعض كما فضل  
ليلة القدر على ما سواها، وفضل بعض الشهور على بعض كما فضل شهر رمضان على  
غيره، وشهر الله المحرم وفضل الأشهر الحرم، على غيرها من الشهور، وفضل بعض  
الأماكن على بعض كما فضل المساجد على ما سواها، وفضل بيته الحرام على ما  
سواه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا  
يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص / ٦٨].

هو سبحانه المقدم والمؤخر ما شاء من البرايا في الزمان، والمكان، والرتبة، والقرب  
والبعد، والحب والبغض، والقوة والضعف، والعلو والسفل: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ  
تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا  
مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ  
فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان / ١٠-١١].

فسبحان الملك الحق الذي يجري أمره في ملكه حسب إرادته ومشئته، وحكمته وعلمه،  
القوي الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ  
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾  
[يس / ٨٢-٨٣].

هو سبحانه المقدم والمؤخر، الذي علم كل متقدم ومتأخر، فقدم من يستحق التقديم،  
وأخر من يستحق التأخير، قدم الدنيا على الآخرة، وقدم الإنسان على غيره: ﴿وَلَقَدْ

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [الإسراء / ٧٠].

وقدم المؤمنين على الكافرين، وقدم الحياة على الموت: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الحجر / ٢٣-٢٤].

والصفة المشتقة من اسم الله المقدم والمؤخر، هي صفة التقديم والتأخير، وهما صفتا فعل الله ﷻ كما قال سبحانه: ﴿قَالَ لَا تَخْضِعُوا لَدَيْهِ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيْهِ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَعِيدِ ﴿٢٩﴾﴾ [ق / ٢٨-٢٩].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم / ٤٢].

وقد اقترن اسم الله المؤخر بالمقدم في قوله ﷻ: «أَنْتَ الْمَقْدُمُ، وَأَنْتَ الْمُوَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

لأن الكمال لا يتم إلا باقترانها فهما من الأسماء المتقابلة، التي لا يطلق واحد منها على الله إلا مقرونًا بالآخر؛ لأن الكمال في اقترانها لا في افتراقها: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠].

هو سبحانه المقدم والمؤخر الذي بيده مقاليد الأمور: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

هو المقدم والمؤخر الذي قدم من شاء من خلقه لعوالي الرتب والمقامات من الأنبياء والرسل والمؤمنين باصطفائه وتوفيقه ورحمته: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج / ٧٥].

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر / ٥١].  
﴿اللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥١﴾﴾ [غافر / ٥١].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾  
[البقرة/ ٢٥٧].

هو سبحانه المقدم والمؤخر الذي آخر من شاء إلى أسفل الرتب والمنازل، فأخر من شاء من خلقه إلى أسفل الرتب بخذلانه وطرده من رحمته من الشياطين والكفار والمشركين والمنافقين: ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران/ ١٦٢-١٦٣].

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء/ ١٤٥].  
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة/ ١٦١-١٦٢].

فسبحان ربنا العظيم المقدم والمؤخر الذي بيده وحده التقديم والتأخير، ومقاليد الأمور، الذي بيده التقديم والتأخير الكوني، والتقديم والتأخير الكوني بحر لا ساحل له، كتقديم بعض المخلوقات على بعض، وتقديم الدنيا على الآخرة، وتقديم الأسباب على مسبباتها: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْرِفُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبا/ ٣٠]. وهو سبحانه المقدم والمؤخر الذي يملك التقديم والتأخير الشرعي، فيخلق ما يشاء ويختار ما يشاء.

والتقديم والتأخير الشرعي متعلق بمحبة الله ﷻ بفعل دون فعل، وتقديم بعض الأحكام والصفات والأفعال والأشخاص على بعض، كتفضيل الأنبياء والرسل على الخلق، وتفضيل بعض الرسل على بعض، وتفضيل المؤمنين على الكافرين، وتفضيل بعض المؤمنين على بعض، كتفضيل العالم على الجاهل، وتفضيل التقي على الفاجر، وتفضيل الصالح على الطالح، وتفضيل الطائع على العاصي، وتفضيل بعض الأماكن على بعض، وتفضيل بعض الأزمنة على بعض، وتفضيل بعض الأعمال على بعض، وبعض الصفات على بعض ونحو ذلك: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران/ ٣٣-٣٤].

﴿التَّائِبُونَ الْعَمَدُونَ الْحَمِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّكِعُونَ السَّجِدُونَ

الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [التوبة/ ١١٢].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ  
 وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ  
 وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ  
 وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[الأحزاب: ٣٥].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ  
 زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾  
 أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

[الأنفال/ ٢-٤].

فسبحان ربنا العظيم الذي يملك التقديم والتأخير في ملكه وحده لا شريك له.

هو المقدم والمؤخر في الزمان والمكان، وفي الأوصاف الحسية، وفي الفضائل المعنوية،  
 وهو المؤخر كذلك لمن شاء من ذلك ممن اتصف بضد ذلك، "أنت المقدم، وأنت المؤخر،  
 لا إله إلا أنت": ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن  
 بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام: ٥٣].

وهو سبحانه الحكيم الرحيم الحليم، الذي يؤخر العذاب عن العصاة لعلهم يتوبون قبل  
 يوم الحساب: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمَ مَا تَرَكُوا عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى  
 فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل/ ٦١].

فسبحان المقدم والمؤخر الذي قدم الأخيار والصالحين بمعرفته وعبادته، المؤخر الذي  
 أخر من شاء عن معرفته وعبادته: ﴿قُلْ إِنْ أَلْفُ ضَلَّ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ ﴿٧٣﴾  
 يَخْنُصُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران/ ٧٣-٧٤].

هو سبحانه المقدم والمؤخر، قدم الأنبياء على الناس في الفضل والرتبة والمقام، وقدم الأم  
 على الأب في البر والصلة.

هو سبحانه المقدم والمؤخر الذي يقدم من يشاء بفضله، ويؤخر من يشاء بعدله، يخلق ما يشاء ويختار بحكمته وعلمه، وقدرته: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٧٣) [آل عمران / ٧٣].

فسبحان من يقدم من يشاء، ويؤخر من يشاء: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥٤) [الأعراف: ٥٤].

فهو المقدم والمؤخر بحكمته وعلمه، فمن خلقه من هو مقدم خلقاً ورتبة كالعرش والكرسي والملائكة، ومنهم من هو مقدم خلقاً ومؤخر رتبة كإبليس، فإنه خلق قبل آدم، ومنهم من هو مؤخر خلقاً مقدم رتبة كالنبي ﷺ، سيد الأنبياء والمرسلين، الذي ختم الله به النبوات: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٨) [القصص / ٦٨].

هو سبحانه المقدم والمؤخر الذي لا يسأل عما يفعل؛ لأنه الحكيم العليم بمصالح عباده، فربك حكيم عليم يعجل لك الرزق، وربما يؤخره، وربما يعجل لك الولد، وربما يؤخره، وربما يعجل لك الشفاء، وربما يؤخره، وربما يعجل العقوبة للعاصي، وربما يؤخرها؛ لأنه المقدم والمؤخر الذي جميع أفعاله في منتهى الحكمة والرحمة والعدل والإحسان: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٦) [الحجر: ٨٦].

هو سبحانه المقدم والمؤخر، يقدم من يشاء بطاعته، ويؤخر من يشاء بمعصيته، قدم المسلم على الكافر، وقدم المؤمن على المنافق، وقدم العالم على الجاهل، وقدم التقي على الفاجر، وقدم الكريم على البخيل، وقدم المجاهد في سبيله على القاعد، قدم من شاء من الأمم، وأخر من شاء من الأمم أنت المقدم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت.

هو سبحانه المقدم والمؤخر، الذي يقدم من شاء لدخول الجنة، ويؤخر من شاء، ويقدم من شاء في دخول النار، ويؤخر من شاء: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩) ﴿كَلَّا نُمَدِّدُ هُوَآءًا ۖ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا

كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُورًا ﴿٢٢﴾ [الإسراء / ١٨-٢٢].

هو سبحانه المقدم والمؤخر، الذي يربي عباده بالتقديم والتأخير، فيكرم من أطاعه، ويهين من عصاه، ويعز من آمن به، ويذل من كفر به، لأنه الحكيم العليم الذي يضع ثوابه للمحسن تفضلاً، ويضع عقوبته للمسيء عدلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء / ٤٠].

هو سبحانه المقدم والمؤخر، الذي يقرب أوليائه، ويبعد أعداءه، فيشغل من آمن به بطاعته، وأنواع عبادته، ويشغل من كفر به بشهوته ويضرب الحجاب بينه وبينه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ [المجادلة / ١١].

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ءَأُولَئِكَ كَآلَآءِ غَمْرَبٍ لَهُمْ ءَاضَلُ ءَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾ [الأعراف: ١٧٩].

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ ءَأَمْوَالُهُمْ وَلَا ءَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [التوبة / ٥٥].

واعلم أن كل إنسان سوف ينبأ يوم القيامة بما قدم وأخر، من قول أو فعل، سيُسأل عن تقديم شهواته على أوامر ربه، وعن تقديم ما تحبه النفس على ما يحبه الرب، وعكس ذلك ينبأ الإنسان يومئذ بكل قدم وأخر: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْنَآئًا لِيُرَوَّاْ ءَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ [الزلزلة / ٦-٨].

وسياخذ ثوابه أو عقابه حسب عمله: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا آدْرَبْتَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿١١﴾ [القارعة / ٦-١١].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه أن الله ﷻ اصطفى آدم ﷺ وذريته على من

سواهم، وقدمهم على من عداهم، فقد خلق الله آدم ﷺ بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه الأسماء كلها، وجعله وذريته خلفاء الأرض، وجعله جليسه يوم القيامة إن كان مؤمناً: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء / ٧٠].  
 وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

وفضل الله ﷻ هذه الأمة على ما سبقها من الأمم بعبادته والدعوة إليه إلى يوم القيامة، وجعل ما سبقهم من الأمم تذكرةً وعبرةً لهم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١٠) [آل عمران / ١١٠].  
 ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١١١) [يوسف: ١١١].  
 وقدمهم في المقام والثواب وختم بهم الأمم، فهم الآخرون في الدنيا السابقون يوم القيامة في دخول الجنة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوْلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

واعلم رحمك الله أن الله أكرم هذه الأمة بأحسن دين وأكملها فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) [المائدة / ٣].  
 وأكرمها بأحسن كتاب: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَنَشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٢٣) [الزمر: ٢٣].

وكلفهم ورغبتهم وشرفهم بأحسن عمل، وأشرف وظيفة، وهي الدعوة إلى الله، ووظيفة الأنبياء والرسل؛ فقال: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٩٦)، ومسلم برقم (٨٥٥) واللفظ له.





خفضه أو رفعه، أو تقدمه أو تأخره أو نصره أو خذلانه: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر / ٦٢-٦٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ مَسْخَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف / ٥٤].

إن اهتدى الإنسان فبهداية الهادي له، وإن ضل فبصرفه عن الهدى لما انصرف عنه: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس / ٢٥]. فالهداية إلى الإيمان بيد الهادي: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص / ٥٦].

ومن زاغ عن الحق صرفه الله عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَقُولُوا تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الصف / ٥]. فالقلوب كلها بيد الله، يصرفها كيف يشاء، لا يمتنع عليه شيء منها، من شاء أقامه بفضله، ومن شاء أزاعه بعدله، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهو يعلم بمن يصلح لهذا أو هذا؛ لأنه الملك الحق الذي أقام الحجة بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، وبيان الحق من الباطل، ومقاليد الأمور كلها بيده: ﴿وَلَوْ أَنَّا زَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ [الأنعام / ١١١].

وبعد ذلك من شاء هداه إلى الحق، ووفقه إليه بفضله، ومن شاء أضله بعد قيام الحجة عليه بعدله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يونس / ٩٦]. ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾ [يونس / ٩٧].

والعبد مع هذا مأمور من ربه ببذل جهده، وسلوك المسالك الصالحة التي يعرف بها مولاه من النظر والتفكر في ملكوت السماوات والأرض، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وتدبر الآيات القرآنية وغير ذلك مما يكون به تقدمه، ونيل محابه ورضاه جل

جلاله، والبعد عن المسالك السيئة التي يكون بها تأخره، والوقوع في سخطه: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ بَصِيرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾﴾ [ق/ ٦-٨].  
 وقال ﷺ: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْجِبُ الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [يونس: ١٠١].

وقال ﷺ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْرًا عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ﴿٢٤﴾ [محمد/ ٢٤].

وقد بين الله ﷺ سبل رضاه، وبين سبل سخطه، ودعا عباده إلى التقدم إلى سبل رضاه، ونهاهم عن التأخر عنها بسلوك سبل سخطه، ثم قال: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ ﴿٣٧﴾ [المدثر/ ٣٧].

وقال ﷺ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام/ ١٥٣].

والأمور كلها بيد الله وحده لا شريك له، وهو الكريم الذي بين الحق من الباطل، ورغب في الحق، وحذّر من الباطل: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: ٢٧].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا نَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٢٩-٣١].

فسبحان الرب الكريم الرحيم بعباده، المقدم من أطاعه المؤخر من عصاه: «أَنْتَ الْمُقَدَّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فاسأل ربك الكريم أن يغفر ذنوبك كلها، السر والعلانية، والخطأ والعمد، والمتقدم والمتأخر: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ [المائدة/ ٣٩].

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

## التعبد لله ﷻ باسمه المقدم.. المؤخر

اعلم أن الذنوب والمعاصي توبق العبد وتؤخره، وغفران الله له يرفعه ويقدمه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۗ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۗ﴾ [طه / ٧٤-٧٥].

فعليك بعبادة ربك بكمال الحب والتعظيم له، وكمال الذل بين يديه، والطمع فيما عنده، وحسن اللجوء إليه، وصدق التوكل عليه، وعدم اليأس من روحه، وعدم الأمن من مكره: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۗ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٢-٤].

﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ۗ﴾ [الذاريات / ٥٠-٥١].

وقدم ما قدم الله ورسوله من الأفعال الحسنة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الكريمة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۗ﴾ [الحج / ٧٧].

وأخر ما أخر الله ورسوله، وأحب ما أحب الله ورسوله وافعله، وأبغض ما أبغض الله ورسوله واحذره: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۗ﴾ [٢٤] وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال / ٢٤-٢٥].

واعلم أن الله يراك حين تتقدم إليه بأنواع الطاعات والقربات، ويراك حين تتأخر عنه بالمعاصي والسيئات؛ فقدم لنفسك ما يسرك أن تراه يوم العرض عليه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ۗ﴾ [الحجر / ٢٤].

واسأل من بيده مفاتيح الخيرات كلها أن يهديك إلى ما يحبه ويرضاه، واطلب ممن فتح

أبوابه للراغبين والتائبين أن يُعنيك بفضلِهِ عمن سواه، وأن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يتوب عليك مما قدمت وما أخرت؛ فإنه حي قيوم يجيب من دعاه، ولا يجيب من رجاه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/ ١٨٦].

واعلم وفقنا الله وإياك لما يحبه ويرضاه وختم لنا ولك بخير أن من عرف ربه باسمه المقدم والمؤخر؛ تعلق قلبه بالله وحده، وتوكل عليه وحده؛ لأنه سبحانه لا مقدم لما أُوخِر، ولا مؤخر لما قدم: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود/ ٥٦].

• واعلم أن التقدم نوعان:

تقدم حقيقي.. وتقدم صوري.

فالتقدم الحقيقي الديني النافع: هو تقدم العبد إلى الإيِّان بالله وطاعته وعبادته وحده لا شريك له، والفوز بمرضاته وجنته، وذلك بالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعدته ووعدته، والعلم بدينه وشرعه، وثوابه وعقابه، والتعبد لله بموجب ذلك: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤]﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [١٣٣] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٣-١٣٤].

والتأخر عن ذلك هو التأخر الحقيقي المذموم بالكفر والشرك، وأنواع المعاصي: ﴿وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَٰجَتِهِمْ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [١٧٩].

[الأعراف: ١٧٩].

فهؤلاء تأخروا عن طاعة الله وعبادته والإيمان به؛ فأخبرهم الله من النعيم إلى العذاب: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة/ ١٧٥].

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد/ ٥].

أما التقدم في الدنيا، والتأخر عنها، فهو مقياس صوري لا قيمة له إذا لم يقترن بالإيمان: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبا/ ٣٧].

وقال ﷺ: ﴿فَلَا تُعْجِبَكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة/ ٥٥].

فالتقدم الحقيقي هو التقدم إلى الإيمان بالله، وعبادته وحده لا شريك له: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [١٤] ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [١٥] ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر/ ٦٤-٦٦].  
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل/ ٩٧].

وحظ العبد من هذين الاسمين الكريمين: المقدم والمؤخر أن يتوسل إلى ربه بهما؛ لئيل التقدم الحقيقي في الإيمان، والأعمال الصالحة، وترك كل ما يؤخر عن كل ما يحبه الله ويرضاه، ودخول الجنة، والنجاة من النار: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢] الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة/ ١-٧].

فمن لم يتقدم إلى الله والجنة بالإيمان، والأعمال الصالحة؛ فهو متأخر إلى الكفر والأعمال السيئة والنار: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة/ ٧٢].

وقال ﷻ: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٦٨) [التوبة / ٦٨].

ومن عرف ربه باسمه المقدم والمؤخر، ورأى ذلك؛ آمن بحكمته البالغة، ورحمته الواسعة وقدرته المطلقة، وحسن تدبيره، وعلمه المحيط: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٤) [الحشر / ٢٢-٢٤].

ومن عرف ربه باسمه المقدم والمؤخر قدم ما قدمه الله من الأعمال، والأشخاص، والصفات، وآخر ما أخره الله من الأعمال، والأشخاص، والصفات، وهذا هو الميزان الحقيقي الذي يزن به المؤمن الأمور: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢٢) [الملك / ٢٢].

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَاتَّخَذَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٩) [التوبة / ١٠٩].  
﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ (٣٧) [سبا / ٣٧].

أما ميزان أهل الدنيا الذين يقدمون أهل الجاه، والرئاسة، والأموال وغيرها من أعراض الدنيا على غيرها من صفات الإيثار، والتقوى، والصالح؛ فهذا ميزان مختل كاذب يخالف ميزان الله الحقيقي في التقديم والتأخير: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢١) [الجاثية / ٢١].

واعلم رحمك الله أن من عرف الله باسمه المقدم والمؤخر توكل على الله وحده، ولم يتأثر أو يغتر بقوة الباطل، وانتفашه، وجبروته؛ فإن المقدم والمؤخر للباطل وأهله بالمرصاد: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِعَادُوا بِالْفَارِعَةِ﴾ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ

صَرَصِرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَعَى كَأَنَّهُمْ آعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَآخَذَهُمْ آخِذَةٌ رَابِيَةٌ ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ﴿١٢﴾ ﴿[الحاقة / ٤-١٢].

وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴿[الفجر / ٦-١٤].

ومن ثمرات معرفة اسم الله المقدم المؤخر أن العبد لا يغتر بهذه الدنيا، ويحذر من الركون إليها؛ لأن الدنيا مآلها إلى الفناء، ولا يبقى للعبد إلا ما قدمه لنفسه يوم القيامة من الإيثار والأعمال الصالحة: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَعْرَتِكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾﴾ ﴿[فاطر / ٥].

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ﴿[العنكبوت / ٦٤].

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴿٤٦﴾﴾ ﴿[الكهف / ٤٦].

وقال النبي ﷺ: «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ، يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

فتقدم رحمك الله إلى ربك بكل طاعة من الأقوال والأفعال والأموال، وتزين بمكارم الأخلاق، وتأخر عن كل معصية: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ ﴿[الحديد / ٢١].

وقال ﷻ: وقد رأى تأخراً في أصحابه فقال لهم: «تَقَدَّمُوا فَأَتَمُّوا بِي، وَلِيَأْتَمَّ بِكُمْ مَن

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٩٥٨).



بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن عرف الله باسمه المقدم والمؤخر لم يركن إلى عمله، ولم يكن له الأمان بكثرة الطاعات، ولا اليأس بكثرة المعاصي، فرب مسلم كان في الظاهر من المطرودين، ثم ظهر أنه من المقربين، وكذا عكسه: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلَئْسَ الْكُلُّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التغابن/ ١٣].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ» أخرجه البخاري<sup>(٢)</sup>.

واعلم وفقك الله لما يحبه ويرضاه أن قدرك عند ربك، ودرجتك يوم القيامة، بقدر إيمانك وأعمالك الصالحة: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [٢] الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [٣] أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [٤]﴾ [الأنفال/ ٢-٤].

وكل واحد سوف يحاسب على ما قدم وأخر: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [١٠٦] وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِمَا رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [١٠٧]﴾ [آل عمران/ ١٠٦-١٠٧].

واعلم أن من قدم ما قدم الله ورسوله من الإيثار والأقوال والأفعال والأخلاق قدمه الله ومن أخر ذلك أخره الله: ﴿فَأَسْتَقِيمُ كَمَا أَمَرْتِ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [١١٢] وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [١١٣]﴾ [هود/ ١١٢-١١٣].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٣٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٣٣٢).

وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ [محمد: ١٢].

واعلم أن الله ﷻ هو المقدم والمؤخر، يقدم من شاء بالقوة، أو الذكاء، أو العقل، أو الحكمة، أو العلم، أو المال، أو النسب، أو الجاه، فإذا لم يشكر العبد هذا التقديم باستعماله فيما يحبه الله ويرضاه؛ أخره الله بفضيحة، أو زلة، أو كف يد.

وذلك العطاء كله إما ابتلاء كما قال سبحانه: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِيَّاكُمْ وَاللَّهُ لَا يَفْتُنُونَكُمْ﴾ ﴿٢﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿٣﴾ [العنكبوت / ٢-٣].

وقال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء / ٣٥].

أو يكون ذلك استدراجاً كما قال سبحانه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ [التوبة / ٥٥].

وقال ﷻ: ﴿فَلَمَّا دَسَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ ففقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴿٤٥﴾ [الأنعام / ٤٤-٤٥].

أو يكون ذلك رفعة للدرجات: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥١﴾ [التوبة: ٥١].

فقدم رحمك الله ما يحبه الله ويرضاه، وقدم أهل العلم والإيمان والتقوى، وقدم الغني الكريم، وقدم أهل المعروف والإحسان: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ [الفرقان / ٦٣-٦٤].

وقال ﷻ في صفات من هداهم واشتراهم: ﴿التَّائِبِينَ الْعَلِدُونَ الْحَمْدُونَ السَّاعِيُونَ الرَّاكِعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١١٢﴾ [التوبة / ١١٢].

فسبحان المقدم والمؤخر الذي قدم من شاء من عباده بالصفات التي يجبها وأثابهم على ذلك أجراً عظيماً، وآخر من شاء من عباده لما سوى ذلك: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب / ٣٥].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾ [البينة: ٦ - ٨].

﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران / ٨].  
 ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران / ١٤٧].

﴿رَبَّنَا قَبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة / ١٢٧ - ١٢٨].  
 ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف / ١٥].

«رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي كُلِّهِ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطَايَايَ، وَعَمْدِي وَجَهْلِي وَهَزْلِي، وَكُلَّ ذَلِكَ عِنْدِي.  
 اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧١٩).

رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.  
«اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.  
«اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أخرجه البخاري<sup>(٣)</sup>.  
اللهم قدمنا لما تحبه وترضاه، وأخرنا عما يسخطك ولا ترضاه، أنت المقدم، وأنت المؤخر لا إله إلا أنت.  
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٢٦) واللفظ له، ومسلم برقم (٢٧٠٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٣٠٦).

# أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى

في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

اسم الله

المحسن

## موسوعة أسماء الله الحسنی في ضوء القرآن والسنة

### اسم الله المحسن

الله ﷻ هو الملك الحق الذي له الأسماء الحسنی، والصفات العلی، والأفعال الحميدة، والنعوت الجميلة، والمثل الأعلى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨].  
واسم الله المحسن هو الاسم الثاني عشر من أسماء الله الحسنی، الواردة في السنة النبوية الصحيحة.

الله سبحانه هو المحسن الذي له كمال الحسن في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وكل حسن وجمال في المخلوقات فمن آثار حسنه وجماله:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [٢٤] [الحشر: ٢٢-٢٤].

وهو سبحانه المحسن الذي ليس في أفعاله عبث، ولا في شيء من أوامره سفه؛ بل أفعاله كلها حسنى، لا تخرج عن الحكمة والمصلحة، ولا تخرج عن العدل والإحسان والرحمة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه/ ٨].

إن أعطى سبحانه بفضلله ورحمته، وإن منع أو عاقب فبعده وحكمته: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٥] [غافر/ ٦٥].

هو المحسن الذي أحسن إلى خلقه بعموم كرمه، وعظيم إحسانه، وسعة رحمته، وجزيل نعمه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [٢٤٣] [البقرة/ ٢٤٣].

هو المحسن الذي أنعم بجميع أنواع النعم: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ [٥٣] [النحل/ ٥٣]. فسبحان المحسن الذي عم خلقه بنعمه

وإحسانه وفضله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْبِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ [الإسراء: ٧٠].

هو سبحانه المحسن الذي لا يخلو موجود من إحسانه طرفة عين.

هو المحسن الذي أحسن إلى كل مخلوق بنعمة الخلق والإيجاد، ونعمة القوت والإمداد ونعمة الهدى والرشاد: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ [السجدة / ٦-٧].

هو سبحانه المحسن المتفضل بأنواع النعم: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ﴿٥٣﴾ [النحل / ٥٣].

﴿وَمَا آتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ [إبراهيم / ٣٤].

وهو المحسن المتقن لكل ما صنع: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ [النمل: ٨٨].

واسم الله المحسن لم يرد في القرآن الكريم إلا وصفًا كما قال سبحانه عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقال سبحانه: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ﴿٧٧﴾ [القصص / ٧٧].

وقد ورد اسم المحسن في السنة النبوية الصحيحة في قوله ﷺ: «إِذَا حَكَمْتُمْ فَأَعْدِلُوا، وَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحْسِنٌ يُحِبُّ الْإِحْسَانَ» أخرجه الطبراني في الأوسط <sup>(١)</sup>. وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»، أخرجه مسلم <sup>(٢)</sup>.

(١) حسن / أخرجه الطبراني في الأوسط برقم (٥٧٣٥).

(٢) صحيح / أخرجه مسلم برقم (١٩٥٥).

• واسم الله المحسن له معنيان :

الأول: المحسن بمعنى المنعم المتفضل بأنواع الإحسان كما قال سبحانه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص / ٧٧].

وقوله ﷻ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف / ١٠٠].

الثاني: المحسن الذي أتقن وأحكم صنعه في كل ما خلق، كما قال سبحانه: ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة / ٦-٧].

وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر: ٦٤].

فالإحسان له وجهان:

الإنعام على الغير.. والإتقان والإحكام.

فسبحان ربنا الجميل المحسن الذي خلقه كله حسن من كل وجه، المحسن الذي أنعم على خلقه بكل نعمة، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

هو المحسن الذي تعرف إلى عبادته بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وأفعاله الجميلة، وتجب إليهم بأنواع نعمه وآلائه، المحسن الذي ابتداء الخلائق بإحسانه وعطائه، المحسن

الذي يجازي على إحسانه بالإحسان: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن / ٦٠].

وقال ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [يونس / ٦١].

وقال ﷻ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَمثلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام / ١٦٠].

هو سبحانه الخالق الذي أبدع كل مخلوق، الباري الذي أوجد كل مخلوق، المصور الذي



جعل لكل مخلوق صورةً تميزه عن غيره: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَىٰ يَكُونُ لَهُ، وَكَذَٰلِكَ وَكَمْ تَكُنْ لَهُ، صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام / ١٠١].

هو سبحانه المحسن الذي أحكم الخلق والتقدير، وأحسن الهيئة والتصوير، الذي أحسن كل شيء خلقه: ﴿ذَٰلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ٨ ﴿[السجدة: ٦-٨].

ومن دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسَلْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ، فَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَّرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ» أخرجہ مسلم (١).

هو سبحانه المحسن الذي لا أحسن ولا أجمل منه، والإحسان وصف لازم له، فلا يخلو موجود في الكون من إحسانه، المحسن الذي ما طاب العيش إلا بإحسانه وإنعامه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام / ١٠٢].

هو سبحانه المحسن لكل مخلوق خلقاً وإمداداً وهداية: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ﴾ ١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ٣ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ٤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ٥ ﴿[الأعلى / ١-٥].

هو سبحانه المحسن الذي أحسن كل شيء خلقه وجعله في أحسن صورة، وجعل الإنسان أحسن المخلوقات، فأتقن صنعه، وأحسن صورته: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٥ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦ ﴿[التين / ٤-٦].

هو سبحانه المحسن الذي كل أفعاله حسنى، وكل خلقه حسن وأحسن، وجميل وأجمل: ﴿ذَٰلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٦ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ ٧ ﴿[السجدة: ٦-٧].

هو سبحانه المحسن الذي أسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها علا، وأفعاله كلها

(١) أخرجہ مسلم برقم (٧٧١).

جميلة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه / ٨].

هو سبحانه المحسن الذي أحسن دينه وشرعه وكتابه، وثوابه وعقابه: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَشَرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال ﷺ: ﴿أَفْحَكُمُ الْجَهْلِيَّةُ بَعُورٌ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].  
وقال ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس / ٢٦].

هو سبحانه المحسن الذي أنعم على أوليائه بأنواع الإحسان في الدنيا والآخرة.  
ففي الدنيا أحسن إليهم بتوفيقهم للإيمان والتقوى، والثبات على الصراط المستقيم، ومعيته لهم في كل حين: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمُ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات / ١٧].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل / ١٢٨].  
ومن إحسانه إليهم رزقه لهم الكسب الحلال، والذرية الصالحة، والحياة الطيبة، والأمن والهداية: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل / ٩٧].  
وقال ﷺ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام / ٨٢].

ومن إحسانه إليهم تفريج كرباتهم وهمومهم كما قال سبحانه عن يوسف ﷺ: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف / ١٠٠].

ومن إحسانه إلى أوليائه حسن الثناء عليهم حال قيامهم بعبادته، والدعوة إليه كما قال سبحانه: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ

السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ  
وَنَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ [التوبة / ١١٢].

وقال ﷺ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا  
سَلَامًا﴾ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ [الفرقان: ٦٣ - ٦٤].  
وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ فَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

وأما في الآخرة فيتجلى إحسان المحسن جل جلاله إلى أوليائه بأعظم أنواع الإحسان:  
وذلك برؤية الله.. وسماع كلامه .. والقرب منه.. وحلول رضوانه عليهم.. ودخول الجنة  
.. والخلود فيها: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ  
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ [يونس / ٢٦].

وقال ﷺ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ﴿٢٣﴾ [القيامة / ٢٢ - ٢٣].  
وقال ﷺ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ ﴿٥٥﴾﴾  
[القمر / ٥٤ - ٥٥].

وقال ﷺ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
وَمَسْكَنٍ ظِيْبَةً فِي جَنَّتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ  
الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٢﴾ [التوبة / ٧٢].

هو سبحانه المحسن الذي جميع أسمائه وصفاته، وأفعاله وأوامره، ومخلوقاته وآياته كلها  
حسنى؛ فله سبحانه كمال الحسن وأعلاه وأتمه.

هو المحسن الذي لا يُجد كماله وحسنه وجماله، ولا يبلغ العباد كنه جلاله وجماله، ولا  
يحصي أحد من الخليقة حسن الثناء عليه، لعظيم حسنه وجماله وجلاله: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ﴿٨﴾ [طه / ٨].

ومن جلال اسم الله المحسن أن نعمه وإحسانه وخيره نازل على جميع عبادته، مؤمنهم  
وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، هم يعصونه وهو يدعوهم إلى بابه، ويجرمون ويفسدون

ويكفرون فلا يجرمهم من خيره وإحسانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رءِيمٌ﴾ ﴿٦٥﴾ [الحج / ٦٥].

هو سبحانه المحسن الذي يحسن إلى من كفر به من أعدائه، ويسبغ عليهم نعمه التي لا تعد ولا تحصى، يمهلهم ليتوبوا إليه، فإن لم يتوبوا وماتوا حاسبهم بعدله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۗ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٤٠﴾ [النساء / ٤٠].

وقال ﷺ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ [الأنعام / ١٦٠].

هو سبحانه المحسن الذي أحسن صورة الأبدان فجعلها في أحسن صورة، وكساها الحسن والجمال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ [التين: ٤ - ٦].

وقال ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار: ٦ - ٨].

هو المحسن الذي أحسن الخلق والأخلاق، ورغب خلقه فيها، وأثابهم عليها فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٣٥﴾ [الأحزاب / ٣٥].

هو المحسن الذي يجب الإحسان والحسين، ويدعوا إلى ذلك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣ - ١٣٤].

فألهم كما حسنت خلقي فحسنت خلقي بالتوحيد والإيمان، والصدق والإخلاص، وعبادة الله، وحسن معاشرة الخلق: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران / ١٥٩].

والصفة المشتقة من اسم الله المحسن هي صفة الإحسان، والإحسان صفة ذاتية لله ﷻ إن كان مشتقاً من الفعل اللازم، فهو سبحانه الذي أحسن كل شيء خلقه، وإن كان مشتقاً من الفعل المتعدي فهو صفة فعلية؛ فالله ﷻ هو المحسن إلى عباده بأنواع الإحسان.

هو سبحانه المحسن الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، خلق له السمع والبصر في أحسن تقويم: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل / ٧٨].

وخلق له اليدين والرجلين في أحسن تقويم، وخلق له العقل الذي يعرف به الأمور والأشياء، وخلق له القلب الذي يضخ كل يوم ثمانية أمتار مكعبة من الدم، وهو محل نظر الله، ومحل الإيمان والكفر، والحب والبغض.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وخلق للإنسان الكلية التي تغسل الدم ستاً وثلاثين مرة كل يوم، وخلق له اللسان الذي يتكلم به، وخلق له المعدة التي تهضم الطعام، وخلق له الكبد التي تنقي الدم من السموم، وغير ذلك مما أودعه الله فيه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين / ٤].

﴿بَنَّا يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾ [٦] الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّدَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار / ٦-٨].

فما أعظم قدرة الله في خلق الإنسان، وما أحسن تصويره له: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [١٣] ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٥٦٤).

أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ [المؤمنون/ ١٢-١٦].

هو سبحانه المحسن إلى عباده بأنواع الإحسان: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿١٤﴾ [غافر/ ٦٤].

فسبحان ربنا العظيم في ذاته، العظيم في أسائه وصفاته، العظيم في إنعامه وإحسانه، العظيم في ثوابه وعقابه: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام/ ١٠٢-١٠٣].

هو جل جلاله المحسن ذو الجلال والإكرام الذي خلق كل شيء ودبره بأمره: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ﴿٦٣﴾ [الزمر/ ٦٢-٦٣].

هو سبحانه المحسن الذي وضع اسمه العظيم على السماوات فاستقلت، وعلى الأرض فاستقرت، وعلى الجبال فرست، وعلى المياه فسالت، وعلى الأنهار فجرت، وعلى اللسان فتكلم، وعلى الأذن فسمعت، وعلى العين فأبصرت، وعلى الرجل فمشت وعلى العقول ففكرت: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿٢٤﴾ [الحشر: ٢٤].

هو سبحانه المحسن الذي غمر جميع خلقه بأنواع إحسانه وفضله، المؤمن والكافر، والجماد والنبات، والحيوان والإنسان، والملائكة والجان: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

فأي إحسان إلا إحسانه، وأي رزق إلا رزقه!، وأي خلق إلا خلقه! وأي ملك إلا ملكه! ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ

قَطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يَنْبِتُكُمْ مِثْلُ خَيْرِ ﴿١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

خلق الإنسان في أحسن تقويم، وصوره فأحسن تصويره؛ وكرمه بأنواع التكريم، فخلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه أسماء كل شيء، وأسجد له ملائكته، وجعله في الدنيا خليفة، وفي الآخرة إن كان مؤمناً جليسه: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر / ٥٤-٥٥].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء / ٧٠].

فهذا خلق المحسن جل جلاله: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان: ١٠-١١].

ومن هذا خلقه، وهذا إحسانه، هو وحده الذي يستحق العبادة دون سواه: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل / ١٧-١٨].

هو سبحانه المحسن الذي جميع ما في الكون، وجميع ما في العالم العلوي والعالم السفلي مظهر لحسنه وجماله، ومظهر لإحسانه وإنعامه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَمَّا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة / ١٦٤].

وقال ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنَوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُشْتَبِهٍ أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ [الأنعام / ٩٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ [الأعراف / ٥٤].

هو سبحانه المحسن الذي خلق ما في الأرض من الفواكه والخضروات، وأنواع الأشجار والأزهار والثمار بأحسن صورة، وأجمل شكل وأحسن طعم، وأحسن وقت، وأفضل حجم.

فجعل لكل صنف من الفواكه والخضار وقتاً معيناً يأتي هذا، بعد هذا، أو مع هذا؛ ليأكل الإنسان منها في كل وقت: ﴿ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾﴾ [السجدة / ٦-٧].

هو سبحانه المحسن الذي خلق الحيوانات والطيور في أحسن صورة، في شكلها وحجمها، ومشيتها وطيرانها، وجعل الحيوانات مخازن للحليب والسمن واللحم، وسخرها للمشي والركوب ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا سِبْقَ الْأَنْفُسِ ۗ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْحَيْلَ وَالْغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل / ٥-٨].

وكما لا يكون الخلق إلا من خالق، ولا يكون الرزق إلا من رازق، فكذلك لا يكون الإحسان إلا من محسن: ﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣].

هو سبحانه المحسن الذي أحسن كل شيء خلقه، خلق السماوات، وأحسن خلقها، وزينها بالشمس والقمر والكواكب، وخلق الأرض وأحسن خلقها، وزينها بالعيون والأنهار، والسهول والجبال، والأشجار والنبات، وخلق الإنسان في أحسن تقويم، وأحسن خلق كل شيء.



وأحسن إلى كل مخلوق بنعمة الخلق، ونعمة القوت، ونعمة الهدى.

وأحسن الأحكام والشرائع، وأحسن الثواب والجزاء، وأحسن التدبير والتصريف،  
وأحسن الأرزاق، وأحسن بها إلى خلقه، ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ  
السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ  
فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾  
[يونس / ٣١-٣٢].

والرب الذي هذه أساؤه وصفاته، وهذه عظمته وقدرته، وهذا ملكه وسلطانه، هو  
الذي يستحق أن يعبد وحده لا شريك له: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ  
الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يُبْدِيهِ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ  
وَهُوَ يُخْبِرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ  
﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا  
لذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ  
وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون / ٨٤-٩٢].

هو سبحانه الذي أحسن إليك بأنواع الإحسان، ثم أمرك بالإحسان إلى نفسك، وإلى  
غيرك: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن  
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾  
[القصص / ٧٧].

هو الحق الذي يجب أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر: ﴿يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ  
فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ  
أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة / ٢١-٢٢].

هو سبحانه المحسن الذي أحسن إليك بأنواع الإحسان، فكما أحسن الله إليك بأنواع  
الإحسان والإنعام فقابل ذلك الإحسان بالإحسان في عبادة المحسن، والإحسان إلى

عبده: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء / ٣٦].

وقال ﷺ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس / ٨-١٠].

فما أعظم جزاء المؤمن إذا أحسن في عبادة ربه، وأحسن إلى خلقه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس / ٢٦].

والإحسان من العبد جزاؤه كمال الإحسان من الرب: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رَّرَقَا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِن قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة / ٢٥].

هو سبحانه المحسن الغفور الرحيم، المحسن الذي إذا كثرت الذنوب، وتعددت المعاصي، وخاف عبده الخسران، ويئست القلوب، نادى المسرفين، ودعا المذنبين المفرطين، إلى أبواب رحمته، بقوله: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [٥٣] وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ. مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٥].

هو سبحانه المحسن الذي فتح أبوابه للعطاء والإحسان في كل آن: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر / ٦٠].

وقال ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة / ١٨٦].

فالباب مفتوح فأين من يلج؟ والمجال مفتوح فأين من يقبل؟ والحبل ممدود فأين من

يتمسك به؟ والخير مبذول فأين من يشمر له؟ ﴿١٣٣﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُفْقُونَ فِي السَّاءِ وَالضَّرَاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

﴿١٣٤﴾ وَزَكَرِيَّا إِذِ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿١٣٤﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، زَوْجَهُ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿١٣٥﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠].

فسبحان ربنا المحسن الذي يفتح لعباده أبواب البر والإحسان، ليسعدهم في الدنيا والآخرة: ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَجْرَقِ نُسُجِكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٣٥﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۗ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۗ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣٧﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ [الصف / ١٠-١٣].

وقال ﷺ: ﴿١٣٨﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٣٩﴾ [الحديد / ٢١].

فسبحان ربنا العظيم المحسن الذي يجب الإحسان والمحسنين، والذي أمر بالإحسان، ونهى عن الإساءة: ﴿١٣٩﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۗ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٠﴾ [البقرة / ١٩٥].

وقال ﷺ: ﴿١٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٤١﴾ [النحل / ٩٠].

فسبحان ربنا المحسن الذي أحب شيء إليه إحسانه إلى عباده بما ساق إليهم من أرزاق، وما هداهم إليه من هذا الدين العظيم: ﴿١٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿١٤٢﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وعن أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا

مَعَهُ إِذَا ذَكَرْنِي، فَإِنْ ذَكَرْنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً متفق عليه<sup>(١)</sup>.

ومن إحسانه جل جلاله أنه أمرنا بذكره ليزكركنا، وأمرنا بشكره ليزيدنا: ﴿وَإِذَا تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم / ٧].  
وقال ﷺ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة / ١٥٢].

فسبحان المحسن إلى عباده بكل خير في الدنيا والآخرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزاب / ٤١-٤٤].

هو سبحانه المحسن الكريم الذي لا حد لإحسانه وإنعامه، الحسنة عنده بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف مضاعفة، إلى أضعاف كثيرة، إلى عطاء بغير حساب: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْرَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام / ١٦٠].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٦١﴾﴾ [البقرة / ٢٦١].  
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة / ٢٤٥].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر / ١٠].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: ٤٠].

والسيئة عنده بواحدة فإن تاب العبد منها واستغفر غفرها الله له: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء / ١١٠].

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٧٤٠٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٧٥).

## التعبد لله ﷻ باسمه المحسن

اعلم أن أول واجب على العبد هو معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، والتعبد لله بذلك: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد / ١٩].

وقال ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق / ١٢].

وقال ﷻ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة / ٩٨].

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة / ٢١].

ومن عرف ربه باسمه المحسن عظمه وكبره لما يراه من جميل صنعه وإتقانه، وأحبه وحمده وشكره، لما يراه من عظيم فضله وإنعامه وإحسانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر / ٢٢-٢٤].

والإحسان هو أعلى درجات الإيثار، فينبغي للمسلم التعبد لله بصفة الإحسان مع ربه، ومع خلقه، فالدين ركنان:  
الأول: عبادة الحق سبحانه.

الثاني: الإحسان إلى خلقه، كما قال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء / ٣٦].

فإحسان العبد مع ربه يكون بتوحيده والإيمان به، وامتنال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق أخباره، وفعل ما يحبه ويرضاه: ﴿فَاللَّهُمَّ إِنَّكَ اللَّهُ وَحْدُ فَلَهُ اسْلِمُوا وَبِشَرِّ الْمُحِبِّينَ﴾ [٢٤] الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ

وَمَارَرَقَنَّهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الحج / ٣٤-٣٥].  
 ﴿بَنَاتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَعَبَدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ  
 تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ [الحج / ٧٧].  
 وقال النبي ﷺ: «الإحسان، أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»  
 متفق عليه<sup>(١)</sup>.

فتعبد رحمك الله بمقام الإحسان محبة لله، وتعظيماً له، وذلاً له، ورجاءً لثوابه، وخوفاً من  
 عقابه: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا  
 هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ [البقرة / ١١٢].

أما الإحسان إلى الخلق فيكون ببذل الندي، وكف الأذى، وإيصال الخير إليهم بكل  
 أنواعه؛ باللسان، والمال، والأقوال، والأفعال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ  
 صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فصلت / ٣٣].  
 وقال ﷺ: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾  
 [البقرة / ١١٥].

وأولى الناس بالإحسان الوالدين كما قال سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ  
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا  
 نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ  
 أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

والإحسان في عبادة الله، والإحسان إلى خلق الله، كل منهما عبادة يتقرب بها المسلم إلى  
 ربه، وينال عليها الثواب العظيم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ  
 وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ [النساء / ١٢٥].  
 وقال ﷺ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ  
 الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦١﴾ [يونس / ٦١].

فكن محسناً في كل أمورك مع ربك، ومع خلقه، فإن الله محسن يحب المحسنين، ومعية الله

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٥٠)، ومسلم برقم (٨)، واللفظ له.

مع المؤمنين المحسنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل / ١٢٨).

وإذا علمت أن الله هو المحسن الذي أحسن كل شيء خلقه، وأحسن إلى خلقه بأنواع الإحسان؛ فكن محسناً إلى نفسك بحملها على طاعة الله، وتركيتها بالتوحيد والإيمان والتقوى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٨) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (٩) ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (١٠) [الشمس / ٧-١٠].

وقال ﷺ: ﴿وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (٧٧) [القصص / ٧٧].

وكن محسناً إلى غيرك بالدعاء له، ودعوته إلى الله، وتعليمه شرع الله، والإحسان إليه بالقول والفعل: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) [آل عمران / ١٣٣-١٣٤].

وقال ﷺ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢٣) [فصلت / ٣٣].

وقال ﷺ: ﴿كُونُوا رَبَّنِينَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧٦) [آل عمران / ٧٩].

وقال ﷺ: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥) [البقرة: ١٩٥].

ومن عرف الله باسمه المحسن أفردته بالعبادة وحده لا شريك له؛ لكونه الخالق وحده، المحسن وحده: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ (١٠٢) [الأنعام / ١٠٢].

ومن عرف ربه باسمه المحسن كبره ومجده وأحبه غاية الحب، لما يراه من عظمته، وقدرته، وعظيم نعمه وإحسانه، وتصاغر لكبريائه؛ لأنه الخالق القادر الذي خلقنا، وساق إلينا أرزاقنا، وهدانا إلى سبل رضاه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦)

مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾  
[الذاريات: ٥٦-٥٨].

وقال ﷺ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا نُنْقِونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس / ٣١-٣٢].

ومن عرف ربه باسمه المحسن حمده وشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة / ١٧٢].

وقال ﷺ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [النحل / ٧٨].

فسبحان ربنا العظيم الذي غمر عباده بأنواع الإحسان؛ ليسعدهم في الدنيا والآخرة، وفتح لهم أبواب الإحسان، ليحسنوا إلى أنفسهم بعبادة ربهم، والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ الرَّكَّعُونَ السَّاجِدُونَ الْمُرْتَدُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالتَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١٢].

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سَلَامٍ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

ومن عرف الله باسمه المحسن سلم القلب والقلب لربه ﷻ، وقبل شرعه وحده، وتحاكم إليه وحده، ولم يرض بدين غير دينه؛ لأن دينه أحسن الأديان، وشرعه أحسن شرع: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾﴾ [المائدة / ٣].

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٢٠).



اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥].

فأحسن رحمك اللهي ما سواك لله، ومن أحسن إلى غيره فقد أحسن إلى نفسه وغيره:  
﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ

وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

﴿إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴿٧﴾ [الإسراء / ٧].

﴿وَمَن جَاهَدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [العنكبوت / ٦].

وتعبد لربك المحسن بصفة الإحسان وإتقان العمل: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِبِخِيَةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِمَّا  
أُورِدُوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ [النساء / ٨٦].

وقال ﷺ: ﴿وَمَن أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾  
[فصلت / ٣٣].

وقال ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ أَجْنَبُوا الظُّعُونَ أَن يعبُدوها وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ  
يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾  
[الزمر / ١٧-١٨].

والصلاة أحسن وأعظم ما يتقرب به العبد إلى ربه: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ  
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ  
يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت / ٤٥].

وأحسن إلى الأيتام والفقراء والمساكين، كما قال سبحانه: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا  
بِهِ شَيْعًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ  
وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن  
كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا  
ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ [النساء / ٣٦-٣٧].

وأحسن رحمك اللهي ضيوفك، فتلك سنة الأنبياء من قبلك: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ  
إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ  
بِعَجَلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ  
بِعَلْمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ [الذاريات / ٢٤-٢٨].

فأحسن كما أحسن الله إليك، أحسن إلى نفسك بتزكيتها بالتوحيد والإيمان وحملها على طاعة الله ورسوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (١٥) بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٧) ﴿[الأعلى / ١٤-١٧].

وأحسن إلى الناس بأقوالك، وأفعالك، وأخلاقك، وأموالك، وجاهك: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١٣٣) ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) ﴿[آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

يا عبد المحسن إن أحسن الله إليك بالمال فأنفقه في سبيل الله، وأحسن به إلى الفقراء والمحتاجين، يخلف الله عليك ما هو أحسن منه: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (٧) ﴿[الحديد: ٧].

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٤) ﴿[البقرة / ٢٧٤].

وإذا أحسن الله إليك بالعلم فعلم المسلمين أمور دينهم، وفقهم في الدين، وبين لهم السنن والأحكام: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَفْئَةٍ فَلَوْلَا نَفْرَمِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَكْفَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٣٢) ﴿[التوبة / ١٢٢].

وقال ﷺ: ﴿كُونُوا رَبَّنِينَ يَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ (٧١) ﴿[آل عمران / ٧٩].

وقال ﷺ: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١) ﴿[إبراهيم / ١].

وإن كنت حاكماً فأحسن إلى الناس بالحكم بالعدل، وإعطاء كل ذي حق حقه، وإقامة الحدود، وحفظ الحقوق، وحمل الناس على ما يحبه الله ورسوله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (٤٨) ﴿[المائدة / ٤٨].

وقال ﷺ: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾

﴿٤٩﴾ أَفْحَكَمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ [المائدة / ٤٩ - ٥٠].

وإن كنت تاجرًا فأحسن إلى الناس بالسماحة في البيع والشراء، والصدق، وعدم الغش، وأداء الحقوق، وأحب لهم ما تحب لنفسك: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿٢﴾ [المائدة / ٢].

وقال النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى» أخرجه البخاري<sup>(٣)</sup>.

وقال النبي ﷺ: «من غشنا فليس منا» أخرجه مسلم<sup>(٤)</sup>.

وهكذا في كل حال كن من المحسنين؛ يعطيك ربك المحسن ثوابًا أحسن منه: ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٩٧﴾ [النحل / ٩٦ - ٩٧].

فكن يا عبد المحسن محسنًا في دعائك، محسنًا في أقوالك، محسنًا في أعمالك، محسنًا في أفرحك، محسنًا في أترحك، محسنًا في عطائك، محسنًا في منعك، محسنًا في جوارك، محسنًا في عبادتك، محسنًا في معاملتك، محسنًا في خصومتك، محسنًا في تصرفاتك، محسنًا في مواعيدك، ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٩٥﴾ [البقرة / ١٩٥].

ومن أحسن الله إليه فهداه إلى الإسلام فليستقم عليه ما دام حيًا: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّمَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٦١﴾ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٤٨١)، ومسلم برقم (٢٥٨٥)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٥).

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٠٧٦).

(٤) أخرجه مسلم برقم (١٠١).

وَمَحْيَا وَمَمَاتٍ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾  
[الأنعام / ١٦١-١٦٣].

فتعبد لله بصفة الإحسان في جميع أمورك: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس / ٢٦].

كن حسناً في لباسك، حسناً في هيئتك، محسناً في كلامك، حسناً في أكلك، حسناً في جلوسك، حسناً في مشيتك: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل / ٩٠].

واعلم يا عبد المحسن أن سعادة المؤمن أن يحسن ويعطي، وقمة سعادة الكافر أن يأخذ ويبخل؛ لذلك الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام أعطوا وأحسنوا ولم يأخذوا، والأقوياء أخذوا ولم يعطوا: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [يونس / ٢٦].

وقال ﷺ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال / ٢-٤].

والمؤمن يبني حياته على التوحيد والإيمان، والعطاء والإحسان، والكافر يبني حياته على الشهوات والكذب والبخل: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَانْفَجَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنِّيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل / ٤-١٠].

واعلم أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك؛ فراقب الله في كل حال، وافعل الأحسن من قول أو فعل، وكن محسناً في جميع أحوالك.

ومن علم أن الله يراه ويسمعه ويعلم بكل أحواله؛ أحسن أقواله وأعماله ولم يعص ربه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ [الملك / ١٢].

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر / ٢٨].

وكن محسناً في ظاهرك وباطنك لربك الكريم الذي أحسن إليك بكل نعمة: ﴿وَمَنْ

يُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عِقْبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ [لقمان / ٢٢].

واعلم يا عبد المحسن أن الإحسان يقطع كل إساءة، وينهي كل عداوة، ويقلب العدو صديقاً؛ فصل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك بكلمة طيبة، أو هدية حسنة، أو عون أو مساعدة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا سَتْوَى الْحَسَنَةِ وَلَا السَّيِّئَةِ أَدْفَعُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٣-٣٦].

وقال ﷺ: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران / ١٥٩].

واعلم أن أحسن الناس إحساناً من حبب الناس إلى ربهم المحسن، بذكر أسمائه وصفاته، وعظيم نعمه وإحسانه، ودعوتهم إلى توحيده والإيمان به، ليجبوه ويحمدوه ويعبدوه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت / ٣٣].

واسم الله المحسن هو آخر أسماء الله الحسنى التي أحصيناها وشرحناها بفضل الله في موسوعة أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة.

وقد بلغت بفضل الله إحصاءً من القرآن الكريم ثمانية وثمانين اسماً من أسماء الله الحسنى المطلقة.. والمقيدة.. والمضافة.

فالمطلقة: كالرحمن، والعزيز، والكريم، والمملك، والقدوس، والسلام، والمؤمن وغيرها مما ذكر الله ﷻ في كتابه، أو ذكره رسوله ﷺ في سنته.

وأما الأسماء المقيدة والمضافة فمثل: عالم الغيب والشهادة، فاطر السماوات والأرض، فلق الحب والنوى، فلق الإصباح، علام الغيوب، مالك يوم الدين، غافر الذنب، وغيرها مما ورد في القرآن والسنة.

وأحصينا بفضل الله وحده من السنة النبوية الصحيحة اثني عشر اسماً من أسماء الله

الحسنى؛ وهي: اسم الله الوتر، والسبوح، والطيب، والجميل، والنور، والرفيق، والشافي، والحيي، والستير، والمقدم والمؤخر، والمحسن.

فكان مجموع ما تم إحصاؤه من أسماء الله الحسنى من القرآن الكريم اثنان وتسعون اسماً، ومن السنة النبوية الصحيحة اثنا عشر اسماً؛ فكان المجموع العام مائة وأربعة أسماء من أسماء الله الحسنى، فله الحمد والمنة، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد.

وقد تم بفضل الله إحصاؤها، وشرحها، وبيان كيفية التعبد لله بها، في ضوء القرآن والسنة، فله الحمد على نعمة العد والإحصاء، وعلى نعمة الشرح والبيان، وعلى نعمة الإتمام والإكمال: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [الجنائفة / ٣٦-٣٧].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

نسأل الله ﷻ بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يرزقنا وإياكم حفظها، وحسن التعبد لله بها، وأن يهدينا سبيل الرشاد، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويرزقنا الإخلاص في القول والعمل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف / ١٨٠].

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٨].

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣].

اللهم أنت المحسن بكل نعمة، وأنت المحسن لكل صنعة، وأنت الغفور لكل ذنب، أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة، إنك على كل شيء قدير.

اللهم أرزقنا حسن الخلق، وحسن القول، وحسن العمل، وحسن الأدب، وحسن العبادة، يا واسع البر والعطاء والإحسان.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) متفق عليه/ أخرجه البخاري برقم (٢٧٣٦)، ومسلم برقم (٢٦٧٧)، واللفظ له.

# أسماء الله الحسنى في ضوء القرآن والسنة

إحصاؤها، وفهم معانيها، ودعاء الله بها، والتعبد لله بموجبها

## الباب الثامن عشر

### دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى

ويشتمل هذا الباب على ما يلي :

- ١- دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى من القرآن الكريم.
- ٢- دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى من السنة النبوية.
- ٣- دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنى بما يوافق الكتاب والسنة.

## ١ - دعاء الله بأسمائه الحسنی من القرآن الكريم

- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة/ ١-٧].
- ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة / ١٢٩].
- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء / ٨٧].
- ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف / ٢٣].
- ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ الْغَيْرِ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾ [المتحنة/ ٤-٥].
- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران/ ٥٣].
- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ [المؤمنون/ ١٠٩].
- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة/ ٨٣].
- ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [آل عمران/ ١٦].
- ﴿رَبَّنَا أَتَيْمْنَا نَافِرِينَ وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحریم/ ٨].
- ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا وَإِلَّاخُونَنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر/ ١٠].
- ﴿رَبَّنَا آغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [آل عمران/ ١٤٧].
- ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [يونس/ ٨٥-٨٦].
- ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرَيْدِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة/ ١٢٧-١٢٨].
- ﴿رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف/ ١٠].



﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُنْفِقِينَ إِمَامًا ﴾ [٧٤/ الفرقان].

﴿ رَبَّنَا أَكْفِ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴾ [١٣/ الدخان/ ١٢].

﴿ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّكَ عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [٦٥/ الفرقان/ ٦٦-٦٥].

﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَلَيْنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [٢١/ البقرة/ ٢٠١].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [٨/ الفرقان/ ٨-٩].

﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴾ [١١٣/ الفرقان/ ١٩٣-١٩٤].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [١٩/ النمل/ ١٩].

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِي ﴾ [٤٠/ الفرقان/ ٤٠-٤١].

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [١٥/ الأحقاف/ ١٥].

﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ [٢٥/ البقرة/ ٢٥-٢٨].

﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ﴾ [القصص/ ١٦].

﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَلَاسَىٰ بِهٖ عِلْمٌ إِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٤٧/ هود/ ٤٧].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ﴾ [٨٣/ الشعراء/ ٨٣-٨٥].

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾ [نوح/ ٢٨].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ [آل عمران/ ٣٨].

﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ [الأنبياء/ ٨٩].

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات/ ١٠٠].

﴿ رَبِّ اغْفِرْ وَأَرْحَمَ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ [المؤمنون/ ١١٨].

﴿ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [١٧] ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ [٩٨] [المؤمنون/ ٩٧ - ٩٨].

﴿ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [١١٤] [طه/ ١١٤].

﴿ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء/ ٨٠].

﴿ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلَ مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ [٢٩] [المؤمنون/ ٢٩].

﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمَجْرِمِينَ ﴾ [١٧] [القصص/ ١٧].

﴿ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [٣٠] [العنكبوت/ ٣٠].

## ٢ - دعاء الله بأسمائه الحسنی من السنة النبویة

- «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ خَاصَمْتُ، وَبِكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.
- «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.
- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ، وَرَبُّ الْأَرْضِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ» متفق عليه<sup>(٤)</sup>.
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَعْرَمِ، وَالْمَأْثَمِ.
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ النَّارِ، وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ.
- اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلَجِ وَالْبَرْدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» متفق عليه<sup>(٥)</sup>.
- «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفُرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٤٤٢)، واللفظ له، ومسلم برقم (٧٦٩).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٣٣٧٠)، واللفظ له، ومسلم برقم (٤٠٦).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٢٨٢٣)، ومسلم برقم (٢٧٠٦) واللفظ له.

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٣٠).

(٥) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٥)، واللفظ له، ومسلم برقم (٥٨٩) في كتاب الذكر.

عِنْدَكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» متفق عليه<sup>(١)</sup>.

- «اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ .
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْحَيُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» متفق عليه<sup>(٢)</sup>.

• «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطِيئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي .

• اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» متفق عليه<sup>(٣)</sup>.

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَصَلَحِ الدِّينِ، وَعَلَبَةِ الرَّجَالِ» أخرجه البخاري<sup>(٤)</sup>.

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ» أخرجه البخاري<sup>(٥)</sup>.

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ تَقَمُّتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ» أخرجه مسلم<sup>(٦)</sup>.

• «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» أخرجه مسلم<sup>(٧)</sup>.

• «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ» أخرجه مسلم<sup>(٨)</sup>.

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٨٣٤)، ومسلم برقم (٢٧٠٥) واللفظ له.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٧٣٨٣)، ومسلم برقم (٢٧١٧) واللفظ له.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٩٨)، ومسلم برقم (٢٧١٩) واللفظ له.

(٤) أخرجه البخاري برقم (٦٣٦٩).

(٥) أخرجه البخاري برقم (٦٣٧٤).

(٦) أخرجه مسلم برقم (٢٧٣٩).

(٧) أخرجه مسلم برقم (٢٦٥٤).

(٨) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٠).

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالْتَّقَىٰ وَالْعَفَافَ وَالْغِنَىٰ» أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.  
 • «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ  
 آتْ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ  
 عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا».  
 أخرجه مسلم<sup>(٢)</sup>.

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَىٰ وَالسَّدَادَ» أخرجه مسلم<sup>(٣)</sup>.  
 • «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» أخرجه مسلم<sup>(٤)</sup>.  
 • «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عِقَابِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي  
 ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَيَّ نَفْسِكَ» . أخرجه مسلم<sup>(٥)</sup>.  
 • «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا ، وَفِي ثِمَارِنَا ، وَفِي مُدُنَا ، وَفِي صَاعِنَا ، بَرَكَةً مَعَ بَرَكَةٍ» .  
 أخرجه مسلم<sup>(٦)</sup>.

• «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي» أخرجه مسلم<sup>(٧)</sup>.  
 • «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا  
 أَعْطَيْتَ، وَفِي شَرِّ مَا قَضَيْتَ، إِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذُلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعْزُ  
 مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ» أخرجه أبو داود والترمذي<sup>(٨)</sup>.

• «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِي حُكْمِكَ، عَدْلٌ فِي  
 قَضَاؤِكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ  
 خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رِيْعَ قَلْبِي، وَثُورَ صَدْرِي،

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢١).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٢).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٧٢٥).

(٤) أخرجه مسلم برقم (٢٧١٦).

(٥) أخرجه مسلم برقم (٤٨٦).

(٦) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣).

(٧) أخرجه مسلم برقم (٢٦٩٧).

(٨) صحيح / أخرجه أبو داود برقم (١٤٢٥)، وهذا لفظه، وأخرجه الترمذي برقم (٤٦٤).

وَجَلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي» أخرجه أحمد<sup>(١)</sup>.

- «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» أخرجه أحمد والترمذي<sup>(٢)</sup>.
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي وَمِنْ شَرِّ مَنِّي» أخرجه الترمذي والنسائي<sup>(٣)</sup>.
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَالْجُدَامِ وَمِنْ سَيِّئِ الْأَسْقَامِ» أخرجه أبو داود والنسائي<sup>(٤)</sup>.

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ» أخرجه الترمذي<sup>(٥)</sup>.
- «رَبِّ أَعْنِي وَلَا تَعْنُ عَلَيَّ، وَأَنْصُرْنِي وَلَا تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلَا تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَيَسِّرِ الْهُدَى لِي، وَأَنْصُرْنِي عَلَيَّ مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَكَارًا، لَكَ ذَكَارًا، لَكَ رَهَابًا، لَكَ مَطْوَعًا، لَكَ مُخْتَبَأًا، إِلَيْكَ أَوْاهًا مُنِيبًا.
- رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْأَلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي». أخرجه أبو داود والترمذي<sup>(٦)</sup>.

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلْتُكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَادَ بِهِ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ.

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِي خَيْرًا». أخرجه أحمد وابن ماجه<sup>(٧)</sup>.

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ

(١) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٤٣١٨)، انظر السلسلة الصحيحة رقم (١٩٩).

(٢) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (١٢١٠٧)، وأخرجه الترمذي برقم (٢١٤٠).

(٣) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٩٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٥٥).

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٩٣).

(٥) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٥٩١).

(٦) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥١٠)، وأخرجه الترمذي برقم (٣٥٥١)، وهذا لفظه.

(٧) صحيح/ أخرجه أحمد برقم (٢٥٥٣٣)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٤٦).

مُدْبِرًا، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لِدَيْغًا». أخرجه أبو داود والنسائي<sup>(١)</sup>.

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ» أخرجه أبو داود والنسائي<sup>(٢)</sup>.

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ بِأَنَّكَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ». أخرجه أبو داود والنسائي<sup>(٣)</sup>.

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ إِنِّي أَسْأَلُكَ». أخرجه أبو داود والنسائي<sup>(٤)</sup>.

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ». أخرجه الترمذي وابن ماجه<sup>(٥)</sup>.

• «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». أخرجه الترمذي وابن ماجه<sup>(٦)</sup>.

• «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْبَبْتَنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى.

وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَقْطَعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زِينًا بَرِيئَةً الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ». أخرجه النسائي<sup>(٧)</sup>.

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي». أخرجه أبو داود والنسائي<sup>(٨)</sup>.

• «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضَلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا

(١) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٥٢)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٣١).

(٢) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٥٤٤)، وهذا لفظه، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٠).

(٣) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٩٨٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠١)، وهذا لفظه.

(٤) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (١٤٩٥)، وأخرجه النسائي برقم (١٣٠٠)، وهذا لفظه.

(٥) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٧٥)، وهذا لفظه، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٧).

(٦) صحيح/ أخرجه الترمذي برقم (٣٤٣٤)، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨١٤)، وهذا لفظه.

(٧) صحيح/ أخرجه النسائي برقم (١٣٠٥).

(٨) صحيح/ أخرجه أبو داود برقم (٥٠٧٤)، وأخرجه النسائي برقم (٥٥٢٩)، وهذا لفظه.

مُقَرَّبَ لِمَا بَاعَدْتَ ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ ، اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتِكَ وَفَضْلِكَ وَرِزْقِكَ .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ يَوْمَ الْعَيْلَةِ ، وَالْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَائِدُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا وَشَرِّ مَا مَنَعْتَ .

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ ، وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا ، وَكْرَهُ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ ، اللَّهُمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ، وَأَحِينَا مُسْلِمِينَ ، وَالْحَقْنَ بِالصَّالِحِينَ ، غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ .

اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ رُسُلَكَ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ ، اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكُفْرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَهَ الْحَقِّ .<sup>(١)</sup> أخرجه أحمد والبخاري في الأدب المفرد<sup>(٢)</sup> .

• «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي» . أخرجه أحمد وابن ماجه<sup>(٣)</sup> .

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّحِيجُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ» أخرجه أبو داود والنسائي<sup>(٤)</sup> .

• «اللَّهُمَّ مَتَّعْنِي بِسَمْعِي وَبَصْرِي ، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي ، وَأَنْصُرْنِي عَلَى مَنْ يَظْلِمُنِي ، وَخُذْ مِنْهُ بِئَارِي» . أخرجه الترمذي<sup>(٥)</sup> .

• «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ ، وَغَلَبَةِ العَدُوِّ ، وَشِمَاتَةِ الأَعْدَاءِ» . أخرجه أحمد والنسائي<sup>(٦)</sup> .

• «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ ، وَمَنْ طَاعَتِكَ مَا تَبَلَّغْنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمَنْ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا ، وَمَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا ، وَأَبْصَارِنَا ، وَقُوَّتِنَا ، مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا ، وَأَنْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا ، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا» . أخرجه الترمذي<sup>(٦)</sup> .

(١) صحيح / أخرجه أحمد برقم (١٥٥٧٣) ، وهذا لفظه ، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٢٠) .

(٢) صحيح / أخرجه أحمد برقم (٢٥٨٩٨) ، وأخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٥٠) .

(٣) حسن / أخرجه أبو داود برقم (١٥٤٧) ، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٦٨) .

(٤) حسن / أخرجه الترمذي برقم (٣٦٠٤) .

(٥) حسن / أخرجه أحمد برقم (٦٦١٨) ، وأخرجه النسائي برقم (٥٤٧٥) ، وهذا لفظه .

(٦) حسن / أخرجه الترمذي برقم (٣٥٠٢) .



### ٣- دعاء الله بأسمائه الحسنی بما يوافق القرآن والسنة

- الحمد لله الأول قبل كل شيء ، الآخر بعد كل شيء ، الظاهر فوق كل شيء ، الباطن دون كل شيء .
- الحمد لله الأول بلا أول كان قبله ، الآخر بلا آخر يكون بعده .
- الحمد لله الذي ابتدع الخلق بقدرته ابتداءً ، وجعلهم في قبضته أحياءً وأمواتاً ، وجعل لكل روح منهم قوتاً معلوماً ، ورزقاً مقسوماً ، ثم ضرب له في الحياة أجلاً محدوداً ، ونصب له أمداً معلوماً يخطو إليه بأيام عمره ، حتى إذا بلغ أقصى أثره ، واستوعب حساب عمره ، قبضه إليه ، ثم ساقه إلى ما ندبه إليه من عظيم ثوابه ، أو شديد عقابه ، عدلاً منه وإحساناً: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم / ٣١] .
- والحمد لله الذي عرفنا بنفسه وأسمائه وصفاته وآلائه ، وفتح لنا أبواب العلم بربوبيته وألوهيته ، وأعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته ، وهدانا إلى الإخلاص له في توحيده ، وعصمنا من الإلحاد والشك في أمره .
- والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخلق ، وأجرى علينا طيبات الرزق ، وسخر لنا ما في السموات والأرض ، فكلُّ المخلوقات منقادَةٌ لنا بقدرته ، وصائرة إلى طاعتنا بجزته .
- والحمد لله الذي أغلق عنا باب الحاجة إلا إليه ، وركب فينا أعضاء البسط والقبض ، وخلق فينا جوارح الأعمال ، وغدانا بطيبات الرزق ، ثم أمرنا ونهانا ليختبر طاعتنا ، وابتلانا بالسراء والضراء ليختبر صبرنا وشكرنا ، ثم خالفنا أمره ، وركبنا متون زجره ، فلم يعاجلنا بعقوبته ، بل أكرمنا بوسع رحمته ، وشملنا بحلمه وعفوه ، وانتظر توبتنا ورجعتنا إليه برأفته .
- والحمد لله الذي فتح لنا أبواب فضله ، وفتح لنا أبواب رحمته ، وفتح لنا أبواب جنته .
- والحمد لله الذي هدانا إلى الإسلام ، وأرسل إلينا سيد الأنام ، ووضع عنا ما لا طاقة لنا به ، ولم يكلف أنفسنا إلا وسعها .
- والحمد لله بكل ما حمده به خلقه ، وأقرب ملائكته إليه ، وأكرم خليقته عليه ، وأرضى حامديه لديه ، حمداً يفضّل سائر الحمد .
- والحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافي مزيده ، عدد ما أحاط به علمه ، حمداً لا ينتهي

- لحدّه ، ولا حساب لعدده ، ولا بلوغ لغايته ، ولا انقطاع لأمدّه .
- والحمد لله الذي منّ علينا ببعثته محمد ﷺ دون الأمم الماضية ، فأدّى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .
  - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض ، وأمسكهما بقدرته ، ورفع السماء بقوته ، ودحا الأرض بمشيئته ، وملاً الكون برحمته .
  - والحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته ، وميّز بينهما بقدرته ، وجعل لكل واحدٍ منهما حداً محدوداً ، وأمداً ممدوداً ، ونفعاً معلوماً .
  - والحمد لله عدد ما خلقت في الأرض والسماء ، وعدد ما علا في الهواء ، وعدد ما كنّ تحت الثرى ، ليس لنا من الأمر إلا ما قضيت ، ولا من الخير إلا ما أعطيت .
  - اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً ، وأشهد ملائكتك وحملة عرشك ، وجميع سكان أرضك وسماواتك ، وكل ذرة في ملكك ، أنني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك .
  - اللهم يا من لا تنقضي عجائب عظمته ، ولا تنفنى خزائن رحمته ، ولا تنتهي مدة ملكه ، صلّ وسلم على محمد وآل محمد ، وأصحاب محمد ، وأتباع محمد ﷺ .
  - اللهم يا ربي من لي إله غيرك أسأله كشف ضري ، والنظر في أمري ، وقبول توبتي ، وستر زلتي .
  - اللهم يا ربي ويا مولاي أجريت علي حكماً أتبعته فيه هوى نفسي ، وغرني فيه عدوي ، فتجاوزت حدودك ، وخالفت أمرك ، فلك الحجة علي ، ولا حجة لي عليك ، وقد وقفت ببابك نادماً ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، إنك أنت الغفور الرحيم .
  - اللهم يا من بدأ خلقي ، وساق إلي رزقي ، وشق سمعي وبصري ، ارحم ضعف بدني ، وشدة فاقتي ، يا أرحم الراحمين .
  - اللهم يا عزيز يا رحيم ارحم ذلي بين يديك ، وتضرعي إليك ، وشدة حاجتي إليك ، وانكساري بين يديك .
  - اللهم يا كريم يا رحمن ارحم وجوهاً خرت لعظمتك ساجدة ، وألسنة نطقت بتوحيدك وذكرك ، ولهجت بحمدك وشكرك ، وقلوباً ذلت لعز ربوبيتك وألوهيتك خاشعة ، وعقولاً

تصاغرت لكبريائك خائفة ، وعيوناً من خشيتك باكية ، وجوارحاً سعت إلى أماكن عبادتك طاعة ، يا واسع الرحمة ، يا سريع الرضا .

• اللهم يا مالك الملك العظيم ، نحن عبادك الضعفاء ، نسألك ألا تحرق أبداننا بنار السموم ، ولا تسلط نار جهنم على وجوهنا ، يا رب العالمين ، يا راحم المساكين ، يا أرحم الراحمين .  
• اللهم ربنا أعتق رقابنا من نار جهنم فإنه لا طاقة لنا بها ، ولا قوة لنا على تحمل سعيها ، ولا صبر لنا على شدة لهيبها ، ولا طاقة لنا بتحمل ضرب زبانتها ، يا أرحم الراحمين .  
• اللهم إنا نسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء ، وبعزتك التي لا يقوم لها شيء ، وبِعِظْمَتِكَ التي ذل لها كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء أن تنصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين .

• اللهم أعزنا بعزك الذي لا يضام ، واحفظنا بعينك التي لا تنام ، إنك أنت الكبير المتعال .  
• اللهم أنت المنانُ بالجزيل ، الغافرُ للعظيم ، الشاكرُ للقليل ، الجابرُ للكسير ، ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

• اللهم يا مَنْ تُحَلُّ به عُقْدُ المكاره ، ولا يستغاث إلا به عند الشدائد ، يا كاشف كل كرب ، يا من ذكَّتْ لقدرته الصعاب ، وخضعت لجبروته الشدائد الصلاب ، واستجابت لمشيئته جميع المخلوقات ، وأسرت إلى إرادته جميع الكائنات .

• لا إله إلا أنت ، أنت المَفْرُغُ في الملمات ، وأنت المدعو للمهمات ، لا يندفع منها إلا ما دَفَعْتَ ، ولا ينكشف منها إلا ما كَشَفْتَ ، اكشف ما بنا من الضر والبلاء ، يا أرحم الراحمين .  
• لا إله إلا أنت ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مقدم لما أخرت ، ولا مؤخر لما قدمت ، ولا فاتح لما أغلقت ، ولا مغلق لما فتحت ، ولا مسير لما عسرت ، ولا ناصر لمن خذلت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا قابض لما بسطت .

• اللهم إني أعوذ بك من شدة الحرص ، وسورة الغضب ، وغلبة الحسد ، وقلة الصبر ، وسوء الخلق ، ومخالفة الهدى ، ومتابعة الهوى ، وحرمان الثواب ، وحلول العقاب .

• اللهم إنا نعوذ بك من سوء السريرة ، واحتقار الصغيرة ، ومقارفة الكبيرة ، ومن معيشة في شدة ، وميتة على غير عُدَّة .

• اللهم لا حول لنا ولا قوة إلا بك ، اهدنا لما يرضيك عنا ، ووفقنا لما تحبه وترضاه من موجبات ثوابك ، حتى لا تفوتنا حسنة نستحق بها ثوابك ، ولا تبقى لنا سيئة نستوجب بها عقابك .

- اللهم لك الخلق كله والأمر كله ، إن عفوتَ عنا بفضلك ، وإن عذبتنا فبعدلك ، ولا نجاة لأحد منا إلا بعفوك ، فاعف عنا وَاغفر لنا يا خير الغافرين .
- يا أغني الأغنياء ، نحن عبيدك أفقر الفقراء إليك فاجبر فافتنا من فضلك ، ولا تقطع عنا بذنوبنا رزقك .
- اللهم ارحم تضرُّعنا إليك ، وانظر إلى ذلنا بين يديك ، يا عزيزَ الملكِ والسلطانِ أغننا إذ طَرَحْنَا أنفسنا بين يديك ، فإنك رحيم بمن دعاكَ ، ومستجيبٌ لمن ناداك .
- اللهم يا من طاعته نجاة للمطيعين ، وذِكْرُه شرفٌ للذاكرين ، أشْغَلْ قلوبنا بذكرك عن كل ذكر ، وأشْغَلْ ألسنتنا بشكرك عن كل شكر ، واستعمل جوارحنا بطاعتك عن كل طاعة .
- إلهي ومولاي أنا عبدك الذليلُ الواقفُ بباب عزك فلا تطردني من جنابك ، فإن طردتني فلا حول لي ولا قوة إلا بك .
- سبحانك ما أرحمك ، لا أياسُ منك وقد فتحت لي أبوابَ التوبةِ إليك ، وغفرت لي ما يسوؤني بين يديك ؛ لأنك أنت الرؤوف الرحيم .
- اللهم ارحم عبدك الذي تلقاك بالإنابة ، وأخلص لك التوبة ، وطأطأ رأسه لعظمتك ، وخشع قلبه لجلالك ، وذرفت عيونُه من خشيتك .
- يا من رحمته وسعت كل شيء ، ومغفرته أوسع من عقوبته ، وعفوهُ أكثرُ من نقمته ، ورضاه أوفرُ من سخطه ، وإحسانه أعظمُ من عدله .
- يا عظيمَ الصّبح ، يا جزيلاً العطاء ، يا حسنَ التجاوز ، يا فعلاً لما تشاء ، يا سريعَ الرضا ، يا باسطَ اليدين بالعطاء .
- اللهم يا من خزائنه ملأى بكل شيء ، يا من عنده نيلُ الطلبات ، يا من له ملك الأرض والسموات ، ويا من لا يبيعُ نعمه بالأثمان ، ولا يكدرُ عطاياه بالامتنان .
- ويا من يُستغنى به ولا يُستغنى عنه ، ويُرغَبُ إليه ولا يُرغَبُ عنه ، يا من لا تُفني خزائنه المسائل ، نسألك الفوز بالجنة ، والنجاة من النار ، يا عزيز يا غفار .
- اللهم إن تعذبني فبعدلك وأنا لذلك أهل ، وإن تعف عني بفضلك وأنت لذلك أهل ، فأنت أهل التقوى وأهل المغفرة .
- اللهم اني أسألك بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العلى ، ما علمتُ منها وما لم أعلم ، وما أظهرته منها وما أخفيته ، أن ترحم هذا المخلوقَ الجزوع ، وهذا الإنسانَ الهلوع ، وهذا المملوك

الضعيف ، وهذا العبد الفقير ، فإنه لا يستطيع حرَّ شمسك فكيف يطيق حرَّ نارك ، ولا يستطيع احتمال صوت رعدك فكيف يستطيع سماع صوت غضبك ، وهبهُ صبرَ على بلائك وعذابك فكيف يصبر على فراقك ، فارحمه يا أرحم الراحمين .

• اللهم أنت ربي الغني وأنا عبدك الفقير ، وعذابي لا يزيد في ملكك مثقال ذرة ، أنت ذو الملك والملكوت ، وذو العزة والجبروت ، وذو الجلال والإكرام ، لا تزيد في ملكك طاعة الطائعين ، ولا تنقصه معصية العاصين ، فاغفر لنا وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

• اللهم لك الحمد كله ، ومنك الفضل كله ، وإليك يرجع الأمر كله ، وبيدك الأمر كله . فأهل أنت أن تُحمد ، وأهل أنت أن تُعبد ، وأنت الربُّ الرؤوف الرحيم .

لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً ، ملء السموات ، وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما فوقهما ، وملء ما شئت من شيء بعد .

لك الحمد الذي لا نهاية لعدده ، ولا انقطاع لأمده ، على عظمتك وعظمة أسمائك وصفاتك ، وعظيم إحسانك ، وجزيل عطائك .

• إلهي خلقتني في أحسن تقويم ، وهديتني إلى الصراط المستقيم ، وابتدأتني بالإحسان ، ووفرت حظي من كل خير ، وصرفت عني كل شر ، وأفررت عيني بما يسرنني .

• إلهي أنت الذي هديتني ، وأنت الذي رزقتني ، وأنت الذي أجبت عند الاضطرار دعوتي ، وأنت الذي سترت زلتني ، ودفعت عني ما يضرني .

• إلهي أستغفرك وأتوب إليك ، وأسألك أن تعفو عني وتغفر لي ، فلست بريئاً فأعذر ، ولا قوياً فأنتصر ، ولا مفرّ لي فأفرّ ، لا ملجأ ولا منجالي منك إلا إليك .

• إلهي أستقبلك عثراتي ، وأعذر إليك من هفواتي ، وأفرّ إليك من ذنوبي التي أوبقتني ، وسيئاتي التي أحاطت بي فأهلكتنني ، فاغفر لي وارحمني وتب عليّ .

• إلهي جئتكَ مستجيراً فلا تخذلني ، وسائلاً فلا تحرمني ، ومعتصماً فلا تُسلمني ، وداعياً فلا تردني ، يا أكرم الأكرمين .

• إلهي ومولاي أنا عبدك الضعيفُ العاجزُ الفقيرُ المحتاج ، أسألك أن تغنيني بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عن سواك .

• إلهي أشكو إليك ضعفَ نفسي عن المسارعة إلى الخيرات ، وجراتها على الموبقات ، فإن تعذبني فأنا الظالم المفرط ، وإن تغفر لي فأنت أرحم الراحمين .

- إلهي أنت الذي تسمع من شكائك إليك ، وتنصر من توكل عليك ، وتخلص من الشدة من اعتمس بك ، وتفرج كربته من لاذبك ، وتجيب دعاء من دعائك .
- إلهي أنت الملك الحق القادر على كل شيء ، العليم بكل شيء ، الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .
- إلهي كيف يخفى عليك ما أنت خلقتة ، وكيف يغيب عنك ما أنت تدبره ، وكيف لا تُحصي ما أنت صنعته ، وكيف يهرب منك من لا حياة له إلا برزقك ، وكيف ينجو منك من لا مذهب له في غير ملكك ، سبحانك لا إله إلا أنت الواحد الأحد المحيط بكل أحد .
- لا إله إلا أنت سبحانك ، أخشى خلقك لك أعلمهم بك ، وأخضعهم لك أحسنهم طاعة لك ، وأهونهم عليك من أنت ترزقه وهو يعبد غيرك .
- سبحانك ما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانك ، وما أوسع حلمك . لا ينقص سلطانك من أشرك بك وكذب رسلك ، ولا يستطيع من كره قضاءك أن يرد أمرك ، ولا يفوتك من عبد غيرك ، ولا يعمر في الدنيا من كره لقاءك ، والكل صائر إليك ، وموقوف بين يديك ، لا إله إلا أنت ، آمنت بك ، وكفرت بكل معبود سواك .
- إلهي ومولاي أنا عبدك المقر بذنبي ، هذه يدي المذنبه مرفوعة إليك ، وهذه ناصيتي الخاطئة بين يديك ، وأنت الرب الرؤوف الرحيم ، أفلني عثرتي ، وزلة قدمي ، وارحم شيبتي وضعفي ومسكتي ، وقلة حيلتي ، ونفاذ أيامي ، واقتراب أجلي .
- مولاي وارحمني إذا خرّجت روعي من بدني ، وانقطع من الدنيا أثري ، ونسي الأحياء ذكري ، وتغيرت حالي وصورتي .
- اللهم فارح الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطر ، أسالك سؤال من اشتدت فاقته ، وعظمت كربته ، وضعفت قوته ، وكثرت ذنوبه ، أن ترزقني يقيناً ينفع من استيقن به ، وعملاً تحب من عبدك به ، وخلقاً ترحم من اتصف به .
- اللهم إنني أسألك خشية العالمين بك ، وخوف العابدين لك ، وعبادة الخاشعين لك ، ويقين المتوكلين عليك .
- سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .
- سبحانك العزُّ إزارك ، والكبرياء رداؤك ، والخلق خلقك ، والأمر أمرك ، والملك ملكك .
- سبحان الله وبحمده ، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته .

- سبحانَ العلي الأعلى الذي يسمعُ ويرى ما تحت الثرى ، الشاهدُ لكل نجوى ، العليمُ بكل شكوى ، الكاشف كل بلوى .
- الحمد لله الذي تجلَّى للقلوب بالعظمة ، واحتجبَ عن الأبصار بالعزة ، واقتدرَ على الأشياء بالقدرة ، وعلا فوق كل شيء بالكبرياء .
- أنت الرب الذي تَمَجَّد بالعظمة والجلال ، وملك بالعز والكبرياء ، وتَقَدَّس بالحُسْن والجمال ، وتعالى بالمجد والإحسان .
- الحمد لله الأول قبل كل شيء ، والآخر بعد فناء كل شيء ، العليم الذي لا ينسى مَنْ ذَكَرَهُ ، الكريم الذي لا يُنْقِص مَنْ شَكَرَهُ ، ولا يَحْيِب من دعاه ، ولا يقطع رجاء من رَجاه ، أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك .
- اللهم ثَبِّتْ قلبي على دينك ما أحببته ، ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني ، وهبْ لي من لدنك رحمةً إنك أنت الكريم الوهاب .
- بسم الله الرحمن الرحيم الذي لا أرجو إلا فضله ، ولا أخشى إلا عدله ، ولا أتمسك إلا بحبله ، ولا أتوكل إلا عليه ، ولا أطمئن إلا إليه .
- اللهم إني أعوذُ بك رب من همزاتِ الشياطين ، وأحترزُ بسطانك من جَوْرِ السلاطين .
- اللهم إني أسألكَ يا مَنْ يملك الحاجات كلها وهي مستجيبة لمشيئته ، ومسرعة إلى إرادته ، ومناقدة لأمره ، أن تجعل لي من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيقٍ مخرجاً ، ومن كل بلاءٍ عافية ، وأن تغفر لي وترحمني ، يا مَنْ هو الإلهُ ، ولا يغفر الذنوب سواه .
- الحمد لله رب العالمين ، وأعوذُ به من شر نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم .
- وأعوذ بالله من الشيطانِ الرجيم ، وأعتصمُ بالله من كل شيطانٍ مارِدٍ ، ومن كل جبارٍ فاجر ، ومن كل سلطانٍ قاهر ، ومن كل عدوٍ ظالم .
- اللهم اجعلني من جنديك ، فإن جنديك هم الغالبون ، واجعلني من حزبك ، فإن حزبك هم المفلحون ، واجعلني من أوليائك ، فإن أوليائك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .
- اللهم أصلح لي ديني فإنه عصمةٌ أمري ، وأصلح لي آخرتي فإنها دار مقرِّي ، وإليك وإليها من مجاورة اللثام مقرِّي .
- الحمد لله ربِّ السموات والأرض ، الحمد لله خالق السموات والأرض .

• بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله خير الأسماء ، بسم الله رب الأرض والسماء ، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء ، أستدفعُ كلَّ مكروه أوله سخطك ، وأستجلبُ كلَّ محبوب أوله رضاك .

• اللهم لك الحمد حمداً كثيراً لا ينقطعُ أبداً ، ولا يحصي له الخلائق في العالم عدداً .

• اللهم يا رؤوفاً بالعباد اجعل قوتي في طاعتك ، ونشاطي في عبادتك ، ورغبتني في ثوابك ، وزهدي فيما يوجبُ لي أليم عقابك .

• اللهم يا أكرم الأكرمين أسألك توحيداً خالصاً ، ويقيناً صادقاً ، وسلاماً أقوى بها على طاعتك ، وعبادةً أستحق بها جزيلَ ثبوتك ، وسعةً في الحال من الرزق الحلال ، ولساناً على الدوام لك ذاكراً ، وبدناً على البلاء صابراً .

• اللهم يا واهب الفضل العظيم ، ويا جابر العظم الكسير ، ويا غافر الذنب الكبير ، أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ، وأن تغفر لي ذنوبي ، وتستر عيوبي ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم يا كاشف الضر ، يا مجيب دعوة المضطر ، يا عظيم البر ، يا واسع المغفرة ، يا جميل السّتر ، يا كريم الصّبح ، يا حسن التجاوز ، لا ملجأ لي منك إلا إليك ، فارحمني يا أرحم الراحمين .

• إلهي بيّض وجوهنا يوم تبيّض وجوه وتسود وجوه ، ولا تسود وجوهنا خرت لعظمتك ساجدةً ، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

• اللهم ارحم قلوباً انطوت على محبتك ، وألسنةً نطقت بذكرك وحمدك ، والثناء عليك ، وأذاناً تلذذت بسماع ذكرك وكتابك ، وأكفأ رفعت رجاء رحمتك ، وأرجلاً سعت مجاهدةً في سبيلك ، وأبداناً عملت بطاعتك ابتغاء مرضاتك .

• اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ، ويسر لنا سبل رضاك ، ولا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى وجهك الكريم .

• إلهي ومولاي مَنْ الذي نزل بك ملتماً قراك فما قرّيته ، ومن الذي أناخ ببابك راجياً فضلك فما أوّليته ، أنت الملك العزيز الكريم الرحيم .

• إلهي يا من بيده الخير كله ، وإليه يُرجع الأمر كله ، لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، أسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار ، يا أرحم الراحمين .

• إلهي ومولاي ، يا خير مرجو ، ويا أكرم مدعو ، يا من أبه مفتوحٌ لداعيه ، وحجابُه مرفوعٌ



لراجيه ، يا مجيبَ السائلين ، ويا أكرم المعطين ، أخلص لي توحيدك ، واجعلني من صفوة عبيدك ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي إن كان قلَّ زادي في المسير إليك فلقد حَسُنَ ظني بالتوكل عليك ، وإن كان ذنبي قد عَرَّضني لعقابك فقد آمنني حُسُنَ ثقتي بثوابك .

• أسألك بأسمائك الحسنى ، وبأنوار قُدسك ، وبِلطائفِ برك ، أن ترضى عني ، ولا تشوي وجهي بالنار يا أرحم الراحمين .

• اللهم يارب ما بدأت به من فضلك عليَّ فَتَمَّمْهُ ، وما وهبت لي من كرمك فلا تَسْلُبْهُ ، وما عَلِمْتَهُ من قبيح فعلي فاغفره ، وما سترته عليَّ بحلمك فلا تَهْتِكْهُ ، يا ولي الإنعام ، يا معروفاً بالإحسان ، لا إله إلا أنت .

• إلهي يا مَنْ عَمَّ إِحْسَانُهُ جَمِيعَ خَلْقِهِ وَجَهَّتْ إِلَيْكَ وَجْهِي ، ورفعتُ إليك يدي ، طامعاً في إحسانك ، راغباً في غفرانك ، طالباً لمرضاتك ، خاشعاً لعظمتك ، مريداً لوجهك ، طارقاً لبابك ، فافعل بي ما أنت أهله من المغفرة والرحمة ، ولا تفعل بي ما أنا أهله من العذاب والنقمة ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي يا سايعَ النعم ، يا دافعَ النقم ، لا إله إلا أنت ، لا أحصي ثناءً عليك ، خَلَقْتَ فَسَوَّيْتَ ، وصورْتَ فأحسنْتَ ، وأنعمتَ وأعطيتَ ، وهديتَ وأكرمتَ ، وأنت الرؤوف الرحيم البرُّ الكريم ، بساحتك تُحَطُّ رحالَ الراجين ، يا من لا يخيبُ قاصديه ، ولا يطرد عن بابه مؤمليه ، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء .

• يارب تصاغر عندَ عظيمِ نعمك عليَّ شكري ، وتضاءلَ أمامَ إكرامك إياي ثنائي .

أنت الذي هديتني للإسلام ، وعلمتني السنة والقرآن ، وأحطتني بلطائف برك ، وجميل إحسانك ، جَلَلْتَنِي بنعمة الإيمان ، وَقَلَّدْتَنِي قلائدَ الإنعام ، وطوّقتني بأطواق المعروف والإحسان .

فلك الحمد حمداً كثيراً يوافي نعمك ، ويكافئُ مزيدك ، على عظيم جلالك ، وجزيل عطائك ، وسبوغ نعمائك ، وحُسُنِ بلائك ، حمداً يوافق رضاك ، ويجلب لي العظيم من برك وتقواك ورضاك .

• اللهم حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزينهُ في قلوبنا ، وكرِهْ إلينا الكفرَ والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، وألهمنا طاعتك ، وجنبنا معصيتك ، وأذقنا حلاوة حبك وقربك ، واجعلنا من المصطفين الأخيار ، وألحقنا بالصالحين الأبرار ، المسارعين إلى الخيرات ، العاملين بالباقيات

الصالحات ، إنك على كل شيء قدير .

• سبحانك ما أعز سلطانك ، وما أعظم إحسانك ، وما أوسع غفرانك .  
• سبحانك ما أظلم الطرق على مَنْ لم تكن دليله ، وما أوضح الحق عند من هديته سبيله ،  
أسألك أن تدلني على ما يرضيك عني ، وأن تغفر زلتي وتقبل توبتي ، إنك أنت التواب الرحيم .  
• اللهم اجعلنا ممن اصطفيته بقُربك ، وأخلصته لمحبتك ، وكتبته من أوليائك ، وخصَّصته بمعرفتك ،  
ووهبت له من علمك ، وأهلَّته لعبادتك ، واجتبيته لمشاهدتك ، وفرَّغْتَ فؤاده لحبك ، وشغَلْتَ  
جوارحه بطاعتك ، وأوزعته دوام شكرك ، وحفظته من معصيتك ، وقطعت عنه كل شيء يشغله عنك ،  
إنك أنت العزيز الكريم .

• اللهم اجعلنا من أولي الألباب ، المقربين الأخيار ، الذين جباههم ساجدة لعظمتك ،  
وعيونهم ساهرة في عبادتك ، وقلوبهم ممتلئة بمحبتك ، وأفئدتهم وَّجِلَّةٌ من مهابتك ،  
ودموعهم سائلة من خشيتك .

• اللهم اجعل حبي لك قائداً لي إلى رضوانك ، وشوقي إليك مانعاً لي من عصيانك ، وامننْ  
عليّ بالنظر إلى وجهك الكريم ، يا ذا الجلال والإكرام .

• اللهم يا من لا يفد الوافدون على أكرم منه ، ولا يجد القاصدون أرحم منه .

يا خير من خلا به العبيد ، يا أرحم من آوى إليه طريد ، إلى سعة عفوك مددتُ يدي ، وإلى  
عظيم كرمك نصبتُ ناصيتي ، فأعطني ولا تحرمني ، وأكرمني ولا تهني ، يا أرحم الراحمين .  
• إلهي يا ولي الصالحين ، ويا أمان الخائفين ، ويا مجيب دعوة المضطرين ، ويا غياث  
المستغيثين ، ويا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين .

أنا عبدك الذليل ، ذو اللسان الكليل ، والعمل القليل ، واقف بباب كرمك ، طارق لباب  
رحمتك ، متعرِّض لنفحات برِّك ، معتصم بحبلك الشديد ، امنن عليّ بطَوْلِكَ الجزيل ،  
ورضوانك الجميل ، يا كريم يا جميل ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، وجزيل إحسانك .

• سبحانك قَصْرَتِ الألسن عن الثناء عليك بما يليق بجلالك ، وعجزت العقول عن إدراك  
كُنْه جمالك ، وانحسرت الأبصار دون النظر الى سُبحات وجهك ، وخشعت جميع الخلائق  
لهيبتك ، وذَلَّ الأقوياء لقوتك ، وسبَّحت جميع الكائنات بحمدك ، اجعلنا من أخص عارفيك ،  
وأصلح عابديك ، وأصدق طائعيك ، يا أرحم الراحمين .

- إلهي ومولاي أنت الرحمن الرحيم ، الملك العظيم ، الكريم الحليم ، السميع البصير ، القوي القادر ، الغني الشاكر .
- لا تظمئنُ القلوبُ إلا بذكرك ، ولا تأتي النعم إلا من بابك ، ولا تندفع المكاره إلا بأمرك ، ولا تزولُ المحن إلا بإذنك .
- إلهي أنت المدعو بكل لسان ، وأنت المعظم في كل جنان ، وأنت المسبح في كل مكان ، وأنت المعبود في كل زمان ، أعتذر إليك من كل كلمة بغير ذكرك ، وأستغفرك من كل لذة بغير طاعتك ، ومن كل راحة في غير عبادتك .
- إلهي بقدرتك عليّ تبّ عليّ ، وبحلمك عليّ اعف عني ، وبعلمك بضغفي ارفق بي ، يا ولي المؤمنين أنت ربي ومولاي فاغفر لي .
- إلهي هل يرجع العبد الأبق إلا إلى مولاه ، وهل يجيره من سخطه أحد سواه ، أنت الكريم الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سمّيته باب التوبة ، فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم .
- إلهي إن قبّح الذنب من عبدك فليحسُن العفو من عندك ، يا كاشف الضر ، ويا مجيب المضطر ، لست بأول من عصاك فتبت عليه ، وتعرّض بمعروفك فجدت عليه ، يا عظيم البر ، يا جميل الستر ، يا واسع المغفرة .
- اللهم لك الحمد على ما أكرمتني به من سلامة بدني ، ولك الحمد على ما أصابني من علة في جسدي .
- إلهي ما أدري أي الحالين أحق بالشكر لك ، أو وقت الصحة التي هنأنتني فيها بطيبات رزقك ، وقوّيتني فيها على ما وفقنتني له من طاعتك ، وأعتنتني بها على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، أم وقت العلة التي محصّنتني بها من الذنوب ، وطهرتني بها من السيئات ، ورَفَعْتَ لي بها الدرجات ، ونبّهتني بها إلى التوبة ، وذكّرتني بها النعمة .
- إلهي يا أنيس كل مستوحش ، يا فرج كل مكروب ، يا عضد كل محتاج .
- أنت الذي وسّعت كل شيء رحمة وعلماً ، وأنت الذي جعلت لكل مخلوق في نعمك سهماً ، وأنت الذي سبقت رحمته غضبه ، وأنت الذي عطاؤه أكثر من منعه .
- إلهي لا تعرض عني وقد أقبلت عليك ، ولا تحرمني وقد رغبت إليك ، ولا تخذلني وقد توكلت عليك .

- إلهي أنا عبدك الفقيرُ الذي فاض دمعُهُ من خيفتك ، وَوَجَل قلبه من خشيتك ، وانتفضت جوارحُه من هيبتك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .
- إلهي لك الحمد ، أنت الغفور الرحيم ، كم من عيب سترته عليّ فلم تفضحني ، وكم من ذنب غطّيته عليّ فلم تُشهرني ، اللهم وهذه رقبتني أرقّتها الذنوب فأعتقها ، وهذا ظهري قد أثقلته الخطايا فاغفرها ، برحمتك يا أرحم الراحمين .
- اللهم ارحم شدة مسكتي ، وذل افتقاري ، وطول تضرعي ، وضعف قوتي ، وقلة حيلتي .
- اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .
- اللهم إنا نعوذ بك من نَزغات الشيطان الرجيم ، ونعوذ بك من اتباع خطواته ، وكيدته ومكائده ، ومصائده ومواعيده ، وغروره وأمانيه .
- اللهم اجعل بيننا وبين الشيطان سترًا لا يهتكه ، وبابًا لا يفتحه ، وأشغله عنا بأعدائك ، واكفنا شره ، واسلك بنا من التقوى خلاف سبيله من الردى .
- اللهم لا تجعل للشيطان في قلوبنا مدخلًا ، ولا تسكنه فيما بيننا منزلاً .
- اللهم أشرب قلوبنا إنكارَ عمله ، وحوّل سلطانه عنا ، واقطع رجاءه منا .
- اللهم اهزم جنده ، وأبطل كيدته ، اللهم إنا نستعين بك عليه ، حتى لا نطيع له أمرًا إذا استهوانا ، ولا نستجيب له إذا دعانا ، أنت المستعان ، وعليك التكلان ، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك .
- اللهم افتح لنا بركات السموات والأرض ، وأسقنا غيثًا نافعًا ، تحيي به ما قد مات ، وتردّ به ما قد فات ، وتُخرج به ما هو آت ، وتُثبت لنا به الزرع ، وتُدّرّ به الضرع ، وتكملّ لنا به طيبات الرزق ، إنك على كل شيء قدير .
- اللهم هب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ، وزودنا من الإيمان ، ووفقنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .
- اللهم استعمل ألسنتنا بذكرك ، وجوارحنا بطاعتك ، وأوقاتنا بحسن عبادتك ، وأموالنا فيما يرضيك عنا ، إنك جواد كريم .
- اللهم هب لنا معالي الأخلاق ، ولا تجعل أعمارنا مرتعًا للشيطان ، ولا تدع خصلة تُعاب منا إلا أصلحتها ، إنك أنت العزيز الكريم .

• اللهم وفقني لِحُسْنِ السيرة ، والسَّبْقِ إِلَى الفِضيلة ، وشكر الحسنة ، والعفو عن السيئة ، والصبر الجميل ، والإعراض عن السفية ، وكظم الغيظ ، وحسن الصفح ، وأكمل ذلك بدوام الطاعة ، ولزوم الجماعة ، والعمل بالسنة ، ورَفْضِ البدعة ، مقروناً بالحكمة والرحمة ، يا خبيراً بضغفي وفقري وعجزي .

• اللهم صُنْ وجهي باليسار حتى لا أسأل أحداً سواك ، ولا أفتن بحمد مَنْ أعطاني من دونك وأنت وليُّ الإعطاء والمنع ، وارزقني صحةً أستعملها في طاعتك ، وعلماً أستعمله في عبادتك وأعلم به عبادك ، وما لا أنفقه في سبيلك .

• اللهم لا تَصْرَفْ عني وجهك الكريم ، ولا تمنعني فضلك العظيم ، ولا تطردني عن أبواب رحمتك ، ولا تحظر عليّ رزقك ، فلا إله لي غيرك ، ولا رب لي سواك ، ولا راحم لي إلا أنت . أنا عبدك الضعيف ، ناصيتي بيدك ، وبدني في قبضتك ، ماضٍ في حكمك ، عدلٌ في قضاؤك ، لا أمر لي مع أمرك ، ولا ملجأ ولا منجالي منك إلا إليك ، فارحمني يا أرحم الراحمين .

• اللهم خذ بنفسي إلى ما يرضيك عني ، واحجبها عما يسخطك علي ، واملاً قلبي بالإيمان ، حتى أعبدك كأنني أراك ، وأتقرب إليك بالطاعات شوقاً ، وأبتعد عن معاصيك فرقاً ، يا ذا الجلال والإكرام .

• اللهم إني أعوذ بك من شر الشيطان الرجيم ، ومن شر كل شيطان مريد ، ومن شر كل جبار عنيد ، ومن شر كل سلطان مستكبر ، ومن شر كل صغير وكبير ، ومن شر كل قريب وبعيد ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم .

• اللهم اغفر لي ولوالدي ، وارزقني برهما ، والإحسان إليهما ، واجعلني أهابهما هيئة السلطان العظيم ، وأبرهما بر الأم الرؤوف ، يا غفور يا رحيم يا رؤوف .

• اللهم يا مؤنس كل وحيد ، ويا صاحب كل فريد ، ويا مغني كل فقير ، ويا شافي كل مريض ، يا شاهداً غير غائب ، يا قريباً غير بعيد ، يا صريخ المستصرخين ، يا غياث المستغيثين ، يا ناصر المستنصرين .

• يا من أظهر الجميل ، وستر القبيح ، يا واسع الرحمة ، يا جزيل العطاء ، يا عظيم الصفح ، يا حسن التجاوز ، يا سريع الإجابة ، يا باسط اليدين بالرحمة .

• يا محيطاً بكل محيط ، يا عالم الخفيات ، يا من لا يؤاخذ بالجريرة ، ولا يهتك الستر ، يا سامع جميع الأصوات ، يا بصيراً بكل الذرات .

- يا إله الأولين والآخرين ، يا رب السموات والأراضين ، يا جابر الكسير ، ومطلق الأسير ، ومطعم المسكين .
- يا قاهراً كل قاهر ، يا عالماً بكل عالم ، يا قادراً على كل قادر ، يا مجيبَ كلِّ سائل ، يا كريمَ العطاء ، يا سريعَ الرضا .
- يا من لا تراه العيون ، ولا تخالطه الظنون ، ولا يصفه الواصفون ، ولا تغيّره الحوادث ، ولا يخشى الدوائر .
- يا من يعلم مثاقيل الجبال ، ومكاييل البحار ، وعدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد حبات الرمال ، وعدد ما أظلم عليه الليل ، وعدد ما أشرق عليه النهار .
- يا من لا تواري منه سماءُ سماءً ، ولا أرضُ أرضاً ، ولا جبلٌ ما في وعره ، ولا بحرٌ ما في قعره ، اجعل خير أعمالنا وأواخرها ، وخير أعمالنا وخواتمها ، وخير أيامنا يوم أن نلتقك فيه .
- اللهم فقهنا في الدين ، وارزقنا حقيقة التوحيد والإيمان ، واهدنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق ، واجعل جميع أعمالنا خالصة لوجهك الكريم ، وفق سنة نبيك الرؤوف الرحيم .
- اللهم رب العرش الكريم ، ورب الكرسي الواسع ، ورب النور العظيم ، ورب السقف المرفوع ، ورب البحر المسجور ، ورب الملائكة والروح ، ورب السموات والأرض ، ومُنزل القرآن العظيم والتوراة والإنجيل والزابور .
- أسألك بوجهك الكريم ، وباسمك الأعظم الذي أشرقت به السمواتُ والأرضُ أن تغفرَ لنا ما قدّمنا وما أخرنا ، وما أسررنا وما أعلنّا ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .
- سبحان ذي العزِّ والكبرياء ، سبحان ذي المجد والجبروت ، سبحان ذي الحِلم والطول ، سبحان ذي الجمال والجلال والإكرام .
- سبحان من يرى أثر النمل على الصفا ، ويسمع دبيب النملة السوداء ، على الصخرة الصّماء ، في الليلة الظلماء .
- يا من ليس غيره ربُّ يدعى ، وليس غيره إله يُخشى ، يا ذا الجلال والإكرام .
- يا من لا يزداد على كثرة الأسئلة إلا كراماً ، وعلى كثرة الذنوب إلا عفواً .
- أسألك أن تغفر لي ذنبي العظيم ، فإنه لا يغفر العظيم إلا العظيم ، ولا يعطي الكبير إلا الكبير ، يا قويُّ يا عزيز ، لا إله إلا أنت .

- اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، صل وسلم على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .
- سبحان من لا ينبغي التسبيحُ إلاَّ له ، سبحان من أحصى كل شيء عدداً ، سبحان من أحاط بكل شيء علماً ، سبحان من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء .
- اللهم أنزل علينا من بركاتك ، وأسبغ علينا نعمائك ، ووفقنا لسبيل الهدى والعفاف والغنى ، واستعملنا فيها بما تحب وترضى .
- اللهم يا شاهدَ كلِّ ملاء ، ويا عالمَ كلِّ خفيّة ، ويا سامعَ كلِّ نجوى ، ويا كاشفَ كلِّ بلوى ، اكشف عنا كلِّ بلاء ، ووفقنا لما تحب وترضى ، يا قريب يا مجيب .
- أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحدٌ صمدٌ ، لم يلد ، ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحدٌ صمدٌ ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه .
- اللهم يا ذا العزة والعظمة ، يا دائمَ السلطان والقدرة ، يا شديدَ البطش والقوة ، يا نافذَ الأمر والإرادة ، يا واسعَ الرحمة والمغفرة ، يا رب الدنيا والآخرة ، يا رب الناس ، يا ملكَ الناس ، يا إله الناس ، لك الحمد على كل حال .
- كم أنعمتَ عليَّ بالنعمة ، وكم دفعتَ عني من النقم ، كنتُ ضالاً فهديتني ، وعائلاً فأغنيتني ، وعارياً فكسوتني ، وجاهلاً فعلمتني ، ومعدوماً فأوجدتني .
- أحمدُك حمداً يبلغُ رضاك ، وأشكركُ شكراً يكافئُ مزيدك ، يا دائمَ المعروف والإحسان ، يا لطيف البر والإكرام .
- لا إله إلا أنت ، أنت الملك الحق الذي خلقت السموات السبع ، وملأتها ملائكةً تسبِّح بحمدك وتقُدِّسُك ، وتمجِّدُك وتعظِّمُك ، وتأتمر بأمرك .
- البسْتهم لباسَ التقوى ، وجعلتهم أقربَ خلقك إليك ، وأعظمَ معرفةً بجلالك وجمالك وعظمتك ، وأدومهم لك طاعة وعبادةً وخشوعاً ، فلك الحمد .
- اللهم افتح لنا أبوابَ رحمتك ، وأبوابَ نعمك ، وأبوابَ مغفرتك ، وأبوابَ رضاك ، وخزائنَ علمك ، وسبلَ معرفتك .
- اللهم طَهِّرْ قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من

الخيانة ، إنك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور .

• اللهم أنت المستعانُ في الأمور كُلِّها، والصاحبُ في الأحوال كُلِّها، والمنعمُ بالنعم كُلِّها، والواقِي من الشرور كُلِّها، لك الحمد على حسن قضائك، ولك الشكر على جزيل عطائك .  
• لا إله إلا اللهُ إلهاً واحداً ونحن له مسلمون ، لا إله إلا اللهُ ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

• لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

• اللهم يا كريمَ العفو، يا حَسَنَ التجاوز، يا عظيمَ المَنِّ ، يا منقذَ الغرقى ، يا منجِّي الهلكى ، يا عمادَ من لا عمادَ له ، يا سَنَدَ من لا سَنَدَ له ، يا غياثَ من لا غياثَ له ، ارحم ضعفنا ، واجبر كسرنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .

• إلهي أنت العزيز الجبار ، ذَلَّتْ لقدرتك الصعاب ، وأسرت إلى إرادتك الأشياء ، أنت المدعو للمهمات ، وأنت المَفْرَعُ في الملمَّات ، لا يَندفع منها إلا ما دَفَعْتَ ، ولا يَنكشف منها إلا ما كَشَفْتَ ، لا إله إلا أنت .

• اللهم لا فاتح لما أغلقت ، ولا مُغلق لما فَتَحْتَ ، ولا ميسر لما عَسَّرت ، ولا هادي لمن أضللت ، ولا ناصرَ لمن خذلت ، أسألك أن تفتح لي أبواب الرحمة والفرج ، فأنت وحدك القادر على كَشْفِ ما أنا فيه ، ودَفْعِ ما وقعتُ فيه .

• اللهم أكرمنا بالهدى والاستقامة ، وسدِّد ألسنتنا بالصواب والحكمة ، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة ، وطهِّر قلوبنا من النفاق والرياء ، وكُفِّ أيدينا عن الظلم والسرقة ، وطهِّر بطوننا من الحرام والشبهة ، وغُضِّ أبصارنا عن الفجور والخيانة ، واحفظ أسمعنا من اللغو والغيبة ، يا سميع الدعاء .

• اللهم يا عظيم العفو والرحمة والإحسان تفضَّل على علمائنا بالزهد والتواضع ، وعلى المتعلمين بالعمل والاستقامة، وعلى كبارنا بالوقار والسكينة ، وعلى شبابنا بالإقامة والتوبة، وعلى نساءنا بالحياء والعفة ، وعلى أغنيائنا بالبر والتقوى ، وعلى فقرائنا بالصبر والقناعة .  
وتفضَّل على الغزاة بالنصر والغلبة ، وعلى الأسرى بالخلاص والحرية ، وعلى المرضى بالشفاء والعافية ، وعلى الأمراء بالعدل والشفقة ، وعلى الرعية بالطاعة وحسن السيرة ، يا رب العالمين .



- اللهم يا رحيماً بعبادك اغفر لنا الذنوب التي تهتك العصم ، والمعاصي التي تنزل النقم ، والآثام التي تغير النعم ، والخطايا التي تمنع إجابة الدعاء ، والمحرمات التي تنزل البلاء .
- اللهم يا عليماً بكل شيء ، أنت الذي تعلم ما في نفسي ، وأنت الخبير بأحوالي ، وبيدك لا بيد غيرك حياتي وموتي ، ونفعي وضري .
- إن حرمتني فمن يعطيني ، وإن خذلتني فمن ينصرني ، وإن طردتني فمن يؤويني ، أنت مولاي ، فنعم المولى ، ونعم النصير .
- إلهي ما أعظم بركَّ بي في حياتي ، فلا تقطع عني بركَّ في مماتي ، إنك أنت البرُّ الرؤوف الرحيم .
- إلهي أنت السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، أسألك الأمان يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .
- وأسألك الأمان يوم لا تملكُ نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .
- وأسألك الأمان يوم لا يجزي والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً .
- وأسألك الأمان يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .
- وأسألك الأمان يوم يعرض الظالم على يديه ، ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً .
- وأسألك الأمان يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ، ولهم اللعنة ، ولهم سوء الدار .
- وأسألك الأمان يوم يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام .
- اللهم يا غافر الذنب الكبير ، ويا جابر العظم الكسير ، ويا راحم العبد الفقير ، بقدرتك عليَّ تب عليَّ ، وبعلمك بي ارفق بي .
- اللهم يا عظيم البر ، يا مجيب المضطر ، يا كاشف الضر ، يا جميل الستر ، يا عليماً بما في السر ، اقبل توبتي ، واغفر لي زلتي .
- إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أمارة ، طويلة الأمل ، كثيرة العَلَل ، إن مسَّها الشر تجزَع ، وإن مسَّها الخير تمنع ، ميالة إلى اللعب واللهو ، مملوءة بالغفلة والسهو .
- إلهي أشكو إليك عدواً يضلني ، وشيطاناً يغويني ، قد ملأ بالوسواس صدري ، وأحاطت هواجسه بقلبي ، يدعوني إلى الهوى ، ويبعدني عن الهدى ، ويزين لي حب الدنيا ، ويحول بيني وبين طاعتك ، أعودُ بك منه ومن شروره ومكايده .

• إلهي لا حول لي ولا قوة إلا بك ، ولا نجاة لي من مكاره الدنيا إلا بعصمتك ، أسألك بعظمة جلالك وعز سلطانتك أن توفقني لما تحبه وترضاه ، وأن تحوّل بيني وبين ما لا تحبه ولا ترضاه يا مولاي.

• اللهم أدخلني الجنة برحمتك ، واجعل دمعي غزيراً في طاعتك ، واسكب عبرتي من خشيتك ، واصرف قلبي عن الحرام ، وأغلق عني أبوابه ، وحبّب إليّ الحلال ، وافتح لي أبوابه، ولا تسلبني ما مننت به عليّ ، ولا تنزع مني النعم التي أنعمت بها عليّ ، ولا تسلط عليّ أيدي الجبابرة يا إلهي ومولاي .

• اللهم يا عزيز يا كريم وفرّ حظي من كل خير أنزلته ، ومن كل برّ نشرته ، ومن كل رزق بسطته ، ومن كل بلاء رفعته ، ومن كل عيب سترته .

يا من بيده ناصيتي ، يا عالماً بضري ومسكنتي ، يا خبيراً بفقري وفاقتي ، يا من عليه موعلي ، أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وأقِلني عثرتي ، واغفر لي زلتي .

• إلهي ومولاي إليك نصبتُ وجهي، وإليك يا رب مددت يدي، فبعزتكَ استجب لي دعائي، ولا تقطع رجائي ، واكفني شر أعدائي .

يا واسع الرحمة يا سريع الرضا اغفر لمن لا يملك إلا الدعاء، ورأس ماله الرجاء، وسلاحه البكاء.

يا سايع النعم ، يا دافع النقم ، يا مجيب دعوة المضطر ، افعَل بنا ما أنت أهله ، ولا تعاملنا بما نحن أهله .

• إلهي أنت كاشف الكرب والبلوى ، وأنت رب الآخرة والأولى ، ونحن عبيدك الفقراء ، نسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، ونعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل ، برحمتك يا ذا الجلال والإكرام.

• اللهم إنا نسألك باسمك العظيم الذي إذا سئلت به أعطيت ، وإذا دُعيت به أجبت ، وإذا استرحمت به رحمت ، وإذا دُعيت به على العسير تيسر ، وإذا دُعيت به على كشف البلاء انكشف .

ونسألك بجلال وجهك الكريم الذي عنت له الوجوه ، وخضعت له الرقاب ، وخشعت له الأصوات ، ووجِلتْ له القلوب .

ونسألك بقوتك التي تمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنك ، وتمسك السموات والأرض أن تزولا ، وبكلمتك التي خلقت بها كل شيء ، وبمشيئتك التي استجاب لها كل شيء ، وبرحمتك التي وسعت كل شيء ، وبعزتك التي خضع لها كل شيء ، أن تعز الإسلام والمسلمين ، وتنصر عبادك الموحدين ، وتجمع أمة محمد ﷺ على الحق أجمعين ، يا رب العالمين .

• اللهم من أرادنا بسوء أو مكروه من شيطان مريد ، أو سلطان عنيد ، أو حاسد على نعمة ، أو ظالم أو باغ ، فكف عنا يده ، واصرف عنا شره ، وأشغله عنا بنفسه ، واجعل كيده في نحره ، وتدميره في تدبيره ، إنك أنت القوي العزيز .

• اللهم سخر لي قلب من أحوجتني إليه ، واكفني شر من قدر علي ولا أقدر عليه ، وأغنني بفضلك عن سواك ، يا من بيده ملكوت كل شيء .

• اللهم اكفنا شر الأشرار ، وكيد الفجار ، واطمس على وجوه أعدائنا ، وفرق بينهم وبين أسلحتهم ، وحيّرهم في سبيلهم ، واقطع عنهم المدد ، وأنقص منهم العدد ، واملأ أفئدتهم بالرعب ، وانصرنا على من عادانا ، أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

• اللهم انصر عبادك المجاهدين في سبيلك في كل مكان ، وأمددهم بالملائكة المسوّمين ، واملأ قلوبهم بالإيمان ، واستعمل جوارحهم في طاعتك ، وأشغل المشركين بالمشركين ، واضرب الظالمين بالظالمين ، وأخرجنا من بينهم سالمين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• إلهي لا إله إلا أنت ، أنت الواحد الأحد ، لك وحدانية الخلق والأمر ، ووحدانية العبادة ، وملكة القدرة ، وعظمة السلطان ، وعزة الربوبية ، وفضيلة الحول والقوة ، وجمال الإحسان والإنعام ، وعلو الذات والأسماء والصفات .

وكل ما سواك فقير إليك ، مغلوب على أمره ، مقهور على شأنه ، موسوم بسمة الضعفاء والفقراء والعبيد .

• اللهم إنك ابتليتنا في أرزاقنا بسوء الظن ، وفي آجالنا بطول الأمل ، حتى التمسنا أرزاقك من عند المرزوقين ، وطمعنا في آمالنا في أعمار المعمرين .

نسألك اللهم أن تهب لنا يقيناً صادقاً تكفيناً به مؤونة الطلب ، وتقطع طلبه ممن سواك ، فإنك أنت الذي قسّمت الأرزاق ، وتكفّلت بإيصالها إلى كل مخلوق .

- اللهم أنت الله، لا إله إلا أنت، الحي القيوم، نسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، وبكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحد من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا وغمومنا، ودليلنا إليك، وسائقنا إلى جناتك جنات النعيم .
- أنت الله لا إله إلا أنت، الرحمن الرحيم، ارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء
- ونسألك باسمك الملك أن تملكنا أنفسنا، ولا تسلط علينا من يذلنا، حتى لا نعتر إلا بك، ولا نذل لأحد سواك .
- ونسألك باسمك القدوس أن تطهر قلوبنا من الشرك والنفاق والرياء، وتطهر جوارحنا وأوقاتنا من دنس المخالفات، وتطيب حياتنا بالطاعات والباقيات الصالحات .
- ونسألك باسمك السلام أن تهدينا سبل السلام، وتطهر نفوسنا من العيوب والآثام، وأن تجعلنا ممن سلم المسلمون من لسانه ويده .
- ونسألك باسمك المؤمن أن تؤمننا من كل شر، وأن تؤمننا يوم البعث والنشور، ويوم الفرع الأكبر، وأن تجعلنا ممن يأمن الناس شره، ويرجون خيره .
- ونسألك باسمك المهيمن أن تهيمن على قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا، حتى لا نفعل إلا ما تحبه وترضاه .
- ونسألك باسمك العزيز أن تعز الإسلام والمسلمين، وأن تعزنا بطاعتك، ولا تذلنا بمعصيتك .
- ونسألك باسمك الجبار أن تدمر الطغاة والجبارين، وأن تجير قلوب المؤمنين المنكسرين، وتجير أعمالنا، لتكون لائقة بجلالك وعظمتك .
- ونسألك باسمك المتكبر أن توفقنا لحسن التصاهر لكبريائك، وكمال الذل لعظمتك، وأن لا تجعل في قلوبنا مثقال ذرة من كبر .
- ونسألك باسمك الخالق البارئ المصور أن توفقنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق، وأن تعيننا على تحقيق عبادتك ظاهراً وباطناً .
- ونسألك باسمك الغفور الغفار أن تغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا، وما أسررنا وما أعلنا، وأن تغفر لنا ذنوبنا، وتستر عيوبنا .

- ونسألك باسمك القاهر القهار أن تقهر نفوسنا عن كل ما لا يرضيك، وأن تعينها على كل ما تحبه وترضاه، وأن تقهر عنا أعداءنا من شياطين الجن والإنس .
- ونسألك باسمك الوهاب أن تهب لنا رحمة من عندك، تغنيننا بها عن رحمة من سواك، وأن تهب لنا الأعمال الصالحة التي تقربنا إليك، وأن تهب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين.
- ونسألك باسمك الرازق الرزاق أن ترزقنا من فضلك العظيم رزقاً حلالاً طيباً، وأن تجعل ما رزقتنا عوناً لنا على طاعتك .
- ونسألك باسمك الفاتح الفتح أن تفتح لنا أبواب رحمتك، وسبل رضاك، وأبواب فضلك، وأبواب جناتك .
- ونسألك باسمك العليم أن تعلمنا ما ينفعنا، وأن تنفعنا بما علمتنا، وأن تعيننا على تعليم دينك لعبادك .
- ونسألك باسمك السميع أن تحفظ أسماعنا عن سماع كل ما لا يرضيك، وأن تجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .
- ونسألك باسمك البصير أن تحفظ أبصارنا عن كل ما لا يرضيك، وأن تجعلنا من أهل البصائر والعقول، وأن تمتعنا بأسماعنا وأبصارنا أبداً ما أبقيتنا، إنك على كل شيء قدير .
- ونسألك باسمك الحكيم الحكم أن ترزقنا الحكمة في جميع الأمور، وأن تحكم على قلوبنا بالرضا والقناعة، وعلى نفوسنا بحسن الانقياد والطاعة، وأن تجعلنا ممن يدعو إليك بالحكمة والموعظة الحسنة .
- ونسألك باسمك اللطيف أن تلطّف بنا في جميع أحوالنا، وأن تغمرنا بلطفك وإحسانك ورحمتك، وأن تجعلنا من ألطف عبادك بخلقك .
- ونسألك باسمك الخبير أن تجعلنا من أعرف عبادك بك وبدينك، وأن تجعلنا من أخبر الناس بقلوبنا، وما يقربنا إليك، وما يحببنا إليك، وما يحبب خلقك إليك .
- ونسألك باسمك الحلّيم أن تستر عيوبنا، وتغفر ذنوبنا، وتعفو عن تقصيرنا، وأن ترزقنا الحلم على من أساء إلينا .
- ونسألك باسمك العظيم أن توفّقنا لكمال تعظيمك، وأن تجعلنا ممن آمن بك وعظّمك، وعظّم دينك وشعائرِك وحرّماتك .

- ونسألك باسمك الشاكر الشكور أن تعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وأن تجعلنا ممن شكرت أقواله وأعماله، وقبلت عمله، وضاعفت أجره .
- ونسألك باسمك العلي الأعلى المتعال، أن ترفع مقامنا عندك، وأن تحبب إلينا معالي الأمور، وأن ترزقنا الدرجات العلى من الجنة .
- ونسألك باسمك الحق أن ترينا الحق حقاً، وترزقنا إتباعه، وترينا الباطل باطلاً، وترزقنا اجتنابه، وأن تجعلنا ممن يقول الحق على نفسه وعلى غيره .
- ونسألك باسمك الحميد أن ترزقنا حسن حمدك وشكرك على نعمك التي لا تعد ولا تحصى، وأن توفقنا للأعمال الصالحة التي نحمدك عليها، وتحمدنا عليها، فأهل أنت أن تحمد، وأهل أنت أن تعبد .
- ونسألك باسمك الحي أن تحيي قلوبنا بالتوحيد والإيمان، وأن تحيي ألسنتنا بكثرة ذكرك وشكرك والدعوة إليك، وأن تحيي جوارحنا بحسن عبادتك، وأن تجعل حياتنا كلها معمورة بطاعتك، وأنواع عبادتك .
- ونسألك باسمك القيوم أن توفقنا للقيام بين يديك بالعبادة، والقيام بين يدي خلقك بالدعوة إلى الله، وتعليم شرع الله، والإحسان إلى خلق الله، وأن تتولى تدبير أمورنا في كل ما يرضيك عنا .
- ونسألك باسمك الشهيد أن تجعلنا ممن شهدت لهم بالإيمان والاستقامة، وشهد لك بالوحدانية، وشهد أن الأمور كلها بيدك وحدك لا شريك لك .
- ونسألك باسمك الوكيل أن لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن تجعلنا من المتوكلين عليك وحدك في الرخاء والشدة، والعسر واليسر .
- ونسألك باسمك القوي أن تدفع عنا كل شر، وأن تقويننا على طاعتك، وتعيننا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وأن تجعلنا ممن أخذ الكتاب بقوة ابتغاء مرضاتك .
- ونسألك باسمك المتين أن ترزقنا متانة في أجسادنا وقلوبنا وديننا، وأن ترى منا كل ذل وانكسار بين يديك، ويرى الأعداء منا كل قوة وشدة في الجهاد في سبيلك .

- ونسألك باسمك الولي المولى أن تجعلنا ممن توليته بالهداية والرحمة، فتولاك بالإيمان بك، والاستقامة على دينك، وتولى عبادك بالإحسان إليهم، والإكرام لهم، حتى يحبوك، ويؤمنوا بك .
- ونسألك باسمك الواحد الأحد أن تملأ قلوبنا بتوحيدهك وتقواك، حتى لا نرى أحداً سواك، ولا نستعين إلا بك، ولا نتوكل إلا عليك، ولا نسأل أحداً غيرك .
- فأنت الواحد الأحد، المالك لكل أحد، الغني عن كل أحد، الأحد الذي يحتاج إليه كل أحد .
- ونسألك باسمك الصمد أن تجعل قلوبنا تصمد في حوائجها إليك، وأن تجعل قصدنا في جميع أمورنا إليك، وأن تجعلنا من المقصودين في قضاء حوائج الناس
- ونسألك باسمك القادر القدير المقتدر أن تجعلنا ممن قدرك حق قدرك، وشكرك حق شكرك، واستعان بك في جميع أموره وأعماله الصالحة، ووهبته القدرة على القيام بحقوقك، وحقوق عبادك .
- ونسألك باسمك المقدم والمؤخر أن تجعلنا من المستقدمين إلى كل طاعة، المستأخرين عن كل معصية، وأن تجعلنا ممن قدم مرضاتك على مرضاة غيرك، وقدم أوامرك على هوى نفسه، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت .
- ونسألك باسمك الأول والآخر أن تجعلنا من أوائل عبادك في الإيمان بك، والعمل بما يرضيك، وحسن عبادتك، ولزوم طاعتك، وأن تباعد بيننا وبين كل ما لا يرضيك .
- ونسألك باسمك الظاهر والباطن أن تظهر لنا ما بطن عنا من معرفتك بأسمائك وصفاتك وأفعالك، وجلال جمالك، حتى نعبدك كأننا نراك بكمال الحب والتعظيم والذل لك .
- ونسألك أن تجمل بواطننا بالإخلاص، وتجمل ظواهرنا بحسن المتابعة، وأن تجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .
- ونسألك باسمك البر أن تكرمنا بوافر برك وإحسانك، وأن تشغل قلوبنا وألسنتنا وجوارحنا بجميع أعمال البر، وقضاء حوائج الناس، وأن تكرمنا ببر والدينا، ومن لهم حق علينا، إنك أنت البر الرحيم .

- ونسألك باسمك التواب أن تتوب علينا لتتوب، وأن تقبل توبتنا من جميع الذنوب، وأن ترزقنا توبة نصوحاً قبل الممات، وأن توفقنا للعفو والمغفرة والصفح عن أساء إلينا، إنك أنت التواب الرحيم .
- ونسألك باسمك العَفُو العَفُو والعافية، في الدنيا والآخرة، وأن تعيننا على العفو عنم ظلمنا، والإحسان إلى من أساء إلينا، إنك أنت العَفُو الغفور .
- ونسألك باسمك الرؤوف أن ترأف بأحوالنا، وأن تعيننا على موجبات رحمتك، وأن تحول بيننا وبين موجبات عقوبتك، وأن تملأ قلوبنا رأفة ورحمة بجميع خلقك، يا أرحم الراحمين .
- ونسألك باسمك الكبير أن تملأ قلوبنا بمعرفة كبريائك وجلالك وجمالك، حتى نعبدك كأننا نراك، بكمال الحب والتعظيم والذل لك وأن توفقنا للتواضع لأوليائك، والعزة على أعدائك .
- ونسألك باسمك الحفيظ الحافظ أن تحفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وتحفظ لنا ديانا التي فيها معاشنا، وأن تحفظ قلوبنا وألستنا وجوارحنا من المعاصي والآثام .
- ونسألك باسمك المقيت أن تقيت قلوبنا بالإيمان والتقوى، وتقيت ألسنتنا بكثرة ذكرك، وتقيت جوارحنا بالأعمال الصالحة، وتقيت أبداننا بالقوت الحلال الطيب يا كريم .
- ونسألك باسمك الحسيب الحاسب أن تكفيننا أمورنا كلها في الدنيا والآخرة، وأن تشرّفنا بحسن عبادتك، والدعوة إليك وتعليم شرعك، وأن تعيننا على حساب أنفسنا قبل يوم الحساب .
- ونسألك باسمك الكريم الأكرم أن تكرمنا بالثبات على دينك، ودوام ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، وأن تكرمنا بأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق .
- ونسألك باسمك الرقيب أن تجعلنا ممن يراقبك في سره وعلانيته، حتى يقف عند حدودك، ويعبدك كأنه يراك، ويخافك ولا يخاف أحداً سواك .
- ونسألك باسمك المجيب أن تجيب دعاءنا، وأن تجعلنا من المجيبين لك فيما أمرت ونهيت، وأن تصون وجوهنا عن سؤال غيرك .



- ونسألك باسمك الواسع أن تزيد إيماننا وتقوانا، وأن توسع أرزاقنا من قوت القلوب والأبدان، وأن تجعل ما رزقتنا عوناً لنا على طاعتك، ونفع عبادك .
- ونسألك باسمك الودود أن تكرمنا بودك وإحسانك، وأن توفقنا للتودد إليك بكل ما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال، وأن تكرمنا بحسن التودد إلى عبادك بالكلمة الطيبة، والمعاملة الحسنة .
- ونسألك باسمك المجيد أن تجعلنا ممن يمجذك، ويثني عليك، بأقواله وأفعاله، فأنت أهل الثناء والمجد، وأن تمجد حياتنا بكل ما تحبه وترضاه من الأقوال والأعمال والأخلاق.
- ونسألك باسمك الغني أن تغنينا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عن سواك، وأن تكرمنا بالإحسان إلى خلقك، ودعوتهم إليك .
- ونسألك باسمك النور أن تنور قلوبنا بنور التوحيد والإيمان والتقوى، وأن تجعلنا ممن يمشي بالنور، ويعمل بالنور، ويرشد الناس إلى النور .
- ونسألك باسمك الهادي أن تهدينا لمعرفتك بأسمائك وصفاتك وأفعالك، وتدلنا على سبل رضاك، وتهدينا سبيل الرشاد، وأن تجعلنا هداة مهتدين، غير ضالين ولا مضلين .
- ونسألك باسمك المبين الذي بينت به كل شيء أن تبين لنا ما تحبه لنا، وما تحبه منا، وتبين لنا ما يعسر علينا فهمه، وأن تجعلنا ممن يدعو إليك، ويدل الناس عليك
- ونسألك باسمك الوارث أن تجعلنا ممن أورثته علم الكتاب والسنة، وممن أورثته الأرض يتبواً من الجنة حيث يشاء، وأن تجعلنا ممن يورث غيره العلم والإيمان والأعمال الصالحة .
- ونسألك باسمك المستعان أن تعيننا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، وأن تعيننا على فعل الطاعات، وترك المعاصي، وأن تجعلنا ممن يعين كل مخلوق على أداء ما تحبه وترضاه .
- ونسألك باسمك الكافي أن تكفيننا جميع حوائجنا، وأن تيسر أمورنا، وتكفيننا جميع الشرور ما ظهر منها وما بطن، وتكفيننا شر أنفسنا وشر غيرنا .

- ونسألك باسمك الكفيل أن تتولى جميع أمورنا، وأن تقضي جميع حوائجنا، ولا تحوجنا لأحد سواك، وأن توفقنا لكفالة المحتاجين، والإحسان إليهم .
- ونسألك باسمك الصادق أن تجعلنا ممن آمن بك وصدقك، وصدق رسلك، وصدق كتبك، وأطاع أمرك، وأن تجعلنا من الصادقين في الدنيا والآخرة .
- ونسألك باسمك السبوح أن تجعلنا من أول المسبحين بحمدك، المنزهين لك عما لا يليق بجلالك .
- ونسألك باسمك الجميل أن تجمل حياتنا وأوقاتنا بكل ما تحبه وترضاه، وأن تزين قلوبنا وجوارحنا بالإيمان والتقوى، وأن تجعلنا ممن يجمل حياة الناس بحسن الدعوة والحكمة والموعظة الحسنة .
- ونسألك باسمك الشافي أن تشفي قلوبنا من أمراض الشبهات والشهوات، وتعافي أجسادنا من العلل والأسقام، وتزين حياتنا بزينة الإيمان والتقوى، وحسن الخلق .
- ونسألك باسمك المعطي أن تعطينا ما ينفعنا، وتمنع عنا ما يضرنا، وأن توفقنا لأحسن الأقوال والأعمال والأخلاق والآداب، وأن توفقنا للإحسان إلى عبادك، وقضاء حوائجهم، ابتغاء مرضاتك .
- ونسألك باسمك المحسن أن تحسن إلينا في الدنيا والآخرة، وأن تجعلنا ممن أحسن لك العبادة، وأحسن إلى خلقك بقوله وفعله وماله، ابتغاء مرضاتك .
- ونسألك باسمك الرفيق أن ترفق بمن عصى أمرك، وتجاوز حدودك، وتتوب عليه، وأن ترزقنا الرفق في جميع الأمور، وحسن الرفق بأهل الجهل والمعاصي، وسائر الناس .
- ونسألك باسمك الطيب أن تطيب قلوبنا وأقوالنا وأعمالنا وأوقاتنا بكل طيب، وأن تحول بيننا وبين كل خبيث، وأن تطيب أرزاقنا في الدنيا والآخرة .
- ونسألك باسمك الحيي أن تجعلنا من أشد خلقك حياءً منك، وأن تهدينا لفعل ما تحبه وترضاه، وتوفقنا للحياء بين الناس، حتى لا نفعل ما يستحي العبد منه .
- ونسألك باسمك الستير أن تستر علينا في الدنيا والآخرة، وأن توفقنا لحسن الستر على زلات العباد، وستر عوراتهم، وعدم فضحهم .

- اللهم يا فاطر السموات والأرض، يا بديع السموات والأرض، يا فالق الحب والنوى، يا فالق الإصباح، يا خير الفاتحين، يا خير الرازقين، يا أحسن الخالقين، افتح لنا أبواب رحمتك وفضلك وإحسانك، وافتح لنا من بركات السموات والأرض .
- اللهم يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا العرش المجيد، يا فعالاً لما يريد، يا من بيده ملكوت السموات والأرض، يا من يقول للشيء كن فيكون، يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، يا مقلب القلوب والأبصار، أعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وارفعنا ولا تضعنا .
- اللهم يا أحكم الحاكمين، يا أرحم الراحمين، يا رفيع الدرجات، يا علام الغيوب، يا منزل الكتاب، يا مجري السحاب، يا هازم الأحزاب، يا مذهب البأس، انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين، وارحم عبادك الموحدين، واغفر ذنوب المذنبين، وانصرنا على القوم الكافرين .
- اللهم يا غافر الذنب، يا قابل التوب، يا عالم الغيب والشهادة، ارحم ضعفنا، واجبر كسرنا، واغفر ذنوبنا، واختم بالصالحات أعمالنا، يا أرحم الراحمين .
- اللهم اغفر لنا كل ذنب، واستر علينا كل عيب، وفرج عنا كل كرب، وادفع عنا كل هم، واصرف عنا كل شر، واحفظنا من كل فتنة .
- يا مجيب الدعوات، يا عالم الخفيات، يا سابغ النعم، يا دافع النقم، يا فارح الهم، يا قائمنا على كل نفس، يا من هو الإله، ولا رب لنا سواه .
- لا إله إلا أنت الملك الحي القيوم، القوي القادر، السلام المؤمن، المهيمن، العزيز الجبار، الكبير المتعال، القاهر القهار، الذي خضع له الكون كله بعرشه وكرسيه، وسمواته وأرضه، وذراته ومجراته .
- نسألك بأسمائك الحسنى التي إذا سئلت بها أعطيت، وإذا دعيت بها أجبت، وإذا استنصرت بها نصرت، وإذا دعيت بها على مغاليق السموات والأرض انفتحت، وإذا دعيت بها على أبواب العسر تسرت .

• ونسألك بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، ما علمنا منها وما لم نعلم، أن تعز الإسلام والمسلمين، وتنصر عبادك المؤمنين، وأن تظهر دينك على الدين كله، في العالم كله، يا قوي يا عزيز .

• اللهم أجر من أسباب الحلال أرزاقى ، ووجه في أبواب البر إنفاقي ، وازو عني من الأموال والأشياء ما يشغلني عنك ، واجعل ما أعطيتني عوناً لي على طاعتك ، وما منعتني سبباً لتفرغي لعبادتك ، يا أرحم الراحمين .

• مولاي هذا مقام العائذ بك من كل سوء يرجو رحمتك، ويخشى عذابك، تَلَقَّاكَ بنفسٍ خاشعة، ورقبة خاضعة، وظهر مُثْقَل بالذنوب والخطايا، واقف بين يديك بالرغبة إليك، والرهبه منك، وأنت أولى من رجاءه، وأحق من خَشِيَهُ واتقاه ، فاغفر له وارحمه ، يا ولي المتقين .

• أشهد أنك قَسَمْتَ معاش العباد بالعدل ، وأحسنت إلى جميع خلقك بالفضل ، وأشهد أن الشريف من شَرَفْتَهُ طاعتك ، والعزيز من أعزَّته عبادتك .

• مولاي اجعل شكري لك على ما زويت عني أوفر من شكري إياك على ما خَوَّلْتَنِي، ولا تشغلني عنك بغيرك ، فإن الغني من أغنيت ، والسالم من وقَّيت .

• لا إله إلا أنت ، تحكم بما شئت على من شئت ، وتقضي بما أردت على من أردت ، فلك الحمد على ما وقَّيتنا من البلاء ، ولك الشكر على ما خَوَّلْتَنَّا من النعماء .

• سبحانك أنت المنعم بكل نعمة، وأنت الذي تدفع كل نقمة ، أشكرك عبادك عاجز عن شكرك ، وأعبدهم مقصر في عبادتك ، لا يستحق أحد أن تغفر له باستحقاقه ، ولا أن ترضى عنه باستيجابه، فمن غفرت له فبطولك ، ومن رضيت عنه ففضلك .

ستك الإنعام والإفضال، وعادتك الإكرام والإحسان، وسيلك العفو والرحمة، وثوابك الجنة .

• لا إله إلا أنت ، كل البرية تشهد لك بالفضل على من عافيت ، وأنت غير ظالم لمن عاقبت، وكلُّ مقرر بالتقصير على أداء ما يجب لك ، ولولا أن الشيطان خدع الخلق عن طاعتك ما عصاك عاص ، ولولا أنه صوّر لهم الباطل في صورة الحق ما ضل عن طريقك ضال .

• سبحانك ما أعظم كرمك في معاملة من أطاعك أو عصاك ، تشكر للمطيع ما أنت أنعمت به عليه ، وتحلم على العاصي فيما تملك معاجلته فيه .

تطاع فَتَشْكُرْ، وتُعْصِي فَتَغْفِرْ، وتَفْضَلْ عَلَى كُلِّ مِنْهُمَا بِمَا يَقْصُرُ عَمَلُهُ عَنْهُ.

يرضيك العمل القليل وهو من فضلك ، وتجازي صاحبه بالثواب العظيم ، والمقام الأمين في جوارك ، لا إله إلا أنت ما أكرمك وما أرحمك .

• إلهي يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت ، تباركت أن توصف إلا بالإحسان ، وكرّمت أن يُخاف منك إلا العدل، لا يُخشى جورك على من عصاك، ولا يُخاف نقصك ثواب من أَرْضَاكَ.

• اللهم إني أعتذر إليك من مظلوم ظلم بحضرتي فلم أنصره ، ومن معروف أسدي إليّ فلم أشكره ، ومن مسيء اعتذر إليّ فلم أعذره ، ومن فقير سألتني فلم أعطه ، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره ، ومن كل إثم عرض لي فلم أهجره .

• اللهم اجعل رغبتني في طاعتك ، وأخلص محبتي لنفسك ، واكسر شهوتي عن كل محرم، يا من بيده مقاليد الأمور .

• اللهم كل عبد نال مني ما حرّمت عليه ، وانتهك مني ما حجرت عليه ، فاغفر له ما ألمّ به مني ، وعوّضني من عفوي عنه عفوك عني ، ومن دعائي له رحمتك لي ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم وكل عبد ناله مني أذى ، أو لحقه بسببي ظلم ، فأرضه عني بما تشاء ، وأوفه حقه من عندك ، إنك أنت الكريم الرحيم .

• اللهم إني أستوهبك يا إلهي ما لا ينقصك بذله أن تهب لي نفسي، وتعتقها من النار يا ربي، فكم عمّ عفوك الظالمين ، وكم تكرمت بالتوبة على المجرمين .

أنت الرب العظيم الذي لا يمنع أحداً فضله ، ولا يستقصي من أحد حقه ، تبارك اسمك ، وتعالى جدك ، ولا إله غيرك .

• اللهم زدنا من الإيمان والتقوى ، وأكرمنا في الآخرة والأولى ، واجعل الموت باباً من أبواب مغفرتك ، ومفتاحاً من مفاتيح رحمتك ، أحياناً مسلمين ، وأمتنا مهتدين غير ضالين ، تائبين غير عاصين .

• اللهم شرف درجتي برضوانك ، وأكمل كرامتي بغفرانك ، واجعلني من عبادك المقربين، ومن حزبك المفلحين، واعمري بي مجالس الصالحين، وأدخلني في زمرة الفائزين، يا رب العالمين .

• اللهم ارحمنا إذا حان الفراق ، وساقنا ملك الموت إلى يوم التلاق ، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق.

• اللهم اجعل قبورنا بعد فراق الدنيا خير منازلنا ، وافسح لنا برحمتك ضيق ملاحظنا ، وارحم بالقرآن يوم العرض عليك ذل مقامنا ، وثبت به على الصراط أقدامنا ، وأتم به نورنا .  
• اللهم صل وسلم على محمد وآله ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته ، وأحينا على سنته ، وتوفنا على ملته ، واحشرنا في زمرة ، وأوردنا حوضه ، يا أكرم الأكرمين .

• سبحان من خلق الليل والنهار ، والشمس والقمر ، وجعلهما دائبين في الكون .  
أمنت بمن خلق هذا الخلق المطيع ، فهو دائب سريع ، يدور في فلك التدبير ، وإلى إرادة ربه سريع ، جعله ربه آية من آيات ملكه ، وعلامة من علامات سلطانه .  
اللهم اجعلنا من أرضى من طلع عليه ، وأزكى من نظر إليه ، وأسعد من تعبد لك فيه ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم إنا نسألك أن ترزقنا إيماناً صادقاً نكفّ به جوارحنا عن معصيتك ، ونستعملها به فيما يرضيك ، حتى لا نصغي بأسماعنا إلى لغو ، ولا ننظر بأبصارنا إلى لهو ، وحتى لا نبسط أيدينا إلى محذور ، ولا نخطو بأقدامنا إلى محجور ، وحتى لا يدخل بطوننا إلا ما أحللت ، ولا تنطق ألسنتنا إلا بما أمرت ، إنك على كل شيء قدير .

• اللهم ارزقنا الإخلاص في توحيدك ، واستعمل ألسنتنا بذكرك وتحميدك ، وجنبنا الإلحاد في توحيدك ، والتقصير في تمجيدك ، والشك في دينك ، والعمى عن سبيلك ، يا من بيده مقاليد الأمور .

• اللهم يا بصيراً بالعباد ، يالطيف يا خبير استعمل أبداننا في عبادتك ، وزين أوقاتنا بطاعتك ، وإن ملنا فعدّلنا ، وإن زغنا فقومنا ، وإن أسرنا الشيطان فاستنقذنا ، وإن تسلط علينا العدو فانصرنا ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

• اللهم يا من لا يندم على العطاء ، ولا يرغب في الجزاء ، عقوبتك عدل ، وعفوك إحسان ، وقضاؤك كله خير ، ونعمك على خلقك لا تعد ولا تحصى .

تشكر من شكر وأنت ألهمته شكرك ، وتكافيء من حمدك وأنت علمته حمدك ، وتستر

- على من لو شئت لفضحته ، وتوجد على من لو شئت لمنعته ، وكلُّ منهما أهل للفضيحة والمنع ؛ لأنك واسع الفضل والرحمة ، عظيم الجود والإحسان ، عظيم المغفرة والحلم .
- إلهي أنت الكريم الذي فتحتَ لعبادك أبواب التوبة ، وأبواب الرحمة ، وأبواب العفو ، وأبواب الخير ، وأبواب الرزق ، وأبواب الدعاء ، وأبواب العمل الصالح .
  - اللهم أدخلنا أبواب الخير كلها ، وامنعنا من أبواب الشر كلها ، يا رؤوف يا رحيم .
  - اللهم لك الحمد على ما هديتنا للإسلام ، وسهّلت لنا سبل الإحسان ، ووفقتنا لحسن عبادتك ، وهديتنا إلى ما يرضيك عنا ، وجنّبتنا ما يسخطك علينا .
  - اللهم لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى ترضى وإذا رضيت ، إقراراً بالإساءة ، واعترافاً بالإضاعة .
  - لك الحمد من ألسنتنا بصدق الاعتذار ، ومن قلوبنا بصدق الندم ، فأجّرنا على ما حمدنا ، واغفر لنا ما قصّرنا ، يا من لا يغير الذنوب سواه ، ولا يعطي الجزيل غيره .
  - اللهم إنا نتوب إليك في جميع أوقاتنا من كل ذنب أذنبناه ، ونحمدك على كل خير عملناه ، ونشكرك على كل رزق أعطيتناه .
  - يا أكرم مَنْ رغب خلقه إليه ، وأكفى من توكل عباده عليه ، يا من يرحم من لا يرحمه العباد ، ويا من يقبل من لا تقبله البلاد .
  - يا من يشكر اليسير من العمل ، ويجازي بالعظيم من الأجر ، يا من لا يغيّر النعمة ، ولا يبادر بالنقمة ، يا من يضاعف الحسنات ، ويعفو عن السيئات .
  - يا من يذكر مَنْ ذكّره ، ويتقرب إلى من تقرب إليه ، ويدعو إلى نفسه من أدبر عنه .
  - أنت رب العزة والجلال ، وأنت ذو الجبروت والملكوت ، والكبرياء والعظمة .
  - أنت الأعلى فوق كل عال ، وأنت الكريم بكل نعمة ، امتلأت بفيض جودك جميع أوعية الطلبات ، فما أعظم شأنك ، وما أعز سلطانتك .
  - بابك مفتوح للوافدين ، وجودك مباح للسائلين ، وعونك شامل للخلق أجمعين ، ورزقك مبسوط على العالمين .
  - حلّمت على من عصاك لعله يتوب إليك ، وأمهلته من ناواك ثقة بدوام ملكك ، فمن كان من أهل السعادة ختمت له بها ، ومن كان من أهل الشقاوة خذلت به .
  - سبحانك ما عدلك وما أرحمك ، هديتنا إلى الدين ، وأظهرت البيئات ، وأقمت

الحجج، وتلطّفت في التريغيب ، وتقدّمت بالوعيد ، وضربت الأمثال ، وأطلت الإمهال ، وأخرت العقوبة وأنت مستطيع للمعاجلة ، لتكون حجتك أبلغ ، وكرمك أكمل ، وإحسانك أوفى ، ونعمتك أتم .

• لا إله إلا أنت الواحد الأحد لا شريك لك ، أنت الأول قبل كل أحد ، والآخر بعد كل عدد ، أنت المحيط الذي أحطت بكل شيء علماً ، وأحصيت كل شيء عدداً ، وجعلت لكل شيء أمداً .

• لا إله إلا أنت ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، وأنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ، وأنت الخالق الذي خلق جميع المخلوقات ، وأنت المصور الذي صور جميع المصورات .

• لا إله إلا أنت ، أنت القوي القادر الذي أردت ما كان فكان ما أردت ، وحكمت فكان عدلاً ما حكمت ، وخلقته فكان حسناً ما خلقت ، وقدرته فكان حقاً ما قدرته ، أنت المقدم ، وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت .

• لا إله إلا أنت ، ما أجل شأنك ، وما أعظم سلطانك ، وما أوسع رحمتك وغفرانك .

• لا إله إلا أنت ، سبحانك بسطت بالخير يدك ، وهديت للإسلام خلقك .

• سبحانك خضع لك مَنْ جرى في علمك ، وخشع لعظمتك ما تحت عرشك ، وانقادت لك كل ذرة في ملكك ، لا راد لقضائك ، ولا مُعقب لحكمك .

• اللهم لك الحمد حمداً يليق بعظمتك ، ويكافي إحسانك ، ويليق بعز جلالك .

• إلهي أنت الكريم الحليم الذي يسترضي المسيئين ، ولا يعاجل المذنبين ، ويمهل المخطئين ، ويقبل عثرات المذنبين .

أنا المسيء الخاطيء ، أنا الظالم العاثر ، أنا الذي عصاك متعمداً ، أنا الذي استخفى من عبادك وبارزك ، أنا الجاني على نفسه ، أنا المرتهن بذنبه ، أنا القليل الحياء ، أسألك أن تغفر لي ذنوبي ، وأن تجيرني من النار ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

• اللهم يا مولاي لا تعرض عني إعراض من لا ترضى عنه ، ولا ترسلني إرسال من لا خير فيه ، ولا ترم بي رمي مَنْ سقط من عينك ، ولا تطوّفني طَوْقاً يحبط الحسنات ، ويذهب بالبركات ، وانزع من قلبي كل شهوة تشغلني عن عبادتك .

• اللهم زيّن لي التفرد بمناجاتك ، وهب لي نوراً يملأ قلبي بعظمتك ، ويقيناً يدفعني إلى



خشيتك ، وعلماً أعرف به عظمتك ، وتمنعني به من ركوب محارمك ، وتعينني به على طاعتك .

• اللهم ما أنزلت من خير وصحة وسلامة وسعة رزق فاجعل لنا منه أوفر الحظ والنصيب ، وما أنزل من شر وفتنة فاصرفه عنا وعن المسلمين ، وارزقنا اللهم غنى لا يطفينا ، وصحة لا تلهينا ، واجعلنا أفقر عبادك إليك ، وأغنى خلقك بك ، إنك أنت العزيز الكريم .

• إلهي لم أصب خيراً قط إلا منك ، ولم يصرف عني سوءاً قط غيرك ، أنت رجائي وملاذي فأغني بفضلك عن سواك ، وبطاعتك عن معصيتك ، يا أرحم الراحمين .

• اللهم إني أسألك يا مولاي بأسمائك الحسنى ، وصفاتك العلى ، وبقدرتك التي خلقت بها السموات والأرض وما فيهما وما فوقهما ، وحررت بها كل متحرك ، وسكنت بها كل ساكن ، وأحييت بها أموات العباد ، ونشرت بها أقوات البلاد ، ورحمت بها من تشاء ، وعاقبت بها من تشاء ، وأعطيت بها من تشاء ، ومنعت بها من تشاء ، أن ترضى عنا ، وتدخلنا دار السلام ، إنك أنت السلام ، ومنك السلام ، لا إله إلا أنت .

• اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء ، وبقوتك التي قهرت بها كل شيء ، وبعزتك التي ذل لها كل شيء ، وبِعظمتك التي ملأت كل شيء ، وبسلطانك الذي علا كل شيء ، وبوجهك الباقي بعد فناء كل شيء ، وبعلمك الذي أحاط بكل شيء ، وبنور وجهك الذي أضاء له كل شيء ، أن تغفر لنا الذنوب التي تهتك العِصم ، وتُنزل النقم ، وتغيّر النعم ، وتُنزل البلاء والفتن ، يا أرحم الراحمين .

أسألك يا مولاي أن توزعني شكرك ، ودوام ذكرك ، وحسن عبادتك ، والإحسان إلى خلقك ، أسألك سؤال من اشتدت فاقته ، وعظمت فيما عندك رغبته ، فاستجب دعائي .

• اللهم يا قوي أسألك بعزتك أن لا تحجب عنك دعائي بسوء أفعالي ، ولا تعاجلني بالعقوبة على ما عصيتك في خلواتي ، وكن بي في جميع الأحوال رؤوفاً رحيماً ، لا إله لي غيرك ، أسألك كشف ضري ، ومغفرة ذنبي ، يا غفور يا رحيم .

• اللهم ارحم قلوباً امتلأت بتوحيديك ، وألسنة نطقت بذكرك وتمجيدك ، ووجوهاً خرت لعظمتك ساجدة ، وجوارحاً في عبادتك خاشعة .

اللهم صل وسلم على نبينا محمد سيد الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه الغر الميامين ، وعلى خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلى ، خير

الخلفاء بعد الأنبياء ، وأفضل أئمة الهدى ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .  
اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات .  
اللهم إنا دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا ، يا سميع الدعاء .

هذا الدعاء ، ومنك الإجابة ، وعليك التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بك .  
سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ [الأنبياء/ ٨٧] .

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا  
رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ  
الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [البقرة/ ٢٨٦] .

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ ﴿٤٠﴾ [البقرة/ ٢٠١] .

﴿رَبَّنَا اقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١٣٧﴾ [البقرة/ ١٢٧] .

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

[الصفات/ ١٨٠-١٨٢] .

\* \* \* \* \*

# فهرس الموضوعات

## الجزء الرابع

الموضوع	الصفحة
الباب الثالث عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: .....	٧
٦١-٦٢- اسم الله الشكور.. الشاكر.....	٨
التعبد لله عز وجل باسمه الشكور.. الشاكر.....	٣٠
٦٣- اسم الله الحليم.....	٥٩
التعبد لله عز وجل باسمه الحليم.....	٨٨
٦٤- اسم الله العفو.....	١٠٣
التعبد لله عز وجل باسمه العفو.....	١٢٥
٦٥-٦٦- اسم الله الغفور.. الغفار.....	١٤٥
التعبد لله عز وجل باسمه الغفور.. الغفار.....	١٦٥
٦٧- اسم الله الودود.....	١٨٧
التعبد لله عز وجل باسمه الودود.....	٢٠٥
٦٨- اسم الله البر.....	٢١٣
التعبد لله عز وجل باسمه البر.....	٢٢٨
٦٩- اسم الله الرؤوف.....	٢٣٥
التعبد لله عز وجل باسمه الرؤوف.....	٢٤٤

- الباب الرابع عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: ..... ٢٥١
- ٧٠- اسم الله القريب ..... ٢٥٢
- ٧١- اسم الله المجيب ..... ٢٦٥
- التعبد لله عز وجل باسمه المجيب ..... ٢٨١
- ٧٢- اسم الله المستعان ..... ٢٨٧
- التعبد لله عز وجل باسمه المستعان ..... ٣٠٠
- ٧٣- اسم الله التواب ..... ٣٠٥
- التعبد لله عز وجل باسمه التواب ..... ٣٢٠
- ٧٤- اسم الله الرقيب ..... ٣٢٧
- التعبد لله عز وجل باسمه الرقيب ..... ٣٤٠
- ٧٥- اسم الله الشهيد ..... ٣٥٥
- التعبد لله عز وجل باسمه الشهيد ..... ٣٨٧
- ٧٦- اسم الله الواسع ..... ٣٩٩
- التعبد لله عز وجل باسمه الواسع ..... ٤١٢
- ٧٧- اسم الله المحييط ..... ٤٢١
- التعبد لله عز وجل باسمه المحييط ..... ٤٣١
- ٧٨-٧٩- اسم الله الحسيب .. الحاسب ..... ٤٣٧
- التعبد لله عز وجل باسمه الحسيب .. الحاسب ..... ٤٤٧

- ٤٥٣ ..... ٨٠ - اسم الله المقيت
- ٤٦٨ ..... التعبد لله عز وجل باسمه المقيت
- ٤٧٣ ..... الباب الخامس عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنی الآتية: ٤٧٣
- ٤٧٤ ..... ٨١-٨٢ - اسم الله الحفيظ .. الحافظ
- ٤٨٥ ..... التعبد لله عز وجل باسمه الحفيظ .. الحافظ
- ٤٩٣ ..... ٨٣ - اسم الله الكافي
- ٥٠١ ..... التعبد لله عز وجل باسمه الكافي
- ٥٠٥ ..... ٨٤ - اسم الله الكفيل
- ٥١٢ ..... التعبد لله عز وجل باسمه الكفيل
- ٥١٧ ..... ٨٥ - اسم الله الوكيل
- ٥٤٥ ..... التعبد لله عز وجل باسمه الوكيل
- ٥٥٣ ..... ٨٦-٨٧ - اسم الله الفتح .. الفتح
- ٥٧٠ ..... التعبد لله عز وجل باسمه الفتح .. الفتح
- ٥٨١ ..... ٨٨ - اسم الله الوهاب
- ٥٩٣ ..... التعبد لله عز وجل باسمه الوهاب
- ٦٠١ ..... ٨٩ - اسم الله الهادي
- ٦٢٥ ..... التعبد لله عز وجل باسمه الهادي
- ٦٣٣ ..... ٩٠ - اسم الله الصادق
- ٦٤٥ ..... التعبد لله عز وجل باسمه الصادق

- ٩١ - اسم الله الوارث ..... ٦٥١
- التعبد لله عز وجل باسمه الوارث ..... ٦٥٨
- الباب السادس عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: ..... ٦٦٣
- ٩٢ - اسم الله الوتر ..... ٦٦٤
- التعبد لله عز وجل باسمه الوتر ..... ٦٧٥
- ٩٣ - اسم الله السبوح ..... ٦٨٣
- التعبد لله عز وجل باسمه السبوح ..... ٦٩٤
- ٩٤ - اسم الله الطيب ..... ٧٠١
- التعبد لله عز وجل باسمه الطيب ..... ٧١١
- ٩٥ - اسم الله الجميل ..... ٧٢١
- التعبد لله عز وجل باسمه الجميل ..... ٧٣٣
- ٩٦ - اسم الله النور ..... ٧٤١
- التعبد لله عز وجل باسمه النور ..... ٧٥٣
- ٩٧ - اسم الله الرفيق ..... ٧٦٥
- التعبد لله عز وجل باسمه الرفيق ..... ٧٧٦
- الباب السابع عشر: ويشتمل هذا الباب على أسماء الله الحسنى الآتية: ..... ٧٨٣
- ٩٨ - اسم الله الشافي ..... ٧٨٤
- التعبد لله عز وجل باسمه الشافي ..... ٧٩٩
- ٩٩ - اسم الله الحي ..... ٨٠٥

التعبد لله عز وجل باسمه الحي	٨١٤
١٠٠ - اسم الله الستير	٨٢٣
التعبد لله عز وجل باسمه الستير	٨٣١
١٠١ - اسم الله المعطي	٨٤١
التعبد لله عز وجل باسمه المعطي	٨٦٨
١٠٢ - ١٠٣ - اسم الله المقدم.. المؤخر	٨٧٩
التعبد لله عز وجل باسمه المقدم.. المؤخر	٨٩٤
١٠٤ - اسم الله المحسن	٩٠٣
التعبد لله عز وجل باسمه المحسن	٩١٩
الباب الثامن عشر: دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنی، ويشتمل على مايلي:	٩٢٩
١ - دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنی من القرآن الكريم	٩٣٠
٢ - دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنی من السنة النبوية	٩٣٣
٣ - دعاء الله عز وجل بأسمائه الحسنی بما يوافق القرآن والسنة	٩٣٩
الفهرس	٩٧٣